

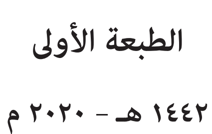
الأعمال الكاملة للشيخ الدكتور

طارق عبد الحليم حفظه الله

المجلد الثامن

٨

خواطر في التفسير والشريعة والحياة



الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م

رقم المكتبة لوزارة الثقافية التركية: ٣٦٠٣٠

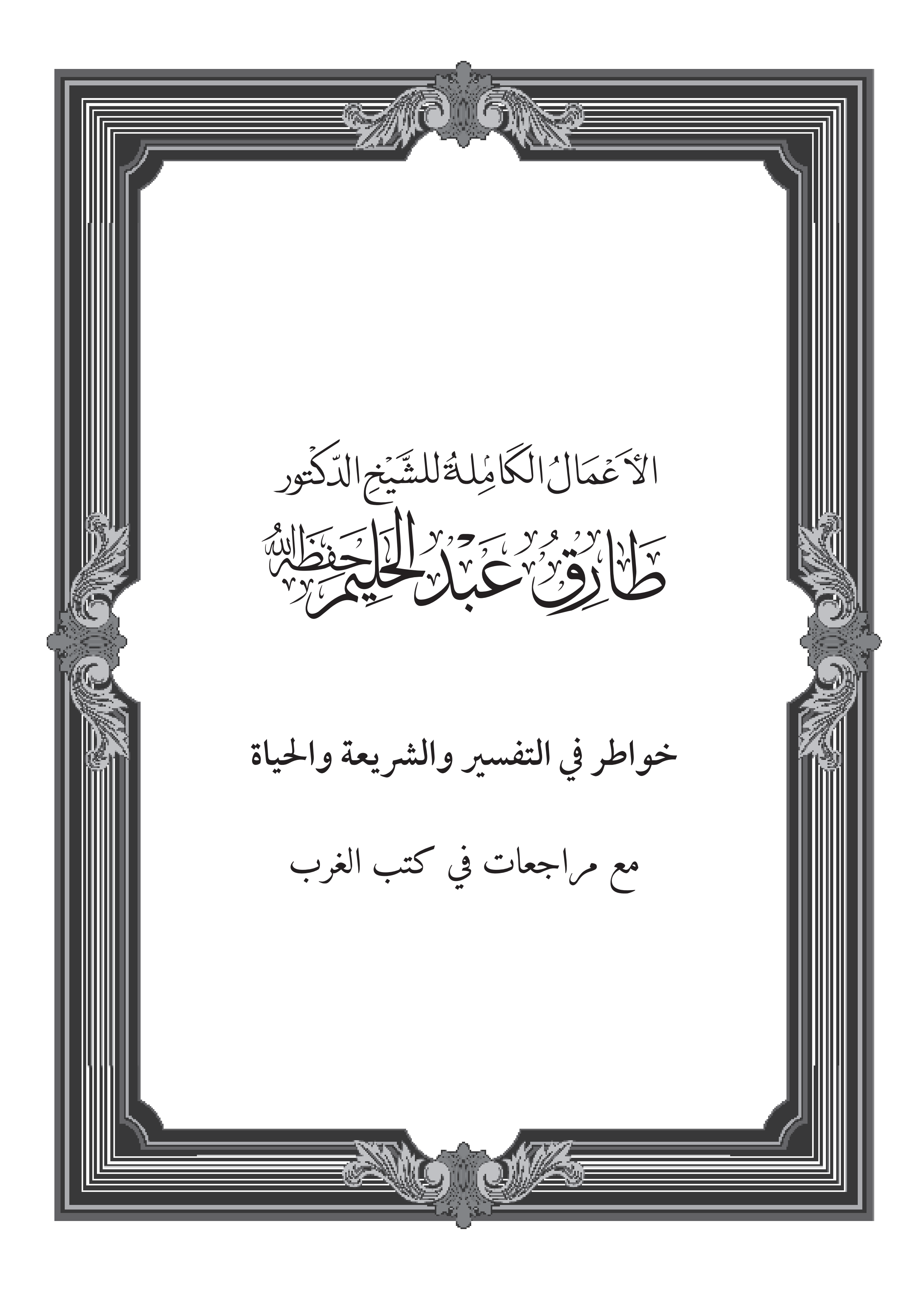
الطبع والتجليد:

Baskı&Cilt: Baskı&Cilt: Step Ajans Matbaa Ltd. Şti.
Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11 Bağcılar / İstanbul
Tel: 0212 446 88 46
Sertfika No: 45522

عنوان دار الكتاب العالمي:

Yamanevler Mah. Küçüksu Cad. No: 9 Dükkan: 1
Ümraniye / İSTANBUL
Tel: +90 539 762 66 95
bilgi@kureselkitap.com
www.kureselkitap.com



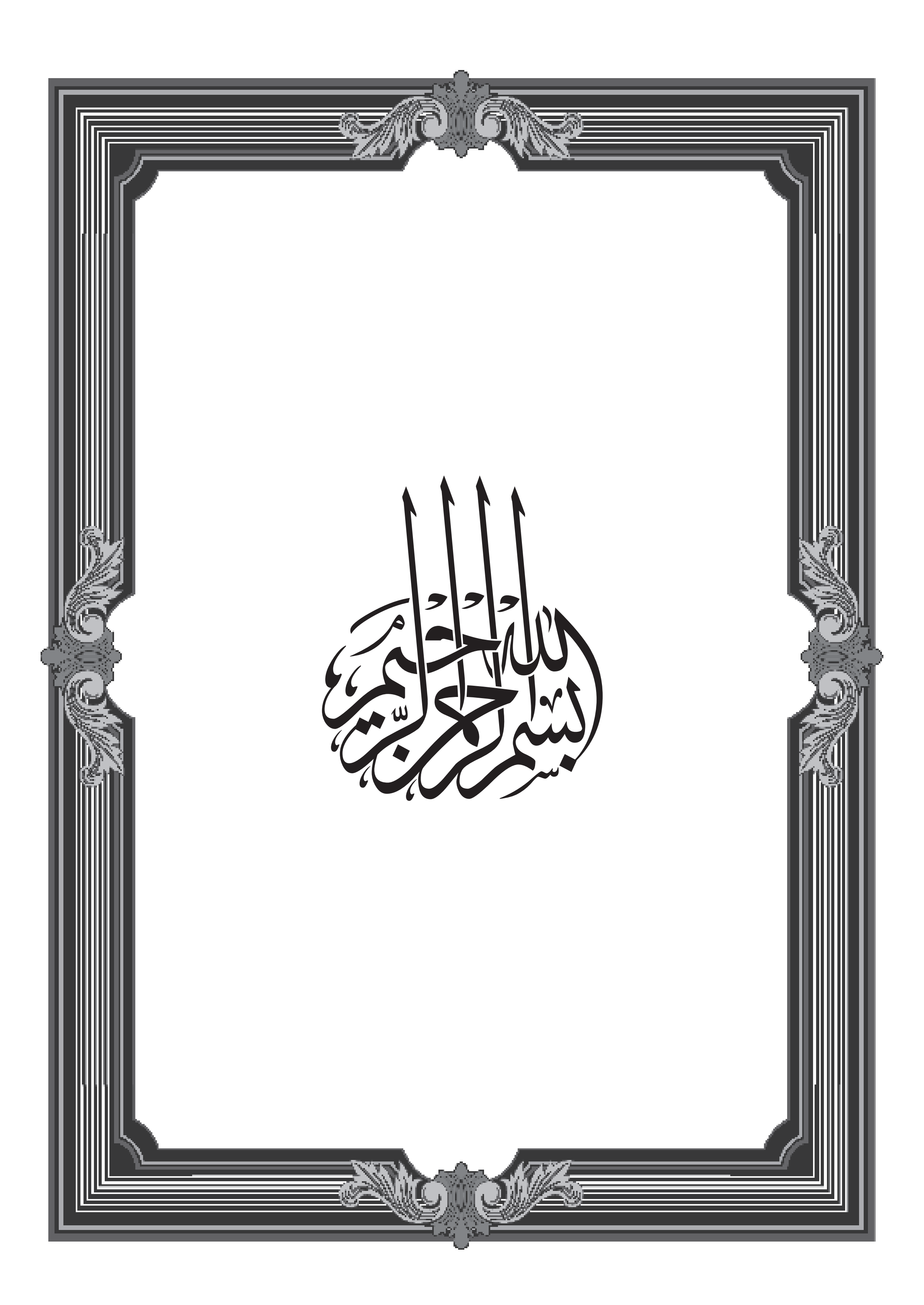


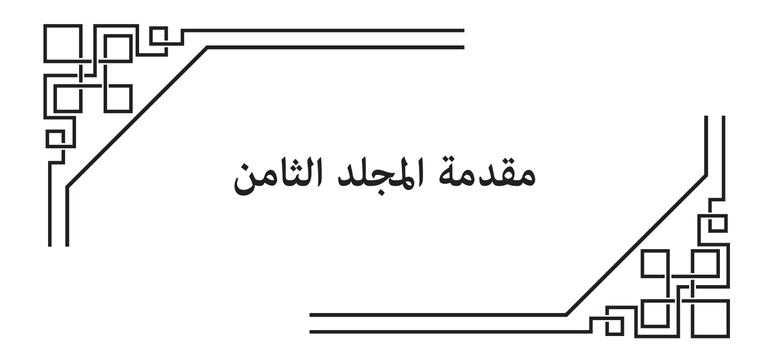
الأعمال الكاملة للشيخ الدكتور

طارق عبد الحليم حفظه الله

خواطر في التفسير والشريعة والحياة

مع مراجعات في كتب الغرب


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة المجلد الثامن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

لم أجد خير تقديم لهذا المجلد الثامن، المعنيّ بأحوال الحركة الإسلامية، من تتبع أحوالها في نهاية ٢٠٢٠، والتعرف على أوضاع أبنائها.

يمكن القول، بكل أمانة وصدق، أن الحركة الإسلامية التي بدأت منذ حوالي ثمانين عاماً من الزمن، وتشعبت وتنوعت، فكريا وأيديولوجيا وحركيا، في بلاد العالم الإسلامي كلّه، قد توقفت عن الحركة، أسوة بكلّ ما هو من شأن التقدم الإنساني والحضاري المسلم، عربيّ وأعجمي.

ولا أظن أن هذا الخبر فيه صدمة لأي مسلمٍ مهتم بشؤون الإسلام، بل هو من باب تأكيد الخبر، لا أكثر.

فالجماعة المعروفة بالإخوان المسلمين، قد سجنت، بل وسُحلت جلّ صفوفها الأربعة الأولى، في كلّ بلاد العرب، رغم ما أبدوه، ولا يزالون، من استعداد، عقديّ وحركيّ من التعاون مع الغاصب المستعمر، في كلّ مجال. فالغاصب المستعمر لا يريد أقل من مستوى السيسي وأبناء سلمان وزايد، الذين لا يعرفون ديناً أصلا لينحرفوا عنه هنا وهناك.

وحركة السلفيين التي بدأها، في ظني الشيخ الألباني، كحركة أكاديمية حديثية، تحولت على يد المدخليّ الموالي لأعداء الله ورسوله، وبرهامي الكافر بالله العظيم، وشلّة المشايخ

المصنوعة من عجوة النفاق، كمحمد حسان ومحمد يسري ومخيون وهذه الطبقة العميلة، وعلى رأسهم المتلوّن في دين الله الددو الشنقيطي.

وحركة التحرير لا تزال قابعة في احلامها بالخلافة، دون الأخذ بأسبابها إلا من فعل واحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عرض الفكرة على زعماء الدول، كما عرضها صلى الله عليه وسلم على زعماء القبائل! وغالب أبنائها في السجون، وإن لم يكن لهم شأن كبير في تقدم الحركة بشكلٍ عام في العقود الأخيرة منذ أيام النبهاني في الخمسينيات من القرن الماضي.

ثم حركة الجماعة الإسلامية التي كتب الله عليها الانتكاس التام والردة الأصلية، فصاروا في خيار الديموقراطية والسياسة التوافقية، فحازوا قصب السبق فيها أكثر من الإخوان، وكانوا من أهلها بجدارة.

وحركة السروريين، التي لا تكاد تجد لها محوراً أصلاً، إلا معرفتنا الأكيدة الوثيقة الدقيقة التامة بوجودها كجماعة لها بيعة، فأظنها ماتت كحركة بموت مؤسسها محمد سرور بن نايف، ولا تجد من ينتسب لها علنا، عقديا ولا حركيا، من حيث غبش أيديولوجيتها العقدية وخرابها الحركي.

ثم إنّ حركات أهل السنة والجماعة، التي تعددت، لا لسبب إلا لتفادي تفتيتها، وشدة ملاحقة السلطات لها. فإن كانت السلطات الكافرة تهدم الجماعات التي تمدّ لها يد التعاون والتفاهم، وقبولها أن تكون اليد السفلى على الدوام، فكيف تراهم مع من لا يقبل نظمهم جميعا، وطرقهم جميعا، السياسية والبرلمانية والتوافقية التعايشية الائتلافية، التي تتمحور حول "نعبد إلهكم يوما وتعبد اللات والعزى يوما" فنزلت سورة الكافرون ردّاً عليهم. فحركة إحياء الأمة، ومجموعة الشيخ رفاعي سرور رحمه الله، والتيار السني الذي لم يتح له إلا عامين من الزمن، ثم اجتاحه السيسي وجحافل ٣٠ يونيو المريضة عقدياً.

ولم يبق إلا حركات الجهاد، كالقاعدة في أفغانستان وبقية فروعها، وطالبان التي هي معنية بالشأن الأفغاني أساساً. وكلاهما يعاني من مشكلاته أشد المعاناة، وإن بقي طافياً على السطح، لإخلاص قادته وأبنائه، وتوفيق الله لهم بهذا لإخلاص.

ثم الجماعات الجهادية المتناثرة في إدلب الشام، ولا أقول الشام، خاصة ما تُسمى الهيئة، وهذه قد صارت إلى الخيانة العظمى لله ورسوله على نهج الجماعة الإسلامية حذو القذة بالقذة.

أما على المستوى الفردي، فتجد من ينتسب لأحد من تلك الحركات، فكرياً وأيديولوجياً، وإن لم ينتم لها حركياً. وهؤلاء الأفراد هم من يوقعون في مخيلة العامة أن تلك الحركات لا توال تقوم لها قائمة، بين تصريح هنا، ودرس هناك، مثل تمثيل الددو للسلفيين، الذين يكادون يعبدونه من دون الله، أو الصغار مثل الكتّانيّ المغربيّ المُشبع بالصوفية من ناحية والمشتت عقدياً من نواح أخرى، أو الشيخ الفلسطيني الذي لم يعد أحد يعرف انتماءه الحقيقي، وأظنه قاصدا عامداً لهذا، أو أمثال الشيخ السباعي والشيخ المقدسي، اللذين يمثلان أهل السنة، ويعلم الله ما هم فيه من ضيق عيش لا يُطاق، أعلمه يقينا ولا يعلمه الكثير، لا كالددو ملك السلفية الزائفة، أو مختار الشنقيطي المزيف، وأماثلهما من المصطنعين.

وهذا هو الفرق بين أتباع أهل السنة وبين غيرهم، لمن يتساءل، ذلك السؤال الساذج الغريب: لماذا لا تفعلون أنتم شيئاً بدلا من لوم الإخوان وغيرهم!!؟ أقول لمحدودي الذكاء والإدراك، إن كان هذا حال من يوافق، فكيف بحال من يخالف، عقديا وحركياً؟ نحن مطاردون محاصرون، من جهة، والشرع يضع لنا مقاييس معينة لا نتجاهلها كما فعل الإخوان وغيرهم، لأنها حرام أولاً، ولأننا نعرف أن الحرام فيه المفسدة الحقيقية على الدوام، لا كما قلبوا الآية، فقالوا هي مصلحة ... وكيف يكون حراماً فيه مصلحة يا أولى الألباب! ومرة أخرى، بين أيديكم النتائج.

فإن قيل: إذن دعهم يعملون! قلنا: وهل قيّدنا أيديهم .. وصلوا إلى سدة الحكم بالفعل ثم خسروها بانحرافهم الحركيّ، لا بيع القضية كما يقول بعض المعاتيه، بل بالغباء وغبش الرؤية العقدية الذي أخرج للمسلمين "سلميتنا أقوى من الرصاص" وهم أصحاب يد عليا، وأعداد كبيرة. لكنّ لما كان المنهج منحرفاً لم يعدوا لذاك اليوم عدته، بل قالوا: إخواننا، مسلمون نتعاون معهم. إلا ما أغبى هذا الفكر والنظر ... ولا أدعي هذا من عند نفسي، بل هو ما رأينا نتائجه على الأرض لا يبكرها أحد إلا أعمى بصر وبصيرة ... وكم كنت أتحدث لبشر من البشر فأقول: هؤلاء يسيرون في طريق الهلاك، عقب اتفاق كامب سليمان (مع عمر سليمان، الذي تولى كبره العريان والكتاتني)، فيكون الردّ: لا، هؤلاء محنكون، لهم خطط لا نعرفها ...! فواحسرتاه على الملك الضائع بسبب غباء قيادته وقلة خبرتهم والتواء عقائدهم.

تلك هي معالم الوجود الإسلامي الحركي اليوم، إن وضعنا جانبا كفار مشايخ السلطان كالجندي وسعد الهلالي والمغامسي والسديس وأمثال هؤلاء الساقطين.

أمّا ماذا نفعل إذن ... فقد بينت هذا في مقالات سابقة عديدة، فليرجع لها من شاء ... وهي مجموعة هنا في هذا المجلد الثامن من مجموعة الأعمال الكاملة تحت عنوان "خواطر في التفسير والشريعة والحياة".

ثم إن هذا المجلد يشمل عدة أقسام :

أولها، ما يختص بالتفسير واللغة العربية. وأنخر فيها بتقديم شرح لقصيدة القوس العذراء لعملاق العربية محمود شاكر رحمه الله تعالى. وباقة من تفسير بعض آي الذكر الحكيم.

ثم قسم وجهته للنساء المسلمات، يعالج في شكلٍ قصصيّ بعض ما أعرف أنه يضطرب في صدورهن، على الدوام، دون إجابة شافية مؤصلة علمية.

ثم قسمٌ الأوضاع السياسية الأخيرة في حياتنا السياسية، وقسم في بعض أمور الشريعة، مثل شرح عقيدتنا وبعض المفاهيم العامة الهامة كالأخلاق أو الأمثال في القرآن الكريم.

ثم قسم عنيت فيه بالحديث عن التربية ونواحيها وجوانبها، وعلاقة البيئة المحيطة بأبنائنا فيها، كدور الأب والأم والمعلم. وأحسبه قسم هام في حياتنا الأسرية.

ثم قسم أخير عنيت فيه بتقديم بعض النظريات الإدارية الحديثة من الفكر العالميّ، لعل فيها فائدة لصانعي القرار في مراكزهم، ثم مراجعات وتحليل وشرح لبعض المؤلفات الغربية الحديثة، وجدث فيها نفعاً إن شاء الله تعالى

تقبل الله منا أعمالنا وجعلها خالصة لوجهه الكريم وعلى سنة رسوله الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

د طارق عبد الحليم

٢٨ نوفمبر ٢٠٢٠ – ١٣ ربيع ثان ١٤٤٢



الجزء الأول:

في التفسير واللغة



الأخلاق في القرآن الكريم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وبعدد ..

مقدمة:

فقد كانت أمنيتي منذ أن تعرفت على كتاب الله تعالى وتسرب من حكمته إلى عقلي ومن عَبَقه إلى صدري ومن أسلوبه إلى تصرفي وقلمي، أن أدون شيئاً في الموضع الذي وضعته عنوانا لهذا المبحث "الأخلاق في القرآن الكريم".

ذلك أنّ القرآن حين تنزّل على رسول الله المصطفى ﷺ، كانت العرب على خلق تشابكت فيه جاهلية قديمة عقيمة مظلمة، وأعراف مستقرة بالية، وخُلق فيه مما فُطروا عليه من مصدرين، طبيعتهم الصحراوية البدوية، وما انحدر لهم من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من ناحية أخرى. فكان فيهم الكثير من محاسن الخُلق والشهامة وإكرام الضيف وعدم الرضى بالضيم، وفيهم من مساوئ الخُلق كثير، كوأد البنات وفشو الزنا، والخمر والربا.

وكانت تلك الخلطة الأخلاقية، بعُجرها وبُجرها، من أسباب اختيار ربّ العالمين لتلك الأمة، الضائعة وقتها، الرائعة بعدها، لرسالته الخاتمة، واختيار رسول الله المصطفى ﷺ، للرسالة الخاتمة فيها.

وقد ورد عن السلف الصالح أنه "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها". وهو قول من أصدق ما قيل عن أمة محمد ﷺ. ذلك أنّ طبيعة هذه الأمة، التي عاش سلفها، ولا يزال يعيش خلفها، في جوٍ صحراوي جافٍ تُشكلّ أرضه الواسعة كلها، وعليها بعض منافذ بحرية تحيط بها، ثم نهرين أساسيين، هما النيل والفرات، جعلتا لهذه الأمة خصائص معينة من ناحية التكوين النفسي والتركيبة الاجتماعية. وهذان الأمران، أعنى التكوين النفسي والتركيبة الاجتماعية، هما المكونان

للأعراف والأخلاق، من حيث أنّ الأعراف هي الخلق الاجتماعي الذي يتواطئ عليه مجموع الناس في بيئة محددة، ليكون خلقاً مقبولاً لدي الجميع، يثير الخروج عليه الانتباه اشمئزازا ورفضاً.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أثر البيئة في التكوين البدني والخلقيّ، وما يتعارف عليه الناس، علوّاً وسفولاً. قال تعالى في حق بني إسرائيل ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ**﴾ البقرة: ٢٦١. فقد تعودت بني إسرائيل على أكل الدنيّ من الطعام، فلم يصبروا على الغني منه، ولذا تشكلت أخلاقهم من هذا الدنيّ، فكانت سبباً في تصرفاتهم التي ضربت عليهم الذلة والمسكنة. وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى أثر البيئة على التكوين البدنيّ والخلقي لبني آدم في كتابه العظيم "**مقدمة ابن خلدون**" [١].

فالخلق الفرديّ هو وليد التفاعل بين الشخصية الفردية وبين العادات والأعراف الاجتماعية التي تكوّن الخلق الاجتماعيّ.

وقد جاء القرآن الكريم بأفضل ما يكون عليه الخلق الفرديّ، وبأفضل ما يجب أن يكون عليه العرف الاجتماعي، من حيث علم الله سبحانه تلك العلاقة التي ذكرنا، وجمع بينهما في أفضل تناسق يرفع التعارض ويضع سنة التدافع في موضعها. بينما نرى الحضارات الوضعية تفتخر بأنها وضعت التصرف الفردي مطلق عن التقييد والتحديد، بينما قيدت المجتمع بقيود لا يتعداها، بصرامة القوانين الوضعية.

[١] "مقدمة ابن خلدون" بتقديم د علي عبد الواحد وافي، ج١ ص ٣٩٣، طبعة نهضة مصر

ماهية الأخلاق

الخلق هو الطبع الملازم للإنسان في كل حالاته في باب من أبواب التصرف. وقد جعله الله سبحانه من فطرة الإنسان السويّ، في بعض جوانبه، وإن جنحت كفة الميزان في الاعتدال تارة نحو المبالغة وتارة نحو التقصير، بشكل متقلبٍ أو دائم، حسب طبيعة الفرد. ويعرّفه الفلاسفة بتعريفات كثيرة، من أقربها للصواب ما قاله جان جاك روسو، أنها تلك الملكة التي تجعلنا نميّز الخير من الشر، وما يعود علينا من نفع أفراداً وجماعات.

أما الأخلاق الاجتماعية، أو الأعراف، فهي وليدة تمازج الأفراد، وتولّد القناعات، قرونا بعد قرون، بعد أن أنشأتها الفطرة، ثم أيدها العقل، وارتكزت في الشعور، ونزلت بمعاييرها الصحيحة في اعتدالها الرسالات. ولاشك أن هذا الخُلق الاجتماعي هو مركب من خُلق إفراده، التي يجتمعون عليها، لتصبح لمعنى "الثقافة"، التي يمكن تعريفها بأنها "التصرفات المتماثلة التي يقوم بها أفراد المجتمع دون شعورٍ منهم بها"[١].

وقد وضع القرآن الكريم قواعد الأخلاق وبيّنها ووازن بين أطرافها، مصالحا ومفاسدا، فمال بها إلى الرحمة في موضعها، وإلى الشدة في موضعها، وإلى التوسط الكريم في غالبها، فكان مرشدا وهاديا للفطرة السويّة.

والقرآن ملئ بالتوجيهات الخُلقية والتربوية الثمينة، كيف لا، وقد قال تعالى "أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ". فهو سبحانه يعلم ما يُصلحنا، وما يُفسدنا، أفراداً وجماعات.

وتلك التوجيهات تأتي في إطارين:

---

[١] Without knowing it, they behave alike", my PhD thesis 1989.

أولهما النص المباشر الصريح في التوجيه الخلقيّ مثل ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ الإسراء ٣٧

والثاني التوجيه غير المباشر، بدلالة الموقف أو المشهد بشكلٍ عامٍ، كما في موقف موسى عليه السلام من فرعون ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ الإسراء، من حيث أسلوب الرد على المخالف، وهو منتشر في القرآن في مواطن عديدة.

فحكمة القرآن وتوجيهه للبشر، في التعامل الخلقي الرفيع، هو الأحرى بالنظر والاستقصاء والتبني التربوي، إن أردنا أن نرفع عنا ذل المهانة والخزي وسوء الأدب الذي أصبح آفة الآفات في شعوبنا عامة، فالذين يحبون إشاعة الفاحشة يعلمون تماما أن مردودها السقوط الخلقيّ ثم الانهيار الاجتماعيّ.

(١) باقة سورة الإسراء

السنن الكونية والكنوز الأخلاقية في سورة الإسراء

وسننظر أولا في سورة تحمل كنوزا من التوجيهات الأخلاقية، تترى، ويلحق بعضها بعضاً، في تتال يأخذ بالأنفاس ويُعجز اللسان، بضرب من أعلى ضروب البيان، وهي سورة الإسراء. ونلاحظ أن آياتها جاءت من الضرب الأول نصاً في معناها.

قال جلّ وعلا في سورة الإسراء:

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ

أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾﴾
الإسراء

وقد بدأ سبحانه وتعالى بتقرير قواعد كلية وثوابت شرعية وسننا كونية، يبيّن بها صلة المرء بعمله، وعمل غيره وبنعمته سبحانه على البشر بتوجيههم بالكتب والرسل مبشرين ومنذرين، قبل أن يوجههم إلى ما هو من حسن الأفعال وكريم الأخلاق.

مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ

بداية مزلزلة فيها هداية وتحذير، وفيها أساس من أهم الأسس العقدية والخُلُقية في المنظومة الإسلامية. ذلك أن هدايتك أو ضلالك إما ثمارها لك وحدك حصراً ، لا ينتفع بها أب أو ابن أو قريب، إلا من اتخذ من هدايتك مثالاً يحتذيه، ليس إلا. أما الهداية بذاتها، فهي لا تورث ولا تنتقل ملكيتها. وهي تتناسق مع قوله تعالى قبلها بأيات ﴿**إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا**﴾. وفيها دلالة عظيمة على أن العبد يختار لنفسه أما أن يضل أو أن يشقى، وهو مقتضى المشيئة الشرعية، ومبرر إنزال الرسل والكتب. وقد قال تعالى ﴿**وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**﴾ النجم ٣٩، وهو في نفس المعنى.

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ

وهذه، مرة أخرى، من كبريات العقيدة، التي يوردها جلّ وعلا، ليرسُخ في نفس المسلم أنّ عمله الذي سيأتي بعدُ في الآيات اللاحقة، إنما هو له لا لغيره، وأنه لن يحمل تبعات أحد، ولن يحمل أحدٌ تبعاته.

فِعْلُك الباطل ومعصيتك ووزرك، لن يرفع تبعاته عنك، أبا كان أو أهلا أو عشيرة. لذلك ضل هؤلاء الذين قالوا ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ البقرة ٥٨، كذبوا عليهم فأضلوهم.

وسنة ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، تدحض عبث النصارى القائلين بتضحية المسيح عيسى لأجل نجاة البشرية ولمحو ما يسمونها "الخطيئة الأولى". فلا خطيئة آدم عليه السلام، تضر الصالح ولا الطالح من أبنائه، ولا المسيح عليه السلام بقادر أن يمحو خطيئة بشر من البشر.

كلّ الناس سيحملون أوزارهم يوم القيامة، ومن أوزار من تسببوا في إضلالهم، إذ ضلال أولئك هو من ضلالهم في المقام الأول، ومآلات الأفعال معتبرة كجزء منها، يعتبرها المجتهد في تقرير مشروعية الفعل أو عدم مشروعيته . وقد قرر اللهﷻ سبحانه ذلك في قوله جلّ وعلا ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَـٰرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ يس. وَءَاثَـٰرَهُمْ، هي ما ترتب على سوء فعلهم من ضلال وإضلال.

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾

نعم، رحمة الله سبحانه بعباده، ألا يعذبهم حتى تصلهم الرسالة التي يكفر منكرها، رغم أن الله منّ على بني آدم بالعقل القادر على النظر المستقل، والفطرة السليمة التي يولد عليها كل مولود، حتى يحرفه أبواه عن الحق. وقد صدق الله وعده، فأرسل الرسل للناس كافة مبشرين ومنذرين "وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ" فاطر ٢٤، "وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ " النحل ٣٦. وكلها صيغ عموم مؤكدة حصرية، لا تحتمل تخصيصاً، فالآية أعلاه هي آية إخبارية، وليست إنشائية، والفرق كبير.

وهذه الكلية الشرعية، قد دار حولها نقاش واسع متشعبٌ في العقيدة والأصول والفقه[١] ، لا أظن محله في حديثنا هذا، لكن الغرض أن يرى المسلم سعة عفو الله ورحمته وإرادته الخير بالناس، فهو سبحانه لم يخلقنا عبثا "لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ "الآنبياء، ولم يتركنا سدى "أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى" القيامة ٣٦. فعلة الخلق منصوسص عليها "وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ" الذاريات ٥٦. والخالق جلّ وعلا، تحتم له كلّ صفات الكمال، ولو كان فيه نقصٌ – حاشاه، ما كان هو الرب الحق والإله المستحق. ومن كمال صفاته سبحانه الحكمة والرحمة والعدل. فالحكمة تؤدى إلى سبب إيجاد الخلق، والرحمة تؤدي إلى العناية بهم ورعايتهم، ولا يتم هذا إلا بمفهوم النبوة، ومن ثم إرسال الرسل وإنزال الكتب، ليهدي إلى المحجة ويقيم الحجة، فلا يدخل النار إلا من حق عليه القول بظلمه لنفسه ورده للشرائع.

---

[١] فهو يتعلق بموضوع الجهل في عوارض الأهلية أصوليا، وضوابط التكفير عقدياً، وأحكام المرتد فقهياً.

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾

سبحان الله العظيم. هذه سنة الله في الأولين والآخرين. أن يقترن الترف بالفسق، ومن ثمّ بالدمار، فالفسق لا يأتي إلا به، انظر حولك، وطف في طيات التاريخ، تجد الترف سببٌ مباشرٌ في سقوط الأمم والحضارات. حدث ذلك لأمة اليونان، ومن بعدها أمة الرومان والفرس على يد المسلمين، ثم على أمة المسلمين حين تخلوا عن تراثهم الإلهيّ لصالح علمانية قميئة وملذات رذيلة، فأتاها الدمار من كلّ جانب.

والمترفين، عادة هم الحكام وبطانتهم، وقد جاءت رواية بتشديد الميم في "أمّرنا" أي جعلناهم أمراء وحكاماً، والواقع خير شاهد وأدلّ دليل، على اضطراد هذه السّنة المحكمة، بلا مجاملة ولا محاباة.

وكلمة "أَرَدۡنَآ" تشير إلى مشيئة الله الكونية التي لا يخرج عن علمها شئ، ولا يجرى من دونها أمر فليس فيها لإجبار نصيب، بل هو العلم والهيمنة. كذلك في قوله تعالى "أَمَرۡنَا"، فالأمر هنا، يعني الإذن بأن تأخذ السنن مجراها دون تدخل إلهي. وقد ذكر عدد من المفسرين أن الأمر هنا هو الأمر الشرعيّ بوجوب الطاعة، فلما فسقوا جرت عليهم السنة فدمرهم الله تدميرا. ولا طارى خلافا في النتيجة، وإن كان الخلاف هنا هو من قبيل أن الأمر هنا كونيّ أو شرعي. والأليق فيما أرى أنه كونيّ بمعنى الإذن[١] .

وقوله سبحانه "فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ"، لا يعني ظلماً وتعنتا، لكن يعني جريان السُّنة التي سبقت في كتاب الله ومشيئته الكونية. وانظر في قوله سبحانه "تَدۡمِيرٗا" ، فقد أتى بالمصدر ليعكس الدمار الشامل الهائل، الذي لا تقوم لأمة قيامة بعده، ودونك عاد

[١] انظر الطبري والقرطبي في تفسير آية الإسراء.

وثمود وأهل مدين والمؤتفكة وقوم لوط وأصحاب الأيكة، قليل من كثير.، فيا له من نذير، ويا لها من آية هادية وحكمة جامعة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

ثم يختتم الله سبحانه تلك الباقة النادرة من الحكم السَنِيّة والسنن الكونية، بلفت النظر إلى ما كان من جريانها، دون توقف، على مرّ الزمان واتساع المكان. فكم هي تلك الأمم والحضارات التي عاشت على مدى قرون متتالية بعد نوح عليه السلام، وحتى زمن التنزيل القرآني، دالة على ما جاء من نذر قبلها في الآيات السابقات المحكمات. والقرون هنا قد تكون دالة على الأمم ذاتها، كما في الحديث الصحيح "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" البخاري وفي رواية خير الناس. فالقرن هو الحقبة الزمنية، أو من عاش فيها، سيّان.

ثم ختمها بتقرير حكيم عالم خبير بصير، أن الله سبحانه قد خبر تلك الذنوب وبصُر بها، وعرفها ودوّنها في لوحه المحفوظ. وهذا يكفي "وَكَفَىٰ" ليكون رادعا لبني آدم، أن كلّ ذنب يقترفونه محسوب ومرصود عليهم، فلا مجال لنفي أو إعذار، والله المستعان.

التوجيهات الأخلاقية

لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

بدأ الله سبحانه سلسة الهداية الخُلقية، بأعلى مراتبها وأسمى معاني تعلقها، التوحيد وعدم الشرك بالله، وهل هناك رتبة أعلى من ذلك تجعل الإنسان يعلو فوق كلّ الكائنات، حتى الملائكة؟!

من جَعل مع الله إلهاً آخر، يعنى أنه قد اجتمعت فيه كافة المفاسد الخلقية، جهلاً واستكباراً، وجحوداً واستعلاءً، فلم يذكر الله تلك المساوئ في المشرك ذاته، بل ذكر بعض نتائجها عليه "مَذْمُومًا مَّخْذُولًا" مذموماً في الدنيا لما به من أسوأ الصفات، أعلاها الكفر، ثم يتبعها كما يتبعه من انحطاط في كل ناحية من نواحي الإنسانية. وإن ظهر للعيان بعض فضل فيه، فهو من بقايا الفطرة، التي وهبه الله له، نخانها، فصارت لا أثر لها.

ومخذولاً، في الآخرة، إذ من ينصر من خذل الله؟ يوم لا ناصر إلا هو، ولا منجاة إلا به واليه؟ يوم يتضرع لله أن يعيده كرة أخرى فيخذله في طلبه. يوم يتضرع لمالك أن يسأل ربه أن يقضي عليه، فيخذله. يوم يعض على يديه ويود لو كان تراباً، فينخذل، ويذوق العذاب، فأي خذلان أكثر من هذا الخذلان؟

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن

رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾"الإسراء

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ

إذن هذا تقرير لما جاء في الآية السابقة، بالأمر بعدم الشرك بالله، وبعاقبة ذلك على من جناه. ثم عقّب هنا بجملة خبرية، هي من قضاء الله الشرعيّ، أنه سبحانه قد قضى في كتابه ألا تكون العبادة إلا له، وهي النتيجة الحتمية بالأمر الأول، أمر الله ألا تُشرك به، فقضاؤه هو أن تعبده وحده، تكملة لما كان من الأمر. وهو ربط بين الأمر الشرعي والقضاء الشرعيّ، وكلاهما لا دخل له بأمره الكوني أو بقضائه الكونيّ. فنحن نرى أن الكثير، بل الأكثر يشركون بالله، ولا يعبدونه، خلافاً لأمره، فكيف يخالفون عن قضائه؟ فالجواب أنهم يخالفون أمره وقضاءه

الشرعيين، اللذين أتت بهما الرسل ونزلت فيهما الكتب، وهو مقتضى الخيار البشريّ الذي تركه الله سبحانه للناس، ليكون الاختبار حقيقياً، ويرفع عنهم كلّ حجة "رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" النساء ١٦٥. وهو يختلف عن أمره وقضائه الكونيّ، الذي بموجبه، لا يتم أمر في السماوات ولا في الأرض إلا به وعلى مقتضاه، بلا تخلّف. والذي بحسبه صار المؤمن مؤمنا والكافر كافراً، من حيث عِلم سبحانه من سيؤمن ومن سيكفر، بعلمه المحيط بكل ما كان وما هو كائن وما سيكون، وما لم يكن كيف سيكون لو كان. وهو ما دّون في اللوح المحفوظ، واستحال أن يخالف شئ أو أحد ما جاء فيه، وإلا كان علم الله ناقصاً، كما أنّ ما كان وما سيكون وما هو كائنٌ مقتضى حكمته اللانهائية. فالعلم والحكمة والمشيئة يقررون القدر المحتوم، ويقرون القضاء المرسوم.

وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

ثم جاء ثاني التوجيهات الخُلقية من الله سبحانه في هذه الكوكبة السّنِيّة تشريفا لمن جعله الله سببا مباشراً في وجود كلّ إنسان على ظهر الأرض، الوالدين. قرن الله سبحانه بين عبادة الله الذي أحسن للنوع البشريّ بتوجيهه لعبادته سبحانه وعدم الشرك به، بالإحسان لوالديه، اللذين قاما على تربيته وتنشئته وتغذيته وتوفير الكساء والغطاء والوقاية من الحرّ والبرد، والسهر عليه بعينٍ لا تكلّ ولا تمل، كل لحظة من لحظات حياته، حتى بلغَ أشدّه واستوى. فعلُ الوالدين جزء من أجزاء فيض الإحسان من الله سبحانه على الناس، منْ كَفَره وعقّهما، فقد كفر بنعمة من أكبر نعم الله عليه.

لكن الزمان يمرْ، والحال ينقلب، ويصبح الراعي طالباً للرعاية، ويبلغ الوالدان الكبر، فيهرمان ويشيخان

"وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ" يس ٦٨. هو من قضاء الله الكوني، أن يتدرج المرء في مسيرة الحياة، يستبدل قوة بضعف، ثم ضعفا وشيبة بقوة "ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ" الروم ١٥٤. ماذا أمر الله سبحانه المسلم، أن يفعل تجاه الوالدين، في هذه الفترة الحرجة، وهي بلوغ الكبر والعجز؟ أمره بخطاب وجيز بسيط، وهو ألا يقول لهما "أف" ! والله سبحانه يعلم حقيقة أن الكبار لا يحتملون كثيرا، وليس لديهم الصبر على حاجتهم كما كانوا في زمن القوة، فتجدهم يملّون ويجادلون ويقولون ويعيدون ويزيدون، هنا تأتي "الأف". هنا يظهر الصبر على ما هم فيه، كما صبروا عليك وأنت رضيع لا تصبر على جوع. هنا يأتي موعد ردّ الجميل. وبطبيعة الحال، أن من نهى عن أن يقال لهما كلمة من حرفين "أفّ"، فقد نهى، بطريق الأولى، عن أن يقال لهما أيّ شئ أكبر، بله أن يُفعل بهما أيّ إهمال أو تجنبٍ أو إعراض أو نَهْرٍ. بل الواجب في حقهما، إن تصرفا هكذا في كبرهما، وهما تحت رعايتك، أن تتحدث اليهم بكل رحمة وتشعرهما بكل كرامة، لا أنك تمنّ عليهما بعونك ورعايتك، ومن هنا قال تعالى "وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا" ... وقد تكرر هذا المعنى في سورة البقرة "وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا" (٨٣)، لكن المشهد هناك كان موجها لبني إسرائيل، وتوليهم عما أمرهم الله به، وهي نفس التوجيهات والأحكام التي جاء بها القرآن في سورة الإسراء، وهي مكية. وهذا التكرار، يثبت وحدانية المُرسل، وتطابق الرسالات، ويقدّم للمؤمنين، بعد أن وجههم في مكة بما عليهم من تكليف، ألا يأخذوا الأمر بتبسّط وتهاون، فقد جاء مثله من قبل لبني إسرائيل فأعرضوا، فغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذابا عظيما.

وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾

سبحان الله على التعبير القرآني! خفض الجناح في اللغة تعبير عن التواضع، كما ينزل الطائر متواضعا أي "نازلاً" إلى الأرض من علوٍّ فيخفض جناحه. وهو كناية عن

التواضع. لكن الجناح هنا ليس هو مجرد التواضع، بل هو جناح الذلّ، الذي هو أشد خفضاً لمقام النفس من مجرد التواضع. ولأنه ذُلٌّ لعزيز مستحق، أعطى قبلما يأخذ، بل بلا انتظار لأن يأخذ، فهو ذلّ صادر عن الرحمة، ووارد بالرحمة، فيتجسدّ هذا النوع الفريد من الذلّ الحبيب، في تلك الرحمة على الوالدين في ساعة حاجتهما وعسرهما.

ولأنك، مهما أوتيت من قوة ومال وإمكانات، فهناك ما لا تقدر على جلبه، ولا على دفعه، فيأتي هنا دور الدعاء، بالرحمة، التي هي سبب ما أدّوه اليك أولاً، وما أمرك ربك به من خفض جناح الذل من الرحمة بهما، فتدعوه، أن يُأتيهما من رحمته ما لا تقدر عليه أنت ولا غيرك في دنياك هذه، تدعو "ارحمهما ربي ردّا لجميل إحسانهما وحسن صنعهما وسعة رحمتهما بي". اللهم ارحم والدي وكل موتى المسلمين.

رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾

ثم يأتي خبر اليقين، وهو أن الله يعلم ما في النفوس، بل هو أعلم منك بما في نفسك، لذلك لم يقل "ربكم يعلم" بل قال سبحانه "ربكم أعلم"، وهي صيغة "أفعل" المقررة لمزيد من معنى الحروف التي تكَوّن الفعل الحاضر في "يعلم". وقد عادت الصيغة هنا لصيغة الجمع ، إذ خرجت عن الصيغة الفردية الخصوصية، التي عُبر بها عن تلك العلاقة الأبوية بين المرء ووالديه، التي لها زخم الشخصنة والتأثير المُفرد، فلا تضيع في زحمة الجمع.

فأنتم، إن كنتم صالحين، تعرفون ما لكم وما عليكم، بالنسبة لما تقدم، من عبادة الله وحده أولاً، وخفض الجناح للوالدين رحمة بهما، ثم بكلٍ ما يترتب على الوفاء بالعهد لله وللوالدين خاصة، فإن الله سبحانه غفور لما سبق، عفوٌ عما لحق، إن كانت الأوبة صادقة، والتوبة نصوحة.

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ

وذكر القرابة وحقها هنا هو من باب "الشيء بالشيء يُذكر"، كما قال أغلب المفسرين. فبعد أن تمت الوصية بما للوالدين من حق، جاء ذكر ذوي القربي، ثم اليتامى، ثم المساكين. وحقّ هؤلاء هو ما يواسيهم ويسدّ خلتهم، دون الوصية. وهنا تأتي ملاحظة أن ذوي القربي اليتامى مقدمون على ذوى القربي، وذوى القربي اليتامى، المساكين، أولى من ذوي القربى اليتامى، واليتامى المساكين أولى من غيرهم من اليتامى. وهذا مقتضى الترتيب في الآية، وهو معقول مفهوم، فإن من تحققت فيه الأوصاف الثلاثة، أولى ممن تحقق فيه وصفان.

وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

وهذه الآية ليست معطوفة على الآية السابقة لها، في حق الأصناف الثلاثة المذكورين، فكيف يكون مبذراً من يُعطي كل ذي حق حقه، وإن يُذهب في هذا كلّ ماله. فالآية هنا معطوفة على آية "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه"، فهي مستأنفة.

والتبذير هو صرف المال في غير موضعه، أو بأكثر من اللازم في قدره، وكلاهما تبذير. والملاحظ هنا في الآية أنها جاءت بصيغة تفعيلا المصدرية، فقال تعالى "ولا تبذر تبذيرا". وهذا من عظمة من هذا الكلام كلامه. فإن تجنب التبذير بزيادة قليلة هنا وهناك أمرٌ متعذرٌ على الناس، في كلّ حال وعلى استمرار الحياة. فتغاضى الله سبحانه عن قليل التبذير العفوي، من حيث أن التبذير أمرٌ نسبيّ غير منضبط أصلاً، وهو يشبه ما جاء في مسائل الفقه من حيث الإغضاء عن قليل الغرر لعدم انضباطه أولا، وللمشقة الزائدة على المكلفين في تحقيقه، كما في كمية الماء المستخدم في

الحمامات القديمة.

والمرء يعرف من نفسه التبذير، إن كان مبذرا. فإنفاق ما لا تملك ثمنه على ما لا تحتاجه، هو أسوأ أنواع التبذير في صوره الحديثة باستعمال البطاقات الإئتمانية Credit Cards.

والله سبحانه قد فضّل بعض الناس على بعض في الرزق، لكن الفروق بين الغنيّ والفقير لا يجب أن تظهر في التبذير، بل يجب أن يحتفظ الناس جميعا بوسط معتدلٍ وإن كان هناك فروق في المعيشة بطبيعة الحال ولا شك. لكن لا يصح أن يصل الأمر إلى الضدين، الترف الفاحش والفقر المدقع. وتلك الفئة التي تعيش في القصور اليوم لم تكن معروفة أيام الصحابة، رغم الغنى الواسع لبعضهم كعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما. هذه طبقة نشأت في المجتمع الإسلامي في ظل جشع الولاة وتوحشهم، وانعدام التقوى، والمال المتدفق من تحت الأرض. وظهرت وتضخمت في أوروبا منذ أيام الكنيسة وسيطرتها وحكم اللوردات، ثم في ظل الرأسمالية والشيوعية على حد سواء.

وقد بلغ من كراهة التبذير أن قُرن المبذر بالشيطان، فهم إخوان في مجانبة الحق، ووضع الأمور في غير نصابها. فكما يضع الشيطان الباطل محل الحق، يضع المُبذر ماله في محل لا يُراد به. ثم يُذكّر سبحانه بأن الشيطان كفور بالله، فكذلك قياس المبذر أنه كفور بنعمة الله.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

ثم يعود الكلمُ القرآنيّ إلى سياق التعامل مع ذوى القربي واليتامى والمساكين، فعطاؤهم بالحق نعمة وفضل، لكن إن تعذر ذلك، حقيقة لا ادعاء، وانتظاراً لما قد يأت به الله من رحمة، لك ولهم، إذ لا يُكلف الله نفسا إلا وسعها، فلا تصدنّهم

صداً عنيفا أو مهيناً، بل اصرفهم عنك بالقول الكريم الميسور، الذى لا يأت بمهانة أو ازدراء. وهذا من قمة الهدي الخلُقي القرآني، من حيث مراعاة شعور الغير، والحساسية في التعامل معهم خاصة وهم في وقت حاجة، وهو أشد الأوقات ضعفاً لبني آدم.

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾

وينتقل القرآن بين القضايا المتعددة بدءاً وعوداً، برشاقة وفصاحة لا نظير لها، فيدفع الملل، ويحفز الفكر، ويرسخ المعنى. يعود السياق مرة أخرى إلى موضع التبذير، فيصحح النظر ويعيّن الوسط، ويُقوم الفكر، في مسألة الإنفاق.

انظر إلى ذلك المشهد الذي ترسمه الكلمات! رجل، قد غُلّت يديه بالقيود، إلى عنقه، فهو عاجز عن الأداء، كالعبد المُكَبّل بالحديد. تلك هي حقيقة البخل والبخيل. عبودية وعبد، لكن للمال من دون الله.

لكن في نفس الوقت، لا يصح التبذير البغيض الذي حذر منه سبحانه قبلا. وقد صوّره هنا بصورة حسّية، كما فعل في التقتير، صورة من يده مبسوطة بكلّ ما لديه، كل الوقت، لا يبقى شيئا احتسابا للقادم المجهول، فإن من يفعل ذلك بقي ملوما، من نفسه وممن يعول، ومحسورا على ما آل اليه وضعه من حاجة تضطره إلى أن يكون صاحب اليد السفلي بدلا من العليا. وقد ذُكر نفس المعنى في موضع آخر من القرآن، وتغيّر المشهد، في سورة الفرقان "وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا" ٦٧، حيث جاء ذلك التوجيه هناك في معرض المزج بين التوجيهات الخلُقية، والتوجيهات العبادية، فغلب على الموضع هناك في الفرقان التوجيه العباديّ، وغلب على الموضع هنا في الإسراء، التوجيه الأخلاقي.

وهذان الموضعان، يضعان أساساً قوياً نميّز به بين صاحب العبادة، وصاحب الخلق. فلا يلزم هذا من ذاك ضرورة. لكن لو لم يمزج الله سبحانه العبادة بالخلق، لظن البعض أن الخُلق يكفي، كما نسمع كثيرا من جهال قومنا.

فإن قيل، لكننا رأينا رسول الله ﷺ وأزواجه المُطهّرين وكثير من الصحابة المُتّبعين، يفعلون ذلك، فلا يبقون في بيوتهم شيئا لغد، وهم في هذا ممتدحون؟ قلنا إن التكليف غير التشريف. والله سبحانه لا يُكلّف نفساً إلا وسعها. والتكاليف القرآنية لا تأتي للندرة من الناس، بل للغالب الأعم، ويبقى السابقون السابقون محل تطلّع لغيرهم، لا تكليفا عاماً يورث مشقة مُعجزة عن الفعل.

إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾

وهذا التبذير والتقتير، لا لزوم لهما في الحقيقة القدرية، فالله سبحانه مالك الرزق ومعطيه، لا أحد سواه، فمن بذّر فقد ضيّع حقا كان من المفترض أن يذهب لصاحب الحاجة، ومن قتّر فقد حجب من ماله حقوقا عن أصحابها. وليس كلاهما بمن رزق المال الذي بذروه أو قتّروا به. كما أنّ فعلهم لن يكون سببا في إهلاك غيرهم، إلا من أراد الله، فهو القابض الباسط، للرزق وللحياة، وهو الخبير بحالهم خبرة بصير بهم لا عن خبر عنهم.

وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾

ثم، والشئ بالشئ يُذكر، يعرض الله واحدة من أبشع صور الكفر بالآية السالفة "إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ" وهو أن يخشى المرء أن يفقد مالاً، منّ به الله عليه المقام الأول، إن جاء مولود، يأكل من ماله! ألا ما أبشع هذه النفس الجبانة المحقّرة. إن هذا المولود هو في حدّ ذاته رزقٌ كريم، وحياة متجددة، ونعمة سابغة،

يرفضها، بل يقتلها، بإجهاض أو غيره، خشية الإملاق.

وقد جاء القرآن بلفظة "تقتلوا" تفظيعا للجرم، إذ هو، من وجه ما: قلت للمولود، بمنع فرصة الحياة عنه. لكن هل يعني هذا أنّ كلَّ إجهاض محرّم؟ والجواب لا. فصفة القتل الذميمة، جاءت في معرض القيد بخشية الإملاق. لكن إن وُجد سبب، كالخشية على حياة المرأة أو ما شابه ذلك من أوضاع اجتماعية تقيّم كلّ بنفسها، فإن الله قد يسّر أمر هذا الدين. لكن يبقى أصل الإجهاض مكروهاً، كالعزل. ويمكن أن يكون حراماً، كما لو دبّت فيه الروح، أو مباحا أو واجباً حسب المناط المُعتبر.

وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾

ثم يستكمل القرآن مسيرة النصح في توجيه مصدر المولود، وضرورة الحفاظ على نسبه، بتجنب فاحشة هي من الكبائر المعدودة في القرآن، وهي كبيرة الزنا.

والزنا هو وطئ إمرأة لا تحل للرجل، لا بزواج ولا بملك يمين. وهذه الفعلة هي من أكثر أسباب خراب المجتمعات وفسادها وفشو الفسق فيها. قد جعلها الله علة في هذا الخراب، وسبباً فيه.

فالزنا يعنى اختلاط الأنساب، ويعني الخيانة للزوج أو الزوجة أو وليّ الأمر، ويعني التلذذ بالحرام والتمتع به من غير بابه، وهو مهانة للمرأة، وكثير غير ذلك من الموبقات الاجتماعية.

ثم، من تسوّل له نفسه مثل تلك الفعلة الفحشاء، خاصة بين المحصنين من الرجال والنساء؟ رجل له زوجة تسكن بيته، وتحلّ له متى شاء، فإن أبت أو عجزت، فله ثلاث غيرها في الحلال. ما الذي يدفعه لمثل هذا العمل المقيت؟ وامرأة لها بعلٌ يؤويها ويعطيها حقها، فإن عجز أو أبى، فلها الطلاق أو الخلع. ومن ثم فجزاء المحصنين

والمحصنات هو القتل، لا أقل. فالإسلام يراعي المصلحة الاجتماعية فوق المصلحة الفردية، ويجعل القصاص على قدر المفسدة في ذاتها، وأثرها كذلك. لذلك قال تعالى "وَسَآءَ سَبِيلًا" من حيث أن من سار في سبيله ساء قَدَرُه وانحط قدْرُه

ولخطورة هذا الفعل، فقد نبّه الله على حتى الاقتراب منه، وفعل ما قد يؤدى اليه، سداً لذريعته، مثل الاختلاط، والقبلة، واللمسة، والحديث غير المبرر، والتبسط مع غير المحارم. وكم من هذه الذرائع أدى إلى الوقوع في الزنا نفسه، إلا من عصم الله.

وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾"الإسراء

وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

والنفس هنا عامة، في كلّ نفس، أيّا كان دينها، إلا بالحق. فالاستثناء هنا جاء ليرجه الفقيه بالتخصيص على ذلك العموم، في كافة أحواله. فالمسلم لا يُقتل، إلا في ثلاث حالات، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال، قال رسول الله ﷺ" عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"لا يحل دم امرئٍ مسلمٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاثٍ: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة" البخاري ومسلم.
والثيب هنا الرجل والمرأة. والنفس بالنفس أي القاتل عمداً، والتارك لدينه هو المرتد عن الإسلام، وتركه للجماعة ظاهر من ظواهر الردة، وليس شرطا فيها. والحكمة من هذا هو أن التارك للحق بعد معرفته يقيناً، وإظهاره لمعاداته ومخالفته، دالٌ على فسادٍ متمكنٍ من الفطرة، في أسوأ صورة من صور الفساد. ومن كان هذا حاله، فلا يؤمن له، ولا يستحق أن يُترك فيعين آخرين على نفس الفعل، ويكون موضعا لتسلل الشيطان في نفوس الناس. والحومات الوضعية تفرض عقوبة الإعدام على مرتكب الخيانة العظمى، فما بالك بخيانة الله ورسوله ﷺ! أمّا عن آية "لا إكراه في الدين" فهي صحيحة متحققة، لكن بشرط أن يكون "قد تبين الرشد من الغي". فإن ظهر المسلمون على محل ما، وأسقطوا حكم الطاغوت، الذي يمنع الناس من رؤية الحق، بإعلامه ومكره ليلا ونهاراً، ساعتها، من أراد أن يُسلم، فقد اهتدى، ومن أراد أن يبقى على النصرانية أو اليهودية، فلا يُكره على غير ذلك، إذ الإيمان مرتبط بعمل القلب والجوارح. فإن تخلف عمل القلب، فلا إيمان. وما الفائدة في الإكراه إذن؟ أمّا غير ذلك من غير أهل الكتاب، فالإسلام أو السيف.

وأما عن أهل الكتاب، فيُقتل المُحارب، لا المعاهد ولا الذميّ، فيحرم قتلهما، مع الاختلاف في عقوبة قاتلهما.

والعدل هنا، لمن قُتل مظلوماً، أي لم يكن من تلك الأصناف الثلاثة، فإن لأولياء الدم السلطان، أي الحق، في أن يلتزم الحاكم بقاعدة النفس بالنفس، بلا عدوان. فإن العدل يتحقق بقتل القاتل، بلا زيادة، فلا تمثيل ولا اعتداء على أهل أو أموال، فقد قال تعالى "ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"، فالمثلية هي ميزان القسط.

وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ

ثم يعود السياق مرة أخرى إلا حفظ أموال الناس وحقوقهم، فكما قرر حفظ حق ذوي الحق، فهو هنا يحذر من بيده التصرف في مال اليتيم، بل ومن الاقتراب منه، ليكون أكثر توخيا للحذر، إلا ما كان مما يلزم لإقامة الأود والقيام على مصلحة اليتيم، بلا عدوان ولا تجاوز. وتنتهي الوصاية ببلوغ اليتيم رشده، وأن تظهر منه القدرة على التصرف بوعي ورَشَد.

وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾

وهذه الآية تستحق التأمل من كل مسلمٍ، ليقف على ما فيها من ذخائر وحكم سامية.

فقوله تعالى " وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ " فيه من كلّ مكارم الأخلاق وحسن السلوك، ما يجعل صاحبه كريما في الدنيا، عزيزا موصولا في الآخرة. أن يفي الإنسان بعهده، هو أن يفي بالتزاماته نحو أهل بيته، ونحو جيرانه، ونحو دينه والمسلمين أجمعين. أن يفي بعده هو أن يحفظ ميعاده، ويسد دَيْنه، ويحترم كلمته، ويكون عهده هو ما نطق به، لا ما أخذ عليه كتابة، فالكتابة لحفظ الحقوق في الدنيا، لكن "الوفاء" بالعهد هو كلمة الرجل يكون عندها مهما كان.

ثم انظر إلى كلمة "أوفوا" فالوفاء خصلة من خصال الكرام أصحاب الضمائر الحية، لا أصحاب الخيانة والغدر. فمن لم يوف بعهده، فقد خان وغدر. وقد قال تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ " المائدة ١. والعهود أعم من العقود. فالعهد في كل التزام يلتزم به المسلم، والعقد هو في التزامه في المسائل المالية أساساً. وقد يُفسر العقد بأنه عهد، لكن لا على سبيل المطابقة، بل التوسع البلاغي، كما ذكر ابن القيم في زاد المعاد، أن أعلى العقود هو العقد بين المسلم وبين الله سبحانه أن يلتزم التوحيد وينصر الدين.

والتزام العهد والوعد ليس أمراً متروكا لمشيئة العبد، بل هو مسؤول عنه، إما في الدنيا إن ترتب عليه حقوق، وفي الآخرة إن كان إخلال بشرف أو مروءة. والحظ أن الله قد جعل العهد هو المسؤول، مع أنّ صاحب العهد هو من سيسأل عنه، وهو من قبيل المحسنات البديعية والتصرف في الكلام، أي أن المُخلّ بالعهد سيسأل عنه.

وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾

الوفاء بالكيل والوزن بالقسطاس .. أمران قد يراهما المتسرع أمراً واحدا، لكنها الدقة التعبيرية المرهفة إلى أقصى الحدود. فقد يوفي المرء بالكيل، بأن يكيل خمس صاعات، لكن ما الفائدة إن كان الكيل ذاته ليس منضبطاً بالمقياس الصحيح، فيعود الأمر إلى عدم الوفاء!

والكيل والوزن لا يجريان في مسائل البيع والشراء لا غير، بل هما، مرة أخرى من الاستعارة البديعية، التي تشمل كل حكم بحق لأحدٍ على الآخر أولاً، ثم باستعمال الحكم الشرعيّ الصحيح في إصدار ذلك الحكم. فالقسطاس المستقيم ليس إلا فيما حكم به الشرع، في كلّ باب من الأبواب. في الميراث والإجارة ومنع الربا والتحايل عليه كالعينة، والغرر والجهالة، وتسليط قوانين البشر على رقاب العباد، ليسيروا رغم أنوفهم على غير القسطاس المستقيم .. ذلك من خسران الميزان "وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ" الرحمن ٩.

فاستخدام الشارع هنا لتعبيريّ الوزن والكيل، وإن جاء خاصاً بألفاظ البيع، إلا إنه عامٌ في كلّ وزن وقسط، على مستوى الشريعة ككلّ. وقد يختلف هنا الأصوليون في مسألة مَنْ مِنَ المعنيين هو الاستعمال الأصليّ ومن منهما الاستعمال الثانويّ. وهنا تطول المناقشة وتخرج عن إطار ما أردنا.

وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾

وهو توجيه عام رائع يحمى النفس والجماعة والأمة من متسلقى الرأي ورويبضات الزمن. فحماية النفس بأن يكون كلام المرء على علم حين يعلم أنّ حديثه محسوب عليه، سمعا وبصرا وفؤاداً، فلا يتحدث بما رأى ولا ما سمع، ولا ما خطر على فؤاده مما يتعلق بالغير حتى يتيقن صحة ما يقول. وتعبير "مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ" يعني التقصي كما يعني الإخبار. فالاقتفاء، أو القفو في العربية هو تتبع الأثر. وما من اقتفاء لأثر إلا لغرض، وحسب صحة الغرض، ودقة الاقتفاء والاحاطة بالعلم، تكون المحاسبة على ما سمع وبصر واستشعر.

وكثير من الناس يقع في هذا الأمر، من حيث يسميه استشراف للأحداث، دون أن يتناولها من كل جانب، سمعا وبصرا وفكرا. فتجده يخلط ويتأول ويقلب المفاهيم رأسا على عقب .. ذلك هو المسؤول عن اقتفاء ما ليس له به علم، خاصة حين يكون الأمر تابعا لغيب منتظر، هو مما لا يمكن لبشر العلم به.

وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾

ثم يعود المشهد لخلق أخر، له صلة بالمتحدث بغير علم يقين، وهو الكبر والخيلاء. ويشهد الله ما رأيت أحدا في نصف القرن الذي قضيته عاملا في الحركة الإسلامية، ممن يقفُ ما ليس له به علم، إلا اقترن بكبرٍ وخيلاء زائف. فهما متلازمان لا يفترقان.

والمشي في الأرض مرحا، تعبير عن الخيلاء والفرح بالنفس، وبما حازت من قبول أوعمل مشكور، ناسية أو متناسية أنه لولا عون الله تعالى، وتهيئة الأسباب من الناس، لكان هؤلاء نسياً منسياً. واسمع لقول الله تعالى لقارون صاحب الغنى

الفاحش "لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧" القصص. خُلق الأغنياء المترفين، الذين يفسدون في الأرض ولا يُصلحون. وعدم الفرح هنا، ليس مقابل الحزن، بل مقابل التواضع لله وللناس. وقد أتبع الله نصحه لقارون ومن مثله، بالنهج القويم، وهو الموازنة المتعادلة، بين الدنيا وحلالها من مُتع، وبين الآخرة والسعي لها مع الإيمان.

وقد عبّر الله سبحانه بقوله "ولا تنس" دلالة على أن أمر الدنيا أصغر في القلب والاعتبار، حتى احتاج أن يُذكّر به الله العبد الصالح.

والمُعجب بنفسه، الفرح بما أوتي لا يرى صغر ما بين يديه إلى جانب خلق الله،ؤلا في الكون السحيق، بل على الأرض التي يعتقد أنه سيدها! فإنه، لن يخرق تلك الأرض، بما أوتي من قوة .. إلا ثقوب ينظر منها، لا تسمى خرقا، ولن تكون. كما أنه لن يبلغ الجبال طولا يتيه به على الخلق من حوله. فهو خلق من الخلق يمرض كما يمرضون، ويضعف كما يضعفون، ويشيب كما يشيبون، ثم يموت كما يموتون، بلا أدنى فرق! فيم التيه والفرح والعجب والخيلاء إذن؟ ما أساسها ودعائمها؟ إلا وهم العقول ووساوس الشياطين.

كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

والظاهر هنا هو أن "سَيِّئُهُۥ" بمعنى سيئاته، فكل ما نهى عنه في تلك الباقة الفريدة من التوجيهات الخلقية هو من السيئات التي يكرهها الله سبحانه، وهي في مقام التحريم. وقيل إن الوصف هنا يقع على النهيين الأخيرين، وهما عدم القفو بغير علم وعدم المشي

في الارض مرحا واختيالا. لكننا نرى أن كلّ نهي تقدم يدخل في ذلك الوصف، فالعموم اولى.

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ

وقد سمى الله سبحانه تلك الآيات والتوجيهات بالحكمة، ووالله هي حكمة صرفة لا تأتي إلا من لدن خبير عليم حكيم، يعلم من خلق، ويعلم ما يصلح له ويُصلحه. وهذه الحكم الثمينة هي فضل من الله، أتى به الوحي المنزّل على محمد ﷺ ليتّبعه، ويُعلم به أمته والبشرية كلها بما فيها من الخير العميم.

وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ "الإسراء

ثم يعود الوحي القرآنيّ ليؤكد على الحقيقة العظمى التي تصدر عنها تلك الأوامر والنواهي، والتي بدأ بها تلك التوجيهات النورانية، وهي التوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له، فعاقبة غير ذلك أن يكون "مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا"، ثم " مَلُومًا مَّدۡحُورًا"، واللوم هنا يأتي من نفس المشرك، يلوم نفسه "يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا" الفرقان ٢٧. والدحر هو الهزيمة المنكرة، فقد انهزم المشرك في أعظم معركة، على سهولة النصر فيها، بالاعتصام بالله ورسوله ﷺ.

فما أعظمها من حِكم بدأت بالدعوة إلى التوحيد، وانتهت بالتأكيد على التوحيد.

(٢) باقة سورة الحجرات

في هذا المشهد القرآني التعليمي، في الباقة الجديدة من التوجيهات الأخلاقية، يطالعنا مشهد حيّ من عصر النبوة، ورد في سورة الحجرات، وهومشهد يبيّن ناحية أصيلة من نواحي التوحيد، ويربطها بخُلُق من صقلتهم التربية القرآنية السديدة، ويبينها في أرقي صورة لها، التعامل مع سيد الخلق، رسول الله ﷺ. ثم يعرّج القرآن على خطورة الاستماع إلى الاشاعات. ثم يتحدث عن الصلح بين المؤمنين، وتقييم العلاقة الوطيدة بينهم بحسن الحديث وطيبه، وافتراض الأفضل في المؤمنين.

باقة شاملة كاملة تهدى للتي هي أقوم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي

تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾

فلنبدأ بإذن الله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)

وأمر التقديم بين يديّ الله ورسوله ﷺ أمر عظيم، يصل إلى حدّ فاصلٍ بين الإسلام والكفر. فإن سبب نزول الآية كما ورد في الطبري "حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: إن أُناسا كانوا يقولون: لو أنـزل في كذا، لو أنـزل في كذا، وقال الحسن: هم قوم نحروا قبل أن يصلي النبيّ ﷺ، فأمرهم النبيّ ﷺ أن يعيدوا الذبح." تفسير الطبري. وجاء في مثل هذا المعني أقوال تتفق في مضمونها، أنهم مأمورون " لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة" كما ورد عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه.

فالتقديم بين يديّ الله ورسوله ﷺ إنما يعنى ألا يتبع المسلم هواه، ويسبق بقول أو رأي حتى يعلم قول الشرع فيه، من كتّاب أو سنة صحيحة.

وكثيرة هي صور التقديم بين يديّ الله ورسوله ﷺ.

فصاحب التأويل الذي يُقدم العقل على النقل، ويدّعى أن الإسلام يوافق العقل، وهو ما جاء به عقله هو، يُقدّم بين يديّ الله وؤسوله ﷺ.

وصاحب التفسير الباطني الصوفي الشركي الذي يدّعي أن للقرآن ظاهرٌ وباطن، وأن رسول الله ﷺ قد أتى للعامة بالظاهر، وترك للخاصة الباطن، أو إنه يمكن أن يتخذ الناس وسطاء لله ممن زعمهم أولياء له، أو أن يتوجه لهم بالدعاء مباشرة، هو يقدّم بين يديّ الله ورسوله ﷺ.

وصاحب البدعة الشركية الرافضية الذي يدّعي بدعة الإئمة السبعة أو الإثني عشرة إماماً، والمختفي آخرهم، وأنهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، بل ولا يموتون إلا برضاهم، ثم ذهب يسب من أثنى الله عليهم بالرضا عنهم وصحة مبايعتهم لرسوله ﷺ، أقذع السباب وأفحشه، يقدّم بين يديّ الله ورسوله ﷺ.

وعالم السلطان أو عالم الشيطان، الذي يتلاعب بآيات الله فيفسرها حسب ما يلزم لتحسين صورة ولي أمره، أو تبرير جرائمه وفواحشه، يّقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ.

والمشرّع أو القاضي الذي يشرع أو يقضي بغير ما أنزل الله، ويتخذ من قوانين البشر مذهبا متبعا مفروضا في قومه، يُقدّم بين يديّ الله ورسوله ﷺ.

وهي كلها صور كفرية من صور التقديم بين يدي الله ورسوله ﷺ.

ثم من فعل المعصية، وترك السنة، فهو يقدّم بين يديّ الله ورسوله ﷺ بطبيعة الحال، إذ قدّم شهوته أو شبهته على ما أمره به الله ورسوله ﷺ. لكن هذا اللون لا يُخرج من الملة، بل صاحبه فاسق شهوة أو مبتدع شبهة.

فليكن المسلم على حذرٍ مما يقول أو يفعل، وأن يعرضه على الشرع قبل أن يقول أو يفعل، حتى لا يقع تحت طائل تلك الآيات شديدة الوقع على الخارجين عن الشرع. بل على المسلم أن يتقى الله ويخاف من ترهيبه، إذ إن الله يسمع ما يقول "سميع"، عالم بما يفعل "عليم"، لا تخفى عليه ذرة في السماء ولا في الأرض، سبحانه.

ثم ينتقل القرآن إلى مقام رسول الله ﷺ وحده، بعد النهي عن التقديم يدي الله ورسوله ﷺ. فقد نهى ربنا عن رفع أصوات الناس من حول رسول الله ﷺ على صوته الكريم أو أن يحدثونه بصوت عال، كأنهم يتحدث بعضهم إلى بعض، وفي هذا غاية الاحترام ورفعة المقام، التي تليق بهيبة سيد المرسلين وإمام المبعوثين ورحمة العالمين ﷺ. وهذا العمل، وإن بدا صغيرا، إلا أنه يحبط العمل كله. يفعل المسلم الخير الكثير، ثم يسئ الأدب مع رسول الله ﷺ فإذا بعمله يحبط وثوابه يذهب، وهو لا يشعر!

وفي هذا التحذير الأخير ما فيه من معان كثيرة كبيرة، منها عدم استصغار الذنب وإن بدا لك صغيراً، ومنها أن قدر رسول الله ﷺ ليس كقدر أحد من البشر، أيّا كان، لا الحسين رضي الله عنه ولا غيره كما تدّعي الروافض الفجرة،

ومنها أن العمل قد يحبط دون أن يشعر المسلم بذلك، فيظل يعتقد أنه على عهده القديم وطريقه القويم، والمسكين لا يشعر أنه فقد رصيده عند الله بالفعل "الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)" الكهف.

ومنها أنه إن كان مجرد رفع الصوت فوق صوته ﷺ يُحبط العمل، فما بالك بفعل التقديم بين يديه، وتقديم النفس عليه ﷺ.

إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)

وخفض الصوت عند رسول الله ﷺ دلالة على القدر الأعلى الذي يجب أن يُعامل به ﷺ في حياته وبعد مماته. وخفض الصوت، أقل درجة من رفع العين والرأي عما قال وقرر. وخفض الصوت معه ﷺ هو امتحان لما في قلب المؤمن من محبة وإعزاز وإكرام وتقدير له ﷺ، والاستماع إلى قوله وعدم تقديم الرأي والهوى عما ثبت عنه ﷺ هو امتحان أكبر، من الله تعالى، بل هو الامتحان الأعظم، الذي يُفرّق، في أعلى درجاته، بين الإسلام والكفر، حين يكون تقديم الرأي رداً لما قال.

وهؤلاء الناجحون المفلحون في ذاك الامتحان، هم أصحاب التقوى. وأصحاب التقوى هم من يستحق مغفرة الله سبحانه وفضله، ويُكتب لهم الأجر العظيم والثواب الجزيل، جنات تجرى من تحتها الأنهار، خالدين فيها، فضل من ربهم ونعمة.

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

وقد كان سبب نزول هذه الآية، كما في الطبري، هو أن جماعة من الأعراب ممن لم يُهذّبهم الدين بعد، أتوا إلى بيت رسول الله ﷺ فنادوه من خارج بيته بصوت عال "يا محمد اخرج علينا". فآذى ذلك رسول الله ﷺ فنزلت الآية، لا بمجرد توبيخ لهم، بل وصفهم بما يستحقون، من إنهم لا يعقلون.

وهؤلاء بالفعل، لا عقل لهم، بمعنى الفطرة السليمة التي تأبى أن تُخرج المرء عن التصرف السديد، لأول وهلة. فلا حاجة هنا لتشريع، بل هي الفطرة والادراك العقلي البسيط، الذي وصف الله من فعل تلك الفعلة بفقدانه.

وفي هذا لطيفة أخرى، وهي جواز تسمية من يأتي بأقوال أو أفعال تخالف السنة أو الفطرة، بأنهم لا يعقلون، أو مخابيل أو غير ذلك، فإن الله سبحانه قد وصف بعض القوم بهذا، دون سبق تنبيه لهم، لأن الفعل في ذاته يحمل دلالة على صفة

فاعله. ولكنك تجد أصحاب الورع البارد ينعون عليك أن تتحدث بمثل هذا القول، على من يحرّف في سنة، أو، وهو الأدهى، يفتى من غير علم على الإطلاق.

واللطيفة الأخرى تأني في تكملة الآية، وهي أن مصلحتهم كانت في اتباع الفطرة السوية والخُلُق الكريم، فلو صبروا حتى يخرج اليهم رسول الله ﷺ لكان في ذلك خير لهم وأصلح. وبالمثل، لو اتبع الناس سنته ﷺ لتحققت مصالحهم ونالوا خيريّ الدنيا والآخرة. لكن الانتكاس في الفطر، والتفلت من السنن، لا تأت بخير أبدا.

واللطيفة الثالثة، هي أن الله سبحانه، يعلم أنّ هؤلاء الأعراب جهلة لا يعقلون، وإن كانوا مسلمين. فكان لهم العذر، فشملهم بالرحمة والعفو لجهلهم بعد التوبيخ.

فهذه اللطائف فقه حسنٌ في آيات الله، يجب على المسلم تدبرها واستنشاق روائح عطرها في روحه وعمله.

وينتقل القرآن لوجهة أخرى تمس الخلق الإسلاميّ الفرديّ والجماعيّ أدق المِساس وأقربه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا

عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (٢١)﴾

فمعاً إلى عبق الآيات ..

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)

ونزول الآية كان بخصوص صدقات بني المصطلق، وكان رسول الله ﷺ قد بعث فيهم وفداً فيه الوليد بن عقبة ابن أبي معيط، فلما كان الوفد في منتصف الطريق، خرج القوم ليلاقوا وفد رسول الله ﷺ مرحبين. لكن الوليد ظن بهم سوءاً، فرجع إلى رسول الله ﷺ زاعماً ردّتهم، وأنهم إنما خرجوا لقتلهم. وحين أعلم الله سبحانه رسول الله ﷺ بالحق، نزلت تلك الآيات التي تحذّر المؤمنين من السماع لكل من أشاع قولاً، دون التثبت من صدق الراوي وعدله.

وقد سنّ ربنا عز وجلّ في هذه الآية أحسن الطريق للتعامل مع ما يأتي به فاسق، أو مجهول، خاصة إن كان فيه ما يجلب الأذى على الغير. فالتبيّن هنا ضرورة شرعية، من حيث أن العمل بمجرد السماع، فيه ظلمٌ بيّن لمن أصابه ضرر بسبب ذلك التسرع بنشر الأقوال غير الثابتة.

وفي زمننا هذا، كم نرى من أقوال خبيثة تنتشر كالنار في الهشيم، يصيب بها شياطين الإنس أقواماً، سواء بالتجني عليهم، أو بتأويل حديثهم ووضعه في غير موضعه، والنتيجة واحدة، إصابة المشاع عنه بالضرر، والندم بغير طائل ممن فعل تلك الفعلة.

والحظ يا رعاك الله أن الله سبحانه هنا لا يخاطب الفاسق، مثير الشغب والكذب، في قوله تعالى "فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"، فهذا الفاسق غالبا ما تكون العادة تأصلت فيه، لا فرار له من رجزها. لكن الحديث موجّهٌ إلى المُستمِع للفاسق، وهو المؤمن المخلص، غير المتحرى لما يسمع، وهو النادم على ذلك الاستماع والإضرار.

وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)

وهذا العلم، باق فينا إلى يوم القيامة. وإن كان أصلاً قد توجه للصحابة الأفاضل لأنّ فيهم رسول الله ﷺ، لكنه فينا ﷺ بسنته وسيرته وتصرفاته، قولا وفعلا وتقريراً.

ولو أن رسول الله ﷺ في حال حياته، استمع لما يقوله بعض من حوله برأيه لنتج من ذلك حروب ودماء واقتتال، لكن رسول ﷺ لم يفعل ذلك، فصرف عنكم العنت وهو الشدة، وأبدلكم بمحبة الإيمان، وجعله نوراً في قلوبكم يهديكم سواء السبيل باتباع رسول الله الحبيب ﷺ، وفي المقابل، جعل الكفر والفسوق والعصيان مكروها لكم يا معشر المؤمنين. وهي كلها ألوان من الكفر والبهتان والظلم والفسق والفجور ومعصية الله ورسوله ﷺ، بأي صورة كانت. فمن كان على هذه الصفة، فإن الله سبحانه قد وصفهم بالراشدين، أي الذين بلغوا الرشد البشري على أتم وجه .. أولئك هم جيل الصحابة الفريد، ثم من تبعهم في طريقهم، وسار على هديهم، ممن جاء بعدهم.

وهذا الذي حباكم به الله، ليس من عملكم، بل هو محض فضل الله ورحمته بكم وإنعامه عليكم بما عَرَف منكم من حسن سريرة وبلوغ رَشَدْ. ذلك أن الله يعلم ما في قلوبكم من محبة للإيمان، وما اختياره لكم للفضل والنعمة إلا لحكمة منه لا يعلمها إلا هو، فهو العليم الحكيم.

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٠١)

ثم يبدل الله المشهد الخلقي من التعامل مع افتراء فاسق، إلى التعامل مع الفتنة بين طائفتين من المسلمين.

والمسلمون بشرٌ، مهما كانوا، ومهما أدركوا من آفاق سامية، فأسباب الاقتتال بين البشر كثيرة متعددة. وللشيطان حيل وطرق لا تُحصى، يستخدمها لجلب العداوة بين الإخوة في الإيمان، وإن كان كلّ منها يرى أنه على الحق، وأن قوله الصواب.

لكن فلنقف لحظات عند هذا الاقتتال، قبل أن نصل إلى ما أراده الله من إصلاح ذات بينهما. فهذا الأمر شائك معقد، على ما يبدو من بساطة وعفوية.

الصلح خير، نعم، هو قول الله تعالى في سورة النساء. والصلح يجرى على يد حَكَمٍ عادل مستقل عن طرفيّ النزاع، فإنه لا يصلح خصمٌ وحكماً، يدرس سبب القتال، ثم يبين لكل فريق وجهة النظر الأخرى، وعلى المتقاتلين أن يخضعوا لهذا التحاكم، وينزلوا على رأي الحَكَم، وبهذا التسليم وحده يتوقف سفك الدماء المحرّمة.

وهذا التسليم، يقتضي أن يكون كلّ فريق لديه القابلية لقبول الحق، والفهم عن الله ورسوله ﷺ، وعدم التكبر، أو اختلاق الأعذار، أو العناد وجحد الحقوق. فإن

تيسر هذا، وجدت المختلف قد ائتلف، والمخالف صار موافقا، وانقلبوا بنعمة الله إخوانا.

لكن ما يشوّش على هذا، هو أن يتلاعب الشيطان بعقول مسؤولي طائفة من الطائفتين، فيرفضوا حكم الحَكَم، إما لهوى متبع من مصلحة شخصية، أو تسلط وحب الاستيلاء على مقدرات الغير، أو ما شئت من أسباب. والمفترض أن الحكم قد بيّن من هو على حق ومن هو مخالف له، أو بيّن سبب الخلاف لتعدد الآراء وتشابكها. لكنه، في نهاية الأمر، قدّم ما ينبغي أن يكون.

فإن رفضت طائفة ما بيّن الحَكَم، للأسباب التي ذكرنا، ولم يتوقفوا عن قتال الطائفة الأخرى، فعلى كافة المؤمنين أن يقاتلوا تلك الفئة الباغية، التي رفضت النزول على حكم الحَكَم، الذي هو حُكم مقتبس من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

لكنّ البغي هنا يجب أن يكون معرّفا تعريفاً صحيحاً، بلا جهل ولا هوى. وهذا يقع على عاتق الجماعة المسلمة في كليتها، لا جزئيتيها المتقاتلين. فيكون الحَكَمُ من غيرهما، بلا خلاف.

وكم من فئة بغت وتغلبت، وهي على باطل، وذلك لانعدام القوة المسلمة الرادعة، النائبة عن الأمة، والتي خاطبها الله سبحانه "كطرف ثالث" في الآيات "فأصلحوا بينهما"، و "قاتلوا التي تبغي".

هناك إذن طرف ثالث، يُحدد كيفية الصلح وشروطه، يُصلح ما أمكن وإلا

حارب الطرف الثالث، مع الطائفة المبغى عليها، الطائفة الثالثة الباغية.

هذا سبب ما نرى من تفرق وتشرذم واقتتال ورفض للتحاكم والنزول على حكم الطرف الثالث، لغيابه، ولقلة إيمان الطوائف المتقاتلة، لعدم الخضوع لحَكَمٍ من الجماعة الأم، وإن لم يكن له، أو للجماعة الأم القوة على حمل الحق ومحاربة البغاة.

ذلك هو بيت الداء.

وقد أمر الله سبحانه ذلك الطرف الكليّ الثالث، أن يحارب الباغي، حتى يرجع للقبول بالحق الذي تقرر في التحكيم، أو يُباد إبادة كاملة. فإن وجود مثل تلك الطائفة، خراب للأمة عامة، إن لم تفئ إلى أمر الله سبحانه.

والشاهد هنا، أن الطائفة الباغية تلك، والتي قاتلت الأخرى، بل وقاتلت الطرف الكليّ الممثل للأمة، ليست كافرة، كما يقرر الخوارج لعنة الله عليهم. بل هم كما وصفهم الله سبحانه، بغاة لا أكثر، إلا أن يُصاحب قتالهم بدعة مكفرة، كتكفير المسلمين بغير مكفر، أو ولاءهم في قتالهم هذا لراية كافرة، يحاربون ضد المسلمين، أو غير ذلك مما يصحب القتال من عقائد وتوجهات، تسبغ عليه صفة البغي، فيقع تحت مضمون هذه الآيات البينات، أو ينتقل به إلا مضمون ما ورد في سورة التوبة أو سورة محمد وغيرهما.

والدليل على إسلام تلك الطائفة الباغية، الموصوفة في هذه الآيات بالذات، هو قول الله تعالى "من المؤمنين"، ثم قوله في الآية التالية " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا

بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ"، فوصفهم بالإسلام حال قتالهما معا، وهو وصف لم يأت ما يغيّره في حالة قتال الطرف الثالث النائب عن الأمة للطائفة الباغية. فإن استقر القتال وخضع البغاة، فتذكروا أنهم من إخوانكم المؤمنين، وعاملوهم بالقسط معاملة الأخوة، لا معاملة الأعداء.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)

ثم ينتقل القرآن إلى جانب آخر من جوانب الفساد الخُلُقي، يحذر المؤمنين، فيما بينهم، منه أشد التحذير، سواء على المستوى الفردي أو الجماعيّ، أو بين الرجال أو بين النساء، ذلك هو السخرية المقيتة، المبنية على التكبر الزائف، والخيلاء المزعومة والكذب وسوء الطوية وخبث النفس وانحطاط الأصل والشعور بالضعف. وهي صفات أسوأ ما يمكن أن يتصف بها خلْقٌ يدعي البشرية.

ذلك أن معيار القياس الخلقيّ والقيمة الوجودية للإنسان، لا يمكن أن يعتبرها من فيه هذه النقائص. فترى القوم يسخرون من قوم على أساس من العنصرية أو اللون أو الجنس أو المال، كما يفعل البيض بالسود، أو أعراب الخليج بالعمال الوافدين. ولعل هؤلاء الساخرون، أحط درجات من الآخرين، وغالبا ما همْ.

وعسى هنا ليست للتشكيك، بل للتأكيد كما في قوله تعالى في سورة الأعراف "قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)" ، فإن الساحر لا يكون على حق إلا في حالات معينة سنتحدث عنها فيما يأتي.

و"القوم" هنا قد يُقصد بهم الرجال كذلك، من حيث مقابلتهم بالنساء، وتحذيرهن من أن يسخرن من أخواتهن، وهو أمر أوسع انتشاراً بين النساء، لسبب ما!

وكما منع الله السخرية من الآخرين، منع الهمز واللمز، وهو ذكر العيب بطريق مُبطّن، وكأنه غير مقصود، وهو أسوأ وأخبث طريقة من السخرية الظاهرة. ومثل ذلك الرمي بالألقاب المشينة التي عرفت بالسوء والفاحشة، وهي ما وُضعت أصلاً للإهانة والتقليل من الشأن. ومثل تلك الأفعال تنقل الفاعل من رتبة المؤمن إلى رتبة الفاسق، وما أتعس وأبأس من هذا منقلبه.

كل هذا التحذير والوعيد، إنما هو، كما أشرنا، بين المؤمنين. إنما هذا لا ينطبق في حالة تسمية الفاسق بالفاسق، والفاجر بالفاجر، والعاهر بالعاهر والمبتدع بالمبتدع. ليس هذا من ذاك. هذا خلطٌ للأوراق! هذاك اتهام بما لم يثبت، أما ما ثبت فهو إهانة العاصين الفاسقين الفاجرين العاهرين المبتدعين. وهو كذلك تعريف بهم وتنفيرٌ من أفعالهم، وتحذير من اتّباعهم. ومن خَلَط الأوراق وتورع ورعاً بارداً في هذا الأمر، فقد ضلّ وأضلّ. ثم إن باب التوبة مفتوح لمن يفعل ذلك، كما هو مفتوح لكل عاصٍ رجّاع إلى الله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (٢١)

ثم ينقلنا القرآن لشحنة أخلاقية جديدة، ترتفع بالنفس إلى القيم العليا والتصرفات الفُضلى، التي تضمن صحة المجتمعات، وحماية الأفراد.

وأول تلك الصفات في هذه الباقة، هي اجتناب الظن. والظن يأتي في القرآن بمعنيين، أولهما عدم اليقين، كما هو في هذه الآية، وكما في قوله تعالى في سورة الجاثية "إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٢٣)". والثاني، الظن بمعنى اليقين، كما في قوله تعالى في سورة الكهف "وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا (٣٥)". فالظن إذن ظنُ حقٍ، وظن باطلٍ.

وظن الباطل هو الظن المذموم، من حيث لا دليل عليه إلا الشبهات أو الشهوات.

ونلاحظ لطيفة هنا، وهي أن الله لم يجعل كلّ الظنّ إثماً. ذلك لأنه، عند غالب الناس، يكون لهذا الظن، بعض أساس قد يَظهر صِدقه، لكن الله منع كثير الظنّ، من حيث أن الباقي المُتحقق مُبْهَمٌ غير معروف، والحكم الظاهر في الشريعة للغالب الأعم.

ثم نهى سبحانه عن نقيصة ذميمة وهي التجسس على الغير، لأي سبب كان، خاصة وهذا يقع كثيراً في البيوتات، حيث يظن أحد الزوجين بالآخر شراً،

فيتجسس، وتكون العاقبة وخيمة. أو التجسس بين شركاء العمل أو الأصدقاء، فهذا كله مما يُشين ويُهين، مهما ادعى الجاسوس. بل إن السنة منعت من التجسس على الناس داخل بيوتهم، ولو عُلِم أن هناك إثم يُرتكب، طالماً لم يكن ظاهراً مستعلنا، وكانت الأبواب مُغلّقة! لهذا الحدّ يحترم الإسلام حرية الفرد ويصونها، في حدودها.

أما عن التجسس على الجماعة، لصالح عدوٍ، فهذا أمره يعود إلى الولاء والبراء، وخصوص التوحيد، والثابت عليه التجسس حدّه القتل، واختلفوا في الردة، حسب حال الجاسوس.

ونقيصة أخرى، لا تقل، بل قد تفوق سوابقها، وهي الغيبة، أي ذكر الإنسان بما يكره، سواء كان فيه ما ذُكر أم لم يكن. وهي معدودة عند كافة العلماء من الكبائر بذاتها، وفي حديث مسلمٍ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته"، فالمرء ساعتها بين غيبة وبهتان!

وقد مثّل رسول الله ﷺ للغيبة بأبشع مثال، وهو أن يأكل المرء من لحم أخيه الميت، لا الحي. وفي هذا غاية التغليظ في الفعلة المنكرة، فأكل لحم حيٍّ قد يستسيغه مستسيغ، مع بشاعته، لكن أكل لحم البشر الميت، فليس هناك نفس أحطّ ولا أسفل من تلك النفس التي ترضاه. وهذا ما تكرهه كل نفس عفيفة، بل تمقته مقتاً

ثم يُنهي الله سبحانه هذه الباقة الكريمة من سورة الحجرات بالنصيحة الأعظم لكافة المسلمين، أن اتقوا الله. اتقوا الله لأنه مُطّلع على ما في صدوركم وما تتحدث به ألسنتكم سراً وعلانية. اتقوا الله لأنه لا تعذُب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض. اتقوا الله لأن عدله صارم وحسابه قائم وعذابه دائم.

فالتقوى هي جماع أمر الخُلق الحسن. هي ما يمنع المسلم من فعل الأعمال القبيحة ويدفعه لفعل الأعمال الحميدة.

د طارق عبد الحليم

١٨ يناير ٢٠١٩ - ١٢ جماد أول ١٤٤٠





الأمثال في القرآن الكريم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

من أهم الموضوعات التي يمكن أن يتعرض لها باحث في مجال تفسير القرآن، والعقيدة على السواء، هو الاستعمال القرآني للمثل، وجمعه الأمثال.

والمثل، والمثال، أسلوب بلاغيّ يخدم بيان فكرة ما، ونقلها من كلمة مجردة إلى صورة مجسدة، فتتضح للعيان، كما تتضح في الأذهان.

ولهذا البحث أصوله الممتدة في علوم اللغة وفي البيان والبلاغة. وهي لا شك واسعة الجوانب، ممتدة الأطراف، تشمل المعنى اللغويّ لكلمة "مَثَلْ"، وهي من المماثلة، التي فرّق بعض اللغويين بينها وبين التسوية، وإن اجتمعا في بعض الجوانب[١] . كما تتصل بمباحث التشبيه والاستعارة[٢] ، وأدواته وفنّه، وهو موضوع واسع في ذاته، وعلى رأسه التشبيه بحرف "الكاف"، كما سنرى في غالب الاستعمال القرآنيّ.

ولكن القصد من مقالي هذا، هو إلقاء بعض الضوء على الاستعمال القرآنيّ المتكرر للمثال والأمثال، من حيث إنها قد تشتبه على بعض طالبي العلم في موضوع الصفات بالذات، وكذلك في موضوع آيات الله في الجنة والنار.

وسأتجنب هنا كثيراً من الجوانب اللغوية في هذا السياق، وسأقدّم نظرة جديدة في موضوع المثال، وإن لم تكن بدعاً من القول، إذ هي مجرد نظرة فاحصة في قالب يختلف قليلاً عما قدّمه الباحثون في هذا المجال، وما أعظم وأجلّ ما قدّموا. وسأستعين ببعض أقوال أصحاب اللغة والتفسير فيما أقدّم إن شاء الله. والقصد، كما ذكرت، هو تقديم أسلوب بسيط مباشر لفهم هذا اللون من التعبير القرآني الفريد.

[١] راجع لسان العرب، حرف الميم، ج٦ ص١٤، طبعة دار صادر.

[٢] راجع أسرار البلاغة للجرجاني ص ٦٢ وبعدها، تحقيق محمود شاكر، ففيه مباحث رائعة بهذا الشأن.

(٢)

لا يكون الناظر في القرآن مبالغا إن قرر أنّ استعمال المثل والأمثال شائع عام متواصلٌ في كتاب الله "وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ" الروم ٥٨. وهو أمر بدهيّ بطبعه، إذ إن الرسالة أصلاً هي تذكير بما مضى للأمم السابقة وتحذير من مثل عاقبتها، وعبرة للأجيال القادمة من قصص من سلف وغبر. وهذا، في حقيقته غرض ضرب الأمثال، ليعقلها العاقلون وينتفع بها العالمون.

ويمكن كذلك للناظر في القرآن أن يرى أن استعمال "المثل" قد ورد في ثلاثة سياقات مختلفة في الآيات القرآنية، وهي محور حديثنا في هذا المبحث.

١. المثل، بمعنى ما يقرّب الصورة، كالاستعارة، والتشبيه، لوجود المشترك بين الأصل المُمَثل به، وبين الصورة المِثلية، وهو كثير في القرآن:

"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾" إبراهيم

فالكلمة الطيبة هي الأصل، والمثل المقيس عليها، أو المشبّه بها إن شئت، هو الشجرة الطيبة، من حيث إنهما يشتركان في الإتيان بالأُكل في كلّ حين بإذن الله.

"مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾" العنكبوت

فالمشترك بين من يتخذون ولياً من دون الله، مع من يعتقد في بيت العنكبوت مأمناً يحميه، هو موقع المثال.

"مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ " البقرة ٢٦١

ففعل الإنفاق مثل مثل زرع الحبة التي تنبت سبع سنابل إلى سبعمائة سنبلة.

"فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْتَتْرُكْهُ يَلْهَثْ " الأعراف ١٧٦

فالمثل هنا هو الاشتراك مع الكلب في اللهث في كلتا الحالين، إن حملت عليه أو إن لم تحمل، كما قال ابن عباس "الكلب منقطع الفؤاد"[١] . فالكافر ضال سواء وعظته أم لم تعظه.

"ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٖ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيْتُونَةٖ لَّا شَرْقِيَّةٖ وَلَا غَرْبِيَّةٖ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ" النور ٣٥

وهي آية جليلة، مثّل الله سبحانه فيها نوره، بأنه أصفى وأنقة وأقوى من نور المشكاة في المصباح في الزجاجة التي ككوكب دريّ، وقوده من شجرة مباركة ليست من نواحي الأرض كلها، يضئ زيتها وحده دون مساس، وهو مجرد مثل للتقريب.

"وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا" النور ٣٩

---

[١] كشاف الزمخشري ج٢ ص ١٣١

فأعمال الكفار مثلها كالسراب، لا حقيقة له، وإنْ خُيّل للناظر اللاهي غير ذلك.

"مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُ" آل عمران ١١٧

وما نلحظه ونثبته هنا، أنه في كل تلك المواضع أمر مشترك، هو أنّ المثل إنما يأتي بحرف "الكاف" التشبيهيّ، على الدوام "كمثل الكلب"، "كمشكاة"، "كمثل حبة"، "كمثل العنكبوت"، "كشجرة طيبة"، "كسراب بقيعة"، "كمثل ريح" ...

وهذا اللون من الأمثلة، يعطي العبرة ويجسّدالصورة، ويشترك مع الحقيقة في أحد معانيها، لكنه لا يساويها.

٢. أما السياق الثاني من المثال، فهو ما لم يأت فيه حرف "كاف" التشبيه.

"لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ" الحشر ٢١

"وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ" إبراهيم ٤٥

فنرى هنا أمراً ظاهراً كذلك، وهو أنّ هذا السياق من الأمثال، ليس فيه قدر مشترك بين أمرين مختلفين، كما في السياق الأول، فالكافر ليس كلبا حقيقياً، والكلمة الطيبة ليست شجرة، وهكذا. أمّا في هذا السياق، فإن المثال من واقع متطابق. مساكن سُكنت، ومساكن تسكنونها، كما قال تعالى "كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا

وَٱلْأَخِرَةِ ۚ" التوبة ٦٩. فهنا المُمَثل والمُمَثل به، كلاهما فيه تسوية، لذلك حذف جزاء من يفعل من المخاطبين بالقرآن، إذ هي واضحة معروفة بالشبه.

أما في قوله تعالى "لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ" فإن لو الشرطية هنا تقوم مقام الواقع الحالّ في كلام الله سبحانه، وهو ما رأيناه من حال موسى عليه السلام.

٠٣ والسياق الثالث، هو فيما أتى من أمثال تتعلق بما لا نعرف عنه في دنيانا، ولا مجال لتشبيهه بما نعرف، إلا اشتراكاً لغوياً، مثل صفات الله سبحانه، وما هو من الآيات فيما في الجنة أو النار.

"مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ" محمد ١٥

فنلحظ هنا أمرين، أولهما أنّ الآية لم تأت بحرف الكاف، بل انتقلت من " مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ" إلى "فيها أنهار ..." مباشرة. لكنها ذكرت أن هذا مثلٌ ولا شك.

فهؤلاء الأمران يمليان على المفسّر أن يفهم أنّ الجنة فيها أنهار من لبن وعسل وخمر وماء، لكنها، لأنها "مثل" فهي تشترك مع أنهارنا في الاسم دون الحقيقة، إذ ليس في الدنيا أنهار من لبن، ولا خمرٍ أصلاً، فلا واقع يمثل به هنا. بل هو تسليم بمضمون اللفظ اللغويّ، ثم يكون على حاله التي يخلقه الله عليها. كما في قوله تعالى "وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ* كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ"، فهن لسن بيضاً ولكنه مثال اتفق فيه السياق الأول مع السياق الثالث، بوجود حرف "الكاف".

فإذا نظرنا في صفات الله تعالى:

"لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ" الشورى ١١

وهي جماع تفسير صفات الله جميعاً. وقد الله تعالى هنا أنه لا شيء "كمثله" ولم يقل "مثله". قال ابن منظور "وقوله تعالى: ليس كَمِثْلِه شيء؛ أَراد ليس مِثْلَه لا يكون إِلا ذلك، لأَنه إِن لم يَقُل هذا أَثبتَ له مِثْلاً، تعالى الله عن ذلك" لسان العرب حرف الميم. ثم قال تعالى "وهو السميع البصير". فبعد أن نقض المثلية بالتمام، فليس له مثال أو مثل، أثبت صفاته واضحة تامة، فتبين، كما رأينا في السياق الثالث، من الأمرين المذكورين، أن الصفة تشترك مع ما هو في الدنيا في المقام اللغوي لا تتعداه، أمّا حقيقتها فهي عند الله. وهذا مدار عقيدة أهل السنة "إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل".

وقد أعرضت هنا عن الحديث عن المثل والمثال، في معنى أنه الغاية التي يُرتقى إليها، أو الآية كما في قوله تعالى "إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ" الزخرف ٥٩. فإنه ليس مما فيه إشكال إن شاء الله

فلعل توضيح هذه السياقات فيه تقريب لبعض المعاني التي ترد على العقل، فتشتبه عليه. وكم في القرآن من معانٍ خبيئة، تحتاج لعقول وقلوب واعية تنقب عنها، بلا ملل.

د طارق عبد الحليم

٦ شوال ١٤٤١ - ٣٠ مايو ٢٠٢٠

"... اعدْلوا هو أقربُ للتقوى"

أمرٌ اجتمعت الخلائق كلها على تحسينه والترغيب فيه، حتى من قبل ورود الشرائع أو في عهد الفترات، وإن اختلفت دلالاته من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان، فهو مَعقِد آمال الناس أن يدركوه أو أن يدركوا منه ما استطاعوا؛ ألا وهو العدل.

والعدل سمة رئيسية ليس من سمات الإنسانية فحسب، بل ومن معطيات النضج الحضاريّ، فالحيوان لا يعرف العدل إلا كما تمليه عليه غرائزه، فإن شبع وقضى حاجة الجسد لنفسه، فهو العدل له. والإنسان السويّ يعرف من العدل معاني عديدة يستشفّها من التمعن في كتاب الله المشهود؛ الكون، وكتاب الله المقروء؛ القرآن.

العدل سمة من سمات الكمال، يتصف بقدر منها الكبير والصغير، الحاكم والمحكوم، الرئيس والمرؤوس، الزوج والزوجة، الآباء والأبناء، الدائن والمدين، ثم ما شئت من الأصناف والأجناس، كلها يستشرف إلى العدل ويسعى إلى تحقيقه.

وكلمة العدل تحمل معنى المعادلة؛ أي أن يجازى الشيء بعدله أو ما يوازيه ويساويه؛ قال تعالى "أو كفارةٌ طعامُ مسكينَ أو عَدْلُ ذلك صياما" المائدة٩٥، أي ما يكافئ إطعام المسكين، فمن قدّم خيرا فالعدل أن يرى عدله خيراً، ومن قدّم شراً فالعدل أن يكافأ بنظير فعله شرّاً، قال تعالى: "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" وهو مقتضى العدل المطلق الذي لا يقدر عليه إلا الله سبحانه.

الكبير يعدل بعطفه على الصغير وإنصافه فيما ولّي عليه فيه، والصغير يعدل باحترامه للكبير واتباع نصحه ورؤية الصواب في رأيه وحكمه، والحاكم يعدل في حكمه بمراعاة الله في أحكامه وبتطبيق الشريعة لا يحيد عنها إلي غيرها من شرائع البشر أو إلي شرع هواه، والمحكوم يعدل بإتباع الحاكم وعدم الخروج عليه طالما أقام الشرائع

وحدّ الحدود. الرئيس يعدل بحسن التوجيه لمرؤوسيه وإعطائه الرعاية اللازمة والإمكانات الكافية لتحقيق المطلوب منه، والمرؤوس يؤديها بإعطاء العمل خلاصة فكره ووقته ليجيده كما ينبغي. الزوج يعدل بمراعاة حقوق زوجه في العمل على تأمين الحياة الكريمة لها ورعايتها بإعطائها الاهتمام الكافيّ والمودة القريبة. وعدل الزوجة بتقدير زوجها وتبجيله واحترامه، وتهيئة البيت كما يود أن يراه. فالعدل، إذا، أمر يستلزم جانبين يتعادلا ولا يصلح عدلا، ولا يقوم في الناس، إن كان من جانب واحد.

وكثير من الناس اليوم، ومن المسلمين من الناس، ومن الدعاة من المسلمين، ومن المخلصين من الدعاة، لا يعرف كيف يقيم العدل فيما يعرض له من أمور تتعلق بعلاقته بمن حوله من الناس ومن المسلمين ومن الدعاة. فهو إن تعرّض لما ظنّ أنه موقع به ضرراً كان سبّاقاً إلى الظلم متجاوزاً للعدل، ومبرره في ذلك المصلحة العامة!! فهو يرمي من يعتقده على خطأ بما لم يشهد عليه شهادة حق، وبما لم يتحقق من خطئه بما لا يدع للشك سبيلا قبل أن يقع في طعنه بما قد لا يستحق. أفلا يتق الله ربه، أفلا يعرف أن العدل شيمة من شيم الرسل، قال تعالى: "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل"، وقال تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان"، وقال تعالى: "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا".

فاحرص على العدل تكن ممن سَعد بحسن الجزاء وبالبعد عن غواية الشيطان.

"فورب السماء والأرض إنه لحقّ ...." الذاريات 23

رَفْضُ الحق البيّن الواضح داءٌ يصيب الإنسان الذي تتلاعب بعقله الأهواء والأغراض، وتعصف به التقاليد والأعراف، لا يتبع فيه منطقاً ولا يستمع إلى دليل، بل هو ما نشأ فيه وترعرع لا يزحزحه عنه صدق أو يرده إلى صوابه بيان، فهو في ذلك كالأعمى الذي يرفض يداً ممدودة لتدله على الطريق، فلا هو أصاب الحق بنفسه ولا هو استفاد من الدليل، ظلمات بعضها فوق بعض.

والإنسان الضال يُزين له شيطان هواه كل طريق لرفض الحق مهما تهافتت الحجة وسَفُه الرأى. انظر ماذا زعم كفار قريش، ومازال يزعم كفار العصر حتى يومنا هذا، في رسول الله ﷺ! حُججاً لا تثبت أمام عقل أو منطق، وما زالوا يصدقونها ويرددونها، فسبحان الله فيمن عميت بصيرته فهو إلى الدواب أقرب منه إلى الناس.

قالوا هو ساحر، وسبحان الله، لو كان ساحراً يسحر المؤمنين، فلم لم يَسحِر غير المؤمنين، ومن أين جاءتهم الحصانة؟ بل قال تعالي: "كذلك ما أتي الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون" الذاريات ٥٢

وقالوا هو شاعر، وسبحان الله، ليس كلام القرآن بشعر ولا قريب من الشعر، وقد عاش رسول الله سنوات عمره قبل البعثة، أربعون عاما، لم يقل فيها بيتا واحدا من الشعر أو نظم قطعة من النثر، قال تعالى: " قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدرا كم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون" يونس ١٦

قالوا هو مجنون، وما اشبه اليوم بالبارحة، المؤمنون دائما هم الذين يصابون بجنّة والكافرون هم العقلاء المحصنون! فسبحان الله، والمجنون لا يقتصر جنونه على رفض ما لا أساس له مما اصطلحت عليه الأعراف البالية والتقاليد الموروثة، إن كان هذا جنوناً، بل يتعدى إلى حياته ونمطها وعلاقاته واشكالها، وما عرف أحد عن رسول

الله ﷺ إلا كل اتزان ووضوح رؤية، قال تعالى: "وما صاحبكم بمجنون" التكوير ٢٢

قالوا هو معَلَمّ، يعلمه رجل من العجم يعيش على أطراف المدينة، يعرف عن التاريخ وحكمة القدماء، فسبحان الله، كيف يتحدث رجلٌ أعجمي اللسان بمثل هذا القرآن الذي اعجزت بلاغته أعرب العرب! قال تعالى: "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذين يلحدون اليه أعجميّ وهذا لسانٌ عربيٌّ مبين" النحل ١٠٣

قالوا إنما محمد عربي ليس من تلك الأمم المتحضرة في زمانها، فارس والروم، فماذا يعرف عربيٌّ عن الحق والحضارة وتاريخ الإنسان ومصيره، بل هو من أمّة أميـّة يجب أن نتبع غيرها من الأمم المتحضرة لترسم لها طريق التقدم! فما اشبه اليوم بالبارحة! أليس هذا ما يزعمه كفار اليوم من أنهم إنما غزوا أرضنا وخرّبوا ديارنا ونهبوا ثرواتنا ليهدوننا إلى الحرية والديموقراطية! وإنما يجب أن نتبع سنن المجرمين أمثال بوش وعصابته لأنه "من القريتين"، الفرس والروم، قال تعالى: "وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" الزخرف ٣١

قالوا هو رجل يريد الدنيا ويسعى للملك، وسبحان الله، أيسعى رسول الله للملك وهو الذي رفض دعوة قريش لتقاسم السلطة، قال تعالى: "........"

لا يظنّن أحد أن الهجمة على الإسلام ورسول الإسلام جديدة، بل هي قديمة قدم دعوة الإسلام ذاتها منذ جاء بها رسل الله جميعا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، وليخرجوا كذلك ضغائن من أغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وتردى في الغي، وألبس الباطل رداءً الحق تمويها وتزييفاً "ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون" البقرة ٤٢

" ... إلا من ظُلِم"

من أبشع الخُلُق الذي يبتلى به المسلم، بل الإنسان بشكل عام، أن يكون ممن يهون عليه ذكر الناس بالسوء ورميهم بالظلم، ووصمهم بإثم وعدوان، دون برهان قاطع أو دليل ساطع يتقي به عقاب الرحمن، يقول الله سبحانه في آي الذكر الحكيم:" لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلِم، وكان الله سميعاً عليماً" النساء ١٤٨. فالله سبحانه لا يحب هذا الفعل ولا يرتضيه، وهو يسمع قول القائل ويعلم قصده فيما يقول، فلا ينفعه في ذلك تستر ولا استخفاء.

ولرب قائل أن يقول: قد صرّحت الآية الكريمة باستثناء "من ظُلِم.."، ويجعل هذا بابه إلى ذكر الغير بالسوء ما أراد له شيطانه، ولكن رويدك أخي المسلم، فإن ذلك استثناء بإلا، وطبيعة الاستثناء أن يكون مما يندر حدوثه وإلا كان هو القاعدة وغيره الاستثناء! هذه واحدة، والأخرى، أنّ ذلك يكون فيما ثبت فيه حقٌ للمسلم، كأن ينكر عليه غيره حق الضيافة أو أن يماطله في دفع أجره إن كان من الأغنياء، أو أن ينكر على المرأة بقية صداقها إن استحق، وما شابه ذلك مما يكون فيه حقّ مغتصب ثبت بالشرع استحقاقه، عندها يجوز للمسلم أن يذكر ذلك عمّن ظلمه، فيقول: هذا الرجل ظَلَمَني بفعل كذا أو باغتصاب كذا

ولكن أمر الناس اليوم أمر عجيب، فهم يستحلون ذكر غيرهم بصفات السوء ونعوت التحقير ما شاء لهم شيطانهم، ليس لحقّ ثبت بالشرع اغتصابه، وإنما لشبهة حقّ حينا، ومن غير شبهة في غالب الأحيان، وهو ما يؤدي إلى "الغيبة". فذاكر الناس بالسوء، إلا عن حق أبيح له فيه، مغتاب دخلت عليه شبهة أنه ممن "قد ظُلِم"، فأبيح له ذكر الغير بالسوء، وكفى بذنب المغتاب رادعا، قال تعالى: "ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه" الحجرات ١٢.

فذِكر الناس بالسوء خُلُق مذموم مُحتَقر يضع صاحبه في مكان وضيع بين الناس، إذ إنه يكشف عن سوء نفسه، فالمرء عادة يرى الناس بمرآة نفسه، إن كان ملتويا رأى الناس فيهم التواء، وإن كان خبيثا رأى في الناس خبثا، فهي عملية إسقاط نفسيّ يضع فيها الإنسان غيره موضع نفسه، ويرى عيوبه عيوبا لغيره، وقد قال الشاعر:

إذا ساءَ فِعلُ المرءِ ساءتْ ظنونه وصدّق ما يعتادُه من توهمِ

وخدعة الشيطان إنما تتلبّس على المسلم حين يكون هناك تعاملٌ بينه وبين غيره، فإن رأى منه ما يرضاه، كفّ عنه أذاه، ولم يذكره بشرّ، وإن حدث بينهما خلاف دفعه شيطانه إلى أن يسقط في عرض أخيه، وأن يصرح بالسوء فيه ويلمح به، حسب الموقف، وهو يبرر ذلك لنفسه بشتى الوسائل، فهو "ممن قد "ظُلِم" ، أو هو يريد أن يبيّن عورة أخيه لإعلام الناس بشره حتى لا يسقطون فيما سقط فيه، أو هو، في غالب الأحيان، مجرد مبتغٍ للحقّ بزعمه، يذكره أينما كان!! فالحق هو ما دفعه إلى ذلك الموقف من ذكر الناس بالسوء!! فيا عجباً لحبائل الشيطان كيف تلتف حول أعناق المسلمين من الناس، والدعاة من المسلمين، والمخلصين من الدعاة في بعض الأحيان! فالشقاق هو مبدأ ذلك المنزلق، وادعاء الحق دون بيّنة هو مطيّته، والغيبة والفساد هما منتهاه وعاقبته.

أن يكون الإنسان هو الخصم والحكم، فهذا ما لا يُؤمن فيه عواقب الظلم وتجاوز العدل، فإن تعرّضت لما تراه ظلما أو إن شاء قَدَرُ الله أن يكون بينك وبين نفر من المسلمين، أو نفر من الدعاة، خصومة، فلا تكن عليهم حكماً، ولتحذر أن يخدعك الشيطان بذكر ما تراه من عوراتهم، تحت زعم أنها عورات لهم لا بأس من إظهارها، فأنت لا تعلم من أين يأتيك شيطانك، وعوراتك لعلها أكبر وأكثر، وأوّلها، إن فعلت ذلك، عورة ذكر الناس بالسوء والغيبة، وما أقبحها من عورة، ثم أي دعوة وأي عمل إسلاميّ يتراشق أفراده بالتهم ويتنابذوا بالألقاب، والعدل مستحيل

الإدراك لمن هو خصمٌ وحكَمٌ في ذات الوقت، فاتق الله ربك في نفسِك، واتبع قول الله تعالى في ضرورة العدل، وقوله في النهي عن الظلم، ولا تدع المتشابه مما استثني يُغطّي على ما أُحكم من طلب العدل وترك الظلم، واعلم أنك لن تعدل في حق من خاصمت، فالجأ لغيرك في التحكيم ودع غيرك يكشف عورات من خاصمت، فهو أبعد عن الظلم وأقوم للعدل وأقرب للتقوى.

فلعلك باخعٌ نفسك..

مما يهوّن على نفسي العيش على الأرض في زمننا هذا، زمن الهزيمة والأمة المهشّمة، زمن التدهور والسقوط، زمن التآمر والانبطاح، والأهم، زمن الرويبضات ومشايخ الزيف والانحراف والتأويلات الباطلة والمفاهيم المخلوطة، اطمئنان قلب رسول الله ﷺ، بما أتاه من ربه "لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" الشعراء ٣. ثم تأكيده سبحانه لنفس المعنى في قوله سبحانه "فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا" الكهف٦. وحتى لا يتنطع المتنطعون، وما أكثرهم! فالقياس مع الفارق، إن فهموا ذلك.

نرى عجباً من العجب، كلما ظننا أن الأحداث المتكشفة، ستفتح عيوناً غُلّقت وأسماعاً صُمّت، وقلوباً غُلّفت، وجدناها تستمر على ما تشيعه من أوهام وخلط وباطلٍ من القول، فهم صمّ بكمٌ عمي، لا يفقهون مما يجري حولهم شيئاً.

ثم تراهم يتواصى بعضهم ببعض، صغاراً وكباراً، يتمادحون ويتخايلون بما ظنوا أنه فتحٌ من الله عليهم، يعلم الله أنه استدراج من الشيطان لتظل الأمة، أو بقاياها، في سمادير وهم الانتصار الزائف، تماما كما عهدنا من طواغيت الحكام بعد كلّ هزيمة في حرب، تنقلبُ إلى نصرٍ مؤزر، لكنهم قوم لا يعقلون.

أكل حب الشهرة، والغرور والتكبر، والإعجاب بالرأي، وإيثار التجمع على الباطل على التفرد في العودة للحق، حاسة التفرقة بين الحق والباطل، وبين الصحيح من السقيم.

أيعقلُ، يا خلق الله، أنّ ما حدث في الشام من انهيار الثورة، بسبب تصرفات قيادات جماعاتها المتناحرة المناوشة، الضالة، إما عقدياً أو حركياً أو كليهما، أيُعقل أنّ هذا انتصارٌ تنعم به الأمة، ويُمدح به مثل الجولانيّ الذي آثر الانخلاع عن الجماعة،

انقياداً لتركيا، ووعودها الزائفة، وحسب أنه صار سيد الشمال السوريّ، حتى أتاه اليقين، فصارت إدلب تضرب في بيوتها ومستشفياتها وأسواقها، وسويت معرة النعمان بالأرض، وبقية المآسي التي تجري في الشمال اليوم!؟ ألم يفتّ هذا الدجال الجولانيّ في عضد التجمع الثوريّ حين ضرب كافة الجماعات، خاصة أهل السنة منهم، ليكون زعيماً أوحداً بسوريا، وترك قياداتها نهباً للجواسيس والدرونات، التي اغتالت كلّ من عارضه، تاركة كلّ من وافقه في انبطاح لتركيا؟

ماذا ينتظر هؤلاء ليعرفوا أن ما حدث في الشام كان جريمة متكاملة الأركان، لا نصراً أو تمكيناً؟ أينتظرون حتى تسوى بإدلب كلها الأرض، ويهجّر منها بضعة ملايين، وتسقط كما حدث في حلب وحماة وحمص ودرعا وبقية أرض سوريا كلها، موزعة بين كردٍ علمانيين ونصيرية وروافض كافرين؟

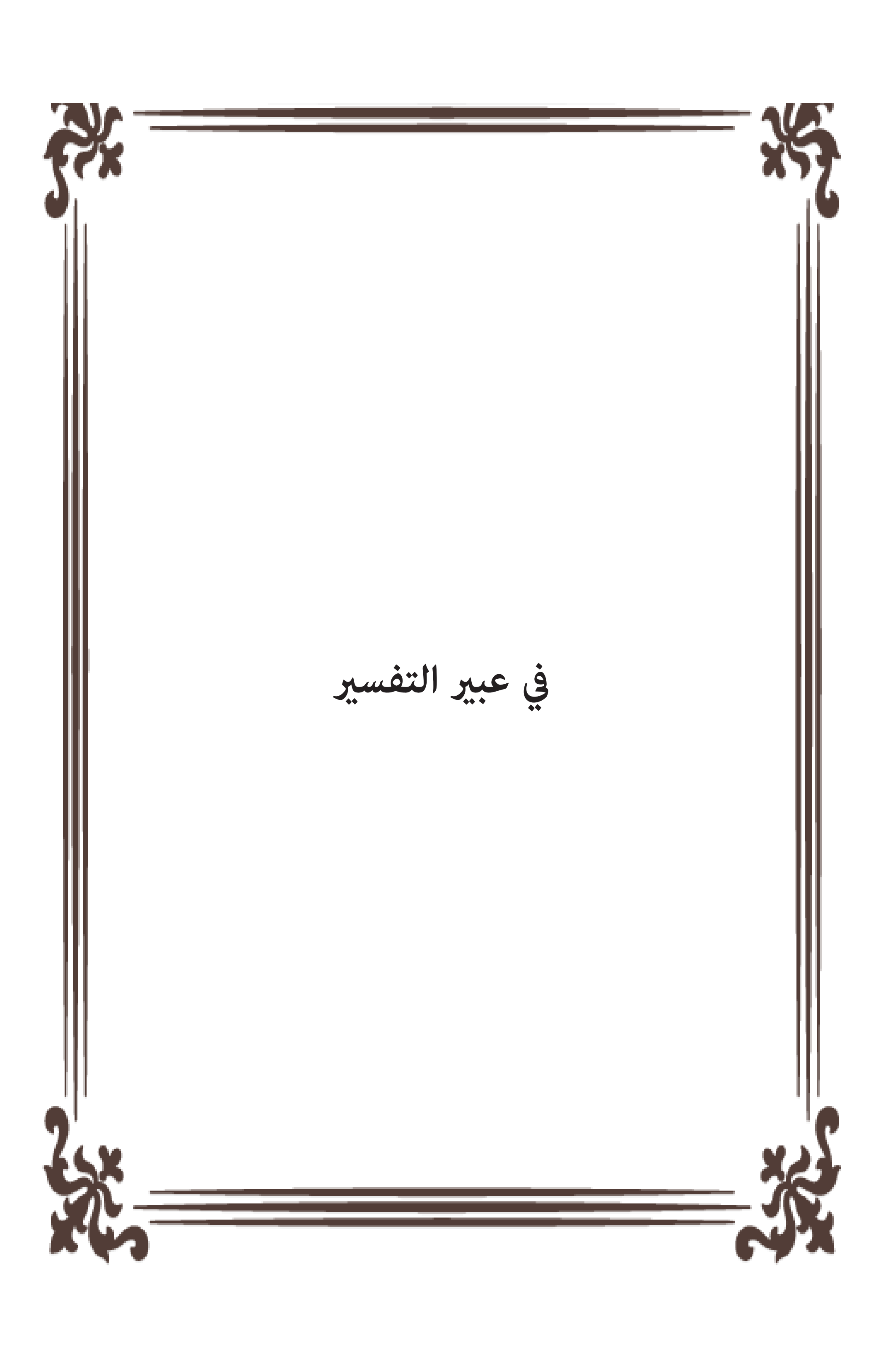
أيُعقل أنّ هذا "الفاشل" سيحمل لواء الإسلام إلى القدس في بضع سنين، حسب تنبؤات البعض؟! وتجد شلة مطبلين ومزمرين، لا يزالون يرفعون شأنه، وكأنهم لا يمكنهم العيش بلا "بطل" ينبحون أمامه. وهم ذاتهم لم يرفعوا صوتا ضد جريمة حماس الخائنة لكلّ ما هو ثوريّ إسلاميّ، بتعزية الروافض في "قاسم سليماني"!!!! أي والله، قاسم سليماني!

ثم ترى سخفاء الفكر بلهاء العقل يتذرعون بأن الواجب دعم الثورة، أيّا كان حالها.. نعم لكن دعمها لا يكون بالتغطية على من أفشلها.. أين هذا في أي منطق عقلي أو شرعيّ أو إنساني؟ دعمها يكون بإظهار عوار مخربيها، والعمل على استبدال الطيب بالخبيث، وإزاحة المسؤول عن هذا التوجه السياسيّ الذي حذرنا منه مراراً وتكراراً، فمآله مناوئة الشرع ومخالفة الشريعة.

فحسبنا الله ونعم الوكيل في هؤلاء البشر، ولهم يوم يُساءلون فيه عن أقوالهم وإضلالهم للخلق.

د طارق عبد الحليم

١٧ يناير ٢٠٢٠ - ١١ جمادي الأول ١٤٤١



في عبير التفسير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وبعد

سورة الأنبياء، سورة مكية (إلا آية واحدة)، من السور المتقدمة، التي نزل بها الوحيّ على الأمين المصطفي ﷺ، لذلك روى إنها من التلادي (كما في البخاري)، أي التِلاد الراسخات، قبل نزول المُطولات من السور المدنيات.

وحين نتلو سورة الأنبياء، تتراءى لك فيها كل صفات القرآن المكيّ، من حديث عن التوحيد، وآيات الله في الكون والخلق، ورسالات الرسل والإشهاد على النّاس بالرسالات، واليوم الآخر، مع تراخٍ وإطالة بسيطة في وقعها، تناسب موقعها من الوحي، إذ تلت الصدع بلا إله إلا الله، وتنزّلت بعد الآيات المكية القصيرة كالعلق والكافرون والضُحى والعصر والماعون، وغيرها من قصار السور. فهي إذن كحلقة وصلٍ وانتقال بين القرآن المكيّ الصِرف، بآياته القصيرة السريعة كأنها طبول الحرب، وبينً القرآن اًلمدنيّ، الذي يحمل الاَستقرار ويتناسب مع تأسيس النَظر والأحكام، وإنْ كانت موضوعاتها لا تزال تتعلق بالموضوع المكيّ في تقرير العقيدة وإحكام بنيانها، مثلها في ذلك مثل الطور والمؤمنون وإبراهيم وأشباههم من السور المكيات.

وقد تناولت سورة الأنبياء ذكر عدد من أنبياء الله، هم، على سبيل الحصر، موسى وهارون، وإبراهيم، ولوط، واسحق ويعقوب، ونوح، وداود وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وإدريس، وذا الكفل، ويونس، وزكريا ويحي، ثم مريم، عليهم السلام.

وقد كان من الحِكمة الرّبانية أن تتنزل سورةٍ خاصة بالأنبياء، تذكر أحوالهم بشكلٍ مختصر سريع، في الفترة المكية، لتكون دليلاً على مبدأ النبوة الذي يشترك فيه أنبياء الله، وفي مقدمتهم محمد ﷺ "وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ" ، وتقرير وحدة الرسالة التوحيدية "وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ"، كما تكون فاتحة لما بعدها من سرد مطوّلٍ لقصص الأنبياء وتفصيل سيرهم. والتصديق بالنبوة هو حجر الأساس في بنيان الدين كله، إذ يمثل حقيقة الهدي الإلهيّ للبشر وحقيقة الوحى والكتب والرسالات، فبدونها، أي النبوة، لا يستقيم معنى للدين البتة.

تبدأ سورة الأنبياء بتقرير حقيقة هائلة مذهلة، يكاد من يَعيها أن يسقط من الرهبة والخشية "ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾". يا الله، ما أشدّ هذه الكلمات على قلوب المؤمنين، وما أصدقها في واقع الكافرين. اقترب الحساب، ولا زالت القلوب غافلة معرضة! أمران لا يستقيمان في عقل عاقل. وانظر إلى طريقة التعبير القرآنيّ في نسبة الحساب إلى الناس "حِسَابُهُمْ"، إذ يوحى أنه قرين ملازم لهم، لابد واقع بهم. والغفلة والإعراض قد يظهر أنهما لا يستقيمان معا، فالمُعرِض لا بد أن يكون على معرفة بما أعرض عنه ليصح وصفه بالإعراض، والغافل لا يكون معرضاً. لكن التعبير القرآنيّ يتجاوز هذه التفصيلات اللغوية، ليخلُص إلى لبّ المسألة، فيجعل بين الإعراض والغفلة ما بين السّبب والنتيجة، أنهم معرضون عن الهَدي الإلهي، لا يتبعونه ولا يسيرون عليه، فهم ذاهلون إذن عما ينتظرهم من حسابٍ بلا بد، إذ من أيقن بالحساب، لم يُعرض عن الهدي.

"مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾". وينتقل البيان القرآنيّ إلى التأكيد على ما قرّر من قبل، أنهم كلما أتاهم ذكرٌ من الله سبحانه، يحمله لهم نبيّ من أنبيائه، استمعوا له استماع اللاعب اللاهي، المشغول بدنياه، قلباً ويداً، لا محل في قلبه لهدى بعد أن احتلته الدنيا بألعابها وألاعيبها، من مقتنيات وعوارض ومتع. ولا يخفى عليك مناسبة هذا المطلع لموضوع السورة، الأنبياء الذين يحملون الذكر من ربهم إلى الناس، فهو خير ما يُهيأ المرء لما يأتي من بعده من أخبار هذا الذكر المُحدَث، المتوالي مع الزمن، لكل قوم.

وهي عادة كلّ كفار عنيد، لا يواجه كُفره بصراحة وجرأة، بل يتلوّن في رفضه بألوان زَمنه. هؤلاء الظالمين يتساوّرون بينهم بأن سبب لعبهم ولهوهم وإعراضهم عن الذكر المبين، أن من أتى به من الأنبياء بشرٌ كالبشر، ليس ملكاً، وليس بشراً فريداً مميزاً، بل هو "بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ"، فإن كان مثلكم فكيف يتفضل عليكم، وبماذا؟ أتقبلون هذا السحر الذي يأتون به، من أي لون يأتون به، كلاماً أو وحياً وكُتباً أو غير ذلك، وتشاركوهم فيه، ليلفتوكم عن الحقائق الثابتة التي بين أيديكم، من علمٍ ومعرفة

حسيّة، أنتم تبصرونها بأعينكم "وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ"، لا والله لن يكون أبدا أن يقبل أهل العلم (العلمانيون)، بما يقول أهل الوحى (المؤمنون)، ففي هذا تقليل من قيمة العلم، إذ كيف يتبع العلم المتبصر السّحرَ؟

هكذا يتملّص هؤلاء الملاحدة، الذين كفروا بربهم من تَبعات الإيمان، بأن رفضوا إتبّاع الرسل، وإتباع من يحمل رسالة الرسل من الدعاة إلى الله من بعدهم. وهي حجة الكفرة في كلّ عصر وزمان، أن نحن على الحق، لا هؤلاء "السحرة" الذين يريدون أن يلفتونا عما يصل بنا إلى حقائق الأشياء، وإلى النهضة والعلاء.

لكن، حسب هؤلاء، وهم يُسرّون نَجواهم، ويتخافتون بها، ويلبسونها لباس الكذب والخدعة، فى تجمعاتهم ومؤتمراتهم، أنْ قد خدعوا المؤمنين، وأنْ قد ظفروا بالغطاء اللازم لدعوتهم الشريرة الكافرة، لكن يأتي الرد حاسماً سريعاً دقيقاً، أن لا فائدة من التسارّ بالنجوى، "قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾". نسى هؤلاء المخدوعون أنّ الله لا يخفى عليه قولٍ في السماء ولا في الأرض، يسمع ويعلم لا كسمعنا ولا كعلمنا، بل هو علمٍ وسمعٍ يحيط بكل شئ، فلا يترك حبة من خردل تتوه دون علمه. حسب هؤلاء أنهم إن تخافتوا في مؤتمراتهم، فيما بينهم، أن هؤلاءً المسلمين يريدون أن نسمع لسحرهم الذي يتلونه ليل نهار، ويسمونه القرآن، لكن لن نتبع هذا السحر، طالما نحن نتبع علمانيتنا المتنورة التي ترفض السحر وتزْدريه، حسبوا أنّ لم يسمعهم أحد وأن لم يحصى عليهم كلماتهم أحد. وهذا من تمام ضلالهم وكمال غيّهم وغرورهم.

"بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾"

سبحان الله، ما ترك المجرمون عُذرا يتعللون به لردّ الحقّ إلا ردّدوه، ولا مَخرجاً من

التكليف إلا ورَدوه! أضغاثُ أحلام، افتراءات، شعرٌ كبقية الشعر! تضاربٌ في الأعذار، وتشتت بينها ينبئ بأمر واحد، الاضطراب فيها كلها، وعدم الثقة في أيّها، وهي خلاصة ما حاوله الأقدمون في ردّ معجزة القرآن. وهاهم المتأخرون منهم، يستعملون نفس التعلات، ها هو طه حسين أعمى البصر والبصيرة، يدّعي أنّ كتاب الله لم يكن معجزة بيانية، لأننا قد فقدنا ما كتبه الناس في زمن رسول الله ﷺ بعد أنّ دمّره المسلمون عَمداً ليَظهرَ القرآن وكأنّه معجزة! ثم الكثيرُ من كفّارهم، ممن انتسب زوراً لهذا الدين، قد يئسوا من الهجوم على شخص الرسول ﷺ، أو على مصداقية الوحيّ، فراحوا يكيلون لفحوى خطابه الحيل، يلتوون بها حيناً، ويتأولونها حيناً، ويخرجونها عن سياقها حيناً، يأتون في ذلك بالأعاجيب، في اللغة والمنطق جميعاً، ليفرغوه من فحواه، وليتفلتوا من تكاليف الله.

"فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ" ثم هم يعلمون أنّ النقد والسبّ وحده لا يجدي ولا يستقيم، فهم يلحقون تلكم التعلات المريضة بطلبٍ، يوحي أنهم على استعدادٍ للإجابة إن صحت القضية! وأنّ العيبَ هو في ضعف المعروضِ، لا في إعراض المستمع! وكأنما الآية هي المشكلة في الأمر، وليست نفوسهم المُشركة وعقولهم الضالة، وكأن الله سبحانه لم يرسل آيات لا تحصى من قبل، على كثير من أنبيائه ورسله، فإذا بالناس يرتدوا بعدها على أعقابهم خاسرين. ألم يرسل اللهُ موسى بسبعٍ آيات من قبل؟ ألم ير قومه البحر ينفلق كل شقٍ كالطود العظيم؟ ألم تر يهود معجزات عيسى عليه السلام رأيِ العين، ميلاده، وحديثه في المهد، وإحياءه للموتى وشفاءه للأكمه والأبرص. ألم ير قوم أهل الكهف معجزة الله في إبقاء هؤلاء الفتية المؤمنون ثلاثمائة وتسعة أعوام كاملة، أحياء نائمين، ليكونوا عبرة لمن بعدهم؟

كم من معجزة أُرسِل بها الأولون "مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ" نعم هي دعوى فارغة المحتوى، و"كم" تفيد الكثرة. كم من قرية أرسلنا لها تلك الآيات التي يتعللون بها، فكفرت بآياته وبأنعمه، ولم تؤمن، فكان مصيرها الهلاك. والمدقق يرى أنّ هذه الآية قد اشتملت على خبرين في الماضي وخبر في المستقبل، ووعيد، كلها في ثمان كلماتٍ، إذ أخبرت بمصير القوم الذين كذبوا بآيات

الله من قبل، وأخبَرت بأنهم أُهلكوا بظلمهم، وتوعدت تضميناً من يفعل فعلهم بالهَلاك، ثم أخبرت أنّ هؤلاء السّائلين المُحدثين لن يؤمنوا، حتى لو جاءتهم الآيات! فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن.

"وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" هذه الآية تصف حقيقة لا مراء فيها، أنَّ الله قد احتفى بالبشر فأرسل اليهم رجالاً منهم، رسلاً مبشرين ومنذرين، فلم يخلقهم سُدى، ولم يتركهم هملاً، كما يزعم بعض الضّالين من الفلاسفة. ثم تصف حقيقة أخرى، أن هؤلاء الرجال المختارون على عين الله هم بشر من البشر، لا آلهة ولا أنصاف آلهة، كما ضَلّ النصارى في عقائدهم، وهم من ثمّ لا يأتون إلا بالآيات التي يُرسلها الله سبحانه، حسب إقتضاء علمه وحكمته، فما بالكم تطلبون الآيات التي لا قدرة لرسلنا على تحقيقها "وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾" الإسراء.

"وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾"، هؤلاء الرسل ليسوا إلا بشراً ككل البشر، يأكلون الطعام، ويقضون الحاجة، ويحيون كما يحي الناس، ثم يموتون كما يموت الناس، لا يخلدون في الدنيا، إنما يفترقون عن الناس أنهم يتلقون من الله الوحي، وهي خاصة لا يمكن لبشر عاديّ أن يفهمها حقّ الفهم، ويقدّرها حق التقدير، وهي الخاصّة التي ترفع هؤلاء البشر إلى أعلى درجات البشرية، لا المال الذي جمعوه ولا الجاه الذي اصطنعوه ولا المنصب الذى اعتلوه، إنه التلقى عن الله، وما أعلاها درجة أن يتصل بشرٌ بخالق الكون، والله إنه أمرٌ لو تفكّر فيه الناس حق التفكر لعرفوا قدر هذه الكلمات، أنّ الوحيّ يتنزل على رجلٍ منهم، وهو ما ذكره الله سبحانه في قوله "لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون"، إنزال الكتاب على رجلٍ

من بيننا، وبذكرنا! خالق الكون كله، الواحد القادر العزيز المهيمن الذي لا يعجزه شيءٍ في الأرض ولا في السماءِ، يُخاطِب بشراً مختارين بشأن بشرٍ مكلفين! ما أعظمه من شَرفٍ وما أحقّه بالرعاية والحفظ.

ثم إن هذا القدر من الحِمل الشاق الذي حملته الأنبياء، كان له نصيبه وجزاؤه، في الدنيا قبل الآخرة، أنّ وعد الله صادقٌ بنصرتهم، وهو ما يعني أنهم قد وُعدوا في قدر الله المكنون أنّ النصر لهم "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾" الصافات. كلمات حاسمات قاطعات، لا احتمال فيها ولا تردّد. "لهُمُ" المنصورون، "لهُمُ" الغالبون، بعد إنّ، وبعد ضمير الإشارة "هُمُ"، ثلاث تأكيدات متعاقبة، فمن أين يأتي التشكّك، ولماذا يقع التحيّر إذن؟ خذوا ما آتينا كم بقوة إذن، لا تتنازلوا ولا تتخاذلوا ولا تنتكسوا إذن، فهو وعد الله الصادق.

د طارق عبد الحليم

٢ شوال ١٤٣٣_ ٢٠ أغسطس ٢٠١٢



قصة صراع .. بين الحق والباطل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وبعد

ما أعظم القصص القرآنيّ، وما أهداه لمن عقل عنه، وما أعناه لمن استوعب معناه.

ترى القصص القرآنيّ، يتردد مرة بعد أخرى في آيات الذكر الحكيم، فيحسبه الجاهل تكراراً! بل هو تفصيل لمعنى أجمله الله سبحانه في قوله "ولن تجد لسنة الله تبديلا" فاطر ٤٣.

نعم، ليس لسنة الله تبديلا ولا تحويلا. الباطل دائما وأبدا لا يغيّر موقفه من الحق. تتكرر مشاهده على مرّ التاريخ، مع كافة الأنبياء، بين كافة شعوبهم، وطغاة حكامهم، سنة الله في الذين خلوْا من قبلهم.

وها كم مشهد صراع .. صراعٌ بين الحق في أجلى صوره وأقواها، يحمله رجلٌ عُرف بقوته وشدته، ورجوعه إلى الحق دوماً، وبين الباطل كأشد ما يكون الباطل، في بهائه المزيف وزخرفه المصطنع، صراع بين موسي عليه السلام وفرعون مصر. ونعود إلى الماضي، إلى تاريخ يعود لأكثر من ٤٠ قرناً من الزمن.. لنشاهد تلك المقابلة التي جرت بين موسى وفرعون، حية كأنها تمت بالأمس القريب ..

فرعون يسأل، كأنه يبغي الحق "قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾" ؟

موسي يجيب، متطلعا للجمع كلهِ، مُعرضا عن فرعون، فالرسالة اليهم أساساً "قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾" بصيغة الجمع.

بدأ فرعون يشعر بالقلق، بأن الآت شر له مما قيل، فلجأ إلى أول حيلة في جعبته، الاستهزاء بموضوع الكلام، كأنه كلام لا يُعقل، كلامُ مجنون "قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾"، استمعوا لهذا العراء الذي يقوله موسى، بلهجة استخفاف وتهكم واضحة!

لكن موسى لم يلتفت اليه، لم يقع في شركه، لم يسر المناقشة في الطريق الذي أراده فرعون، بل سيّرها حسب ما يريد، فواصل مواجهة الجمع المخاطب، كأن فرعون لم ينطق حرفاً "قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾"، يواصل إيضاح حججه وبراهينه، غير ملتفت لحديث عدوه، منتهزا فرصة أن عدوه غفل عن قوته الحقيقية التي تكمن في المواجهة والبرهان.

هنا، عرف فرعون أن حجة موسى قاهرة، لا تُدفع بسخرية وتهكم، فلجأ إلى الحيلة الثانية، تدمير الشخصية وتلويثها "قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾"، نعم مجنون لأنه تحدى السلطة القائمة، الطاغوت الحاكم، فلابد أن يكون فيه خلل معيب! هو مجنون، أو أن "وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ" طه، أما شخصية فرعون، فهي المثلى، وكريقته هي المثلي، هي سبيل النجاح والرشاد، والتنمية والتعمير، وتوفير الغذاء والكساء " مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ" غافر.

فهل خضع موسى وسكت؟ لا، بل استمر كأن فرعون غير موجود على الأرض. إصرار عجيب على لدعوة، والتمسك بالحق في وجه القوة الغاشمة "قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾".

هنالك أدرك فرعون أنّ هذا رجل لا يقاوَم بالحديث والحوار، وأن دعايته المضادة لن تغنى عنه شيئا، وأن منافقيه من سحرة الاعلام وعباد الطاغوت من "رجال الدين" لن ينصروه على نبي الله، فلجأ إلى ما يلجأ اليه كل طاغية كافر مستبد، التهديد بالقتل، والسجن، وتشريد الأولاد واستحياء النساء "قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾". إما أن تخضع ونفاوض وتتبع ما نحن عليه، وما يُملى عليك، وإما السجن والقهر.

جاء دور فرعون ليُظهر أن كلمته هي الحق، يبيّن آيات الله للناس "ليحي من حي على بينة ويهلك من هلك على بينة، فجرى بينهما هذا الحوار الذي انتهي بأن تلاقت آيات الله وباطل فرعون، في مواجهة غير متكافئة. "قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾".

مرة أخرى يجد فرعون نفسه أمام ملئه مهزوما مدحوراً، فلجأ إلى حيلته السابقة، إن هذا لساحر عليم، "يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾". يريد أن يخرجكم من أرضكم! انظر كيف أسند الأرض للقوم، ليس لنفسه في هذا المقام، من حيث قال قبل ذلك "قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" الزخرف، لكن هنا مقام التمثيل والتخييل والتسهوك، فيقول: هذه ليست أرضي ولا ثرواتي، إنما أن أعمل ليل نهار، أكدّ وأشقى لنهضتكم وعزكم، ولو استطعت "لبعت نفسي من أجل مصر"!

ثارت الطبقات الفاسدة المستفيدة، إعلاما وعسكرا وقضاءّ، فقالوا، ليس من بد أن نهزمه بسلاحه، هو ساحر فلنأتي بالسحرة لنفضحه. ولم يعلموا أن قدر الله جار وسننه لا تتخلف، وأن الحق لا يخبو، فكان هذا الترتيب الإلهي: "قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾".

انقلب عملهم الأسود عليهم، دان السحرة بالحق. وإنهم ورب الكعبة لفي كفرهم أفضل آلاف المرات من أمثال إعلاميي اليوم، السفلة المرتدين، الذين يرون الحق ويعرفونه، ثم يزيفونه على علم.

وعاد كيد فرعون خسار عليه. فما كان إلا أن قرر التنكيل بكل ما له صلة بموسى وهارون، استئصالهم من الأرض، قتلا واعتقالا وحبسا واغتيالا، وتشريدا لهم لأبنائهم وأسرهم "قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾". الشعراء. حتى أتاهم نصر الله فأنجاهم، بما فعل موسى عليه السلام من وقفة حق في صراع مع الباطل "وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ" البقرة.

قصة صراع يتكرر، وحقائقه تتقرر، فانظر فيها يا رعاك الله، فهي ماثلة أمام عينيك، أو قريبا من ديارك.

د طارق عبد الحليم

١٠ رمضان ١٤٣٧ – ١٥ يونيو ٢٠١٦



ما أعظمها من إمرأة ..!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه بعد

امرأة، ليست ككل النساء. امرأة امتحنها الله بما امتحن به إبراهيم عليه السلام، إلا إنها أمّ، حملت وليدها وهنا على وهن، فقاومت فطرة الأمومة وخلعت عنها قلبها بيدها، واجتازت الامتحان بتفوق وامتياز. لكننا قليلاً ما نذكرها، ونردد كنيتها مع ما أولاها الله من فضل، هي المرأة العظيمة الجليلة المبهرة أم موسى عليه السلام.

وقصة أم موسي عجب من العجب، وآية من آيات الله سبحانه. فبعد أن قرر فرعون أن يقتل كلّ صبيّ يولد في بني إسرائيل، ولد موسى عليه السلام، وبدأت قصة من آيات الله العظمى. ولنسمع لها من كلام الله سبحانه، في سورة القصص.

"وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾".

الصورة هنا آية في الحنان والرقة، مشوب بالخوف والقسوة! أمٌ ترضع وليدها، تنظر إليه فكأنها تحفظه في عيونها وتحمله في جفونها. لكنها تشفق عليه أن يصل اليه جند فرعون فيقتلوه. فإذ بوحي من الله يأتيها، أن ارضعيه، فإن انتابك الخوف عليه، فارميه في البحر .. سبحان الله! أمّ يُطلب منها أن ترمي ابنها الرضيع في البحر!

هل تعاند أمّ موسى وحي ربها، أم تكذب الفطرة التي تجعل من المستحيل عليها أن تصيب رضيعها بسوء، وهو الكائن الضئيل الضعيف على كفيها؟ موقف عصيب ثقيل على الأم. فكان أن أعانها الله على أن ترى طريق الحق وتتبعه، فأوحى لها بنهيين وخبرين وبشارتين ..!

أولاً، طمأنها قلبها بأن نهاها عن الخوف والحزن على رضيعها، والخوف يسبق الحزن إلى النفس عادة. ثم أتبع الله النهيين بأسبابهما، خبرين يحملان بشارتين، أن يجعله نبيا رسولاً يهدى البشرية جمعاء! ذاك الرضيع الضئيل الهزيل! سبحان ربي، عالم الغيب والشهادة. فكان أن القته تلك السيدة العظيمة الجليلة في اليم، اتباعا لأمر الله،

وتصديقا بما أوحى لها .. أي قوة، وأي شجاعة وأي إيمان!

"فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾".

ثم تمضي القصة، مع الرضيع في مسراه، في اليم. ويأتي تدبير الله سبحانه، إذ يجد الرضيع طريقه إلى شاطئ فرعون ذاته. فالتقطته امرأة فرعون، آسية بنت مزاحم، تلك المرأة المجاهدة الصابرة التي رفضت ملك فرعون ما أن تبين لها الحق، فعلم الله ما في صدرها من استعداد وتقبلٍ للحق، فأكرما الله بأن جعلها، ومريم ابنة عمران مثالاً للإيمان في القرآن، بعد أن شرّفها رعاية موسى الرضيع. ولا يعلم فرعون أنه قد رضي بما فيه قدره المحتوم، حين قبل طلب امرأته، فلم يقتل من سيكون له يوما عدوا مبينا يزيله من حكم مصر.

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾*"

وتعود الصورة إلى أمّ موسى عليه السلام، الرضيع التائه، هل نسيته؟ هل استقر قلبها مطمئنا؟ كيف بالله وهو رضيعها قد ألقته بيدها في اليم. فإن كان إبراهيم عليه السلام قد تلّ السكين للجبين، فهو لم يأبه بعد أن استجاب لأمر ربه لحظة، بل رأى ابنه سليما صحيحاً أمامه قد استبدله الله بذبح عظيم. لكن هذه الصابرة المحتسبة المؤمنة قد ألقت ضناها في اليم، ثم لم تعرف ما حلّ به، رغم إيمانها بوعد ربها، إلا أنّ قلب الأم هو قلب الأم! هكذا خلقه الله سبحانه.

إذن أصبح قلبها فارغاً. هكذا وصفه الله سبحانه بالفراغ. وهذا الوصف يحمل دلالة زائدة على مجرد الحزن عليه، إذ يعنى أنه بجانب حبها لابنها، ليس هناك شئ في الدنيا يملأ ولو جزءاً من ذلك القلب.. أصبح فارغاً.. فيالله من هذا التعبير العجيب.

أصبحت في أرقٍ وهمٍ وفراغ قلب حتى إنها كادت أن تخرّب الأمر كلّه بأن تبيح السر وتطلب من الناس أن يقصّوه لها .. لكن، الله سبحانه كان قد أعد لها جرعة إيمانية خاصة، تليق بتلك التضحية العزيزة، فربط على قلبها .. ربط عليه كيلا ينفجر حزنا، ربط عليه كي لا تنطلق منه صرخة تنبئ عما فيه. واستمرت أمّ موسى صامدة قوية .. تنتظر وعد ربها .. لكنها لم تسكن حتى أرسلت أخته لتتعرف على ما قد جرى، وتبحث عن أخيها خفية دون أن تبدي أي علامة اهتمام خاص بما قد ترى أو تسمع، حتى عرفت أنه في بيت فرعون ذاته!

"وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾".

وجاء قدر الله بحسب الأسباب التي يسير عليها كونه، فجعله أولاً لا يقبل صدر أية مرضعة تأتيه، وصار أمر هذا الرضيع الذي سيموت إن لم يجدوا له مرضعة يقبلها. ثم جعل اخته تذهب لبيت فرعون، فتشير ليهم بأن هناك أهل بيتٍ، امرأة، مرضعة لعلهم يجربونها مع موسى الرضيع. وما أن يلتقم موسى ثدي أمهً حتى يرضى ويشرب ما شاء الله له، إذ هو صدر أمه الحنون، لا غيرها. فتم وعد الله لأم موسى كاملاً، بأن أرجعه اليها، كي تقر عينها ولا تحزن، كما وعدها سابقا ألا تخاف ولا تحزن. إلا إن وعد الله لصادق، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، من حيث لا يعلمون.

فسبحان الله ربّ العالمين.

د طارق عبد الحليم

١٢ رمضان ١٤٣٧ – ١٧ يونيو ٢٠١٦

من وصايا لقمان عليه السلام

١) أبناؤنا أكبادنا تمشي على الأرضِ

ما تمثلت هذه الأبيات إلا وتذكرت قول المصطفى ﷺ: "إن من الشعر لحكمة" (رواه أبي داود عن أبيّ بن كعب)، فإن أولادنا بضع منا لا ينزل أحد منزلتهم كائناً من كان، ولو كان الوالدين، ولهذا ذكّر الله سبحانه الأبناء بمنزلة الوالدين، وأوصاهم بمصاحبتهما معروفاً، ولم يوص الوالدين بالأبناء لأن ذلك مما جبلت عليه فطرهم واستقرّ في قلوبهم، لا حاجة للتذكير به أو الحضّ عليه.

والحب أصناف تتميز بتميز طرفيه، فحب الرجل لزوجه غير حبّ الرجل لأبويه، وكلاهما يختلف عن حبه لأبنائه، وحب الآباء للأبناء حبٌّ خاص مميز لا مثيل له. فالمرء لا يتمنى أن يكون على الأرض أفضل منه علماً وأكثر منه مالاً وأعلى منه قدراً إلا وليده، فلذة كبده. وهو حب ينعم به الآباء حينا ويشقون به أحياناً. يفرح الابن بنجاح فيفرح الأب لفرحه، إذ إن فوزه فوزه ورفعته رفعته، ويعترى الابن ألماً، فتتداعي الآلام على الأب أضعافاً مضاعفة، فهو إن فرح لفرحه مرة، ألم لألمه مرات ومرات. ثم هو لا يستطيع إلى درء ذلك سبيلا ولا يقدر على أن يتحوّل عنه تحويلا، وها هو نبي الله يعقوب عليه السلام يبكي على ابنه يوسف عليه السلام حتى يفقد البصر، فسبحان من جعل هذا الحب مصدرا للنعيم تارة وللشقاء تارات.

ثم إن أفضل ما يتمنى المرء أن يبلغ من منزلة أن يكون أكثر قرباً لله وأطوع له. ومن هنا نرى ذلك الخطأ الذي يقع فيه الكثير من الآباء، الذين يقصّرون في حقّ حبهم لأبنائهم حين يُقصِرون هذا الحب على توجيه الأبناء للتميّز في الدنيا، والسعي وراء المال والمنصب، دون أن يكون للنصيحة بطاعة الله والالتزام بشرعه مكان في هذا التوجيه.

من هنا ندرك مكانة تلك الوصايا العظيمة التي وردت في الذكر الحكيم على لسان لقمان عليه السلام وهو يعظ ابنه ويوجهه بأفضل ما ورد على لسان أب لابنه.
وحريّ بكل أب مسلم أن يترسّم خطى لقمان عليه السلام فيما نصح به ابنه ليضمن له الرفعة في الدنيا والفوز في الآخرة.

وسنقف سوياً، في الحلقات التالية، في ظلال هذه الآيات الحكيمة التي تجسد كلّ ما يأمل أب أن يراه في ابنه الذي يعظه بكل ما في قلب الأب من رحمة بابنه، عظات أصبحت، بتضمينها في كتاب الله، موجهاً عاماً للآباء في تربية أبنائهم وحملهم على الجادّة في كل زمان ومكان.

"وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير (١٤) وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٥) يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير (١٦) يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور (١٧) ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور (١٨) واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير (١٩)" سورة لقمان

٢) يا بني لا تشرك بالله

"وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) "

هكذا بدأت وصايا لقمان لابنه بأوجب ما يجب على المرء أن ينشأ عليه وليده، عدم الشرك بالله، ويحمل هذا التوجيه الأبوى غاية ما يتمنى امرئ أن يرى ولده آخذا به بقوة. ونلحظ أنّ لقمان لم يقل لابنه "يا بنيّ وحدّ الله"، رغم قرب ما بينهما للعين غير المتفحّصة، ولكن التعبير القرآني لا يضع كلمة في موضع إلا ولا يمكن لغيرها أداء معناها والقيام بدورها في هذا الموضع. فإن توحيد الله قد يصحبه شرك به كما قال تعالى " وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون" يوسف [١٠٦]. بل نجد إن هذه الدعوة هي مقتضى الطاعة والعبادة التي جاء بها كافة أنبياء الله فيما قالوا لقومهم أن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا. والشرك أمر خاف على الكثير من الناس خاصة

في هذه الأزمنة التي اختلطت فيها معاني الحروف والكلمات، وضعف فيها اللسان العربيّ مما أخلّ بفهم الناس عن الله ورسوله، وتخفى الشرك تحت أسماء وأشكال تلاعب بها المغرضون ليوهموا الناس بأنها ليست من الشرك في شيء، فاللادينية تخفّت باسم العلمانية، والحكم بغير ما أنزل الله إنشاءً وتشريعاً تخفّى وراء "القانون الوضعي" بل وتلاعب به المغرضون من أصحاب الهوى والبدع من منتسبي الإسلام فجعلوه معصية بمنزلة شرب الدخان! وزيّن بعض شياطين الإنس من علماء السلاطين ومشايخهم أمر هذه الأحزاب السياسية والتكتلات الوطنية الناشئة عن وشيجة غير وشيجة الإيمان وعرى الإسلام من ناحية، وتغاضوا عن قتل الدعاة من المسلمين والآمرين بالمعروف منهم في كافة أنحاء أرض المسلمين من ناحية أخرى، مخالفة لقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" آل عمران (٢١).

إن عبادة الله سبحانه وعدم الشرك به هي مدلول "لا إله إلا الله" إذ هي نفي للألوهية عن غير الله سبحانه وإثباتها له وحده دون غيره. والإقرار بألوهية الله هي ما ينبني على الإقرار بربوبيته سبحانه فمن خلق ورزق، من له الأسماء الحسنى الصفات العلى هو من يعبد ويطاع دون غيره " أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ" الأعراف ٥٤، ومجرد الإقرار بالأسماء الحسنى والصفات العلى لا ينفى الشرك عن المرء ولا يدخله في الإسلام، كيف وقد قال تعالى على لسان كفار قريش "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ" آل عمران ٦١ ، فالإقرار بالربوبية ليس بالضرورة إقراراً بالألوهية، وليس بالضرورة إقراراً بالطاعة والالتزام.

ثمّ أيّ ظلم وإثم وشرك أن يُطاع من لم يَخلُق، وأن يُخالفُ أمر من خَلَقَ تشريعاً ووضعاً وحكماً في دماء الناس وأبضاعهم وأموالهم. نعم، إن الشرك لظلم عظيم، ظلم كفر وردّة ورجوع عن الإسلام وانتكاس عن التوحيد.

وهكذا اختلطت المعايير والمفاهيم وتداخلت المعاني والمباني وتبنت السلطة المفهوم الإرجائي الأشعريّ في فصل الإيمان عن العمل أولا، ثم في إنزال التشريع بغير ما أنزل الله عن درجة التوحيد ثانياً وإنكار أنه أعلى صور الطاعة لله وأن العبادات إنما هي فرع من الالتزام بهذه الطاعة.

حقٌّ على كلِ والد أن يعرف واجب الأبوة كاملاً، وأن يدعو فلذات كبده إلى الاحتراز من الشرك وأنّ يبين لهم حقّ التوحيد والطاعة لله سبحانه، وأن يجنبهم الظلم في أبشع صوره وأخسسها.

٣) أن اشكر لي ولوالديك

"وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا (١٥)"

حين تأتي ساعة الميلاد، والأم المرهقة العانية من حَمل ثقلها وهناً على وهنٍ وضعفاً على ضعف، ينزف عرَقها على جبينها من الإرهاق المكدّ وتتقلص ملامحها من الألم المُمِضّ، والأب الوجل المتوتر لا يعرف ما يفعل، بل يتحرك من حولها موهماً نفسه أنه في شغلٍ وهو عن كلّ شيئ حوله في شغلٍ بالوليد المرتقب! والقوم يقفون من حولهما يترقبون لا يكادون يحيرون، يصنع الله سبحانه المعجزة المتكررة، ويخرج الوليد الجديد بصرخة كأنه قد فزع من لقاء الدنيا، ويبزغ في حياة الوالدين أمل جديد صنعته لهم يد العناية الإلهية فتنة ونعمة.

وتستمر بالوالدين ملحمة الألم والأمل، سنتان للفصال، هما أيسرها عليهم، ثم يأتي دور التنشئة والتربية والتوجيه. قصة كفاح مدادها السهر والأرق الذي لا يكاد ينتهي. ما من مرض يصيب الولد إلاّ ويمرض له الوالدان، ما من اختبار يجتازه الولد إلاّ ويجتازه الوالدان قبله، القلق من صديق جديد، من رحلة تأخذه بعيدا عن البيت، من مكالمة تليفونية غير مبررة. ثم يأتي حين الزواج، واختيار العريس أو العروس، ثم همّ متابعة الزواج في مراحله الأولى، حيث يكون يمرّ الزواج بأصعب مراحله، ثم الأحفاد وما أدراك ما الأحفاد... وفي كلّ هذا ينسى الوالدان حق نفسيهما، وينشغلا كلّ الشغل بحق أولادهم، ومهما تجنى الأبناء، ومهما أخطئوا وكلّفوا الآباء من مشقة مالية ونفسية وجسدية، لا يتغير حبهم ولا يتبل ولا ينقص مقدار ذرة، وإن غضبا فإنما هو غضب الرحمة والشفقة لا غضب الحنق والشدة، وصدق الشاعر

فقسا لِيزدجروا ومن يكُ رَاحماً ***** فليقسُ أحيانا على من يرحمِ

لذا، فإن الله سبحانه لم يسجل كلمات لقمان في هذا الشأن، بل جاءت الوصيّة منه سبحانه لبني آدم، برعاية الوالدين وخفض جناح الذلّ لهما ما عاشا، والترحم عليهما والدعاء لهما إن غادرا إلى الدار الآخرة، فهذا أقل حقهما عليهم.

والله سبحانه قد قدّم الشكر له سبحانه بعد ذكر الوصية بالوالدين قبل أمر الشكر لهما لأن الفضل الأول له سبحانه أن هيئ للولد من يرعاه صغيراً ويشفق عليه كبيراً، فهو سبحانه مصدر هذه النعمة ومبدؤها، فكان الشكر له سبحانه مقدم على الشكر للوالدين. ولكن قرن شكرهما بشكره يجعل هذا الواجب آكد الواجبات وأكثرها فرضية في حياة المرء، فكما أن الله سبحانه يرعى الناس ويربيهم بالنعم فوجب شكره ابتداءً، فالوالدان يرعيان الأبناء ويربيانهم، فوجب شكرهم ثانية.

ولا يقف الشكر عند حدّ فيما يتعلق بحق الوالدين في الدنيا، مهما كانت احتياجاتهما، ومهما سبّب ذلك للأبناء من تعب وجهد، إلا أن يكون ذلك الذي يدعون اليه هو إغماط حق الله سبحانه الذي يستحق الشكر ابتداء لحساب من يستحق الشكر ثانية، فلا يجب في هذا طاعة مخلوق وان كان الأبوين. إلا أن ذلك لا يمنع من حفظ حقهما في الدنيا ومصاحبتهما بالمعروف لحقهما الثابت على الأبناء وان كانا من المشركين الضالين، فهذا لا يمنع من حفظ هذا الحق الذي لا يسقط بكفر أو شرك. والله لا يظلم مثقال ذرة، ولا يحب لعباده أن يظلموا من أحسن اليهم، ومن مثل الأبوين في الإحسان، ثم يبقى أمر الإيمان والكفر إلى الله سبحانه، الذي ختم هذه الوصية بقوله: "ثم إلى مرجعكم" فالمرجع اليه في أمر الإيمان والكفر ولكن الإحسان إلى الوالدين واجب لا يسقط مهما كان السبب، فما أعدل الإسلام وأقوم تعاليمه وأهداها إلى الحق والنصفة.

٤) عالمُ الغيب والشهادة

"يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي

الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(١٦)"

ولقمان لم يُوجّه في هذه الآية الكريمة وصية مباشرة لإبنه، وانما أدى اليه خبراً، وأيّ خبر! خبر مكنونات الظاهر والباطن، وقائع الغيب والشهادة، التي هي، عند الله سبحانه، كلها من المشهود المعلوم. فالإنسان يصور له غروره أنه قد يكتم سراً أو يخفي حقاً أو يواري سيئة ثم ينجو من عواقب ما أخفى وكتم. هكذا يصوّر للإنسان غرُوره وغرُوره. ولكن الحق أنه لا شيئ على وجه الأرض يذهب سدى، لا شيء على الإطلاق، لا قول ولا فعل ولا خطرة ولا فكرة، ولا همّ ولا حرث.. كلها في كتاب، مهما دقّت عن السمع ومهما خفيت عن العين، حتى لو كانت في حجم حبة الخردل، وحتى لو كانت هذه الحبة من الخردل مخبوءة في صخرة من الحفريات أو دائرة في فلك من أفلاك المجرات، أو في باطن الأرض دفينة بين الطبقات، ولو كانت همسة عقلٍ سارح، أو خفقة قلب سائح، أو فلتة لسان جامح، فهي مكشوفة معروفة لا تغيب عن عالم الغيب والشهادة، يأت بها شاهدة على صاحبها إما له أو عليه، يوم يقوم الحساب. فالله سبحانه لطيف لما يشاء، يدع الأمور وكأنها، كما يهيئ للإنسان غرُوره وغرُوره، تجرى على ما يريد، ولكنّ الله خبير، عنده كامل الخبر إلى أدق تفاصيله. فليحذر الإنسان وليعلم أن عمله محسوب عليه كما أنّ أنفاسه معدودة عليه، وأن سعيه، مطلق سعيه، في الحياة الدنيا لا يضيع.

وما أراد لقمان هو أن يوصي ابنه بألا يجعل للشيطان سبيلا إلى عقله، يهيئ له أنّ خبيئة أمره ستظل خبيئة وأنه سينجو من شرّ فعله وينجو بلا عقاب، أو أنّ ما يفعل من خير سيذهب هباءً لا يستفيد منه ولا يعود عليه بثواب. هذه أوهام من لا يعرف اللطيف الخبير " سواء منكم من أسر القول ومن جهر به، ومن هو مستخف بالليل أو سارب بالنهار" الرعد ١٠. والمؤمن يعرف أن الله سبحانه مطّلع على الأحوال والضمائر والقلوب، وعلى خائنات الأعين وما تخفي الصدور، وما تقترف اليد وما تسعى له الأقدام، لا يمنع علمه ظلام مجدول ولا حجاب مسدول، فهو في حيطة من أمره، يتخفى في فعل الخير ليتجنب الرياء، ولا يقرب ما يحتاج أن يتخفى به من فعل الشرّ، وهو في الحالين يعلم أن الله يراه من حيث لا يراه.

٥) واصبر على ما أصابك

"يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)"

وفي هذه السلسلة من التوجيهات النبوية، يأتي لقمان عليه السلام إلى تصوير الحياة كما هي كائنة وتوجيهها كما ينبغي أن تكون. فالأمر بإقامة الصلاة هو، كما هو ديدن النهج القرآني، أمرٌ بإقامة الشرع لا مجرد الصلاة، فالصلاة مظهر أصليّ في تحكيم الشرع، وقد كان رسول الله ﷺ يأمر بأن يتحسس الصحابة عن الآذان قبل أن يغيروا على أهل المحلة، فإن سمعوا الآذان أمسكوا عن الإغارة. ولا شك أن رسول الله ﷺ لم يكن ليرضى بمجرد إقامة الصلاة مع تضييع بقية الأحكام التي جاء بها، وانما هي مجرد دلالة على الالتزام بالإسلام إلى أن يثبت خلافه، كما فعل الصدّيق رضي الله عنه من حرب تاركي الزكاة وإن كانوا لا يزالون على الصلاة. فلقمان عليه السلام يوجّه إبنه، كما ينبغي على كلّ أب أن يوجه أبناء الجيل التالي أن يلتزموا بالإسلام قولاً وعملاً، عقيدة وشريعة، تصديقاً والتزاما.

ثم يخصّ لقمان عليه السلام بالذكر إحدى الشرائع الإلهية التي بها تحيا الأمم وتنصلح أحوالها ويعلو صالحها ويزهق باطلها، ألا وهي شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي تتصاعد درجاتها حتى مقام الجهاد في سبيل الله. وهذا الواجب الشرعيّ الدعويّ الاجتماعي لا يصح أن يتركه مسلم يؤمن بالله وبصلاحية شرعه لكل زمان ومكان، بل إنه من الضرورات التي جاءت بها كافة الشرائع وتواطأت على العمل بها كافة الأمم، فالمسلمون ليسوا بدعاً في ذلك، بل هو واجب لا تحيا بغير إقامته الأمم كافة، والفرق بين المسلمين وغيرهم في إعمال هذا المبدأ ينحصر في أمرين، أن المسلمين جادون في العمل به إذ هو جزء من شرعهم الإلهي، ثم إنهم على علم يقينيّ بما هو معروف فينكروه وما هو منكر فيغيّروه، وغيرهم يختلط عندهم بعض صور المعروف ببعض صور المنكر، فلا تستقيم لهم الحياة كما ينبغي لها أن تكون، وما ذلك إلا لأنّ معروفهم ومنكرهم إنما هما محض ما تعارفوا عليه وضعاً وما دلّتهم عليه العقول دون هداية إلهية، ومن له أن يعرف المعروف بإطلاق والمنكر بإطلاق دون تلك العناية الإلهية التي تعرف ما يترتب على كليهما في المدى القريب والبعيد.

ولا يفوتنا هنا أن نلحظ التلازم بين الأمر بالمعروف وبين النهي عن المنكر، ففريضة الأمر بالمعروف لا تتم دون فريضة النهي عن المنكر، وبيان الحق وتزكية أهله لا يغنى إلا ببيان الباطل وفضح أهله، وأولئك "الطيبين" من المسلمين الذين يعتقدون أنه من "الورع" عدم الحديث عن الباطل والبدعة وفضح أهلهما إنما هم يفرقون ما جمع الله سبحانه، ويقطعون ما وصل، فهي غفلة عن السنن الإلهية كما أنها تضييع للمصلحة المترتبة على إقامتها.

ثم إنّه من حق الرعاية أن يحذّر لقمان عليه السلام من جرّاء الالتزام بهذا التوجيه الرباني، إذ إن إقامة هذا الواجب الشرعي حق الإقامة لا ينشأ عنه إلا الأذى للداعية فأعداء المعروف كثيرون، وأصحاب المنكر كثيرون، والأذى لا بد واقع للدعاة إلى المعروف، النهاة عن المنكر، لذلك ذكر الله الصبر على الأذى دون ذكره إذ هو واقع محتوم لا مفرّ منه، والصبر عليه هو الواجب الشرعيّ لا تلافيه أو عدم الدخول ابتداءً فيما يؤدى اليه،، والا فهو الرضى بالمنكر والبعد عن المعروف.
وفضيلة الصبر على الأذى واحتمال المصيبة في الله، هى ما تكون بعد الفتنة وأن يتمرس المسلم بالصلاة وما تبنى في النفس من الاطمئنان بالله، ثم أن يعرف المعروف ويمارسه فيحبه فيتمناه للناس فيدعو اليه الخلق بكرة وعشياً، وأن يعرف المنكر ويكرهه فيتجنبه ويتمنى أن يتجنبه الناس فيحذرهم منه بكرة وعشياً، ثم إن تمّ له ذلك، وقف الشر في كلّ طريق واعترضه الباطل في كل خطوة، فوقع له البلاء والامتحان والفتنة، فطُلب منه الصبر وهو قمة ما يصل اليه المسلم إذ هو من عزائم الأمور التي لا يصبر عليها إلا الخاصة من أولى العزم، وهنيئا لهم ما سيلقّونه من ثواب.



اللسان العربي والمنهج العلمي ..

صرعى الحاضر !

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

أتاحت لي الأيام القليلة الماضية، التي أمضيتُها متحللاً من عبء النت، متخففاً من متطلباته، التي لا تكاد تنتهي، أن أقرأ كتاباً، كانت نفسي تنازعني لقراءته منذ سنوات. وكنت كلما عقدت العزم على أن أبدأ فيه، منعني منه عنوانه "المخيف"، فأتردد ثم أحجم، وأقرر إرجاء قراءته إلى أن تسنح لي فرصة أفضل!

وكان أن أنهيت الكتاب، وعرفت كثيراً مما غاب عنى زمناً، ووددت لو تمتعت بقراءته منذ دهر طويل. وهذا الكتاب الذي أعنيه هو "نمط صعبٌ .. ونمطٌ مخيف" لعملاق اللسان العربي في عصرنا هذا، وأحد قممه السامقة في كل العصور، أبي فهر محمود محمد شاكر، رحمه الله تعالى.

وقبل أن أشرع في بيان عما قصدت إلى الحديث عنه في الكتاب، أود أن أقول كلمة، لابد منها، على ما فيها يأس متملك، وحزن مستغرِق.

ما الذي جرى للسان العربيّ، الذي نزلت به معجزة الإسلام الخالدة، القرآن؟ ما الذي أودى بالناس إلى ظلمات الجهل بلسانهم، لا لحناً أو ترخّصا، بل انحرافاً واستقلالاً عنه تمام الاستقلال، فلا هو من لساننا في شيء، ولسنا من منطِقه في شئ؟

ما الذي اغتال لغتنا العربية، وذبحها بسكين العامية الساقطة، حتى عيي الناس عن التعبير الصحيح، فصاروا هم والبكم سواء؟ ما هذه الهوة الساحقة التي شُقَّت بيننا وبين لساننا، حتى أنكرناه أشد الإنكار، بل وتبارينا في إنكاره بتبني ألسنة ساقطة، غريبة عنا، ليست منا ولا نحن منها؟ فتركتنا كموتى اللسان، ليس فيه حياة تُعتبر،

وتركنا كما قال ذي الرمة[١]

حيّ الشَهيق، ميّتُ الأوصال!

لكن، ما علينا، فهذا قدرُنا، وقدر أجيال سبقتنا، وأجيالٍ ستلحق بنا، يعلم الله كيف سيكون حديثها بعضها مع بعض، وعلى أيّ قدرٍ من التدني سيكون تواصلها، وأي معين ناضب سيغصبون منه قطرات لا تعينهم إلاّ على حمل أدنى المعاني الضرورية الحيوانية يتبادلونها بمشقة وعسر.

أما عن كتّاب عملاقنا، فقد عرفت سرّ عنوانه الغريب، في بعض صفحات من مقاله الأول، وهو منتزعٌ من وصف للبكريّ في شرحه للقصيدة، حيث وصف بحرها "المديد" بأنه "نمطٌ صعب". وأما "نمطٌ مخيف" فعنى به ما قاله يحي حقي في حقّ ترجمة جوته للقصيدة وإعادة ترتيبها، فزاد في المدح، وكأن أحداً من أهل اللسان العربيّ الأصيل لا يصل إلى سامق ما قدمه جوته! ثم أظنه عنى بالمفردتين استخدام الشاعر بحر "المديد الأول"على ما في هذا البحر من صعوبة، جعلته نادر الاستعمال في شعر الجاهليين والإسلاميين جميعا، مع ما فيه من وَقْعٍ متراحب ونغم متجاذب، فتجد الألفاظ مرصوفة فيه رصفاً متأنقاً يسرع بك حينا، ويتئدُ حينا آخر، لكن لا يقدر عليه إلا الأفذاذ.

ويشرح عملاقنا سبب صعوبة هذا البحر، واستعصائه على الكثير من الشعراء، حتى وصفه البعض "بالنمط الصعب"، والذي تلجأه إليه تفعيلاته، "فيبدأ بأناة وبطء، لتتابع سببين[٢] خفيفين، ثم إلى سعيّ وعجلة بعمل الوتد[٣] ، ثم البطء والأناة مرة أخرى،

[١] نمط صعب ونمط مخيف محمود شاكر ص ٢٠٤

[٢] السبب الخفيف في العروض هو وقوع حرفٌ متحرك يتبعه ساكن، بصيغة (١٠) مثل حرف مِن أو عَنْ أو لَنْ، متحرك فساكن.

[٣] الوتد إما مجموع وهو ثلاثة أحرف متحركان وساكن (٠١١) مثل عَلَىَ و إِلِى، ووتد مفروق وهو

ثم يسرع به الترفيل[١] ، ثم يدخل في الأناة والبطء، ثم السعي والعجلة، ثم يكف عنه الوتد، ثم يدخل في بطء وأناة، وتردد وإحجام وانبعاث... وهذا الذي حاولت أن أصفه بالعبارة، يُفشي في نغم المديد، قلقا وحيرة، وبسطاً وقبضاً، تتابع كلها في خلاله دراكا، فتشدّ إليها المتغنِّي به المترنم، وتكبح من غلوائه، كلما أوشك أن يُسرع أو يسترسل حتى يُذعن ويتّئد"[٢]

والقصيدة مطلعها

إنَّ بالشّعْبِ الذي دون سَلْعٍ لَقَتِيلاً، دَمُهُ لا يُطَلُّ[٣]

ثلاثة أحرف أحدها ساكن بين متحركين، (١٠١) مثل أَيْنَ أو كَيْفِ. والأسباب والأوتاد هي أجزاء التفاعيل التي يقوم عليها بيت الشعر، والمقصود بها ضبط ميزان النغم.

[١] الترفيل، وهو من علل الزيادة، هو زيادة سبب خفيف على وتد مجموع، وسنقدم بيتاً أبسط في الإبانة عن تقطيعات بحر المديد،

فاعلاتن فاعْلُن فاعلاتن فاعلاتن فاعْلُن فاعلاتن

وفاعلاتن هي ترفيلٌ أصله على وزن فاعلن، فزيد عليها سبب خفيف، وهو متحرك يتبعه ساكن، فيصبح فاعل "ات" ن، فالسبب الخفيف هو "اَتْ" حرف متحرك يتبعه ساكن، فحولها من فاعلن إلى فاعلاتن. وحيث أن الأبيات الأربعة الأولى من قصيدة ابن اخت تأبط شراً، وإن مانت من المديد، إلا إنها احتوت على ما يُسمى "الزُحاف" ومن ألوانه "الخبْن" وهو حذف الساكن الثاني، فسيكون تطبيقه صعباً على القارئ، فنتخذ مثالاً من البيت التالي:

يا لبكرٍ انشروا لي كليباً يا لبكرٍ أين أين الفرارُ؟

وتقطيعاته كالتالي

يالبكرن / انشروا / لي كليبن يالبكرن / أَيْنَ أَيْ / نلفرارو

فتلاحظ ما ذكرنا من أنّ "يالبكرن" هي "فاعلاتن" وهي مرفّله، ثم "انْش روا" هي "فاعلن" فهي وتد محموع تبعه سبب خفيف "رُو". ومثله الشطر الثاني.

[٢] ص ١١٢

[٣] سَلْع: ناحية قفراء مات فيها تأبط شراً، ويُطَلُّ، يترك هدراً لا ثمن له.

وكان ما استفز عملاقنا للكتابة في شرح هذه القصيدة، هو ما كتبه يحي حقي الأديب البارع وقتها في تقريظ ترجمة "جوتة" للقصيدة، كما ذكرنا، ومحاولته إعادة ترتيب أبياتها، فجاء بما لم يرضه عملاقنا للعربية وللسان العرب، ولا لابن أخت تأبط شرّاً، كاتب القصيدة!

وحتى يبيّن عملاقنا، كيف يجب أن تُفهم القصيدة التي اختار أن ينسبها لإبن أخت "تأبط شراً"، لا لتأبط شراً نفسه، كما فعل كثير من شرّاح الشعر ونقاده، كأبي تمام والجوهري، أو من ذكر تلك النسبة بلغة تمريض، كالجاحظ والمعري، أقول، حتى يبيّن عملاقنا، كيف يجب أن تُفهم القصيدة، كان لابد له من أمرين، أحسن فيهما أشد الإحسان وبرع فيهما أشد البراعة، أولهما شرحه لمبادئ علم "العروض"، ودوائر الخليل الخمس وبحوره الخمسة عشر، موضحاً، كيف تكتب تفعيلات تلك البحور، وأين يقع منها "السبب" "والوتد" و"الجزء"، وأوضح ببيان ساحرٍ أنواع كلّ منها، وتركيب البحور من اختلاف أوضاع أسبابها مع أوتادها، ونسبة بعضها إلى بعض[١]
.

والعجيب، الذي سترتفع له حواجب الصغار من أبناء جيلنا، كيف بنى الخليل بن أحمد الفراهيديّ، واضع هذا العلم، وصنّف أسبابه وأوتاده، على لغة رياضية كلغة الحاسوب، الصفر والواحد Binary system، أي ٠٠، أو ١٠، أو ١٠٠، أو ٠١٠، وهكذا! وهو بناء علم العروض كله، وموقع بحور الشعر منه. ثم صبّ حسبه كل شعر الجاهلية وصدر الإسلام، أو غالبهما، فلم يفلت منه شيئا، ولم ينبُ عن عروضه منها شئ! فياله من رجل، هذا الخليل بن أحمد، أي عقل وأيّ عبقرية؟ كما تعجّب عملاقنا من ذاك الفذّ.

---

[١] وذلك في مقاله الأول، إلا أنه لم يتوسع في الحديث عن هذا العلم، حيث إنه ليس الغرض من الكتاب. فراجع "العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي، ج ٥ ص ٤١٨، طبعة دار الكتاب العربيّ، بيروت، بضبط وشرح ابراهين الإبياري.

ولست بصدد الحديث عن علم العروض كما شرحه عملاقنا، أو كما هو مشروح في العقد الفريد أو غيره، فهو كله مثبتٌ متاح للقارئ هناك، ثم إني لست بأهل لأن استقل بالحديث فيه. لكن أردتُ أن أنوه بأن هذا العلم، مع غالب علوم اللسان، قد اضمحلت واندثرت في عقول أجيالنا بشكلٍ تام، حتى أصبحوا ينظرون فيها، إن نظروا بطريق الخطأ، لا بقصد النظر طبعاً! وكأنهم ينظرون في كتب مدونة بلغة سريانية أو هيروغليفية!، لغة مبتوتة الصلة بلسانهم الأصيل الذي كان من الواجب أن يلهجوا في حديثهم به، فإذا بهم يلهجون بوعورته وتأبّيه على لسانهم الغريب، بل ويمتعضون منه، وممن يدفعهم للنظر فيه، بل ويتهمونه بالعجز والقصور وعدم مسايرة العصر! وتالله إن هذا لظلمٌ عظيم، ظلموا به أنفسهم، قبل أن يظلموا به لسان العرب.

ثم الأمر الثاني الذي يهمني هنا، في حديثي عن هذا الكتّاب، هو ذلك "المنهج" الذي وضعه عملاقنا، للنظر في الشعر بعامة، والشعر الجاهليّ وصدر الإسلام خاصة. وجاء اهتمامي هذا لأجل أمرين:

أولهما، بيان أن لكل علم منهج، لا يصلح أن يقوم بناؤه، وأن تُشيّد أركانه دون اتباع منهجه، والسير على خطواته، بلا انحراف أو تقصير. والتزام الدارس بالمنهج، معيار نجاحه في الوصول إلى مبتغاه، وقدر إخلاله به، قدر بعده عن الوصول لما قصد اليه، بل إلى تشويه العلم الذي يدّعي البراعة أو التجديد فيه.

فالنظر في الشريعة له منهج يسير عليه المُستدلّ، كي يضبط فكره فلا يأتي بزلات تلقي به، وبمن يقرأ له، في ظلمات البدعة أو الكفر والعياذ بالله تعالى. وهو ما حاولت تقديمه، ما استطعت، وما وفقني فيه ربي، وأن أضع له أساساً جامعاً في بحثي الأخير عن "منهج النظر والاستدلال عند أهل السنة والجماعة".

ثم النظر في العلوم عامة، فإن لكل علم منهجاً يسير عليه باحثه، بل لأساس العلوم

كلها منهجا، هو، بالنسبة للغرب ما وضعه ديكارت في "مقال في المنهج"، ثم ما أضافه من جاء بعده.

لكن، ما شحذ نفسي، في أثناء مطالعتي لكتّاب عملاقنا، هو المنهج الذي وضعه لدارس شعر الجاهليّة وصدر الإسلام، وقُرْبه، في طريقته التي اختطها، لما في منهج النظر في الشريعة.

وبيان تلك الجملة، أن النظر في الشريعة يرجع إلى أمرين، كما ذكرنا في بحثنا نقلاً عن الشاطبي وغيره، أولهما العلم بمقاصد الشريعة، والعلم باللسان العربي، في مفردات ألفاظه وتراكيبها، وحسب ما كان أهل الجاهلية الأعراب يستخدمونه في بيئتهم.

ثم أرجعنا النظر إلى أمور ثلاثة، الفطرة والعقل والقواعد الشرعية.

فإذا نظرنا إلى المنهج الذي وضعه عملاقنا للنظر في الشعر العربي[١] ، وجدناه قد أجمله في أربعة مناحٍ، تجتمع على أمرين:

أولهما التذوق للشعر، وهو حاسة فطرية، تولد مع مولد المرء، ولا تنشأ فيه بعد ولادته، وإن كان هناك مجال للتحسين والارتقاء. والتذوق هو رؤية النفس للنغم والترنيم الذي تتراقص عليه أبيات الشعر، ويناسب حالها حزناً وفرحاً، رضاً وغضباً، مؤالفة ومخالفة، غراماً وانتقاماً، على أيّ من تقلب حالات النفس التي ترى ذلك التناغم، كما ترى العين مشاهدها، وكما تسمع الأذن رناتها .

ذلك التذوق هو حس الفطرة الذي إن فُقد أو فسد، كان الشعر له كأخبار الصحف، يقرأُه فلا يعرف فيه إلا كلمات متراصة، لا تمسّ فيه شعوراً ولا تثير لوعة، ولا تهز وجداناً. ولعل إسم "الشعر"، ومقاربته لاسم "الشعور" فيه بعض ما

[١] السابق ص ١٢١

قصدت إليه، دون تطويل.

وثانيهما، هو تلك البيئة النفسية والاجتماعية والمرحلة العقلية، التي كان يعيشها العرب في جاهليتهم، والتي، وإن تبدّلت بعد الاسلام ولا شك، إلا أن الكثير من عوائدها وعمل بيئتها، كانت لا تزال حية بينهم، وهم أحياء بينها. فكان فهم تلك البيئة وعقليتها وعاداتها، وقواعدها التي اختطها لنفسها، قبل ورود الشرع، هو ما ينبت منه شعر الشاعر، في قبيلته أو في قومه وأهله، واصفاً لحدث يمر به حينها، فينسج صورته نغماً، يحمّله ما ناسب الحدث من عادات قومه ومنازع فكرهم، وطبائع بيئتهم. وكلما ارتفع فيك الحس والفهم، فإنك تكاد ترى القوم في مضاربهم، وعلى خيلهم، يُغيرون ويأسرون، ثم يفتخرون أو يتهاجون، أو يُفجعون فينتقمون، كما هو الحال في قصيدة ابن أخت تأبط شراً، الذي كتبها، لوعة على قتل هذيلٍ لخاله، ثم عزمه على الانتقام من هزيلٍ، والأخذ بثأر خاله، ثم إعداده لذلك مع بعض رفقته ممن تحملهم الشهامة على الموت في سبيلها، ثم الثأر ومشهد القوم صرعى، ثم شفاء النفس، والعودة إلى مضاربه في بني فهْم، بعد أن احتسى قدحا من الخمر التي حرّمها على نفسه حتى لا تثنيه عن الأخذ بثأر خاله، فإذا بالقدح هذا يكاد يحييه بعد مشقة بالغة، فيواصل السير إلى مضاربه.

يقول عملاقنا في كلمات عن منهجه "فإذا جاء الأمر إلى الشعر الجاهلي، فإن تمثل القصيدة لا يقتصر على مجرد معرفتنا بالألفاظ وبمعانيها، كما جاءت في كتب اللغة، بل توسُّم ما لحقها من الاسباغ والتعرية[١] ، وإلى أسلوب كلّ شاعرٍ منهم في احتياله على الإبانة الموجزة عن غوامض نفسه، وعلى الوشائج التي تخلل الألفاظ مُركّبة في جملتها عن قصدٍ وعمدٍ وإرادة، ثم إلى ضروب من المعرفة بأحوال العرب في جاهليتها، وما كانت تأخذ وما كانت تدع من المعاني، وما كانت تألف مما يحيط بها في حياتها، في البادية وفي الحواضر، وبجمهرة الأساليب المختلفة التي يسلكها الشعراء

[١] الاسباغ والتعرية هما من فنون التصرف في تراكيب البيت الشعريّ.

في بناء القصيدة لبنةً لبنة، حتى يستوى بناءً قائماً منضّداً"[١] . فانظر قرب هذا من منهج النظر في الشريعة من ناحية لغتها ومعرفة بيئة أهلها الذين استقبلوها أولاً.

أفينكرُ عليّ منكرٌ أن تغشاني سحابة يأس وحَزَن، تهطل أمطارها دمعاً على لسان العرب، الذي فُجعنا فيه، بلا عزاء من أحد! ثم على مناهجنا التي غابت عنا، في كلّ علم وأدب، حتى صرنا كمن يبحر في محيط هادرٍ بلا بوْصلة، ولا شراع؟

ثم المعذرة عن الإطالة، فإنها لم تأت عن عمد منى، لكن فرضتها جدية الموضوع وخطورة فحواه.

والله المستعان

د طارق عبد الحليم

٥ يوليو ٢٠١٩ – ٢ ذو القعدة ١٤٤٠

[١] السابق ص ١٣٣

إحياء اللغة العربية

اللغة العربية الفصحى هي – فيما أرى – الجامع الأول الذي ينتظم به عِقد هذه الأمة من خليجها إلى محيطها، وهي العامل الأول في تركيبة الهوية العربية التي لا تقوم الأمة بدونها. فبهذه اللغة، ومن خلالها، يفكر الناس – خاصتهم وعامتهم. ويتشبع تراثها المحفوظ بقيَمِها ومُثلها، وتجرى في تعابيرها ومفرداتها أخلاق أبنائها ومبادئها.

والعربية في هذا ليست كأية لغة من اللغات التي تجرى على ألسن الناس شرقاً وغرباً، فسائر اللغات، إلا ما ندر منها كالألمانية، تعتمد على ترجمة الصوت الصادر من الفم لإيصال المعنى إلى العقل، دون أن يكون هناك اشتقاقاً أصيلا للكلمة تصحبه أينما توجهت، وفضل العربية في هذا لا يفتقر إلى بيان، وتفوقها لا ينكره عاقل.

ولست بذاكر لهذا الحديث عتباً على من يهاجمون العربية قولاً وفعلاً من العلمانيين والليبراليين والحداثيين، فهؤلاء عجزوا عن استيعاب العربية، وشحّ نصيبهم منها فلجأوا إلى العامية الدارجة عن عجز وقصور لا عن قصد وهدف، ولكن أذكره أسفاً على غياب ذلك النمط الراقي من الكتابة من صفحات مجلاتنا. اللغة التي باتت صحفنا تستخدمها في الكتابة لم تعد تحمل تلك الرشاقة الخلابة التي تشيع في النفس أنساً قبل أن تبث في العقل فهماً، ولم تعد تتصف الفاظها بالجزالة والقوة جميعاً. أصبحنا – فيما أقدّر – نفتقد الأسلوب الخاص الذي يُعرف به الكاتب ويتميز به بين سائر الكتّاب، إذ اشتبهت الأساليب لتكون أقرب ما تكون إلى أسلوب واحد، فيه جفاف الحقائق المجردة وعنف التدليل العقليّ وصرامة الإحصاءات والأرقام!

التواصل بين الكاتب وقرائه يمكن أن يكون تواصلاً عقلياً مجرداً، يقدم فيه الكاتب كمّاً من المعلومات دون أن يهتم بوسيلة أداء هذا الكم، أو أن يقدم ذات الأفكار والمعاني

في ثوب رشيق ولفظ متأنق وعبارة جزلة. ودور كتّابنا ومفكرينا من المناهضين للعلمانية والحداثة والليبرالية وما شئت من هذه المسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان، إحياء هذا التوجه، فإن القارئ لم يفقد اللسان العربي والحسّ الأدبيّ حتى فقده كتّابه ومفكروه.

حتى ما كنّا نراه من زوايا الأدب واللغة التي كانت جزءاً من صحفنا إلى عهد ليس بسحيق، لم يعد لها أثر. كنّا نقرأ أبيات شعر مختارة تصقل الحسّ وتثير العاطفة وتشغل العقل، وكنّا نقرأ نثراً تكاد كلماته تقفز من فوق الصحف تألقاً ونضارة، نقرأ أخباراً عن أيام العرب وعلم العرب وخلق العرب، مما تحمله كتب التراث الأدبيّ، فإذا كلّ هذا قد فُقد من صحفنا حتى تلك التي تتوجه توجهاً إسلامياً عربياً! فالفقه في الدين لا يتم إلا بفقه اللغة وإتقانها، وحسرة على ابنائنا الذين يصرّ آباؤهم على أن يتقنوا الإنجليزية ويتعلموا آدابها قبل العربية، بل دونها، كيف يقرؤون القرآن، بل كيف يفهمون الإسلام. وأروى رواية عن عمر بن الخطاب إذ كان يقرأ قول الله تعالى: "أو يأخُذهم على تخوّف"، سأل عمر جلسائه: وما التخوّف؟ قال أعرابي: التخوّف يا أمير المؤمنين هو التنقّص، ألم تسمع قول الشاعر:

تَخوّف الرّحلُ منها تامِكاً قَرِداً   كما تَخوّف عودُ النبعةِ السَفَنُ

(أي كما انتقص منه)، قال عمر: أيها الناس، احفظوا ديوان شعركم في جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم.

أقترح على صحفنا الحرة العربية أن تخصّص زوايا للأدب والشعر، فاللغة إذا فقدت ذهب معها القرآن، فذهب معه الفقه والإيمان، ولا حياة للأمة دون إحياء لغتها.

دراسة مقارنة في الشعر العربي .. القوس العذراء مثالاً

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وآله وصحبه ومن والاه، وبعد

القسم الأول

١) تمهيد

القوس العذراء، وما القوس العذراء؟ تلك التحفة البديعة التي أظهر فيها، مُبدِعُها العلامة الفرد الفذ الشيخ أبو فهر محمود محمد شاكر، عملاق لسان العرب، وصاحب المنهج المفرد في نقد الشعر وتحقيق أصوله، ونفض المنحول فيه من الصحيح، منهج "التذوق"، فإذا به يعبُر ببصيرة غيب القرون الفائتة، ليصل إلى عهد الشمّاخ بن ضرار الغطفانيّ، الشاعر الفحل والصحابي المخضرم، ليستخرج مما كتب قبل الإسلام، قطعة شعرية مرّ عليها عشراتٌ بل مئات، بل آلاف من القراء، لم يروا فيها، على اختلاف نظرهم وذوقهم الشعري، إلا قصيدة متينة البنيان، قوية المعنى، تصف ما جرت عادة القوم أن تصف في ذاك الزمان من أمر الأقواس والنبل والغاب وصيد الوحش، ليس إلا. فإذا بعملاقنا الفذّ، يرى فيها أضعاف ذلك النظر الساذج الظاهر، وإذا به يسبر أغوارها، ويهتك أسرارها، فيستخرج منها ما لم تره فيها أجيال من قبله.

وجد شاعرنا الفحل، أسرارا وأبعادا في تلك القصيدة التي بلغت أبياتها ستة وخمسون بيتا، منها سبعة عشر بيتا كانت هي موضع اهتمامه ومحط استلهامه، استولد منها مائتين وتسعين بيتا، فكشف ببليغ قلمه وثاقب فكره وصافي ذوقه كيف يرتبط ماضينا بحاضرنا ارتباط الوليد بأمه، لا نتصور كيف تعيش دونه، ولا يمكن للوليد أن يعيش دونها.

استخرج عملاقنا من تلك الأبيات، إذن، دروسا فلسفية، وعبراً أخلاقية، سنتحدث عنها بعد برهة، يلتقط القارئ فيها أنفاسه من زخم الحديث عن ذلك الفحل الأديب.

٢) مقدمة

تنازع الأدباء كثيراً، في مقتبل القرن الماضي، في شأن الشعر، عاموديّه المُقفى، وحديثه المُرسل المسترسل، ونشأت مدارس شعرية تنافس المدرسة التقليدية المحافظة بزعامة أحمد شوقي وخليل مطران، مثل مدرسة "أبولو" بقيادة أحمد زكي أبو شادي، ومدرسة الديوان بقيادة عباس العقاد. ولست في هذا المقال بصدد الحديث عن الشعر القديم والحديث، ولا بأثر كلّ منهما، لكني أريد أن أثبت هنا أن قصيدة شاعرنا الفحل محمود شاكر، هي دليل علوّ كعب الشعر القديم، وإن استفاد في بنائه الداخلي من بعض خصائص شعر مدرستي أبولو والديوان.

وقد انقسمت الدروس المستفادة من قصيدة القوس العذراء، متنوعة متعددة الجوانب كما وصفنا، منها الأدبي والروحي، ومنها الاجتماعي والنفسي، ومنها التاريخي الحضاري حيث بنى ذلك الجسر التاريخي بين الماضي والحاضر، كأنهما لا يفترقان إلا بأيام أو أسابيع، "فإذا دبَّت بِينَهما جَفْوة تَخْتل[١] النَّفس حتى تَمَلّ وتَسْأم، أوْ عَدَتْ اليهما[٢] نَبْوة تُراودُ القلبَ حتى يَميل ويُعرِضَ، انطمستْ عندئذ أعْلَامُ[٣] النهج الأوّل، وركدتْ بَوارقُ[٤] الهدْيِ المُتقادِم، وبقِي الإنسانُ وحيداً مَلُوماً مَحُسوراً لا يزال يسْأل نفسَه: فيمَ أعملُ؟ ولِمَ خُلِقت؟ وفيمَ أعيش؟ فما يكون جوابُه إلاَ حَيْرةً لا

[١] ختله: خدعه على حين غفلة.

[٢] عدت إليه: أسرعت إليه على حين بغتة. والنبوة: القلق الذي يمنع الاطمئنان.

[٣] أعلام (جمع علم): وهو المنار الذي ينصب في الطرق لهداية السارين.

[٤] ركد البرق: سكن وميضه. والبوارق (جمع بارقة): وهي السحابة ذات البرق.

تَهْدَأ، ولهيباً لا يَطفَأ، وظَلاماً لا ينْقِشع" [١]!

ثم على رأس تلك الدروس بعدها الفلسفي الذي أقامه بين عمل الإنسان الذي يُخرجه فنّاً، وفنّ الإنسان الذي يُجسّده عملاً. وقد تناول عملاق العربية ذلك البعد في مقدمته التي كتبها لصاحبه، يعتصر فيها من ذات نفسه ما عاناه في محاورة تلك العلاقة، ومحاولة بيان موقع كلاهما من الآخر، "فالعملُ كما تَرَى، هو في إرثِ[٢] طَبِيعته فنٌ مُتمكّن، والإنسانُ بَسِليقة[٣] فِطْرَتِه فَنَّان مُعْرِقٌ"[٤] .

٣)   عن قصيدة الشمَّاخ

إذا ولينا النظر إلى قصيدة الشمَّاخ الأصلية، وتأملنا بيوتها السبعة عشر، بقافيتها الزائية، الصعبة الجرس، وهي من بحر الطويل، رأينا في مدخلها ما نرى في كافة قصائد العرب في زمانه، البكاء على أطلال الحبيب

عفا بطنُ قوٍّ من سُلْيمى فعالزُ   فذاتُ الغَضا فالمُشرفاتُ النواشِزُ[٥]

لكننا سننتقل إلى الأبيات السبعة عشر، التي استولدها عملاق الأدب قصيدته الحديثة:

---

[١] القوس العذراء.

[٢] الإرث: الأصل الموروث.

[٣] السليقة: الطبيعة التي لاتحتاج إلى تعلم. معرق: أصيل، له عروق ممتدة إلى أصوله.

[٤] السابق .

[٥] قوّ، وذات الصفا، عوالز هي أماكن محددة، والمشرفات النواشز هي الأماكن العالية التي رآها تحيط بها عفا من أطلالِ منازل سلمى التي يفتقدها عنها.

وحلأها عنْ ذي الأراكـــةِ عامرٌ ... أخو الخضرِ يرمي حيثُ تكوى النواحزُ[١]

قليلُ التلادِ غيرَ قوسٍ وأسهمٍ ... كأنَّ الذي يرمي من الوحش تارزُ[٢]

مطلاً برزقٍ ما يداوى رميها ... و صفراءَ من نبعٍ عليها الجلائزُ[٣]

تخيرها القوَّاسُ من فرعِ صالةٍ ... لها شذبٌ من دونها وحواجـــزُ[٤]

نَمَتْ في مَكانٍ كنّها واستوتْ بهِ ... فما دونها من غيلها متلاجزُ[٥]

فما زال ينحو كلَّ رطبٍ ويابسٍ ... وينغَلُّ حتى نالَها وَهْي بارزُ[٦]

فلمّا اطمأنَّتْ في يديه رأى غِنى ... أحاطَ بهِ وازورَّ عمن يحاوزُ[٧]

فَمَظَّعها عامينِ ماءَ لِحائها ... و ينظرُ منها أيها هو غامزُ[٨]

أقامَ الثِّقافُ والطريدةُ دَرْأَها ... كما قَوَّمتْ ضِغن الشَّموسِ المَهامِزُ[٩]

---

[١] حلأَّها: منعها من الماء، ذو الأراكة: محل وضع، النواحز: الجِمال.

[٢] التلاد: القليل من الموروث، التارز: الصلب.

[٣] الجلائز: مفردها جلزة وهي ما يُعقد على القوس من عُقدٍ لتقوية عوده.

[٤] صالةٍ: المكان المتسع، الشذب: قطع الشجر.

[٥] كنَّها: مخبئها، غيلها: موضعها، متلاحز: أي متشابك الأغصان.

[٦] ينحو: يحرك جانبا، ينغّل: يدخل، بارز: أي وهي ظاهرة له بعد أن نحى الرطب واليابس من طريقه اليها

[٧] ازور:تباين عنه، يحاوزه: يكون بجانبه أو يطلبه، بمعنى أنه انفرد بها عن الناس.

[٨] مظّعها: قطعها رَطبةً ثم وضعها بلحائها في الشمس حتى تجفّ ويبقى لحاؤها عليها ؛ لئلا تتصدَّع وتتشقَّق، غامز: متشقق.

[٩] ضغن، التفلت والغضب، الشَّموس: النافرة الجامحة من الحيوان، المهامز: مفرها مهماز:حديدة في حذاء الراكب يقوم به مسار الركوبة.

فوافى بها أهلَ المواسمِ فانبرى لها بيعٌ يغلي بها السومَ رائزُ [١]

فقال لهُ : هل تشتريها فإنها تباعُ بما بيعَ التلادُ الحرائزُ [٢]

فقال : إزارٌ شرعبيٌّ وأربعٌ من السِّيَراءِ أو أَواقٍ نواجزُ [٣]

ثمانٍ من الكيريِّ حمرٌ كأنها من الجمْر ما ذّكى من النارِ خابزُ [٤]

وبُردانِ من خالٍ وتسعون درهماً ومعْ ذاكَ مقروظٌ من الجِلْد ماعِزُ [٥]

فظلَّ يناجي نفسه وأميرها أيأتي الذي يُعطى بها أم يُجاوزُ [٦]

فقالوا لهُ بايعْ أخاك ولا يَكُنْ لكَ اليومَ عن رِبْحٍ من البيع لاهِزُ [٧]

فلما شراها [٨] فاضتِ العينُ عبرةً وفي الصّدرِ حُزّازٌ من الوجْد حامِزُ [٩]

---

[١] وافي: ذهب وتوجه، السوم: المساومة على بيع، رائزُ: مختبرٌ لمن يشترى.

[٢] التلاد: المتاع ذو القيمة الغالية، الحرائز: المقتناة لقيمتها المضنون بها فهي حريزة.

[٣] شرعبيّ: نوع من الأردية الطويلة، السّيراء: نوع من البرود المطعمة بخطوط الحرير الأصفر، أواق ناجزة: أي دراهم حاضرة معجلة.

[٤] الكيثري أو الكوري في بعض النُسخ، ما يصاغ من قطع لدي الصائغ، والخابز: صانع الخبز.

[٥] بردان: رداءان، الخال: بردٌ يمني أحمر فيه خطوط سوداء، مقروظ، أي مدبوغ بأحسن دباغ.

[٦] ظل يسائل نفسه وذاته، أيخذ الثمي ويبيع أم يتجاوز عن الصفقة وينساها.

[٧] لاهز: مانع يصدك عنه. وقالوا عائدة على حاضري السوق ممن شهدوا السوم.

[٨] شراها أي باعها.

[٩] حزازٌ:قاطع للنفس يحزّها من الألم، حامزُ: ذو مذاق مرير حامض. دليل على عذاب النفس وتحسرها.

وسأقوم فيما يأتي بعرض الأبيات التي استلهم منها عملاق العربية الشيخ شاكر، مقارنا لها بما في أبياته الموازية لها من قصيدة الشمَّاخ، لنرى معالجة الشيخ العلامة لتلك الواردات العبقرية التي استلهما معان عرضنا لها من قبل بإجمال.

وسيكون عرضي أقرب لتتبع تلك الأفكار التي عرضتها، من الناحية الوجدانية والفلسفية والأخلاقية، ثم ما نستشفه من تلك النهاية التي وضعها العلامة شاكر لقصيدته، مخالفا بها ما كان من الشمّاخ فيما نسج.

٤) قصة القوس ..

والقوس، هو مادة تلك القصة القصية المُحزنة، التي أُفعمت بمعان وحِكم، تجاوزت بها قرنها إلى ما بعد خمسة عشر قرنا، لتحيا من جديد. ذلك أن المعان والحكم لا تموت بموت من رفع عنها الغطاء، بل هي كائنة كامنة في نسيج النفس والكون جميعا.

أمّا عن اختيار الشمَّاخ للقوس، فهو بديهيّ معروف، إذ إن البيئة تفرض نفسها على عقلية الشاعر الأديب، فترغمه إرغاماً على استخدام أدواتها التي تعوّد هو والناس من حوله عليها.

لكن أمر القوس، كما سنرى، تعدى في حالة الشمَّاخ حقيقة القوس المادية، حتى أصبح رمزاً لتلك العلاقة التي رسمها الشيخ العلامة شاكر بين العمل والفن، فإذا بالقوس، التي هي، عادة وعرفاً، رمز القوة والطراد وآلة الصيد والموت، تصبح في استعمال الشمَّاخ، كما استولدها العلامة الجليل، وسيلة للحزن والأسى، ورمز للفقدان والتأسي، وعلامة على الوفاء والولاء. وتلك هي العبقرية التي فتح بابها الشمّاخ، ثم ولج ساحتها العلامة الجليل ليبيّن كيف، ولما، كأدق ما يكونا في نفس صاحب

شأنها.

ثم، نلحظ أنّ الشمَّاخ قد بدأ قصيدته بالبكاء على أطلال سلمى، التي عفا عليها الزمن في مكانها المستقر، بين المشرفات والنواشز، كما هي عادة شعراء العرب في تلك القرون، إلا أن شاعرنا الجليل، تجاوز هذه المقطوعة من القصيدة، وذهب إلى ما رأي فيه تفرداً جديداً بديعاً وقصة حب وعشق من لون آخر، غير ما تعود الناس. ولهذا تلمح تلك الصلة في تسميته لقصيدته "القوس العذراء"! فالقوس هي موضوع القصة، نعم، لكن لِمَا العذراء؟ ألأنها تُشبه الحبيبة الحيّة في نقائها وطهارتها، حيث انتقاها وهي في كنِّها المتلاحز؟ أم قصد بذلك عملاق الأدب الجليل أنّ يشير إلى ما لتلك الفريدة المصونة من قدر، كما للمحبة الوالهة من قدر، ليعكس مرارة فقدانها يوماً ما، كما يفقد الحبيب محبوبه الذي لم يتمتع منه بشيء بداءة؟ أم ليعكس بشاعة أن تقع العذراء الضعيفة المستسلمة في يد من لا يقدّرها حق قدرها؟ كلها أوجه قد يصح أحدها، وقد تصح كلها في آن واحد.

وقصة القوس تبدأ بعد أن خرج القواس الشاعر، فبكى الأطلال العافية، ثم عرج على الغاب يريد ما يريده طالب الصيد، يقتات به، غذاء أو بيعاً، فلاقى جمعا من الوحش، يطلب عينا للماء يرتوى منها، لكن ما أن لمحت الوحش عينيّ ذاك الرامي الماهر تترصدها، جفلت وفرّت من طريقه، مؤثرة أن تعاني العطش على أن تعاني الموت من سهامه.

لكن الله أراد بهذا القوّاس خيراً، وأن يرزقه عطاءً لم يكن في باله ولم يمر بخياله! وإذ هو في مخبئه يترصد تلك الوُحُش الجافلة، فيلمح من طرف عينه، ما صرف همّه عن تلك الصيد الهاربة. رأي، ويا عجب ما رأي، غصنا قوياً صلبا، متواريا عن الأعين بين شذب الأشجار، كأنه يتفادى أعين الناظرين قصداً. رأى القواس ما في تلك القطعة المتفردة عن شجرتها من تفرد في الكيف، لا يماثلها فيه قطعة رآها من قبل،

فإذا به يشق طريقه بين تلك الفروع والأوراق وبقايا الشجر التي تكاثفت حولها تمنع عنها الغيل والعدوان.

فما زال ينحو كلَّ رطبٍ ويابسٍ وينغَلُّ حتى نالَها وَهْي بارزُ

وما أن استقرت في يد القواس، ومسّ قدها، ورأي ما يحب أن يرى في مادة قوسه، طائعة لينة في ظهرها عصيّة شديدة في بطنها، عرف أنه وجد بغية، وحصل على طُلبة، تستحق العناء والتعب، فانفرد بها بعيدا عن الأعين.

فلمّا اطمأنَّتْ في يديه رأى غِنى أحاطَ بهِ وازورَّ عمن يحاوز

صابر الشمّاخ تلك القطعة الفريدة، مدة عامين، نعم عامين كاملين، أعطاها من حياته متطوعاً، يعمل في تسويتها كما يجب أن تُسوى القوس، فيقيم معوجّها ويحني مسار طولها، ويسقيها ماء اللحى حتى تشتد به، كما يشتدّ الرضيع من لبن أمه.

فَمَظَّعها عامينِ ماءَ لِحائها و ينظرُ منها أيها هو غامزُ [١]

أقامَ الثِّقافُ والطريدةُ دَرْأَها كما قَوَّمتْ ضِغن الشَّموسِ المَهامِزُ [٢]

فما أن اختبرها، وتم له منها ما سعى اليه من تفرّد في الكيف، خرج بها إلى السوق، يريد أن يرى ما يأتي به القدر من شارٍ لها، وهو مصمم على ألا يبيعها بثمن بخس دراهم معدودة، فهو ليس فيها زاهد ولا مفرّط، لكنها الحاجة، لعنها الله، دفعته أن يبذل جزءا من حياته ليحفظ على نفسه جزءا آخر منها.

[١] مظّعها: قطعها رَطبةً ثم وضعها بلحائها في الشمس حتى تجفّ ويبقى لحاؤها عليها ؛ لئلا تتصدَّع وتتشقَّق، غامز: متشقق.

[٢] ضغن، التفلت والغضب، الشَّموس: النافرة الجامحة من الحيوان، المهامز: مفرها مهماز:حديدة في حذاء الراكب يقوم به مسار الركوبة.

فوافى بها أهلَ المواسمِ فانبرى   لها بيعٌ يغلي بها السومَ رائزُ [١]

وفي السوق، عيون خبيرة مترصدة، فلمحها من عرف فيها النُبل والقدْر، فلم يتواني إلا أنّ يتوجه إلى القواس صاحبها، فيعرض عليه صفقة يصعب على أحد في مثل حاجته أن يردّها، وبدأ التساوم بينهما، فجذب أسماع أهل السوق، فالتفوا حول البائع والشاري، ينظرون وينتظرون. وفي هذا خلال هذا التساوم، لم تهدأ نفس القواّس ولم تستقم لها فكرة البيع والتخلي عن عمله الفني، أو فنه العملي، الذي صرف فيه عامين من عمره، فصار يراجع نفسه يستشيرها، ويدور بها بين عقله وقلبه، وبين حاجته للمال ووفائه لصنعته.

فظلَّ يناجي نفسه وأميرها   أيأتي الذي يُعطى بها أم يُجاوزُ [٢]

وظل الشاري يزيد في العرض حتى أخرج أهل السوق عن حيادهم، فصاروا يهتفون به أن "بعها لأخيك.."

فقالوا لهُ بايعْ أخاك ولا يَكُنْ   لكَ اليومَ عن رِبْحٍ من البيع لاهِزُ [٣]

وأخيراً، تغلبت الحاجة على الوفاء، والعوز على الانتماء، فباعها. وما أن استقرت في يد الشاري، ضاقت به نفسه، وبلغ من اليأس والحزن مبلغاً، لا يعلمه إلا من فقد الأحبة الأقربين

فلما شراها فاضتِ العينُ عبرةً   وفي الصّدرِ حُزّازٌ من الوجْد حامِزُ [٤]

---

[١] وافي: ذهب وتوجه، السوم: المساومة على بيع، رائزُ: مختبرٌ لمن يشترى.

[٢] ظل يسائل نفسه وذاته، أيأخذ الثمي ويبيع أم يتجاوز عن الصفقة وينساها.

[٣] لاهز: مانع يصدك عنه. وقالوا عائدة على حاضري السوق ممن شهدوا السوم.

[٤] حزازٌ:قاطع للنفس يحزّها من الألم، حامزُ: ذو مذاق مرير حامض. دليل على عذاب النفس

هذه قصة القوس مع صاحبنا الشمّاخ. بسيطة سهلة، لكنها عميقة ممتنعة، لم يستخرج دررها الكامنة إلا عملاق العربية شيخنا الجليل محمود شاكر. فلنر كيف تناولها ذلك الفنان القدير، فيما يأتي من بحث إن شاء الله.

٢٦ ديسمبر ٢٠١٧ – ٨ ربيع ثان ١٤٣٩



وتحسرها.

القسم الثاني

الحمد لله والصلاة والسلام والسلام على رسول الله ﷺ وآله وصحبه ومن والاه، وبعد

١) العذراء .. في يد محمود شاكر: تقدمة [١]

انتهينا إلى موضع نهاية قصة القوس مع صاحِبها، الشّماخ بن ضرار الغطفاني، وهي تلك النهاية الحزينة التي ذهب صاحبها مولياً ظهره لمصيبته في قوسه، باكيا عليها، قانعا على مضض بما أخذ من متاع.

لكن قصة القوس الحزينة، قد اتخذت، في يد محمود شاكر، منعطفات جديدة، بيّنت بتفصيل دقائق العلاقة بين القواس وقوسه، ووضحت بما لا مزيد عليه، تلك العوامل النفسية التي تجترها النفس الإنسانية في معاناتها للإبداع، فنا وعملا، كما أقام ذلك الجسر الذي افتقده الناس طويلا، والذي عمل على هدم بقاياه من زعموا التجديد في مناحي الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية، مثل طه حسين وسعد زغلول وقاسم أمين على الترتيب. كما أنه قدّم لوناً جديدا من ألوان الحبّ والألفة والمودة والقرب، بين الإنسان وبين صنعة يديه، زادت على الحب والألفة بين الإنسان وقرينته في دنيا الناس.

أحال الشيخ شاكر القوس من حالة الجماد المتصلبة إلى حالة الحياة المتدفقة، فإذا هي بين يديّ صانعها شخص من الشخوص، يحب، ويأمل، ويتودد وينكر، لا ينقصها إلا ما في الإنسان من دواعي الشر الذاتية، تدفعها لأذى غير مبرر!

انظر اليها وهو يروى ذكرى لقائهما الأول

---

[١] نود هنا أن نلمح إلى ما كتب الشاعر الفنان المبدع محمود حسن إسماعيل، في مقدمة كتاب القوس العذراء لشاعرنا العملاق، في أبيات كأنه عارض فيها أبيات القوس العذراء، بنفس قافيتها وجرسها، فأبدع إبداع الشاعر نفسه، وجاء بأبيات كأروع ما تكون الأبيات، نكتفي بما ختم به قصيدته القصيرة التي أسماها ﴿ذكرى﴾ حيث قال:

ما هي قوْسٌ في يدِيْ نابلٍ .. إنما هي ألواحُ سِحرٍ نزَلْ

كَيْفَ قَرَّتْ فِي يديه، واطْمأَنَّتْ لِفَتَاهَا؟

واعتبر استعماله قافية الهاء السهلة المحببة، في وصف ذاك اللقاء وما بعده، في مقابل قافية الزاي الثقيلة الصلبة، التي استعملها الشمّاخ لتناسب بيئته الخشنة الوعرة.

ثم انظر كيف نسبها لنفسه، الفتي، كما تنتسب المحبوبة، التي قرّت في مستقر حبيبها، اليه، وتفقد ذاتها بين يديه؟

كَيْفَ نَاجَتْهُ.. وَنَاجَاها.. فَلانَتْ.. فَلوَاهَا؟

كَيْفَ يُرْضِيهِ شَجَاهَا؟ كَيْفَ يُصْغِي لبُكَاهَا؟

كَيْفَ هَزَّتْهُ فَتَاهَا؟ وَتعالَى وَتَبَاهى؟

انظر إلى معاناته الشديدة المتواصلة الدؤوبة في قوله

كَيْفَ سَوَّاهَا.. وَسَوَّاهَا.. وَسَوَّاهَا فَقَامَتْ.. فَقَضَاهَا؟

ثم إذا به يخرج من صومعة حبه وولهه التي خلا فيها بالحبيبة عامين. عامام كاملان، يرعاها ويحنّ عليها ويعينها ويقومها ويسويها ويعدّلها لتكون خلقا من خلق القوس سويا!

خرج أخا الخضر من تلافيف غابته، حيث لقى حبيبته، إلى السوق بالحج، وما أدراك ما السوق، وزحمته وماديته وتشويشه على العقل الواعي

كَيْفَ وَافَى مَوْسَم الحَج بِهَا؟.. مَاذَا دَهَاهَا؟

فهل تُفلت هذه الفاتنة الكامنة على كتف صاحبها من نظرات الغيرة والرغبة والسيطرة؟

أيُّ عَيْنٍ لَمَحَتْ سرَّهُمَا المُضْمَرَ؟.. بَلْ كَيْفَ رآهَا؟

انبَرَى كَالصَّقْرِ يَنْقَضُّ إلَيهَا.. فَأَتَاهَا!!

مَسَّهَا ذُو لَهْفَة تَخْفى... وَإنْ جَازَتْ مَدَاهَا

قَالَ: سُبْحَانَ الذي سَوَّى!! وأَفْدِي مَنْ بَرَاهَا

أَنْتَ..!! بِعْنِيهَا.. نَعَمْ إن شِئْتَ!! [تَعْسَا وَسَفَاهَا] [١]

هناك، بدأت ملحمة نفسية وصراع داخلي له ظاهر وباطن. ظاهره بيع وشراء ومساومة بين صاحب القوس وبين من يبتغي شراءها. وباطنها ذاك الرباط الوثيق والحبل المتين الذي هو أشبه بالحبل السريّ بين أمّ ووليدها، فيه اتصال الحياة بينهما كشريان القلب سواء بسواء.

المشترى يُساوم ويعرض ما يسيل له لعاب البائس الفقير

قَالَ : بِالتِّبْرِ.. وَبالفِضَة، باالخِزِّ.. وَمَا شِئْتَ سِوَاهَا

بِثِيَاب الخالِ[٢] .. بِالعَصْبِ المُوَشَّى.. أَتَرَاهَا؟

وأَدِيمٍ [٣] الماعِزِ المَقْرُوظِ.. أَرْبَى مَنْ شَرَاهَا!

لكن نفس البائس الفقير لا تزال تحنّ لصنعتها، حبيبتها، رفيقة أنسها عامين كاملين، فتتأبى وتنكر على نفسها أن خطر البيع ببالها

كَيْفَ قَالَ الشَّيخُ؟!.. كَلاَّ! إنَّهَا بعْضِي وَالمَالُ؟. بَلِ المالُ فَدَاهَا

---

[١] سفاها: دعاء عليه بخسران نفسه.

[٢] ثياب الخال: ثياب رقيقة تصنع ببلدة الخال. العصب: برود كانت تصنع باليمن، يعصب غزلها ويجمع ثم يصبغ فيأتي موشىً لبقاء ماعصب منه أبيض لم يأخذه صبغ. والموشى: المختلط الألوان.

[٣] الأديم: الجلد المدبوغ. المقروظ: المدبوغ بالقرظ. أربى: زاد ماله وارتفع على مايستحقه. شراها: باعها.

إنّها الفاقةُ والبُؤُس!!.. نَعَمْ!.. نعم!.. هذا غِنًى!!.. كَلاَّ وشَاهَا [١]

بَلْ كَفَاني فَاقَةً.. لاَ!.. كَيْفَ أَنْساهَا؟.. وَأَنَّى؟! وَهَوَاهَا!

لكن، هل يترك البشر البشر ينعمون بحب أو مودة، إلا أن ينزغوا بين الحبيب وحبيبه، والرفيق ورفيقه؟ جمع من حولهم يرى المساوم، لكنه لا يرى الحب الكامن داخل نفس البائس الفقير. همهم، كهمّ البشر، تحقيق الربح الماديّ، ولو على حساب النفس الحية الشاعرة. فإذا بهم يتصايحون بالبائس الفقير، يدفعونه دفعا لبيع كل ما يملك من تلاد في دنياه .. قوسه العذراء، التي لم يمسّها غيره قبل.

لَمْ يَكَدْ.. حَتَّى رَأَى نَاسًا، وَهَمْساً، وَشِفَاهَا:

بَايِـع الشَّيْخَ! أَخَاكَ الشَّيْخَ!.. قَدْ نِلتَ رِضَاهَا!!

إنَّهُ رِبْحٌ..! فَلاَ يُفلتْكَ!.. أَعطَى، واشْتَرَاهَا [٢]!

وتمت الصفقة .. وكسب الشاري ما أراد، استقرت في يده القوس العذراء .. وخسر البلائس الفقير، رغم ما استقر في يديه من مال .. فإذا به صفر اليدين .. فبكى وناح واشتكى لكن، لات حين مناص

وَرَأَى كَفَّيِه صفْراً، وَرَأَى المَالَ... فتَاهَا [٣]

لَمْحةً...، ثُمَّ تَجَلى الشَكُ عَنْهُ...، فبَكَاهَا!

وَرَثَاها بدُمُوعِ، وَيحَهُ! كَيْفَ رَثَاهَا؟١

فَتَوَلَّى.. وَسَعِيرَ النَّارِ يُخْفِي وَلظَاهَا!

[١] شاه الوجه: صار قبيحاً مشوهاً تكرهه النفس.

[٢] اشتراها: باعها.

[٣] تاه: من التيه، وهو العجب والفرح.

حَسْرَةٌ تُطْوَى عَلَى أُخْرَى...، فأَغْضَى... وَطَوَاهَا!

وكان الفراق ...

٢) وماذا قبل اللقاء ..

لم يكن خروج أخا الخضر في طلب قوس أول أمرِه. بل خرج الرجل يطارد صيدا يقيم أوده، ويبيع منه ما يزيد عن حاجته، لتسير به الحياة كما تسير، بائسة لكنها قائمة، تحبو به، لا تكاد تسير.

وما كان لشاعرِنا العملاق أن يتجاوز ذلك المشهد الذي إن دلّ على شئ فإنما يدل على مهارة ذلك الصِائد ومعرفته بالطراد، ومواضعها وطبائعها معرفة وثيقة. فالفقر لا يمنع الموهبة، والعوز لا ينفي المهارة.

وها هي أبيات الشماخ تصف مراقبة ذلك القواس الماهر لحمار وحشي وأتنه، يريدان ورود الماء، لكن تمنعهما عوامل الخوف والتوجس من سهام الصائد، الذي ما يبغي إلا أن يضرج سهامه بدمائها

طوى ظِمْأها في بَيْضةِ القيْظِ بَعْدَما جرتْ في عنانِ الشعريين الأماعزُ [١]

فظلتْ بيؤودٍ كأنّ عيونهـــــا إلى الشمس ـ هل تدنو ـ رُكِيٌّ نَواكِزُ [٢]

لَهُنّ صَليلٌ ينتظرنَ قضـــــاءَهُ بضاحي عذاةٍ أمرهُ وَ هوَ ضامــزُ [٣]

---

[١] بيضة القيظ: عز الحرّ، اعترضت طريقها أسراب الماعز.

[٢] يمؤود: مكان فيه ظل اختبأت فيه الطرائد، ركيّ نواكز: أي ضعيفة غائرة لا ماء فيها، فعيونها ترقب الشمس في غروبها بتلك العيون تخشى ما سيأتي به الليل.

[٣] الصليل: صوت الأمعاء تتقلص من العطش، بضاحي عذاة: أي مكان أمين بعيد عن العداة، وهو ضامزُ: أي هو يترقب أن يروى عطشه في مثل ذلك المكان وهو يتقرب ممسكا نفسه عن الشرب توجساً.

فلما رأينَ الوردَ منهُ صريمــــةً مضينَ ولاقاهــنّ خلٌّ مجــــاوزُ [١]

ولمّا رأى الإظلامَ بادرَهُ بها كما بادرَ الخَصْــمُ اللجوجُ المُحافِزُ [٢]

ويمّمها من بطنِ ذَرْوةٍ رُمّـــةً ومنْ دونها من رحرحانَ مفــاوزُ [٣]

عليْها الدُّجى مُسْتَنْشَآتٍ كأنّهــا هَوادِجُ مشدودٌ عليْهــا الجَزاجِزُ [٤]

تفادى إِذا استذْكى عليها وتتّقي كما تتقي الفحلَ المخاضُ الجوامزُ [٥]

ومرتْ بأعلى ذي الأراكِ عشيــةً فصــدتْ وقد كادتْ بشرجٍ تجاوزُ [٦]

وهمتْ بوردِ القنتينِ فصدهـــا حوامي الكُراعِ والقُنــانُ اللواهِزُ [٧]

وصدتْ صدوداً عن ذريعةِ عثلبٍ ولا بَنِيْ غِمارٍ في الصّدورِ حزائزُ [٨]

---

[١] صريمة: عزيمة قوية، الخلُ: الطريق الصعب الوعر بين الرمال، أي تجاوزا (الوحشي وأتنه) من ذلك الطريق الصعب، ليردا الماء.

[٢] فلما رأي الظلام خيم بسدوله، يبادرهما، كما يبادر الخصم اللجوج المتحفز بخصمه.

[٣] بطن ذروة: واد في ذروة بالقصيم، رحرحان، بلدة قريبة من ذروة، المفاوز: الصحارى.

[٤] ووصف تلك المفاوز التي نشأ عليها الليل بخيامه بأنها تشبه الهوادج القائمة على صوف النوق.

[٥] استُذكى عليها: اعتُدي عليها، المخاضُ الجوامز: أي تتقي المعتدى كما تتقي المتألمات من الحمل المسرعات بالفرار من الفحلِ، يريد أن ينزو عليها.

[٦] ذو الأراك وشرج: مواضع مر بها الحمار الوحشي وأتنه.

[٧] القنّة: أعلى الجبل أو التل، الكراع: الخيل والسلاح: واللواهز: المصوبة المعدّة للطعان ومفردها لهز والمعني أنّ الوحش أراد أن يرد الماء فصده ما رأي من ترصد الصيادين بكراعهم المعدة لصيدهم.

[٨] يقول: فاضطرت إلى الصدود عن ذاك المورد الذي هو حوض منكسٌر وقد حزت في نفسها حزائز من الغيظ والألم.

ولوْ ثَقِفاهــا ضُرِّجَتْ منْ دمائِها كمــــا جُلِّلت فيها القِرامَ الرجائزُ[١]

هذا ما وصف به الشمّاخ حال الطريدة التي تسعى لتحصل على شربة ماءٍ تقيم بها حياتها، وتُسكت بها صليل أمعائها، لكن الصائد والمعتدي من الوحش يصدانها عن ذلك، فتعيش حياة ضائقة مريرة متوجسة، لا ترى فيها راحة من كلل، ولا براءة من علل، حياة خوف مستمر مقيم، لا ينحسر عنها.

فكيف عالج شاعرنا العملاق هذا المشهد المليء بالأحاسيس، النابع من قلب الطبيعة القاسية، التي لا ترحم إلا الأقوى والأقدر؟

---

[١] يقول: واو أن الصيدين أصابوها بسهامهم، لضّرجت بدمائها، الرجائز: مفردها رجيزة وهي ما يزين به الهودج من صوف وشعر، القرام: فراش الهودج، فهو يقول أن الوحش المتضرج في دمه كأنه هودج في زينته من الشعر والصوف الأحمر.

القسم الثالث

أول ما يستلفت نظرنا هو أن الشيخ قد استبدل قافية الهاء الممدودة بقافية اللام المُسَكَّنة. فهل في هذا دلالة على شيء؟ نعم، فيما أرى. فإن الهاء الممدودة تعبر عن المُخاطب الغائب. والشاعر، في مقدمته التي لخّص فيها موقف المساومة والشراء، لم يروى تفاصيل الموقف بعد، فكأنه ليس متواجداً فيه، بل مُخبراً عنه من بعد. فلما أراد التفصيل، انتقل إلى اللام المُسَكَّنة من حيث فيها حسّ الجزم القاطع، فهو شاهد بعينه حاضر بنفسه، لا يحتاج ضمير الغائب بعد.

ها هو يستعرض ما مرّت به تلك الوحش وأتنه، من خوف ووجل، بحثا عن مورد ماء يستسقيان منه

رَأَى حُمرَ الوَحْشِ، فَابْتَزَّهَا [١] بِلابَلِها منْ حَدِيثِ الوَجَلْ

رآهَا ظَمَاءً إلَى مَوْرِدٍ، فَفَزَّعَها عَنْه خَوْفٌ مَثَلْ[٢]

فَطَارتْ سِراعَا إلى غَيرِه، بِعَدْوٍ تَضَرَّمَ حَتى اشتَعَل

فَلَم تَدْنُ حَتَّى رَأتْ صَائِدَينِ، فَصدَّتْ عَنِ المَوْتِ لما أَهَلّ

فَكَالبَرْقِ طَارَتْ إلى مَأمَن عَلَى ذِي الأرَاكَةِ [٣] صافِي النَّهَلْ

وليتأمل القارئ البيت الثاني والثالث، ليرى فيهما وصف الشوق لشربة الماء، ثم الفزع الذي أثبت الوحش في مكانها، تتوجس وترهف سمعها، ثم تقرر الإسراع هربا كأنها الطائر الفالت، حتى أنّ حافرها اتّقد كجذو نار مشتعل من سرعة العدو. يا لها من صورة حية تحمل المرء إلى تلك الغابة الملتفة الأشجار المتكاثفة الغصون، فكأنه

[١] ابتزها: غلبها وغصبها وسلبها، والبلابل: وساوس القلب التي تضطرب فيه. الوجل: شدة الخوف.

[٢] مثل: انتصب قائمًا.

[٣] ذو الأراكة: موضع ماء. النهل: أول الشرب عند ورد مناهل الماء.

حاضر شاهد، كشاعرنا، حاضر شاهد!

ثم إذا بالمصائب والمتاعب تزداد تراكما على الوحش وأتنه، فترى أخا الخضر، مداريا يتدسس لها، يحمل قوسا، يعرف طريقه إلى الطريدة لا يخطئه أبدا

لَوَاهَا [١] عَنِ الرِّيِّ عِرْفَانَهَا أَخَا الخُضْرِ، عِرْفَان مَن قَدْ عَقَلْ!

وَعَلَّمهاَ أَيْن تُكْوى الُجنوب بنَارِ الطَّبِيبِ لِداءٍ نَزَلْ!

وَأَنَّ اَلخَصَاصَةَ [٢] قَوْسُ البَئِيسِ، إذا انْقَذَفَ السَّهْمُ عَنْها قَتَلْ!

يُسَابِقُ مُسْتَنْهِضَاتِ[٣] الفِرَارِ فَيَقْتُلُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَقِلْ!

فَيُدرِكُهَا الَموتُ مَغروسَة قَوَائِمُها في الثَّرى..، لَمْ تَزُلْ!

وَعَرَّفَهَا أَنَّهُنَّ السِّهَامُ: زُرْقٌ تَلأَلأُ أَوْ تَشْتَعلْ!

وَصَفْرَاءُ فَاقِعَة [٤] ، أَذْكَرتْ مَصَارِعَ آبَآئِهِن الأول

سِهَامٌ تَرَى مَقْتَلَ الحَائمَاتِ [٥] ، وقَوسٌ تُطلُّ بِحتْفٍ أَظَلّْ!

رأت الوحش تلك السهام، التي طالما عرفتها "آبائهن الأولْ" فصرعتها في محلها، وأودتها "بحتف أظَلْ". فما كان منها إلا أن استنهضها الفرار، فأسرعت لائذة بالفرار قبل أن يدركها الموت، وقد علقا "قوائمها في الثرى".

---

[١] لواها: صرف وجوهها عن الشرب.

[٢] الخصاصة: الجوع والفقر والحاجة وسوء الحال. والبئيس: الفقير البائس الشديد البؤس.

[٣] مستنهضات الفرار: التي تنهض به داعية الفرار.

[٤] فاقعة: خالصة اللون مشرقة.

[٥] الحائمات: التي تحوم الماء عطاشاً. الحتف: الهلاك. أظل: دنا وقرب، وألقى على الشيء ظله.

تَخَيَّرهَا بَائِسٌ، لَمْ يزل يُمَارِسُ أَمْثَالَهَا مُذْ عَقَلْ

ثم هاك إضافة زادها شاعرنا العملاق على ما جاء به الشمَّاخ من وصف للقواس وبؤسه وفقره، هي إتقانه لعمله "مُذْ عقَلْ". إن القوس، التي سيصطنعها القواس، ليست عملا مرسلا يعانيه صاحبه أول مرة. بل هو ممارسة لازمته طويلا، حتى أصبحت بين يديه فنا متكاملا، يتجسد في عمل، كما بيّن في تقديمه للقصيدة. والفن والإتقان، إذا، لا يمنعهما بوس ولا فقر، بل قد يكونا حافزاً لا حاجزاً، في كثير من الأحوال.

ثم راح شاعرنا يصف نظرته الثاقبة لحجب الشجر التي كانت تحرسها "كِرماح الأَسَلْ"، وكيف انغل بيديه ليقتلعها من حاميتها التي حجبتها سنين عددا، لتكون من نصيبه هو، البائس الفقير، كأنها جائزة أنعم الله عليه بها بعد صبرٍ طويل. ولم لا، وهي التي نادته ليأخذ بها إلى محضنه ويشملها برعايته

فَنَادَتْه مِنْ كِنِّهَا [١] فَاسْتَجَابَ: لَبَّيْكِ! [يَاقَدَّها المُعتَدِلْ]

وإذا هو يتفنن في وصف عمله مع تلك "الغادة" التي صارت ملك يمينه، ليصقلها كما أراد:

رَأَى غَادَةَ نُشِّئَتْ في الظِّلاَل، ظِلالِ النعيمِ، فَصَلَّى[٢] وهَلّ

فَنَادَتْه مِنْ كِنِّهَا [٣] فَاسْتَجَابَ: لَبَّيْكِ! [يَاقَدَّها المُعتَدِلْ]

سُتُورٌ مُهَدَّلَةٌ [٤] دُونَهَا، وَحُرَّاسُها كِرَمَاحِ الأَسَلْ

---

[١] الكن: المكان الذي يسترها ويحجبها عن العيون.

[٢] صلى: دعا وعظم الله وقدسه. هل: فرح وصاح.

[٣] الكن: المكان الذي يسترها ويحجبها عن العيون.

[٤] مهدلة: مرخاة متدلية. الأسل: نبات دقيق القضبان طويل شديد الاستواء.

يَبِيسُ [١] ورَطْبٌ وَذُو شَوكَة فأَشَرطَها نَفْسَهُ.. لمْ يَبَلْ

وَسلَّ لِسَاناً من الباتِرَاتِ،... وَانغلَّ [٢] عاشِقُها المُخْتَبَلْ!!

يَحُتُّ اليَبِيسَ [٣]، ويُرْدِي الرِّطَابَ، ويُغْمِضُ في ظُلَماتِ تُضِلْ

فَهَتَّكَ أَسْتَارَهَا بَارِزاً إلى الشَّمْسِ.. قد نَالَها! حَيَّهَلْ [٤]!!

فَأَنْحَى [٥] إليْها اللِّسَان الحَدِيدَ يَبْرُقُ..، وَهْوَ خَصِيمٌ جَدِلْ

عَدُوٌّ شرِيس [٦]، لَه سَطْوَةٌ بكُلِّ عَتِيٍ قَدِيمِ الأَجَلْ

فَأَثْكل أُمّاً غذَتْها النَّعيمَ، ورَاحَ بِهاَ وَهْوَ بَادِي الجَذَلْ [٧]

ذاب القوّاس في الصبية الشجية الفتية، التي نادته فلبى "قدّها المعتدل"، فناجاها وعيناه تغدق عليها بالقبل التي يغرق بها المحب محبوبته بعد فراق طال أمده وأوجع كمده. غاب بعشق "ذات القدّ المعتدل: عن الدنيا وعمن حوله، يبادلها بنظرات ويناورها بلفتات خفية غزلية، وهي توحى اليه مناجاة يهتز لها جسد العاشق، إذ يرى فيها حباً وإلفاً وغنى.

---

[١] يبيس: يابس. ذو شوكة: ذو شوك. أشرطها نفسه: أعد لها نفسه، إما أن ينالها أو يهلك، غير مبال.

[٢] انغل: تغلغل. المختبل: الذاهب العقل.

[٣] يحت اليبيس: يستأصل اليابس ويرميه. ويردي: يسقط الرطب. ويغمض: يوغل.

[٤] حيهل: كلمة تقال للحث والاستعجال.

[٥] أنحى: وجه ناحيتها. اللسان الحديد: هو المبراة الحادة القاطعة. خصيم: شديد الخصومة. جدل: شديد اللدد في الخصومة.

[٦] شريس: شديد الشراسة. عتى: طال تمرده وكبره. قديم الأجل: متقادم العمر.

[٧] الجذل: الفرح الذي يهز الأعطاف.

فَلَمَّا اُطْمَأَنَّتْ على رَاحَتَيه، وَعَيْنَاهُ تَسْتَرِقَانِ [١] القَبَلْ

رَقَاهَا، فَأَحْيَى صَبَابَاتِها بتَعْوِيذَةٍ مِنْ خَفِيِّ الغَزَلْ

فَنَاجَتْه... فَاهتَزَّ من صَبْوةٍ، وَمِن فَرَح بِالغِنَى المُقْتَبَلْ [٢]

وَأَعْرَضَ عَنْ كُلِّ ذِي خَلَّةٍ [٣]، غِنىً بالّتِي حَازَهَا... وَانْفَتَلْ...

ثم ها هو يبالغ في القرب منها وعدم التكلف معها إذ يجردها ثوب العناد، مما خشُن على جسدها

يُجَرِّدُهَا مِنْ ثِيَابِ العِنَادِ، وَمِنْ دِرْعِها الصَّعْبِ، حَتَّى تَذِلْ

فَلَمَّا تَعرَّتْ لَهُ حُرَّةً وَمَمْشُوقَةَ القَدِّ رَيَّا [٤]، جَفَلْ

وَسَبَّحَ لَمَّا اسْتَهَلَّتْ لَهُ، وَلاَنَ لَهُ ضِغْنُهَا [٥]... وَابْتَهَلْ

١) الحب الضنين

ثم إذا بشاعرنا، يحكي قصة استهلكت منه عشرة أبيات، ما استهلكت من الشمّاخ إلا ثلاثة أبيات:

فلمّا اطمأنَّتْ في يديه رأى غِنى أحاطَ بهِ وازورَّ عمن يحاوز

[١] تسترق: تسرق خلسة مرة بعد مرة.

[٢] المقتبل: الذي سوف يستقبله.

[٣] الخلة: الصداقة التي تتخلل النفس.

[٤] ريا: ناعمة يبرق فيها ماء الصفاء.

[٥] ضغنها: عسرها والتواؤها وصعوبة انقيادها.

فَمَظَّعها عامينْ ماءَ لِحائها   و ينظرُ منها أيها هو غامزُ [١]

أقامَ الثِّقافُ والطريدةُ دَرْأَها   كما قَوَّمتْ ضِغن الشَّموسِ المَهامِزُ [٢]

إذا بشاعرنا يصف اللوعة والوجد ونحول جسده وبئسه وصبره ومداومته على رعايتها، حتى عرفت منه جدّ عشقه وحقيقة ولعه، فلانت وأطاعت. وهذا حال المحبة الحرّة الحصان، لا تلين ولا تطيع إلا بعد الاختبار، لا تستسلم لأول من يلامسها ويبادلها نظرات، لا تعرف، أفيها الرعاية والتذمم، أم الغواية والتهكم! فما أن تطمئن لحبيبها، حنّت في يديه، وذابت على كفيه. اسمعه يقول:

أَطَاعَتْهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ لَوَّعَتْهُ بَالوجْدِ عَامينْ حَتَّى نَحلْ

يُزَلْزِلُهُ أَمَلٌ يَسْتَفِزُّ فِي قَيْدِ بُؤْسٍ يُميتُ الأَمَلْ

فَلَمَّا أَذَاقَتْهُ، إذْ ذَاقَهَا، هَوًى أَضَمَرْتَه لَهُ لَمْ يَزَلْ

تَبَّينَ إذْ رَامَهَا، حُرَّةً حَصَاناً [٣]، تَعِفُّ فَلاَ تُبْتَذَلْ

تَلِينُ لأنْبلِ عُشَّاقِهَا، وَتَأْبَى عَلَيْهِ إذَا مَا جَهِلْ [٤]

فَأَغْضى حَيَاءً،، وَأَفْضَى بِهَا إلَى كَهْفِهِ خَاطِفًا، قدْ عَجِلْ

فَأَهْدَى لَهَا حِلْيَةً صَاغَهَا بِكَفَّيْهِ، وَهْوَ الرَّفِيقُ العَمِلْ [٥]

---

[١] مظّعها: قطعها رَطبةً ثم وضعها بلحائها في الشمس حتى تجفّ ويبقى لحاؤها عليها ؛ لئلا تتصدَّع وتتشقَّق، غامز: متشقق.

[٢] ضغن، التفلت والغضب، الشَّموس: النافرة الجامحة من الحيوان، المهامز: مفرها مهماز: حديدة في حذاء الراكب يقوم به مسار الركوبة.

[٣] الحصان: الحرة الممتنعة التي تعف عن الريبة.

[٤] جهل: استزله الشيطان واستخفه.

[٥] العمل: الذي يحسن العمل والحركة فيما يعمل.

تَخَيَّرَهَا مِنْ حَشَا أَذْؤُبٍ [١]، رَآهَا لَدى أُمِّها تَسْتظِلْ

أَعَدَّ لَهَا وَتَراً كَالشُّعاعِ حُرًّا.. عَلَى أَرْبَعٍ [٢] قَدْ فُتِلْ

فَلَمَّا تَحَلتْ بِهِ، مَسَّهَا فَحَنَّتْ [٣] حَنِينَ المَشُوقِ المُضِلْ

كَمُلت تلك القطعة الفريدة المتقنة بين يديّ القواس، فأراد أن يمتحنها، وأرادت أن تعيد له، حبا ووفاءً، جزءاً مما بذلْ. ويعود شاعرنا ليصنع من القوس صنعاً جديداً، فالمحبة قد تحولت بعد عامين إلى أم تحن لأولادها، تلك السهام التي جعل يضمها إلى صدر أمها، ثم يشدّ عليها، ويطلقها على طرائد هائمة. فإذا الأم الحنون تتألم كالثكلى على فراق ولدها، تباعا سراعا، حتى أصاب من الطريدة ما أراد. فهل غضبت الأم؟ لا، رضت بما أوفت له من حق عليه، وعادت إلى أحضانه راضية مطمئنة.

اسمع الشمّاخ يقول:

وذاق فأعطته من اللين جانبا ... كفى ولَهاً أن يغرق السهمَ حاجزُ

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ... ترنم ثكلى أوجعتها الجنائزُ

فأسبغ صورة الثكلى التي تنوح في جنازة ولدها، حين يفارقها السهم نحو الطريدة، وترنمها هنا هو ذلك الصوت الصادر عن الوتر حين يفارق السهم قوسه.

ثم اسمع شاعرنا يقول:

فَكَفَّلَهَا [٤] مِنْ بَنِي أُمِّها صَغِيراً، تَرَدى بِرِيشٍ كَمَلْ

---

[١] أذؤب: (جمع ذئب).

[٢] على أربع: أي على أربع طاقات. وهو أكرم للوتر وأقوى.

[٣] حنت: رجعت صوتها ترجيع المشتاق أو الباكي. المضل: الذي قد ضل عنه أحبابه أو فارقوه، فهو ينشدهم.

[٤] كفلها: جعلها تكفله وتضمه إليها كالأم. الصغير من بني أمها: أخوها السهم.

لَهُ صَلعَةٌ كَبَصِيصِ اللَّهِيبِ مِنْ جَمْرةٍ حَيَّةٍ تَشْتَعِلْ

فَضَمَّتْ عَلَيْه الحَشَا رَحْمَةً وكَادَتْ تُكَلِّمُهُ.. لَوْ عَقَلْ!

فَجُنَّ جُنُونُ المُحِبِّ الغَيُورِ..! فَأَنْبَضَ [١] عَنْها أَبِيٌّ بَطَلْ!

أَرَنَّتْ [٢] تُبَكِّي أَخَاهَا الصَّغِيرَ: وَيْحِي!! أَخِي!! وَيْلَهُ!! أَيْنَ ضَلّْ

فَظَلَّ يُفَجِّعُها [٣] : أَنْ تَرى جَنَائِزَ إِخْوَتِها... وآ ثَكَلْ!

فَأَعْرَضَ ظَبْيٌ [٤] فَنَادَى بِهِ أَخُوهَا،، وَنَادَتْهُ: هَا! قَدْ قُتِلْ

وَقَفَّاهُ [٥] ظَبْيٌ فَصَاحَتْ بِهِ،، تَخَارَتْ قَوَائِمُهُ.. ، فَاضْمَحَلّْ

فَآبَا.. يُسَائِلُهَا: هَلْ رَضِيتِ بِثُكلِ الأَحَبَّةِ؟ قَالَتْ : أَجَلْ

فَبَاتَا بِلَيْلةِ مَعْشُوقَةٍ تُباذِلُ عَاشَقَها مَا سَأَلْ

قلت:

فراح يطارد ظبيا شروداً .. تجاوز سِرباً .. عدا .. فانفتلْ [٦]

فشدّ بكفٍ عنيد الرجاء .. يُؤمل ردّا لما قد بذلْ [٧]

---

[١] أنبض القوس: جذب وترها ثم أرسله: فيسمع له صوت كالبكاء.

[٢] أرنت: صاحت صياح النائحة الحزينة.

[٣] يفجعها: ينزل بها الفجيعة بعد الفجيعة.

[٤] أعرض الظبي: أمكن الرامي من عرضه، أي جانبه.

[٥] قفاه: تبعه وجاء بعده، اضمحل: سقط وانقشع.

[٦] فانفتلْ: أي بعُد عن سربه.

[٧] البيان مما أملتها عليّ ظلال الموقف.

فوافت بحقٍ له مضمرٍ .. بكل ما قد حَبًا.. بل أقلْ [١]

وكانت ليلة تمازج فيها الحب والفرح والحزن والرجاء، وصفها الشمّاخ في بيتين

كـأَنَّ عَلَيْهَـا زَعْفَرَانَاً تَمِيرُهُ *** خَوَازِنُ عَطَّارٍ يَمَـان كَوَانِزُ [٢]

إذَا سَقَطَ الأَنْدَاءُ، صِينَتْ وأُشْعِرتْ *** حَبِيرًا، وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا المَعَاوِزُ

وشاعرنا، كالعادة، استطرد وتوسع في خياله عما بين القوس وقواسها فقال:

يُغَازِلُهَا، وَهِيَ مُصْفَرَّةٌ، عَلَيْها بَقِيَّةُ حُزْنٍ رَحَلْ

تُنَاسِمُهُ [٣] عِطْرَهَا، وَالشَّذَا شَذَا زَعْفَرَانٍ عَتِيقِ الأَجَلْ

تَوَارَثْنَهُ الغِيدُ يَكْنِزْنَهُ لِزِينَتِهِنَّ، خَفِيَّ المَحَلّْ

فَسَاهَرهَا [٤] يَزْدَهِيهِ الجَمَالُ وَيُسكِرُهُ العَرْفُ، حَتَّى ذَهَلْ

فَنَادَتْهُ : وَيْحكَ! أَهَلكْتَنِي! أَغِثْنِي... هَذَا النَّدَى قَدْ نَزَلْ

فَطَارَ إلَى عَيْبَة [٥] ضُمِّنَتْ حَرِيرًا مُوَشَّى نَقِيَّ الخَمَلْ

كَسَاهَا حَفِيّ بِهَا عَاشِقٌ! إذَا أَفْرَطَ الحُبُّ يَوْمًا قَتَلْ

---

[١] أي أتت له بالطريدة رداً لبعض جميله.

[٢] مكانزُ: مكان للتخزين، والمعنى أن لها رائحة كأنها تستدرها من عطر عطار يمدها به من مستودعات عطره اليماني.

[٣] تناسمه: تهدي إليه نسيمها، والشذا: الرائحة الطيبة.

[٤] ساهرها: بات معها ساهراً. يزدهيه: يستخف لبه العرف: الرائحة الطيبة يعرف بها صاحبها.

[٥] العيبة: وعاء من أدم تحفظ فيه الثياب. الخمل: هدب القطيفة وزئبرها.

فَأَلْبَسَها الدِّفْءَ ضِنًّا بِها... وَبَاتَ قَرِيرًا [١].. عَلَيْه سَمَلْ!!

هكذا مضت الليلة التي وفت له فيها بوعدها ووفي لها فيها بحرصه عليها ورعايتها.

ولكن.. هيهات أن تصفو لهما الحياة، رخية هانئة، دون أن يعترضها ما يعترض حياة الكائنات كلها، من محن وابتلاءات، تنجح فيها أو تفشل .. فماذا خبأ القدر، لقوّاسنا وقوسه؟

يتبع إن شاء الله القسم الرابع والأخير

د طارق عبد الحليم

٧ يناير ٢٠١٨ - ٢١ ربيع ثان ١٤٣٩

[١] قرير: قد أخذته قرة البرد، وهو أشده، والسمل: الثوب الخلق الدريس البالي.

القسم الرابع

١) النضوج والتألف

وقبل هذا، كانت ليلة لا مثلها ليلة، تناجيا فيها بعد أن قدّت له صكّ الوفاء، وقدّم اليها فرض الولاء، لحنى عليها، وألبسها ما يحفظ عليها متنها من قطر الندى، بعد ان انصرف عنها حزن فراق أحبتها، ألبسها ما يحفظها، ونام وعليه سمل من اللباس لا يعنيه!

كَأَنَّ عَلَيْهَا زَعْفَرَانَاً تَميرهُ *** خَوَازِنُ عَطَّارٍ يمَان كَوَانِزُ

إذَا سَقَطَ الأَنْدَاءُ، صِينَتْ وأُشْعِرتْ *** حَبِيرًا، وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا المَعَاوِزُ

فكان صدى شاعرنا:

يُغَازِلُهَا، وَهْيَ مُصْفَرَّةٌ، عَلَيْها بَقِيَّةُ حُزْنٍ رَحَلْ

تُنَاسِمهُ [١] عِطْرَها، وَالشَّذَا شَذَا زَعْفَرانٍ عَتِيقِ الأَجَلْ

تَوَارَثْهُ الغِيدُ يَكْنِزْنَهُ لِزِينَتِهِنَّ، خَفِيَّ المَحَلّْ

فَسَاهَرهَا [٢] يَزْدَهِيهِ الجَمَالُ وَيُسكِرُهُ العَرْفُ، حَتَّى ذَهَلْ

فَنَادَتْه: وَيْحَكَ! أَهلَكْتَنِي! أَغِثْنِي... هَذَا النَّدَى قَدْ نَزَلْ

فَطَارَ إلَى عَيْبَة [٣] ضُمِّنَتْ حَرِيرًا مُوَشَّى نَقِيَّ الخَمَلْ

---

[١] تناسمه: تهدي إليه نسيمها، والشذا: الرائحة الطيبة.

[٢] ساهرها: بات معها ساهراً. يزدهيه: يستخف لبه العرف: الرائحة الطيبة يعرف بها صاحبها.

[٣] العيبة: وعاء من أدم تحفظ فيه الثياب. الخمل: هدب القطيفة وزئبرها.

كَسَاهَا حَفِيّ بهَا عَاشِقٌ! إذَا أَفْرَط الحُبُّ يَوْمًا قَتَلْ

فَأَلْبَسَها الدِّفْءَ ضِنًّا بِها... وَبَاتَ قَرِيرًا [١].. عَلَيْه سَمَلْ!!

٢) الموقف المهيب

ثم يأتي الموقف الرهيب المهيب، الذي تفتقت عنه عبقرية الشمّاخ، من قبل قرون خمسة عشر، فالتقفها خيال شاعرنا، فأضاف وفصّل وجعله موقف يمثل جزءاً من حياة كلّ إنسان يمتلك شعورا بمعنى الحياة، حلوها ومرّها، فرحها وترحها، وما تأتي به حوادثها من تقلبات، تعترى حياة الناس، فتسلب غالياً، وتذبل وارفاً.. لكنها، في آخر الأمر، تقدّم النهار مهما طال الليل، وتعرض الأمل مهما تغلغل اليأس، عكس ما قصد الشمّاخ كما سنرى.

توجه القوّاس إلى موسم الحج، حيث يبيع الناس ويشترون، وحيث يجتمع خبراء التحف وصائدي الفرص، يغتنمون حاجة المحتاج وفاقة الفقير. فما لبس أن رمقت عينا أحدهم تلك القوس العذراء في فتوتها وقوتها، بعينيّ نمر يتربص بفريسته

عرض ذلك المترصد المال والمتاع ما أذهل القوّاس البائس، المُفرط في الحاجة عن صنيعة يديه

فوافى بها أهلَ المواسمِ فانبرى لها بيعٌ يغلي بها السومَ رائزُ [٢]

فقال لهُ : هل تشتريها فإنها تباعُ بما بيعَ التلادُ الحرائزُ [٣]

---

[١] قرير: قد أخذته قرة البرد، وهو أشده، والسمل: الثوب الخلق الدريس البالي.

[٢] وافي: ذهب وتوجه، السوم: المساومة على بيع، رائزُ: مختبٌر لمن يشترى.

[٣] التلاد: المتاع ذو القيمة الغالية، الحرائز: المقتناة لقيمتها المضنون بها فهي حريزة.

فقال : إزارٌ شرعبيٌّ وأربعٌ من السِّيَراءِ أو أَواقٍ نواجزُ [١]

ثمانٍ من الكيريِّ حمرٌ كأنها من الجمْر ما ذّكى من النارِ خابِزُ [٢]

وبُردانِ من خالٍ وتسعون درهماً ومعْ ذاكَ مقروظٌ من الجِلْد ماعِزُ [٣]

وفي نسخة الشمّاخ، لم يكل الحوار أكثر من فكرة عابرة، دارت في خلده، ومعركة بين الحفاظ على تليده الجديد، أم أن يشريه بما يفيد في زمنه الماحل العنيد؟

فظلَّ يناجي نفسه وأميرها أيأتي الذي يُعطى بها أم يُجاوزُ [٤]

وجاءت أصوات الجمهور من حوله، تدفعه دفعا إلى أن يبع ما لديه، إذ هي صفقة، في نظر من لم يعاني صنعتها، جديرة بالاعتبار والقبول

فقالوا لهُ بايعْ أخاك ولا يَكُنْ لكَ اليومَ عن رِبْحٍ من البيع لاهِزُ [٥]

فجاء القرار سريها، والبدل أسرع، ثم خيبة الأمل والحزن أسرع وأسرع، فنسحب القواس من الساحة، يجرّ أذيال الخيبة والحسرة، على ما معه من جنى الثمن الي باع به صنعة يديه.

فلما شراها [٦] فاضتِ العينُ عبرةً وفي الصّدرِ حُزّازٌ من الوجْد حامِزُ [٧]

---

[١] شرعبيّ: نوع من الأردية الطويلة، السّيراء: نوع من البرود المطعمة بخطوط الحرير الأصفر، أواق ناجزة: أي دراهم حاضرة معجلة.

[٢] الكيثري أو الكوري في بعض النُسخ، ما يصاغ من قطع لدي الصائغ، والخابز: صانع الخبز.

[٣] بردان: رداءان، الخال: بردٌ يمني أحمر فيه خطوط سوداء، مقروظ، أي مدبوغ بأحسن دباغ.

[٤] ظل يسائل نفسه وذاته، أيخذ الثمي ويبيع أم يتجاوز عن الصفقة وينساها.

[٥] لاهز: مانع يصدك عنه. وقالوا عائدة على حاضري السوق ممن شهدوا السوم.

[٦] شراها أي باعها.

[٧] حزازٌ:قاطع للنفس يحزّها من الألم، حامزُ: ذو مذاق مرير حامض. دليل على عذاب النفس

هذا هو! تلك هي نهاية الموقف المهيب. استسلام الفقر للغنى، وبيع المحب لمن أحب بالمال، فالفقر ضعف لا قوة معه، والعوز قوة لا مقاومة له.

وبهذا البيت أنهى الشمّاخ رحلته مع القوس، وسجّل فراقه لها مهزوما مدحورا، فاقدا للأمل، عازفا عن الدنيا.

فماذا كان موقف شاعرنا في هذا الموقف العصيب الرهيب؟

٣) الصراع النفسي عند محمود شاكر

كانت معالجة شاعرنا لذلك الموقف ذاته، مختلفة إلى حد كبير عن معالجة الشمّاخ. فقد أوحى له الموقف العاصف بالمشاعر الإنسانية، بين التردد والإقدام، والأمل واليأس، والعزة والحاجة، والإقدام والإحجام، ما جعل هذه القصيدة جوهرة فريدة في نوعها بين فرائد الشعر التمثيلي، كما في مجنون ليلى لشوقي على سبيل المثال، إنما الفرق أن شاكر قد أقام ليلاه من غصن صنعته يداه، فكانت أقرب له من ليلى قيس!

تمادى شاعرنا في وصف العلاقة المتطاولة النامية بينه وبين قوسه، فهي ليست أياما قليلة العدد، بل زمن طويل، وليالٍ ذات عدد، يسير بها، بين طلول بادت، ومنازل زالت، لأقوام ما بقي منهم إلا خبرٌ يتردد بين الناس في سمر.

صاحبته القوس، ليله ونهاره، في صعوده الجبل وانحداره للواد، بين الأدغال الكثيفة والأشجار المنيفة، يتحاكيا بينهما بسرٍ لا يفهمه عنهما أحد، إلا هما. وهي كالطالبة بين يدي معلمها، يهديها حكمة الزمن، ويريها سنن تقلباته، وتقلبات الناس به، مؤكدا لها أنه ضنينٍ بها أن يجعلها تحيا تلك الحياة المرة الشاقة التي يحياها الناس، "فَعَرْشٌ يَخِرُّ، وسَاعٍ يقرُّ[١]، وساقٍ يميل.. ونَجْمٌ أَفَلْ!"

وتحسرها.

[١] ساع يقر: بينا هو يسعى هنا وهناك، إذ ثبت مكانه. أفل: غاب وهوى.

وتجلّت الحكمة له، ولها، أنّ وفاء الأخلاء نادرٌ عزيز، وأنّ البعد عن الخلق مغنم لا مغرم، ففيهم الواشي وفيهم الحاسد وفيهم الخصم المقارع، فما لهم ولهذه المناوشات التي تملّ منها النفوس، لكنها لا تملّ من صحبة الخليل الودود.

تَمَتَّع دَهْراً بأَيَّامِهَا وَلَيْلاتِهَا نَاعِماً قَدْ ثَمِلْ [١]

يَرَاهَا، عَلَى بُؤْسِهِ، جَنَّة تَدَلَّتْ بِأَثْمَارِهَا، فَاسْتَظَلّْ

تُصَاحِبُهُ فِي هَجِيرِ القِفَارِ، وَفِي ظُلَمِ اللَّيْلِ أَنَّى نَزَلْ

فَيَحْرُسُهَا وَهْوَ فِي أَمْنَةٍ [٢]، وَتَحْرُسُهُ فِي غَوَاشِي الوَجَلْ

يَجُوبُ الوِهادَ [٣]، وَيَعْلُو النِّجادَ، وَيَأْوِي الكُهُوفَ، وَيَرْقَى القُلَلْ

ويُفْضِي إلَى مُسْتَقَّر الحُتُوفِ: فِي دَارِ نِمْرٍ، وَذِئْبٍ، وَصِلّْ [٤]

مَنَازِلَ عَادٍ، وَأَشْقى ثَمُودَ، وَحِمْيَرَ، وَالبَائِدَاتِ [٥] الأُوَلْ

مَجَاهِلَ مَا إِنْ بِهَا مِنْ أَنِيسٍ، وَلاَ رَسْم دَارٍ يُرَى أَوْ طَلَلْ

يُعَلِّمُهَا كَيْفَ كَانَ الزَّمَانُ، وَمَجْدُ القَدِيم، وَكَيف انتَقَلْ!

وَكَيْفَ تَسَاقَى بِهَا الأَوَّلُونَ رَحِيقَ الحَيَاةِ وَخَمْرَ الأَمَلْ!

وَأَيْنَ الأَخِلاَّءَ كَانُوا بِها يَجُرُّونَ ذَيْلَ الهَوَى وَالغَزَلْ!

---

[١] ثمل: أخذ فيه الشراب والسكر.

[٢] أمنة: أمان من الخوف. غواشي الوجل: ما يغشاه من المخاوف.

[٣] الوهاد: الأرض المنخفضة. النجاد: الأرض المرتفعة. القلل (جمع قلة): وهو رأس الجبل.

[٤] الصل: حية تقتل إذا نهشت من ساعتها، لا تنفع فيها الرقية.

[٥] البائدات الأول: طسم وجديس وجرهم، وما باد من العرب العاربة.

وَملْكٌ تَعَالَى، وَطَاغٍ عَتَا، وَحُر أَبَى وَحَرِيصٌ غَفَلْ!

فَدَمْدَمَ [١] بيْنَهُمُ صَارِخٌ: بقَاء قَلِيلٌ!! وَدُنْيَا دُوَلْ!!

فَعَرْشٌ يَخِرُّ، وَسَاعٍ يَقَرُّ [٢]، وَسَاقٍ يَمِيلُ.. وَنَجْمٌ أَفَلْ!!

زَهِدْتُ إليْك وَفَارَقْتهُمْ أَخِلاَّءَ عَهْدِ الصِّبَا وَالجَذَلْ

فَنِعْمَ الصَّدِيقُ! وَنِعْمَ الخَلِيلُ وَنِعْمَ الأَنِيسُ.. وَنِعْمَ البَدَلْ!!

صَدِيقٌ [٣] صَدَاقَتُهَا حُرَّةٌ، وَخِل خِلاَلَتُهَا لاَ تُمَلّْ

وَغَابَا مَعًا عَنْ عُيُونِ الخُطُوبِ، وَعَنْ كَلِّ وَاشٍ وَشَى أَوْ عَذَلْ

وَعَنْ فِتْنَةٍ تُذْهِلُ العَاشِقَيْن، تُضِيءُ الدُّجَى لِدَبِيبِ المَلَلْ

لكِنِ هل تصفو الدنيا لأحدٍ، أيّا كان؟ لا، ولن يكون، فهي " بَقَاء قَلِيلٌ!! وَدُنْيَا دُول!!".

احتاج الصياد إلى أن يوافي موسم الحج، يبتاع ما يحتاجه الحيّ من متاعٍ وإن قلّ وحاجات وإن ندرت. فحمل قوسه وراح في طريقه، بعد أن استشارها وأسشارته، وهو لا يعلم ما يخبئ له القدر، ولها!

وَطَالَ الزَّمَانُ، فَحَنَّتْ بِهِ إلى الحَجِّ دَاعِيَةٌ تَسْتَهِلّ [٤]

---

[١] الدمدمة: صوت مزعج يرجف على الناس ويطبق.

[٢] ساع يقر: بينا هو يسعى هنا وهناك، إذ ثبت مكانه. أفل: غاب وهوى.

[٣] الصديق، والخل: يقال للمذكر والمؤنث جميعا. والخلالة: الصداقة التي تتخلل النفوس.

[٤] تستهل: ترفع الصوت إهلالا بالحج، وتلبية لله سبحانه.

آذَانٌ مِنَ اللّٰهِ! كَيْفَ القَرَارُ؟ وَأَيْنَ الفِرَارُ؟ وَكَيْفَ المَهَلْ [١]

تُرَدِّدُهُ البِيدُ بَيْنَ الفِجَاجِ، وَفَوْقَ الجِبَالِ، وَعِنْدَ السُّبُلْ

أَصَاخَ لَهُ، وَأَصَاخَتْ لَهُ، وَلَبَّاهُ فَامْتَثَلَتْ، وَامْتَثَلْ

وَطَارَا معًا كَظِمَاءِ القَطَا [٢]، إلَى مَوْرِدٍ زَاخِرٍ مُحْتَفِلْ

فَوَافَى المَوَاسِمِ. فَاسْتَعْجَلَتْ تُسَائِلُهُ: مَنْ أَرَى؟.. أَيْنَ ضَلْ؟

أَسَرَّ إِلَيْهَا: أولاَكِ الحَجِيجُ!! فَلَبِّي لِرَبٍّ تَعَالَى وَجَلْ

ثم ترى القواس حين دخل موطن الحجيج، وموضع السوق فيه، آتيا من باديته، حاملا قوسه، يواجه جموعا كثيفة من البشر، يسعى كلّ لحاجته، فهم منشغلون بأنفسهم عن أنفسهم، وهم الشاغل والمشغول.

وفي هذا الحجيج، ذي الضجيج والعجيج، إذا بذئب بشريّ يترصّد، يلمح "ذات القدّ المعتدل" فيتوله بها، ويرقبها بعيون كجمرة نار، أو كسيف بتّار، وهي ترى ما تراه، واجلة جافلة، خائفة تترقب. ولا يلبث إلا أن يتبع قواسها، فيبغته بأن يمسّ خليلته، وإذا بخليلها يتركها للذئب، يحملها على كفه، فترتعش راجفة منزعجة لا تكاد تصدق ما فعله.

وَنَادَتْهُ جَافِلَةً [٣]: مَا تَرَى! أَجَذْوَةَ نَارٍ أَرَى أَمْ مُقَلْ؟

فَمَا كَادَ... حَتَّى رَأَى كَاسِرًا [٤] تَقَاذَفَ مِن شَعَفَاتِ الجَبَلْ

---

[١] المهل: الاستنظار والتؤدة.

[٢] ظماء القطا: القطا الوارد الماء. محتفل: فيه محافل الناس ومجامعهم.

[٣] جافلة: مذعورة تكاد ترتد. جذوة النار: الجمرة الملتهبة.

[٤] الكاسر: الذي ضم جناحين وانقض: تقاذف: هوى على عجل. شعفات الجبل: رؤوسه وقممه.

يُدَانِي الخُطَا، وَهْوَ نَارٌ تَؤُجُّ [١]، وَيُبْدِي أَنَاةً تَكُفُّ العَجَلْ

وَمَدَّ يدا لا تَرَاها العُيونُ، أَخْفَى إذَا مَا سَرَتْ مِنْ أَجَلْ

وَنَظْرَةَ عينٍ لَهَا رَوْعَةٌ، تُخَالُ صَلِيلَ سُيُوفٍ تُسَلّْ

فَلَمَّا أَهَلَّ وَأَلْقَى السَّلامَ، وافْتر عَنْ بَسْمِةِ المُخْتَتِلْ [٢]

وَقَالَ : أَذِنْتَ؟! وَيُمْنَى يَدَيْه تَمَسُّ أَنَامِلُهَا مَا سَأَلْ

رَأَى بَائسا مَالهُ حُرْمَةٌ تَكُفُّ أَذىً عنه...، بُؤْسٌ وذُلْ

وَقَالَ : فَدَيْتُكَ! مَاذَا حَملتَ؟ وَمَاذَا تَنَكَّبْتَ [٣] يَاذَا الرِجُلْ؟!

وَأَفْدِي الَّذِي قَدْ بَرَى عُودَهَا، وَقَوَّمَ مُنْآدَها [٤]، وَاعْتَمَلْ!!

فَهَزَّتْهُ مَا كِرَةٌ، [٥]لَمْ يَزَلْ يَتِيهُ بِهَا السَّمْعُ، حَتَّى غَفَلْ

فَأَسْلَمَهَا لِشَدِيد المِحَالِ [٦]، ذَلِيقِ اللِّسَانِ، خَفِيِّ الحِيَلْ

فَلَمَّا تَرَامَتْ عَلَى رَاحَتَيْه، وَرَازَ [٧] مَعَاطِفَهَا وَالثِّقَلْ

---

[١] تؤج: تتلهب، ويسمع لتلهبها صوت، وهو أجيج النار.

[٢] المختتل: المخادع الذي يطلب غفلة الصيد.

[٣] تنكب القوس: وضعها على منكبه.

[٤] المنآد: المعوج. اعتمل: جاهد في عملها.

[٥] ماكرة: كلمة مكر.

[٦] المحال: الكيد والمكر الشديد الخفي. ذليق اللسان: فصيح اللسان طليقه.

[٧] راز الشيء: وضعه في كفه ليعرف ثقله وامتحنه، ومعاطف القوس: مقدار انعطافها إذا حناها وشد وترها.

دَعَتْ: يَاخَلِيلِيَ! مَاذَا فَعَلْتَ؟! أَأَسْلَمْتَنِي؟! لِسَوَاكَ الهَبَلْ [١]!!

نخَالَسَهَا [٢] نَظْرَةً خَفَّضَتْ غَوَارِبَ جَأْشٍ غَلاَ بِالوَهَلْ

قال الشّمّاخ

فَظَلَّ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرِهَا *** أيَأْتِي الَّذِي يُعْطى بِهَا أَمْ يُجَاوِزُ

ثم بِدأت المساومة. وراح الشاري يعرض ما لديه، يغري به حاحب الحاجة وشديد العوز، ويتلاعب بما في نفسه من حبٍّ وتعلق بقوسه التي زاملته مزاملة الخليلة الوفية، زمنا طويلا، وبادلته عشقا بعشق، ورعاية برعاية.

قال الشّمّاخ

فَظَلَّ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرِهَا *** أيَأْتِي الَّذِي يُعْطى بِهَا أَمْ يُجَاوِزُ

لكن شاعرنا راح، في أكثر من خمسة وثلاثين بيتا، يصف، بأدق وصف، اعتمال الأحاسيس وازدحام النفس بتلك المشاعر المتضاربة. قلق، واضطراب، وذهول، ودهشة، استبدت بالخليلة المحبة، التي لا تكاد تصدّق أن صاحبها تراوده نفسه في بيعها والتخلي عنه. وقواسّ ذاهل عن مشاعره، لا يرى ما يكاد له، حالماً بغنىٍ وسد حاجات عزت عنها يداه زمن، فهو عن ندائها واستشفاعها بما كان بينهما في شغل.

وَقَالَ : لَكَ الخيْرُ! فَدَّيْتَنِي بنَفْسِكَ!!

ـ بَارِي قِسِيّ!

ـ أَجَلْ!!

---

[١] الهبل: ثكل الولد.

[٢] خالسها: نظر إليها خلسة. خفضت: سكنت. الغوارب: أعالي الموج. الجأش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع. الوهل: الفزع الملحق بالجنون.

فَبِعْنِي إِذَنْ!!

ـ هِيَ أَغْلَى عَلَّي، إذَا رُمْتَهَا، مِنْ تِـلادٍ [١] جَلَلْ!

فَقَالَ : نَعَمْ! لَكَ عِنْدِي الرِّضى، وَفَوْقَ الرِّضَى!

ـ [وَيْلهُ مَنْ مضِلْ!]

فَهَلْ تَشْتَرِيهَا [٢] ؟!..

ـ نَعَمْ أَشْتَرِي!

ـ لَكَ الوَيْلُ مِثْلُك يَوْمًا بَخِلْ!

فَدَيْتُكَ!! أَعْطَيْتُ مَا تَشْتَهِيه!.. مَابِيَ فَقْرٌ ولا بِي بَخَلْ [٣]!

فَنَادَتْهُ، وَيْحَكَ! هَذَا الخَبِيثُ! خُذْنِي إِلَيْكَ، وَدَعْ مَا بَذَلْ

فَبَاسَمَها [٤] نَظْرَةً...، ثُمَّ رَدَّ إِلَى الشَّيْخِ نَظْرَةَ سُخْرٍ مُطِلٌّ:

بِكَمْ تَشْتَرِيها؟!..

فَصَاحَتْ بِهِ : حَذَارِ! حَذَارِ! دَهَاكَ الخَبَلْ!!

لَهُ رَاحَةٌ نَضَحَتْ [٥] مَكْرَهَا عَلَي، فَدَع عَنْكَ! لاَ تُغْتَفَلْ

---

[١] التلاد: المال الموروث الذي ولد عندك. الجلل: الجليل العظيم القدر.

[٢] تشتريها: تبيعها.

[٣] البخل (بفتحتين)، هو البخل.

[٤] باسمها: نظر إليها نظرة سخر مبتسم.

[٥] نضحت: فضت مكرها كالعرق، دع عنك: احذر، تغتفل: تؤخذ من غفلتك.

فَقَالَ : إزَارٌ مِنَ الشَّرْعَبِيِّ [١] وَأَرْبَعٌ مِنْ سِيَرَاءِ الحُلَلْ

بُرُودٌ تَضِنُّ بِهِنَّ التِّجَارُ [٢] إذَا رَامَهُنَّ مَلِيكٌ أَجَلّْ

وَمِنْ أَرْضِ قَيْصَرَ : حُمْرٌ ثَمَانٍ جَلاهَا [٣] الهِرَقْلِيُّ، مِثْلُ الشُّعَلْ

ثَمَانٍ تُضِيءُ عَلَيكَ الدُّجَى! إذا عَمِيَ النَّجْمُ، نعمَ البَدَلْ

وَبُرْدَانِ من نَسْجِ خَالٍ [٤]، أَشَفُّ وَأَنْعَمُ مِنْ خَدِّ عَذْرَاءَ.. بَلْ

إذَا بُسِطَا تَحْتَ شَمْسِ النَهارِ، فَالشَّمْسُ تَحْتَهُمَا.. لَيْسَ ظِلّْ

وَتِسْعُونَ مِثْلُ عُيُونِ الجَرَادِ.. بَرَّاقَةٌ كَغَدِيرِ [٥] الوَشَلْ

كَمِرْآةِ حَسْنَاءَ مَفْتُونةٍ، كَكَأْسِ سِنَانٍ حَدِيثٍ صُقِلْ

أَجَلْ..!! وَأَدِيمٌ [٦] كَمِثْلِ الحَرِيرِ، يُطْوَى وَيُرْسَلُ مثْلَ الخَصَلْ

وَحَوْلَهُمَا زَفَرَاتُ الزِّحَامِ، وَأُذْنٌ تَمِيلُ، وَرَأْسٌ يُطِلّْ

وَغَمْغَمَةٌ [٧]، وَحَدِيثٌ خَفِيٌّ وَنَغْيَةُ زَارٍ، وآتٍ سَأَلْ

---

[١] الشرعبي: ثياب جياد سابغة. السيراء: برد فيه سيور يخالطها الحرير.

[٢] التجار (جمع تاجر).

[٣] جلاها: صقلها. الهرقلي: الرومي، نسبة إلى هرقل الملك.

[٤] خال: مكان تضع فيه البرود الجيدة.

[٥] الغدير: مكان يغادر السيل فيه بعض الماء. والوشل: الماء يتحلب من جبل أو صخرة، يقطر قليلا قليلا، لا يتصل قطره.

[٦] الأديم: الجلد المدبوغ اللين. الخصل (جمع خصلة): وهي لفيفة من الشعر المجتمع.

[٧] غمغمة: الكلام الذي لا يتبينه السامع، والنغية: كلمة ذات نغمة. الزاري: العائب المظهر للاحتقار.

وَعَاشِقَةٌ فِي إِسَارِ[١] السوَامِ!! وَعَاشِقُها فِي الشَرَاكِ أُحْتُبِلْ

تُنَادِيه مَلْهُوفَة تَسْتَغِيثُ، ضَائِعَةُ الصَّوْتِ..، عَنْهَا شُغِلْ

هي الحاجة اللعينة تفرض نفسها على الإنسان، فتلتوي به عن الطريق السديد، طريق العزة والود والمحبة والوفاء والتضحية والاستعلاء، إلى طريق الرغبة والأنانية والمادية والانكفاء.

٤) بداية الألم

وفي بيت واحد، يلخص الشمّاخ ما يحدث في هذا الموقف المهيب

فَقَالوا لـهُ : بَايِـعْ أَخَاكَ.. وَلا يَكُنْ *** لَكَ اليَوْمَ عَنْ رِبْحٍ مِنَ البَيْعِ لاَهِزُ

ويبدع شاعرنا في أبيات تقارب الأربعين بيتا.

الجمع يتكاثر حول المتساومَيْن. الناس كعادتها، كلّ يدلى برأي لم يطالبه به أحد، يعرب به عن نفسه لو كان في محل البائع، يعكس حالته الذاتية، وكأنه يعين البائع والشاري! فمن يقول "بعْ"، ومن ينصح "لا تبعْ".

وتدور الدنيا بالقواس، فتجرى في نفسه مجادلة عنيفة بين دافع الغني الذليل والفقر العزيز، الإقدام والإحجام، التقدم والتقهقر، يتنازعه خاطران، أن كيف وأنّى له أن يتركها تضيع من بين يديه

أَجَلْ!! بَلْ هُوَ البُؤْس بَادٍ عَلَيَّ! فَأَغْرَاهُ بي! وَيْحَهُ! مَا أَضَلّْ!!

---

[١] الإسار: الأسر. والسوام: المساومة في البيع. والشراك (جمع شرك): وهو حبالة الصائد يرتبك فيها الصيد. احتبل: وقع في حبالة الصائد.

يُسَاوِمُنِي المَالَ عَنهَا؟! نَعَمْ!.. نعم!.. إذَا لَبِسَ البُؤْسُ حُرًّا أَذَلّْ

لكنه شديد البؤس والفقر، لا يكاد يشعر به الناس، وتخترقه، إلا إن تحدّث!

إذَا مَا مَشَى تَزْدَرِيهِ العُيونُ، وَإنْ قَالَ رُدَّ كَأَنْ لَمْ يَقُلْ

نَعَمْ! إنَّهُ البُؤْسُ!! أَيْنَ المَفَرُّ مِنْ بَشَرٍ كَذِئَابِ الجَبَلْ؟!

حتى يصل إلى قرار، وياله من قرار .. أن باعها .. نعم باعها، وهو لا يكاد يعي ما فعل، كأن من باع غيره لا هو، فكيف يبيع أحد نفسه، وكيف تهون عليه .. لكنه باع، هل باع حقاً؟ نعم باع، ومضى الرجل بغنيمته، تاركاً المتاع، واختفى عن العيون.

[أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّ السَمَاءِ وَالأَرْضِ!.. مَاذَا يَقُولُ الرَّجُلْ؟!

أَجُنَّ؟! نَعَمْ.. نعم.. لا!.. أَرَى سُورَةً [1] مِنْ العَقْلِ، لاَ خَلَجَاتِ الخَبَلْ!

وَعَيْنَيْ صَفَاءٍ كَمَاءِ القِلاَتِ [2]، وَعِرْنِينَ أَنْفٍ سَمَا وَاعتَدَلْ

وَجَبْهَةَ زَاكٍ [3]، نَمَاهُ النَّعِيمُ فِي سُؤْدُدٍ وَسَرَاءٍ نُبُلْ

أَيُعْطِي بِهَا المَالَ؟! هَذَا الخَبَالُ! قَوْسٌ وَمَالٌ كَهَذَا؟ ثُكِلْ!!

وَيَارَبِّ! يَارَبِّ! مَاذَا أَقُولُ؟.. أَقُولُ نَعَمْ!.لا فَهَذَا خَطَلْ

---

[1] السورة المنزلة الرفيعة المشرفة الظاهرة. خلجات الخبل: مايتجاذب المخبول من الاضطراب، فتتفكك أوصاله، ويتمايل يمنة ويسرة

[2] القلات (جمع قلت، بسكون اللام): نقرة في الجبل يقطر فيها ماء واشل من سقف أو كهف، وهو أصفى ماء. والعرنين: الأنف تحت مجتمع الحاجبين، حيث يكون الشمم، وهو دليل على كرم الأصل.

[3] الزاكي: النابت في نعمة وخصب وكرم، والسراء: المروءة والسخاء والشرف.

أَبِيعُ!! وَكَيْفَ!.. لَقَدْ كَادَنِي [١] بِعَقْلِي هَذَا الخَبِيثُ المَحِل

أُفَارِقُها! وَيْكَ [٢]!! هَذَا السَّفَاهُ! قَوْسِيَ! كَلاَ! خَدَينِي وَخِلّْ!!

أَجَلْ!! بَلْ هُوَ البُؤْس بَادٍ عَلَيَّ! فَأَغْرَاهُ بِي! وَيْحَهُ! مَا أَضَلّْ!!

يُسَاوِمُنِي المَالَ عَنهَا؟! نَعَمْ!.. إِذَا لَبِسَ البُؤْسُ حُرًّا أَذَلّْ

إِذَا مَا مَشَى تَزْدَرِيهِ العُيُونُ، وَإِنْ قَالَ رُدَّ كَأَنْ لَمْ يَقُلْ

نَعَمْ! إِنَّهُ البُؤْسُ!! أَيْنَ المَفَرُّ مِنْ بَشَرٍ كَذِئَابِ الجَبَلْ؟!

ثَعَالِبُ نُكْرٍ [٣] تُجِيدُ النِّفَاقَ حَيْثُ تَرَى فُرْصَةً تُهْتَبَلْ

كِلاَبٌ مُعَوَّدَةٌ لِلْهَوَانِ تُبَصْبِصُ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ بَذَلْ

فَوَيْحِي مِنَ البُؤْسِ!.. وَيْلٌ لَهُمْ!!. أَرَى المَالَ نُبْلاً يُعَلِي السِّفَلْ [٤]

نَخُذْ مَا أَتَيتَ بِهِ..!! إِنَّهُ مَلِيكٌ يُخَافُ، وَرَبٌّ يُجَلّْ

وَسُبْحَانَ رَبِّي! يَدِي! مَا يَدِي؟! بَرِيتُ القِسِيَّ بِهَا لَمْ أَمَلْ!

حَبَانِي [٥] بِهِ فَاطِرُ النَيِّرَاتِ وَبَارِي النَّبَاتِ وَمُرْسِي الجَبَلْ!

---

[١] كاده بعقله: احتال عليه وغلب عقله. المحل: الشديد المكر والدهاء.

[٢] ويك: مثل، ويلك، تعجب وتهديد، السفاه: السفه والطيش. الخدين: الصديق المصاحب. والخل: الصديق المتداخل المودة.

[٣] النكر: الدهاء المنكر الخبيث: اهتبل الفرصة: اغتنمها وافترصها على غفلة.

[٤] السفل (جمع سفلة): وهُم أراذل الناس وسقاطهم.

[٥] حباه: أعطاه فأكرمه. فاطر النيرات: المبتدئ خلق الكواكب المنيرة. وباري النبات: خالقه.

وَأَوْدَعَهَا سِرَّهَا عَالِمٍ خَبِيرٌ بِمَكْنُونِهَا لَمْ يَزَلْ!

وَفِي المَالِ عَوْنٌ عَلى مِثْلِها! وَفِي البُؤْسِ هُونٌ [١]، وَذُلٌّ، وَقُلٌّ!]

تَنَادَوْا بِهِ : أَنْتَ؟! مَاذَا دَهَاكَ؟! مَالكَ يَا شَيْخُ؟! قُلْ يَا رَجلْ!

وَآتٍ يُصِيحُ، وَكَفٌّ تُشِيرُ، وَصَوْتٌ أَجَشُّ [٢]، وَصَوْتٌ يَصِلُّ!

وَطَنَّتْ مَسَامِعُهُ طَنَّةً... وَزَاغَتْ نَوَاظِرُهُ وَاخْتُبِلْ

.. وَأَفْضَى إِلَيْهِ كَهَمْسِ المَرِيضِ أَشْفَى [٣] عَلَى المَوْتِ مَا يَسْتَقِلُّ..

تُنَادِيهِ: وَيْحَكَ! وَيحِي!! هَلَكْتُ!! أَتَوْكَ بِقَاصِمَةٍ! وَآثْكَلْ!

تَلَفتَ يَصْغِي... وَمِثْلُ اللَّهيبِ ضَوْضَاءُ وَعْوَعَةٍ [٤] فِي زَجَلْ

فَهَذَا يُؤُجُّ [٥]...، وهـذَا يعَجُّ...، وَهَذَا يَخُورُ...، وهَذَا صَهَلْ!

وَدَانٍ يُسِرُّ...، وَدَاعٍ يَحُثُّ...، وَكَفٌّ تُرَبِّتُ: بِعْ يَا رَجُلْ!

لَقَدْ بَاعَ! بِعْ! بَاعَ! لاَ لَمْ يَبِـعْ! غِنَى المالِ! وَيْحَكَ! بِعْ يَا رَجلْ!

---

[١] الهون: الهوان والخزي. والقل: القلة والنقص.

[٢] أجش: فيه جشة أي: غلظ وبحة. صل الصوت: إذا خالطته حدة كأنها صوت حديد على الصفا.
اختبل: أخذه الخبل، كالمجنون المضطرب.

[٣] أشفى: أشرف. يستقل: ينهض.

[٤] وعوعة: صوت مختلط كوعوعة الكلاب، والزجل: الجلبة كأصوات اللاعبين.

[٥] يؤج:يصوت بكلام مرتفع سريع. ويعج: يصيح صياحاً عالياً كالهدير. ويخور: يصيح بصوت غليظ كخوار الثور. وصهل: أخرج صوتاً مبحوحاً كصهيل الخيل.

[وَحَشْرَجَةُ [١] المَوْتِ: خُذْنِي.. إِلَيكَ!!

- لَبَّيْكِ!! لَبَّيْكِ!]

بِـعْ يَا رَجُلْ!!

[أَغِثْنِي!. أَجَلْ!]

بَاعَ! مَاذَا؟! أَبَاعَ؟! نَعْم بَاعَ قَدْ بَـاعَ! حَقّاً فَعَلْ؟!

[أَغِثْنِي! أَغِثْنِي! نَعَمْ!]

قَدْ رَبِحْتَ!!.. بُـورِكَ مَـالُكَ!

أَيْنَ الرَّجُـلْ؟!

٥) الألم عند محمود شاكر

قال الشمَّاخ نادما

فلما شراها [٢] فاضتِ العينُ عبرةً وفي الصّدرِ حُزّازٌ من الوجْد حامِزُ [٣]

بكى الرجل بعد أن باع، وما أشد دمعة الرجل على نفسه، وقد استشعر وخزُ الألم يحز صدره، ومرارة الهزيمة تملأ حلقه.

ثم لا نعلم ما حدث بعد مع قواس الشمّاخ! فقد انتهت به القصة إلى هذا المشهد

[١] الحشرجة: غرغرة الميت، وتردد نفسه.

[٢] شراها أي باعها.

[٣] حزازٌ:قاطع للنفس يحزّها من الألم، حامزُ: ذو مذاق مرير حامض. دليل على عذاب النفس وتحسرها.

الحزين الأليم .. حيث ينتقل بعدها إلى ذكريات مضت مع قوسه الغالية، وما وهبته من إفزاع الطرائد، وإسقاط الفرائس.

لكن الأمر عند شاعرنا الشيخ كان مختلفا جدّ الاختلاف. فالقواس قد تجمد في مكانه لا يكاد يصدّق ما حدث، بل ينكره ويكذبه، لولا أنه لم ير الرجل أمامه، وعرف أنه باعها حين لم يجد خليلته القوس بين يديه، فراح يردد كالتائه الذي ينادي على مسعفه، فلا يجد إلا صدى صوته يؤكد له ضياع نفسه "بعتها بعتها بعتها، مراراً وتكراراً، إمعانا في تعذيب نفسه بالحقيقة المرّة، وتأكيداً لها على أن الأمر قد تمّ وانقضى.

مَضَى!.. أَيْنَ!.. لاَ، لَسْتُ أَدْرِي!.. مَتَى؟

لَقَدْ بِعْتَ ؟!.. كَلاّ وَكَلاّ.. أَجَلْ!

لَقَدْ بِعْتَ! قَدْ بِعْتَ!

ـ كَلاّ! كَذَبْتَ!

لَقَدْ بِعْتَ! قَدْ بَاعَ!

وَيْحِي! أَجَـلْ

لَقَدْ بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا.. جُزِيتُمْ بَخْيرِ جَزَاء، أَجَلْ!!..

أَجَلْ بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا. بِعْتُهَا!! أَجَلْ بِعْتُهَا!! لاَ، أَجَلْ لاَ، أَجَلْ

[أَجَلْ.. لاَ أَجَلْ بِعْتُهَا! بِعْتُهَا!. أَجَلْ بعتها! بِعْتُهَا!.. لاَ أَجَلْ

رأى انفضاض الناس من حوله، يهنأه بعضهم بنعم البدل، ويلومه البعض على فعلته، ويكذّب البعض ما يرى عليه من صورة الألم الممض، ويضحك منه البعض، ويشفق عليه البعض الآخر. وهو لا يزال تائها، ذبيح الصوت غائم العينين، دامي

القلب، ينوء تحت هموم كالجبال فوق صدره، وهو قائم القاعد، كأنه قد شُلت أعضاءه فما بها من حراك، فكأنه قد قُدّ من صخر، عديم الروح، فاقد للحياة.

وفَاضَتِ دُمُوعٌ كَمِثْلِ الحَمِيم [١]، لَذَّاعَةٌ، نَارُها تَسْتَهِلّْ

بُكَاء مِنَ الجَمْرِ جَمْرِ القُلُوبِ، أَرْسَلهَا لاعِجٌ [٢] مِنْ خَبَلْ

وَغَامَتْ بِعينَيْهِ، وَاسْتَنْزَفتْ دَمَ القَلْبِ يَهْطِلُ فِيما هَطَل

وَخَانِقَةٌ ذَبَحَتْ صوته، وَهيضَ [٣] اللِّسَانُ لَهَا وَاعْتَقِلْ

وَأَغْضَى عَلى ذِلَّة مُطْرِقًا، عَلَيه مِنْ الهَمّ مِثْلُ الجبَلْ

أَقَامَ... وَمَا إِنْ بِهِ مِنْ حَرَاكٍ، تَخَاذلُ [٤] أَعضَاؤُه كَالأَشَلّ

وَفِي أُذْنَيهِ ضَجِيجُ الزّحَامِ، وَ«بعْ بَاعَ، بعْ بَاعَ، بعْ يَا رَجُلْ»!

وَأَخْلَدَ فِي حَيْثُ طَارَ السوَامُ [٥] بِمُهْجَتِهِ، كَأُرُومٍ مَثَل

كَأَنْ صَخْرةٌ نَبَتَتْ، حَيْثُ قَامَ، تِمثَال حُزْنٍ صَلُودٍ [٦] عُتُلْ

وَمِنْ حَوْلِهِ النَّاسُ مِثْلُ الدَّبَى [٧] عِجَالاً تَنَزى، دَهَاهُنَّ طل

---

[١] الحميم: الماء الحار. تستهل: تنصب.

[٢] لاعج: محرق. الخبل: اضطراب الجنون.

[٣] هيص: انكسر وتدلى. واعتقل: حبس ومنع الكلام.

[٤] تخاذل: تتخاذل، يخذل بعضها بعضاً.

[٥] السوام: المساومة في البيع، والأروم: أصل الشجرة إذا ماتت وسقطت أغصانها. مثل: انتصب.

[٦] صلود: صلب أملس. عتل: غليظ ثقيل ثابت.

[٧] الدبى: الجراد قبل أن يطير، تنزى: تثب وتنقز. دهاه: غشيه وأصابه، والطل: المطر الخفيف.

فَمِنْ قَائِلٍ : فَازَ! رَدَّت عَلَيْهِ قَائِلَةٌ : لَيْتَهُ مَا فَعَلْ!

وَمِنْ هَامِسٍ: وَيْحَهُ مَا دَهَاهُ! وَمِنْ مُنْكِرٍ: كَيْفَ يَبْكِي الرَّجُلْ!

وَمِنْ ضَاحِكٍ كَرْكَرَتْ [١] ضَحْكَةٌ لَهُ مِنْ مَزُوجٍ خَبِيثٍ هَزَلْ

ومِنْ سَاخِرٍ قَالَ : يَا آ كِلاً! تلَبَّسَ فِي سَمْتِ [٢] مِنْ قَدْ أُكِلْ!

وَمِنْ بَاسِطٍ كَفَه كَالمُعَزِّي وَهَيْنَمَةٍ [٣] غَمْغَمَتَ لَمْ تُقَلْ

وَمِنْ مَشْفِقٍ سَاقَ إِشْفَاقَهُ وَوَلَّى، وَمُلْتَفِتٍ لَمْ يُوَلّ

وَسَالَت جُمُوعُهُمُ فِي الرِّمَالِ.. وَمَاتَ الوَغَى [٤].. غَيْرَ حِسّ يَصِلّ

كم بقِيّ المسكين التَعس على هذا الحال؟! طويلاً، يرقب الناس، كأنهم من حوله أشباح، تحرك في ضَباب، ثم تذروها الرياح! رأي كائنات الأرض تحرك، فتبدو له في أبشع صور، ضباع تتجمع على صرائع، وحيات تتلوى في لهيب الشمس، ورؤوس لا تعرفها أآدمية أم هي "نزيع البصل" .. خيال هائم تحركه رغبة ملحة في البعد عن الواقع الأليم، فيقذف به في تصورات بشعة مخيفة.

وَأَسْفَرَ [٥] وَانْجَابَ دَاجِي السَّوَادِ عَنْ مُخْبِتٍ خَاشِعٍ كَالمُصَلّ

وَظَلَّ طَوِيلاً.. لَهُ سَبْتَةٌ [٦] وَإِطْرَاقَةٌ، وَأَسىً يَنْهَمِلّ

[١] كركر الضاحك: ردد الضحك.

[٢] السمت: الهيئة.

[٣] هينمة: الكلام الخفي كالدندنة. غمغمت: اختلطت ولم تتبين.

[٤] الوغى: الصوت المتداخل كأصوات النحل المجتمع. يصل: يكون له صوت كأصوات أجواف الخيل إذا عطشت.

[٥] أسفر: أشرق. انجاب: انكشف. المخبت: الخاشع المتضائل.

[٦] سبتة: سكون وإطراق بلا حراك.

أَفَاقَ وَقَيذَاً [١]، بَطِيءَ الإِفَاقَةِ.. يَرْفَعُ مِنْ رَأْسِهِ كَالمُطِلّْ
وَقَلّبَ عَيْنِيهِ: ماذَا يَرى؟ وَأَيْنَ الزِّحَامُ؟ وَأَيْنَ الرَّجُلْ!
رَأَى الأَرْضَ تَمْشِي بِهِم كَالخَيَال، أَشْبَاحُهُمْ خُشُبٌ تَنْتَقِلْ
وَهَامٌ [٢] مُحَلَّقَةٌ رُجَّفٌ، وأُخْرى بَدَتْ كَنَزِيعِ البَصَلْ
وَأَغْرِبةٌ [٣]: بَعْضُها جَاثِمٌ يُحَرِّكُ رَأْسًا، وَبَعْضٌ حَجَلْ
وَحَيَّاتُ وَادٍ، لِشَمْسِ الضُّحَى تُلَوِّي حَيَازَيمَها [٤] والقُلَلْ
وَأَزْفَلَةٌ [٥] مِنْ ضِبَاعِ الفَلاَةَ تَخَمَّعُ مِنْ حَوْلِ قَتْلَى هَمَلْ
وَهَنَّا وَهَنَّا ضِبَابٌ [٦] مَرَقْنَ مِنْ كُلِّ جُحْرٍ لسَيْلٍ حَفَلْ
وَثَوْبٌ يَطِيرُ بِلاَ لاَبِسٍ، يَمِيلُ مَعَ الرِّيحِ أَنَّى تَمِلْ

وبدأت الحياة تدب في أوصاله، بطيئة مؤلمة، ورأت عينيه، رأي الحقيقة لا الخيال، أن الجمع قد انفض، فاستسلم، وتنهد زفرات كأنها جمر نار. فظل يصارع نفسه محاولاً أن يفقك أسها من قيود الخيال الممض الذي وقع في أسره طويلا. وراح قلبه يدق مرة أخرى في صدره كأنه أجنحة حمام مبتل ينتفض! وراحت أقدامه تحاول الحركة

[١] الوقيذ: المريض الدنف المشفى على الهلاك.

[٢] هام محلقة: رؤوس محلوقة. رجف (جمع راجف): ترتجف وتضطرب. نزيع البصل: المنزوع بجذوره.

[٣] أغربة (جمع غراب).

[٤] الحيازيم (جمع حيزوم): وهو ما اكتنف الحلقوم والقلل: الرؤوس، والحية تفعل ذلك وهي تتشمس.

[٥] أزفلة: الجماعة تأتي مسرعة. والضباع: من لئام الحيوان. تخمع: تعرج. همل: مهملة ملقاة.

[٦] الضباب تخرج من جحورها إذا دهمها السيل.

وتعاني من ثقل عليها كأنها مثبتة في الأرض من ثقل رشاء تنزعها من بشر عميق القرار. ويحملق يائسا في كفيه، لتكتمل له الحقيقة المرة .. نعم بعتها! وها هو حال الدنيا مع من نحب وما نحب، لا تثبت بنا ولا نثبتهم لنا، بل حالها دوان التقلب وتداول الأحداث "بَقَاءٌ قَلِيلٌ ودُنيَا دُوَلْ!"

تَمَطّى بِهِ البعْثُ مِنْ نَعْسَةٍ، ومِنْ سِنةٍ كَفُتُورِ الكَسَلْ

وَدبَّتْ إِليْه بَقَايَا الحَيَاةِ، فَرَفَّعَ أَعْطَافَهُ [١] وَاعْتَدَلْ

وَظَلَّ ينَازِعُ كَبْلَ [٢] الذُّهُول وَيَحْتَلِجُ النَّفْسَ مِنْ أَسْرِ غُلْ

كَنَاشِطِ [٣] ثِقْلٍ طَوِيلِ الرِّشَاءِ مِنْ هُوّةٍ في حَضِيض الجَبَلْ

رُوَيْدَا رُوَيْدَا فَثَابَتْ لَهُ مُلَجْلَجَةً [٤] يَعْتَرِيهَا هَلَلْ

وَمِثْلَ الحَمَامَة بيْنَ الضّلُوعِ قَدْ انْتَفَضَتْ مِنْ غَواشِي بَلَلْ

يُقَلِّبُ جمْجمَةً، خَالهَا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ رَكِينٍ [٥] حَمَلْ

فَلأياً بِلأْيٍ [٦] وَآبَتْ لَهُ مُبَعْثَرَة مِنْ أَقَاصِي العِلَلْ

وَنَفَّسَ عَنْ صَدْرِهِ زَفْرَةً، وَخَامَرَهُ [٧] البُرْءُ حَتَّى أَبَلّْ

---

[١] الأعطاف (جمع عطف): وهو الجانب، من الرأس إلى الورك.

[٢] الكبل: القيد الضخم الثقيل. والغل: القيد الذي يجمع الأيدي إلى الأعناق.

[٣] الناشط: الجاذب الدلو من البئر. والرشاء: حبل الدلو الطويل.

[٤] ملجلجة: مترددة ثقيلة لاتكاد تخرج أو تدخل: هلل: فزع وفرق ونكوص.

[٥] ركين: عالي الأركان ثقيل.

[٦] فَلأياً بِلَأيٍ: أي بعاد بعد بعاد، فهو بعد مشقة وجهد وإبطاء واحتباس.

[٧] خامره: غشي نفسه. أبل: برأ من مرضه وأفاق.

أَحَسَّ بكَالجَمْرِ فِي رَاحَتَيْه: سَعِيرٍ تَوَقَّد!! مَاذَا احْتَمَل؟

وَيَبْسُطُ كَفَيهِ: مَاذَا أَرى جَوَابٌ حَثِيثٌ وَلو لَمْ يَسَلْ!!

عُيُونٌ تُحَمْلِقُ فِي وَجْهِهِ، مِنْ الخبْثِ تَزْهَرُ[١] أَوْ تأتَكِلْ!!

[أَجَلْ بِعْتَهَا! بِعْتُهَا بِعْتُهَا!.. بَقَاءٌ قَلِيلٌ وَدُنْيَا دُوَلْ!]

٦) وتُشرق شمس الأمل الوليد!

ماذا فعل القواس بثروته الجديدة، عند شاعرنا الشيخ؟ رأي أنها بقايا ذكريات ستقض مضجعه ما رآها ماثلة أمامه، تذكره بما كان منه من نب الرعاية وخيانة الأمانة. رأي أنها ستكون على جلده مكواة حارقة كلما مسته، كأنها تُمضى عليه حدّا لزمه من إثم قارفه. رأي أن دراهما جمر نار سيحرق كفيه كلما تناوله ليتداوله. فما كان منه إلا أن نبذها وراءه وأولاها ظهره .. ومضى لحال سبيله! مضى وهو يرفع كفيه ناظراً فيهما لعله يجد أثراً مما حملت منذ قريب. لكنه بدا وكأنه يقرأ كفه ذاهلا عما حوله، مأخوذا من عجب ما يرى أشباحاَ لماض أليم ينزف منه القلب دماً، وقد جفّ جلدها وتشققت بشرتها مما عانى سنوات الرعاية والتذمم.

وَأَلْقَى الغَنِي لِلثَّرى! وَانْتَحَى[٢] وَنفَّض كَفَيْهِ: [حَسْبي! أَجَلْ]

وَأَلْقَى إلَى غَالِيَاتَ الثّيَابِ وَالبَزّ نَظْرَةَ لاَ مُحْتَفِلْ!

وَوَلى كَئِيباً ذَلِيلَ الخطَا، بَعِيدَ الأَنَاةِ، خَفَّيِ الغُلَلْ[٣]!

---

[١] تزهر: تتلألأ. تأتكل: تتوهج كالنار إذا اشتد لهبها، وأكل بعضها بعضا.

[٢] انتحى: اعتزل ناحية.

[٣] الغلل (جمع غلة): وهي حرارة الحزن.

وَأَوْغل فِي مُضمرَاتِ [١] الغُيُوبِ يَطْوِي البَلابَلَ طَيَّ السِّجِلّْ

أَرَادَ لِيَنْسَى وَبَيْنَ الضُّلوعِ نَوَافِذ مِنْ ذِكَرٍ تَنْتَضِلْ

فَأَحْيَتْ صبَابَتَهُ، وَالجِرَاحُ دِمَاءٌ مُفَزَّعَةٌ لَمْ تَسِلْ

تُرِيهِ الرُّؤَى وَهْوَ حَيُّ النَّهارِ، وَتَسْرِي بِهِ وَهْوَ لَمْ يَنْتَقِلْ

وَيَبْسُطُ كَفَّيه مُسْتَغْرِقًا، فَتَحْسَبُهُ قَارِئًا قَدْ ذَهِلْ

يَرَى نِعْمَةَ لَبِسَتْ نِقْمةً، وَنُورًا تَدَجَّى [٢]، وَسِحْرا بَطَلْ

وَآيَتَهُ [٣] عَاثَ فِيهَا الشُّحُوبُ فَأَنْكَرَ مِنْ لَوْنِها مَا نَصَلْ

وَأَسْرَارَهَا [٤] فَضَّهَا طَائِف لَهُ سَطْوَة وأَذى حَيْثُ حَلْ

وَسَحْقَ [٥] غِشَاءِ عَلَى أَعْظُمُ، تَهَتَّك مثْلَ الأَدِيم النَّغِلْ

وَمَستْ أَنَامِلَهُ رَجْفَةٌ، تَسَاقَطَ عَنَها سَنَاهَا [٦] وَزَلْ

وإذا بيد الرحمة الإلهية تمتد لتنزعه من يأسه الممض، وتكتنفه بأمل هو أحوج الناس

[١] المضمرات: البعيدة التي يخفى مكانها، والغيوب (جمع غيب): هو الأرض المطمئنة، التي يغيب فيها سالكها، والبلابل: قلقات الهموم. والسجل: الكتاب أو الصك الذي يطوى. نوافذ: ماضيات، كالسهام تنفذ في النفس . تفتضل: تترامى وتختصم.

[٢] تدجى: لبسه الظلام.

[٣] الآية: العلامة العجيبة، وهي يده. نصل: طفىء لونها وذهب.

[٤] أسرار الكف: خطوطها التي تدل على المغيب من أسرارها.

[٥] السحق: البالي المنسحق. تهتك: تخرق وتساقط. الأديم: الجلد المدبوغ. النغل: الذي فسد دباغه فتفتت وترفت.

[٦] السنا: الضوء العالي.

اليه. وإذا به يرى بعين دَربة ثاقبة، في ثناياً أدغال وأشجار متكاثفة، عروس جديد، مختبئة عن العيون، في ظلامٍ دامس، أومض فيه الضوء لحظة مانت كافية لتلك العينِ الدربة أن تلتقط صورتها، واستبان له في حالك الظلمة قدْرها. وإذا به "رأى غَادةً نُشِّئَتْ في الظّلالَ، ظِلالَ النَّعيم". وإذا بصاحبنا القوّاس يجري في عروقه ماء الحياة مرة أخرى. وإذَا به يدرك، أنّ ما فعله مع خليلته الأولى، لا يزال ممكنا مع غيرها، ممن شابهها قدّا وقدراً. ولم لا، والصنعة صنعة يديه، والإتقان في عمله فنه الذي يلازمه فيما ينتج، بلا اصطناع ولا تكلّف.

ونادته الخليلة الجدية، أن أفقْ، وعدْ لرَشدك، واستجمع نفسك التي شتتها ما آل اليه حال أخت الغصونِ الضائعة، التي صارت بين يدي ثعلب محتال، تلاقي قدرها المرسوم.

ويتردد صدى وحيها اليه في عقله، فإذا هو صدق وعدل!

صَدَقْتِ! صَدَقْتِ!. وَأَيْنَ الشبَابُ؟ وَأَيْنَ الوَلُوعُ؟ وَأَيْنَ الأَمَلْ

صَدَقْتِ صَدَقْتِ!!.. نَعْمَ قَدْ صَدَقْتِ! وَسِرِ يَدَيْك كَأَنْ لَمْ يَزَلْ

وإذا بباب الأمل يُفتح أمامه على مصراعيه، وإذا بيديه تتلهفان لعمل الفن، أو فن العمل المتقَن، مرة أخرى، ليرى من نتاجهما ما يحييه من جديد، بفضل ربٍّ أجلّ.

وَأَفْضَى بنظْرَتِهِ نَافِذًا إلى غَيْبِ مَاضٍ بَهِيمِ [١] السُبُل

تَلاَوَذُ [٢] أَشباحُه، كَالذَّليلِ، بِلُغْزِ نَخِيلٍ، وَدَاجِي دَغَلْ

وَأَسْوِدَةً خَطِفَتْ فِي الظلاَم هَارِبة مِنْ صَيُودٍ خَتَلْ

---

[١] بهيم: مظلم لا ضوء فيه، ولا منفذ لبصر.

[٢] تلاوذ: تدور كأنها تطلب ماتلوذ به. اللغز: الطريق الملتوي المشكل يضل سالكه. الداجي: الساتر الذي يلبس ما فيه ويستره. والدغل: الشجر الملتف المشتبك النبت. أسودة (جمع سواد): وهو شخص الشيء، لأنه يرى من بعيد أسود. خطفت: تسرع كالشعاع الخاطف.

وَطيرًا مُرَوَّعَةً أَجْفَلَت، وآمِنَ طَيرٍ وَديعٍ هَدَلْ [١]

وَشقّت لَهُ السُّدَفَ [٢] الغَاشِيَاتِ حَسْنَاء ضالٍ عَلَيْهَا الحُلَلْ

أَضَاءَ الظَلاَمُ لَهَا بغْتَةً، وَقوّض خيْمته وارْتحل

أَطَلَّتْ لَهُ مِنْ خِلاَل الغُصُونِ عَذْرَاء مَكْنُونَة لَمْ تُنَلْ

«رَأى غَادَةً نُشّئَتْ فِي الظِّلاَلِ، ظِلاَل النَّعِيم»، عَلَيْهَا الكللْ [٣]

عَروسٌ تَمَايَلُ مُخْتَالَةً، تُميتُ بدَلّ، وَتُحْيي بِدَلَ

وَنَادَتْه، فَارْتَدّ مُسْتَوفِزًا [٤] بجُرْحٍ تَلَظى وَلَمْ يَنْدمِلْ:

أفِق! قَدْ أَفَاقَ بِهَا العَاشِقُون قَبْلَكَ، بَعْدَ أَسىً قَدْ قَتَلْ!

أَفِقْ! يَا خَلِيلِي! أفِق! لاَ تكُنْ حَلِيف الهُمُومِ، صَرَيع العِلَلْ

فَهَذَا الزَّمَانُ، وَهَذِي الحيَاةُ، عَلّمَتِنيها قَدِيمًا: دُوَلْ!!

أَفِقْ! لاَ فَقَدْتُكَ! مَاذَا دَهَاكَ؟! تَمَتّعْ! تَمَتَّعَ! بِهَا! لاَ تَبلْ!

بِصُنْع يديْك تَرَاني لَديْكَ، فِي قَد أَخْتِي! وَنِعمَ البَدَلْ!

صَدَقْتِ! صَدَقْتِ!. وَأَيْنَ الشبَابُ؟ وَأَيْنَ الوَلُوعُ؟ وَأَيْنَ الأَمَلْ

---

[١] هدل: غنى غناء الحمام.

[٢] السدف: (جمع سدفة): ظلمة مختلطة بضوء يشوبها. الضال: السدر ينبت في السهول. تسوى من قضبانه السهام.

[٣] الكلل (جمع كلة): وهي الستر الرقيق، كالذي تكون فيه العروس.

[٤] المستوفز: هو القاعد إذا استقل على رجليه يتهيأ للقيام، ولما يستو قائما بعد.

صَدَقْتِ صَدَقْتِ!!.. نَعْمَ قَدْ صَدَقْتِ! وَسِر يَدَيْك كَأَنْ لَمْ يَزَلْ

حَبَاكَ بِهِ فَاطِر النيِّراتِ، وَبَارِي النَّبَاتِ، وَمَرْسِي الجبَلْ

فَقُمْ! وَاسْتَهِلَّ [١]، وَسَبّحْ لَهُ! وَلبّ لِرَبٍ تَعالَى وَجَلّ

٧) الخاتمة

بهذه النهاية المبدعة، التي تبيّن الفرق الشاسع بين معالجة الشّماخ لقصة القوس، معالجة قصصية تهدف إلى التصوير أكثر من التوجيه والتعبير، ومعالجة الشيخ شاكر، الذي لم يدع الفرصة اللائحة في تلك القصة العاطفية الآسرة للقلوب، أن يوجهها لصالح البشر، ويعبر بها عن الأمل المتجدد من ثنايا الألم.

ونحن، في محنتنا الآنية، محنة الأمة العربية الإسلامية، أحوج ما نكون لهذا الشعور بالأمل، فقد طال علينا زمن الألم وتطاول مداه، وتعمقت جراحاته وعمت بلاياه. ما أحوجنا إلى أن نرى ما يمكنه العمل المتقن في كلّ فنّ نتناوله، سلماً وحرباً، وأننا نعي تماما أنه " بقاء قليل!! ودنيا دول!" [٢].

١١ يناير ٢٠١٨ - ٢٤ ربيع ثان ١٤٣٩

---

[١] استهل: رفع صوته بالإهلال والتلبية لله سبحانه.

[٢] يمكن للقارئ الكريم أن يرجع إلى دراسات عديدة دونها كثير من أهل اللغة والأدب في "القوس العذراء" وفي "قصيدة الشماخ". لكني أوجه النظر إلى ذلك السفر الممتع "دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين" الذي اطلعت عليه في عام ١٩٨٣، بعد عام من صدوره، وفيه العديد من الدراسات المهمة أخص بالذكر منها دراسة الأديب العالم د محمد مصطفى هدّارة، والأديب إحسان عباس. كذلك دراسة مستقلة للفنان الأديب الأستاذ إسماعيل أحمد الأستاذ بجامعة اليرموك، عمان، عنوانها "إرادة الحياة في النفس الطامحة: قراءة في زائية الشمّاخ" والتي نُشرت في مجلة جامعة الملكة سعود عام ١٤٢٠ - ١٩٩٩، وغيرهما كثير.

هل كان المعريّ ملحدا؟

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان المعروف أبي العلاء المعريّ (ت ٤٤٩)، شاعر عباسيّ ضرير شهير بلغ من النباغة في الشعر واللغة ما رفعه إلى قمة الأدب الغربيّ، قديماً وحديثاً. وللمعري أبيات رائعة مشهورة في السياسة، كأنه يصف فيها زماننا، وهي قوله

يسوسون الأمور بغير عقل ** فينفذ أمرهم ويقال ساسه

فأفْ من الحياة وأفّ مني ** ومن زمن رئاسته خساسه [١]

وقد افترق الناس في رأيهم عن عقيدة المعريّ، فمنهم من ذهب إلى إنه زنديق كافر طبعيّ منكرٌ للبعث واليوم الآخر، منهم ابن الجوزيّ وابن القيم وابن تيمية والذهبي، وأبي طاهر السلفيّ، وإن نُقل عن أبو طاهر أن أبي العلاء تاب وأناب.

وفريقٌ زيّف الأخبار التي وردت عنه في أقوال التكفير والزندقة، وهم المحدثون من المحققين من جهابذة اللغة مثل محمود شاكر، كما بيّن في كتابه "أباطيل وأسمار"، وعبد السلام هارون، ومحمد فريد وجدي، وأعمى البصر والبصيرة طه حسين في كتابه "مع أبي العلاء في سجنه".

وقد استرحت لنتيجة ما خلال مطالعتي لشعر أبي العلاء، خاصة في ديوان "لزوم ما لا يلزم" المعروف باللزوميات[٢] ، من حيث التزم فيه بقوافٍ ثنائية وثلاثية مثل قوله:

لو أنّ كلّ نفوس الناسِ رائية ** كرأي نفسي تناءت عن خزاياها

---

[١] ديوان اللزوميات لأبي العلاء، طبعة مكتبة التوفيق الأدبية بالقاهرة عام ١٣٤٢ هـ ونشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

[٢] ديوان اللزوميات ج٢ ص ٣١

وعطَّلوا هذه الدنيا فما ولدوا ** ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها [١]

بل ورباعية، فبيّن فيها سلطانه على اللغة وسيطرته على مناحيها، وكتابه "الفصول والغايات"، الذي قالوا إنه عارض به القرآن، وإن قال فيه البعض، مثل ابن العديم الحلبيّ، إنه قد افتُرِيَ فيه عليه، فإنه كتبه في تمجيد الله سبحانه، وكتابه "رسالة الغفران" وهو منثور، كتبه عن بعض آيات الله مثل الشجرة الطيبة وخمر الجنة وأنهارها، ردّاً على رسالة إليه من ابن القارح.

والناظر في رسالة الغفران يرى أنها لا تدلّ دلالة صريحة على كفر، بل فيها ما يناقض ذلك مثل قوله "وقد وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجور، ومن قرأها فهو مأجور، إذ كانت تأمر بتقبّل الشرع، وتُعيب من ترك أصلاً لفرع"[٢] ، أو قوله "ويعارض تلك المدامة أنهارٌ من عسل مُصفى، ما كسبته النحل الغادية للأنهار، ولا هو في موم [٣] متوار، ولكن قال له العزيز القادر: كن فكان، وبكرمه أعطى الإمكان"[٤] ، أقول إن مطالعتي لأعمال المعريّ، وما كُتب عنه، مما أنهك فيه الأكابر صفحات الكتب تدوينا، تقريظاً أو تقريعاً، جعلتني أتردد في قبول الرأي القائل بزندقته وإلحاده قولاً واحداً.

ولا أشكّ في أن لأبي العلاء أقوالٌ لا يقولها مسلم، مثل قوله:

حياة ثم موتٌ ثم نشرُ! ** حديث خرافة يا أم عمرو

---

[١] السابق ج٢ ص ٤٢٥

[٢] رسالة الغفران الطبعة الإلكترونية، طبعة المكتبة العربية، تحقيق جيرديان فان جيلدير و جريجور شولر، وهما من المستشرقين ص ٤٢

[٣] المَوم: هو عسل النحل

[٤] السابق ص ٤٧

أو قوله

أمّا اليقين فلا يقينَ وإنّما ** أقصى اجتهاديَ أن أظنّ واحدسا [١]

لكن أبياتاً قد ثبتت عنه، ترفع عنه هذا التوجَه بالكلية، أو تجعل النفس تتردد فيه مثل قوله

توحّد فإن الله ربك واحدٌ ** ولا ترغبنْ في عشرة الرؤساءِ [٢]

وقوله

غفرتُ زماناً في انتكاسِ مآثمٍ ** وعبد مليك الناس يلْتمسُ الغَفْرُ [٣]

وقوله

إذا أنت لم تحضُرْ مع القوم مسجداً ** فصلِّ إلى أن يقضي الجمعة الجمعُ

ولا تأمننْ أن يَحشر اليوم ربُّه ** له بصرٌ من قدرة وله سَمعُ

فيخبرَ بالتقصير عنك مؤنباً ** وتَسكبُ دمعاً حيثُ لا ينفعُ الدمعُ

هنالِك لا ترجو صريخاً مزعزعاً ** صدورَ عَوالٍ فوقها للردى لُمْعُ [٤]

---

[١] اللزوميات ج٢ ٣١

[٢] السابق ج١ ص ٥٢

[٣] السابق ج١ ص ٢٩٨

[٤] السابق ج٢ ص ٨١

وقوله

قد طال في العيشِ تقييدي وإرسالي ** من اتقى الله فهو السالم السالي [١]

وقوله

إن علمتَ مآلي عند آخرتي ** شرَاً وأضيقَ فانسأ ربِّ في الأجلِ [٢]

وقد تناول العلامة محمود شاكر ما ورد عن المعريّ كما سبق أن ذكرنا، واتبع فيه منهجه الذي تحدثنا عنه في بحث "اللسان العربي والمنهج العلمي ... صرْعى الحاضر!"، فرتّب ما جاء عن المعريّ في كتب الأولين ترتيباً تاريخياً، بلغ بها ٢٨ مرجعاً، ليمكن أن يُحدد منْ نقل عن منْ. ثمّ عرّج على ما قيل عن تعلم المعريّ في اللاذقية وأنطاكية، وهو ما استند إليه الكثير في إثبات تعرضه لعلوم الفلسفة والإلحاد، ففند الخبر [٣]، ونبّه إلى ضعف رواية القفطيّ بالذات عن هذا الخبر [٤]. وهو ما يوائم رأيه في القفطيّ ورواياته، مما بيّنه في في كتابه العظيم "نمطٌ صعبٌ.. ونمط مخيف".

ما استرحت إليه هو أن أبا العلاء المعريّ، قد كان رجلاً سوداويّ المزاج، لما ابتلي به من عمى في طفولته، ثم فقد أمه، وهي من كانت ساعده ومتكأه، ثم نفسه الأبية التي لم ترضِ ما رضيَ به الشعراء، من التزلف للحكام واستجداء الرؤساء، ثم ما هو معروف ثابتٌ عن شطحات الشعراء، التي لا يجب أن تكون حكماً نهائياً، فيما أرى، على عقائدهم، إلا من عُرف بها، وتولاها مذهباً لا يدوّن إلا فيه، كالصوفي محي

[١] السباق ج ٢ ٢٣٠

[٢] السابق ج ٢ ص ٢٣٠

[٣] أباطيل وأسمار، محمود شاكر، ص ٩ وبعدها، طبعة

[٤] السابق ص ٤٥

الدين ابن عربيّ صاحب وحدة الوجود، أو الحسين بن منصور الحلاج صاحب الحلول والاتحاد، وهو قائل هذه الأبيات من الذَفر[١] :

يا سرَّ سرٍ يدِقُ حتى ** يجِلُّ عن وصف كلّ حيٍّ

وظاهراً باطناً تبدَّى ** من كلِّ شئٍ لكلِ شـــئٍ

يا جملة الكلِّ لست غيري ** فما اعتذاري إذا إليَّ!

والسهروردي المقتول، وأحمد بن يحي الراونديّ، وبشار بن برد، وصالح بن عبد القدوس، والصناديقيّ اليمني، وغيرهم كثير، يجد سيرهم الطالب في كتب السير والتاريخ والرجال. وقد تحدث عن عدد منهم عليّ بن منصور المعروف بابن القارح في رسالته إلى أبي العلاء، والتي كانت "رسالة الغفران" هي ردّ أبي العلاء عليها.

وهذا ما انقدح في الذهن إبان ليلتي هذه، أحببت أن أقيّده قبل أن يتشتت جمعه وتتبعثر كلماته، في زحمة الصبح ومشاغله، على قلة فائدته، لعل فيه ما قد يثير همةً إلى اطلاعٍ.

والله المُستعان

د طارق عبد الحليم

١٤ يوليو ٢٠١٩ - ١١ ذو القعدة ١٤٤٠

---

[١] الذفر هو النتن



لستُ بشاعرٍ .. ولكن!

الحمد لله الهادي للطيب من القول

على مدى العقود الخمسة السالفة، ترنمت النفس بكلمات، غالبها من شجنٍ ولوعة وحسرة، لم يُقصد بها شعراً، فلست من أهله، ولكنها طفراتٌ من حديثٍ أقرب لحديث النفس، عفوياً، آنياً، بلا ترتيب ولا تحضير ... فهي زفرات، صاحبت عبرات .. خرجت في مناسبات، تعبّر عن نفس صاحبها!

قلت

لا تحسبن الدهر يغفل لحظة *** فالدهر صاحبه أجلّ وأعظـم

فارقب صنائعه وسبح باسمه *** ربا يجازي من يطيعُ ويرحمُ

وقلت

ما كنت أحسب أن الصبر يسعفني ** يوما إذا طعـــن الفؤادَ حبيبُ

لكن قلبا قد تنكّر للهـــوى ** ما كنت تأمنه، إن الأمور نصيبُ

وقلت

اذا صحت ظروفك فاهتبلها ولا تدع القرار ليوم ثاني

فالعمر يجرى لا يكل كلاله نسج الحياة دقائق وثوان

وقلت

لم يستبن قولا قد كان مخفيا والحقُ يُعرف عند النطق بلألف!

قلت

فافزع إلى الحق الكريم منازعا ** ذل الخضوع لغير ذاتِ البــاري

فالحق تعلو في الذرى أغراضه ** والمُبطِل الملعون لن ينجُ من النار

قلت

شجون نفس

اليك عني فإن الدمع هــدّار ... وما في القلب إلا الحزنُ والعارُ

إني وقفت بباب الله أطرقـه ... وملئ عمـريَ أثقـالٌ وأسرارُ

لكن عذري أنّي لم أخالفــه ... في عقد قلبي، والأفعال معيـارُ

رأيت قومي اليوم في محنٍ ... فجعت قلوبُ وسَكّرت أبصـارُ

صليب غدرٍ جاء ينهشهـا ... صهيونُ أشعل في قدسها نــارُ

مجوس كفـرٍ، عبّاد نــارٍ ... عروش غـدرٍ، بالدين فجّــارُ

عاثوا فسادا واستبدلوا ثمنا ... بالدين نفـــطٌ، والأجـر دولارُ

ثم البلية حلّت يوم أعلنهـا ... عواد سوءٍ بدار الشـام عــوارُ

لاح الجهادُ بآمالٍ مشرّفـةٍ ... فجاء أشقاها بالنحسِ جـــرارُ

ظنوا الخلافة إعلانٌ يقدمـه ... كذابُ قوم، إذ يتبعه أغـــرارُ

فانفض عنهم من له شرف ... ومن بهديِ رسول الله كـــرارُ

ومن تحلى بعلمٍ أو أثارَتـه وتَابَعْ هواهمْ أنـذال وفجـارُ
حاكوا الشُّراة فأوغلوا بدمٍ قد حرّم الله، سفـكٌ وإهـدارُ
كلاب أهل النار نِعَمَ تسمية من سيد الخلق حقا به صاروا

قلت

إلى ضحايا المخيمات

مات الضمير ومات الدين والأدب عاش الرياء وعاش الشحّ والكذبُ
هذى الطفولة قد باتت حواصلها ترعى الهواء وهذا الليل منسربُ
برداً وجوعاً وأشـلاء ممزّقـة يأساً وحزناً به الأشلاء تختضبُ
ما ذنب طفلة قد شُلّت مفاصلها أو ذنب طفلٍ من الأهوال ينتحبُ
من للجريمة؟ من للظلم يرفعـه؟ من للضعيف سليب الحق ينتصبُ
من للمروءة؟ من للخير يفعلـه؟ من للعروش ومن للكفر يضطرب
يا أهل شامٍ إن الله ناصركـم يوم عليكم، وإن الدّهـرَ منقلبُ

٨ يناير ٢٠١٥ – ١٨ ربيع أول ١٤٣٦

قلت

قالوا شريعةَ، والإسلام حُلّتُنَا ودين الله يحكُم ما يشـاء
فقلت خُسراً، لا أبا لأبيكـم فإن الدين يأبى ذا الهـراء

إن الخوارج قد بنوا بنيانهم   بئست بنايتهم، بالفحش دعشاء
صاروا مثالا للسوء يقصده   أقزام علم، في الإجرام أنــواء

وقلت

خرج الزهيريُّ كالكلاب عقــورا   حا كي بوصفٍ أمه المسعورة
في عشقه لخليفة العهر ارتـدى   ثوب النساء ودخّن الأرجيلة
قسماً ليخبو في الشآم لواؤهــم   وعد الإله، ليخزين حقيـــرا
قاموس فُجر لا يبارى فاشهدوا   قد ظن أن حديثه مغفـــورا
بل يكتوى في يوم لا يشفع لـه   مسخ الخلافة إذ رأي التنورا

(الزهيري رجل من كلاب أهل النار الحرورية، فاحش اللفظ قبيح الكلمة، كان شاعراً للبغداديّ أيام دولة الخرافة، وكان يسبنا سباً مقذعاً)

قلت

أكلم هادواعش كل حيــنٍ   فما فهموا وإن فهم الحمارُ
أقول توقفوا عن قتل نفس   حرام قتلها فالظلـــم عارُ
وإسلام الرسالة ليس فيـه   لغير الحق والعدل انتصارُ
لكن جهل الداعشية فائقٌ   رهق وهم في العلم أصفارُ

قلت

مررت على دواعش في انتحاب فقلت علام ينتحب الغـلاة؟
فقالوا كيف لا نبكــي ونحــن خوارج بدعةٍ حُمْــقٌ بغاة
نقتّل أنفســـا لم تأتِ كفــراً ونحسب إننا شــمٌّ هــداة
تورّطنـا بشــرعٍ قد حكـــاه كذوب مبهت بئست صفات

قلت

أعزك الله، فاحــذر كل غاليـــة فالدين صدق وإيمان وإحسان
قالوا بعثت بسيف لا جــراب له والأصل تقتلُ، لا هدى وبرهان
قلنا فهذا الدين ليس بديننــــا فالدين رحمةُ والديّان رحمـان
إن قام الهُدى بالسيف عندكمُ لكل برئ مسلم للدين صــوّان
فإن نهج رسول الله مختلــفٌ لا نهج جزارٍ، بالحقد مـــلآن
حرورية القوم داء لشرعهـم أيهتدي فرع والأصل خربـان

دعاة الحق

الحاملون هموم الناس في سرتٍ الرافعون شعار الحق في يمـنٍ
الصابرون على اللأواء في حلبٍ العارفون بديـن الله والسنـــنِ

الرافضون لذل الدعم إذ عرفوا — أن الغواية بالأموال كالـدرنِ

النائمون بلا جُفْنٍ مسدّلـةٍ — الطاعمون خفافا طَعمة الخشنِ

يقودهم لقتالٍ قائدٌ رجـلٌ — خَشَاشُ، سويّ الخلق والبدنِ

فالحَقْ بذاك الجمع لو سمحت — ظروفك أو فالحَقْ بذي وهـنِ

قلت

لا تُسلِمن زمامَ روحِك للعدا ** فبذاك تضرِب للنهاية موعـدا

كان الموحد في زمان قادرا ** من أن يتيه على العدو مرددا

إني أفاخر بالرسالة والهدى** وأبيت ليلي في الرباط موحدا

فإذا بأحفاد العظام تجندلوا ** ما بين بائع دينه ومشـردا

وتكاثرت حجج المذلة إنها ** سفن النجاة لمن تولى مُرعدا

يا ها الموحد فلتكن متمسكا ** بالله والسنن البهية والهـدى

لا يحرفنك قولهم فسمومها ** وكأنها عسل منقَّـع بالردى

وفي عمر الصبا، في مناسبة

قرأت قول أمير الشعراء أحمد شوقي في منفاه، وقد أُفعم قلبه بالشوق إلى أرض الكنانة:

يا ساكني مصرَ إنّا لا نزال على عهد الوفاءِ، وإن غِبنا، مقيمينا

هلا بعثتم لنا من ماءِ نهركـــمُ شيئاً نبلُ به أحشاء صادينـــا

كلُّ المناهل بعد النيل آسنـــــةٌ ما أبعد النيل إلا عن أمانينـــا

فكان أن نشر شاعر النيل حافظ إبراهيم رده عليه في اليوم التالي قائلا:

عجبت للنيل يدرى أنّ بلبلـــهُ صادٍ، ويسقي ربى مصر ويسقينا

والله ما طابَ للأحباب موردُهُ ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا

لم تنأ عنه وإن فارقتَ شاطِئه وقد نأينـــا وإن كنّـــا مُقيمينـــــا

وكان أن هزت هذه المشاعر نفسي ، وكنت في الثامنة عشرة سنة، ريعان شبابه قلت

أبُلبلَ النيل ما ضنّت روافِـــده عنك المياهُ، ولفظٍ منك يروينا

إن غِبت شَطراً فما غابتْ قلوبكم وإنْ نَأيتَ فلا نسلوا المحبينـا

إن عنّ للنيل يوما أن يجافيكـــم فالله يعلـــمُ إنّا عنه جافينـا

قلت

إنْ تدفعِ الظُلْمَ بالحسنى أتَحْتَ له *** كفّاً تُصيب، مع كفّيه، مظلوما

قلت

لا تحسبن الدهر يغفل لحظة *** فالدهر صاحبه أجلّ وأعظـم

فارقب صنائعه وسبح باسمه *** ربا يجازي من يطيعُ ويرحمُ

قلت

مع الاعتذار لشعبولة

"أنا باكره إسرائيـل" ** وباحبّ الجمّاليـةْ

قولوا لشارون واولمرت ** خلاص مبقيت وليّـةْ!

خلاص لا حرب أخوضها **ولا هامسك بندقيـة

أنا همىّ في البنــوك ** والعملة الأجنبيــة

وهافضل باقى فيهـا ** ولو بلغت ميّــة

أحزاب معارضة إيـه! ** إسلام ولاّ مسيحية

أولادى هيحكموهـا ** بشغـل البلطجيـة

أنا دينى ديـن آلاتـي ** أفلام ومسرحيـة

طول ما البوليس معايا **والجيش والعصبجية

طنطاوى طبخه جاهز ** فتاوى مهلبيــة

والوطنى طبـله عالى **ولا وشّ ولا هويّـة

يا ناس الرحمة حلوة ** الشعب مراح ضحية

لو فيـه ذرة ضمايـر ** ماكنتش حالنا ديّـة

كفايا هريّ فينـــا ** ونصب ومحسوبيـة

غزة الحصار خنقهـا **يا حسرة عالصبيـة

واحنا كمان شاركنـا ** في خنق الغزاويـة

بعد مَخُنّا روحنـا ** ودِيننا والقضيـة

رمينا سيفنـا وخُنّـا ** إخواننا الفَلَسْطِينية

قلت

حسرة على الرجولة يا شعب مصر!

مررت على الرجولة وهي تبكي فقلت علام تنتحب الفتـــــاة

فقالت إنما أبـــــــكي لأهلٍ أضاعوا الحقّ فانتفش البُغـاة

يتخاطفون بكل حيّ شَلوَهــمْ يَئِدون دعوة، والمُصاب دعاة

فَقَدْتُ أعزّة قاموا بنصـــرى قديماً، كانـــوا للدين الحماة

ونحن اليوم في الأحياء موتى وأهلي! أين أهلي؟ كيف باتوا؟

فلا أملٌ لحي لم يجاهـــــــد وبغيره فاقعد، فإنهم رفـــاتُ

أرى الناس من حولي، وأهلي؟ جميعا دون خلق الله مـــاتوا

قلت

في الخلافة

سألت قلبيَ ما يقول إذْ غُلِّقَت سُبُلَ الوصول

وحسبت أنِيَ مسرعٌ نحو النهاية والأفــول

فتنهد المِسكين صَوتـــــــاً دونه دقُّ الطبــول

وتَسارعت خَفقاتُــه فكأنها سَعيُ العَجُـول

قال القلِّيبُ مشفقــاً هلا أفقتَ من الذهول!

أنت القــويّ إرادةً بل الأريبُ لذي العقول

أنت العزيزُ كرامــةً وشجاعةً بين الفحـول

هلّا صبرت لفقدها فالدين باقٍ لا يحـول

هلا هتفت برسمها فتسامعت إنس وغول

هلا قضيت مناسكــاً لتجاهد الكفر الصؤول

وقت سيمضي مسرعـــــــاً وتعود أفراح الأصيل

والليل يتبعُـه نهارٌ ولكلِ حادثــةٍ أفــول

معارضة قصيدة

عودوا إلى مصر

قال فاروق جويدة

عودوا إلي مصر ماء النيل يكفينا منذ ارتحلتم وحزن النهر يدمينـــا

أين النخيل التي كانت تظللنــا يرتمي غصنها شوقا ويسقينــــا ؟

أين الطيور التي كانت تعانقنـــا وينتشي صوتها عشقا ويشجينـــا؟

أين الربوع التي ضمت مواجعنا وأرقت عينها سهدا لتحمينــــا ؟

أين المياه التي كانت تسامرنـــا كالخمر تسري فتشجينا أغانيتا ؟

أين المواويل ؟.. كم كانت تشاطرنا حزن الليالي وفي دفء تواسينـــا

أين الزمـــــان الذي عشناه أغنية فعانق الدهـــر في ود أمانينـــا

*****

هل هانت الأرض أم هانت عزائمنا أم أصبح الحلم أكفانا تغطينـــا

جئنا لليلـــــي.. وقلنا إن في يدها سر الحياة فدست سمهـــا فينـــا

في حضن ليلي رأينا الموت يسكننا ما أتعس العمر.. كيف الموت يحيينا

كل الجراح التي أدمت جوانحنـــا ومزقت شملنا كانت بأيدينـــــا

*****

عودوا إلي مصر فالطوفان يتبعكـم وصرخة الغدر نار في مآقينـــــا

منذ اتجهنا إلي الدولار نعبـــــده ضاقت بنا الأرض واسودت ليالينا

لن ينبت النفط أشجارا تظللنـــــا ولن تصير حقول القار.. ياسمينـــا

*****

عودوا إلي مصر فالدولار ضيعنـــا إن شاء يضحكنا.. إن شاء يبكينـــا

فقلت:

فلنعد مصر إلينـا!

د.طارق عبد الحليم

يا ساكنى مصر إنّـــا في تَغرّبِنـا لِعَهدِ كُمُ، عهد الوفـــاء، راعينـــا

إن غبن عن نيلكم يوما فمجبـرةٌ أجسادُنا، ونفوسٌ ليست بسالينـــا

الله يعلم كم أرواحنـا اتّجهــت تلقاء نيلكـمُ، ندنيهـــا فتُدنينـــا

قد كان شؤماً يوم أن فارقتكـــم لكنّه قدرٌ، والأقدارُ جَارينـــــا

****

ما كان دولاراً، يومـاً، ولا سنتاً ما كانت الأموال يوما من أمانينا

ولا النفــط يوما كان مَطلبنــــا والقارُ من زفتٍ وقطران وغسلينا

لم يُنبِتِ النفطُ إلا حاكما جشعـاّ وملوكَ قارٍ باعوا الله والدينـــا

****

لكنه ظلمٌ وتضليــلٌ ومفســدةٌ شَاعت في عهد حُكّامِ الفراعينـا

جاروا على الدين جـَورة ملحدٍ واستمرؤا الكفر تطبيقاً وتحسيناً

شَرَعوا قوانين وضعٍ وعَلمنــة وتنكّروا لشريعة الإسلام قالينـا

سجنوا دعاة الحَق في أوطانهـم واسترهبوا الناس طاغيناً وعادينا

وأصبح الناس في أمصارهم غُرْباً وغربـةُ الدين أقسى ما يُعانينا

ضاقت بنا الأرضُ حَيثما رَحُبَت فلم نَجد بُدّا إلا في تَخَلّينـــــا

****

لا تسألنِّيَ عن ربـع تَساقيْنــا يوما بخُضْرَته ما يُسقَى المُحبينا

لا تسألنّيَ عن نَخلٍ تجَالسْنــا ترُنِّم الطيرُ حَول السَعْفِ تلحينا

قد كنا في أملٍ من ثورة وقعت قد قـادها للشعبِ شبّان مُجِدّونا

فاستولدت أملاً قد مات من زمنٍ واستنفرت هماً تعلو فتُعلينـــا

ثم استفقنا، وحُلم ضَائع ظهرت بوادرُه بعسكرٍ قد أوضعوا فينا

طنطاوى ظُلمٍ، والعَصّار تابعه وعنانُ مكرٍ ثم الخبث شاهينـا

حَرسوا حُدود الدّار من أبنائهـا وتقاعَسوا لحماية دارنا سينـا

****

يا لائم القوم أربِـع، لا تُهيّجنـــا   فإنّا على البَعد "أشباهٌ عوادينا"

قلت في رثاء حبيب

أيجدي الدمع أو يجدي العزاء؟ ** أم هي سنةٌ بالناس هوجاءُ

أأشرف من قد جاءنا خبـــــر ** بأن الله يفعل ما يشـــــاءُ

مهيبٌ في هدوء يكتنفـــــــــه ** كريم النفس يعلوه الضيـاء

خلوق لا يخلّـــط في حديث ** وفياً، حين قلّ الأوفيـــــاء

نقي النفس لا يخالطهـا بشرٍ ** رضيٌّ الروح إن حفَّـه الداء

عليه سلام الله من كلّ صادق ** ورحمة الله إن عزّ الرجـاء

د.طارق عبد الحليم



بين المقالة الأدبية والمقالة السياسية

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفي وآله وصحبه ..

لا أكذب قارئي القول بأنني غير راضٍ عمّا قدّمت من عمل في النيف وأربعين عاماً الماضية، وإن كنت أحمد الله تعالى عليَّ فضله ومنّته. ذلك إنني ولعت منذ صغري بحب الأدب، شعره ونثره، ولعاً شديداً، وعشت طويلاً في شبابي وفترة نضوجي ارتشف من رحيق كتبه التي هي، فيما أحسب، أفضل ما يصوغ النفس الإنسانية، بعد كتاب الله سبحانه وحديث نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلّم، وأفضل ما يقوّم تلك النفس ويسد ما قد يكون في فطرتها من الخلل والمثَاقب أو المثالب.

حين أتحدّث عن الأدب والشعر، أو عن الأدباء والشعراء، ينتابني نشاط غريبٌ ونشوة نفسية وتوهجُ عقلي اعرفه في نفسي، لا أجده حين أتحدث في أي موضوع آخر، أيّا كان. وما هذا إلا لصلة قوية قديمة قامت بين نفسي وبين أولئك الأدباء والشعراء.

لكن، شاء الله سبحانه أن أتخذ طريقاً موازياً لما كنت أريده لنفسي، أو من نفسي، وسرت في طريقه شوطاً، نثراً وشعراً. تعرفت على العلم الشرعيّ الإسلاميّ، وعلى أعلامه، وعلى كتبه ومراجعه. ورأيت الجهد الهائل غير المسبوق الذي بذله علماء السلف وكثير من الخلف، ليحفظوا علينا ديننا، ويميّزون عقيدتنا الحقّة مما قد شابها من غواشِ البدع والضلالات. وراح العقل، قبل النفس، يسابق في معرفة ما يجب معرفته للمساهمة في هذا الجهد الجبار، واضافة ما يمكن لنفس ضعيفة مثل نفسي أن تضيف إلى تلك الآلة الجبارة ولو مسماراً! ورأيت في هذا القيام بتكليف الله سبحانه لنا، معشر البشر، أن ننصر دينه ما استطعنا لذلك سبيلاً، باليد واللسان والقلب.
فكان أن وجّهت وجهي شطر العلم الشرعيّ وصرت أبحث وأدوّن ما أراد الله لي أن أبحث وأدون. وقمت بنصيبي في الذب عن الكتاب والسنة والتوحيد، ضد كثير من أعلام العلمانية أو أصحاب الإرجاء والخروج، والتميّع والغلو، على السواء، غير عابئ بمكانة لأحد، إلا بما يثبت في كتبه وينشر من مقالاته وقوله. فالعلم والدليل هو القول الفصلً في ديننا، لا المركز والمنصب، وعدد المتابعين، والبرامج التلفازية التي تحتشد بوجوه لامعة بمكياجٍ مصطنع، لأداء خدمة لنظام، أو إرضاء لشهوة نفس، أو كليهما.

ثم كان أن جرّني ذلك إلى عالم السياسة، وهو جزء لا يتجزأ من العلم الشرعي. فدخلت معتركها مؤخراً، بالمقال والبحث، وإن كنت قد ولجته منذ السبعينيات، في أحداث لا محل لها في مقالي هذا.

أقول، حين أقرأ ما يجري به القلم في مقال سياسي، أن هذا اللون من الكتابة، وإن كان ضرورياً ونافعاً، وخادما للمسلمين، إلا أن هناك بعد نفسي خاص قد غاب عني وتاه في ردهاتثم كان أن جرّني ذلك إلى عالم السياسة، وهو جزء لا يتجزأ من العلم الشرعي. فدخلت معتركها مؤخراً، بالمقال والبحث، وإن كنت قد ولجته منذ السبعينيات، في أحداث لا محل لها في مقالي هذا.

أقول، حين أقرأ ما يجري به القلم في مقال سياسي، أن هذا اللون من الكتابة، وإن كان ضرورياً ونافعاً، وخادما للمسلمين، إلا أن هناك بعد نفسي خاص قد غاب عني وتاه في ردهات السنين والأحداث، وهو الأدب، وما يقدّمه للنفوس من إصلاح وتقويم.

وحتى لا يتوه عن القارئ ما أعني بالمقال الأدبي، سأسلك طريقين للبيان، أولهما التعريف بالمقصود. فالمقال الأدبي يقدّم صورة لما يجري في نفس الكاتب، سواء كانت صورة تسر القارئ أو تشقيه، فهذا مما لا يحسب له الكاتب حساباً، إنما همّه هو أن يُخرج ما ينعكس على مرآة نفسه ليخرجها من صدره، ويتنفس الصعداء حين يضعها على الورق بعد أن كانت معانيها جاثمة كالصخر على قلبه. والكاتب في الأدب، قد يصور مشهداً يراه، ويرى من خلاله عبرة يستشفها، تدقّ حينا وتظهر حيناً، قد يكشفها للقارئ وقد يتركه يلهث وراءها، كما قال المتنبي

أنام ملءَ جفوني عن شواردِها *** ويسهرُ الخلق جرّاها ويختصمُ

وكلما دقّ المعني وخفي المقصود، كلما أتعب القارئ في تحصيل المعنى، ولكنه تعب محبب للنفس، إذ يعلم أن اللؤلؤ يكمن في عميق البحر داخل صدفٍ مغلف، لا يُنال إلا بالمشقة.

صاحب المقالة الأدبية يتحدّث عن شاعرٍ أو ناثر، أو عن قصيدة أو كتاب، أو عن

تاريخ كلّ ذلك أو بعضه، فيبيّن ما ينعكس على مرآة نفسه منه، وتتلوّن المقالة بلون فكره وتصبغ الموضوع بصبغة نقدية فريدة خاصة به، كخصوصية بصمة الأصبع.
صاحب المقالة الأدبية يتناول قلمه كما يتناول الفنان ريشته، فيغمسه في لجيّ فكره، يخلط فيه ضرب من الفكر المستقر به مع آخر من الفكر الوارد، ثم يخطّ به على أسطر صفحته لونا جديدا فيه من حقيقة نفسه ومرآة عقله ما استجد في موضوعه.

وكاتب المقالة السياسية، يتناول موقفاً سياسياً، أو حاكما طاغوتياً أو شخصية متآمرة أو فكرة منحرفة، فيعرضها ويحث الناس على الإعراض عنها، ويبالغ في تتبع سقطاتها بكل جهده حتى تشمئز منها نفوس القراء. صاحب المقالة السياسية يتناول قلمه كما يتناول الجنديّ سلاحه، يعبئه بالذخيرة التي يحتاجها هجوما ودفاعا، ويخرج حاملاً له، مترصداً بخصمه، فيضرب في جوانب فكر الخصم، شخصا كان أو فكرة أو حدثاً، بلين حيناً وبشدة أحياناً، حسبما يرى من بعد ما يتناوله عن الحقّ الذي يراه، ومن مدى تكرار وخطورة ما يكتب عنه. فترى شخصيته واتجاهه بارزاً في معترك تلك المعركة القلمية، بعد أن يهدأ غبارها.

وأنت تجد صاحب الأدب يكتب عن أبي نواس وما في شعره من حلاوة وطلاوة، رغم ما في كثير منه من افتقار إلى معايير الخلق الإسلاميّ، أو شعر امرؤ القيس أو زهير، ومقارنتهم بشعر الإسلاميين خاصة في العصر العباسي مثل البحتري والمتنبي والمعري والشريف الرضي وغيرهم. وترى الأديب يتوغّل في تلك الصور البلاغية التي تصف بيئة كلّ شاعر، فإذا هو مؤرّخ من حيث لا يدري، بل هو أوسع تأريخاً من المؤرخ، إذ يبيّن طبيعة الحياة ونسقها ومبادئها التي يعيشها قومه وأنواع الطعام والشراب والعادات، وتصرفهم في الحب والزواج والحرب، في مواقف عملية يستخرج بها، إلى جانب ما يستفاد من السرد التأريخي المعهود في كتب التاريخ، حكماً وفناً، بل وألحاناً مكنوزة في ثنايا اللغة، وعروض الشعر وترتيب النثر. وحسبك ما دوّن المتأخرون من الأدباء، خاصة كبار المنافحين عن اللغة والإسلام، مثل مصطفى صادق الرافعي والمنفلوطي وسيد قطب، وآخرين، بغضّ النظر عن علمانية الكثير منهم، مثل العقاد وطه حسين وإبراهيم المازني وعبد العزيز البشري ويحي حقي وأمين الرافعي، غير أمراء الشعر وعلى رأسهم أحمد شوقي وحافظ أبراهيم وخليل مطران وعبد الحميد الديب وقبلهم محمود سامي البارودي باعث الشعر الحديث ومجدده.

وقد أراد الله سبحانه لي أن أتوسع في الصنف الثاني من المقالات، خاصة في السنوات الأخيرة، لتوالي الأحداث الجسام وتفاقم الأوضاع التام. لكني لم أنس في غمرة الأحداث وتسارعها ما لذاك الفن الراقي من الأدب والشعر من أثر في بناء الشخصية الإنسانية، وصقلها، وصبغتها بأفضل ما تجده مرصوفاً في كتبٍ السابقين أو اللاحقين، من حيث يعرضون أنفسهم للقارئ، شفافة بلورية نقية مليئة بالحكمة والتأملات العميقة، فتكسبه عمراً، بل أعماراً، على عمره.

ويا للحسرة على هذا الجيل الأتعس، الذي فقد اللسان وفقد البيان، وتجرد لنقل أسطر من هنا وهناك، عن حوادث ووقائع، يحسبها مقالات سياسية ذات قيمة، فلا هي من السياسة بمكان، ولا هي من الأدب والفن بمكان. وهذا خراج الرويبضات والأصفار والأشبار الذين انتجبتهم لنا تكنولوجيا العصر.

ولكن، كم من إنسي تمّ له حتى نصف ما أراد!

د طارق عبد الحليم

١١ جمادي الأول ١٤٤٢ – ٢٦ ديسمبر ٢٠٢٠



وضاعت الأمانة!

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفي وآله وصحبه ..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "بَيْنَمَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: متي السَّاعَةُ؟ فَمَضى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ ما قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَه قَالَ: أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ قَالَ: هَا أَنَا يا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ". البخاري

حديثٌ جامعٌ مانع، يشهد بالنبوة للصادق المصطفى صلى الله عليه وسلم

والأمانة هي وديعةٌ تضعها عند من تثق به وتعرف إنه سيعيدها لك كاملة غير منقوصة ولا مخدوشة ولا مطروقة، لن يجادلك في إعادتها ولن يشترط عليك شروطاً أو يضع عليك عبئاً لاسترجاعها. تلك هي الأمانة. والأمين هو من يقوم بهذه الأمانة فيحفظها ويرعاها ويشملها بجناح حمايته من أي عداء قد يؤذيها أو يُخلّ بقيمتها، حتى تعود لصاحبها متى شاء وكيف شاء، كاملة.

وأمور الحياة، كلُّ أمور الحياة، هي أماناتٌ محفوظة لأصحابها عند آخرين. يحفظ لديك صاحب عملك أمانة القيام بها كلّ يوم عدة ساعات، ابنك أمانة في يد معلمه في المدرسة كلّ يوم، يقوم على تعليمه وتربيته. سيارتك أمانة عند من يصلحها ويجبر كسرها. ملابسك أمانة عن الكواء يزيل كرمشتها ويعيد لها رونقها. إقامة العدل بينك وبين من تُخاصم في أي خلاف قد ينشأ بينك وبين من تعامل، أو بينك وبين الدولة، هو أمانة في يد القضاء، العادي منه والدستوريّ (حسب تعريفهم له). حقّك في ثروة بلادك، وحسن استثمارها، وحفظ أرضك من عدوها، وإعلاء مبادئها العامة التي ارتضاها أهلها لأنفسهم، ديناً وخُلقاً، هذا الحق هو أمانة في يد من يرتضيه أهل العلم والعدل في البلاد حاكماً.

من ثمّ، جعل الله سبحانه تأدية الأمانة واجب تكليفيّ، وسنّة كونية، تصلح بها

المجتمعات وترتقي الأفراد، وأوردها بأشد الكلمات وضوحاً ومباشرةً، صيغة الأمر المباشر "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" النساء ٥٨.

المسلمون، لأسباب تاريخية، عبر قرون من الصعود والهبوط، النصر والهزيمة، التوّحد والانقسام، والذي انتهى بهم، آخر المطاف، إلى سقوط خلافتهم، وتمزيق رقعتهم، واستعباد شعوبهم والاستحواذ على ثرواتهم، لم يمروا بتلك الأطوار كلّها دون تأثر نفسيّ، صاغ أنفسهم، وصبغ فكرهم، سلباً وإيجاباً تجاه الغزاة المنتصرون. وكان هذا التأثير سالباً في طبيعته، في أكثر الأمر، وهو غير مستغرب، لطبيعة شعوبنا الاستسلامية أولاً، ولسيكولوجية المنهزم التي عادة ما ينقاد ويذعن، أكثر مما يقاوم ويدفع ثانياً.

أوجدت هذه الظروف، بطبيعة الحال، من خلال خلطة مركّبة، مجموعة من العملاء في كافة المجالات، ممن لا أمانة لهم ولا خلق، على وجه الإطلاق! واستخدم المنتصر الغاصب الباغي تلك الفئة لتحكم البلاد، واستخدمت قيادات تلك الفرقة الساقطين من صغار العملاء والمنتفعين في مجالات الحياة، ليسيطروا على مفاصل البلاد ومصائر العباد. ويضيّعوا الأمانة، ضياعاً تاماً.

انظر حولك. في أي اتجاه شئت، وعلى أي مستو أردت، وفي أيّ أمر اخترت، تجد أن الأمور قد وسّدت لغير أهلها، وهذا، على وجه الخصوص، هو الأصل اليوم في رقعتنا الإسلامية كافة، دون استثناء، وبين أهل تلك الرقعة، أينما ذهبوا وأنّى حلّوا!

الحاكم خائن، لا صلة له بأمانة لا في كلمة ولا عمل. الحكومات والوزراء، قيادات الجيش والشرطة، كثرة القضاة وكلّ الإعلاميين الرسميين، وهلم جرا. ثم انتقلت العدوى إلى كثير من العاملين في الطبقات الإدارية والتنفيذية المتوسطة، كالمدراء والقيادات التعليمية، وغير ذلك من المهن، حتى أصبح صاحب الأمانة منكرٌ بين الناس، بل غير مستأمنٍ على حفظ أسرار الخيانة!

انظر إلى ما يسمونهم "جماعات إسلامية"! قيادات خربةٌ عقدياً، منحرفة حركياً، ضيّعت الأمانة التي وضعها المسلمون العوام فيها، فسلّمت قيادها لأنظمة وأفكار وأيديولوجيات تعادي الإسلام وأهله. وما أسوأها من خلّة معيبة وضيعة، هي مثالٌ لتضييع الأمانة وتوسيد الأمر لغير أهله، والذي حذر منها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

انظر إلى المراكز الإسلامية المنتشرة في أنحاء الأرض، ترى أغلبها، وأغلب الأغلب في أمريكا وأوروبا، هي مراكزُ ضرار تفيد أكثر مما تنفع، وتزيّف أكثر مما تصحح، وتُستخدم لصالح قياداتها، كما تُستخدم الشعوب لصالح حكامها. وتجد، يا للحسرة، "مشايخها" بين صبيٍّ جاهل، او شيخ معالم، جاهل ايضاً! تضييع للأمانة التي رست بين أيديهم، اختباراً وابتلاء، حيث وسّدت أمرها لغير أهلها.

حين تنظر في الحديث الشريف، فلا يظنن أن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يتحدّث عن الحاكم وحده، بل عن كلّ صاحب أمانة ضيّعها، وعلى رأسهم الحاكم من حيثُ هو القدوة والمثال، والمدبّر لأمور الناس، عدلاً أو ظلماً. بل عن كلّ موضعٍ وُسد فيه الأمر لغير أهله، فضاعت الأمانة فيه.

د طارق عبد الحليم

١٣ جمادي الأول ١٤٤٢ - ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٠





الجزء الثاني

للنساء فقط



قصة قصيرة



(1) مقدمة

يا من وصف الله سبحانه صحبتها الأولى بأنها لها وهن، والثانية بأنها سكن.

يا من أوصى بها رسول الله صلي الله عليه وسلم خيرا، وأضفي عليها وصف "القوارير" فكانت لها صفة وذِكرا.

يا من حملتنا مضغاً وأعلاقا، وأطعمتنا أجنة وأطفالا، وصاحبتنا شبابا ورجالا، ورعتنا شيوخا كبارا.

يا نصف الأمة الرحيم، وكلّ قلب الأمة الرقيق المؤنس الكريم

يا أماه، يا أختاه، يا بنتاه، يا زوجاه...

إليك نتقدم، بكلمات في حلقات متتابعات، تبدأ من العدد القادم، يشهد الله سبحانه أنها خالصة لوجهه، وإنما يراد بها الإصلاح والتوجيه، حين يجب الإصلاح والتوجيه، فهي من قلوب محبة شفيقة، ومن نفس لنفسك شقيقه، عارفة بمكانك من الحياة، وقدرك من الإنسانية. فان أشارت عليك نفسك، أو أشار عليك من لا يرعى لك حرمة، يوما، أن فيها ما يتوهم أنه مجاف لفهمك، أو أن فيه انتقاص لقدرك، فلا تسمعي لهذا الداعي الشيطانيّ، وأعيدي قراءتها متأنية مستهدية، فسيتبين لك أنها صافي الدسم، وأن ما يعرضه المخالف هو محض السم في آنية العسل!

سنتحدث عمّا هضم لك من حقوق باسم الإسلام، كما سنتحدث عمّا عليك من واجبات غابت عن عقول الكثيرات بحكم التربية التي فرضت علينا عقب الغزو الفكري الغربي. سنرى، بعين الإخلاص لما يجب أن يكون، لا بمجرد عين الخلاص مما هو كائن، أين الخلل إن كان هناك ثمّة خلل، وكيف السبيل إلى الإصلاح حين يعتقد البعض أن لا سبيل إلى الإصلاح.

ومشاركتك في هذا الأمر ضرورة يحتّمها الشرع ويمليها العقل. مشاركتك بقراءة

المادة المعروضة، والإنصاف في مراجعتها والحكم عليها، ثم في مراسلتنا بما يعنّ لك من آراء. ولا تخافي ولا تخجلي! فسلفك الصالح من كريمات المسلمات العالمات قد أدّين دورهن، في إطار الشرع وحيز الأدب، فكن مربيات أجيال وحاملات علم وسبّاقات للخير. ونشهد الله أننا معك لا عليك، إذ كيف يخاصم نصف الإنسان نصفه الآخر؟، وإن قدر على ذلك وخاصمه فترة، فهل رأيت أعجز أو أقلّ حيلة ممن يمشي في الأرض وهو يرتكز علي نصف دون نصف.

د طارق عبد الحليم تورونتو ١٩٩٨

(2) كنز الرضا

انحنت الجارة المخلصة على جارتها، بعد أن روّعها الصراخ والعجيج الصادر من منزل جارتها، دالاّ على أن الدّار قد اشتعلت بواحدة من تلك الخصومات العائلية المزمنة، وهمست في أذنها أن "ماذا نفعل؟ تلك هي إرادة الله" أو كلمات مثل ذلك مما يقال في مثل هذه المواقف لتهدئة الخاطر. مسحت السيدة الغاضبة دموعها وقالت في نبرة استسلام مخلوط باليأس: "ونعم باللهّ..لكن" قالت الصاحبة "لكن ماذا؟" قالت السيدة في نبرات متهدجة هي أقرب للبكاء منها للسكون "ألا ترين كيف يعاملني زوجي؟ أبعد كل ما أفعله في المنزل من خدمات له و لأولاده، يكون جزائيّ التعنيف والزجر؟" قالت الصاحبة "قبل أن أرد على تساؤلك، وأحكم لك أو عليك، ألا تقصّين عليّ القصة، كيف بدأت وكيف تطورت، فيكون قولي سديدا ونصحي مفيدا!" ارتخت السيدة في مجلسها، واتخذت هيئة من يتأهب لسرد رواية تحتاج إلى كلّ التركيز والانتباه، ثم شرعت تقول: "كنت في زيارة لفلانة، فعرضت عليّ ما اشترته من متاع وحليّ وقالت لي أن زوجها قد أعطاها ما يشترى أضعاف ذلك إلا أنها اكتفت، تطوعا، بما رأيت، على سبيل الكفاية والقناعة!! فلا أخفي عليك، شعرت بالغيرة وعدت إلى المنزل مكدّرة المزاج، يتحدث إلىّ زوجي فأردّ من طرف لساني، وقد كشّرت عن أنياب غضبي وكاد الشّرر يتطاير من عينيّ. فلمّا سألني ما الأمر، انفجرت فيه كالقدر الذي طفح بخاره، وذكرت له ما أنا فيه من قلة الحظ وسوء "البخت" وأسمعته ما أسمعه من حين إلى حين، من أن مثيلاتي قد فتح الله عليهن رغم أنني أفضل وأجمل وأعرق أصلا وأكثر أدبا، الست أحفظه في غيبته فلا أعرّض نفسي للرجال، أليس في هذا الكفاية؟! أخبرينيّ، بالله عليك، أليس معيّ الحق في الضيق والحنق"؟ قالت الجارة المخلصة: "أتريدين ردّا يهدأ الروع ولكن لا يحقق الاستقرار" قالت السيدة "لا، بالله عليك، أريد منك قولا مخلصا أعرف به أين أقف من الحق، فقد عرفتك ذات حكمة وفهم، إلى جانب حسن الدين والتفقّه فيه" قالت الصاحبة، أم هانئ: "جزاك الله خيرا على حسن ظنك، فلأجيبك بما يشفي صدرك ويهدّأ من روعك، على حسب ما دلّتنا عليه شريعتنا السمحاء في كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، فأنصتي لي وأحسني السمع، فما كل منصت بسامع. وسيكون ردى من شقين، شقّ عام والآخر خاص.

أما الشق العام، فاعلمي، يا عزيزتي أن الإيمان بالقضاء هو شقّ الإيمان ، فالإيمان إيمان بالله، وإيمان بما قضى، وكليهما آخذ بناصية الآخر، فمن لم يؤمن بما قضى الله سبحانه، لم يؤمن بالله أصلا. ولكن الأمر هنا أن الإيمان بالقضاء ليس إيمان ضيقٍ وحنق، ولا إيمان إذعان وإكراه لا، بل هو إيمان رضى واستحباب. وكيف لا، والمؤمن يعرف معرفة اليقين أن الله إنما يقدّر الخير لعباده فلا ينسب له إلا الخير، قال تعالي "ولا يرضى لعباده الكفر" وإنما كفروا بإرادتهم. فليكن تسليمك لقضاء الله من جنس تسليمك لله، تسليم مستحب راض، بل فرح مستبشر، وكيف لا وهو قضاء الله؟.

وأما الشق الخاص، فيا عزيزتي، أترين زوجك كادحا الليل والنهار سعياً وراء الرزق الحلال لكما ولأولادكما؟ أترينه يمسك عن العمل طلبا للراحة والاسترخاء في حين أن البيت يحتاج للمؤن والزاد؟ أن كان ذلك كذلك، فهو حديث آخر معه وليس معك. ثم أتعرفين لزوجك محل آخر يصرف فيه ماله مما ليس من الشرع في شيء؟، فان لم يكن له مصارف أخرى، فأخبريني، بالله عليك، علي ماذا تحسرين، ولماذا تقيمين الدنيا ثم لا تقعدين؟ أليس تعرفين أن القدرة هي مناط التكليف؟ أليس يقول المولى عز وجل "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها"؟ ثم أشكواك من بخل عرفته عنه؟ أم من رؤية للمستقبل وتخطيط للقادم من الملمّات يعرفها هو، من حيث هو الموكل بمجابهتها علي كل حال؟ إننا ما زلنا نخلط بين البخل، الذي هو إمساك المال وإحرازه رغم شدة الداعي إلى إنفاقه، وشرطه وجود المال واحرازه وقت الحاجة، نخلط بين هذا وبين الإنفاق الواعي الذي يجري علي وفاق قول الله تعالي "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا". والله سبحانه كفانا مشقة التخمين، فبيّن السبب الداعي إلى الاعتدال وهو أن نعمل حسابا للمستقبل، وهو من باب نصيحة رسول الله صلي الله عليه وسلم بأن ندع من ورائنا مالا لأولادنا، من استطاع إلى ذلك سبيلا، أفضل من أن ندعهم فقراء يتكفّفون الناس، وهو من قبيل التخطيط المشروع غير المنافي للتوكل.

ولن أثقل عليك بذكر وجوب الطاعة للزوج، وما شابه ذلك مما ثبت في الأحاديث

الصحيحة، فلعل الله سبحانه أن يقسم لنا وقتا نتحدث فيه بإسهاب عن هذا الأمر، بعد أن يجلوا الله عنكما هذه الغمة، ولكني أشير إلى أنه لا معني للطاعة أصلا إن لم يصحبها الرضا، إذ هي، إذن، الاستسلام المضني لصاحبته، المدمّر لنفسها وكرامتها، ومن ثم فهو الصراع الدائم بين الزوجين.

ثم، يا أختي في الله، دعيني أهمس في أذنك سرّا نعرفه، نحن معشر النساء، ألا ترين أن بعض النسوة يحبون أن يتفاخروا بما ليس لديهم، وأن يتكثّروا بما ليس فيهم، وأن يظهرن أنفسهن كمن يعاملهن أزواجهن كأنهن اللؤلؤ المكنون أو الجوهر المصون، فطلباتهن أوامر لأزواجهن، وإرادتهن ملزمة إلزام الفرض الحاضر! وهن إنما يفعلن ذلك عن حسن نية، في كثير من الحالات، إظهارا للعزة وتخييلا للمعزّة، والله وحده هو العالم بما يلقين علي أيدي أزواجهن، والبيوت عورات وأسرار، كما يقال. بل إنني أذهب لأبعد من ذلك، أن المرأة التي تكثر الحديث عن مقتنياها في كل وقت وحال هي التي، في غالب الأمر، تعاني من حياة خشنة عنيفة، تداريها بالادعاء وتخفيها بالمداراة. فهي حالة نفسية تحاول عكس الوضع القائم لتتخلص منه علي الأقل أمام الغير من الأقارب والرفيقات. وفرق بين شكر النعمة من الزوجة لزوجها بذكر محاسنه واحسانه بشكل عام لا يؤرق الغير ولا يثير الغيرة، وبين ذلك التظاهر والادعاء في كلّ حال وفي أي مجال.

فلا تغتري، يا أختاه، بكل ما تسمعين، ولا تكوني كمن وصفهم أحمد شوقي في قوله: يا له من ببغاء عقله في أذنيه فالكلام يجب أن يعرض علي العقل، قبل أن يقال فيه صادق أو غير صادق.

أما قولك إنك ترتدين الحجاب، والحشمة من الثياب، وأنك لا تختلطين بالرجال، ولا تخوضين فيما يخوض فيه الغير من الأوحال! فهذا فرض عليك من ربّ العالمين، لا تمنينّ به علي زوجك، بل الله يمنّ عليك أن هداك لهذا، والأمر هنا في العلاقة الزوجية وحق كلّ طرف علي الآخر لا في حقّ الله عليك.

ثم، أخيرا، لا تنسي الفضل بينك وبين من أفضيت إليه وأفضى إليك، فهو زوجك

وراعيك، وهو، إن صحت رجولته، بحسن اختيارك له في مبدأ الأمر، لأفضل من يوازن بين المصالح القائمة والقادمة، ويجعل لكل أمر من أمور الحياة مقياسا ومقدارا. وقد أمنته على نفسك أفلا تأمنيه على أن يجعل المصروف تبعا للمألوف المعروف بلا تقتير ولا إسراف!!

قالت الزوجة "جزاك الله عني وعن زوجي خير الجزاء، فوالله ما رأيت الأمر من كل جوانبه قبل حديثنا اليوم، وإني لأرجو أن يكون له تتمة في وقت لاحق" ثم ابتسمت ابتسامة الراضية عما سمعت، وقامت لتقضي إلى جارتها حق الضيافة.



(3) درجة الفضل وفضل الدرجة

ها أنا ذا قد وفيت بما وعدت، وجئتك زائرة، ردّا لجميل صنعك يوم أن أعدت الهدوء والاستقرار إلى منزلي " قالت السيدة لجارتها أم هانئ، بعد أن استراحت في جلستها " ولكني أتحدث إليك، ولا أخفي عليك، في العديد من الأمور التي تتزاحم في فكري ولا يستوعبها عقلي، وعقول الكثيرات من بنات جنسنا، بشأن تلك العلاقة المشتعلة بين الرجل والمرأة، والتي تحوّلت في زماننا هذا إلى علاقة ظاهرها الوفاق وباطنها الشقاق!" قالت الجارة الصديقة "إن كلامك ليزيدني خجلا، فما عرفت من نفسي القدرة على الإقناع من قبل، وإنما هو الفهم عن الله سبحانه ثم الصدق في النصح، ليس إلا..، وعلى كل حال، فما الذي يقلقك هذه المرّة، يا أختاه؟" قالت السيدة: "إن كثيرا من الرجال يدّعون التميّز عن النساء تميّزا أصليا يجعلهم أعلي مرتبة وأرفع قدرا، ويتلون من كتاب الله ما يحسبنه مصداقا لذلك، من قوله سبحانه: " ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف، وللرجال عليهن درجة " البقرة ٢٢٨. فهم يردّدون الآية الكريمة في كل مناسبة يختلف فيها رجل وامرأة، للحطّ من مكانتها دونه ولإملاء رأيه عليها، حتى صرنا نخجل من أنفسنا في بعض الأحيان، بل ونشعر بمقاومة داخلية، وأعوذ بالله من ذكر ذلك علانية، لمعنى الآية الكريمة ... كما تعرفين عن موقفنا، بشكل عام من الآيات الكريمة الخاصة بالتعدد في الزواج! فهل من رد في هذا الأمر يشفي العقل العليل ويروى الصدر الغليل؟

ابتسمت الصاحبة، واعتدلت في جلستها، وقالت: " ألا ما أشبه الناس بالناس! فقد سمعت هذا القول ممن لا أحصي عددا في كل بقعة من بقاع المسلمين حول الأرض، شرقا وغربا. وأبدأ بأن أقول لك، يا أختاه، أن هوّني عليك فان الله سبحانه ما افتات على بنات جنسنا، فما جعل علينا هو العدل وما فرض لنا هو العدل، فهو العادل بإطلاق، وذلك من مستلزمات الإيمان.

" أمّا قول القائل من الرجال: أن المرأة أقل من الرجل ، بحكم الفطرة وطبيعة الخلقة ، فهذا قول معتسف لا يصح أن يحمل علي عمومه، أو أن يخرج عن حدوده

، فالرجل ، ولا شك ، مختلف عن المرأة في أمور كثيرة ، وكلّ ميسّر لما خلق له. فالرجل أقوى في البنية وأقدر علي تحمل الصعاب، وهو أحدّ ذاكرة وأكثر تحكما في عواطفه وانفعالاته، ولهذا فان الله جعل عقدة النكاح وأمر الطلاق في يده دون المرأة، ثم جعل شهادته بشهادة امرأتين، وعلل ذلك بإمكانية النسيان، مع أن النسيان ممكن الوقوع من الرجل كذلك، ولكن الأمر هنا أمر الأكثر احتمالا. كل هذا حق لا ننازع فيه، ولكن.. " قالت السيدة بنبرة المتلهف: " نعم.. أريد أن نصل إلى ولكن!"، ابتسمت الجارة وقالت: "ولكن هذا يملي على الرجل أن يكون أجدر بتحمل عبئ تلك المسؤولية، مسؤولية الريادة والتقدمة. فالأمر أمر تكليف لا تشريف، وسيكون لنا رجعة إلى هذا الأمر، وأمر آيات التعدد وخلافها في وقت لاحق إن شاء الله تعالى

أما عن الآية التي ذكرت فإنها قد سيقت في مجال الحديث عن العلاقة الزوجية، أي العلاقة بين الرجل والمرأة، فكان التساوي فيما لهن وما عليهن هو الآخر في مجال الحياة الزوجية كما تملي الآية بنصّها، وهي إشارة إلى حق المساواة، بشروطها، يمر عليها الرجال مر الكرام!! وأمّا الدرجة التي عني الله سبحانه، فهي "درجة الفضل"، فالرجل، لما كان له من قوة وقدرة، عليه أن يرتفع إلى درجة الفضل في معاملة زوجه بالإحسان إليها والتوسيع عليها والرفق بها، لا بالتعالي والتضييق عليها! فان فعل ذلك، وحاز درجة الفضل، استحق فضل هذه الدرجة، أي كان على زوجه أن تعامله بفضل هذه الدرجة التي استحقها، فتقدّره وترفع من شأنه وتضعه حيث وضعه الله من درجة القوامة. أمّا من لم يحز هذه الدرجة من الفضل، فلا يلومن إلا نفسه إن اضطرب بيته بالشقاق والتفكك، فهو لم يرتقِ إلى الخلق الذي أراده الله منه، وجانب الفضل وعرّض نفسه لغمط القدر وسوء الذكر من أهله. فالفضل في هذا الموضع، إذا، هو فضل "واجب" لا فضل "حق"، فضل "عطاء" لا فضل "استعلاء" ، فضل "بذل" لا فضل "أخذ" . وأقسم لك يا أختاه أن هذا المعني للدرجة التي ذكرت في الآية الكريمة قد خطر لي منذ ليالي معدودات، ثم شاء الله أن أطّلع بعدها علي قول لابن عباس، حبر الأمة وفقيهها، ذهب فيه إلى ما ذهبت إليه، ووافق فيه فهمه

للآية فهمي، قال ابن عباس رضي الله عنه: " الدرجة: حض الرجال علي فضل العشرة، والتوسع للنساء في المال والخلق، أي أنّ الأفضل ينبغي أن يتحامل علي نفسه "، فكان ذلك التوافق بين قولي وقول ابن عباس عندي، علم الله، أفضل من حمر النعم كما تقول العرب.

فهي، إذن، علاقة متبادلة مزدوجة، تضع على عاتق الرجل مسؤولية الرقي إلى درجة الفضل والإحسان، بأداء واجباتها والصبر على تكاليفها، وتتطلب من المرأة الاعتراف بفضل هذه الدرجة وتقديرها، بأداء حقها ومراعاتها.

قالت السيدة وقد انبسطت أساريرها " الحمد لله الذي سمّى نفسه الحق، فان ذلك المعنى قد أثلج صدري وجعلني أشعر بكرامة المرأة وحقها الذي جار عليه بعض الرجال لقلة علمهم بمعاني الشريعة الحقة. وإني لأود أن أقترح عليك أمر أرجو أن يحوزَ رضاكِ وقبولكِ ، وهو أن نعمم فائدة هذه الجلسات المباركة على عدد أكبر من الأخوات بأن ندعو من أراد منهن إلى لقاءات للمحاورة والحديث فيما ينفعنا في يوم معادنا، فما رأيك، دام فضلك؟" قالت الجارة الصديقة: " جزاكِ الله خيرا، ولا مانع عندي من ذلك، فليس أفضل من جلسات العلم ، التي فضّلها رسول الله علي جلسات الذكر ". قالت السيدة: " فالي لقاء قريب إن شاء الله تعالي ".

(4) يا معشر النساء تصدّقن - 1

وعلى موعِدِهن، التقت النساء الأربع في منزل أم عمرو، وبعد أن جرى بينهن ما يجري من مقدمات عن حال الأهل الأولاد، قالت أم هانئ: "نبدأ بسم الله الذي علّمنا ما لم نكن نعلم، من منكن ستبدأنا بالحديث اليوم؟". تبادلت الزائرات نظرات سريعة وساد صمت قصير قطعته أم الفضل بقولها: "اسمحوا لي أن أبدأ بالحديث، وهو أمر أحسب أن له علاقة وطيدة بموضوع الأسبوع الماضي، فقد حيّرني ذلك الأمر من أمور الشريعة منذ أيام شبابي، بل أحسبه قد حيّر الكثيرات منا، نساء القرن العشرين، وهو: كيف نتعامل مع بعض ما ورد في الحديث، مما قد يوحي إلى العقل النسائيّ المتحضّر التحامل على جنس النساء، ويأبى قلب المؤمنة أن يطاوع هذا الوحي الشيطانيّ، دون سند من تفسير معقول أو أثر منقول يوضح وجه الحق فيه ؟". قالت أم هانئ، وقد رأت ملامح الموافقة على ما ذكرته أم الفضل باديا على وجوه رفيقاتها: "اسمعن يا أخوات، واسمعن بقلوبكن وعقولكن جميعا، إن مما يخالف أبسط قواعد العقل والمنطق أن يخلق الله سبحانه نصف الخلق من جنس النساء ثم يتحامل عليهن – حاشا لله – أو يضع من قدرهن، لا لسببٍ إلا لأنهن نساء ولا غير! ذلك قول المتدينين من النصارى الذين يرون أن آدم إنما حُرم من الرحمة واستحق الطرد من الجنة بسبب حواء التي أغوته بأكل التفاحة من شجرة الخلد، وكانت نصير الشيطان ومثال الحية الرقطاء التي سرى سُمّها في دم آدم فأفسده وألقى بإثم الخطيئة الأولى على رأس عقبه إلى يوم الدين، فالمرأة في هذا التصور هي مصدر الشرور، كل الشرورِ، وهي مصدر اللعنات، كل اللعناتِ، فما لأهل الغرب النصراني يتصنّعون الرحمة بالنساء بما اصطنعوه من معاني "الحركة النسائية" و"حقوق المرأة" وخلاف ذلك مما يوحون به، بل ويصرحون في كثير من الأحيان، من ضرورة تحرير المرأة المسلمة من ضروب الذلة والمهانة التي تحياها المرأة المسلمة! وهو حديث يطول يا أختاه، فما لك لا تحددين أمرا بذاته أزعجك وتعصىّ على عقلك أن ينزّله منزله من الفهم السديد؟". قالت أم الفضل: "فما قولك، أم هانئ، في قول رسول الله ﷺ أننا ناقصات عقل ودين، إن صحت نسبة ذلك القول إليه ﷺ ؟" اعتدلت أم هانئ في جلستها، وظهر على ملامحها الجد، كل الجد، ثم استغفرت الله وشرعت تقول:" ما قلتِ يا أختاه يحمل صوابا يجدر بي أن أنبه إليه قبل أن أبدأ حديثي، وهو

أننا يجب أن نتيقّن من صحة ما نسمع من أقوال تنسب لرسول الله ﷺ قبل أن نحكم عليها بالصحة أو الخطأ، فإن كثير من الناس ينسب القول لرسول الله ﷺ ولا يبالي أصحّت النسبة أم لم تصح، وفي هذا ما فيه من الإفتئات على الدين.

أما عن حديث رسول الله ﷺ الذي ذكرت آنفا منه كلمة، فهو عن أبي سعيد الخدريّ قال: "خرج رسول الله في أَضحَى أو فِطر إلى المصلى، فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدّقن فإني أُرِيتُكن أكثر أهلَ النار، فقلن وبم يا رسول الله ؟ قال: تُكثِرن اللعن وتَكفُرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُبِ الرجل الحَازم من إحداكن، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل، قلن بلى، قال فذلك من نقصان عقلها، قال أليس إذا حاضت لم تصلي ولم تصم ، قلن بلى، قال: فذلك من نقصان دينها"، وقد رواه البخاريّ في باب "كفران العشير أو كفر دون كفر"، ومسلم والترمذيّ والنسائيّ وابن ماجة وأحمد في المسند والدارميّ بألفاظ متفاوتة، واللفظ الذي رويته للبخاريّ، وزاد بقية الأئمة " فجعلن ينزعن قلائدهن وأقراطهن وخواتيمهن يقذفنه في ثوب بلال يتصدقن به" والزيادة للنسائيّ. وفي رواية مسلم "فقامت امرأة سِطَة من النساء سَعفاءِ الخدين فقالت لم...الحديث" مسلم باب صلاة العيدين.
فَالحديث من ناحية الثبوت لا خلاف عليه، وما يجب أن نبدأ به فهو التسليم له وتلقيه بالقبول، إذ لا بديل لذلك إلا الانفكاك عن الإيمان..

أمر يجدر أن نذكره في هذا المقام قبل أن نشرع في الحديث عن متن الحديث النبويّ، وهو ما أدعوكن إلى التأمل فيه، أخواتي المؤمنات، انظرن إلى ردة فعل المؤمنات المخاطبات بهذا الحديث، فأولا تلك المرأة التي سألت رسول الله والتي قلّما نسمع من يتحدث عنها أو يذكرها رغم أنها صاحبة الفضل في تعريفنا بهذا الأمر الذي نحن بصدده، قد وصفتها ألفاظ الحديث في مسلم بأنها "جَزِلة " أي ذات عقل ورأي، وأنها "من سِطَة النساء " أي من خيارهن، ووصفها النسائيّ بأنها "من سَفلَة النساء " أي ليستَ من أرفعهن قدرا، ولا تعارض بين كونها من خيار النساء وكونها ليست من أرفعهن قدرا، وتفسير ذلك، فيما أحسب، أنها قد وّصفت في لفظ مسلم بأنها "سعفاء الخدّين" أي قد تغيّر لون بشرتها وجلدها من العمل والضنك،

فهي إذن امرأة من الطبقة العاملة التي تقوم على خدمة أهلها، وليست، بتعبير أهل ذلك الزمان، من الأشراف أي ممن يقوم الغير على خدمتهن، فهي إذن امرأة عاقلة عاملة أرادت أن تعرف لمَ وُصفت وسائر النساء بهذه الأوصاف، ليس تحدّيا للقول كما هو حال السائلات من بنات هذا الزمان، بل لتعرف ما لها وما عليها فتتصرّف تبعا له، وها هنا نكتة أستشعرها بعين الرأي وشاهد الحال لا عين التحقيق و تدقيق المقال، وهي تتعلق بأن من سألت السؤال – ولم يا رسول الله - كانت من الكادحات العاملات لا من المنعّمات المرفّهات، فهل تعرف إحداكن لهذا تفسيرا ؟" قالت أم أنس: "أعتقد أنني أدرك ما تقصدين إليه، أم هانئ، فسبب ذلك أن المرفهات من النساء يعلمن أنهن ممن لم يعرفن قسوة الحياة وشدة أمرها ولم يشاركن أزواجهن في تحمّل أعبائها فكُن أكثر النساء شكاية وتبرّما بالحياة، بينما هذه المرأة الكادحة ذات الرأي والعقل قد عُمّي عليها وجه النقص، فهي تكدح مع زوجها أو أهلها لتقيم أود حياتهم وهي مشغولة بالأهم من شؤون الحياة عن مغالبة عشيرها في أمور المال والنفقة، فكانت أحرى أن تتولى السؤال عن النقص في بني حواء، من أين أتى." ابتسمت أم هانئ وقالت:" جزاك الله خيرا أم أنس، فوالله لهو عين ما أردت أن أقول، وهي الفطرة الصادقة يلتقي عليها الفهم الراشد بين من التزم بالإسلام ورضي بشرعته، ولكنني أضيف إلى ذلك أمر آخر وهو ما أراه من أن تلك المرأة العاملة العاقلة ليست كذلك ممن تتعالى علي عشيرها بما تبذل من جهد أو تشارك به من فضل، فإن من أهم أسباب الشقاق بين الزوجين في هذه الأيام هو ما كان من عمل المرأة وحصولها على دخل خاص تراه حقّا لها من دون بيتها أو أهلها، فهي تريد أن تستأثر به لتنفقه على زينتها وأغراضها دون مشارك، بل هي تعرج على زوجها فتطالبه بالسعة في النفقة وأن يهبها "مصروفا" وأن لا يبخل عليها بمال أو نفقة! وهو موضوع قائم بذاته، سيحين أوان الحديث فيه فيما يأتي من لقاء، وما يعنينا هنا هو أن ورود السؤال من تلك المرأة بالذات يحمل ذلك المعنى، معنى الكدّ والكدح من جانبها ومعنى أنها لم ترى وجه النقص لأول وهلة إذ إنها تقضي ما عليها من مشاركة في أعباء الحياة دون أن تطالبَ بالخدم والحشم أو بالرفاهة والمتعة.

ثم نأتي، ثانيا، إلى موقف سائر المسلمات من الحديث، فإن إحداهن لم تقطب

جبينها ولم تلتوي بعنقها إبداءً للاستياء واعرابا عن القبول الكاره أو حتى عن عدم القبول، بل بدأن على الفور في معالجة الأمر وتدارك النقص وتصديق خبر الرسول دون إبطاء، فنـزعن حليّهن وقروطهن وتسابقن في التبرع بها دون مجادلة في ماذا ولماذا، ذلك والله هو محض الإيمان. أما اليوم فلا تكتفي المسلمات المتحضرات! بقول رسول الله ﷺ، وإنما يناقشن في الأمر بعد ثبوته، وهو ما يضاد محض التوحيد الذي هو التسليم لله ورسوله جملة وعلى الغيب دون مماراة وتمحك، ثم السؤال عن معناه وحكمته بعد تمام التسليم له قلبا وقالبا، قال تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شَجَرَ بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حَرَجَا مما قضيت ويسلّموا تسليما" النساء ٦٥.

وقد كنت أرجو أن يتسع الوقت لندلف من هذه المقدمة إلى ما يحمل الحديث من معان وما يقدم من وصايا، إلاّ أني أحسب أن الوقت قد أزف للانصراف، فما يليق بالمرأة المسلمة أن تبقى خارج بيتها إلى ساعة متأخرة من الليل ولو كانت في مجلس علم أو ذكر". فأومأن موافقات ثم انصرفن راشدات على أمل اللقاء.

(5) يا معشر النساء تصدّقن - 2

ارتسمت ابتسامة خفيفة على محيّا أم هانئ حين نظرت في وجوه رفيقاتها وكأن على رؤوسهن الطير إذ علمت ما يدور في خلدهن. قالت:" أكُلّ هذا الصمت بسبب ما نحن بصدده من حديث عن الحديث الشريف .. يا معشر النساء تصدّقن؟" قالت أم الفضل، وقد شعرت بما ألمحت إليه أم هانئ: "على رسلكن يا أخوات، فأنتن ضيوفيَ اليوم، وأنا امرأة أحب الدعابة وأميل إلى الضحك، فهل أنتن منتهيات!"

ابتسمت السيدات ورحن في حديث عن العيال والمال حتى قطعته أم هانئ بقولها: "لنعود الآن إلى مواصلة الحديث بما انتهينا إليه في جلستنا السابقة. ولعلّكن تذكرن ما قلناه عن تلك المرأة العاقلة العاملة التي سألت رسول الله ﷺ عن سبب أن النساء أكثر أهل النار، وما قلناه من أن الواجب هو أن نتخذ خطوات نحو البعد عن النار والقرب من الجنة، وأود أن أضيف إلى ما قلت في المرة السابقة أن هذا الحديث ليس من قبيل القدر المكتوب على جبين كل بنات حواء لا فكاك لهن منه، وإنما هو من قبيل التحذير العام الذي تعمل كل امرأة على تجنب مقتضاه ما استطاعت وإلا فهي ممن حق عليهن القول، والغرض هنا هو أن نقلل من عدد النساء المخالفات ونزيد من عدد الموافقات. ولنتذكر أنه "ليس للإنسان إلا ما سعى"، وهو أمر تشترك فيه المرأة والرجل على السواء، فنحن نُحَاكَم بما نفعل، وإن كان أكثرنا من أهل النار فلا نلومنّ إلا أنفسنا، والفطنة تقتضي أن نعرف لماذا كانت النساء معرضة لهذا المصير أكثر من أقرانهن من الرجال، وإن كان للرجال شراك كثيرة نصبها الشيطان لهم من دون الجنة، وإنما جاء التحذير منها عاما منتشرا في السنة كلها، و والله إني لأحسب أن الرجل الفطن إنما يحذر لنفسه ويحاسبها أكثر مما تفعل المرأة إذ هو معرّض لأضعاف ما تتعرض له المرأة من فتن مما سنلقي عليه الضوء فيما يأتي من حديث لتكون كلّ منا منار تحذير لرجلها في هذه الحياة الدنيا، ثم أعود إلى سبب أن كانت النساء أكثر عرضة للنار من الرجال، إذ أفصح رسول الله ﷺ عن سبب ذلك، وعدّده في التالي: كثرة اللعن، وكفر العشير، ونقص العقل والدين ثم استلاب لب الرجل الحازم، ونحسب أن كل هذه الأدواء إنما تأتي من نقص العقل والدين، إذ أن صيغة الحديث قد جاءت بوصف المرأة بهما كوصف ذاتيّ لها لا كصفة من خارج وهو مقتضى قوله ﷺ "ما رأيت من ناقصات عقل ودين..." ، ودعونا ننظر

مليّا في هذه المسألة بعين المسلمة التي ترغب في معرفة نقصها لإكماله لا بعين المرأة التي تغطي على نقصها بإنكاره.

فإن رسول الله ﷺ حين استدل على هذا الأمر في ردّه على المرأة السائلة، إنما استدل بالحكم الشرعيّ، فجعل حكم الله الشرعيّ بأنّ تقوّم شهادة الرجل بشهادة امرأتين دليلا كافيا على نقص عقلها دون الحاجة إلى دليل من علم النفس أو التشريح، والله يعلم خلقه سبحانه "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" كما أتخذ من حكمه سبحانه بأن تكف المرأة عن الصلاة والصيام أيام حيضها دليلا على نقصان دينها. وهذا الدليل لا يصلح إلا للمؤمنات من النساء، إذ إن قول الله سبحانه دليل مستقل قائم بذاته يفتقر إليه في الإثبات ولا يفتقر إلى شيء، ومن طلبت على قول الله دليلا فلتراجع إيمانها ابتداءً. فلا معنى إذن في الحاجة لإثبات ذلك بأدلة أخرى. والعقل، أخواتي الحبيبات، ليس هو تاج البشرية الأوحد، وإنما قد أهّل الله سبحانه كل مخلوق بما يعينه على أداء وظائفه التي خلق لأدائها، فخلق للطير جناحين يحلّق بهما في الهواء، وخلق للسمك زعانف تضرب بها صفحة الماء وتعينها على حركتها فيه.. وهكذا.. ناسبت الخلقةُ الغرض منها. والبشر ليسوا استثناء من ذلك، فالمرأة لم تخلق ابتداءً لتكون من رواد علم الفضاء أو من مكتَشفَات النظريات الرياضية، وإن أمكنها فهمها وإدراكها، ولكنها خُلقت لتكون أمّا حنونا تحيط أبناءها بالرعاية والحنان وتملأ حياتهم بالحب والمودة، وخلقت لتكون زوجة صالحة تملأ حياة زوجها بالحنان والدفء والرعاية، ينظر إليها فتسرّه ويطلب منها فتطيعه، فهي عونه على الدنيا لا عون الدنيا عليه، تخفف من حمله ولا تثقله بحملها، ومن ثم خُلقت بقلب أكبر وعاطفة أشد وأقوى من الرجل فهي رقيقة شفافة كنسمة صيف لزوجها وأبنائها، وماذا نريد من كمال العقل، بالله عليكن، إن كان الله سبحانه قد شرّفنا بسعة القلب وفيض العاطفة؟ وإنما الحذر كل الحذر والشقاء كل الشقاء حين تلتفت المرأة عن واجبها الأصليّ ودورها الأساسيّ الذي أعدّها الله لحمله، لتنافس الرجل فيما أهّله الله له باكتمال عقله، تاركة وراء ظهرها ما أهّلها بارئها له باكتمال عاطفتها وقلبها.

وأنتن عارفات بالحال يا رفيقات، فكثيرات منّا لا تعبأ بما يلقاه زوجها من تعب وكد للحصول على لقمة العيش، وإنما تجدها دائما في حالة ضيق وشكاية إذ ترى نفسها أحق بحياة أفضل وبنعمة أكثر مما هي فيه، أيّا كان ما هي فيه من نعمة، فالأمر هنا هو الرضى بالمقسوم والعرفان للجميل وهو ما قصد إليه رسول الله ﷺ في حديثه. والشكوى والتضجر من الحياة إنما هو اعتراض على قسمة الله سبحانه واعتراضُ على قَدَرِه. أمّا كفر العشير، فالكفر هنا ليس كفرا بالله وإنما هو نوع آخر من الكفر، وحتى نفهمه جيدا يجب أن نعود للمعنى الأصليّ للكلمة في اللغة العربية، فكلمة "كَفَرَ" تعني في اللغة "غَطّى" قال تعالى "كمثل غيث أَعجب الكُفّار نَبَاتُه" الحديد ٢٠، أي الزرّاع. وقد سمّي الزارع كافرا (لُغويّا) لأنه يقوم بتغطية الحب في الأرض، واستعمل لفظ "الكفر" في الاصطلاح الشرعيّ ليدل على أن الكافر يغطي نعمة الله عليه ويجحدها. قفزت أم الفضل من مقعدها كالّلديغ وقالت بنبرة مُلأت رعبا: "تقولين أننا كفارٌ يا أم هانئ؟!" قالت أم هانئ: "على رسلك أم الفضل، فالكفر نوعان: كفر أكبر وكفر أصغر، وحتى لا أضجركن أقول باختصار: إن الكفرَ الأكبر كفرُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أو أن يأتي المرء من الأفعال بما هو مناقض للتوحيد، أمّا الكفر الأصغر فهو صيغة من صيغ التعبير عن المعاصي الكبيرة والذنوب العظيمة تحملِ وصف الكفر إذ أن فيها من الكفر معنى من المعانيّ وهو تغطية حق الذي ارتُكِبت في حقه، ومنها كفر النعمة، ولهذا ترجم البخاريّ هذا الحديث تحت باب"كفر العشير أو كفر دون كفر" وما نحن فيه من هذا القبيل، إذ أن المرأة التي تفعل ما تفعل من شكوى وتضجّر هي "كافرة " بنعمة زوجها عليها ومغطية لحقه. هذا هو معنى الكفر هنا، لا كفر بالله ولكنه كفر بالنعمة وكفران للعشير.

ثم إن أمر "أذهب للبّ الرجل الحازم منكن" مبنيّ على ما سبقه، إذ أن للمرأة، إن أرادت وإن هيأ لها شيطانها، وسائلها في إثارة حنق عشيرها بما لا يقدر معه على التحكم في أعصابه فيخرج عن طوره ويقول ما لا يقصد ويفعل ما لا يرضى. وقد فعلت ذلك أفضل نساء العالمين من أمهات المؤمنين، وأعني بهما السيدة عائشة والسيدة حفصة حين أثرن رسول الله ﷺ وفعلن ما فعلن مما جعله ﷺ يعتزلهن

جميعا، بل كاد أن يطلقهن، وليس أحزم منه ﷺ.

والغرض هنا يا أَخَواتي المؤمنات ليس الحطّ من قيمة المرأة، بل هو إخبارها بما تَصْلُح له ويَصلُحُ لها، والعقلُ عقلان، عقل استدلاليّ يضع النتائج من مقدماتها حيث تجب، ويحلل المواقف ويستنبط الأمور ويَقوى على مواجهة الحياة وما فيها من مثقلات، وهو أداة للرجل أكثر منها للمرأة، وعقل فطريّ يعرف الخطأ والصواب ومواطن الإحسان ومواضع الرفق وهو ما أغدق الله علي المرأة العاقلة منه إن فهمت عن الله سبحانه وعن رسوله ﷺ.

الأمر إذن تحذير للنساء لا يجب أن تستخف به المرأة المسلمة، فالأمر أمر جنة أو نار لا أمر مغالبة ومصارعة مع الرجال على أيّ الجنسين أفهم وأيهما أقدر أن يقوم بما يقوم به الآخر. هو أمر جد لا أمر هزل، فلننتبه إلى ذلك ولنفعل فعل النساء الصحابيات حين بذلن ما لديهن دون تردد اتقاءً لما قد يكون من نصيب إحداهن إن أصرّت على أن تغضب زوجها وأن تخرجه عن طوره فيخسر كلاهما الدنيا والآخرة جميعا.

وليس للرجال متعلّق بهذا الحديث، وليس لهم أن يعايروا النساء به، إذ، كما ذكرت، ذلك توجيه وتحذير من رسول الله ﷺ وليس هو للغضّ من المرأة أو نكاية فيها، وكثير من الرجال يتخذون من هذا الحديث مطية لأغراضهم، وهذا ما ليس من الشرع في شئ وسيكون للرجال معنا دور نبيّن لهم ما قد يخفى عليهم من أوجه الاستفادة من الحديث في إقامة بنيان بيوتهم على أسس أقوى ودعائم أشد وأرسى، دون أن يتندروا بالمرأة ويعايرونها بما قد لا يكون فيها على وجه الخصوص.

ثم، مرة أخرى، أرى أن الوقت قد أزف للانصراف، وإنّ على كل منكن أن تصرف وقتا تحدّث نفسها بما سمعت وأن تعِيَ ما عرفت لعل أمرها يصبح كله رشدا إن أطاعت ربها وقنعت بما أكرمها به " وتواعدت السيدات، مرة أخرى، على لقاء قريب.

(6) بين حقٍ ضائع وواجب مُضيّع - 1

تجمّعت السيدات حول مائدة القهوة في منزل أم عمرو، وبعد القيل والقال والسؤال عن الأحوال، إذا بالمضيفة، أم عمرو، تندفع في بكاء حار متهدج، مما جعل صاحباتها يسرعن إليها ويربتن عليها مهدئات متسائلات: ما الأمر؟ ما الخبر؟ ماذا حدث بالله عليكِ، أم عمرو؟.. قالت أم الفضل:" على رسلك أم عمرو، اهتدي بالله، ولتقصي علينا ما حدث، إذ إن لم نتباحث في مشاكلنا القائمة كنا كمن يعالج مجتمعا "أفلاطونيّا" لا يمت للواقع بسبب، أو كهؤلاء "الأرأيتيين" الذين يعالجون مشاكل خيالية لم تقع بعد." قالت أم عمرو: "لك الحق، أم الفضل، وسأروي لكن ماذا حدث مما جعلني أنخرط في البكاء، فقد اعتدت أن أقوم ببعض ما يخص البيت من معاملات كدفع الفواتير المستحقة واصطحاب الأولاد إلى الطبيب، كمساعدة له على لأواء العمل ومشاقه، ثم عنّ لي منذ فترة أنني أحتاج إلى الراحة والاسترخاء بدلا من أن أعذب نفسي بمثل هذه الأمور، ثم أليس زوجي هو المسؤول عمّا يخص أمر البيت من كافة احتياجاته؟ فكان أن ذكرت لزوجي ما عزمت عليه من عدم المساعدة في هذه الأمور مرة أخرى. تجهم زوجي ثم قال: ولكنك تعرفين ساعات عملي وما أواجه من مشاق في سبيل إقامة هذا البيت وتعميره، ألا تمدين لي يد المساعدة وأنت قادرة عليها. قلت: بل إنني أفعل ما هو مطلوب مني في أداء الأعمال المنزلية من طعام وكيّ وتنظيف وترتيب، فماذا عليّ بعد ذلك من أن لا أقوم بما هو من واجباتك أصلا، وإنما حقي عليك أن تؤمّن لي خادما يقوم على شؤون البيت، فإني ما تزوجتك لأكون لك ولأبنائك خادما. واحتدم النقاش بيننا ثم تطوّر إلى نزاع، فصراع. وصرنا نتبادل التهم، كلّ ينكر على الآخر حقّا له ويطالبه بواجب عليه، ولم ينتهي الأمر إلاّ وكلانا قد نال من الآخر نيلا وأصابه بما لا يرأب مع الزمن.".

تبادلت السيدات نظرات العطف والتفهم، وتنهدت أم هانئ، وسادت فترة صمت مشحون بالتوتر قطعته أم الفضل قائلة: "أعرف ما تقصدين، أم عمرو، ووالله إن هذا لمن قلة التفهّم لدور المرأة في بيتها، فما لزوجك يطالب بأكثر مما له، كأن له حقوقا وليس لك مثلها...أليس أحرى.." قاطعتها أم هانئ بصوت هادئ حازم

قائلة: "دعونا لا نشعل النار في الهشيم، ولا نكون عونا للشيطان على هؤلاء الأحباء، ولأنبه إلى خطأ كثيراً ما نقع فيه مما يُفسد على الناس حياتهم، وهو الخلط بين النصح والمجاملة، وأعني أننا إن نجامل أختا في محنتها لا يستلزم أن نهاجم زوجها أو من تخاصم، إنما التهدئة والتوجيه والنصح أولى من تلك المجاملة التي لن تفتأ أن تزيد الأمر اشتعالا والشقاق اتساعا، لننظر إلى الأمر من كافة جوانبه، ثم لنخلص إلى ما فيه الصلاح مما يوافق شرع الله سبحانه وسنة نبيه ﷺ.

فنحن الآن في مواجهة زوجين يدعي كل منهما أنه يقوم بواجباته تجاه الطرف الآخر ولا يحصل على حقوقه منه، هكذا بشكل عام، وبتعميم معمّم. أقول لك يا سيدتي الفاضلة: أتدّعين القيام بكل الواجبات التي عليكِ تجاه بيتك ورجلك لا تنقصين منها شيئا؟ ثم أتدّعين أن زوجك ينكر عليك كل حقوقك قاطبة، لا يعطيك منها شيئا؟ ألا لا أظن الأمر كذلك، فهو ضد طبائع الأشياء أن تكون الأمور هكذا على إطلاقها، ليس فيها إلا الشر، إنما هو الغضب والشيطان يزينان لنا أن الأمر سيئ على إطلاقه، فلننتبه لهذا. فكلمات الحق والواجب كلمات عامة حمّالة أوجه، فما ترينه حقا يراه غيرك فضلا وما ترينه واجبا يراه غيرك نافلة... وهكذا... وحين نتحدّث عن الحياة الزوجية، هنالك يشتد الأمر التباسا وتداخلا، فالحدود بين الحق والواجب تشتبه عند كِلا الطرفين، وانظرن، أخواتي المسلمات، إلى كلمة "الزوجيّة"، فهي عكس "الفردية" وهي لذلك تحمل معنى الاشتراك والتعددية أصالة، فإن جردناها من فحواها وفتتناها إلى أجزائها، وذهبنا ننظر إلى كل جزء على حدة، نقص قدرها وقلّت قيمتها، فالكل هنا يحمل قيمة أكبر من أجزائه مجتمعة، والحياة "الزوجية" تقوم على مفهوم الشراكة بين اثنين، إلاّ إنها شراكة في الحياة بكافة أبعادها لا في ناحية مالية أو عملية منفردة، وهي، من ثم، تقوم على مبدأ التكامل الذي يحمي الكيان كلّه من الانتقاص والخسران.

ومما لا شك فيه أن الشريعة قد رسمت حدودا عامة لحقوق وواجبات طرفي العلاقة؛ ثم تركت تفاصيل الحياة اليومية لبداهة العقل وحكم الفطرة، روى قيس بن سعد عن رسول الله الله عليه وسلم قال: "لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لأحدٍ

لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق" رواه أبو داود في النكاح واللفظ له، والترمذيّ في الرضاع، ابن ماجة في النكاح، وأحمد في المسند، والدارميّ في الصلاة، وهو حديث عام شامل قصد إلى إرساء حق القيادة العام في المنزل، فإن حق القيادة العام لا يصلح أن يتنازعه اثنان، والكلمة الأخيرة يجب أن تقع مسئوليتها على عاتق فرد واحد، ولا يعني هذا مطلقاً أن يستبد الرجل برأيه، وألاّ يكون للمرأة حقها في التعبير عن رأيها وإبداء ما تراه صالحا لها ولعشيرها، ولكن الأمر هنا هو أمر الحق النهائي الثابت في إصدار الكلمة الأخيرة، وقد جعله الله سبحانه في يد الرجل كما جعل عقدة النكاح في يده، لذات الأسباب التي تحدثنا عنها من قبل. وهذا أمر لا عيب فيه ولا منقصة للمرأة، فالسفينة لا تقلع بربّانين، والجيش لا ينتصر بقائدين، ولكنّ الحياة كذلك لا تصلح إن كان الرجل صورة ديكتاتور في منزله، فسلطة الكلمة النهائية لا تعني عدم الاستماع إلى رأي زوجه بل وامضائه إن كان خيرا لهما جميعا، والقصد هنا هو إصابة الخير لا إنفاذ الرأيّ، ولا غضاضة على من رأي الخير في رأي الغير فأمضاه.

ثم إن الشريعة قد أرست قواعد عامة للرجل يتبعها في رسم منهج تعامله مع أهله، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله الله عليه وسلم: "الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة" مسلم في الرضاع، النسائي في النكاح، وقال الله عليه وسلم :"استوصوا بالنساء خيرا" البخاري في النكاح، ثم ما رواه سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه أن رسول الله الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال: "ألا إن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن"، وهذه المجموعة من الأحاديث ترسم معالم حقوق المرأة، ثم يأتي دور الفضل من الرجل والتفهم من المرأة. وسنتحدّث عن هذه الأحاديث الشريفة تباعا، وإنما أريد أن أغادر اليوم مبكرة لأن لي غرض أود أن أقضيه قبل حلول الظلام"، وانفض السامر على وعد اللقاء.

(7) بين حقٍ ضائع وواجب مُضيّع - 2

وفي موعد اللقاء ومكانه، اجتمعت السيدات في بيت إحداهن، وإن زاد عددهن، إذ أحضرت كلّ واحدة منهن صديقة من الراغبات في العلم، والمتشوفات إلى المعرفة، مما حدا بأم عمرو، المضيفة، أن تنقل الجلسة إلى الدور تحت الأرضيّ ليتسع المكان للعديدات من الوافدات الجدد، وقد ظهر الاهتمام عليهن جميعا.

أخذت السيدات الحاضرات في مراسم التعارف وأحاديث الود والمجاملة حتى أومأت المضيفة أن قد حان الوقت لنصل من الحديث ما انقطع، فانتبهت السيدات وتطلعن ناحية أم هانئ فشرعت تقول:" أبدأ بحمد الله سبحانه والثناء عليه، ثم أكرّ عائدة إلى ما بدأت في المرة السابقة من حديث عن علاقة الزوجة بزوجها، ورويت في ذلك أحاديث لرسول الله ﷺ ، منها ما رواه النسائي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: "الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة" مسلم في الرضاع، النسائي في النكاح. ولعلكن تلحظن ما وُصفت به المرأة في هذا الحديث، أخواتي المؤمنات، إذ وُصِفَت بأنها "صالحة" وقد جُعِل وصف الصالحة حالا للمرأة، وهو ما يلقي ظلالا على هذا الأمر يحسن بالمسلمة أن تتأمّلها بعقلٍ واعٍ وقلبٍ صاحٍ.

فالأمر الأول أن المرأة من المتاع المحبوب المرغوب إذ وصفت، حال كونها صالحة، أنها من خير المتاع، والمتاع مشتق من المتعة، وهي تحمل معاني السرور والراحة والسعادة، إذ لا متعة في التناحر والشقاق والخلاف، فإن بدأ التناحر والخلاف لم تعد المرأة من المتاع، وفقد الزوجان خير متاع الدنيا، الذي هو خير للرجل من المال الكثير والمتاع العريض. وخير للمرأة أن تكون من خير ما يرزق به الرجل من متاع حياته من أن تكون مما ينغّص حياتهما معا ويفقدهما سرّ السعادة والهناء، وذلك بأن تكون "صالحة".

وإذ وصلنا إلى هذه المرحلة، أود أن أفاجئكن بأنني لا أري أن حال الصلاح الذي

وصفت به المرأة لتحقق كونها خير المتاع، لم يقصد به أصلا الصلاح الدينيّ أي أنه ليس مقصودا أن خير المتاع، وخير الزوجة، من هي صالحة تقيّة تصلي فرضها وتصوم شهرها وتتقي ربها، لا ليس هذا هو المقصود الأصليّ هنا، وإن كان مقصود بطريق العرض". وهمهمت السيدات الجالسات وتطلعن إلى بعضهن البعض متعجبات لما تقول أم هانئ، وقالت أم الفضل: "ولكن، أم هانئ، تعوّدنا أن نفهم ذلك على أن المرأة الصالحة هي المرأة التقيّة الوَرِعَة، فكيف يكون ذلك أمر ثانويّ لا ضروريّ، وكيف يكون التدين غير مقصود في هذا الحديث؟" قالت أم هانئ: "على رسلك أم الفضل، فإن المقصود هنا هو الصلاح المرتبط بكونها زوجة لا مُطلق الصلاح من كونها مسلمة. فالصلاح يرتبط بحال المرء، فصلاحه حال كونه زوج غير صلاحه حال كونه أبا أو موظفا أو شريك عمل أو غير ذلك من الأحوال التي يمر بها الرجل المسلم والمرأة المسلمة. والزوجة يرتبط صلاحها كزوجة بأكثر من مجرد صلاحها كمسلمة، فصلاحها كزوجة يعني أن تصلح زوجة بكل ما في الكلمة من معان، ومن هذه المعان أن تكون تقيّة ورِعة تعرف حقوق ربها عليها وتطيع أوامره وتنتهي عن نواهيه، وهي لذلك تطيع زوجها، من حيث هي زوجة، لأن الله سبحانه أمرها بذلك، ثم من معاني صلاحها كزوجة أن تكون هيّنة ليّنة تعكس وصف الأنوثة في كلامها وحركاتها، فَتَدِلُّ على زوجها دلالاً مرغّباً لا دلالا منفّراً، ثم هي تقوم بواجب بيتها من رعاية وتنظيم على أكمل وجه، فهي نظيفة مرتبة نشطة لواجبها، لا يدفعها زوجها لأداء عملها دفع المعلّم للتلميذ الكسول، وهي تعرف أن رجلها راع في بيته ومسؤول عن رعيته، فهي تعطيه حقّه في الاحترام والتقدير ومراعاة أحواله قبل نفسها وأولادها، فهو الأصل والبقية فروع، والفرع لا يقدّم على الأصل بحال وإلا فسدت الدنيا، فإن رأته صامتا احترمت صمته حتى يتحدّث، وإن رأته فرحا شاركته الفرحة، وإن نام هدأت وهدّأت البيت، وإن قام نشطت لِما يريد من غذاء أو كساء، وإن انصرف لعمله ودّعته راجية له سعة الرزق وحسن المنقلب ، وإن عاد هوّنت عليه ما لقيّ من كد ونصب، تتحدث عنه بعزّة ونخر أمام رفيقاتها، وتبيّن وجه الكمال فيه وتدارى أوجه النقص ما استطاعت، وترفع من قدره أمام أبنائه وأهله،

وهو يراها دائمة الرضا قانعة بما يأتيها به من عاديات الدنيا ومتاعها، لا تتبرّم ولا تشتكي قدر استطاعتها، فإن البرم والشكوى من الدنيا خُلُقٌ هادم لسعادتهما، يسري مسرى السرطان في الجسد ليقضي عليه. والمرأة مطالبة بأن ترعى بيتها، ورعاية البيت تشمل أكثر من كل ما أسلفت، فهو واجب دائم التجدد، وهو عطاء غير منقطع تبذله المرأة الصالحة.

وأحسبكن تتحدّثن في أنفسكن، ما هذا الحديث! "وكأن الرجل سيد الكون وإله المرأة من دون الله" استغفر الله من ذلك، ولكن يا أخواتي الكريمات أود أن أنبهكُنّ إلى أمرين عظيميّ الخطر هنا؛ أولهما أننا لم نتناول ما للمرأة على الرجل من حقٍّ بعد، وستسعدن بما أقول في هذا وما قد وجّهت إليه نظر الرجال من قبل في سالف جلساتنا، والأمر الآخر، وهو الأهم، ما رواه أبو داود عن قيس بن سعد وأحمد عن أنس بن مالك وبن ماجة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: قال: "لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحقّ" أبو داود في النكاح وبن ماجة في النكاح وأحمد في مسند المكثرين واللفظ لأب داود. وهو فضل وحقّ افترضه الله علينا ليس لنا أن نغفل عنه، وإن غفلنا عنه فلنغفلِ إذا عن غيره من حقوق الله التي افترضها علينا فهو مثلها سواء بسواء. من هنا وَجب علينا أن نكون من الصالحات، أي الصالحات للزواج، فإن في ذلك سعادتنا نحن؛ النساء؛ قبل سعادة أزواجنا، فكم من امرأة ظنت أنها تستطيع أن تدرك سعادتها من خلال تحصيل أكبر قدر من الكسل أو زينة الحليّ والذهب أو تخزين المال بما تقتطعه من دخل زوجها لنفسها أو غير ذلك مما لم تراع فيه صلاحها وصلاح بيتها فانتهى الأمر بها إلى أن قضت حياتها شقيّة تعيسة، ولم تطمئن إلى نجاتها من عذاب الآخرة إذ لم تحقق وصية ربها باحترام زوجها ورعاية بيتها."

انتبهت السيدات إلى أن الوقت قد أزف لانصراف، فأخذن في تجميع حوائجهن

استعدادا للمغادرة، وقد تاه فكرهن فيما سمعن من أم هانئ، وصرن يتساءلن "أأدّيت حق زوجي عليّ، أم أنني صرفت أيامي أتشبث بحقي عليه غافلة عما افترضه الله له من حق وما جعل له من فضل!!"



(8) المباح المحرم - 1

قبل موعد اللقاء المعهود، طرق الباب في بيت أم هانئ وظهرت أم أنس على الباب وقد تغير وجهها تغيرا ملحوظا حتى أن أم هانئ قالت لها: "أهلا بك أم أنس، والله لولا معرفتي بك لأنكرتك لما يظهر على وجهك من التغير والتبدل! فما الأمر وما الخبر؟ لعله يكون خيرا إن شاء الله تعالى." وران صمت قصير ما لبث أن قطعته صرخة من الصدر كأنها آهة ثكلى، ما مر على فقد ولدها أيام بل ساعات، زفرتها أم أنس، وظنت معها أم هانئ أن نفس صديقتها قد خرجت مع تلك الزفرة الثكلى. قالت أم هانئ وقد أخذ منها القلق كل مأخذ "عزيزتي، أربعي على نفسك، فما من أمر ينزل على الإنسان إلا وقد جعل الله فيه حلا ومخرجا"، قالت أم أنس وهي لا تكاد تلفظ نفسا إلا لتتعلق بالذي يليه خوفا من أن تزهق روحها:" إلا هذا الأمر يا أم هانئ إلا هذا الأمر". ثم انخرطت في بكاء شديد. وتركتها أم هانئ لحظات حتى هدأت نفسها، ثم أقبلت عليها قائلة "حدثيني الان، ما الخبر؟"، قالت أم أنس:" حدث ما كنت أخشاه طوال عمري، حدث ما تخشاه كل أمرأه أن يقع بها، حدث ما أعتقد أنه سينهي حياتي قبل أوانها، حدث ما..."، قاطعتها أم هانئ قائلة: "على رسلك يا أختاه، وقولي لي ما حدث مرة واحدة، فقد استبد بي القلق وأخذت بي الظنون كلّ مأخذ،" قالت أم أنس: "اتخذ زوجي حليلة أخرى". ران صمت عميق لمدة ثوان، دارت فيه عيني أم أنس في حدقتيها كمن يبتغي مهربا من شر واجهه أو مصيبة توشك أن تقع به. ثم بعد وقت ليس بقليل، قالت أم هانئ :" فهمت عنك أم أنس، ولكني لا أريد أن تُراعي بهذه الدرجة الشديدة فإن الحياة لم تقف بعد ويوم القيامة لم يحن وقته بعد، والساعة لا تزال غيبا من الغيوب، إنما أقصاه أن هذا موقف اجتماعي لم يعتاد عليه الناس منذ عدة مئين من السنين، ولعلنا نتحدث عن وجه الخير فيه ووجه الأذى منه"، صاحت أم أنس صيحة المفجوع: "أو فيه وجه للخير أم هانئ" قالت أم هانئ :"أو ما علمت يا أم أنس ما من أمر من أمور الدنيا إلا وجعله الله مبنيا على اختلاط الخير والشر، والصلاح والفساد، وأن

ما شرعه الله من واجب أو مستحب أو مباح فإنما هو لما غلب فيه الخير على الشر وربت فيه المصلحة على المفسدة" قالت أم أنس وقد هدأ روعها بعض الشيء: "فما وجه المصلحة والخير في هذا الأمر الذي يكاد أن يكون خرابا للبيوت ولوعة وأسى للزوجة الأولى ، جرعات من الحزن تتجرعها المسكينة كل ساعة يقضيها زوجها في بيته الآخر ، بعيدا عن أبنائه وعن بيته الأول الذي شهد نشأتهم ،ثم كيف يأمن عقاب الله حين لا يعدل بينهما ،وهل في مقدوره العدل ،ثم أليس الله سبحانه قد قال : "ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم "، بعد أن قال " وان خفتم ألا تعدلوا فواحدةً " ، أليس هذا منعاً للتعدد ؟ قالت أم هانئ وقد فاضت عيناها بالحنان والرقة لما شعرت من أسى صديقتها وحزنها الأصيل: فليهدأ روعك أختاه، ولنتحدث عن الموقف بعقل مفتوح وبقلب عامر بالإيمان، إذ إنه بغير الإيمان تزل الإقدام وتتوه العقول ويضل الناس الطريق ، فقد أثرت أمورا وقلت أقوالا لا تمت للشريعة بحال ، وإن عذرك أنك في هذا الحال من الانزعاج والاضطراب . ولكن دعينا ندرس هذا الموقف من كافة جوانبه ، فالأمر مداره أن رجلا قد أتخذ زوجا ثانية .وان تركنا الشريعة جانباً الآن، فان الرجل يفعل ذلك لأحد أمرين : أولهما أن يكون قد افتقد السعادة والاستقرار والتفاهم في بيته، واتسعت شقة الخلاف بينه وبين زوجته – سواء لسوء فيه أو لسوء فيها ، فان هذا خارج عن موضوعنا ، المهم أن هذه هي النتيجة التي وصل إليها من قرر هذا الأمر، أقول اتسعت شقة الخلاف بينه وبين زوجته لدرجة صارت حياته معها لا تستمد وجودها إلا من إحساس بالمسؤولية تجاه المرأة وتجاه أبنائه الذين كتب عليه أن يرعاهم حتى يشـّبوا عن الطوق . وقد قال عمر بن الخطاب لمن جاءه يقول :أريد أن أفارق زوجتي ، فإني لا أحبها ، قال عمر : أو كلّ البيوت بنيت على الحب ،فأين الرعاية والتذمم، ويا له من قول بليغ رائع يمثل قمة الرجولة بمعناها في تحمل المسؤولية والصبر على المكروه .والأمر الثاني ، أن الرجل مع رضاه عن زوجته وكونها امرأة بكل معاني الكلمة ، نشيطة ذكية تعرف حقه وتقوم به ، فتسكت إن غضب ،وتضحك أن ضحك ، وتعينه على بلوى الدنيا، أقول، رغم هذا فقد عنّ له أن يتخذ زوجه أخرى لإرضاء حاجة في نفسه ليس إلا،

هذه الحاجة قد تكون إنجاب ذرية حيث عطلت الزوجة عن الإنجاب ، أو لمرض داهمها أعجزها عن القيام بحقه، أو مجرد حاجة في نفسه لا دخل لزوجته الأولى بها. ولا تكاد تعدو الأسباب في اتخاذ زوجة أخرى ما ذكرنا. " قالت أم أنس ": "أو يصح لرجل ان يتزوج لمجرد رغبته في ذلك؟" قالت أم هانئ: "دعينا نبدأ الموضوع من أوله. فقد قال تعالى في سورة النساء "فان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم، ذلك أدنى ألا تعولوا" النساء٣. وقد أجمع العلماء على أن هذه الآية إباحة لتعدد الزوجات إلى الأربعة. والحق أن ذلك لم يكن رفعاً لحد المسموح به إلى الأربع بل كان تحديداً للمباح بأربع لا أكثر حيث أن العرب كانوا يتزوجون أكثر من ذلك، ما شاء لهم هواهم، فحددها الله سبحانه بأربع حتى يتحقق الغرض من الزواج بهذا القدر لا بأكثر منه. ولننظر في سبب نزول الآية الكريمة من سورة النساء ،روى البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن سبب نزول الآية قالت : " يا ابن أختي هذه اليتيمة في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير قسط في صداقها ،فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن ويبلغن بهن أعلى سنتهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن "رواه البخاري ، وأذكر لك هنا بعض ما يجب أن نتعلمه من القواعد الشرعية التي تحكم النظر في النصوص الشرعية حتى نفهمها على الوجه الصحيح. أولا أختاه، فان معرفة سبب نزول الآية من القرآن في غاية الأهمية لإدراك معناها وما فيها من أحكام، ومعرفة عامّها وخاصّها. وهذه الآيات الكريمة عامة في التنبيه على معاملة المسلمين فيمن هن في رعايتهم من اليتامى بطريق المنطوق، ثم بينت بطريق المفهوم أن المسلم له أن يتزوج اثنتين وثلاث ورباع من النساء غير من في حجره من اليتامى. ولا يعني هذا، كما قال بعض مؤولة النصوص المغرضين أن هذه الآية خاصة في ظروف من في حجره يتامى فقط، إذ إن التعدد ليس له معنى في هذه الحالة فقط، وإنما هي لإنشاء حكم عام يندرج تحته من في حجره يتامى بطريق العموم. أمّا ما ذكره البعض الآخر من المغرضين أو مم قّل فهمه واضمحل علمه،

أن الجمع بين آية النساء ٣ "وأن خفتم ألا تعدلوا فواحدة" وآية النساء ١٢٩ " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم"، فيقرؤوهما متتابعتين ثم يخرجوا من هذا الخلط بأن الله منع التعدد بنص الآية، إذ إنه سبحانه قرر أن الرجال لن يعدلوا بين النساء! وهذا الأمر من أسخف التحريف لكتاب الله سبحانه ، فانه، مع أن الآيتين ليستا متتابعين، فان الله سبحانه لا يحتاج إلى أن يمنح ثم يمنع في آيتين من آياته، يمنح بنصّ واضح صريح ،ثم يمنع بنصّ مغطى مشوش، والأولى أن يقول بطريق واضح أن الزواج بأكثر من واحدة أصبح ممنوعا بعد أن كان مباحاً، كما فعل في تحريم الخمر ،حيث تدرج في بيان خبائثها مع استمرارية إباحتها، ثم منعها بالكلية في قوله تعالى " قل أن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون"، فالتحريم هنا واضح صريح، أتى بعد إعداد متدرج من بيان أنها تشتمل على نفع قليل وضرر كثير ، وأن ضررها يربو على نفعها، ثم ضرر الفعل نفسه (شرب الخمر)، ثم تحريمها مطلقاً، ولكن الحالة هنا معكوسة، إذ انه ليس هناك تدرج في بيان ضرر التعدد ابتداء، بل العكس، فقد أباح الله سبحانه التعدد بآيات صريحة في مقام المنّ على عباده، فلِما يعرج على ما أباح فيحرّمه بهذه الطريقة التي هي مدارة وتلميح لا تشريع واضح صريح! هذا لا يكون.

وقوله الله تعالى "فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة" أنما هو من قبيل التحذير الخاص الذي يخاطب في الرجل ضميره ودينه لا أنه يخاطب السلطة الحاكمة فتمنع أو تسمح والخوف المقصود في قوله تعالى "فان خفتم "يعني أن على الرجل أن يمتحن نفسه فان آنس قدرة على العدل فلا حرج عليه في أن يتخذ زوجاً واثنتين وثلاثة ورباع، وان رأى من نفسه عجز عن العدل، فعليه وحده أن يعدل عن التعدد ،فان حسابه في هذا الظلم سيكون على الله وحده، وليس هناك عقوبة دنيوية أو حدّاً على الظلم إن وقع في هذه الحالة فالمعوّل على الرجل نفسه ،هو وحده الذي يحدد إمكانية العدل أو عدمه ويتخذ قراره على أساس من تقوى الله ومراعاة دينه .

وآية "ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم" قد تحدث عنها الناس كثيرا وتناولوها بالتفسير المغلوط ،أن الله سبحانه هنا قد بيّن استحالة العدل بين النساء ،وبما إنه سبحانه قد اشترط العدل للتعدد في الآية السابقة ،فهذا يعني تحريم التعدد! ويا لها من دورة الله سبحانه غنيّ عنها كما أشرت من قبل، فالله سبحانه لم يشترط العدل للتعدد كما بينت لك من قبل، بل ربطه بقرار الرجل الحر بناء على خوفه من إقامة العدل أو عدمه، والآية المذكورة هي آية خبرية لا إنشائية، أي لأنها تخبر عن أمر كائن لا أنها تنشأ حكماً شرعيا، والفرق بينهما كبير، وهذا الخلط هو في حقيقة الأمر سبب كل هذا الهراء عن تحريم التعدد، وما تبعه من شعور النساء في عصرنا هذا بوقوع الظلم ومجانبة الشريعة في أمره.

نظرت أم أنس في ساعتها، وتنهدت قائلة "أخشى يا أختاه أنني يجب ان أغادر الآن، لأعود إلى المنزل قبل حلول الظلام، ولكن لعلنا أن نستكمل الحديث عن هذا الموضوع في لقائنا القادم مع بقية الأخوات لتتم به الفائدة إن شاء الله ". وغادرت أم أنس منزل صديقتها على أمل العودة في القريب العاجل.

(9) المباح المحرّم - 2

وأخيرا، جاء موعد اللقاء وكأنه تأخر خمسين عاما مرت على أم أنس منذُ أن صرّحت لأخواتها ما أقدم عليه زوجها من زواج، وما تعيشه من لوعة وحرقة، وإن خفف عنها بعض ذلك ما سمعته من أم أنس في الجلسة السابقة.

ثم حين التأم الشمل واستقر المقام، شرعت أم هانئ قائلة بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله: حدثتكن أخواتي الفاضلات في لقائنا السابق, عن آيات الله الكريمة التي انحرف بها المغرضون أو من لم يستقيم لهم الفهم عن أصل وضعها، حيث يقول الله سبحانه في سورة النساء "فإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم, ذلك أدنى ألا تعولوا" النساء ٣، ثم يقول عز من قائل في النساء ١٢٩"ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم " وبينهما ٩٩ آية ! فجمع بينهما جامع وجعل الجزم بعدم القدرة على العدل منعا من التعدد المباح في الآية الاولى! لكن هذا خطأ فاحش في تناول الآيات القرآنية، إذ إن الآية الثانية هي آية خبرية لا آية انشائية أي إنها تخبر عن أمر كائن لا إنها تنشأ حكما يتبع. ثم إن الله سبحانه قد قال في الآية نفسها "فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة" وفي هذا بيانٌ لما يجب أن يكون عليه العدل المطلوب شرعا، فكأن الله سبحانه يقول " يا بني آدم، أنا أعلم بأن العدل المطلق الذي لا ميل فيه قط هو غير مقدور لكم، فإنكم إن تزوجتم أكثر من واحدة لن تستطيعوا أن تعدلوا العدل المطلق لما في طبيعتكم من النقص، ولكن هذا لا يمنع من أن التعدد حلال مباح لكم، واذن فإن العدل المطلوب منكم هو العدل الممكن لبني الانسان، فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها، وهو بأن لا تميلوا " كل الميل" فتصبح الزوجة الأخرى كالمعلقة، لا هي عزبة ولا هي متزوجة، و هذا ما فيه من الظلم ما فيه، ويكون اذن "بعض الميل" مسموح. وقد حدده الفقهاء بالميل القلبي كما في حديث عائشة قالت "أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول "اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك " رواه الترمذي في كتاب النكاح، قال "إنما يعني به المحبة والمودة" أو في المعاشرة الزوجية كما ذكر بن قدامة في المغني: قال: "و لو وطي زوجته و لم يطأ الأخرى فليس بعاص" لا نعلم خلافاً بين أهل العلم في أنه لا تجب التسوية بين النساء في الجماع، وهو مذهب مالك و الشافعي، وذلك لأن الجماع طريقه الشهوة و الميل، و لا سبيل إلى التسوية بينهن في ذلك، فأن قلبه قد يميل إلى أحداهما دون الأخرى. قال تعالى: " و لن تستطيعوا أن

تعدلوا بين النساء و لو حرصتم", قال عبيده السلماني: "في الحب و الجماع، وإن أمكنت التسوية بينهما كان أحسن وأولى فإنه أبلغ في العدل" المغني ج ٧ ص٢٥.

ثم إن ما ردده كثير من الناس، بعلم مغرض أو بجهل مرد، فيما رواه البخاري من حديث مسعود بن مخرمه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول وهو على المنبر "إن بني هشام بن المغيره قد استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن، إلا إن يريد بن أبي طالب أن يطلق ابنتي و ينكح ابنتهم، إنما هي بضعة مني يريبني ما أرابها و يؤذيني ما أذاها هكذا قال" البخاري كتاب النكاح.

وقد وهم الكثير من "الطيبين"، وأشاع الكثير من "المغرضين" أن الرسول ﷺ قد منع التعدد بهذا الحديث، وسبحان الله العظيم، يمنع رسول الله ﷺ من أمر قد أحله الله سبحانه في القرآن الذي أنزل عليه بل وفعله هو نفسه ﷺ تسع مرات! والحق أن يفهم الحديث على وجهه، لا أن تضرب الشريعة بعضها ببعض. ولنفهم هذا الأمر يا أختي العزيزة، فلنعلم أن المخطوبة كانت جويرية- على المشهور من أسمها- بنت أبي جهل، همهمت النساء " أبا جهل، يا أم الفضل، أبا جهل؟! قالت أم الفضل:" نعم بنت أبي جهل الذي عادى الاسلام ورسوله عداء شديدا بغيضا لا مزيد عليه، فابنته هي التي عرض أهلها على علي بن أبي طالب أن يتزوجها. وهو ما يفسر سر هذا المنع من رسول الله ﷺ، اذ كيف تجتمع اثنتان، أبو الأولى ﷺ وأبو الاخرى، أبا جهل لعنة الله عليه، في بيت واحد؟ هذا لا يكون. والحديث فيه زيادة في رواية الزهري:" واني لست أحرم حلالا ولا أحلل حراما، ولكن والله لا تجمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبدا". اذن، حسمت هذه الزيادة الأمر وقطعت لسان المتخرصين، فإن السبب هنا هو ما رآه رسول الله ﷺ منكرا وهو أن تجتمع ابنته، بنت سيد المرسلين وبنت عدو الله اللدود في بيت واحد، وما في ذلك من أذى لفاطمة، وكل ما يؤذيها يؤذيه. ثم كذلك، فإن رسول الله ﷺ قد أشفق على فاطمة أن تصيبها الغيرة، وهو شعور طبيعي انساني مقبول بحدوده، رغم ايلامه في بعض الأحيان، ففاطمة رضى الله عنها، كما يقول الحافظ في الفتح " كانت أصيبت بأمها ثم بأخواتها واحدة بعد واحدة، فلم يبقى لها من تستأنس به ممن يخفف عليها الأمر ممن تفضي اليه بسرها اذا حصلت لها الغيرة" الفتح ج٩ ص ٣٦٤.

ولهذا ترجم البخاري لهذا الحديث تحت عنوان " باب ذبّ الرجل عن ابنته في الغيرة والانصاف". ثم إنه في زيادة للزهري "وأنا أتخوف أن تفتن في دينها" قال بن حجر" يعني أنها لا تصبر على الغيرة فيقع منها في حق زوجها في حال الغضب ما لا يليق بحالها في الدين" ولا ننسى اخواتي الكريمات أن فاطمة هي فاطمة سيدة نساء العالمين، فهي ليست كأحدنا، حتى أن بن حجر قد صرح برأيه في الأمر فقال "والذي يظهر لي أنه لا يبعد أن يعد في خصائص النبي ﷺ، أن لا يتزوج على بناته ويحتمل أن يكون ذلك خاصا بفاطمة عليها السلام" فتح الباري ج٩ ص ٣٦٤. ثم أمر آخر، هو أنه كما قال ابن حجر، لو أن فاطمة رضيت لما منع رسول الله ﷺ من الزواج كما قال بن حجر ج٩ ص ٣٦٥.

من هذا كله نرى أن الاستشهاد بهذا الحديث لا يصح، بل لا يليق، فان مقام فاطمة ليس كمقام غيرها من النساء، ومقام أبيها ليس كمقام أحد من العالمين، ومع ذلك فقد صرح ﷺ أنه لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما، وأنه رسول الله ﷺ قد تزوج هو نفسه بتسع لا يجرأ أحد يدعي الاسلام أن يقول أنه أضر بهم أو لم يراع لهن خاطرا. وهو ﷺ الذي حبب الى أمته التعدد. ترجم الحافظ بن حجر في فتح الباري تحت عنوان " باب كثرة النساء " من حديث البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: قال" ابن عباس هل تزوجت؟ قلت: لا، قال: فتزوج فان خير هذه الامة أكثرها نساء" فتح الباري كتب النكاح ج٩ ص ١٢٤.

قالت النساء: حان وقت الرحيل يا أم هانئ، فما نراك الا آخذة في هذا الحديث حتى تطلع شمس اليوم الآخر! وقد آن أوان الانصراف لنقوم بحق بيوتنا لحفظ حقها واجب مشروع. قالت أم الفضل: انطلقن راشدات والى لقاء قريب. ولحديثنا بقية.

(10) المباح المحرّم - 3

انعقد اللقاء مرة أخرى في بيت أم أنس، وسارعت كل امرأة تأخذ مكانها وكأنهن يردن أن يستكملن الحديث بأسرع ما يمكن أن يكون. قالت أم هانئ: "فكما رأيتن يا أخوات، أن موضوع زواج عليٍّ رضى الله عنه على فاطمة عليها السلام، ليس من هذا الباب الذي نتحدث فيه، وإنما هو من باب خصوصيات الرسول ﷺ كما رجح بن حجر، أو هو من قبيل الحرص عليها لما أصابها في حياتها القصيرة الثمينة من فقد أحبتها ومن تلجأ إليهم وقت الغضب. وكذلك لعدم صلاحية أن تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله في بيت واحد. وإني أحب أضيف أمرا آخر من عند نفسي فإن أصبت فهو من عند الله سبحانه وإن أخطأت فهو من الشيطان ومني، أنه قد يكون خشية أن تحزن فاطمة فيحزن الرسول ﷺ لحزنها فيكون هذا سببا في احتسابه ذنبا لعلي، إذ إن كل من يسبب ألما أو إيذاء لرسول الله ﷺ يقترف به إثما، وإن كان هذا الأمر ليس من قبيل ما يستخلص من نص الحديث، ولكن بحسبي أن بن حجر قد أشار إلى قريب منه.

ومن عجيب ما سمعت في الأيام الخالية أن بعض من انتسب إلى الإسلام، وحمل رواسب الجاهلية الغربية وعفان العلمانية، يحتج بقوله تعالى في سورة النور:" وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" النور ٣٢. احتج هؤلاء من النسوة وأشباه الرجال، إلى أن ذلك منع من التعدد إذ أن فيه الأمر بتزويج الأيامى، والأيم من ليس له زوجة او من ليس لها زوج! فيكون هذا منع من تزويج من له زوجة! هذا أخواتي الفاضلات من غرائب الله في خلقه! فإن الأمر هنا واقع على شيء يختلف جد الاختلاف عن إباحة التعدد في آية النساء. ففي سورة النور يحث سبحانه المؤمنون على أن لا يرفضوا من تقدم لزواج بناتهن البكر إن كان كفئا ترضاه لنفسها، فإن يفعلوا تنتشر الفتنة ويعم الحرام. وليست سورة النساء كلها في بيان حكم الزنا والحجاب وغض البصر وما من شأنه أن يحمي المجتمع من شر العزوبة، فلا غرو أن يكون فيها الحث على تزويج الأيامى ليمنع بهذا ما يمكن أن يكون من انتشار الفاحشة لوجود من يعش عازبا من ذكر أو انثى. ولكن حدثوني بربكم، ما شأن هذا بما هو من إباحة التعدد في

سورة النساء!؟ ألا يمكن أن يبيح الله سبحانه التعدد للمتزوج، وكذلك يحث العزب من الرجال والنساء أن يتزوج للإحصان والتمسك بالفضيلة!؟ ولقد والله راجعت ما راجعت من عشرات التفاسير قديمها وحديثها، فما رأيت أحدا ألمح بنسخ آية النساء، أفيأتي اليوم متهتك ضعيف العقل مريض النفس يفصح بالنسخ ويجئ بما لم يأت به الأولون ولا الآخرون!؟ ثم إن إعمال الكلام أولى من إهماله كما هو مقرر في القواعد الفقهية، فلم نهمل قول الله تعالى: "فانَكِحُوا ما طاب لكم من النساء..." الآية إن كان لها وجه صحيح تفهم به كما بينا! اللهم إلا الهوى.

ثم، أخواتي المسلمات، دعونا نختبر أمر التعدد بمنظار العقل والحكمة، بعد أن عرفنا موقف الشرع فيه، فالأوضاع الاجتماعية معقدة تعقيدا شديدا، والشريعة حين أباحت ما أباحت وحظرت ما حظرت، إنما هدفها الأول هو جلب مصالح العباد وتحقيق منافعهم في الدنيا والآخرة على وجه الكمال والتمام. فإن قد ينشأ في آلاف الملايين من الأوضاع الاجتماعية ما يستلزم أن يتخذ الرجل حليلة أخرى فيكون ذلك منفعة له ومنفعة لها، بل وفي بعض الأحيان منفعة للزوجة الأولى. وأنتن عارفات بما تكون عليه حال امرأة لم يصبها حظها في الزواج حتى كاد أن يتقدم بها العمر، أو حال امرأة تعثر بها قدرها في زواج أول، خرجت منه بجراحات أليمة ووحدة موحشة. أو تكون المرأة ممن أنعم الله عليها بالإسلام فتركت دين قومها ولجأت إلى حزب الله من النساء والرجال، تريد استبدال قوم بقوم وأحباب بأحباب، وقد يكون لهؤلاء النسوة من يلجأن إليه، أو قد لا يكون، كما في حالة من بدلت دينها، فماذا يفعلن في هذا الحال، أيبقين على عزوبتهن حتى وإن تقدم لهن من عنده حليلة أخرى، منتظرات لمن لا حليلة له!؟ أم يشاركن هذه الحليلة الأولى فيما أراد لها الله من الخير؟ ثم ما هو دور رجال المسلمين في هذا الحال، أيقعدن عن أن يأوين مثل هؤلاء النسوة، اللاتي لم يتقدم لهن من يؤويهن، أو تقدم لهن من أحال حياتهن خرابا!؟ أيكون ترك مثل هؤلاء النسوة الضعاف أمر من أمور الرجولة ومظهر من مظاهر النخوة، إن كان الرجل قادرا على أن يقوم بحق بيتين!؟ ثم كيف يكون هذا المجتمع الذي تقطعت فيه أوصار الرحمة ودوافع الأخوة بين المسلمات وعلا فيه صوت الأنانية المحضة على نداء الضمير والمروءة!؟ إننا نتحدث هنا عن نساء من بنات

جنسنا يا أخوات، قد يمكن أن تكون أي منا هي هذه المرأة التي ننكر عليها رضاها بالتعدد. إنهن أخوات لنا يا أخوات، أخوات مسلمات قانتات عابدات، أنعينهن على الشيطان أم نعين الشيطان عليهن!؟ والمرأة لا تتقدم لطلب يد الرجل، فهي تنتظر من يتقدم لطلب يدها، فهي في هذا تابعة لا متبوعة، فكيف نلومها على اقتناص فرصة سنحت لها تقيها غوائل الدنيا وتمنع عنها شرورها!؟ ثم كيف نرى مجتمع كثرت فيه النساء غير المتزوجات، نساء يقفن وحدهن لمواجهة الدنيا، يتلاعب بهن شيطان الجن حينا وتتلاعب بهن شياطين الإنس أحيانا أخرى. ثم إن لهن متطلبات نفسية وعاطفية كما يعلم جميعنا، فهن من جنسنا كما ذكرت، فكيف بالله عليكن يكون الحال إن أجبرتهن أخواتهن المسلمات على أن يبقين في المجتمعات طليقات ليس لديهن من يعصمهن من الخطأ والزلل!؟ وهؤلاء ليسوا قلة فينا يا أخوات ولكنهن كثرة وفيرة هي إلى ازدياد لا إلى نقصان، روى البخاري في "باب يقل الرجال ويكثر النساء" قال أبو موسى عن النبي ﷺ ترى الرجل الواحد يتبعه أربعين امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء. الفتح ج٩ ص ٣٦٦.

ثم فوق هذا وبعده، فإن الرجل الذي اتخذ حليلة أخرى أتراه فعل ذلك لمجرد أن يؤذي امرأته أم لسبب ظاهر أو باطن!؟ فإن كان قد فعل ذلك ليظلم امرأته فقد ظلم نفسه و ظلم امرأتيه جميعا، فويل له من عقاب الله سبحانه، أما إذا كان قد فعل ذلك لأمر مشروع، كحاجة في نفسه يرضيها في الحلال، ومشروع له أن يرضي ما تستدعيه الطبيعة البشرية بمقتضى ما شرع الله لا بالحرام المنهي عنه، أو لغرض مشروع آخر كالإنجاب أو لمرض تعانيه زوجته الأولى أو لطلب شرف الانتساب إلى شرفاء في قومه أو لغير ذلك مما ليس فيه خوض في حرام، أحل له ذلك، بل وكان مندوبا له محبوب فعله في بعض الأحيان، كإحصانه امرأة وحيدة والإنفاق على عيالها، أو قد يكون واجبا عليه إن تحقق منه أنه سيقع في الحرام إن لم يلبي نداء الحاجة الملحة في نفسه بحليلة أخرى، تماما كما هو الحال في مقتضيات الزواج الأول.

توقفت أم هانئ لحظات لتلتقط أنفاسها، فقالت أم الفضل: "ولكن لا شك في أن المرأة، بل أعني المرأتين، تعانيان من غيرة ووحشة وفراغ في الوقت الذي يكون فيه

زوجها في البيت الآخر، أفلا يجب أن يكون هذا مبررا لعدم استحباب التعدد، بل لمنعه جملة واحدة؟" قالت أم أنس: "والله لو أن الشريعة منعت كل أمر فيه ألم أو بعض أذى ما بقي فيها من المباح شيء ، ولكن الأمر أخواتي الراشدات، أمر الغلبة، غلبة المصلحة على المفسدة والفائدة على الخسارة، والنفع على الضرر، فإنه كما نعلم، ليس هناك أمر إلا وله جانبان، جانب مصلحة وخير وجانب مفسدة وشر، فإن رجح جانب المصلحة على المفسدة، كان الأمر مباحا أو مندوبا أو واجبا بحسب حاله، وإن كان العكس فالعكس، وانظرن إلى الجهاد، وهو أسمى الواجبات الشرعية وأعلاها قدرا، فإنه مع ذلك يستدعي التعرض لفقدان النفس وألم القتل و فيه ما فيه من الأذى، ولكن لما رجحت مصلحة الجهاد على مفسدة تحمل أذى القتل صار واجبا، وفي حالتنا هذه، فإن المصالح المتحققة من التعدد تربو على مفاسده بلا شك، فإنه يختص بثلاثة أفراد، الزوج والمرأتان، وفيه مصلحة متحققة لاثنين منهما على أقل تقدير، ونعني بهما الزوج و الزوجة الثانية، لما سبق أن ذكرنا من أسباب استدعت كليهما للإقدام عليه، ثم إن مصلحة الجماعة أو المجتمع مقدمة على مصلحة الفرد، كذلك فإن الحالة الاجتماعية هي التي تدفع إلى قيام هذا الشكل من العلاقات لسد خلة قد تهدم الكيان الاجتماعي إن عولجت بشكل آخر. والمرأة المسلمة يجب أن تدرك أن هذا هو مدار الشريعة وأمر الله الذي رآه صالحا للبشر في هذا الموقف. ثم إنه لا شك أن المرأة تتعرض لأذى وغيره، وتشعر بفراغ في غياب زوجها، ولكن هل هذه فقط هي الحالة التي يمكن أن تشعر فيها المرأة بالفراغ والأذى؟ أليس هناك أحوال أخرى تستدعي نفس الشعور كسفر الزوج لقضاء حاجة دنيوية؟ أو مرض الزوج فهو حاضر كالغائب؟ وأنا أدرك شعور المرأة في هذه الحالة ولا أريد أن انتقص منه أو أهونه عليها، ولكن هذه هي حكمة الله السرمدية وقضاء النافذ، أن يكون هذا الحل هو أسلم الحلول وأقربها للصلاح في بعض المواقف العائلية والإنسانية، رغم ما فيه من ألم ووحشة وفراغ. على المرأة أن تستحضر ما كانت عليه زوجات النبي ﷺ، فهن قدوتنا في الحياة، وقد كانت لكل واحدة منهن سبع نساء يشاركنها في رجل واحد، هو أكمل الرجال طرا بأبي هو وأمي. فما ترضون من ذلك إلا قدر الطبيعة البشرية المقبولة التي يمكن أن يتعرض بموجبها الناس لأذى من مرض أو فقر أو مشاركة في زوج. وأهمس في أذنكن يا أخوات، أنها

الأنانية التي تجعلنا لا نقبل الشركة، فما علينا إن استطاع الرجل الذي أقام بيتا في أن يقيم غيره؟ أليس في هذا ثواب له لإنفاقه وإحصانه لامرأة مسلمة عفيفة، وثواب لنا لرضانا بأن نقتسم ما أعطانا الله مع غيرنا من المسلمات؟ الإسلام يا أخوات ليس كلمات يلفظها اللسان وتحرك بها الشفاه وكفى، لا، بل هو حقيقة يعيشها الناس ويرضونها في جدهم و لهوهم، في فرحهم و حزنهم، في سعادتهم وشقائهم، في لذتهم و ألمهم، في حياتهم كلها بلا استثناء، فإن لم تكن كذلك كان دينا منقوصا ليس لنا منه إلا اسمه، ولا من الحق إلا رمزه، يروى عن "رابعة بنت إسماعيل" أنها تزوجت أحمد بن الحواري الزاهد لأنها كانت امرأة كثيرة المال وودت أن ينفق أحمد مالها في أوجه الخير على رفاقه. قال أحمد: تزوجتها، فكان في منزلنا كنّ من جصّ، ففنى من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل، فضلا عمن غسل بالأشنان. وقال: تزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات و تطيبني وتقول: اذهب بنشاطك إلى سائر زوجاتك"! ذلك هو الكرم كل الكرم، لا أن تنابذ المرأة بالعداء، وتبيت تكيد لها كيدا وتتمنى قهرها.

إنه جزء من جهادنا في الله يا أخوات، أليس جهاد المرأة في بيتها معادل لجهاد الرجل في ساحات الوغى؟ ألسنا نؤمن بكل الكتاب، لا نؤمن ببعضه ونكفر ببعض؟ والتعدد مما أباحه الله سبحانه في الكتاب، ولم يجعل له داعيا إلا ما ارتآه صاحب الحق في أن يتخذ حليلة أخرى، و...."، هنا قالت أم عمرو:" على رسلك أم الفضل، أليس للتعدد أسباب وشروط يجب أن تتحقق حتى يكن للرجل حق في أن يتزوج الثانية؟" قالت أم الفضل:" هذا ولا شك هو ما يشاع في أوساط العامة وتشجعه السلطة الحاكمة ومن اتخذ العلمانية دينا، ولكن هذا أمر يطول شرحه لعلنا نجتمع على مدارسته في اللقاء التالي إن شاء الله تعالى."





الجزء الثالث

في الشريعة



عقيدتنا

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

اللهم إنا نبرأ اليك من الكفر والشرك بكل ألوانهما وأشكالهما، أكبره وأصغره، ومن البدعة وألوانها، عظيمها وصغيرها، ونستغفرك ونتوب إليك من المعاصي والذنوب كبيرها ومحقرها، لَمِمها ومقيمها، براءة تنجينا من عذابك وتلجئنا إلى ظلك يوم لا ظل إلا ظِلّك.

قال رسول الله ﷺ: " لو يعطى الناس بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم " البخاري ومسلم بلفظ مختلف، ولكن البينة على من ادعى كما في أصول أهل السنة والجماعة. فنحن نبين ما نحن عليه وندعيه وبينتنا على ذلك أننا كتبناه وقيدناه ولا نقول أو نعمل بما يخالفه.

ونحن بعون الله وتوفيقه ، نبين في هذا المقام ما ندين الله سبحانه به ، وما نموت عليه ودونه، لا نعتذر عن عقيدة نعتقدها، ولا نوارى ولا نحابي ولا نتخفى ونتلصّص بديننا، بل نعلنه واضحاً جلياً صريحاً ننتسب فيه لأهل السنة والجماعة، أصحاب الفرقة الناجية، فلا نترك لأحد أن يفترى علينا دينا لا ندين به، أو أن يقوّلنا ما لا نقول، ولا يلزمنا بما لا نعتقد، فمن شاء أن يحاجنا أمام الله سبحانه، فليرجع إلى ما نثبته هنا فهو ما نحمله إلى قبورنا إن شاء الله لا نستبدله بغيره من دين أو دنيا، فنقول وبالله التوفيق والسداد، إننا نؤمن :

١. أن الله سبحانه واحد أحد فرد صمد ليس له صاحبة ولا ولد ولا شريك في الملك ولا معين على الخلق.

٢. أن الله سبحانه قد خلق الناس على فطرة الإسلام كالبهيمة الجمعاء لا نرى فيها من عوجاء، ثم وهبهم العقل الذي يعرفون بنوره الطريق ويستهدون به في الظلمات.

٣. إنه سبحانه أخذ على الخلق ميثاقه الأزلي بأن يقرون له بالربوبية والألوهية

رافعاً بذلك عذري الجهل والتقليد في التوحيد.

٤. ثم إنه أسبغ عليهم فضله بأن أقام عليهم الحجة البالغة بالرسل فلم يؤاخذهم بالميثاق الأول ولا الفطرة أو العقل، خلافا للمعتزلة، فأرسل في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.

٥. أن رسل الله بادئة بآدم عليه السلام، مروراً بنوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وموسى وعيسى عليهم أفضل الصلاة والسلام وخاتمة برسول الله سيد المرسلين وخاتم النبيين كانت دعوتهم واحدة، هي التوحيد وعبادة الله سبحانه لا شريك له.

٦. أن توحيد الله سبحانه هو الإقرار بربوبيته وأسمائه وصفاته، ثم الإقرار بألوهيته وعبادته وموالاته ظاهراً وباطناً، قولاً وعملاً، فعلاً واعتقاداً، قصداً وإرادةً وطلباً.

٧. أن صفات الله سبحانه هي كما وصف بها نفسه ثابتة ثبوت كلماته، كما قال سبحانه " "لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ" فنفي المثلية عن الخلق ثم أثبت الصفات كما هي، إثبات ايجابي لصفاته دون تمثيل خلافاً للمشبهة ، وتنزيه له عن الخلق دون تعطيل لصفاته خلافاً للمعتزلة، وما يدندن حوله الأشاعرة. ولا نؤول الصفات ونخرجها عن مسمياتها كما أثبتها ربنا لنعالج درن التشبيه وخبثه في عقولنا، بل نمهد لفهم الصواب في عقولنا بما قاله الله سبحانه دون التواء أو تأويل . فالله سبحانه استوى على عرشه كما قال، بائن عن خلقه عال عنهم، في السماء كما قال، وكذلك في كافة صفاته سبحانه، نتقبلها بالتسليم كما تقبلها من هم أفضل خلق الله بعد رسله، صحابة رسوله الأكارم، ومن تبعهم.

٨. أن الله عالم بعلم، ما مضى وما حضر وما استقبل من أمر، ويعلم الأمور التي لم تحدث، إن حدثت كيف كانت تحدث. ويعلم اختياراتنا وما سنكون عليه حتى الممات، علما مطابقاً للحقيقة مطابقة تامة، لا يستلزم عن علمه أنه أجبر أحداً على ما

يعمل، بل علم به، وكتبه ثم أنزله إلى سماء الدنيا ليتم كما كتب حسب ما شاءت إرادته الكونية، وهو مطابق لما اختاره الفرد بكامل حريته ومطلق مشيئته، ولابد أن يكون كما كتب سبحانه لأن غير ذلك قادح في شمول علمه وسعته، والله سبحانه أكمل من كل ما يتخيله العقل كمالاً، ومقتضى رحمته وعدله أن لا يجبر أحداً على عمل، وإن علم ما سيعمل به وقيده في لوحه المحفوظ.

٩. ونؤمن بالملائكة والكتب والرسل والقدر خيره وشره والصراط والميزان والشفاعة والمسيخ الدجال، وبقاء الجنة والنار وسائر ما ثبت بالسنة الصحيحة.

١٠. أن عبادة الله سبحانه هي ما تنبني على الإقرار بربوبيته، وعبادته تعني الخضوع المطلق له في كافة شؤون الحياة ومناحيها:

- فلا حكم إلا حكمه سبحانه " ألا له الخلق والأمر" ومن لا يحكم بما أنزله فهو كافر ضال إن جعله شرعاً محكماً يعبّد الناس له بالقوة ويلويهم عن اتباع شرع الله وحده، بل ويقتل من يدعوهم إلى الرجوع لشرعه منهم أو أنه فاسق عاصٍ إن كان حكمه مخالف لحكم الله في قضية بعينها أو واقعة بذاتها، دون أن ينشأ شرعاً موازيا لشرع الله سبحانه يقيم به العدل كما يراه بزعمه بين الناس. وهي قضية عقدية أصولية ليس بقضية فروع ولا تتعلق بقضية الاعتقاد أو الاستحلال، التي يكفر فيه من يستحل محرماً أو يحرم حلالاً مما ورد في الشرع تحريمه أو تحليله من الأوامر والنواهي والأفعال الشرعية المُكَيَّفة.

- ولا ولي إلا هو سبحانه " إنما وليّ الله "، ولا يحل عقد الولاء بين الناس إلا بناءً على ما يحل حلاله أو يحرم حرامه ، وأيما فرد ادعى الإسلام ثم راح يوالى ويعادى على شرائع وقوانين ما أنزل الله بها من سلطان، مدعياً أن ذلك حلال في شرع الله أو أنه مما هو من المصلحة العامة أو ما إلى ذلك مما يكون إما عن جهل مركب بالشرع أو فساد نية وشهوة إلى دنيا يصيبها من مال أو مركز، فمن فعل ذلك فيجب تحذيره من مغبة ذلك على توحيده وأن التوحيد يمكن أن يرتفع عن صاحبه دون أن يدرى، فإن أصر وكابر فحكم تارك التوحيد معلوم لأهل هذه الملة.

• أن النسك والشعائر والدعاء والذبائح هي لله وحده دون غيره، وأن التوسل لا يكون إلا بحي من أهل الصلاح، بدعائه لا بذاته، وعليه تشهد كل الأدلة الشرعية الصحيحة دون التواء في الفهم أو خلل في القصد.

١١. أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وأنه يزيد بالعمل بالطاعات وينقص بارتكاب المعاصي والمخالفات، وأن المسلم عامل على الترقي في درجات الإيمان ما عاش.

١٢. وأن الذنوب صغائر وكبائر، وأن المُصرّ على الذنب لا يكفر خلافاً للخوارج، وأن الحسنات تذهبن السيئات، وأن المستغفر من الذنب كمن لا ذنب له، وأن الذنوب تغفر بشفاعة رسول الله ﷺ وبدعاء الولد الصالح، وبالجمعة إلى الجمعة ما اجتنبت الكبائر، وغيرها من ماحقات الذنوب التي ثبتت في السنة الصحيحة.

١٣. أن القرآن على ظاهره، لا باطن له كما تدعي الشيعة والصوفية من أهل الضلال والغيّ، ليتلاعبوا بثوابت الإسلام وما تَمَهّد في قواعده على لسان نبيه. وأن لا أصل لما زعموه من حقيقة مخالفة للشريعة.

١٤. ونؤمن بأن السنة المطهرة هي الأصل الثاني للشريعة، وأن في سنة الرسول ﷺ ما أحلّ وحرّم من وراء ما أحل القرآن وما حرّم. فالسنة مبينة ومكملة للقرآن الكريم، تخصص عامه، وتبين مجمله، وتقيد مطلقه.

١٥. وأن علماء الأمة الأفاضل قد نقحوا السنة مما شابها من موضوعات وداخلها من متروكات، فأنشئوا علم المصطلح الذي بينوا به فساد الفاسد واعوجاج المعوج، وصححوا ما صح وحسّنوا ما حسن . فنحن على بينة من ديننا وحديث رسولنا لا نخدع بمن أضل الله وأعمى فادّعى أن السنة لا يصح منها شئ أو أقل القليل ممن يريد أن يهدم هذا الدين.

١٦. وأن الظاهر دليل على الباطن وأن هناك تلازم تام بينهما، لا يفرق بينهما إلا

مرجئ عتيد، محرف للنصوص.

١٧. وأن القرآن على ظاهره مما يتقبله العقل وثبتت به النصوص الصحيحة، إذ لا خلاف بين المنقول الصحيح والمعقول الصريح كما قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله.

١٨. وأن الصحابة الأبرار عدول كلهم لا ندخل فيما شجر بينهم من خلاف، ونعتقد أنهم كلهم من أكبرهم وأولهم أبا بكر الصديق إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم جميعا من أصحاب المنزلة العليا التي لا تدرك بصحبتهم لرسول الله ﷺ ورضاه عنهم، وهو المعصوم الذي لا تغيب عن فطنته أخلاق الناس وطبائعهم، فاتخذهم بطانة له ورضي عنهم حتى لقي ربه.

١٩. وأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وأن رزقنا تحت سيوفنا، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ. وأن الجهاد حكمٌ فقهيٌ شرعيٌ، له شروطه وموانعه، التي يحددها ويحكم بجوازه أو حرمته أو تأجيله فقيه عالم.

٢٠. أن رسول الله ﷺ مات ولم يوص لأحد وإن أشار لأبي بكر فجعله خليفته في صلاته بالناس. ونزيف أقوال الشيعة الخبثاء الذين يكفرون الصحابة ويتطاولون على ساداتهم وسادة المسلمين جميعا من صحابة النبي وزوجاته، فلعنة الله على الظالمين.

٢١. أننا نتبرأ من بدعة التصوف وخرافاته وانحرافاته التي أوبأت الأمة الإسلامية وضربتها في صميمها وأضعفت كيانها بما أدخلت من بدع وشركيات القبوريين والمتوسلين بالصالحين وغير الصالحين من الموتى وما أضافوه للدين من حدود ورسوم ما أنزل الله بها من سلطان، فسحقاً لمن هم من أهل الضلال والغواية.

٢٢. وأننا نتبرأ من الخوارج الذين يكفرون المسلم بالمعصية صغيرة أو كبيرة، ويستحلون دماء المسلمين كسلفهم ممن كان يهرق دم المسلم ممن لا يقول بمقالتهم بينما يؤمن المشرك حتى يسمعه كلام الله ثم يبلغه مأمنه دون اعتداء عليه، فقلبوا

الحق باطلاً والباطل حقا وكانوا حرباً على المسلمين وبرداً وسلاماً على الكافرين.

٢٣. وأننا نتبرأ من المرجئة الخلص، وننصح من دخلت عليهم شبهاتهم ممن قرب من أهل السنة، نخلط قضايا التوحيد بقضايا الفروع واختل فهمه لآيات القرآن وسيرة الرسول ﷺ، ونبتهل إلى الله أن يرشدهم الطريق، وأن يبين لهم ما خفي عنهم من اختلاف في مناط الأحداث وواقع الأمة .

٢٤. وأننا نقيد ما جاء عن بعض أفاضل هذا الزمان مما أخطأ في تأويله وفهمه الكثير الكثير في قولهم "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"، فإننا نعتذر إلى الله من أن يعذر بعضنا بعضاً في ابتداع بدعة مخربة أو انحراف في عقيدة ضلالة ، فليس في سنة نبينا ﷺ سند واحد يستند اليه من يعذر المبتدع، إلا إن كان من الأتباع الجهال الذين يتبعون كل ناعق، فهذا دواؤه العلم، أما أن نعذر المبتدع ، فحاشا وكلا، ولا كرامة ، وعلى المخالف أن يأتي من سنة رسول الله ﷺ ووصايا أصحابه ومن تبعهم إلى عصر أحمد بن حنبل بمثل هذا التخريج الزائف الباطل لهذا القول على عمومه، والذي يتعبد ويتغنى به الكثير ممن قلّ علمه وكثرت خرطه وخبطه .

٢٥. أننا نبرأ من المعتزلة، وأتباعهم من حواشي هذا الزمان، الذين جعلوا العقل حاكما على الشرع، واعتسفوا النصوص ظاهراً، وكفروا بصحتها باطناً، ليصلوا إلى غرضهم من إخضاع الشريعة لأهوائهم الضالة، وإنكار السنة وتضعيفها، وتكلموا بكلمات زينتها لهم قواميسهم مثل عقلانية الشريعة ومرجعية العقل ومثل هذه المصطلحات التي تخيل على عوام هذا الدين دون خواصه.

٢٦. وأن الحكم بما أنزل الله هو صلب هذه العقيدة وقوامها الذي لا تقوم بغيره وهو أمر يجب على كل مسلم أن ينشط للعمل على تحقيقه أينما وجد ليسود العدل وتتحد الكلمة ويأتلف الصف.

٢٧. ونرى أن العلمانية وصمة كفر وإلحاد لا تجتمع والإسلام تحت رداء واحد،

وأنها تعنى اللادينية والتبرئ من الخالق تبرأً عملياً أو اعتقادياً، وأن المسلمين الذين يوالون العلمانيين على شرائعهم وأحكامهم ويتجمعون في أحزابهم ومجالس تشريعهم ، هم من أهل الجَهل المردي أو الكفر الموبق .

٠٢٨. وأن الديموقراطية الغَربية الكافرة ليست من دين الله في شيء، بل هي كُفرٌ محضٌ بانتخاباتها وبرلماناتها وأحزابها، لأنها مؤسسة على فكرة الطّاعة لسلطة الشعب دون الله، ولأنها تقوم على أيديولوجية علمانية لادينية. ومن ثم، فإننا لا نشارك في وسائلها إذ إننا متعبدون بالمقاصد والوسائل معا، و"إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ".

٠٢٩. وأن كلمة "السّلفية" قد امتُهنت في العصر الحاليّ، ودخل تحت مسماها من لا يقول بأقوال السلف، بل منهم من يقول ببدعٍ مُضلة، كبدعة طاعة وليّ الأمر أياً كانت ملته، وكبيرةُ التزلّف للحُكام وطلب الدنيا بالدين.

٠٣٠. أن علماء الأمة في كل فرع من فروع العلم يكمل بعضهم بعضاً كحلق العقد الواحد، ولا نرى لأحدهم مزية على الآخر إلا بالعلم وإصابة الحق فيه ، فأصحاب الحديث كالفقهاء وأصحاب الأصول والعربية ، لهم دورهم الذي لا يغني عنهم غيرهم فيه، ونتبرأ إلى الله من لوثة التعلق بمحدث من المُحدّثين أو فقيه من الفقهاء، لا نرى له عيباً ولا نعرف له خطأً فكل قوله صوابٌ وكل مقاله حق ، هؤلاء يخالفون إلى ما ينهون الناس عنه من عدم عبادة غير الله وأن الكل يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله ﷺ وينتسبون إلى حديث رسول الله ﷺ وينفون إتباع السلف عمن خالف من قلدوه في مسألة من المسائل ، فلينتصح هؤلاء وليثوبوا إلى رشدهم، هداهم الله إلى الحق وبرأهم من التعصب .

٠٣١. ونرى أن الدفاع عن الأوطان حق مكفول في كل ملة ومن مقاصد الشريعة العامة التي روعيت في كل شريعة أرسل بها الله رسله، أو وضعها بنى آدم على ميزان العقل والعدل . وأن حرية العقيدة بشروطها حق مكفول للجميع ، وأن أهل الذمة لا يجب أن تخفر ذمتهم في أوطان المسلمين ، شريطة أن لا يظهروا العداء للإسلام أو يخالفوا شرائعه ، وفي المقابل لا يعتدي أهل الملل الأخرى على المسلمين

في ديارهم بدعوى تحريرهم !

٣٢. وأن المرأة نصف المجتمع، لها ما على الرجل وعليها ما عليه، وللرجل عليها درجة الفضل التي تلزمه بالرعاية والذمة لا بالتكبر وهضم الحقوق، وأن المرأة تساوى الرجل في ميزان الله وإن اختلفا في الدنيا من حيث مجال عمل كل منهم وقدرته وما هيأه الله سبحانه له، وأن حجابها فرض عين لا تَمَلّص منه إلا بخلع الربقة.

هذه هي عقيدتنا، في سطور قليلة، ندين بها ونتولاها، وإذ نعلن أن المخالفةَ طبعٌ في النفس لا غلبة عليها إلا لمن شاء الله من ذوى العزائم، فنقول للمُخالف المُتجني:

١. لسنا من الخوارج، هداكم الله، فنحن لا نكفر بذنب ولا معصية، صغيرة ولا كبيرة.

٢. ولسنا من المعتزلة، الذين يقدمون العقل ويجحدون النصوص، وينكرون صحيح السنن.

٣. ولسنا من المرجئة الذين يرون الإيمان في القلب، دون العمل، ويفرقون بين ما جمعت بينه الشريعة ووصله رسول الله ﷺ، الظاهر والباطن، ولا نجعل الإيمان هو مجرد تصديق الخبر.

٤. ولسنا من الشيعة الذين نتبرأ منهم ذمة الله ورسوله ﷺ بافترائهم على صحابته الأبرار وأزواجه الأطهار، وبتخريب الدين ومعاداة المؤمنين والكذب الصراح تحت شعار التقية، فلعنة الله على الظالمين .

٥. ولسنا من المُشَبِّهة الأنجاس الذين يجعلون لله أعضاء كأعضاء البشر سواء بسواء.

٦. ولسنا من الصوفية المخابيل أصحاب الرقص والنطّ باسم الذكر والتسبيح، والله

منهم برئ ورسوله ﷺ.

٠٧ ولسنا "قطبية"، لمن أحب أن يلصق بالناس التسميات التي تُنفّر وتغشى على الحقائق. بل نحمل للشهيد سيد قطب العالم الأديب المفكر كل إجلال واحترام وحب في الله، جزاه الله خيرا على ما قدّم للإسلام، ونقر بأنه ليس هناك من لا يخطئ في مسألة من المسائل، أو اجتهاد من الاجتهادات، وسيد رحمة الله عليه ليس بدعا في ذلك، ولا نتابعه فيما قال في مسألة تأويل الصفات أو ما خالف السنة بشكل عام.

٠٨ ثم إن الإفتاء في شرع الله ليس من باب إبداء الرأي كما يحلو للكثير أن يتحايل به، إنما هي واجب على من حاز أصول العلم وتمرّس به ، وعرف الواقع ودرس جوانبه ، ليجتمع له جانبي الفتوى، العلم بالحكم الشرعي ومعرفة الواقع ومناطاته. فليتق الله ربه من يتهجّم بالفتوى من كل جاهل متعالم، متكلف متخلف هو للعوام أقرب منه لطالبي العلم.

نحن إذن من أهل السنة والجماعة الخلّص الذين لا يشوب عقيدتهم شائبة. ومن أراد أن يختبر هذه العقيدة أو أن يردّ أحد مفرداتها كما أوردناها، فليرم بسهمه، فسيرتد إلى نحره خاسئا بإذن المولى عز وجلّ.

وأخيراً، فهده عقيدتنا وما ندين به، وننصح بها إخواننا من أهل السنة، الحاملين لهمّ هذا الدين العظيم، فمن قبِل فقد أصاب من الخير إن شاء الله، ومن رغب عنها، أو عن شيء منها فأمره إلى الله، كما قال تعالى: "فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ" غافر ٤٤.



سلسلة من هديّ النبوة

من هديّ النبوة - كفى بالمرء كذبا

عن حفص بن عاصم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"كفي بالمرء كذبا أن يحدّث بكل ما سمع."** [١].

وقد صنّف هذا الحديث الشريف تحت موضوع ضرورة احتراز و تثبت المرء فيما يروي من حديث، إذ إن مسؤولية رواية الحديث جليلة خطيرة، فالحديث دين نتعبّد به، و هو المصدر الثاني للتشريع، وهو المبيّن للقرآن، وسرد كل ما سمع المرء منه دون أن يتثبت في الألفاظ التي سمع تجاوزٍ يجعله في درجة الكذاب، وقد حذر رسول الله ﷺ من الكذب عليه ووعد فاعله بمقعد في النار، فقد قال ﷺ :**"من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار"** [٢] ، وفي رواية أخرى قال ﷺ : **"من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"** [٣] ، وفي رواية لمسلم: **"من تعمّد عليّ كذبا.."** [٤].
وقد اشتهرت الرواية التي تنص على التعمّد في الكذب، ولكن إعمالا لقاعدة "إعمال النص"، وقاعدة "الجمع بين أطراف الأدلّة" فإن القراءة الصحيحة للنصوص، مع ما حمل حديث "كفي بالمرء كذبا.." من معنى، أن في ذلك تحذير شديد ووعيد مرعد لمن يتحدث بحديث رسل الله ﷺ دون التثبت الشديد في الرواية، وإنما لم يكن مقام المتساهل مثل مقام المتعمّد في الرواية، وإن كان كاذبا كذلك في نفس الأمر، لأمرين، أولهما: إن "الأعمال بالنيّات"، وثانيهما: أن الروايات التي لا تحمل شرط التعمد تعتبر مقيّدة بمقتضى قيد التعمّد في الروايات الأخرى، فهي من قبيل المطلق والمقيّد، ولذلك أمكن حمل النصوص المطلقة عليها دون الحاجة إلى الانفراد بمعناها منفصلة.

ذلك، فالحديث متوجّه إلى عامة الخطاب بين الناس، في غير موضوع حديث رسول

---

[١] رواه مسلم، المقدمة ٦

[٢] رواه البخاري، العلم ١٠٤

[٣] نفس المصدر، ١٠٥

[٤] المقدمة ٤

الله ﷺ بل فيما يطرأ لهم من كلام عام في شئون الحياة والناس، وصدق رسول الله ﷺ، فان الله قد وهب الناس نعمة العقل لينقّحوا به ما يصل إلى الآذان وليحكّموه فيما ينطق به اللسان، والناس، جلّ الناس، يميلون إلى بعض المبالغة أحيانا، والي الكثير منها أحيانا أخرى، حسب المناسبة وحسب المتكلم، فان ذهب المرء يحكي كلّ ما يسمع، كان، في غالب الأمر، حديثه مخلوط بكذب ولا محالة. فالناس، بحكم العادة، "يتوسعون" في كثير من الأحيان، فيما يروون ويحكون، ورواية كل أقوالهم تجعل التوسع العاديّ في الحديث كذبا، إذ صار الكلام رواية تنقل وأحاديث تروى يبني السامع عليها مواقف وآراء، وهي، في بداية الأمر، ما كانت إلا قولا عابرا لم يسمح قائله بنقله عنه، فصار الراوي بذلك كاذبا.

والله تعالى أعلم

من هَديّ النُبُـوّة - أنت مع من أحببت

عن أنس رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: **"متى الساعة؟ قال: وماذا أعددتَ لها، قال: لا شيء إلاّ أنّي أُحبُّ اللهَ ورسولَهُ ﷺ، فقال: أنْتَ مع مَن أحْبَبْتَ"** [١].

صدق رسول الله ﷺ ، فمحبته ﷺ هي طريق الجنة، ومحبته الصادقة لا تكون إلا بمتابعته، إذ المحبِ الصادق لا يخالف من يحب ولا يعصاه، ولا يفعل ما ينهاه عن فعله، لأن المحبَّ يعلم أن ذلك يورث المحبوب حزنا على مخالفته له، ودعوى المحبة لله ورسوله سهلة ميسورة إن كان دعوى ليس عليها دليل، يقول بن القيم رحمه الله : **"لمّا كثُرَ المدعون للمحبة طولِبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخليّ حرفة الشجيّ، فتنوّع المدّعون في الشهود فقيل لا تثبت هذه الدعوى إلا ببيّنة: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الرسول في أقواله وأفعاله وهديه وأخلاقه"** [٢]. والمكثِرون من الحديث عن محبة رسول الله ﷺ دون التزام بسنته وهديه إنما هم يخالفون مقتضى الفطرة السوية التي تملي أن يتبع المحب محبوبه لا أن يخالفه. وقديما قال الشاعر:

تعصى الإله وأنت تُظهر حُبه

هذا لَعَمْرِيَ في القياسِ بَديعُ

إنْ كان حبُك صادقا لأطَعتَهُ

إنّ المحبَ لمن يُحِبُ مُطيعُ

ومحبة الرسول ﷺ هي في حد ذاتها ثوابُ لفاعلها، وإنما لا تصح ولا تكتمل إلا

---

[١] البخاري، المناقب ٣٤١٢

[٢] زاد المعاد ج١ ص٥٩

بالمتابعة كما ذكرنا، وكم من محبٍ للرسول ﷺ ضل بالسير على غير هديه بما اخترع من بدع نسبها إليه ﷺ .

كذلك، فإن رسول الله ﷺ قد أجاب السائل عن الساعة بما له فيه فائدة، فَعِلْمُ متى الساعة هو من علم الله سبحانه **"قل علمها عند ربي في كتاب"** [طه: ٥٢]، والإجابة جاءت بما هو قابل للعمل به لا مجرد علم نظري بحت، فإن العلم في الإسلام هو مفتاح للعمل، وقد كان الإمام مالك يقول: "لا أحب الكلام فيما ليس تحته عمل" يقصد الكثير مما شاع من السؤال عن مسائل لم تقع بعد (الأرأيتيات!) أو ليست مما يقع في حكم العادة، ولكن الأهم هو: وما أعددنا لها؟ أيّ والله، ما أعددنا لها؟ والإعداد لها يبدأ بمحبة الله رسوله، وما يترتب على ذلك من صحة النية ومتابعة العمل. ورسول الله ﷺ لم يؤنب السائل على سؤاله، وإن كان مما ليس عليه ردٌّ، بل استشرف من السائل رغبة في المعرفة وتشوفا للعلم فوجهه التوجيه الصحيح بأن صاغ السؤال في صيغة عملية، وقد كان من الممكن أن يرد ﷺ السؤال بأن يقول: هذا ليس من شأنك أو لا علم لنا بها، وهو الرد الذي جاء به القرآن حين تعرّض للحديث عن الساعة في عدّة مواضع منه **"قل إنما علمها عند الله"** [الأحزاب: ٦٣]، لكن جواب رسول الله ﷺ مختلف عن جواب القرآن، ذلك أنّ القرآن يوجّه توجيها عامّا ويقرر أمورا أصولية في مجال العقيدة، وأمر الساعة في هذا المجال إلى الله سبحانه، وتوجيه رسول الله ﷺ في السنة هو من قبيل التوجيه الخاص والتربية، فهو قد بُعِث معلِما، و "ما أعددنا لها" هو من قبيل التوجيه في المجال العمليّ سواء في مجال عَمل القَلب بمحبة الله ورسوله أو في عمل اللسان والجوارح بأداء الفرائض والكفّ عن المعاصيّ. فجواب القرآن يختلف في غرضه عن جواب السنة، كما رأينا، وكلاهما لازم للعقيدة والعمل الصالح وهذا البحث مجاله علم أصول الفقه. جعلنا الله من محبيه ومحبّي رسوله ﷺ إنه سميع مجيب.

من هديّ النبوة - عليكم بسنتى

عن حُمَيد بن أبي حُمَيد الطّويل أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "**جاء ثلاثةُ رَهْط إلى بيوت أزواج النبيّ ﷺ يسألون عن عبادة النبيّ ﷺ فلمّا أُخبروا كأنهم تَقَالّوها، فقالوا وأين نحن من النبيّ ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم، أمّا أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنّتي فليس منّي.**"[١].

حديث جامع مانع تنطق ألفاظه بميراث النبوة المحمدية وبشرعة الإسلام الوسطية، فخشية الله سبحانه وتقواه لا ترتبط بكَمّ العبادة أو كَيفها، وإنما هو الالتزام بما شرعه الله سبحانه وما بيّنه رسول الله ﷺ في سنته، فالأصل في العبادة الإتباع لا الابتداع، التوقيف لا التحريف، وقد قام هذا الدين على الوسطية والاعتدال، لا على الغلو والتطرف، والتقوى تكون بالتزام الشريعة كما أُنزلت دون زيادة أو نقصان، فحدّ العبادة أن نعبد الله وحده وأن نعبده بما شرع، فالحد الأول ينجي من الشرك، والحد الثاني ينجي من البدعة.

قال الصحابيّ: وماذا عليّ لو زدت بعض الأمور عما فُرض في الشريعة، أليس أفضل أن أبذل الجهد وأن أمارس الزهد في الدنيا لأتقرب إلى ربي؟ أليست الدنيا مشغلة عن الآخرة، ففيم إذن الرقاد وقد فغر الموتُ فاه للعباد؟ فلأصلي على الدوام ولأجافينّ المنام، وقال الآخر: فما لي أشبع البطن وهي قريبا إلى خواء، فلأصومن دهري عسى أن يغفر ذنبي، وقال الثالث: وما لي ألتمس لذة قصيرة في نكاح النساء واللذة ذاهبة والحساب باق، فلأعتزلن النساء طول عمري لعل في ذلك رضى ربي. والناظر في هذه الحجج التي زينت البدع يرى أنها نشتبه بالحق لمن لم يتقيّد بالشرع ولم يلجم النفس عن مزالق التطرف، فالزيادة في الدين، كالنقص فيه، كلاهما مخالف للشرع، ذكر الشاطبيّ في الاعتصام: "فإذا كل من منع نفسه من تناول ما أحل الله

---

[١] رواه البخاريّ، في النكاح

من غير عذر شرعيّ فهو خارج عن سنة النبيّ ﷺ، والعامل بغير السنة تدينا، هو المبتدع بعينه"[١]، والشيطان يزيّن للناس أن الزيادة في التعبّد التي لم يأتي عليها دليل تُقَرِب من الله، وهو ما أثبته الشاطبيّ عن ابن العربي عن الزبير بن بكّار أن رجلا أراد أن يُحرم من المسجد النبويّ ويزيد أميالا عن الميقات الذي أحرم منه رسول الله ﷺ، فسأل الإمام مالك فقال: " لا تفعل، فإني أخشى عليك من الفتنة، فقال: وأي ففتنة! إنما هي أميال أزيدها؟ قال مالك: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصّر عنها رسول الله ﷺ " [٢]. فالفتنة هي في البعد عن السنة، زيادة أو نقصاناً. وما ابتدعه الناس من أشكال العبادات غير المشروعة سواء في الذكر أو صيام النصف من شعبان أو غيرها من البدع إنما هي سبب في البعد عن الله لا في القرب منه، والأصل الاعتصام بالسنّة والعمل على وفقها لا في مخالفتها وإن ظهر ببادي الرأي أن في ذلك تقرّبا إلى الله سبحانه، فما تقرب عبدٌ إلى الله بأفضل مما فرضه عليه. والحديث عن البدعة والابتداع حديث طويل يستغرق صفحات تملأ كتبا، ولكن وجبت الإشارة هنا إلى أهمية هذا الحديث الجامع في تقرير ما نفعل وما نترك، والناس لم يتركوا سدىً دون هداية ليخترعو عبادات وطرق يتقربون بها إلى الله، فالزم أخي المسلم طريق السنة تكن من الناجين المهتدين، وفر من البدع وطرقها فرارك من الأسد، فهي رائد الضالين إلى النار.

---

[١] الاعتصام ج١ ص٤٤

[٢] الاعتصام ج١ ص١٣٢

من هَديّ النُبوّة ـ شرف المرء ودينه

عن ابن كعب بن مالك الأنصاريّ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما ذِئبَان جَائِعان أُرسِلا في غَنَمٍ بِأفسَدَ لها من حِرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لِدِينه" [١]

وصدق رسول الله ﷺ، فهما أمران لا يزالا يفسدا على بني آدم أمره كلّه ودينه كلّه منذ هبط إلى الأرض وحمل التكليف، المال والشرف.. فحرص المرء على المال يمر بمرحلتين، مرحلة الجمع ثم مرحلة الخزن. والمرء يقطع كلّ وادٍ ويجتاز الفيافي ويضع يده في يد الأعادي للحصولِ على المال، فتجده يظلم ويكذّب ويغش ويخدع كي يتحصّل عليه زعماً منه أنه طريقٌ إلى السعادة والأمن والعزّ. ثم إنه حين يكنز منه ما شاء، يأبى إلاّ أنْ يخزّنه وكأنه سيصحبه إلى دار معاده، فتراه يحرص على التهرب من الصدقة ولا يغشى الأماكن التي فيها مظنة الإنفاق في سبيل الله، وهو يتحجج بشتى الحجج، ليتخفّف من عبئه، فتارة يتحجج بالعيال وثقل النفقة عليهم، وتارة بالخوف من ترك العمل والتعرّض للبطالة، وما شابه ذلك من أمور هي عادة من نسيج الحياة ومن ثوابتها التي لا تتغير، فإن خشي كل امرئ على ولده، ما أنفق منفق في سبيل الله، وإن حسب كل عامل حساب يوم أن يترك عمله أو يتركه عمله، لبطلت الصدقة من أصلها، وإنما الأمر أمر الإنفاق رغم خشية الإملاق، وقد سئل رسول الله ﷺ عن خير الصدقة فقال "**جهد المقلّ**" النسائي، الزكاة، أي ما يخرجه صاحبه بجهد رغم احتياجه إليه، ,الكثير من الناس يرون أنفسهم من المقلّين وما هم منهم، وإنما هي حبائل الشيطان يبعدهم عن الثواب ويمنعهم من التقوى.

ثم الشرف، والمقصود به المقام والسلطة والمركز، وهو ثاني القواصم التي تقصم ظهر المسلم وتدفعه إلى أحضان الشيطان، فالإنسان يبحث عن الرفعة والمجد والذكر، وهو يفعل كل ما في حيلته ليصل إلى السيطرة والتحكم، السيطرة على الأنفس والأموال والأرض، فهو يقتل ويسرق وينتهك الأعراض ويغش ويكذب ويخدع ليصل إلى القمة، وهو يظن أن له في ذلك العزة، ولم يعلم المسكين أن السعادة في الحياة الدنيا لن تتحقق إلا بالخضوع لله سبحانه، العز والمنعة هما بالله وحده، والخزي والعار

---

[١] رواه الترمذيّ في الزهد وصححه، وأحمد في مسند المكيين، والدارميّ في الرقاق.

والمهانة هما لمن ابتغى العز من دون الله، قال تعالى: "**الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا**" [النساء: ١٣٩]، "**ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا**" [يونس: ٦٥]، فعز المنصب، إن لم تركن إلى التمسك بدين الله وشرعه، عزة موهومة، إستمدت قوتها من الشر والفساد، لا من الخير والصلاح، وهي عزة موقوتة يحدّها الزمان والمكان الدنيوي، والعزة الحقيقية تمتد إلى ما وراء الوجود الدنيوي إذ تتعلّق بما هو خالد وأبديّ.

المال والجاه، شركان نصبهما الشيطان لابن آدم يغرّه بهما عن دين الله وعن الجنة، ويخطئ المسلم حين يظن أن ذلك إنما يتوجه إلى غير المسلم، لا... بل المسلم مخاطب بهذا أصلا إذ الحديث متوجه إلى بني آدم كلهم، مسلمهم وكافرهم، فهم في هذا الأمر سواء، في الفطرة التي تدفع إلى الظلم والشر وتحسب أن المال والشرف مصدر السعادة، والمسلم معرّض لتلك الفتنة أكثر من غيره إذ الشيطان مسلّط عليه أضعاف غيره، ولا يحسبن أنه بمأمن من هذه الشراك لأنه مسلم، بل أثبت الواقع والتاريخ خلاف ذلك، فليحذر المسلم قبل غيره شراك الشيطان وليحذر مخالب الذئبين.

من هدي النبوة ـ أفضل الرجـــال

عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: "**جاء أعرابيّ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي النِاس خير؟ قال: رجل جاهد بنفسه وماله ورجل في شعبٍ من الشعابِ يعبد ربه ويدع الناس من شره**"[١]

في هذه الزمان العصيب، الذي كثر خلطُه وهَرَجه، يتساءل المخلصون من الناس: ما العمل، ماذا نفعل؟ ما هو طريقنا، وما هي أوصاف أفضل الرجال لنكون على ما هم عليه؟ وتأتي الإجابة من سنة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام.

صدق رسول الله ﷺ ، وهل خير الناس إلاّ أحد هذين الرجلين؛ رجل صدق ما عاهد الله عليه، فهو في سبيل الله بأيّ طريق هُيّأ له، فتراه في حال السلم مجاهدا بماله، وهو ما يستلزم بطريق المفهوم أن له عملا وأن عمله يدر عليه مالاً قد أحسن استخدامه، فهو لم ينفقه كله على مستلزمات حياته، بل هو منفق في سبيل الله ما استطاع بعد أن يقوم بما أوجب الله عليه من نفقات أهله؛ هؤلاء أيتام فقدوا عائلهم فهو مُمِدّهم بما يسّر الله له ليحفظهم من عوادي الزمن وذلّ السؤال، وهذا أخ معسر فهو قائم في حاجته ، وهذا مسجد لله يبنى أو عمل من أعمال الدعوة للإسلام يُنشأ فهو منفق مما أعطاه الله ليتم البناء ويشيّد الصرح، وهذا طالب علم لا يقدر أن يتم دراسته الشرعية، فهو يتبرع بما يجده مناسبا ليتم لطالب العلم ما أراده، ثم إذا حمي الوطيس وقعقعت السيوف وتناحرت الرجال في المعترك وتميزت الصفوف بما لا يدع مجالا للشك، وأجمع العلماء المعتبرون على الدعوة للجهاد، فهو في أول الصفوف مجاهدا وفي مقدمة الجيوش رائدا، يدافع عن البيضة ويناخ عن أرض الوطن، يتمنى على الله الشهادة لتكون تتويجاً لعمله في سبيل الله ولتكون هاديه إلى الجنة التي يسعى ليله ونهاره لتصبح محل إقامته في دار الجزاء.

ثم، رجل لم يجد من نفسه القدرة على مجالدة الناس ومخالطتهم، إذ إن مخالطة الناس يجب أن تكون بحق الله، فلابد فيها إذن من الصبر على الأذى ومن الحكمة في

---

[١] البخاري، الرقائق ٦٠١٣

معالجة الأمور ومن بعد النظر وسعة الفهم والحلم ما يمكنه من أن يكون معينا للناس لا عالة عليهم، فهو لا يظلم أحدا و لا يجهل على أحد، ولا يواقع نميمة ولا وشاية، ولا يقف على باب سلطان ولا يقترف كذبا ولا بهتًانا، ذلك ثمن العبادة الحقّة حين يخالط الناس، وهل إلى كل ذلك من سبيل؟ إنما هو مقارف بعضها ولا محالة، والناس معانون من جرّاء مخالطته ولا محالة، فالخلوة إذن هي الملاذ له ليعبد ربه دون أن يقارف إثما أو يواقع ذنبا، وهو أعلم بشأن نفسه، فهو قد أفرغ قلبه من علائق الدنيا، وخرج عن مستلزماتها وتجرد من حاجاتها، وانزوى في مكان بعيد يعبد خالقه ويرجو السلامة من الناس وسلامة الناس منه.

يسأل الناس: أيّ الرجلين أفضل؟ ويجيبك رسول الله ﷺ حيث يقول فيما رواه عنه ابن عمر رضى الله عنه قال: "**قال رسول الله ﷺ: المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**" ابن ماجة في الفتن وأحمد في مسند المكثرين، وفي كليهما خير بحسب قدرة كل منهما، وكلّ ميسر لما خلق له.




المُستَكْبِرون والمُستضْعَفون ..

في القرآن الكريم




يقول الله جلّ وعلا: "**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ**" [سبأ: ٣١]

اتهامات تتراشق، ولوائم تتدافع. ندامة تُسَرّ وحسرات تُفَجّر. صورة يرسمها القرآن الكريم للحوار المرير الدائر بين الطرفين الخاسرين، الطائفة المستضعفة من الشعوب المقهورة التابعة، التي رضخت للهوان والتبعية والذلّ، بل ورضيت به وتابعت عليه، بل واستمرأت واستمتعت به، رغم وصف القرآن لها بالاستضعاف، فالاستضعاف لا يبرر المتابعة ولا يقيم حجة على الرضا. الاستضعاف سببٌ لا نتيجة، سببٌ في استمرار القهر والظلم والتكبّر، لا نتيجة له. وبين الطائفة المستكبرة الطاغية المتسلطة، المستقوية بالدنيا ومتاعها بالحرام والنهب، التي لا ترى صالح إلا صالحها ولا باطل إلا مُعارضها، ولا حقّ إلا ما يرفعها في الدنيا على أعناق الناس.

تُنحى الطائفة المستضعفة، التي رضيت وتابعت واستمرأت، باللائمة على أسيادها من الطائفة الحاكمة المستكبرة، أنْ أنتم سببُ ما آل اليه حالنا في الآخرة. ولولا ما هيأتموه لنا من أسباب اللهو الباطل والفجور والفساد والربا والزيف، لما كنا على أبواب جهنم راسغين في الغلّ.

"**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ{٣٢}**" سبأ

لكنّ الطائفة الحاكمة المستكبرة لا تقبل هذا الاتهام بل تردّه على الطائفة المستضعفة ردّاً غير كريم، قالوا، بل إنّ بذرة الإجرام كانت مزروعة في نفوسكم، ونحن لم نعمم عليكم طلب الخروج عن شرع الله تعالى، بل ترك الصلاة من تركها بخاطره، وخلعت الحجاب وتعرّت من تعرت بخاطرها، ورابى من رابى بخاطره، واستمتع من استمتع بالأجساد العارية على الشاشات، وفي الطرقات و"المولات" بخاطره، وتابعتم ما جعلناه خلافاً لما فرض الله شرعاً محكّماً فيما بينكم وبين بعض وفيما يخصكم، فلا

تلومونا ولوموا أنفسكم.

"وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً"

وتتبين للطائفة المستضعفة ما لم يتبين لها في الدنيا، من استراتيجية الباطل وطرق التمهيد له ونشره، فتصيح محتجة على الطائفة الحاكمة المستكبرة، أنْ أنتم من تابع علينا بالإعلانات والمقالات والمسلسلات ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً، فأقمتم لنا آلهة جديدة نتعبد لها، آلهة السينما والحب والغناء، وأطلقتم علينا شياطين الأنس لتُسهّل كلّ طريق للتغريب، وتسد كلّ طريق للحق والصواب، ووضعتم من رفعه الله بالعلم والتقوى، ورفعتم من وضعه الله بالفجور والفساد. نصّبتم علينا شيوخاً شرْوا الدنيا بالآخرة ولبّسوا الحق بالباطل، وسجنتم أفاضل لا يريدون إلا الإصلاح في الأرض، أنتم سبب ما نحن فيه وما نحن إلا ضحية مظلومة، فيا حسرة الحسرات ويا ندامة على ما فات!

"وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا"

لكن الله يحسم هذا الجدل العقيم، فيظهر لكلا الطائفتين ما أعدّ لهم من العذاب، وقّيدت الأعناق بالأغلال وذهبت حرية الاختيار التي كانت مكفولة لهم في الدنيا.

"هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" [سبأ: ٣٣]

وقد يظن الظانّ أنّ هذا ظلمٌ للطائفة المستَضْعَفة، ولكن الله سبحانه يبين أن النفس لا تُعاقب إلا بما جنت يداها وبما كسبت برضاها، فالطائفة الراضية المستكينة المتابعة قد "عملت" ما تستحق به هذا العذاب، وعملها هنا هو سكوتها على الباطل وخضوعها له ورضاها به.



... انفضّوا إليها وتركوك قائما

في ليلة البارحة، أثناء صلاة العشاء التي تعوّدتها في مسجد صغير قريب، أخذ الفكر يتفلّت ويسنح بعيداً في أفق الحاضر ودلج الماضي شاردا عن قراءة الإمام الذي أخذ صوته في التباعد رويدا رويدا حتى كدت أن أغيب عن المسجد مرةً، "فإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا من حولك وتركوك قائما"، وإذا بالفكر ينجذب بشدة عائداً إلى الإنصات حين تلا الإمام هذه البينات، وإذا بي أدرك أن مقتضى هذه الآيات هو ما يقع للناس حين يأخذهم آخذ الدنيا فيتفضّوا من حول الإمام القائم مقام رسول الله ﷺ ويتركوه قائماً. جاء في الطبري "{**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا**} يَقُول تَعَالَى ذِكْره : وَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ عِير تِجَارَة أَوْ لَهْوًا {**انْفَضُّوا إِلَيْهَا**} يَعْنِي أَسْرَعُوا إِلَى التِّجَارَة {**وَتَرَكُوك قَائِمًا**} يَقُول لِلنَّبِيِّ ﷺ : وَتَرَكُوك يَا مُحَمَّد قَائِمًا عَلَى الْمِنْبَر ; وَذَلِكَ أَنَّ التِّجَارَة الَّتِي رَأَوْهَا فَانْفَضَّ الْقَوْم إِلَيْهَا , وَتَرَكُوا النَّبِيّ ﷺ قَائِمًا كَانَتْ زَيْتًا قَدِمَ بِهِ دِحْيَة بْن خَلِيفَة مِنْ الشَّام" والانفضاض المعنيّ في الآية الكريمة هو الترك الفعليّ بالجسد، كما حدث في سبب النزول، ولكن الأمر هنا أن النتيجة واحدة في الحالين، الانفضاض الجسديّ والانفضاض الفكريّ، كلاهما سببه الانشغال بالدنيا وحبّ العاجلة والاستخفاف بقدر الوقوف بين يديّ الله سبحانه، كما استخفّ القوم بمقام رسول الله ﷺ لأجل زيت دِحْيَة بْن خَلِيفَة!

فليحذر المرء حين يقف بين يديّ الله أن ينفضّ ويترك الإمام قائما يتلوا آيات الله، فإن ذلك مما حذّرنا منه القرآن بطريق المفهوم، ودلّنا سبحانه على أنّ الانتباه إلى قراءة الإمام والإنصات له وللخطبة هو خيرٌ في الدارين، في الآخرة لقول الله تعالى: "**قُلْ مَا عِنْدَ اللَّه خَيْر مِنْ اللَّهْو وَمِنْ التِّجَارَة**"، وهو ما عنده سبحانه في الآخرة من جزاء لمن يحبس نفسه على الإنصات والسماع دون السعي بالجسد أو الفكر وراء الدنيا وملاهيها، وهو خير في الدنيا لقوله تعالى :"**وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**" إذ لا يد للعبد في جلب الرزق أو دفعه إلا السعي، فهو سبحانه الرازق لا رازق غيره، والانفضاض عن مجالس الذكر وقراءة الإمام بالتفكير في الدنيا ولهوها لن ينفع صاحبه بشي إلا خسارة الدنيا والآخرة

جعلنا الله سبحانه ممن يستمعون إلى القول فيتبعون أحسنه



أهل السنة والجماعة -

الاسم والمسمى

لا أدرى كيف بدأ، أو إلى متي سيظل استعمال تلك التسميات العديدة لجماعات إسلامية تدعي اتباعها لمنهج أهل السنة والجماعة، ثم تطلق على أنفسها أسماء مثل "أنصار السنة" أو "السلفيون" أو غير ذلك من تسميات لا سند لها ولا رصيد من تاريخنا!

ومع إدراكنا أن لا مشاحة في التسميات، إلا أن الواقع الممزق والحاضر الذي تبعثرت فيه المعاني وانحرفت فيه المقاصد يملي علينا ان نتمسك بما كان عليه السلف الصالح، ولا أعتقد أن مثل هذه الجماعات تنكر ذلك أو تدعى غيره، والسلف الصالح كانوا يطلقون على أهل القرون الثلاثة الفضلى، ومن جاء على هديهم من بعدهم، أهل السنة والجماعة، تلك هو اختيار السلف، فما بال "السلفيون" يخالفون ذلك إلى إطلاق اسم يحمل بعمومه أي دلالة. فالمعتزلة سلفيون، لأنهم يتبعون سلفهم كواصل بن عطاء والجاحظ وغيرهم من سلفهم، وكذلك الخوارج والمرجئة والرافضة، إذ هم "سلفيون" ولا شك، وهم ليسوا من أهل السنة والجماعة بلا خلاف، فما بال المنتمين إلى منهج أهل السنة والجماعة من سلفنا يتركون اختيار السلف إلى اختيار خلف الخلف؟ أليسوا أولى الناس بأن يتصفوا بما تعرف عليه المسلمون السنة طوال قرون متطاولة؟

ووصف أهل السنة والجماعة، يحمل دلالات عديدة تعجز عن أدائها تلك التسميات المستحدثة. فهو يحمل في طياته معنى إتباع السنة، وهو ما قصدت اليه تسمية "أنصار السنة" ويحمل معنى التزام إتباع السلف الصالح من أهل القرون الثلاثة الفضلى ومن تبعهم، وهو ما يهدف اليه "السلفيون" دون أن يحققوا بتسميتهم إلا شتاتاً من هذا المعنى، ويفتحون به أبواباً للخلط والمرج في المعاني والدلالات لا يكاد ينسد.

ويحمل كذلك هذا الوصف المعبّر معنى التزام الجماعة، وهو الأمر الذي أكاد أجزم أنه السبب الرئيس الذي انحرف بتلك الجماعات عن أن تنضوى تحت مسمى "أهل السنة والجماعة"، إذ إن كل جماعة من هذه الجماعات قد رفضت بعض ما جاءت به الأخريات أو كله، فكان لزاما عليها أن تسمى نفسها اسما يحفظ عليها هويتها ويكرس

خلافها مع الآخرين، ويعطى المنتمين لها هوية خاصة هي ما يسعون اليه طلباً للتميز وحرصاً على التفرد، وهو خلاف المقصود من الشريعة التي تدعو الى التوحد تحت راية واحدة اختار لها الله سبحانه اسم "المسلمون"، ثم عيّن منها السلف الصالح اسم "أهل السنة والجماعة" تمييزا لها عن تلك الفرق التي انشعبت خارجة عن السنة، حاملة للبدعة. واحتفظت الفئة الناجية بتلك التسمية عبر قرون متطاولة وخلال أحداث متتابعة، لم تغير هويتها ولم تبدل اسمها إلى أن أظلنا عصرنا هذا بما حمل من سخريات تحسبها جِداً، فتغيرت أعراض وجواهر ولم يسلم من ذلك إلا النادر.

وأهل التغيير الصادق والعمل الإسلاميّ الواعد لن يكون لهم اسم إلا ما عبق برائحة السلف وتجارب القرون "أهل السنة والجماعة"، إتباعا للسنة وتوحيداً للصف.



الجماعات الإسلامية وفتنة الفتوى!

أثارت "الفتوى" التي أصدرها مفتي مصر بشأن تحريم الانتماء لجماعه إسلامية ردود أفعال عدد من الجماعات الإسلامية أجمعت على رفضها واختلفت في التعامل معها. فالإخوان شجبوها ثم لم ما يأتوا بتعليق عليها. والجماعة الإسلامية رفضتها ولكنها اقترحت بديلا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تراجع خطير في الوعي السياسي لهذه الجماعة.

وأود أولا أن أعقّب على الفتوى بأن أقول إن من يصدر عنه مثل هذا الكلام لا يصح أن يتصدى للفتوى بحال من الأحوال، فإن الله سبحانه قال "وتعاونوا على البر والتقوى" وهذا التعاون لا يمكن أن يكون بين الفرد ونفسه بل ينشأ بين جماعة من المسلمين على البر الذي ارتأوه، ومفهوم الأمر بالمعروف يشمل النشاط الفردي وهو عمل الداعية، والنشاط الجماعي وهو عمل الجماعة. وفتوى "المفتي" تعني إلغاء هذه الآيات الحكيمة وشطبها أو – على أقل تقدير – إلغاء الجانب الاجتماعي فيها، وهو إنقاص من دين الله وهدم لجانب من جوانب الفضل العظيمة فيه.

وقد عرفنا من التاريخ أن هذا الشكل من الأمر بالمعروف بتزايد حين يزداد ضعف الدولة وفساد أجهزتها وخبث عمالها، فينهض حينئذ من يقوم يجمع الناس لدرأ هذا النقص والقيام بما فشلت الدولة في القيام يه. ومثال على ذلك حركة خالد الدريوش وصالح بن سلامة الأنصاري في بغداد عشية مقتل الأمين العباسي وعهد تولى المأمون العباسي للخلافة ، وهو صحيح إذا اعتبرنا ظهور الإخوان في أعقاب انهيار الخلافة، وظهور العديد من الجماعات الإسلامية – بغض النظر عن صحة مناهجها - إبان طغيان عبد الناصر من ناحية وهزيمة ٦٧ من ناحية أخرى.

واللافت للنظر هي تلك الدعوة التي أطلقها الدكتور ناجح إبراهيم رأس الجماعة الإسلامية للدولة المصرية أن "تقنن" عمل هذه الجماعات. وما أرهقني في فهم مقصده هو معني "التقنين" الذي يقصد اليه، أيعني أن تجعلها الدولة "قانونية" بمعنى أنها معترف بها؟ أو أن نقنّنها، بمعنى أن نرتبها وتسنّ لها القوانين التي تحكم حركتها ومن ثم أهدافها ومقاصدها؟ والفارق بين الأمرين عظيم، وكلاهما لا محل له من الإعراب في النظام

السياسي القائم حاليا في بلادنا.

فالدولة "لن" تقبل بتقنين الجماعات الإسلامية لأنها - الجماعات الإسلامية – تفشي بطبيعتها الخلل في نظام الدولة وقصوره عن القيام بواجبه، ولو كانت ستسمح بالجماعات الإسلامية لسمحت بإنشاء أحزاب معارضة حقيقية في البلاد، ثم إن أجندة الحكومة تنافي إدخال أي عنصر إسلامي أو بعد إسلاميّ في منظومته، كما صرح كبار مسؤوليها مرات عديدة أن الدولة تتبنى الاتجاه العلماني – اللاديني – ولن تسمح بقيام أي اتجاه يغلب ديانة ما حتى لو كانت الإسلام الذي هو دين غالبيتها الساحقة وما ينصّ دستورها على أولويته.

فأن تتقدم الجماعة الإسلامية بمثل هذا المقترح على الدولة لهو تحصيل حاصل لا فائدة منه إلا تسويد صفحات جريدة وإشغال الناس بما لا طائل تحته، وهو نفس الطريق الذي سار عليه الإخوان خلال العقود الماضية من محاولة استئناس "النظام" و"ترويضه" ولم ينشأ عن هذا الطريق إلا ما عرفنا من حال الإخوان.

الأمر أن الجماعات الإسلامية التي تجتمع على البر والتقوى، لا حاجة بها إلى تقنين من الدولة، بل هي مأذون فيها، بل مأمور بها، على الجملة، والجماعة، في كتاب الله، وما سنّه الله على المسلمين لا حاجة لبشر في إقراره. ولتواجه الجماعات ما شاء الله لها أن تواجه، فهذا هو مصيرها ومصير أبنائها، إن كانوا على صحة قصد وسلامة منهج ووضوح عقيدة، وهو صراع الحق والباطل على مرّ تاريخ الإسلام الحافل.



التعصب العقائدي .. وقضية المآذن

سرت في الآونة الأخيرة ، في عدد من الصحف السويسرية العلمانية المدعومة من بعض أصحاب المصالح التي تقوم على هدم الإسلام وترسيخ التعصب الطائفيّ، كثير من التعليقات والمقالات حول موضوع منع المآذن في سويسرا، وعلاقة ذلك بالحرية العقدية والدوافع التي دفعت الغرب، أو بعض منه، إلى هذا الموقف، وتشعبت تلك المقالات إلى موضوعات لا علاقة بها بقضية المآذن، وهي فيما لخصها أحدهم أن الغرب أصبح متحفظاً وأقل قبولاً للإسلام بسبب الممارسات العنيفة والمتعصبة من بعض التكتلات الإسلامية فى الغرب الرافضة لحضارة وثقافة الدول الغربية ومعتقداتها! وأنه على المسلمين الذين اختاروا الهجرة إلى الغرب أن يقبلوا حضارة المجتمعات التي قبلتهم واستضافتهم وأن يتوقفوا عن محاولة إخضاع المجتمعات المضيفة لأفكار وثقافة وقوانين المجتمعات التي هاجروا منها، وأن حرية العقيدة غير مكفولة في البلاد العربية الإسلامية مثل العربية السعودية بل وفي مصر حيث تخضع إقامة الكنائس إلى موافقات عديدة تصل إلى رئيس الدولة، خاصة أن الأقباط في مصر يصل تعدادهم إلى ١٠٪ وليس هناك عدد من الكنائس يقابل هذا العدد! بل وصل الحدّ إلى أن بعضهم إدعى - إثما وعدوانا - أن "التعصب بدأ من عندنا فى الشرق، وأرجو ألا ينتقل إلى الغرب".

وقبل التعليق على هذه المغالطات المتعمدة، وأود أن أذكر بأن هذه الصحف هي صحف ساويرس الناطقة باسم العلمانية المصرية والأقلية القبطية المتعصبة والمعروفة بانتمائها لمن يسمى أقباط المهجر، فكلامها متهم مشوّه قبل أن يقرؤه قارئ.

أما عن أنّ الغرب أصبح متحفظاً وأقل قبولاً للإسلام بسبب الممارسات العنيفة والمتعصبة من بعض التكتلات الإسلامية في الغرب الرافضة لحضارة وثقافة الدول الغربية ومعتقداتها، فهذا خطأ محض وتشويه للتاريخ، فأين هي الحملات الصليبية من التحركات الإسلامية، وأين هي الحملة الفرنسية وأين الاحتلال الاسباني والفرنسي والإنجليزي عبر القرون الماضية من هذه التحركات، وأين مساندة الغرب لعصابات إسرائيل لاحتلال فلسطين وتشريد أهلها.. الغرب هو الغرب في كراهيته وعدائه للإسلام منذ بزوغ نوره وإنما لمّا كان المسلمون قلة حقيقية في الغرب لم يكن هناك

سبب لمعاملتهم بشكل عدائي فاضح، فلما كثر عددهم، وإن كانوا لا يزالوا قليلي الحيلة محدودي الأثر إلى أقصى حدّ، تحركت أشرعة السياسة المتعصبة لخلق عداء بين الشعوب الإسلامية والغربية. ونحن لا ننكر أن الكثير من مواطني البلاد الغربية لا يحملون هذه الضغينة الأصلية، إلا ما استقر في وعيهم مما تبثه وسائل إعلامهم الموجهة من سموم، لكن الأمر أمر الساسة من أصحاب المصالح وحاملي البغضاء.

أما عن أن المسلمين الذين اختاروا الهجرة إلى الغرب أن يقبلوا حضارة المجتمعات التي قبلتهم واستضافتهم وأن يتوقفوا عن محاولة إخضاع المجتمعات المضيفة لأفكار وثقافة وقوانين المجتمعات التي هاجروا منها، فهذا خطل وانحراف عن الحق لا لبس فيه، فالمسلمين المهاجرين لا يحاولوا أن يغيروا أي مجتمع هاجروا اليه، بل العكس، يعرف كل من عاش في الغرب أنهم يعانون من تغير ثقافة ابنائنا وبناتنا، وكل ما يحاوله المهاجرون هو أن يحتفظوا هم أنفسهم بثقافتهم، وهو ما فهمه الغالب منهم حين هاجروا من أن الممارسة الحرة للعقيدة هي حق مكفول في الغرب، ولكن بعد الحملة "البوشية" تغيرت المعايير، ثم لِمَ لَمْ يذكر الكاتب الحملات المنظّمة للتنصير في كافة أنحاء العالم الإسلامي والتي تتحرك بملايين الدولارات من الحكومات ومن المؤسسات الغربية، وعجيب أمر هذا الرجل وهو يرى الدعوة الأمريكية لتغيير ثقافة المسلمين تحت إسم الديموقراطية، فالغرب هو الذي يغزو فكريا وعسكريا كما في حالة العراق وأفغانستان لتغيير ثقافات الشعوب، أما المهاجرين الضعفاء فأنىّ لهم أن يغيروا ثقافات الغرب، كلام لجٍ مُغرض.

أما عن قوله عن حرية الاعتقاد في البلاد الإسلامية فنحن لم نسمع عن هذا الأمر قبل الحملة "البوشية" التي استثمرها متعصبون مثل ساويرس ولم يُعرف في تاريخ العالم من هم أكثر سَمَاحة مع أصحاب الديانات الأخرى من المسلمين، ونذكرهم بأن اليهود هربوا في القرون الوسطى من الأوروبيين المسيحيين إلى بلاد الخلافة الإسلامية حيث عاشوا فيها بأمان مكّنهم من تنفيذ خطتهم الدنيئة في فلسطين ثم ماذا عن محاكم التفتيش الإسبانية ووحشيتها؟ ثم نبئني عن عدد المساجد في الفاتيكان؟ ثم إن كان المسيحيون الغربيون يتخلون عن عقائدهم ويضعون دينهم على هامش حياتهم

ثم يتشدقون بالحرية، فالمسلمون يتمسّكون بنص دينهم من منع المشركين من دخول جزيرة العرب وهي نصوص لا تلاعب بها إلا لمن أراد ترك هذا الدين كلية، ثم لا يختلف اثنان على أن الاضطهاد العقائدي إن كانت نسبته ١.٪ ضد الأقباط في مصر فهو ١٠٠.٪ ضد المسلمين الحاملين لسنة رسول الله ﷺ، ولنسأل الكاتب الغرّ: كم عدد الأقباط الذين تم اعتقالهم في الخمسين سنة الأخيرة وكم عدد المسلمين في المقابل!!! دعاوى فارغة من الشكل والمحتوى.

ثم ما هذا الحديث عن أن تعداد الأقباط في مصر ١٠.٪؟، والله قد سئمنا من مثل هذه الادعاءات السخيفة التي أعلنت مراكز عالمية أمريكية مؤخرا أنها غير صحيحة وأن نسبة الأقباط لا تتجاوز ٤ إلى ٦ ٪ وهو ما يتمشى مع معدلات زيادة السكان في القرن الماضي في مصر، وإلا كنا كما يزعم اليهود أن عددهم كان يتجاوز الستمائة الف ٦٠٠٠٠٠ حين خرجوا من مصر مع سيدنا موسى بعد دخولها مع سيدنا يعقوب وعددهم ٧٠!! وبين موسى ويعقوب عليهما السلام أربعة آباء! هذا دين اليهود في الكذب.

وأخيراً، عن موضوع منع المآذن في سويسرا، فرغم أنه أمر يبين النفاق الغربيّ الذي يدعى الحرية، بل ويدعى شرف حملها إلى بلاد الإسلام ثم يمارس عكسها، إلا أنه يأتي في المرتبة الثانية نسبة إلى ما يدور حول المسلمين من التحديات من دكتاتوريات الأنظمة والغزو الثقافي الغربي وحملات التشويه العقائدي الداخلي والحملات التنصيرية والاحتلال العسكري فإن فيها ما يكفي مما يجب أن ينتبهوا له بالمقام الأول.




تعقيب على مقال

الدكتور محمد عمارة

(الفاتيكان والإسلام)

في جريدة المصريون




جزى الله خيراً الدكتور محمد عمارة لما بذله من جهد في سلسلته الفاتيكان والإسلام التي تكبّد فيها الردّ على عظيم الفاتيكان، وكبير آباء الكنيسة الكاثوليكية لمّا تعدى على مقام رسول الله ﷺ وافترى على الإسلام وأهله بجهل متعالم أو بعلم جاهلٍ، سيان. ولا شكّ أن ما خرج من فمِ هذا الأب المتنكّر للحق يجدر أن يرد عليه مَن استطاع إلى ذلك سبيلا بجرأة وعلم.

لكن الأمر الذي نريد أن ننبه عليه في هذه السلسلة يتلخص في قضيتين، أولاهما، صحة النقل عن رسول الله ﷺ، وهو أمر تعوّد العقلانيون التخفيف من أمره إلى حدّ العبث، وهو مما عرف عن المعتزلة [١] خاصة – اللذين أشاد الدكتور عمارة بدورهم في حضارة الإسلام وتمجيد العقل! – وعن أهل البدعة عامة. فقد قال الدكتور في مقاله السادس ".. ألم يسمع عظيم الفاتيكان أن رسول الإسلام ﷺ قد قال : "العقل أصل ديني".. وقال : "عليكم بالقرآن ، فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهدا"[٢]. وما يجب التنبيه عليه أنّ ما ذكر الدكتور ليس من أقوال رسول الله ﷺ، فالقول الأول قد روى عن عليّ بن أبي طالب في نهج البلاغة ولم يصح عنه، أما ما رواه عن الدارمي فلو اهتمّ الدكتور بحديث رسول الله ﷺ اهتمامه بأقوال الغزالي وابن رشد، لراجع الدارمي الذي أورده، ولو أتعب نفسه بقراءة سلسلة الحديث لوجده عن كعب لا عن رسول الله سلى الله عليه وسلم ولم ينسبه أحد قبل الدكتور لرسول الله ﷺ، أخرج الدارمي قال: حدثنا عمرو بن عاصم ثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن مغيث عن كعب قال: عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة وينابيع العلم وأحدث الكتب بالرحمن عهدا، وقال في التوراة يا محمد إني منزل عليك توراة حديثة تفتح فيها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا.." فهو في أفضل الأحوال موقوف على كعب ولا يصح نسبته لرسول الله ﷺ.

وليس جديدا أن ننبه على ضرورة التحري في حديث رسول الله ﷺ، ولا هو جديدُ أن نذكّر بحديثه ﷺ **"من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"** [٣] ولا أنّ نكرر ما استقرت عليه العلماء وذلّت له عقولهم بالتسليم من أن السنة هي المرجع الثاني في

---

[١] راجع كتابنا عن المعتزلة

[٢] رواه الدارمي

[٣] رواه الترمذي وقال حسن صحيح

الشريعة بعد القرآن، وأنّها الشارح المبين لأحكامه. ولكن الجديد أن يغفل عنها مثل الدكتور عمارة في دفاعه عن الإسلام ونبيه وأهله.

والقضية الأخرى التي لا تقل خطراً عن الأولى أن منافحة الدكتور عمارة عن الإسلام ونبيّه وأهله تصدر من نفس المصدر الذي صدرت عنه الاعتزال وتستخدم نفس المعطيات فتدسّ في ثناياها التخفيف من قدر السمع وإعلاء دور العقل من فوقه. ونظرة إلى الأسماء التي نقل عنها الدكتور تنبئ عن صحة ما ذكرنا. فقد نقل عن الماورديّ، وبن رشد والغزالي والجبائيّ والقاضي عبد الجبار والجاحظ وهم – إلا الغزالي – من كبار المعتزلة الذين خلّطوا ووقعوا في شبهة تعظيم دور العقل وجعله حاكِما على الشرع.

ثم حين نقل الدكتور عمارة عن بن تيمية – وبدأ نقله بقول "حتى بن تيمية .." كأن أهل السنة لا يرقون إلي أن يكون لهم رأي في المنظومة العقلية الاعتزالية البدعية! نقل بتصرف كبير مخلّ عن بن تيمية في كتابه درء التعارض أنه قال" الحنفية وكثير من المالكية والشافعية والحنبلية يقولون بتحسين العقل وتقبيحه، وهو قول الكرامية والمعتزلة، وهو قول أكثر الطوائف من المسلمين" دون ذكر الجزء أو الصفحة، ولم نعثر في الكتاب المذكور على هذا النص بهذه الحروف، ولعلنا أخطأناه وله منى الاعتذار، وانما وجدنا أقرب ما يمكن اليه في الجزء ٩ ص ١٢، حيث قال بن تيمية: " حتى قال أبو منصور الماتريدي في صبي عاقل إنه يجب عليه معرفة الله وإن لم يبلغ الحنث قالوا وهو قول كثير من مشايخ العراق ومنهم من قال لا يجب على الصبي شيء قبل البلوغ كما لا تجب عليه العبادات البدنية بالاتفاق قلت (اي بن تيمية) هذا الثاني (لا يجب على الصبي شيء قبل البلوغ) قول أكثر العلماء **وإن كان القول بالتحسين والتقبيح يقول به طوائف كثيرون من أصحاب مالك والشافعي وأحمد كما يقول به هؤلاء الحنفية**". والفرق بين النصين ظاهر، فقول "طوائف كثيرة" لا يعني أنها "أكثر الطوائف"، كذلك ما ورد في كتاب بن تيمية " وهذا الأصل تنازع فيه المتأخرون من عامة الطوائف فلكل طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد فيه قولان وأما الحنفية فالمعروف عنهم القول بتحسين العقول وتقبيحه" [١] وهذا الأصل يعنى التحسين والتقبيح ومن ثمّ الإيجاب والتحريم، وهو قريب مما حاوله الدكتور مع الفارق بين النصين كذلك.

---

[١] ج٩ ص١٠

ثم إن رأي بن تيمية وهو رأي أهل السنة والجماعة قاطبة يخالف من زعم أن العقل يقبح ويحسن دون الشرع كما قالت المعتزلة وبعض الحنفية ومن زعم أن العقل لا يدرك الحسن والقبح ابتداء كما قالت الأشاعرة والجهمية، بل الأمر، كما قال بن تيمية أن " .. قول أحمد لا تدركها العقول أي أن عقول الناس لا تدرك كل ما سنه رسول الله فإنها لو أدركت ذلك لكان علم الناس كعلم الرسول ولم يرد بذلك أن العقول لا تعرف شيئا أمر به ونهي عنه ففي هذا الكلام الرد ابتداء على من جعل عقول الناس **معيارا** على السنة ليس فيه رد على من يجعل العقول **موافقة** للسنة"[١]. ففارق بين من جعل العقل معيارا للشرع ينزّله عليه ويحكّمه فيه وبين من جعل العقل موافقا للشرع لا تعارض بينهما، فيما يمكن للعفل أن يدركه بنفسه، وعليه ينزّل كلام القرافي المذكور في مقال الدكتور، لا أن العقل له مرجعية مطلقة في التحسين والتقبيح كما ينص عليه كلام الدكتور!

والجزء التاسع الذي نقل عنه هذا الكلام "بتوسعٍ" هو مناقشة بن تيمية لأصحاب الرأيين المتضادين، في تقديم السمع أو العقل، وبدأه بنقل ما ذكره الشريف أبو علي بن أبي موسى في شرح الإرشاد، من نصر السمع على العقل بإطلاق ثم نقل ما ذكره القاضي أبا يعلى وتطرق لأقوال بن رشد وأبي المعالي الجويني في الإرشاد. والأمر في كتابات بن تيمية أنه يجب التنبه إلى ما هو من قوله أو مما ينقله عن غيره. ورأي بن تيمية في التحسين والتقبيح العقلي والشرعي يعرف مما كتب في مواضع كثيرة أخرى لا محل لذكرها في هذا العتاب.

والله سبحانه الهادي لما فيه الحق

---

[١] ص١٠



ثوابت الفكر السني

ومعالمه وعلاماته الفارقة

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه

الثابت المسلَّم في ساحة العمل الإسلاميّ، إن الكثير من الاختلاط والاضطراب قد ساد الفكر الإسلامي، بين أبناء الحركة، بشأن ثوابت العقيدة وضوابطها، وآثارها في حياة المسلم، نية وقولاً وعملاً. وهذا الاختلاف البيّن الشاسع هو الذي شتّت الجهد الإسلامي كلّه، وضرب بعضه ببعض، وأسقط بعضه بعضاً، وخرّبت شماله ما فعلت يمينه!

أدي هذا الاختلاط والتشتت في الفكر والرؤية، إلى صدور كتب تشرح عقائد حامليها ونظرتهم الحركية، بشكل عام، لا خصوصية فيه، نتيجة الظروف الأمنية التي سادت في غالب عقود القرن الماضي، وتضاعفت في العقدين الأولين من هذا القرن. ثم نبتت حركات إسلامية، أو جماعات إسلامية، تبنت الفكر المثبت في بعض تلك الكتب، سواءً بشكل حرفيّ، أو جمعت بين شتات متفرق، من هنا وهناك، وبنت عليه حركتها، فكان الضلال عن الحق سمتها الأساسية، كما رأينا، على سبيل المثال، في حركات فصائل الشام مؤخراً.

وتلك المؤلفات، وإن كان في بعضها ما يُفيد ويهدي للحق، فإن في بعضها الآخر ما هو من الضلال البعيد، أو التدليس الشديد. وقلّما يثبت الجيل الثاني على نفس القراءة التي استوعبها الجيل الأول ممن كُتبت له تلك المؤلفات. وهي طبيعة حركة الفكر، أو فكر الحركة على كلّ حال.

لذلك رأيت، والأمر لله، أن أثبت هنا، صفات ومعالم رئيسية للفكر السنيّ المنهجي الحق، في شكل أفكار وآراء ثابتة مبنية على الرؤية العقدية السنية، بلا دخول في تفاصيل عقدية وشروحات ونقولات، تدحض الغرض الأصلي، الذي هو، فيما أرى، إتاحة الفرصة أمام المسلم العاميّ، غير المتعمق في العلوم الشرعية ولا معرفة تاريخ الحركات الإسلامية، أن يتبيّن الصالح من الطالح، بعلامات وقرائن يفهمها بلا عنت ولا معاناة، ويمكنه ربطها بالأقوال والأفعال الظاهرة، دون الدخول في النوايا وما في الصدور، فإن هذه على الدوام هي حجة العاميّ الضال الذي لم يتهيأ له معرفة

تلك القرائن والعلامات "كيف لنا أن نعرف ما في قلوبهم". الشرع لم يكلفنا بمعرفة ما في صدور الناس، بل أمرنا باتباع ظاهر أقوالهم وأفعالهم، وتقييمهم على أساسها وحدها، دون انتظار معجزة تكشف لنا خبايا قلوبهم ومكنونات صدورهم!

ومن تلك العلامات والقرائن المؤكدة التي لا تتغير:

١. اعتقاد كفر الحكومات العربية، وحكامها، من حيث إنهم قائمون منفذون فاعلون لأحكام وضعية ومن ذلك كفر السيسي وابن زايد وابن سلمان وحكام البلدان العربية كافة، ونظمها العلمانية التي تضع القوانين البشرية فوق الشريعة، بل تمنع الشريعة بإطلاق. "وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" المائدة ٤٤

٢. محاربة فكرة إقامة الشريعة، بالقول والفعل، باعتقال الدعاة إليها، وسجنهم وقتلهم وإغلاق مراكزهم وتشتيت أسرهم، ومثلهم كذلك حكام العرب، وإعلامييهم وصحافييهم، وفنانيهم، وكلّ من يدعو لهم، سواء من على منبر إعلامي أو دعوي، مثل الجندي والهلالي. "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ".

٣. موالاة من نعرف كفرهم يقيناً، ومحبتهم وتقديمهم والتعاون معهم ضد المسلمين، كحكام الشعوب المسلمة قاطبة، التي تتوالي أمريكا وأوروبا الصليبية. "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ " المائدة ٥١.

٤. محبة الحكام الكفرة والدعوة لهم والدعاء لنصرهم على المسلمين "الإرهابيين المجرمين". وهذا، وإن كان ظاهره الجهل، فإن حقيقته الكفر البواح الذي لا مراء فيه، مثل السيساوية وأمثالهم.

٥. محاولة التقليل من جرم الاحتلال الأمريكي والغربي عامة، لبلاد مسلمة بحجة مواجهة الإرهاب. بل وكلّ من يستعمل كلمة الإرهاب، قاصداً بها "المسلمون"

من الدعاة، لا الإخوان، فهم، كغيرهم يدينون المسلمين من أهل الحق، ويحملون عليهم، بل ولا يستنكفون من التبليغ عنهم للسلطات الكافرة.

٠٦ التقليل من جرم الدول التي تتهكم على حرمة نبينا صلى الله عليه وسلم، وعلى ديننا الحنيف، كالدانمارك وفرنسا العاهرة. فكلّ منٍ يتحدث بأن هذه حرية رأي ونقد، ولا يجب أن تكون سبباً في عداءٍ، فهو خارجٌ عن الإسلام، لا حظ له فيه.

٠٧ عداء الحركات الإسلامية، رغم تقصيرها وخلوها من الإخلاص والفائدة، لمجرد أنّ الحاكم والإعلام يروّج لذلك، لا لخلل منهجهم العقدي كالإخوان مثلاً، فكثرة العوام السيساويين يكرهونهم كره العماء، لا لخلل عقيدتهم أو إرجائهم أو خيبتهم الحركية، بل لأن السيسي وإعلامه، ونظم الكفر العربية، تطلق عليهم "الإرهابيون، المجرمون، القتلة"!! ويشهد الله إن الإخوان لو تمكنوا لحكموا بكل قانون وضعي، ورفضوا الشريعة رفضاً قاطعاً، وهو ما رأيناه عينا وسمعناه في حديثهم، على لسان قادتهم، وحماس والنهضة وحكومة محمد مرسي دليل على ذلك، رغم قلة حيلة مرسي وضعفه، ولهذا مقام آخر.

٠٨ اعتقاد أن الجيوش العربية حامية لشعوبها، وأنها مؤسسات شريفة يجب أن يلتف حولها المسلمون. وهذا، إلى جانب أنه خيبة وغباء طافح، فهو ولاء لجند فرعون. ولا ننسى ما ذكرنا من قبل، أن الله لعن ثلاثة أنواع، فرعون وجنوده وقومه. ففرعون هو السيسي وبقية الحكام، وجنوده هم تلك الجيوش المسيطرة على رقاب المسلمين، وقومه هم أولئك المتعاطفون معه ومع أمثاله، من أهل مصر أو الخليج أو الجزيرة أو في أي شعب مسلم. هؤلاء كلهم ملعونون بنص القرآن.

٠٩ القل بتبني الاتجاه العلماني، وأن الشريعة ليست تصلح لهذا الزمن، وأنّ حرية المرأة وحرية الجنس وحرية التعبير، ليس لها حدود تتقيد بها حسب الشريعة، فهذا كفرٌ محضٌ، وكلّ من تلبس به فهو كافرٌ كفراً يخرج به عن الملّة، قولاً واحداً.

٠١٠ القول بأن الإسلام، دين كغيره من الأديان، النصرانية واليهودية، كلها

أديان من عند الله، ومتبعها بحقٍ ناجٍ، ولو مات على النصرانية أو اليهودية، وترويج معانِي الإخوة الإنسانية قبل أخوة الإسلام، أو الوطنية والقومية، فهذا كفرٌ بواح قولاً واحداً.

تلك هي علاماتٌ فارقة تبيّن من يجب تجنبه، ومن هو من معسكر الكفر، وإن رفض وتبرأ وأنكر، فالعبرة ليست بما يدّعي، بل بمحتوى ما يقول ويفعل، حسب مقاييس الشرع، سواءً كان عامياً، أو من العاملين فيما يعتبرونها "دعوة" كأتباع البرهامي أو أتباع رسلان، أو أتباع عمر سليمان الأمريكي، أو حبيب الجفريّ، أو من يتابع قيادات الإخوان أو الجماعة الإسلامية أو جماعة الغنوشي الكافر، في مغامراتهم الخائبة للتصالح مع الكفر بالموافقة على مبادئه!

ثم يبقى أمر التعيين مقيداً بأصحاب العلم، إلا فيما هو من الجليّ الواضح مما سبق تقريره.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

د طارق عبد الحليم

٥ ديسمبر ٢٠٢٠ – ١٨ ربيع ثان ١٤٤٢





الجزء الرابع

في السياسة



حماس وازدواجية المواقف

أهم ما أكدته الأحداث الدامية الأسيفة في غزة بين حماس وبين جماعة أنصار الله هو تلك الازدواجية الحادة في مواقف "الإخوان المسلمون" – وربما الإسلاميين بشكل عام – وتعاملاتهم، والتي ظهر أنها تتحدد حسب موقعهم من السلطة، وهوية المخالف.

فحماس، كما هو معلوم، تنتمي فكرياً إلى جماعة الإخوان. والإخوان يعتمدون سياسة "المرونة"، و"الحوار"، و"التفاهم"، و"قبول الآخر"، وما ينتمي إلى هذه العائلة من التعبيرات، وتتناءى بنفسها عن "العنف"، و"المواجهة" وما يتخرّج من هذه التعبيرات. وقد سارت الجماعة على هذه السياسة في تعاملاتها مع النظم الحاكمة، مبررة ذلك التوجه بأنه نابع عن إيمان عميق بهذه المعاني وإسلاميتها. هذا، والإخوان في موقف الضعف السياسيّ، وهم أبعد ما يكون عن تولي السلطة في أي دولة من الدول التي لهم فيها تواجد حاليّ.

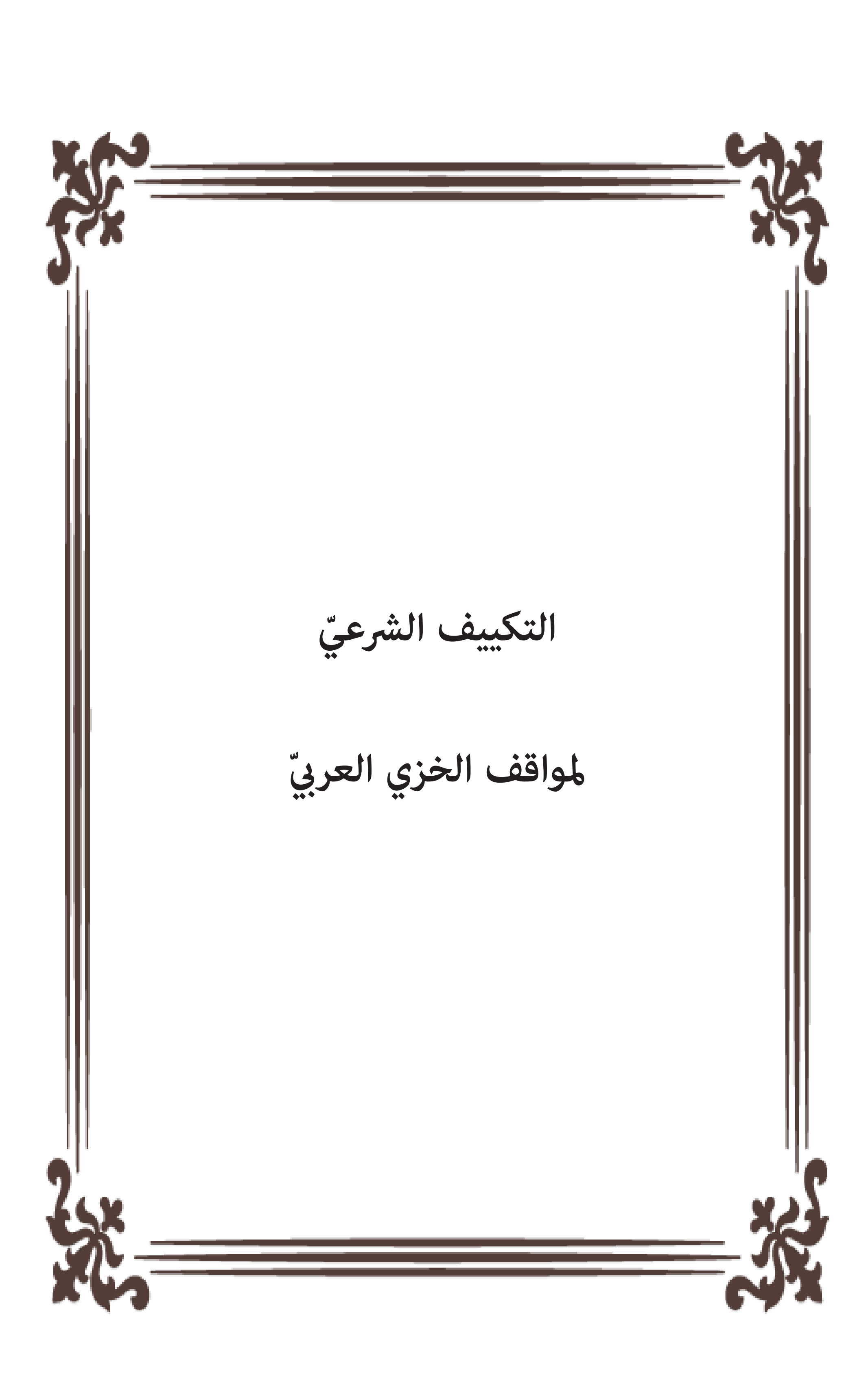
وقد سارت حماس في غير طريق الإخوان من تصدٍ للعدوان، والوقوف في وجه الفساد والخيانة المتمثلة في السلطة الفلسطينية، وشاء الله لهذا الموقف أن يثمر، وأن يكون لها اليد العليا في غزة، بعد تضحيات الشعب الفلسطينيّ البطل في غزة بكافة اتجاهاته وتوجهاته. ولم تتخل حماس عن مفاهيم الحوار والمفاوضة فاستقبلت، وهي في موقع السلطة، شخصيات غربية للتحاور مع فارق الدين والهدف، بل وقبلت أن تضع يدها بيد الرافضة الأخباث، الناشرين للبدعة والداعين لهدم السنّة!

وعند الاختبار الأول لدعوى الديموقراطية، وسعة الصدر، و"المرونة"، و"الحوار"، و"التفاهم"، و"قبول الآخر"، سقطت حماس، واتخذت موقفاً في غاية من العنف والقسوة تجاه جماعة محدودة العدد والعدة، لا قِبَل لها بأي تحد سافرٍ للسلطة القائمة في غزة، إن كان لتلك السلطة قوة حقيقية تحت الظروف القائمة.

لقد فتحت حماس بهذا التصرف الأرعن باب الفتنة بينها وبين إخوانها من أهل السنة، وأنزلت حجب الشك والريبة بينهم، وأقامت ستار دمٍ لا يُسدل بينها وبين بقية الاتجاهات الإسلامية.

ونسأل: اين المرونة والتفاهم وقبول الآخر، واين الديموقراطية التي ارتضوها كمذهب سياسيٍ، ولا نقول أين الإخوة الإسلامية التي تحرّم دم المسلم على المسلم، وهل تعتقد حماس أنَ هذا الحلّ قد جعل سلطتها المحدودة أقوى وأركز؟ وهل عزرت من سيطرتها على القطاع؟ وهل قربت بينها وبين الصهاينة في غرض القضاء على "التطرف"؟ وماذا إذا شعر أهل القطاع بالخوف من مسلحي حماس وكمّموا أفواههم شفقة على أنفسهم، أيبعد موقفهم هذا عن موقف الأنظمة الغاشمة التي قمعت شعوبها باسم الحفاظ على الأمن والأمان؟

ثم، السؤال الأعم والأهم: ماذا نتوقع من الإخوان، إن قدر لهم الله سبحانه الوصول إلى السلطة، تجاه غيرهم من الإسلاميين ومن المخالفين؟ أم ترتعد له فرائص الإسلاميين قبل العلمانيين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



التكييف الشرعيّ

لمواقف الخزي العربيّ

تحدّثَتْ إلى نفسي أن لا أقْرُب هذا الموضوع الذي أنا بصدده، وأن أقنع بما قنعت به كثرة من الدعاة والعاملين في الحقل الإسلاميّ المخلصين لله ورسوله ودينه، بأن أصبغ على النظم العربية اسم الخيانة ووصف العمالة والتبعية والتواطؤ على مصلحة الشعوب، وما إلى ذلك من هذه الأوصاف التي لا تستند إلى كتاب أو سنة ومن ثم لا يتعلق بها عمل شرعيّ. قالت لي نفسي: وما عليك ألا تتبع هؤلاء الدعاة والعاملين في الحقل الإسلامي وكل محب للإسلام منهم في الرضا بهذا القدر، فأنت تعلم أن هذه الأنظمة العربية قد مدّت حدود قبولها للإهانة في الآونة الأخيرة على قدر جرمها وشناعة فعلها، فلن تكون عبرة بين الناس في هذه الأقوال، كما أنه إن خرجت على الناس بتوصيف شرعيّ مستند إلى الكتاب والسنة، فهل سيغير هذا من الأمر شيئاً، إلا أن تتعرض وأهلك للرصد ثم الحصد، وأنت تعاني بالفعل من جراء ذلك ما يعلمه الله سبحانه؟ لكن القلب والعقل ردّوا على نفسي مخاوفها وأوهامها، وذكروها بما يتعرض له أبناء غزة الأبطال، وابناء أفغانستان والعراق، ثم عادوا بها إلى ما مرت به صحابة رسول الله ﷺ، بل ما تعرض له هو ذاته، بأبي هو وأمي، في سبيل كلمة الحق، ثم قول الله تعالى "لتبيننه للناس ولا تكتمونه" فأبيت إلا أن أشارك بهذا القدر الضئيل من الإيضاح للموقف الحالي التي تمر به أمتنا.

والحق أن هذا الموقف الحاليّ ليس غريباً أو مفاجئاً بحال من الأحوال، بل هو تداعٍ منطقيّ لما حدث ويحدث على أرض العرب والإسلام منذ عقود طويلة، من هجر للشريعة واستبدال الشرع الوضعي الذي هو أدنى بحكم الله سبحانه الذى هو الخير كله، وما زالت أمم من الدعاة تلفت النظر إلى حقيقته الشرعية التي غفلت عنها أمم أخرى من الجماهات الإسلامية الكبرى، وسارت وراء مبررات تبعدها عن خيمة "التكفير" وكأن "الكفر والردة" لا يوجدان على سطح الأرض أو أنهما ليسا حكمين شرعيين من أحكام ديننا الحنيف!

على كل حال، فإن التكييف الشرعيّ لمن يحكم بغير ما أنزل الله تشريعا وتأصيلا، ويقدم حكم البشر على حكم الله راضيا راغبا غير مكره إكراها ملزماً، ثم يوالي من عادى الله ورسوله ولاء مناصرة ومظاهرة، ويدل على عورات المسلمين ويمنع عنهم العون في حربهم مع عدو الله وعدوهم، كما تفعل رؤوس هذه الأنظمة الحاكمة وأتباعهم ومعاونيهم، فقد خلع الربقة وخرج عن دين الإسلام جملة واستعلن بالردة والكفر.

ذلك أنّ توحيد الله سبحانه يقوم اساساً على إفراده بالعبادة دون غيره، والعبادة هي الخضوع والتذلل وقبول حكم الله في كل الأمر، لا في بعضه، كما حكى الحق تعالى عن حال المشركين بأنهم "يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض" وقال تعالى في سورة محمد: "إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم"، وقال تعالى "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون". كذلك فإن الولاء لله سبحانه ولرسوله وللمؤمنين هو الركن الثاني في إقامة التوحيد، ثم إقامة النسك والشعائر لله تعالى كالصلاة والزكاة والحج وغيرها من الشعائر التي تندرج تحت عنوان التوحيد.

قال تعالى في سورة الأنعام مقررا مباني توحيد العبادة – الحكم والولاء والنسك:

- "أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا" [لأنعام]
- قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا" [لأنعام]
- "قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا" [لأنعام]
- "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" [المائدة ٤٤]
- "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" [المائدة ٤٥]
- "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" [المائدة ٤٧]
- "وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ" [المائدة ٤٩].
- "أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ" [المائدة

٥٠].

- "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا" [النساء ٦٠].

- "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" [يوسف ٤٣].

- "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" [الأعراف ٥٤].

- "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" [النساء ٦٥].

- "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" [التوبة ٣١].

- "لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيئ إلا أن تتقوا منهم تقاة، ويحذركم الله نفسه" [آل عمران ٢٨].

- "الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا" [النساء ٧٦].

- "ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله" [النساء ٨٩].

- "الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أيبتغون عندهم العزة، فإن العزة لله جميعا" [النساء ١٣٩].

- "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين" [النساء

١٤٤].

- " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين" [المائدة ١٥١].

- "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أولياء" [المائدة ٥٧] .

- "ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء" [المائدة ٨١].

- "والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" [الأنفال ٧٣].

وأمر هذه المباني الثلاثة، التحاكم إلى شرع الله سبحانه والولاء لله سبحانه، والتوجه بالنسك والشعائر لله سبحانه (كالصلاة والصيام وغيرهما من الشعائر) هو أمر التوحيد الذي تنتشر دلالاته في القرآن من أوله إلى آخره. ولا يقول قائل: من أين أتيتم بهذه التقاسيم التي ما أنزل الله بها من سلطان؟ فنقول: الأمر ليس أمر تقسيم متعسف، وانما أمر إحصاء واستقصاء، فهذه المعاني الثلاثة لا ينقض عمومها ولا دلالتها على التوحيد مسلم باق على إسلامه. وهي منتشرة مقررة بما يجعلها قاعدة القواعد وأصل الأصول. والقواعد العامة تتقرر بطريقين كما بيّن الشاطبيّ رحمه الله:

١. النصوص إذا وردت، كما في:

- الجمع المعروف بأل: كقوله تعالى: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله"

- الجمع المُعرف بالإضافة: كقوله تعالى: "للذكر مثل حظ الأنثيين"

- ألفاظ الشرط: كقوله تعالى: "فمن شهد منكم الشهر فليصمه"

- الأسماء الموصولة: كقوله تعالى: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً"

- النكرة في سياق النفي: كقوله تعالى: "لا يسخر قومٌ من قوم"

- النكرة في سياق الشرط: كقوله تعالى: "إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا".

- ما سبق بلفظ كل: كقوله تعالى: "كل امرئ بما كسب رهين" وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام). وغير ذلك من الصيغ المذكورة بمواضعها.

والجمهور على أن للعموم صيغ مُعتبرة، وأنك تستطيع أن تعبر عن معنى عام بلفظ معين، وخالفِ المُرجِئة وأكثر الأشاعرة، فلم يجعلوا للعموم صيغ إلا بالقرائن والحُجة قائمة عليهم لغة وشرعا. كقوله صلى الله عليه وآله وسلم وإقراره لعمرو بن العاص في موضوع التيمم: {ولا تقتلوا أنفسكم}.

استقراء مواقع المعنى حتى يحصل منها معنى كليّ عام يجرى مجرى الصيغ في العموم. والحق كما بيّن الشاطبي أنّ هذا الطريق لإثبات العموم أقوى من مجرد الصيغ إن وردت، رغم أنّ النظر العابر القاصر قد لا يرى ذلك، إذ إن استقراء المعنى في مواضع عدّة وجزئيات متكررة أقوى من وروده في صيغة واحدة وجزئية فردة. وهذا هو موضع القوة في الإجماع وفي التواتر، ولذلك يطلق عليه العلماء التواتر المعنوي. وهذا المعنى قد غاب عن هؤلاء الأدعياء ممن لا يرى الشريعة إلا جزئيات مفتتة لا يربطها رابط، فتراه يعرج على الأدلة واحداً واحداً يفندها بما يراه حقاً ولا يرى ما في تواترها على معنى واحد من قوة. وهو موضع الدليل في قضية الحكم بغير ما أنزل الله. فتواتر الآيات على أن الحكم لله وحده وأن الولاء لله وحده وأن الشعائر والنسك هي لله وحده يجعلها أصل الأصول ويرفعها للتواتر المعنوي وإن جهد جاهد أن يتحايل على مفرداتها بسبب نزول أو مماحكة لغوية.

وقد حلت هذه الكارثة بالعالم الإسلامي في مدخل القرن العشرين بسقوط الخلافة،

مما أفقد المسلمين "الدولة المحورية" [١] التي يجتمع حولها جهد الأمة وإمكاناتها، والتي لم تواجهها الأمة في تاريخها إلا لفترة محدودة أيام غزو التتار للعالم الإسلامي.

ودون الدخول في تفصيل وقع هذا الحدث وآثاره على الأمة، فقد كان من نتيجته ووسائل مقاومته إحياء المبدأ الشرعي "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" بعد أن انعدمت السلطة المركزية التي تحميه وتقيمه، فنشأ ما عرِف بالجماعات الإسلامية، وهو ما يعيد للذاكرة حركات مماثلة كحركة خالد الدريوش وصالح بن سلامة الأنصاري في بغداد عشية مقتل الأمين العباسي وعهد تولى المأمون العباسي للخلافة [٢]. ومن هذه الجماعات "الإخوان المسلمون" في مصر و"الجماعة الإسلامية" في باكستان.

وسرعان ما اكتشفت هذه الحركات، أو ما خرج من تحت عباءتها [٣] أن الخلل ليس فقط في عدم وجود الدولة المحورية أو فقدان وظيفة "الإمامة العظمى" كما يطلق عليها فقهاء الإسلام، وإنما في أن البلاد قد وقعت تدريجيا تحت حكم "لا ديني" علماني [٤] ينحّي شريعة الله عن الحكم في أمور الناس بعد أن مهد لتقبل هذا الأمر ذلك الغزو الثقافي الاجتماعي الغربي في واقعهم.

وكان من نتيجة ذلك أن اختلطت على الناس أحكام الفقه وأحكام فقه الواقع اللذان يحكمان الفتوى بوجه عام وفقه هذا الأمر بوجه خاص.

ولابد هنا من الإشارة إلى نقطة تتعلق بالشكل السياسي قد أغفلها الكتّاب والمحللّون فيما تناولوه بشأن حكم "الخلفاء" في العصور المختلفة وطرق الحكم في العصر الحديث، مما يبيّن الفرق بين مناطيّ الحكمين بشكل لا يدع مجالا للخلط بينهما. وهذه النقطة تكمن في فهم طريقة "تطبيق الشريعة" خلال العصور السابقة لسقوط الخلافة، وهي التسليم العملي لفتاوى و"قرارات" الفقهاء والمجتهدين والعلماء. لم يكن هناك "قانون" مدون أو "دستور" ينصّ على أن الشريعة هي المرجع الأوحد للأحكام، وإنما هو

---

[١] راجع دور الدولة المحورية في كتاب "صراع الحضارات" صمويل هانتجتون ص ٢٠٧.

[٢] راجع "تاريخ الدولة العباسية للشيخ الخضري ص١٩١.

[٣] راجع مقالنا "الإخوان المسلمون في نصف قرن" المنار الجديد عدد ١١.

[٤] تعبير العلمانية يتطابق مع "اللادينية" لا مع العلم كما هو معلوم

فهم التوحيد وحدوده ومبادئه التي تملي على الخليفة وعلى الشعوب المسلمة أن يستسلما لحكم الشرع كما يصدر عن العلماء والفقهاء. ومن ثمّ فإن الخليفة "الحاكم" إن أراد أن يتخطى حكم الشرع فإنه يصدر قرارا "تنفيذيا" بعمل ما يريد دون أن يكون لذلك العمل سند "تشريعي" من السلطة التشريعية المتمثلة في العلماء والفقهاء. فالقانون المدّون كان هو الفقه وموسوعاته وإن لم يطلق عليه لفظ القانون، فكان تجاوزه والخروج عليه خروج عن "القانون".

ولمزيد إيضاح هذه النقطة، فإن النظر في تطور ظهور القوانين المدونة خلال القرن التالي لغزو نابليون لمصر حيث أدى الغزو لتبنى سياسة "التحديث" بجلب المستشارين، وأكثرهم من المستشرقين، في كافة المجالات لتطوير الدولة بما في ذلك القانون. وقد كانت الدول التي تصدّر هؤلاء "الخبراء" من القوة بحيث فرضت أن لا يتبع مواطنوها تشريعات الدولة المصرية فكان أن نشأت المحاكم المختلطة، وكان أن صدرت مجلة "الأحكام العدلية" والتي بدأ فيها تدوين القانون وتقسيمه إلى مدني وجنائي وغير ذلك متابعة لشكل القوانين الأوروبية. ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى، وبعد سقوط الخلافة، كانت سلطة الدولة قد ضعفت إلى أقصى حدّ وبدأ الناس في اللجوء إلى المحاكم المختلطة وبحلول منتصف الخمسينيات من القرن العشرين صارت المحاكم المختلطة هي المتصرفة في أمور المسلمين وألغيت المحاكم الشرعية بالكلية.

ومن الواضح الجليّ أن شرع الله كان هو المتحكم في حياة المسلمين حاكما ومحكوما برغم اقتراف بعض الحكام انحرافات "تنفيذية" لا "تشريعية" قد صنّفها أهل السنة والجماعة لهذا السبب ذاته على أنها "معاصي" و"ذنوب" لا تخرج حاكما ولا محكوما من الملّة. إلا أن الأمر كما رأينا تطوره التاريخيّ قد تحول إلى تنحية كاملة "مقننة" للشريعة الإسلامية عن برامج حياة المسلمين وهو ما يمثل "مناطا" مختلفا أشدّ الاختلاف عما كان عليه الأمر سابقا. ولا شك أن العجز عن التفرقة بين المناطين يؤدي إلى خلط شديد في الأوراق وغبش في تقدير حقيقة الأوضاع السالفة القائمة جميعا.

لا شك أن المسلمين ممن يخشون الله ورسوله، ودع عنك من رضي منهم بالحياة الدنيا واطمأن بها، قد استبانت لهم طريق الخلاص من هذا الخوان والاستعمار الذي يعيش فيه المسلمون في بلادهم، فإن العدو الحقيقي هو هذه النظم العربية الخارجة عن الشرعية الإسلامية خاصة منها التي تجاور الشعب الفلسطيني الباسل،

بعد أن أفصحوا عن كل الولاء والمظاهرة والنصرة للصهاينة بل ألبوهم عليهم وعملوا على تجويعهم ومنع الماء والدواء والسلاح عنهم، فليس بعد هذا من نصرة ومظاهرة للمشركين. كما أن محمود عباس ميرزا وعصابته قد دلوا اليهود على مواقع حماس، وهو كشف لعورات المسلمين يدل على الكفر كما ورد في قصة الصحابي حاطب بن أبي بلتعة، الذي أراد عمر أن يقطع رأسه لأنه حذر المشركين من أن يخالفوا عن أمر محمد ﷺ لأن ذلك سيكون حسرة عليهم إذ إن رسول الله متوجه اليهم بجنود لا قبل لهم بها، فكان هذا التحذير محل التكفير ومدعاة للقتل، لولا أن رسول الله ﷺ أخبر عن ربه أن أهل بدر ومنهم حاطب، قد غفر الله لهم، ولا نعلم أن محمود عباس ميرزا من أهل بدر حتى يلحقه هذا الاستثناء من الكفر.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى






التهدئة والمفاوضة والمصالحة ..

في الواقع الفلسطينيّ




التهدئة والمفاوضة والمصالحة - (١)

يتحدث كثير من كتّابنا و"مفكّرينا" عن ضرورة الارتفاع فوق الخلافات الشخصية وفوق جراح الماضي بين الإخوة الفلسطينيين، حتى يمكن أن تعود المياه إلى مجاريها ويقف الفلسطينيون يداً واحدة ضد العدو الصهيوني.

حديث تتقبله النفس ويدغدغ العاطفة ولكنه لا يرقي إلى مستوى العقل ولا يلامس أرض الواقع بحال من الأحوال. والسبب في هذا أن كتّابنا و "مفكّرينا"، الذين يتحدثون هذا الحديث، إما إنهم لا يعرفون طبيعة الخلاف بين سلطة رام الله العباسية، وبين حكومة غزة الحماسية، أو يتجاهلون طبيعة هذا الخلاف لأمرٍ في نفس يعقوب (مع الاعتذار لنبي الله يعقوب).

وحتى أُقرب الأمور للقارئ العزيز، فإنني أقرر بداية بأن الخلاف في الساحة الفلسطينية-الإسرائيلية هو خلاف بين ثلاثة جبهات، الجبهة الإسرائيلية اليهودية، والجبهة الفلسطينية العلمانية اللادينية، والجبهة الفلسطينية الإسلامية.

فالجبهة الإسرائيلية اليهودية تتحدث عن "**تهدئة**" مع "الجبهة الفلسطينية الإسلامية" بقيادة حماس، وتتحدث عن "**مفاوضات**" مع "الجبهة الفلسطينية العلمانية اللادينية" بقيادة فتح العباسية، وهذه الأخيرة تتحدث عن "**مصالحة**" مع "الجبهة الفلسطينية الإسلامية" بقيادة حماس!

ثم أقرر كذلك أنّ الخلاف بين هذه الجبهات الثلاث متساو في عمقه واتساعه وأبعاده الأيديولوجية. "فالمصالحة" بين الجبهة اللادينية الفلسطينية وبين الجبهة الفلسطينية الإسلامية ليس بأقرب تحققاً على أرض الواقع من "التهدئة" بين الكيان الإسرائيلي وبين هذه الجبهة الأخيرة. بل أزعم أن تلك التهدئة هي أقرب للواقع من تلك المصالحة الحالمة، وهو ما ظهر إبان العدوان على غزة المسلمة من تعاون القوى اللادينية في كافة أنحاء بلاد المسلمين وعلى رأسها الجبهة الفلسطينية اللادينية ضد غزة.

ذلك أنّ الكيان الصهيونيّ – رغم جبنه وخداعة – إلا أنه كيان قائم فرض نفسه بالقوة، وعليه أن يراعي مصالح شعبه، فلا باس عليه أن يبرم تهدئة مع المقاومة

الفلسطينية الإسلامية، لكن الجبهة الفلسطينية العلمانية اللادينية هي بطبيعتها وجود ضعيف يحاول أن يجد لنفسه مكاناً على الساحة الحاكمة، بمساعدة النسبة التي تناصره من الفلسطينيين الذين اتخذوا العلمانية سبيلا. وبنفس المنطق، فإن "المفاوضات" بين اللادينيين الفلسطينيين وبين اليهود الصهاينة أقرب للواقع وأسهل تحققا من "المصالحة" بين الإسلاميين وبين اللادينيين. والحق أن الجبهة اللادينية الفلسطينية لا طلبات لها من العدو الفلسطينيّ أكثر من كلمات تحفظ بها ماء وجهها أمام بعض من ظل يحسب أن لها كرامة ووطنية من أتباعها من الفلسطينيين ممن تخلوا عن الإسلام ورضوا بالوطنية اللادينية بديلا، وهو ما يفسر خروج عباس يوم أمس باشتراط وقف الاستيطان لبدء "المفاوضات"! حركة سياسية يراد بها إثبات أن هذه الجبهة اللادينية لا تزال على قيد الحياة، وأن "المفاوضة" حقيقة واقعة كما أن "التهدئة" حقيقة واقعة.

كلّ من يعرف الفارق بين الأيديولوجية اللادينية التي تسعى لبناء حكومة عميلة أخرى على نهج الحكومات الخاسرة العميلة التي تعج بها المنطقة العربية، وبين الأيديولوجية الإسلامية التي تتبع نهج الله ورسوله، وتحاول أن تبني شعباً ودولة ذات قوة وكرامة يعلم أن ليس هناك أي قدر مشترك بين الجبهتين، لا مصالحة، ولا قواسم مشتركة، ولا رتق للانقسام، فالأمر أكبر من ذلك. الأمر أن لا مرجع مشترك بينهما، جبهة لادينية مرجعها هو المصلحة الشخصية وعالمها هو الدنيا وهدفها هو السلطة والبقاء على سدة الحكم، وجبهة مرجها هو شرع الله ورسوله، وعالمها يشمل الدنيا كطريق للآخرة، وهدفها سيادة دين الله في الأرض وصالح أبنائها من المسلمين.

هذا الفارق الهائل – لمن لم يلحظ من مفكرينا وكتابنا – هو ذات الفارق الذي تعاني منه الدول الإسلامية الأخرى التي لا يزال كثير من أبنائها على ولائه وحبه للإسلام، وإن عزف الكثير عن الإسلام الذي يحكم الحياة ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة، وكانوا – من حيث يعلمون أو لا يعلمون – اليد الباطشة للجبهة اللادينية الأوسع في أنحاء العالم الإسلاميّ.

التهدئة والمفاوضة والمصالحة - (2)

الطابور الخامس

قررنا فيما سبق الأطراف الثلاثة الذين تجري بينها المصالحة والمفاوضة والتهدئة، حسب موقع كل منهم من الآخر. ولكن يجب علينا بعد هذا البيان أن نوجه كلمة خاصة نهمس بها في آذان قيادات حماس، فإن صديقك من صَدَقَكَ لا من أغمض عن هفواتك وأخطائك. وحماس اليوم في موقع صعب بكل ما تحمله الكلمة من معان، فالأطراف المتصارعة معها أقوي إما بالعتاد والسيطرة على الأرض والموارد، وإما بالخيانة والقدرة على التلاعب بمقدرات المسلمين للوصول إلى سدة الحكم ولو كانت أطلالا بلقعا خرابا.

وما نهمس به في آذان قيادات حماس هو تساؤل عن ذلك الموقف الغامض من إيران ، وما أدراك ما إيران؟ ماذا وراء تلك الزيارات التي يقوم بها كبار مسؤولي حماس إلى إيران؟ ما هو مدي تغلغل النفوذ الرافضي في المصالح الفلسطينية؟ وما هي طبيعة الوعود التي قطعتها إيران لحماس، وفي مقابل ماذا؟ وهي علاقة لا نحسب أنها موهومة خاصة إذا قرنّاها بموقف الإخوان في مصر من المدّ الرافضيّ

أسئلة تحتاج إلى إجابة، نحن على يقين من أننا لن نحصل عليها في القريب العاجل لأمر أو لآخر، ولكن ما يجب علينا أن نحذّر حماس وقياداتها من تداعياته هو التعامل مع الرافضة أو إقامة تحالفات معهم تكون بمثابة حصان طروادة الذي يَلِجون منه إلى قلب الأمة السنيّة، أو طابوراً خامساً يعبث بعقيدة الأمة وثوابتها، وهو مخططهم ما بقي فيهم عرق ينبض، وهو ما رأينا آثاره في العالم السنيّ مؤخراً وما حذر منه عقلاء هذه الأمة العارفين بتاريخ الرافضة وخساسة أهدافهم.

نعم، خذلت المجموعة العربية الحاكمة غزة في أحلك المواقف، وغلّت يدها عن مساعدة المسلمين، بل وبسطت يد العون إلى الصهاينة ضد مسلمي غزة وقطعت عنهم، ولا تزال، الدواء والغذاء والكساء بما يعرفه الجميع، ومما لا داع لتكراره لما

يجلب من اشمئزاز النفس وإحباطها، كما تمالأت القوي العلمانية الفلسطينية على إخوانها وعشيرتها وأبناء جلدتها لتسقط الحكومة الوحيدة المنتخبة ديموقراطيا في الساحة العربية التي تعج بالفساد والطغيان والانحطاط.

ولكن الأمر أن اليد التي تمدها إيران في هذا الموقف المظلم ليست يد العون والحماية بل هي يد الغبن والنكاية، وما موقفهم من سنيّ طالبان ببعيد. والرافضة لم ولن يخلصوا لسنيّ ابداً مهما كان الأمر، خذوها مني صريحة صحيحة. إنما هي إستراتيجيات يتحركون بها في العالم السنيّ لنشر أحابيلهم وباطلهم، ولو استطاعوا لسحقوا الوجود السنيّ بكامله بما فيه حماس وقياداتها. فهؤلاء لا عهد لهم ولا أيمان، وهم يتلفعون برداء الإسلام ليدسوا من تحته السمّ في الدسم، إن كان فيما يقدمونه دسم ابتداء!

قد يكون التحرك "الحماسيّ" تجاه الرافضة من قبيل الحيلة السياسية لتخويف الحكومات العربية من إن رفع أيديهم عن الوضع المخزيّ في غزة سيكون من جرّائه لجوء أولئك إلى الحضن الرافضيّ، وجلب القوي الإيرانية إلى الجوار العربيّ، مما يحفز هذه الدول على استمرار الجلوس على طاولة المفاوضات مع حماس. وهو تحليل غير مستبعد، ولكنه كذلك محفوف بالمخاطر لما ذكرنا من أن اليد الرافضية في هذا السيناريو هي العليا، وسيتقبل الرافضة أي كسب على أرض السنّة بأقل ما يمكنها أن تبذل في سبيله.

الأمر هنا، كما سبق أن ذكرنا وحذرنا، هو أمر عقيدة قبل كلّ شيء وبعد كلّ شيء، والبعد السياسيّ يجب أن يخضع للمنظور العقديّ دائما وعلى كلّ حال. ونسيان هذا البعد، أو تهميشه أو تطويعه لغيره ليس أولا من منهج أهل السنة بحال، كما لا ينشأ عنه خير ولا نجاح، وما تجربة الإخوان منا ببعيد!

فالحذر الحذر، يا إخوة الإسلام والجهاد في حماس، من طابور خامس ينخر في الجسد السنيّ الذي اهترأ أصلا من كثرة الفساد الذي يشيع بأنحائه، والله وحده المستعان فهو نعم المولي ونعم النصير.




الواقع الفلسطينيّ

في ضوء المؤتمر السادس لحركة فتح




لم تكن النتائج التي تمخض عنها الاجتماع السادس لمركزية فتح مفاجأة لأحد، خاصة بعد أن سبقت ذلك المؤتمر تزكية محمود عباس لرئاستها، إذ بذلك تكرّس الاتجاه الذي يرضى - بل ويساعد – السيطرة اليهودية الكاملة دون مقاومة بأي شكل من إشكالها، إلا تلك الكلمات المزوقة الملفقة التي تتحدث عن الثورية والتحرر دون ذكر المقاومة بمعناها العرفيّ واللغويّ، التي تعني المقاومة المسلحة، ولا حتى التهديد بها! ثم جاءت النتائج لتؤكد هذا المصير بانتخاب محمد دحلان – العميل اليهودي المعروف – كعضو في المركزية! ولسنا بحاجة إلى القول أن لجنة مركزية تجمع عباس ودحلان لا تحتاج كثير جهد لمعرفة اتجاهها دون اللجوء إلى اية بوصلة سياسية!

ويلزم لتقيّم الموقف الفلسطينيّ الراهن أن نأخذ بعين الاعتبار تلك التصريحات الأخيرة التي أطلقها عضو فتح فاروق القدوميّ، صاحب التاريخ الطويل في هذه المنظمة كرئيس دائرتها السياسية، في يوليو الماضي، عن مؤامرة دحلان وعباس مع السلطات الإسرائيلية لاغتيال عرفات لتمرير الأجندة الحالية والتي تقضي بإنهاء خط المقاومة بشكلٍ نهائيّ وتكريس الاستسلام للمخطط الإسرائيليّ الذي أعلن رفض التفاوض سلفاً! فإن هذه التصريحات تتفق اتفاقا تاماً مع أي تحليل منطقيّ للواقع الفتحاوي الحاليّ، وتحمل في طياتها دليل صحتها.

ورغم أن منظمة فتح لم يكن لها توجه إسلاميّ في يوم من الأيام، بل، كما هو معروف، قد بني هيكلها على العلمانية اللادينية منذ تأسيسها، إلا أنها كانت، في عهد عرفات، لا تزال تسير بوقود الدفعة الأولي التي تأسست عليها، وهي المقاومة والتحرير، والتي كانت هي المسوّغ الوحيد لوجودها أصلاً، وهو الأساس الذي كان من الصعب على عرفات أن يحيد عنه حيدة تامة، لأنه رأي أنّ ذلك سيفقده ويفقد الحركة سبب وجودا وبقائها، فكان من اللازم أن يختفي عرفات من الصورة، وأن يتولى من هم أدني إنسانية وأعرق خيانة لإنهاء حالة الصراع الفلسطيني الصهيوني بالاستسلام الكامل التام وغير المشروط لأجندة الصهيونية باستعباد الفلسطينيين في أرضهم، وتحويلهم إلى قوى عاملة لصالح اليهود حتى يتم

القضاء عليهم جملة واحدة. وهي المؤامرة التي وقفت حركت حماس واستقلالها بغزة في سبيل تحقيقها بالسرعة والتعتيم المطلوبين. وكان قرار عقد المؤتمر دون حضور ربع اعضائه دليلا على التصميم على المضي في المؤامرة مهما كان الثمن من ناحية، وأنّ عقد هذا المؤتمر كان هو الحلّ الوحيد لتجاهل وجود حركة حماس وتأثيرها في الأحداث من ناحية أخرى.

والأمر الآن هو القوى التي تراهن عليه مجموعة عباس ودحلان لتمرير برنامجها، وهي تتركز في القيادات الفلسطينية اللادينية والعميلة، ومن وراء هذه القيادات قوى شعبية منها من هو مخدوع واهم، أو آمل حالم، ومنها من هو متسلق نفعيّ يرجو تحقيق كسب ماديّ. كذلك الرهان على القوى الصهيونية التي تعرف توجهات هذه المجموعة وتراهن بدورها عليها في عدم منح الفلسطينيين أي حقوق ضائعة سواء حق العودة أو القدس الشرقية التي رفضهما العدو الصهيوني رفضاً قاطعاً، وهو ما يعزز فكرة أنّ المجموعة العباسية الدحلانية قد رضيت بهذا التنازل فعلا، أو حتى وقف الاستيطان ومبدأ نزع الأرض الفلسطينية التي هي الورقة الأخيرة في سلسلة التنازلات التي يركز عليها العدو عمداً لتكون محوراً أحادياً لما يسميه المفاوضات.

خلاصة القول أنّ الوضع الفلسطينيّ لم يكن أضعف ولا أبعد عن التأثير في الحلّ منه في هذه المرحلة، والسبب في هذا ليس قوة حدثت في العدو الصهيونيّ، بل بسبب الخيانة والعمالة، وأساساً بسبب كراهة هذه المجموعة العلمانية للإسلام الذي هو الأيديولوجية الوحيدة التي يمكن أن تقف في وجه الأيديولوجية اليهودية الصهيونية الصليبية التي تريد بأهله السوء والدمار، فالدولة الدينية لا يقف في وجهها إلا دولة تقوم على العقيدة التي تحمى الأخلاق وتفضح الخيانة وتكشف العمالة. ولم يعد أمام الأحرار من الفلسطينيين، بعد خروج العرب تماماً من معادلة المقاومة، إلا الحفاظ على إسلامية غزة وتطويرها ومساعدتها على تجاوز محن الانشقاقات الجانبية بين الإخوة الأشقاء في الإسلام للوقوف في وجه الاختراق العباسيّ الدحلانيّ.



الفكر والعلم - اجتماعا وافتراقا

لمس الأخ الأستاذ إبراهيم العسعس، في مقاله عن "منتدى المفكرين المسلمين" المزمع إنشاؤه في المستقبل القريب، أمراً على قدر عظيم من الأهمية والحساسية، لمّا تحدث عن "المفكر" في مقابل "العالم" أو "طالب العلم". وهو موضوع تتشعب أصوله وتمتد فروعه إلى ما يشيع في وسطنا العلميّ والثقافيّ من اضطراب سرى اليه من تلك الفوضى الشائعة في جوانب حياتنا العامة. والأمر الذي نريد أن نتلمس اليه سبيلا في هذه الكلمات، هو واحد من العديد مما يجب أن تتناوله اقلام القادرين من الطائفتين، أنْ: هل هناك حدّ فاصل بين الفكر والعلم، حتى يمكن أن تنشأ طائفتين متباينتين هما "المفكر" و"العالم"؟!

الفكر - كوظيفة عقلية محضة - لا ينشأ إلا من خلال قاعدة علمية راسخة هي مادة هذا الفكر وخامته التي لا يظهر إلا من خلالها. وهذا يستلزم بالضرورة القراءة الواعية الدارسة، في مجالات متعددة تحظى في عصرها باهتمام العقل، ثم بالقراءة المتخصصة المتعمقة في مجال أو أكثر من هذه المجالات المتعددة. من هذه القاعدة العلمية الرصينة - إن صحّت واستقامت - لا بد أن ينشأ نتاج علميّ بحت في دائرة التخصص يعكس قدرة العالم -أو إن شئت طالب العلم - على العطاء العقليّ في مجال تخصصه، كما يعكس هضمه لحقائق العلم ومبادئه. وبدون هذا النتاج، ومن غير أن تظهر بصمات "طالب العلم" أبحاثاً يُشهد لها بالجدّة والأصالة، فلا مجال للحديث عن فكر أو علم. القدرة على إفراز المادة التي تُغنى الحياة العلمية أولا، وتقدم المادة المُجَدِّدَة للفكر ثانياً، هي الدليل الأول على قدرة العالم، ومن ثمّ على أصالة المفكر، إذ إن الفكر - حين ينشأ عن هذا المثال من رجال العلم، هو فكر جادّ متألق مفيد، وإلا فلا فكر.

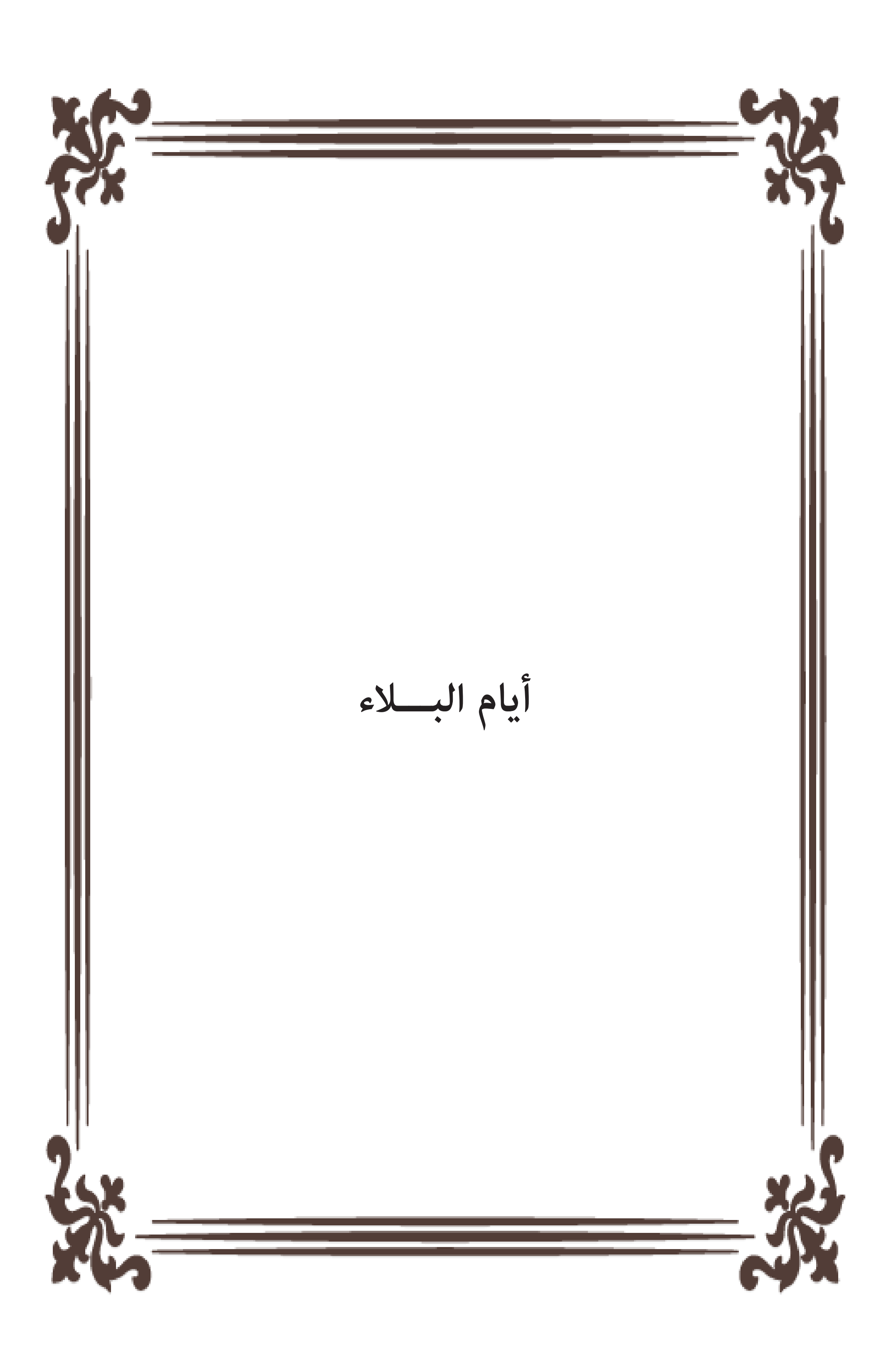
نرى من هذا أنّ العملية الفكرية تبدأ بعموم الاطلاع في كافة المجالات، ثم بخصوص البحث في مجال أو مجالين يفرض فيه الباحث نفسه من خلال إنتاجه، ثم إلى العموم مرة أخرى حين يسرح عقل العالم فيما يمكن أن يكون نافعاً لأمته تطبيقياً، أو أن يُقدّم مادة فكرية ينشأ عنها علم نافع من الناحية النظرية. عموم فخصوص فعموم.

المفكر – إذا، فيما نرى – لا يوجد حقيقة إلا كمرحلة متقدمة من مراحل العالم - أو إن شئت طالب العلم. يمكن أن يكون مسمى "المفكر" قد شاع وابتُذل – كما ابتذلت الفاظ ومعان كثيرة في الفوضى الفكرية والعلمية والاجتماعية التي تعيشها أمتنا، ولكن "المفكر" هو في خصوصيته لا يمكن أن "يفكر" إلا فيما حصّل من علم صحيح. أما التشنجات العقلية والإفرازات الذهنية التي لا تصدر عن مثل هذا التسلسل، إن هي إلا خداعٌ ساقط، وهزلٌ ممقوت، ونتاجٌ عقيم. الفكر "البحت" دون نتاج علميّ موثق مثله كمثل الكتابة بالعامية التي لا يلجأ اليها إلا العاجز عن الفصحى، وهو انعكاس جيل فقد الكبار وتحدث فيه الرويبضة.

ونظرة إلى تاريخ الفكر والعلم في أمتنا تنبئ عن صحة ما قصدنا اليه من أنه لا فرق بين العالم والمفكرّ إلا في درجة البحث وعمومه.

فالعقاد العالم الموسوعيّ، ومحمد محمد حسين الأديب المؤرخ، وأحمد شاكر المحدّث الأديب، ومحمود شاكر الأديب المؤرخ صاحب الحديث، مصطفى صادق الرافعيّ الأديب المفكر، وسيد قطب الناقد الأديب المفسّر، وغيرهم فما ذكرنا إلا قطرة من بحر زاخر، حتى في الاتجاه العلمانيّ يصدق قولنا كما نرى عند زكي نجيب محمود الفيلسوف الوضعيّ المفكر.

إذن، فلا مجال لفكر بلا علم، ولا نتاج لعلم بلا فكر، وكلاهما يصدران عن عملية ذهنية واحدة كما رأينا، لا وجود لأحدهما دون الآخر، ومن ادعى الفكر دون علم ونتاج ينبئ عنه، كلابس ثوبي زور.



أيام البـــلاء

يحير الكاتب فيما يكتب في هذه ايام البلاء هذه، فأينما وجه فثمّ مشكلات ومآسي وحروب وقتل وسفك لدماء المسلمين ونهب لثرواتهم والاعتداء على دينهم وقيمهم وأبضاعهم وأبشارهم، وتحكم في مصائرهم لم تسبق له سابقة.

إذا نظرت إلى فلسطين، وجدت الخزي العربيّ متجسد بأحط درجاته، حيث الحكومات العربية العلمانية أحكمت الحصار على الفلسطينيين أسوة باليهود بل اشد وطأة منهم، ثم إذا بالمحادثات عما يسمى "المصالحة" تتعثر لا لشي إلا لأن الغرب يجب أن يأخذ الموافقة من واشنطن على شكل الحكومة المقترحة، ويسافر وزير الخارجية المصريّ ليستجدي حلا ترضى عنه اليهود والنصارى! وأبناءنا في فلسطين تحت الحصار، ورفح مغلقة بأيدي كفار النظام، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإذا وجهنا النظر إلى العراق، وجدنا النظام الصفوي المجوسي صاحب اليد العليا في تلك البلد، وهو لا يأبه للتغلغل الصهيونيّ، بل هو يباركه ويساعده ويغض الطرف عنه، وما سمعنا أحد في حكومة المالكيّ يحذر أو حتي يشير إلى هذا التغلغل، ولكن الأهم لهم هو السيطرة على أهل السنة والقضاء على وجودهم تدريجيا، إن استطاعوا. والأمريكان يتخبطون في الورطة التي أوقعهم فيها بوش المجرم، كيف السبيل إلى الخلاص منها. وهم يعلمون أن السبيل الوحيد لذلك هو ترك الأمر كله تحت سيطرة الفرس الإيرانيين، وهو ما لا يريدونه حتى لا تتفرد إيران بالتحكم في بترول العراق والسعودية والإمارات جميعا. وأهل السنة في هذا الخضم ليس لهم معين إلا الله سبحانه بعد أن رفعت الحكومات العربية العلمانية يدها عن مساعدتهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم إلى الصومال، حيث الفتنة قائمة بين إخوة الأمس، يعلم الله ما وراء شيخ شريف وما هي حدود "اتفاقاته" مع الغرب، ولكن شباب المجاهدين لم يتيحوا فرصة للرجل ليبين خططه ونواياه، وكان أن استمرت بحور الدم تماما كأيام الاحتلال الأثيوبيّ. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم باكستان، وما أدراك ما باكستان! فالخطة الصليبية الأمريكية تهدف عامة إلى

هدم هذا البلد وتمزيقه، والقضاء على قوته النووية التي ترعب الصهاينة ولا شك، ويساندها في ذلك قادتها العلمانيون ممن لا دين لهم، مشرف من قبل، وزرداري[١] من بعد، وما أحدهما بأفضل من صاحبه. وتتربص بهم الهند بإيعاز من الأمريكان. وتتكالب قوى العلمانية الداخلية لتزيد النار أجيجاً ولتعمل على استئصال شأفة الإسلام من هذا البلد الذي ولد باسم الإسلام، ولا يستمد شرعية بقائه وانفصاله عن الهند إلا بإسلامه. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم إن عدنا إلى منطقتنا العربية، فحدث ولا حرج عن البلاء! فمصر قد استسلمت لمصيرها تحت الأسرة المباركية وتنتظر تعيين مبارك الثاني، بمباركة أمريكا، والأسرة المباركية هم طغمة من العلمانيين أعداء الإسلام والدين، وأعداء الحرية والتقدم، لا ولاء لهم إلا لحساباتهم الخاصة واستثماراتهم، ومن ثم لمن يسمون "رجال الأعمال" من منافقين ونصابين قد امتلأت بأخبارهم الصحف، ولكن المصري العاميّ لا يوجد على خريطة اهتمام هذه الطغمة بأي حال من الأحوال، ومن هذا المنطلق يمكن أن تفسر ما يحدث في نقابة المحامين، والقضاة، وفضيحة رخ التي كشفت ما كان قد بقي من قناع يتلحفون به تحت ستار أسماء مسلمة، وبان كفرهم بالله ورسوله وولائهم المطلق لليهود والنصارى.

ومثل ذلك في بقية ما يسمى بالحكومات العربية، التي لا يفرقها عن الحكومات الغربية إلا "نقطة" فوق العين! نحسبها دمعة مظلوم ألحقتهم باليهود والنصارى. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

[١] (آصف زرداري) هو رئيس باكستان السابق.



لا وقت للخوف .. قبل التنصيب

الظاهر من أمر السياسة المصرية، وإن كان أمراً لا تزال تفزع فيه آمال الكثير منا إلى الكذب والإنكار، أنّ السيد جمال مبارك هو القائد التالي لشعب مصر إلى ما شاء الله لهذا الشعب من مصير، أدركنا بعضه في الثمانية والعشرين عاما السالفة، وسنصل إلى غايته تحت حكم السيد جمال في القريب العاجل. إذ لستُ ممن يتلاعب به خياله أو تصرفه عن الواقع أمانيه وأحلامه، فهذا الأمر، كما هو ظاهر لذي العينين، في رأيي المتواضع، قدر زاحف على أمتنا بما قدمت أيدينا.

والأمر هنا أنّه في اللحظة التي يتولى فيها السيد جمال منصب الرئاسة تخلع عليه بقدرة قادرٍ حصانة طوطمية وحماية علوية سحرية تجعل القلم يرتعش في يد حامله إن أراد به نقداً فلا يملك إلا أن يلقيه من يده مستعيذا بالله من شر ما كاد أن يقترفّ. وتُجعل الفكرة الفاحصة المخلصة، بشأن قوله أو فعله، تضطرب في عقل صاحبها حتى تطرد من عقله بلا رجعة. ولكنه الواقع الذي تعيشه الجماهير العربية المسلمة على كلّ أرض عربية مسلمة. ومن ثم، فإنه يجب على أصحاب الأقلام والكتّاب من المخلصين، من القلة الذين تبقوا منهم على أرض الكنانة، أن يهتبلوا هذه الفرصة ويغتنموا فترة ما قبل التنصيب (من النصب!)، ويظهروا ما للسيد جمال من مساوئ أو حسنات

فجمال مبارك مواطن من بقية مواطني مصر، ليس من عائلة ملكية، ولا شبه ملكية، بل هو امرئ عادي من هذا الشعب لا أكثر ولا أقل. من هذه الناحية فإن الحديث عنه لا يجب أن يجد أحد فيه حرج أو عنت. جمال مبارك، وإن كان من أهل السياسة الذين وصلوا إلى عروشها من أقصر الطرق، يبقى من أهل السياسة الذين يجب أن يكونوا تحت مراقاب الشعب في كافة أحوالهم وأقوالهم، فتصرفاتهم تنعكس مباشرة على مصير الملايين لا على مصير عائلة أو مجموعة من الناس، ومن ثم يجب أن تكون محكومة مراقبة لا تعلو على نقد أو تجريح. أهل السياسة، على وجه الفرض، كتاب مفتوح لكل قارئ يتصفحه ويعلّق علي ما فيه بما شاء وقتما شاء. هكذا يجب أن يكون جمال مبارك إن أراد أن يكون من أهل السياسة.

ولكن، من ناحية أخرى، فإن جمال مبارك هو الابن المختار لرئيس هذا الشعب، وهذا البعد يلقى بظلاله الثقيلة على صورة جمال مبارك، الإنسان العاديّ العاميّ، أو السياسيّ صاحب الشخصية العامة. جمال مبارك الإبن المُختار الذي لم تصعد به قدراته العلمية أو خبرته السياسية الطويلة، بل صعد به نسبه إلى مكانة لولا هذا

النسب لما كان له أن يتطلع إلى القرب منها، بله توليها. وهذه الصورة، وهذا الجانب، يطغى على كلّ جانب آخر حين يريد كاتب أو صاحب قلم أن يتحدث عن جمال مبارك. حرج يمنع أي حديث موضوعيّ عن الرجل وعن إمكانياته الحقيقية التي قد، وقد لا تكون مناسبة لما يهيئونه له من منصب.

أن يسعى صاحب سلطة في أن يؤهل من ذريته من يصلح أن يتولى من بعده، فليس هذا من قبيل ما لم يتعارف عليه الناس بشكل أو بآخر، في الصورة الملكية المعاصرة التي تملك ولا تحكم، بل ويحدث – من وقت لآخر - في ظل الجمهوريات الديموقراطية ، كما حدث في تزييف نتائج انتخاب بوش الصغير، لكن بشكل عارض طارئ على النظام، وهو ما أدى إلى أن تولى غير كفء فخرب الدنيا بأسرها. لكن هذا الشكل من التوريث في الجمهوريات الدكتاتورية هو ما يمثل خطراً عظيماً لأن هذه النظم أصلا لا ترعى إلا مصالح نخبها ولا تبيع شعوبها إلا كلاماً لا طائل تحته. فلا يمكن أن يكون التوريث فيها إلا استمراراً لفساد قائم وديكتاتورية مهيمنة، كما نرى في مستقبل الإخوة سيف الإسلام القذافيّ وأحمد على عبد الله صالح الذين يسيرون على نهج بشار الأسد.

يجب أن يدرك أصحاب الأقلام أنه لا وقت للخوف، فوقت الخوف قادم سيطول أمده إلى ما شاء الله. عليهم أن ينتهزوا هذه الفرصة، قبل التنصيب، فيبينوا للناس ما يستحق البيان، ويضعوا النقاط على الحروف، قبل فوات الأوان. والكتّاب وأصحاب القلم يفترض فيهم النزاهة والشجاعة والتضحية وحب الحق، والفارق بين الجبن والنفاق الذي يتلبس بخدعة "المصالح" وبين الشجاعة ونصرة الحق والقوة فيه دون تطرف أو مزايدة هو الفارق بين قلم يعيش ويفيد، وبين قلم هزيل يكشف صاحبه. فهم أمناء على فكر ابناء هذه الأمة، إلى حين.

ثم إن الله قادر على أنّ يغير من حالً إلى حال رأفة بهذه الأمة وبمن بقي من صالحيها.



حرب المعلومات .. والعداء الصليبيّ

يظن بعض الطيبين من المسلمين أن العدو الصليبي واقع تحت تأثير خطأ في فهم الإسلام، والحركة الإسلامية بشكل عام، أو جهل بهما، وهو ما يفسر العداء السافر الذي يحملونه لكل ما يمت للإسلام بسبب، فالجاهل عدو ما يجهل، ومن ثمّ فإن البيان والشرح للإسلام لابد وأن يغيّر هذا الواقع وأن يجعل العدو أقلّ عداءً، بل قد يحوله إلى رفيق درب في هذه الحياة إلى أن يحكم الله بيننا يوم القيامة. إلا أنّ واقع العداء يختلف عن هذه الصورة اختلافا تاماً شكلاً وموضوعاً.

ولا شكّ أن الشرح والبيان للإسلام ضروري لنشر دعوته، ولكن الأمر لا يتعدى أثره العامة من مواطني الغرب، أما مسار الحكومات وعملاء الحكومات من أجهزة أمنية غربية أو شرقية، فلا يزيدهم فهم الإسلام ومعرفة مركباته وتفاصيل حركته إلا عداءً له وكرهاً لأهله، وصدق الله العظيم.

وفي هذا الصدد، فقد صدر مؤخراً كتاب أحسبه من أكثر الكتب وضوحاً وتتبعاً للحركة الإسلامية الجهادية وأغراضها، وأكثرها خطراً في هذا الشأن، تحت عنوان: "Global Jihadism" أو الجهاد العالمي، لمؤلفه Jarett Brachman، جاريت براكمان، مدير مركز مكافحة الإرهاب بالأكاديمية العسكرية الأمريكية في وست بوينت، وأستاذ العلاقات الدولية بجامعة نيويورك، والمحلل ب السي آي أيه CIA سابقاً. وهو يهودي له علاقات عديدة في الشرق الأوسط وخاصة فلسطين. وهو صاحب تعبير "Jihobbyism" الجهابية أي الجهادية الوهابية!

والكتاب، كما قسمه صاحبه، يتناول الجهاد نظرية وتطبيقاً، فقد تعرض في الناحية النظرية إلى مفهوم التوحيد والولاء والبراء، ودار الإسلام والحرب، ثم عرّج على مناهج السلفية فنقل عن كتابي الذي اصدرته بالإنجليزية والعربية عام ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٠٠٤، "The Counterfeit Salafis"، والذي أردت به شرح السلفية الشرعية وما يقرب منها وما يشذّ عنها ممن يدعى السلفية منهجاً بشكل عام، فتابعه في التقسيم (ص٢٦-٤١ من كتابه) وإن بدل تسمية الأقسام السادسة والسابعة من اهل السنة الوسط إلى القطبية والسرورية! لتفادى قبول تعبير الوسطية في المحيط السلفيّ عامة. والعجب مما قال في هذا القسم حين تعرض لفكر عبد العزيز المقرن، كمثالٍ للفكر الجهاديّ، من أنّ "مثاليته وطهارته في فهم الإسلام، وكراهيته للنفوذ الأمريكيّ اليهوديّ المسيطر على الحكومات والمجتمعات العربية، ...ورغبته الأكيدة

في الموت فداءً لفكره" ص٤٠. وهو ما يدل على فهمه للفكر السلفيّ الجهاديّ، ورفضه لفكرة التحرر العربي الإسلاميّ من الخضوع للغرب الصهيوني الصّليبي، وهو كذلك ما يعارض كلّ ما تروج له ماكينة الدعاية الأمريكية من رغبة في نشر الديموقراطية! والعجب كذلك أنه حين تحدث عن الاستراتيجية الجهادية بيّن أن استراتيجية الجهاديين تقوم على افتراض أن الولايات المتحدة هي محور المؤامرة العالمية الغربية للقضاء على الإسلام (ص ٨٢-٨٣(لكنه لم يكذب هذا الفرض ولم يحاول حتى إنكاره.

ثم عرّج على الناحية العملية فقام بمسح واسع للمواقع السلفية وكل من يمت لها بصلة وتعرض للشخصيات المعروفة في هذه الأوساط ناقلا أقوالهم، فنقل عن أبو محمد المقدسيّ وابو عمر البغدادي، وحمود بن عقلة الشيبانيّ وغيرهم.

ثم انتهى الكتاب بخلاصة أنه "طالما ان هناك مفكرين وقواد يدفعون هذه الحركة فستجد دائما منبعاً لا ينفد من أتباع الجهابية"، وأنه مهما كانت التضحيات التي يقدمها الغرب من مال وارواح لوقف هذا المدّ الإسلاميّ فإنها رخيصة في مقابل الهدف.

وهذا الكتاب، مع إقرارنا بالخلاف مع بعض ما تقرره هذه الجماعات الجهادية، يبيّن أن فكرة التعرف على الإسلام لدى الغرب لا تخدم فكر التقارب أو الإصلاح، والرجل، وإن كانت محاولته للفهم أعمق كثيراً حتى مما تحاوله منظمات "الأمن القومي" العربيّ، بل وهو أقل منها شراسة في الهجوم لما يمثله من أكاديمية علمية تقوم على الدراسة والتمحيص، لكنه يقدم المادة الخام لقوى القهر الصليبي الصهيونيّ من باب "اعرف عدوك". فعلينا عامة، وعلى مفكرينا خاصة، أن يتنبهوا إلى هذا البعد من الخطر الأكاديميّ، إذ هو الوقود للحرب الدائرة على الإسلام بالسيف والقلم.




"وتلك الأيام نداولها بين الناس"

بين الـشِّــرَّة والفِــتْرة




وصلتني رسالة على الموقع من أخ كريم "محب لأهل السنة" يتساءل فيها عن سبب تراجع معدل الكّتابة في الموقع وعدم نشر كلمة الأسبوع بشكل مستديم كما تعّود منا قراؤنا الكرام.

والحق مع الأخ الكريم "محب أهل السنة" فيما لاحظ، والشكر له على اهتمامه وتوجيهه، وإنه لأمر جدير بالتفاؤل والبشر أن أعرف أن لنا قراء يحرصون على حمل هدفنا كما نحرص عليه سواء بسواء، وكفى بهذا نجاح ولله المنة والفضل.

ثم، إن أمر الكّتابة أمر عجيب، فهي كالإنسان في تقلب أحواله وتبدل شؤونه، مرة هي إلى شِرّة ونشاط واندفاع وحيوية، تستجيب إلى كلّ نبضة من نبض الواقع بما يبين موقعها ويحدد مجراها ويستنبط مرساها، ومرة هي إلى فِتْرة وتكاسل وتثاؤب، لا يكاد يوقظها إلى هز الزلازل ونزول الصواعق. والكاتب يتردد بين هذين الموقفين يغلب عليه النشاط تارة وتهزمه الفِترة تارة أخرى. والسعيد من استكثر من الأولي وتخفف من الأخرى.

هذه واحدة، والثانية، أني قد عاهدت الله سبحانه، وعوّدت نفسي منذ حملت قلم الدعوة في السبعينيات من القرن السالف، أن لا أكتب إلا إن حزمني أمر رأيت أن لي فيه قول جديد مفيد، وإلا إن كنت أبّين حقاً وأوضح سبله أو أن أكشف باطلاً وأفضح عواره، إذ إني لست بالكاتب المحترف الذي يتخذ من المقال وسيلة للعيش، ولن أكونه بإذن الله تعالى وفضله، فالكّتابة بالنسبة لي هي أداة الدعوة التي مهدها لي الله سبحانه، ولا أرى أن تكون احترافا وأن أكتب لغرض الكّتابة، حتى وإن لم يحزمني أمر ولم يكن عندي جديد مفيد لسبب من الأسباب التي ذكرت طرفاً منها. ولا يعنى هذا بطبيعة الحال أن الجديد المفيد قد نضب معينه وقلت موارده، بل إنه لا زال الجديد المفيد كثير ينتظر من يرد موارده، كذلك فإن الحق لا ينتهي بيانه والباطل لا يخمد صوته، ولكن الأمر مرجعه إلى الكاتب وإلى ما يمر به من ظروف خاصة أو عامة يتقدم فيها أمر مهم على أمر أهم، إلى حين.

ثم بعد هذا وذاك، الإخوة الأحباب من محبي أهل السنة، ولا أكذبكم القول، فوالله إن النفس قد اعترتها حالة من اليأس المضنى إذ وجدنا أن الأمة تراوح في مكانها بعد طول الصراع، بل وإن الباطل، كما هو شأنه على الدوام، يظهر وكأنه قد علت شِرَعه، وتسارعت مراكبه، وأن قوى الحق قد توارت بين الحجب وتخاسفت بين طيات الأرض، فالحكم قد وقع أسير الكفر، والسلطان لا يذيع إلى ما يزيغ القلوب ويقدح الشهوات، والشيطان قد أُطلِق سراحه يرتع كما يشاء بين أبناء الأمة بعون سفراء السوء في كافة مجالات الحياة، وظهر غضب الله سبحانه بما ضُربت به الأمة من نكبات أخيرة متوالية، بين حريق وغرق وهدم، فغفرانك اللهم.

لكني أعلم، أحبائي، أنّ الأيام كما قال تعالى "نداولها بين الناس"، وهو حقّ في حياة الأفراد والأمم على السواء، وأنّه كما أنّ دولة الكفر والظلم والفسق لن تدوم، فإن أيام الفترة لن تدوم إن شاء الله تعالى.



طبيعة العدوان

العدوان، أي عدوان كان، سواء على أرضٍ أو عرضٍ أو مالٍ أو حق جيرةٍ أو حق نسبٍ أو رحمٍ، سيئ بطبيعته، تشمئز منه النفوس ويتأذى منه الحسّ، وتحاول النفس أن تنحرف بصاحبه إلى غير حقيقة العدوان ليمكن له، سواء كان فردا أو كياناً أو نظاماً، أن يرفع رأسه بين الناس وأن يظل يحتفظ بشيء من الكرامة وإن كانت بغير حقّ، وإن كان الناس يعرفون أنها ظلّ كرامة مهدرة لا حقيقة لها.

والحياة مليئة بما يطابق هذا المعنى ويعضده، فأمريكا استباحت الدم العراقيّ والأفغانيّ بلا مروءة أو شرف، بل هو عدوان صرف وتعد على الحق لا مراء فيه، لكنها راحت تبرر هذا العدوان والتعدي بأنه ردّ للعدوان "الغاشم!" الذي شنته عليها "قوى الإرهاب" الإسلاميّ في سبتمبر ٠١١. ونحن لا نقيس بمقياسين ولا نكيل بمكيالين، فإن من وقع عليه عدوان يجب أن يردّ عليه بمثله، ولكن هذا العدوان المزعوم مشكوك في أمره أولا، وفي دوافعه ثانياً، ثم كيف يكون هجوماً مثل هذا مبرر لقتل مئات الآلاف من الأبرياء! ولكن الجريمة البشعة والعدوان المحض يأبي إلا أن يجد مبرراً له ولو كان وهماً بارداً وسخافة رديئة.

والكيان الصهيونيً، لما أراد أن يبرر الحقد الصهيونيّ واغتصاب أرض فلسطين، راح يتبجح بحق العودة لليهود إلى أرضهم المقدسة بعد أن طُردوا منها بزعمهم منذ آلاف السنين، بينما أنكر على عرب فلسطين هذا الحق بعد سنوات من نزوحهم من الأرض! القياس بمقياسين والكيل بمكيالين، ولكن الأمر أن الصهاينة، حتى الصهاينة، لم يجدوا مندوحة من زعم أن العدوان ليس بعدوان، بل هو مجرد ردّ حق ضائع منذ آلاف السنين! هي طبيعة العدوان تأبي أن تقدم نفسها في ثوبها المجرد وصدق الله العظيم "أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً".

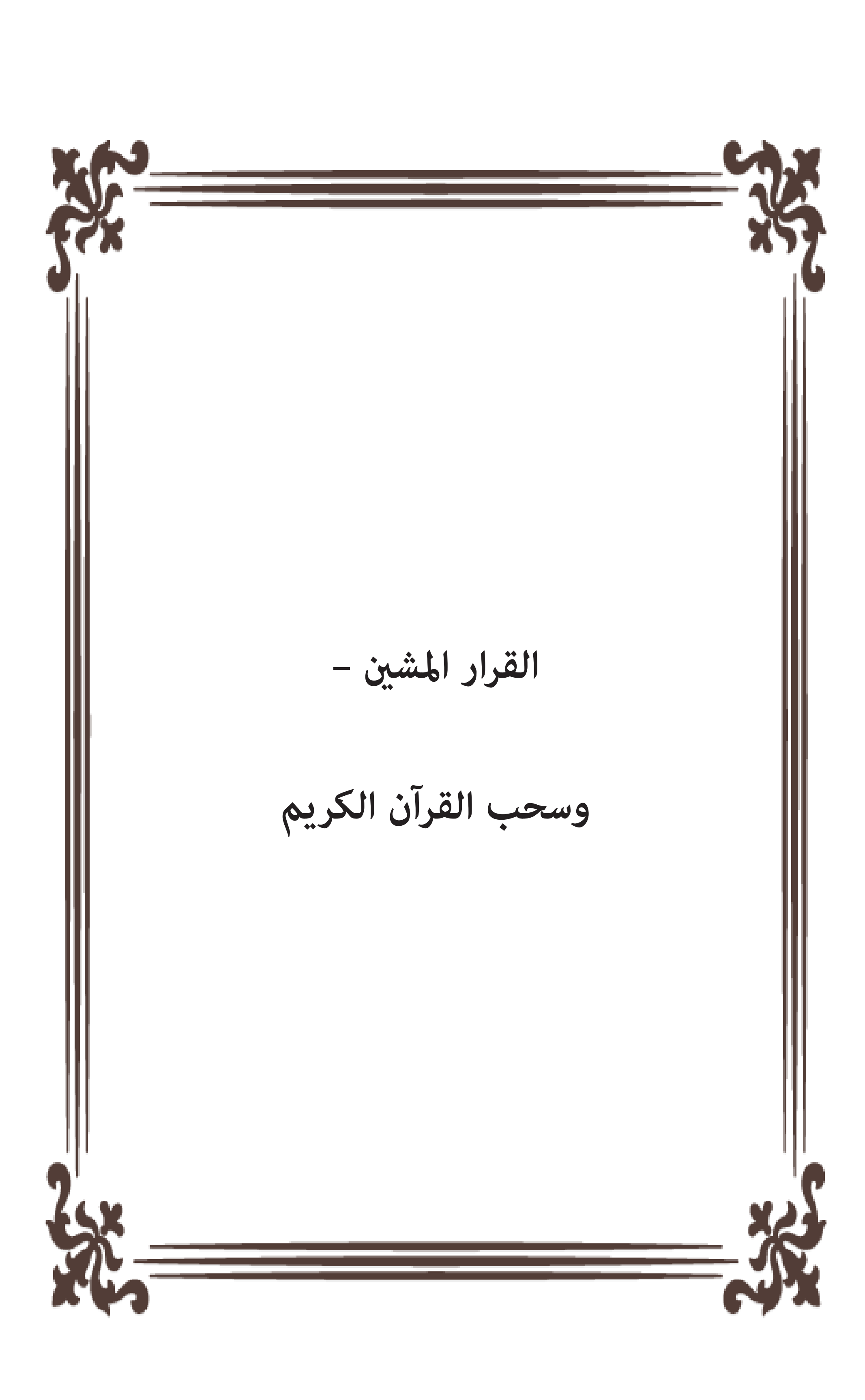
ثم كيف بالحكام الذين يقبعون على صدور شعوبهم عقوداً متطاولة، بلا مؤهل للحكم ولا قدرة عليه، يستبيحون المال والأنفس والثمرات، بدعوى واحدة، هي أنهم أوصياء على الأمة، يحمون الأمة من نفسها، من أراذلها الذين يقبعون في الظلام يتربصون بها الدوائر! ووالله لا نعلم غيرهم ممن يتربص بهذه الأمة الدوائر، ولكنها

طبيعة العدوان أن يقدم نفسه وكأنه صاحب حقٍ منزوع، ووجودٍ مشروع!

بل وعلى مستوى الأفراد، تجد هذا المعنى متحقق على التمام والكمال، فكم من صديقٍ رفيق أو أخٍ شقيق أو جارِ دارٍ أو زميلِ عملٍ، قد جار على حق صديقه أو رفيقه أو حق رحمه أو جاره، وبرر هذا التعدي بما شاء له مما يراه حسنا في حق نفسه، بأن يدعى إما أنه هو من وقع عليه التعدي، أو أنه ما فعل إلا ما له في فعله حق، وأنه إن ردّ عليه صديقه أو زميله أو شقيقه أو جاره أو ما شئت ممن له به صلة، هذا العدوان فإنه هو المظلوم المهان! ولينظر أحدنا إلى نفسه وإلى من حوله فسيجد مصداق هذا أقرب اليه من حبل الوريد.

المهم أنك دائما ما تجد مبرراً للتعدي ولارتكاب الجرائم الإنسانية سواء المادية أو المعنوية فإن هذه هي طبيعة الشرّ، والعدوان من الشر، والتعدي على الحقوق أمر ممنوع في الشرائع والعقول، ولكن صاحب العقل والشرع هو الذي له من العين المبصرة والنفس الشفافة والنظر المحقق ما يجعله يرى مصدر الشر والبادئ بالعدوان، فلا يغتر بحديث عن حق العودة للصهاينة أو بدعوى الصليبيين أنهم إنما يدافعون عن بلادهم ضد من اعتدى عليها، أو بتلك القوى الخفية التي يرعب بها الحكام رعاياهم، وكأنهم إن تولوا أمر أنفسهم بشورى أو ديموقراطية أو ما شئت مما يجعل حق تقرير مصائرهم في أيديهم وبشرع ربهم ، فسوف تقوم تلك القوى بسحق كلّ ما هو غال وثمين في حياتهم! هراء وتزيين للباطل وتحسين للعدوان على الأمة وعلى حقها.

التعرف على أصل العدوان أمر عزيز دقيق، لذلك فإن من مهام القاضي في الشريعة أن يحدد موضع النزاع أولا ثم من هو صاحب الحق في الدعوى ثانياً، قبل النظر في الدعوى. ودون هذا التحديد والتمييز فإن ما نراه من ضياع الحقوق واستشراء العدوان لن تكون له نهاية أو حدّ يقف عنده. بل يظل الإنسان على تلك العادة الكريهة التي محصلتها تلبيس الحق بالباطل، وتزييف الحق، وتبرير العدوان واستحسانه.



القرار المشين -

وسحب القرآن الكريم

القرار الذي نُسب الى مجمع البحوث الإسلامية بسحب كتاب الدكتور محمد عمارة، ليس في حقيقته إلا رمزاً، بل مقدمة، لسحب القرآن من الأسواق. ولا ادعى هذا لمجرد الإثارة، بل إن الحقائق تكشف عن هذا التوجه لمن كان له أدنى بصيرة، والإعلان عنها واجب لمن لديه أقل إحساس بالضمير تجاه هذا الدين وبالمسؤولية تجاه هذا الوطن.

إن ما قرره الدكتور عمارة في كتابه، وهو ما نُسب إلى المجمع سحبه، لا يعدو ما قرر القرآن الكريم مثقال ذرة، ما يجعلنا نتساءل: هل أصبحت أوليّات هذه العقيدة محل مساومة وسياسة؟ هل أصبحت مقرراتها الأساسية محل تشكيك ومحاورة؟ هل أصبحت أوليّات هذه العقيدة مما يعتذر عنه المعتذرون، ويتبرأ منه المتبرئون؟ إرضاءً لقلة مهما عظم شأنها وامتد نفوذها؟ هذا والله خزى الحياة الدنيا والآخرة على من أمر بهذا القرار، ومن وقع عليه، ومن رضي به وبتمريره.

ونذكّر من اتخذ هذا القرار أن القرآن الكريم يقرر وحدانية الله سبحانه في ألوهيته وربوبيته، وأن من قال بتثليث الإله فقد أشرك في ربوبيته، وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأنّ من خالف ذلك فقد أشرك به سبحانه.

إن العقيدة النصرانية السائدة في هذا الزمن هي هي التي كانت على عهد رسول الله ﷺ، وهي هي التي تحدث عنها القرآن فدحض صحتها، وأثبت تحريف كتابها، ولكن التزم بأنه "لا إكراه في الدين" بعد أن "تبين الرشد من الغي"، بل وجعل خصوصية لأهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى فأحل طعامهم والزواج من نسائهم، وبرهم والإحسان اليهم. يعرف هذا القدر تلميذ السنة الثانية الابتدائي في بلادنا، حين كان الإسلام هو دين الدولة التي يحترمه مسؤوليها وقادتها. أما الآن في عهد الخلط والخبط والتحريف والتبديل، يصل الأمر إلى نسبة مثل هذا التحريف والتخريف إلى إصدار هذا القرار باسم مجمع البحوث الإسلامية!

المسلمون ليسوا على استعداد للاعتذار عن توحيدهم ولبّ عقيدتهم والاعتذار عنها وسحب ما يؤيدها ويوضحها، بل هم ثابتون عليها رغم محاولات المستهترين وبها الرازئين

لها. القرآن بين ايدينا نحتكم اليه في هذه الجزئية، بل وفي كلّ جزئية من حياتنا العامة والخاصة، ذلك هو مقتضى توحيد الوهيته سبحانه.

ثم، أليس التأذي من بحث الدكتور عمارة – سلمت يداه في هذا البحث - يعنى الخجل ضمناً من العقيدة النصرانية؟ أليس القول بالآلهة الثلاثة شرك بالله الواحد لغة وشرعاً؟

المسيحيون أحرار فيما يعتقدوا، لا نجبرهم على تغييره، لهم في هذه الحياة الدنيا ما لنا وعليهم ما علينا، ما احترموا دين الغالبية وعاشوا بقواعده وتوجيهاته التي تضمن لهم أموالهم وأنفسهم. هذا ما نحن عليه في مصرنا خلال الأربعة عشر قرناً السالفة، ولكن العجب كلّ العجب من صانع القرار الذي يهين الغالبية المتسامحة المتفهمة لحساب الأقلية المتجبرة المتمردة!

لسنا في حرب مع النصارى في مصرنا. لا نريد حربا ولا نعمل عليها، ولكن صانع هذا القرار الخائب الوضيع هو الذي يؤجج مشاعر الغالبية المسلمة ويدفع بالأمور إلى هاوية ليست في صالح الأقلية في شيء.

ونتساءل، هل سحب القرآن الكريم الذي يقرر العقيدة الإسلامية التوحيدية الصحيحة، ويبين ما – ومن – خالفها بأوضح بيان عربيّ، هو الخطوة التالية لمن صنع هذا القرار المشين؟



حياة المعاني .. ومعنى الحياة

حين يتحدث القرآن الكريم عن معنى من المعاني التي يتوجه بها إلى النفس الإنسانية لينشأ فيها خصلة من خصال الخير فإنما يقصد إلى أكثر من أن يقرأها الناس وأن يتفهموا معاني كلماتها، بل يقصد القرآن إلى أن يعيش المرء هذا المعنى وأن يكون جزءاً من حياته وطبيعة سارية في نفسه قبل أن يقرر أنه قد فهم واستوعب هذا المعنى. فحين يقول المولي عز وجلّ: "وآتي المال على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا"، حين يؤتِي المرء من ماله الذي يحبه، ويود أن يحوز منه ما استطاع، من يحتاجه أكثر مما يحتاجه، مسكيناً أو يتيما أو اسيرا، ثم لا ينتظر كلمة شكر أو إيماءة عرفان، حتى وإن بذلها الآخر، فإنه يعرف ساعتها المعنى الحق لهذه الآيات ويقف على معنى من معاني الحياة التي أراد الله سبحانه أن يحياها المسلم. حين قال الله سبحانه "وفي السماء رزقكم وما توعدون" فإنما قصد إلى أن يُحيِ المسلم هذا المعنى فيحيا به، لا قلق ولا ندم ولا حسرة على فرصة ضاعت أو مالٍ فُقد، حين يمارس المرء هذا الشعور لا بكلام وتشدق بل بممارسة فعلية حين يفقد مالا أو تضيع منه فرصة يظنها سنحت، ساعتها يعي المرء هذا المعنى حقيقة حين يحياه لا حين يقرأه ويتأمل معناه. فإحياء المعاني يكشف معنى الحياة ويجعلها صفحة مكشوفة لا لغز فيها ولا أسرار. لذلك كان الصحابة رضى الله عنهم يقرؤون آيات معدودات من القرآن ثم يقفون عندها يفقهون معناها قبل أن ينتقلوا إلى عشرة بعدها، وما هذا إلا لأنهم كانوا يحيون ما في الآيات العشر، حياة حقيقية لا نظرية، ويمارسونها شعورياً وعملياً.

والمرء يدرك معاني عديدة في الحياة من خلال ما يمر به من مشكلات وما يواجه من تحديات في حياته الشخصية، فمثلا حين يبتلى المرء في ابن من ابنائه بمرض أو أسر فإنه يعرف، ولم يكن له أن يعرف من قبل، معنى الصبر على البلاء ومعنى فقد الصلة بالولد والابتلاء به، وهو أمر لا يعرفه، حق المعرفة ويقينها، إلا من عاشه.

هذا ما قصدنا اليه من أنّ الله سبحانه إنما أراد أن نحيا حياة قد أقام معناها مكتوبة في القرآن ثم حيـّة في سيرة رسول الله ﷺ. لذلك فإن قراءة التفسير ليست إلا خطوة أولي في سبيل فهم معنى من معاني القرآن، يجب أن تتلوها خطوة أهم

وأعسر، وهي إحياء هذا المعنى وبعثه في الحياة، حينها ينكشف معنى جديداً من معاني الحياة، وعلى قدر ما يحيا امرئ من هذه المعاني، على قدر ما يتيسر له فهم معنى الحياة التي يعيشها على ظهر الأرض، فإن أُغلقت عليه كلّ هذه المعاني، فلا حياة له، بل يصبح كالحيوان الذي يسعى ببدنه دون عقل أو شعور.

الأمر إذن، لمن أراد أن يفهم معنى الحياة يكمن في إحياء المعاني القرآنية، أي إن معنى الحياة هو في حياة المعاني.





أمراض النفس وعلل العقل

من أهم أسباب النصر، قبل إعداد العدة من الناس والعتاد والمال، التغلب على تلك الأمراض النفسية والعلل العقلية التي تمنع الناس من أن يروا الحق حقاً والباطل باطلاً. فإنه من الواضح أن من رأى الحق باطل لم يتقدم لنصره، وأن من رأي الباطل حق اصطف لجانبه ودعمه. وكم هؤلاء الذين انحرفت بهم فطرهم فخلطوا الحق بالباطل، أو زُيف لهم الواقع فرأوه منكوساً. وإن إعداد القوة يعتمد أولا على إعداد الناس، فلا عدة بغير بشر يحملون العتاد، ويتوجهون للجهاد. وإذن، إصلاح النفوس هو أول الطريق إلى إعداد العدة.

وإصلاح النفوس لا ينتهي عند الدعوة إلى المحافظة على الصلوات أو دفع الزكوات أو ذكر الله في الخلوات، وإنما قد رأينا الكثير ممن يفعل ذلك وبهم ما بهم من مرض نفسي او علة عقلية تأبي على صاحبها أن تعتدل نفسه وأن يصح عقله، والمرض مرض لا يبرأ منه صاحبه ببراءته مما عداه من الأمراض. كما قد رأينا أكثر من هؤلاء ممن استهتر بالصلوات والصدقات، واشاع الفساد واستباح الكذب والغش و"الفهلوة" بأنواعها! فصار هذا الخلق هو الشائع الأعم في الأمة بأسرها، مما استبشر به حكامها ورضى عنه أعداؤها.

هؤلاء وأولئك لن يكون لهم دور فعّال في إصلاح أو تقدم ما لم تُصحّح هذه العلل وتبرأ هذه الأمراض، والسبيل إلى ذلك هو أولا كشفها والإعلان عنها وبيان مصادرها ومواردها، فإن العلل النفسية والعقلية كالعلل المادية والجسدية، لا بد من تشخيصها وبيان حقيقتها قبل الشروع في علاجها. بل إن العلل العقلية والنفسية هي أوغل في طبيعة الناس من تلك الأمراض المادية والجسدية وأحوج منها إلى البيان والإيضاح والتعرف عليها من قريب. ولذلك فإن عمل الطبيب النفسيّ لا يخرج عن الحديث عن المعضلة مع صاحبها، لبين له جوانبها وزواياها المختلفة فيكون أسهل على المريض حينذاك التعامل معها والتغلب عليها.

لا يزال الحصار الثلاثي الّصليبي الصهيونيّ المصريّ مضروباً على أهل غزّة للشهر التاسع على التوالي، إلا من أنفاس التقطوها غصباً رغم أنف النظام المصريّ العميل

الذي زعم وقتها أنه "لن يسمح أن يجوّع الفلسطينيون!" لحفظ ماء وجهه المُهدر.

لا يزال الحصار مستمراً، ولا يزال القصف والقتل اليوميّ مستمراً، ولا يزال أطفال المسلمين يغتالون بيد الصليبية الأثيمة ومباركة النظامين الأمريكيّ الأفنجليكانيّ والمصريّ العلمانيّ سواءً بسواء.

وليس العجب من الصهاينة أو من الصليبيين، فهم عدو دائم لا مجال للتعامل معه تحت أي فرض أو تأويل، ولكن العجب للنظام المصري الذي أعلن وزير خارجيته العميل "أبو الغيط" أنه سيقطع قدم من يتخطى الحدود المصرية من الفلسطينيين! وصدق الشاعر:

أسدٌ عليّ وفي الحروبِ نعامةٌ رَبداء تَجْفُلُ من صَفيرِ الصَافرِ

العجب أن هذا النظام لا يعلم أنّ صالحه في مصالحة شعبه المسلم لا في عدائه والعدوان عليه، ووالله الذي لا إله إلا هو إن شعبنا المسلم في مصر وفي خارجها لا يفارق خياله صورة البطل الذي يقف في وجه العدو الصهيوني الصليبيّ ويعيد له بعض عزته المفقودة وكرامته الموؤدة، ولو أن مبارك أراد أن يكون هذا البطل لكانت هذه فرصته السانحة، فالعدوان على غزة لا يجرؤ أحد أن يباركه، إلا بالصمت الرهيب، والساحة السياسية الإسلامية حبلى باليأس في انتظار الفرجِ، وكلّ القوى إسلامية وعلمانية تريد أن تضع يدها في يد من يرفع بالكرامة رأساً، وليس مثل جمال عبد الناصر ببعيد، فالرجل رغم عدائه للمسلمين وقتله لهم، قد اكتسب حبّ ملايين الناس الذين لا يفرقون بين خير وشرّ أو غثّ وثمين، وأصبح أسطورة القومية العربية في هذا العصر، وهو وإن عرفه المسلمون على حقيقته دكتاتوراً قاتلاً محباً للذات، إلا أنه استطاع أن يمثل دور القوميّ العربيّ ويكتسب حب هذا القطاع العريض من الدهماء. فليس على مبارك أن يظل على كراهيته للإسلام والمسلمين، ولكن النخوة التي تفرّق بين الرجل وبين الكلب الأجرب هي التي تنقص هؤلاء الزعماء، ولو أنه وجدها يوماً لاصطفت وراءه كلّ القوى بلا استثناء، لو أنه كال للصهاينة بالتهديد والوعيد، ولو أنه طلب عون القوى المصرية والعربية ليقف أمام هذه المجازر الوحشية

التي ترتكب ضدّ أبناء جلدته، ولو أنه أظهر رجولة من تخطى الثمانين وأصبح قاب قوسين من قبره، لوجد الناس يموتون في سبيله، بدلا من أن يموتوا في سبيل موته! ولكن عمى القلب والبصيرة والشره لمال الدنيا ومتاعها حتى في هذا العمر الأرذل لا يبدله إلا معجزة من الله سبحانه، ولا نراها قادمة!





الحرية العرجاء

في إحدى قاعات الدراسات.. العليا بجامعة بريطانية عريقة [١]، ثار نقاش بين جمع من الطلاب الإنجليز حول التركيبة الاجتماعية الحالية للمجتمع في هذه البلاد، وعلاقتها بالنظم السياسية والاقتصادية. وقد اشترك في بداية النقاش بعض الطلبة العرب، ثم آثروا ترك المجال لأبناء البلد ليدلي كل منهم بدلوه في ذلك الأمر.

وقد آثرت أن أثبت - بإيجاز - ذلك الحوار لما فيه من صدق وتلقائية.. وكما قيل "من فمه ندينه".

أبدى أستاذ القسم ملاحظة حول تكوين النقابات العمالية ونشأتها، وما يتعلق بنظام الأجور القومي الذي اتفق عليه بين أرباب العمل، وبين النقابات، وارتباطه بنوعية العمل، وبيّن أن ذلك يرتبط بعدة أمور - عدا كمية العمل ونوعيته - كعمر العامل وجنسه! أي رجل أم امرأة.

وعند تلك النقطة تدخّل أحد الطلبة قائلاً: إن ذلك الأمر لمن غرائب هذا المجتمع، إذ لا يوجد أي سبب يبرر ذلك التمييز في الأجر؟! فالمرأة التي تعمل في وظيفة ما، تتقاضى أقل من الرجل الذي يشغل الوظيفة نفسها، ويؤدي الجهد نفسه، ويقضي ساعات العمل نفسها [حوالي ٧٥٪ من أجر الرجل].

وأبدى أن ذلك يتناقض مع ما يدعيه المجتمع الإنجليزي من حرية ومساواة، خاصة في مجال المرأة وحقوقها..

وكان ردّ أحد الطلبة البريطانيين - والذي تجاوز الخمسين من العمر - قائلاً:

إن ذلك يرجع إلى أصل ما كان عليه المجتمع الغربي قبل عدة عقود من تقاليد ومبادئ تتخذ العائلة كوحدة اجتماعية للبناء الاجتماعي، فالرجل كان هو المسؤول عن العائلة، بما فيها المرأة والولد، وهو الذي عليه أن يوفر ما يحتاجه البيت، والأسرة، والمرأة محلها داخل البيت كزوجة، وأم للأولاد، فيحتفظ المجتمع بتوازنه لاحتفاظ

[١] دارت هذه المناقشة في فصل دراسي لي، بين طلبة الماجستير في جامعة برمنجهام عام ١٩٨٦.

الخلية العائلية بتوازنها، أما من بعد الثورة الصناعية، والتطورات الأخيرة في العقلية الأوربية من اختلال للمعايير والموازين، وبزوغ فكرة الحرية الفردية وعلو شأنها حوالي منتصف القرن الماضي - بما تحمله تلك الكلمة من حقٍ وباطل - فإن الوحدة الرئيسية للمجتمع لم تعد العائلة، بل صارت "الفرد" رجلاً كان أم امرأة.. ومن ثم.. وبعد أن تبدلت القيم والمفاهيم، وشاعت الحرية - صارت المرأة لا تعني الزوجة أو الأم للرجل، بل زميلة العمل أو الصديقة والخليلة، ولم يعد الرجل بحاجة إلى الزواج وإقامة العائلة كوحدة اجتماعية-في غالب الأحيان - فحاجاته الطبيعية متوفرة دون مسؤوليات تلقى على عاتقه، وهو حر في التنقل بين امرأة وامرأة، كما أن المرأة حرة في التنقل بين رجلٍ ورجل، كما تقتضيه دفعة الجسد العمياء ولقد كان من المنطقي، وليتناسق النظام، أن تتساوى الأجور، إلا أن ذلك لم يحدث، وظل القانون يحتفظ بتلك الصورة القديمة الكامنة في الفطرة الإنسانية، والتي تجعل من الرجل المسؤول عن تأمين احتياجات العائلة، ومن المرأة زوجة وأماً..

وساد صمت على القاعة لعدة دقائق راح فيه كل طرف يقلب الأمر على جوانبه بين مؤيد ومعارض. وكنت أعجب من ذلك الحوار الذي أنطق الله فيه أحد عقلاء الإنجليز الحق، وأظهر فيه ذلك التعارض القائم بين ادعاء الحرية والمساواة - خاصة في مجال المرأة - وبين ما هو واقع الحال من تفرقة عجيبة لا أساس لها من المنطق العادل بحال - إن حاكمناهم على أصولهم في الحكم على الأمور - تجعل المرأة في الصف الثاني مهما بذلت من جهد وعرق، مثلما يبذل الرجل..

وإن كان عجبي كبيراً من ذلك المنطق الأعوج، وانحراف الفطرة عن طبيعتها لمّا تركت الهدي الإلهي، وزاغت في طريق الضلال.. فإن عجبي لأكبر ممن هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، ويدعون إلى تلك الفوضى الاجتماعية التي يلبسونها ثوب الحرية زوراً وبهتاناً، وينادون في كل ناد أن: اعطوا المرأة المسلمة حقها أسوة بالمرأة الأوربية!! بل ويقف بعض المسلمين الطيبين موقف الدفاع على أساس أن المرأة المسلمة لها حقوق كذلك في الإسلام أسوة بالمرأة الغربية!؟

ونحن نرد عليهم دعواهم، وندعي خلافها: أن المرأة الغربية لم تنل حريتها حقاً وصدقاً.. ويا لها من حرية تلك التي تشقى بها المرأة في الكد والعمل خارج البيت، وبالوحدة واحتمال الولد - غير الشرعي - ومسؤولياته، ومواجهة الحياة دون رفيق يعين على ذلك العناء .. ثم تتقاضى أجراً أقل من مثيلها من الرجال.

والقانون الإنجليزي لم يحتفظ بتلك الصورة ورعاً وتقوى! إنما احتفظ بها لأنها تخدم أصحاب رؤوس الأموال، في مجتمع رأسمالي يؤمن بالنفعية كأساس للتعامل، فالمرأة تحتاج إلى العمل بعد أن تخلق عن دورها الطبيعي، وبعد أن تخلى عنها الرجل، ولا بأس إذن من تحقيق فائض من الربح عن طريقها.

ونحن - وإن كنا لا ندعي أن حضارة الغرب شر كلها لا يشوبه خير، قط إذ أن ذلك لا يكون في أمر من أمور الدنيا التي خلقها الله سبحانه على امتزاج الأمرين معاً، فخير غالب يشوبه بعض الأذى، أو شر غالب يسري فيه بعض الخير - قد قصدنا إلى بيان أحد أوجه النقص وأكثرها أهمية في المجتمعات الغربية وغيرها، التي ارتضت طريقة عيشها ليعلم المسلمون أي خير هم عليه، وأي حق هيأ لهم.. ويا ليتهم يعلمون فيعملون.



قراءات حول العقل العربي

منذ بداية السبعينات، وعقيب هزيمة١٩٦٧ تزايدت تلك الدراسات والكتب التي تتحدث عن العقل العربي، ماضيه المنصرم ، وحاضره المشهود، ومستقبله المنشود، وينتمي أغلب أصحاب تلك الدراسات إلى اتجاهين رئيسيين :

أولهما: المنتمون لما يسمى التيار القومي الداعون إلى وحدة العرب على أساس القومية المشتركة.

ثانيهما: المنتمون إلى الاتجاه التغريبي، بشكل عام، والذي يستقي نظرياته وآراءه من الغرب، وفي إطار ذلك الفكر الغربي.

والطرفان وإن اختلفا في الأفكار والنظرات، وفي الأهداف والمشارب إلا أنهما اتفقا على ضرورة الحديث عن "العقل العربي" كل من زاويته الخاصة، في تلك الآونة التي أعقبت انحسار الفكر القومي بهزيمة ١٩٦٧ من ناحية ، وفقدان الثقة في المعطيات الفكرية الغربيــة من ناحية أخرى ، وما ألجئوا إلى ذلك إلا نتيجة لتصاعد التيار الإسلامي بشكل عام .. فكانت المصلحة الجامعة بينهما هي الحديث عن العقل العربي والذي يقصد به العقل الإسلامي، وإن عبر عنه "بالعربي" تحاشياً للصدام المباشر مع "الإسلام" من ناحية، ودساً للسم في الدسم من ناحية أخرى.

وإنك لتعجب عجباً لا يكاد ينقضي حين تقرأ كتاباً كاملاً لواحد من هؤلاء الكتاب، يتناول فيه الفكر العربي، والعقلية العربية، وصلة واقع الأمة بماضيها .. إلى آخر تلك الموضوعات التي يدندنون حولها فلا تكاد تجد، ولو مرة واحدة، كلمة "الإسلام" في طول الكتاب وعرضه! إنما هي كلمات مثل "التراث"، "الماضي"، "الدين"، "السلف" ليس إلا!

وإذن أمر يشتم منه رائحة الهوى، ولو كان بحثاً عن الحقيقة خالصاً لوجه الحق، لكان ذلك الحديث من أهم ما تتناوله الأقلام في هذه الآونة، فمما لاشك فيه أن "العقل العربي" يحتاج إلى الدرس والتحليل من زاوية إسلامية أولاً، ومن زاوية عربية ثانيا، إلا أن ذلك الإخلاص يظهر ناقصا في تلك الدراسات من حيث ألبست أهدافها

لباسًا عربيًا لتقف موقفًا وسطًا يكفل لها أعينًا تقرأ وآذانًا تسمع، وعقولاً تخدع.

من تلك الدراسات كُتب ثلاث سنتناولها في هذه المراجعات كمثال دال على ما وراءه:

بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري.

خطاب إلى العقل العربي: د. فؤاد زكريا.

قصة عقل: د. زكي نجيب محمود .



(1)

تذهب تلك الدراسة التي قدمها الدكتور المغربي محمد عابد الجابري كمحاولة لتحليل بنية العقل العربي، إلى تحديد طرق الفهم المختلفة التي استطاع العقل العربي خلال مرحلة نموه ونهضته أن يؤسس عليها معارفه، والتي تتلخص في ثلاثة طرق مختلفة المنهج، تعتمد: إما على تحليل "الخطاب" (١٣) واستنباط الألفاظ من المعاني، كما سلك أهل اللغة والبيان أو علماء الأصول والمتكلمون بمختلف اتجاهاتهم، أو على "الإشراق" والفهم الباطني للألفاظ، كما فعلت الصوفية من ناحية أو الشيعة والباطنية من ناحية أخرى (٢٥١)، وآخرها الاتجاه الفلسفي الذي ينطلق فيه العقل من التصورات الذهنية البحتة لإقامة بناء نظري ثم محاولة إقامة البرهان عليه، كما فعل الفلاسفة المنتسبون للإسلام.

وبشكل عام - وبرغم جدية الموضوع وأهميته - يمكن القول بأن الدراسة لم تقدم جديدًا في مجال فهم العقل العربي، بل كانت مجرد إعادة تصنيف لتلك الفرق المختلفة التي سلكت مسالك عقلية مختلفة، لأسباب عديدة، محاولة أن تجد في الإسلام ما يؤيد مذاهبها، دون التفات إلى حقيقة الإسلام كما فهمه أهل السنة والجماعة، الذين يعي المؤلف تمامًا الفرق بينهم وبين سائر الفرق التي تحدث عنها(٢٠٥ ، ٦٦) بينما لم يقدم تحليلاً لمذهبهم البتة، ولا نملك إلا أن نسجل على المؤلف تحيزًا ظاهرًا لبعض الاتجاهات التي توافق منحاه العقلي بشكل عام، فالمعتزلة في رأيه، "كانوا وظلوا دائمًا، الممثلين الرسميين والمخلصين للبيان والنظام المعرفي البياني" (٥٤)، كما أنهم الرواد الأوائل لما عرف "بعلم البلاغة" (٦٤) وهم أصحاب "الرؤية العالمية " في الفكر الإسلامي (١٧٧)، بينما أهل السنة الأوائل - يعني الصحابة والتابعين - هم "النصّيون" الملتزمون بحرفية النصوص، فالعقل عند أهل السنة "يعني استشعار النص وهو ما يسمونه بالاجتهاد"! (٥٣) وهم، - أي أهل السنة - يتعاملون مع النصوص على أساس من "مجرد التقليد والاتباع وليس على أساس من التنظيم والتنظير كما فعل المعتزلة" (٦٦).

والكتّاب - بعد - مليء بالتناقضات، وضعف التحقيق، فالمؤلف - في تعاطفه مع المعتزلة - يذهب إلى أن المعتزلة كانوا أشد وطأة على الشيعة من أهل السنة (٦٦) بينما تجاهل حقيقة أن الاعتزال نفسه قد ذاب في مذهب الشيعة، بل إنه حين أراد تقرير وجهة نظر المعتزلة الأوائل في العقيدة، اعتمد على القاسم الرسمي الشيعي الزيدي لبيان ذلك المذهب (١٧٧). ذلك التعاطف هو ما يوضح أسباب هجومه على "سلطة السلف"(١٣٣ ، ٥٦٢) التي قرنها بسلطة "الماضي" "والعادة"، كذلك موقفه من الإجماع سواء في اللغة والنحو (١٢٧) أو في الفقه والتشريع، بل اعتباره أن أصل الإجماع هو مصدر القهر السياسي الذي عانت منه الأمة الإسلامية في تاريخها (١٣٤)! ويذهب لإثبات مذهبه ذاك إلى أن خبر الواحد إنما يستمد قوته من إجماع الصحابة (١٢٥) وسلطة السلف ليس إلا! ويهاجم القياس كأصل شرعي، كما يتبين من طريقة مناقشته عند الأصوليين (١٣٧) مقارنة بما يقابلها من تعاطف مع ظاهرية ابن حزم التي يصورها على أنها تحرر من سلطة السلف، ومن القياس، وأنها دعوة للاجتهاد المبني على العقل! والتعامل المباشر مع النفر (٥١٥ ، ٥٦٩) دون وساطة السلف - الصحابة والتابعين - أو غيرهم من العلماء والأئمة.

والحق أن الكاتب قد دخل مدخلاً وعرًا في مناقشة مسائل فقهية وأصولية متخصصة، تخرج عن مجال تخصصه كباحث في "الفلسفة"، أما عن مفهوم السببية كما تقرره عقلية العربي - حسب رأي المؤلف - فإن البيئة العربية الصحراوية توجه العقل إلى عدم ربط السبب بالنتيجة! (٢٤٣)، وأنها تنشئ تلقائيًا ذلك المفهوم الذي ظهر لدى الأشاعرة في تفسير ارتباط السبب بالنتيجة على أنه حكم العادة الجارية بل إنه جعل المعتزلة كذلك من دعاة مذهب "العادة" - كالأشاعرة تمامًا - ليكتمل مفهوم النظرة الجزئية التي تولدها البيئة الصحراوية .. وهي نتيجة تؤكد خطورة تبني قوالب فكرية مسبقة، وإخضاع الأفكار والوقائع لمقرراتها مهما استلزم ذلك من اعتساف التحليل واضطراب النتائج، إلى جانب تجاهله لمفهوم السببية عند أهل السنة بشكل تام [١].

[١] راجع مفهوم السببية عند أهل السنة ، البيان ، العدد الرابع / ٣٨ .

ثم يقدم المؤلف للعقلية العربية حلاً مبنياً على ضرورة القضاء على سلطة السلف في حياة الأمة، والخروج من قيد اللفظ والنص، وإسقاط القياس كمسلك عقلي للاستنباط واعتماد "العقل" وحده بديلاً، من خلال عصر تدوين جديد يقوم على فكر الرباعي "المغربي" الأندلسي (ابن حزم - ابن رشد - ابن خلدون - الشاطبي).

(2)

أما الكتاب الثاني، فهو عبارة عن عدة مقالات مجموعة، صدرت في مجلة العربي للكاتب د. فؤاد زكريا، في الفترة ما بين ١٩٧٦-١٩٨٧ تحت عنوان "خطاب إلى العقل العربي". وتناول هذه المجموعة من المقالات عدة موضوعات، قسمها صاحبها إلى ثلاثة أقسام:

١. دافع الثقافة العربية.

٢. الفكر والممارسة في الوطن العربي.

٣. أضواء على العالم المعاصر.

والكاتب يعكس بشكل واضح خلطًا وقصورًا في فهم الإسلام، وتصور طبيعة العلاقات التي يجب أن ينبني عليها المجتمع المسلم.

فعلى الرغم من أن الكاتب قد تعرض لبعض الأسباب الرئيسية التي نشأ عنها الخلل الحالي في المجتمعات الإسلامية، كالحكم الفردي المطلق، والسلطة الإرهابية والوصاية على الشعوب بدعوى الجهل والتخلف، إلا أن التناقض يبدو في تحليلاته حين تنتقل من مجال الممارسة إلى مجال الفكر والثقافة .

والكاتب - كغيره من أصحاب الاتجاه اليساري المادي - يتوهم صراعًا دائرًا بين العلم والدين (٦٤) في المجتمع الإسلامي، على غرار الصراع بين الكنيسة والعلم في أوربا القرون الوسطى، ويعزو لتلك المشكلة الموهومة أسباب التخلف والانحطاط (٢٢)!.

كذلك فهو يرى أن أسس الدين الإسلامي، التي تقوم على أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن "كلمة الله الحرفية التي لا يتناولها التغيير ولا التبديل" (٧٤)، يجعل من الصعب على المسلمين أن يتقبلوا تغييرًا في طبيعة العلاقة بين الله - عز وجل - وبين الناس على غرار ما تقبلته أوربا حين قدمت إلهًا يحكم العالم بالرياضيات، في فكر ديكارت، أو غير ذلك من صور العلاقة بين الخالق

والمخلوق، التي تنحى فيها سلطة الخالق وسيطرته الفعلية على البشر بشكل تام وحاسم.

والحق أن إثارة مثل تلك المشاكل المفتعلة، وتقديم مثل تلك التحليلات الواهية إنما يعكس أمرين:

أولهما: ضحالة المعرفة وقصور الفهم بطبيعة الدين الإسلامي، الذي يعرف الصغير الجاهل قبل الكبير العالم أنه لا تعارض بين التمسك بتعاليمه وقيمه وأحكامه الشرعية، وبين ارتياد الفضاء، أو استخدام الكمبيوتر، أو تحليل المواد إلى عناصرها للاستفادة منها.

وثانيهما: هو الرغبة الدفينة في تصوير العقبات أمام الأخذ بشرائع الإسلام كما أنزلها الله سبحانه دون تبديلها أو تغييرها، تحت شعار البحث الثقافي المنصف، أو الرغبة في الإصلاح.

كما حاول الكتّاب في قسمه الثالث إلقاء الأضواء على فساد المجتمع الرأسمالي وتناقضه، لحساب المجتمع الاشتراكي الذي يحمل - في رأي الكاتب - الحل الأمثل للأزمات الحالية، مع أن المنصف يعلم فساد النظم الرأسمالية وفشل التجارب الاشتراكية.

(3)

وفي سلسلة الحديث عن العقل العربي، قدم الدكتور: زكي نجيب محمود كتابه "قصة عقل" (١٩٨٣) الذي نحا فيه منحى السيرة الذاتية العقلية، مؤرخًا لرحلته الثقافية منذ اشتراكه في مجلة لسلامة موسى، بمقالات عن وحدة الوجود (١٨) إلى أن اتجه إلى الثقافة الغربية اتجاهًا تامًا، يصوغ من خلالها اتجاهه الفكري، وليتخير منها مذهبًا فلسفيًا يجعله له "هاديًا ونبراسًا" (٩٣) هو مذهب "الوضعية المنطقية" لفتجنشتين، وخلاصته: أن الكلمات التي يستعملها الإنسان (اللغة) نوعان:

نوع يمكن أن يعاين معناه مباشرة بالحس أو التجربة العلمية، وهو يحمل دليل صدقه، إذ ينطبق على موجود خارجي.

ونوع آخر يتناول ما وراء المحسوس، وهو لغو لا معنى له. فاللغة غرضها الأساسي هو أن تشير إلى موجودات فعلية تعاين بالحس لتكون مدلولاتها صادقة (٩٢ و١١٥) وهذا النوع الأخير من اللغة هو من قبيل التعبيرات الوجدانية التي تقاس بمقاييس "الشعر أو ما إلى الشعر من وسائل التعبير" (١١٦).

ولما كان الإيمان من قبيل الوجدانيات كما يراه المؤلف، وألفاظه تعبر عن معان ذاتية لذلك فهو "تصديق بغير برهان، وأما منطق العقل فطريقه البراهين"! (١١١). لذلك فالتعبيرات التي تتناول موضوعات كالإيمان أو غيره "هي تعبير ذاتي عما يخالج المتكلم من مشاعر.. وهاهنا لا منطق ولا قضايا تقاس بمقاييس موضوعية لتفرقة بين حق وباطل" (١٧٥). وبناء على ذلك فإنه ليس من حق أي جماعة "أن تتهم أنصار فكرة بعينها أنصار فكرة أخرى بالضلال إذا كان كل من الجماعتين مستندًا إلى مبادئ غير المبادئ التي تستند إليها الجماعة الأخرى" (١٠٠). فالحق - إذن - في رأيه نسبي حين يختص بمسائل لا تخضع للتجارب المعملية، وأنصار كل فكرة أو دين هم على حق من وجهة نظرهم، ولا يحق لأحدهم أن ينظر للغير على أنه ضال أو منحرف! ولا يخفى ما وراء تلك الأفكار من ضلال وخطورة والتواء.

والكتاب جاء بعد محاولات سابقة للكاتب تهدف إلى نشر هذا المذهب من خلال الحديث عن الفكر العربي، وإحياء التراث، الذي تعرف عليه المؤلف منذ سنوات قليلة بعد أن تشرب الثقافة الغربية حتى النخاع، ولم يتمكن من التعرف على الفكر الإسلامي إلا من خلال (إحياء علوم الدين) للغزالي، أو (تهافت التهافت) لابن رشد، فجاءت محاولاته خالية من الإخلاص، عارية عن الخبرة، هادفة لهدم التراث من حيث تبدو محاولة لإحيائه! [١]



[١] الأرقام بين القوسين هي أرقام الصفحات التي يرجع إليها في المصدر الأصلي.



نَمَطٌ مُغْرِضٌ ونَمَطٌ خَبيثْ!

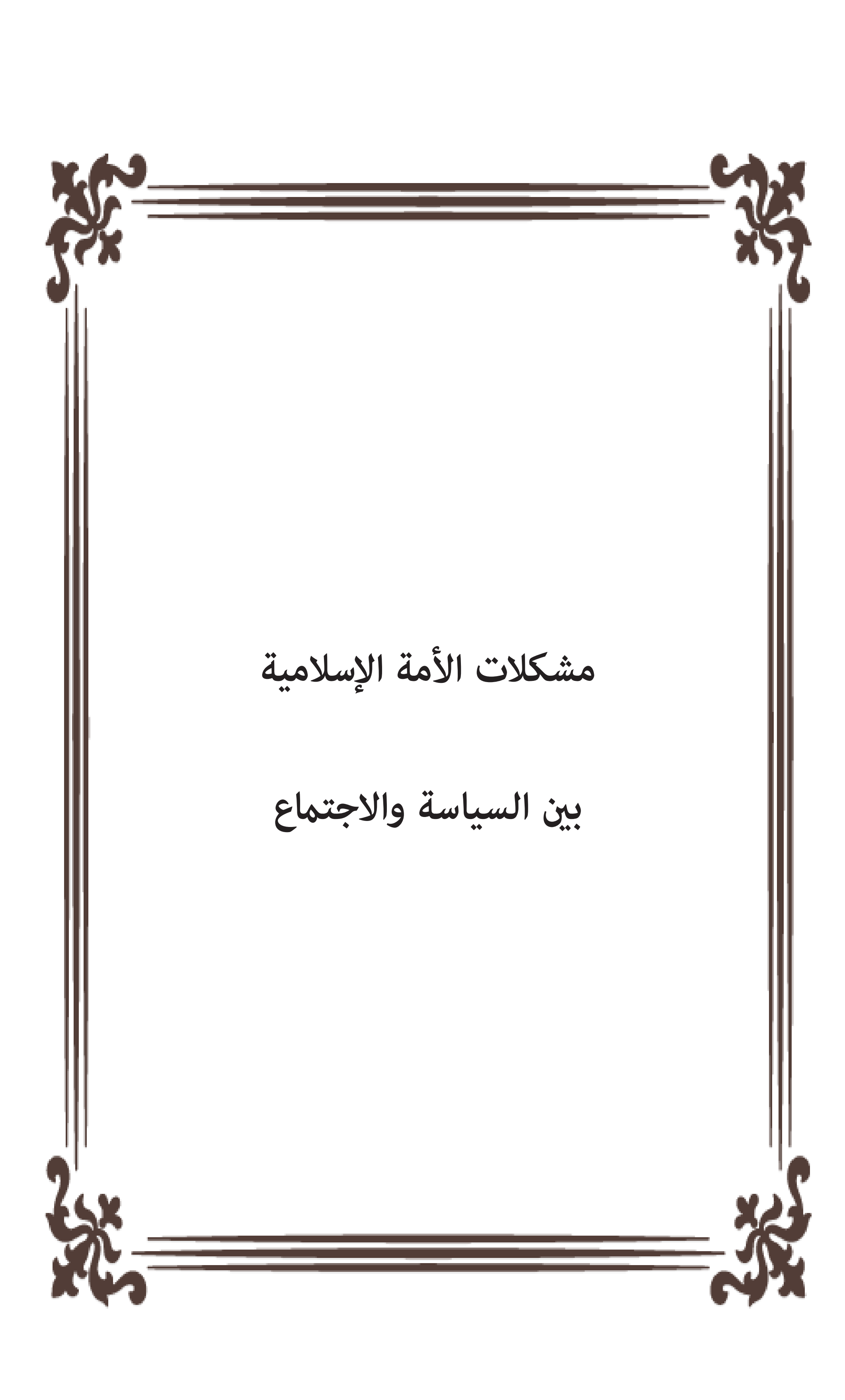
استميح إمامنا العلامة الجليل محمود شاكر رحمه الله عذراً في استعارة قالب عنوان كتابه الفذّ "نَمَطُ صعبٌ ونمطٌ مخيف" لأصوغ عنوان هذا المقال فإن له بكتابه نسبا وثيقاً يَشْرُف به المقال ويعتزّ. وسأكون أكثر إلحاحا في طلب عونه بأن أنقل عنه فقرة من كتابه هذا لتكون دلالة على ما أريد أن أقرر مما يأتي من مقال. يقول شيخنا الجليل رضى الله عنه: "والمُتمني تهْجُمُ به أَمَانيه على المَعَاطب! فمن البيّن أن ما أتمناه سوف يرمي بنا في اليمّ، يمّ العروض الذي لا يدرك قعره ولا شطّاه! وهو علم سُلِب النَشْأُ حقَهم في معرفته كما سلبوا حقهم في معرفة كثير من علوم أمتهم، ومن علوم لسانها وتاريخها، بالتحكم والتسلط في برامج التعليم من ناحية، وبالجرأة على حذف علوم كثيرة قديمة بجرّة قلم، وبلا تدبر ولا إعادة نظر، من ناحية أخرى" نَمَطٌ صعب ونَمَطٌ مخيف ص٨٨. وبيت القصيد هو في تقريره ما سُلب من حقِ الشباب في العلم والمعرفة بتراثهم.

والقصة، يا سادة، أنّي كنت أتدبر بعض المعلقات العشر، معلّقَتيّ عمرو بن كُلثوم وطُرَفة بن العبد على وجه الخصوص، إعداداً لدرس في الأدب العربي، وكان أن عاودني فيهما ما لاحظت منذ أكثر من ربع قرن من الزمان، وهو فساد ترتيب أبياتهما، مما أعاد لذهني ما كتب شيخنا الجليل في كتابه الآنف الذكر عن صحة نسبة قصيدة تأبّط شرّاً "إن بالشِعبِ الذي دون سَلْعٍ" وعن خلل ترتيب الأبيات في القصيد العربي بشكل عام، وذلك المنهج السديد الذي اتبعه شيخنا العلامة في ربط القصيدة بالعروض وبحارها الخمسة عشر، وموقعها من دوائره الخمس، بحالة الشاعر النفسية مما يعين على كشف العديد مما خُبُأ من أسرار القصيد أو مما كان من خطأ الترتيب أو النسبة من الرواة المتعاقبين، أو مما لعبت به أيدى العابثين من ناحلي الشعر. ثم أخذني الفكر فيما قرر شيخنا عام ١٩٦٨ ميلادية من حرمان هذه الأجيال من تراث آبائها من تاريخ ولغة. أليس هذا الغرض الذي يحاوله الغزاة الصليبيون اليوم وما يوافقهم عليه أذنابهم ممن خانوا قومهم وباعوا دينهم بدنياهم ممن بيده سلطة صنع القرار؟ حذف ما هو من صلب ثقافتنا وعلومنا مما يصل حاضرنا بماضينا؟

علم هؤلاء المغرضون وأتباعهم الخبيثون أن قطع صلة الأجيال بعلومها اللُغوية يفصل بينها وبين ما حمله الآباء من قيم وخصائص تجعلهم يتفردون بين الأمم، فاللغة هي قالب الفكر في كلّ أمة، فيها تظهر خصائصها، وتتبلور معادن أخلاقها، خاصة أمة العرب الذين كانت لغتها وعاء فكرها ومصدر ثقافتها، فعُرفوا بشعرهم الذي لا تباريهم في مذاقه وفنونه أمة من الأمم.

وهذا الفصل والبتر ليس وليد هذا العقد من الزمن، وإن كان قد ثقل وطأه واشتد رزحه بما مازجه من مساندة الصليبية الغازية، بل قد أطل على أمتنا منذ أن دخلت الجامعة المصرية ببرامجها التي تدرس العلوم العلمانية الدنيوية، ولا تلقي بالا لعلوم الأمة التي هي قوام وجودها كعلوم الشريعة والعربية والتاريخ، إلا ما تقدمه في كليات ما يسمى "الآداب" من مناهج تستحي أن تنسب للعربية أو أن تنتج لُغويا. وكان القائمون على هذا ممن تشبعوا بعلوم الغرب وعشقوا مناهجه مثل أحمد لطفي السيد ومن بعده طه حسين الذي خرج على المصريين بكتابه "مستقبل الثقافة في مصر" يريد أن يجرّد الأزهر والجيل من كل رباط يربطه بثقافته وأن يُحكم بدلا من ذلك قبضة الثقافة الغربية، ولا غرو فهو عدو الأزهر الأول، والعجب أنه قد أصبح وزيرا للتعليم! بعد أن أصدر الأزهر فتوى بمروقه عن الدين إثر ما أشاع في كتابه "الأدب الجاهلي" من هجوم على مسلّمات إسلامية راسخة دون علم أو عقل.

والأمر اليوم ما هو إلا امتداد لذاك التوجه الخبيث المقيم، المدعوم بالتوجيه المغرض الوافد، تغيير الثوابت عن طريقِ تغيير المناهج، وصرف الشباب عن التعرف على علوم أمته ليرقى بها ويعلو، وما علم العروض إلا مثال على ما خسره الجيل من علوم أمته، فهو علم يصقل الذوق الفني ويرقي الحسّ والشعور ويعلو بالروح على المادة، ولكن إن كان الأزهر نفسه، وشيخه على رأسه، قد أطبق فمه وأغمض عينيه وأصمّ أذنيه وكأنما لا يدرى ما يراد به، فماذا على الشباب أن يضيّعوا مجد أمتهم الأثيل ويفرّطوا في تراثها الأصيل!



مشكلات الأمة الإسلامية

بين السياسة والاجتماع

لا شك أن المأزق التاريخي الذي تعاني منه الأمة الإسلامية ومؤشراته من انحطاط في سلم الحضارة وتخلف عن ركبها، وليد عوامل عديدة يجدر بالمهتمين بشؤون هذه الأمة أن يتعرفوا عليها وأن يتدارسوها ليتداركوها.

وعلى رأس هذه العوامل ذلك العَطَنَ والعَطَبَ الذي أصاب الحياة السياسية في بلادنا منذ أن فُرضت قوانين الطوارئ لتحمى الفساد وتمهد للطغيان. وفساد الحياة السياسية عامل كاف لأن يسلب أمة حيويتها ورغبتها في التقدم وأن يلقي بظلال الركود على عقول ابنائها فيقتل الخيال العلمي ويمحق النظر التجريبي ويجعل ابناء الأمة يخلدون إلى التافه من الأمور إذ يمنعهم يأسهم من التقدم أن يطلبوا المعالي. ثم يتغلغل أثر الدكتاتورية المصحوبة بالفساد إلى كافة مناحي الحياة الاجتماعية في الأمة، فترى أبناؤها يتناحرون ويتصايحون، وكأن تحقيق المراد موكول بنبرة الصوت الأعلى، لا منطق ولا إقناع، بل مهاترة وتشدق، ثم تراهم فقدوا اهتمامهم بالزمن والوقت، فلا احترام لموعد ولا حفاظ على عهد، ولا دقة في التنفيذ أو مهارة في الأداء، تجرأ الكثير منهم على السرقة والرشوة والتعدي، وبدت الكراهية في تصرفاتهم تجاه أحدهم الآخر، أسوة بما يرونه من كراهية حكامهم لهم وتعدّيهم عليهم وسطوتهم على أرزاقهم واستهتارهم بمستقبلهم.

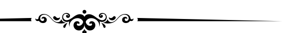
الخراب السياسي لا ينشأ عنه إلا أمة لا أمل لها في المستقبل، إذ إن المستقبل لا يملكه إلا من له حقّ التطلع الحرّ والترقب الطليق، والطير المأسور لا يغنى إلا نواحاً! والحرية السياسية، أو حرية الكلمة - إن شئت - هي الهواء الذي يتنفسه الأحرار، وهي النور الذي يضئ طريقهم وهي الدافع الذي يحركهم للأمام في طريق الرقي.

ولا يتوقف أثر الخراب السياسي على ما تقدم، بل إنه يتعدى الحياة الاجتماعية إلى الحياة الاقتصادية، ولا ندري الخراب الاقتصادي وليد الانحطاط الاجتماعي أم هو مسؤول عنه؟ ولكن المؤكد أن كليهما نتيجة مباشرة للخراب السياسي وفساد النظام. والحياة الاقتصادية، والنظام الاقتصادي العالمي أصبح لا يقبل تلك الأمم التي تتكاسل وتتقاعد، وينصرف أبناؤها عن الإنتاج المميز إلى إنتاج من الدرجة الرابعة،

فالمنافسة العالمية شديدة لا يفوز فيها إلا الأفضل. وكما رأينا، فإن انعدام الدافع للتقدم يجعل ابناء الأمة ينحصر اهتمامهم في تحقيق الكسب السريع بغير جهد ولا مشقة، فهم يرون حكامهم يكسبون الملايين أو البلايين دون جهد أو تعب، وصدق الشاعر:

إذا كان ربُّ البيتِ بالدفّ ضارباً فشيمةُ أهلِ البيتِ كلُهُمُ الرقصُ

ولكن فضلَ الله عظيم، فإن الأمة، على الرغم من الطفيليات السياسية التي عشّشت على مسرحها السياسي زمناً متطاولاً، وما أفرزته تلك الطفيليات من جرائم اجتماعية واقتصادية، لا تزالُ تحمل بين جُنُباتها إيمانٌ لا يخبو، إن قُدّر أن ترفع عنه القيود لرَفَعَ هذه الأمة إلى مكانتها التي تليق بها بين الناس، وإنه لواقع إن شاء الله.





تساؤلات مصرية

على هامش الانتخابات البرلمانية

ما حدث، ولا يزال، في مسلسل الانتخابات البرلمانية يبعث على إثارة الكثير من التساؤلات التي لا أجد لها إجابة عندي، إلا ان أطرحها على المصريين لعل منهم من هو أسدّ مني عقلا وأرشد رأيا أن يهدى إلى إجابة شافية لها.

ورد مؤخرا على لسان عدد من ممثلي النظام الحاكم، مثل أحمد "نظيف!" وأسامة الباز، في بيان السبب الذي يجعل الحكومة المصرية تقف بالمرصاد لأي اتجاه إسلامي يريد الإصلاح، فتعتقل دعاته وتشرد عائلاته، أن "الدستور المصري لا يسمح بإقامة أي حزب على أساس ديني" ولو كان إسلاميا، بل بالذات إن كان إسلاميا! وأتساءل: ما هذا الدستور؟ ومن هو واضعه؟ وعلى أساس وضعه؟ ومن الذي صدّق عليه؟ هل ارتضته الغالبية المصرية؟ أم إنه رضاء الإذعان والإكراه؟ أليست غالبية المصريين يدينون بالإسلام، حتى إن صدّقنا ما اختلقه الباز من أن النصارى يمثلون ١٠٪ من الشعب، فأين حق ٩٠٪؟ وإن فرضنا جدلا أن هناك في هذه النسبة من يقبل بتنحية دين الله من أن يحكم في حياة المسلمين، فلتكن ١٠٪ كذلك، فإين حق ٨٠٪؟ هذا الدستور قرآنا لا يبدل ولا يحرّف وإن كان مخالفا لراي الغالبية؟ وان كانت هناك نداءات بحذف آيات وسور من القرآن إرضاء لأمريكا ومن لفّ لفهاّ ودان بدينها، وأصبحت تلاوة آيات معينة جريمة يعاقب عليها القانون، أفلا يتساوى القرآن والدستور في إمكانية تجاوز مثل هذه البنود التي تخالف ديننا وشرعنا وعقيدة غالبيتنا؟ كيف يمكن لهؤلاء المدّعين أن يكنوا الاحترام والتبجيل للدستور ويتخذونه ذريعة لتجاوز المطلب الديموقراطي الأول والأهم للغالبية ويسهل عليهم وعلى أمثالهم أن يتجاوزوا القرآن، كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ أيكون فعلهم هذا هو الباطل الذي يسعى بين أيديهم ومن خلفهم؟

ما هي حقيقة هذه الديموقراطية إذن؟ لماذا يلجأ النظام الحاكم إلى الاستعانة بالبلطجية وأرباب السوابق لضرب الناخبين والمرشحين على حدّ سواء؟ وكيف يمكن أن تمنع الشرطة التي هي قوة رادعة للغصب والبلطجة أن تحمى البلطجة والغصب؟ وما المانع من أن تكون الحكومة عادلة فتسمح للغالبية أن تكون ممثلة في أجهزتها التي هي اجهزة الشعب وهيئات الشعب؟ أقدر المصريين أن تحكمهم الأقلية المتدثرة برداء

الأغلبية؟

ثم، ما هي شرعية هذه الحكومة إذن؟ وكيف تكون الحكومة ممثلة للشعب وهي تحارب الشعب بضرب ممثليه الحقيقيين وإرغامهم على الخروج من حلبة الانتخابات رأسا؟ كيف تؤتمن على مصائر المصريين وثرواتهم ومستقبل أبنائهم وقد نزعت عن وجهها قناع الشرعية ولبست قناع التجبر والعربدة؟

أيمكن أن تكون المؤسسة السياسية تعمل إذن ضد مصلحة الغالبية؟ أيكون هذا سبب انتشار الفقر وتفشى المرض وسيطرة الجهل، والأطعمة المسرطنة، والمياه الملوثة والمعلبات المسممة والسحابة السوداء، وبقية ما يعرفه المصريون عن الصفقات المشبوهة مع ألدّ اعدائها اقتصاديا وسياسيا؟

اسئلة لا حصر دارت بخلدي لا اعرف جوابا لها ولا أهتدى إلى تفسير لحل الغازها فهل مجيب؟





الشكل السياسي وإمكانية التغيير

عرف العالم عددا من الأنظمة السياسية المختلفة التي تحدد طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وشكلها وموضوعها. هذه الأنظمة، باختصار، الملكية والجمهورية والخلافة الإسلامية، وكلّ من هذه الأشكال يختلف عن الآخر اختلافا بيّنا ويفارقه في أصله وفروعه. والملكية، التي أصلها أن الشعب مملوك لعائلة معينة نتيجة اسباب مختلفة، إما أن تكون ملكية استبدادية، الملك فيها هو الحاكم المطلق الذي لا يُردّ له قول، إذ يستمدُ قوته من قوة أعلى سواء بحق إلهي أو بخضوع شعبي لسلطة العائلة المطلقة، مثل كثير من الملكيات الأوروبية في العصور الوسطى أو ملكيات الشرق الأوسط. ثم الملكية الرمزية والتي تملك فيها العائلة المالكة ولا تحكم، كما هو الحال في إنجلترا وعدد من الملكيات الأوروبية الحاضرة. وأما الشكل الجمهوري فهو، كما يشتق من اسمه، يرجع، افتراضيا، إلى الجمهور أو الشعب. والجمهوريات إما يتمتع رئيسها بسلطات واسعة تعلو على سلطة الحكومة ولا يحدّها إلا المجالس النيابية، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية (جمهورية فيدرالية)، وبعض بلدان أوروبا كفرنسا، أو أن تكون سلطات رئيس الجمهورية سلطات رمزية، إذ يكون رمزا للدولة يمثلها في المناسبات الدولية غير السياسية، مثل نظام الكيان السرطاني الصهيوني في فلسطين.

فالملك في النظام الملكي يتربع على عرش السلطة سواء أكان كفءً أم غير كفءٍ، إذ أن السلطة تنحدر اليه بالسلالة لا بالكفاءة مما أدى إلى مولد الملكية الرمزية بعدما عانت الدول الأوروبية من الملكيات الاستبدادية. ورئيس الجمهورية، حال توليه السلطة، غالبا ما لا توجد وسيلة تردعه عن الاستبداد باسم الشعب بأن يزوّر إرادته مستخدما كافة الطرق سواء بتزييف الحقائق كما هو الحال في الإدارة الحالية لأمريكا، أو بأساليب القمع والعنف والبلطجة والتزوير كما هو الحال في دولنا العربية.

أما نظام الخلافة الإسلامية فهو مختلف عن كلا النظامين السابقين في شكله وطريقة عمله، فالخليفة لا يختاره الشعب على أساس الأغلبية المطلقة، فالأغلبية المطلقة قد تكون مغرر بها وقد تكون على غير الحق، إن انتشر الفساد وعمّت البدع، إنما تختاره النخبة الإسلامية ممن يتقيد بالشريعة وأحكامها علما وعملا، ويكون مؤهلا لحمل مسؤوليات المنصب بما يستلزمه من علوم الدنيا، ويحمل الخليفة مسؤوليات منصبه

بما هو قريب من النظام الأمريكي، إذ يستشير مجالس نيابية أعضاؤها من العلماء والمتخصصين سواء في الشريعة أو العلوم الدنيوية، لا مجرد انتخاب الغالبية من العوام. وهذه المجالس إما أن تكون توصياتها معلمة بمعنى أنه ليس من الحتم أن يلتزم بها الخليفة إن رأى في مخالفتها المصلحة، كما حدث في حروب الردة حين خالف أبو بكر الغالبية، وكان معه الحق في ذلك، أو أن تكون هذه الشورى ملزمة أي هو مقيّد باتباعها وكلا الرأيين له سنده من الشريعة، وقد عرفت الدنيا أفضل وأرقي نظام للحكم حين طبقت نظام الخلافة في عصر الراشدين، ثم بدأت العوامل الدنيوية تتدخل في هذا الشكل السياسي، حتى مرّت عصور كان الخليفة فيها لا يقلّ سوءا عن الملك المستبد أو الرئيس الطاغية.

وبعد هذا الاستعراض السريع لنظم الحكم المختلفة، أتساءل، هل من الممكن أن تكون هناك خطوات إيجابية لمصالحة وطنية في بلادنا، بين الحاكم والمحكومين، حيث يصطلح الناس على أن يظل الرئيس الحالي رئيسا شرفيا للدولة مدتين متتاليتين، فيحتفظ بمركزه المرموق، إلا أنه يدع المتخصصين من أهل الثقة والكفاءة والديانة يشكلون الحكومة ويعملون على خدمة الشعب، كبديل لهذه البلطجة والعنف والنهب الصريح، ولسنا في هذا، إن أخذنا به، بأقل من الكيان الصهيوني السرطاني في فلسطين، والعيب أن نكون أقل منهم، وهم أقلّ من على سطح الأرض كرامة وأخسهم طبعا!



"إنه كان ظلوما جهولا"

يتحدث الناس عن ظلم الحاكم – أي حاكم - وجبروته وطغيانه وعن القمع الذي يمارسه والإرهاب والفساد الذي يشيعه في حياة الناس وفي مقدراتهم، وأعجب، هل يمكن لرجل فرد يحتل مكان "الحاكم" أن يفعل كل هذا الشر بمفرده؟ كيف يتسنى لرجل فرد أن يقوم بكل هذه الشرور ويبوء بكل هذه الذنوب وحده بلا شريك؟ هذا أمر لا يعقل .. من الذي يقوم بإصدار الأوامر التفصيلية التي تفصّل إرادة الحاكم؟ ثم من الذي يقوم بتنفيذ هذه الأوامر وإخراجها إلى عالم الواقع؟ الحاكم ولا شك لا يخرج في الشوارع ليعتقل الأبرياء ويشرد الأسر ويوقع كافة الأوراق التي تتحول بمقتضاها أموال الناس إلى حسابه الخاص؟

الأمر إذن يتعلق وبشكل شبه كليّ على من هم وراء الحاكم، لو تخيّلنا هذا الجهاز الهائل الذي يتحرك بإرادة الحاكم ويعمل لحسابه لعرفنا من الذي نلوم على ما نحن فيه ولعرفنا لماذا نحن فيما نحن فيه! ومن هم وراء الحاكم، ويا للأسف هم من أبناء الشعب نفسه الذي تقع عليه هذه المظالم! دائرة مغلقة لا يبررها منطق ولا يؤيدها عقل!

إن إلقاء اللوم على الحاكم وحده لا يخلي مسؤولية الملايين الذين يساندونه في كل مرفأ من مرافئ الحياة بلا استثناء والذين يقومون بتحقيق ما يشيعه من فساد إن كل خلية من خلايا الشعب قد اصيبت بسرطان الحكم. وإن كنت في ريب مما اقول، فقل لي بالله عليك: من الذي يرتب صناديق الاقتراع المزورة، ومن الذي يحملها إلى مراكز الاقتراع، من الذي يفرغها ويدوّن النتائج "المضروبة"؟ ثم، من الذي يحاصر المتظاهرين، ويعذب المعتقلين .. إنهم أفراد من هذا الشعب، يعملون ضدّ آبائهم وأبنائهم وأصدقائهم بل وأنفسهم.

ثم أيكفي ادعاء أن هؤلاء الذين يعملون لحساب الحاكم منهم من يعرف ويقصد ومنهم من لا يعرف ولا يقصد؟ أظن والله أعلم، أن هذا الجهل وهذه النية لا تعفي من المسؤولية باي حال من الأحوال مهما كان السبب، فإن اليد التي تسرق قد أمر الله سبحانه بقطعها وهي إنما تعمل لحساب حاملها دون إرادة مستقلة منها. وهؤلاء

الذين يعملون لحساب الحاكم، بعلم أم بجهل إنما هم يد الظلم وقدمه وعقله، ولا أقصد تلك الطغمة التي تحيط بالحاكم من الوزراء والمستشارين، فهؤلاء هم "الحاكم" بشحمه ولحمه، وإنما أقصد أفراد الشعب الذين يحملون تلك الأوامر محمل التنفيذ، ويظنون، ويظن الناس معهم أنهم مجبورون على تلك الأفعال، لا والله الذي لا إله إلا هو ليسوا بمجبرين، بل هم مكلّفون بنفس التكليف الإلهي مغيرهم بأن لا ينصروا ظالما أو يساندوا جباران فكيف وهم أداته ومبراته؟

لقد آن لكل فرد من أفراد الأمة المقهورة أن ينظر فيما يفعل ولما يفعل ما يفعل وما هي نتائج ما يفعل، الموظف والشرطيّ ومدير البنك ونائب الوزير وغيرهم من طبقات الشعب، ولا يظننًّ أحد أن ما يشارك به في مساندة هذا الحاكم إنما هو مجرد حصوة صغيرة في جدار هائل أو قطرة في محيط الفساد، فماذا يضر إن فعل ما فعل فإن امتناعه لن يغير من الوضع شيء. هذا خطأ عقلا وحرام شرعا. فإن كل امرئ محاسب على عمله كبر أثره أم صغر.

إن الحاكم لا يقوى على ظلمه بنفسه، بل بسلسلة من الفساد لا تنتهي إلا مع أصغر ضابط يوقع أمر اعتقال لا سبب له أو سائق يقود سيارة تحمل معتقلين بلا جريرة، وكل صحفي يكتب سطورا يؤيد بها ظلما أو يمجد من يكرّس الظلم. كلهم شريك في الجرم، أمام الله وأمام الناس.

على كل فرد أن يحاسب نفسه ويحدد موقعه فإن الأمانة ثقيلة وعبئ حملها قد ناءت به الجبال من قبل، وحملها الإنسان من قبلن إنه كان ظلوما جهولا.



لا حياة بلا حريـــــة

سُلِبَ المصريون الحرية منذ أكثر من نصف قرن، عاشوا فيه تحت ظل الاستبداد والاستعباد، تارة تحت شعار "ارفع رأسك يا أخي!"، وتارة أخرى تحت وهم "الانفتاح"، ثم تارة ثالثة تحت شعار .. يعلم الله أن هذه المرة ليس لها حتى شعار ترفعه! وإنما هو مجرد استمرارية العذاب والعقاب وسلب الحرية وقوانين الطوارئ .. الطوارئ التي من طبيعة تسميتها أنها "طارئة" اي مؤقتة فإذا هي الأصل المقيم ما أقام السرمدان.

ويقول البعض إن المصريين شعب صبور يتحمل الضيم ويرضى بالظلم إلى حين، ويعالج الاستعباد والاستبداد بالصبر على مرتكبيه حتى ينال منهم الزمن الذي يرحم، وقد يكون هذا العلاج صحيح، إلا أنه جزء من العلاج الشامل، فإنه يجب أن يدرك الناس أن الحرية لا يدق بابها إلا بالتضحية كما أسلفنا، التضحية بالوقت، وبالجهد، وبالمال وبالنفس إن لزم الأمر، فإنه للصبر حدود كما يقال، والكريم يمهل ولا يهمل، والعفو عن الظالم لا يكون إلا بعد القدرة عليه.

والحرية هي أرفع ما يتحلى به الإنسان في حياتنا الدنيا، وأعلاها تحرر الإنسان من عبادة الناس والخضوع للناس إلى عبادة الله وحده والخضوع له وحده، فهي لذلك أغلى القيم وأعلاها ثمنا، ومن ثم كذلك هي لا تمنح وإنما تؤخذ اخذاً فالسلعة حين يغلو ثمنِها، ويستأثر بها من يريد احتكارها يرتفع ثمنها حتى تكون الحياة نفسها ثمنا لها، ويُضحى في سبيلها بكل غالٍ ورخيص.

ونضيف أن الحرية التي نقصدها هي ليست التفلّت من القيود، والتصرف غير المسؤول أو الانسياق وراء كل ما تدعو اليه النفس، وما تأباه الفطر السليمة كما يدعو أتباع العلمانية الشاردة الملحدة، بل هي اختيار واع لما يفعل المرء داخل منظومة الجماعة الإنسانية التي يعيش بين ظهرانيها وتبعا لقوانينها التي ترتضيها.

يجب أن يدرك الناس أن الحياة بلا حرية هي ليست الحياة التي يريدها الله سبحانه لبني آدم، وإنما هي أقرب إلى حياة الحيوان، حياةً لا تعرف إلا إرضاء الغريزة، بلا كرامة ولا عزة نفس.

كيف يرضى المصريون أن تمتهن كرامتهم، وتسخف عقولهم وتسلب إرادتهم وتغصب حقوقهم وتنتزع حرياتهم دون أن يتحرك منهم ساكناً؟ أطال عليهم أمد الاستعباد فباتوا لا يعرفون ما هي الحرية ولا يدركون مذاقها؟ أم اشتدت عليهم وطأة الحياة ومتطلباتها فأذهلتهم عن فقد أعز ما يمتلك الإنسان، "الحرية"؟ إن الله سبحانه أعطى الإنسان الحرية كاملة حتى إنه سبحانه قد ترك من يكفر به حيا يرزق، بينما يأبى طغاة البشر أن يتحدث الناس بظلمهم! أفلا يفهم البشر إذن أن الحرية هي نسيج هذه الحياة وقوامها الأصيل؟

إن النهوض بالأمة اقتصاديا وعلميا واجتماعيا وتحقيق الرخاء لأفرادها مرهون بتحقق الحرية السياسية، حرية الكلمة، حرية الرأي والتعبير، حرية النقد والمساءلة للحاكم، ومرهون برفع الخوف الذي يعيشه المواطنون تحت ظل "الطوارئ" وما استحدث من قوانين "محاربة الإرهاب" التي هي بدعة "بوش" ومن والاه، لتحقيق مخططاتهم في بلاد المسلمين. إن الحياة الامنة من الخوف هي من نعم الله العظيمة وهي مناط الحرية إذ لا حيرة مع الخوف وصدق الله العظيم حين منّ على عباده بتحريرهم من الخوف في قوله تعالى: "وآمنهم من خوف".



العقلية الإسلامية

بين الواقع والخيال

يرتبط العلم "الطبيعيّ" إن صح التعبير، في الفكر الإنسانيّ على وجه العموم، وفي الفكر الإسلامي على وجه الخصوص، بالواقعية التجريبية التي تبحث في الموجودات من حيث نشأتها وتطورها في مراحل الحياة، وما ينبني على ذلك من استنباط نظريّ لقواعد تحكم الواقع العمليّ، سواء في الناحية الإنسانية كعلم الاجتماع، أو الناحية الطبيعية كالرياضيات، أو من استخراج نتائج عملية تُسفر عن استخدام للموجودات بطريق أكثر فائدة لبني الإنسان كما في علم البصريات وما تبعه من تصنيع العدسات المقرّبة وخلافها. وقد أذكى هذا المنحى في البحث العلميّ لدى الباحثين المسلمين ما قرره القرآن الكريم من الحث على النظر في الآفاق الكونية وفي الآفاق الذاتية على السواء، قال تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" فصلت ٥٣. وقال تعالى "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق" العنكبوت ٢٠. فالواقية العلمية قد دفعت وقادت الباحثين المسلمين على مر العصور لأن ينحوا ذلك المنحى التجريبيّ، وهو ما أملاه عليهم دينهم من رفض للخرافات والأساطير التي شاعت في "الميثولوجيا" الخاصة بشعوب أخرى كاليونان.

إلا أن تلك الواقعية تحتاج إلى قليل من الخيال المبدع، كما يحتاج الطعام إلى القليل من الملح. فالحياة في الواقع ودراسة الواقع والشغل بالواقع أمرٌ محمود، إلا أن ذلك لا يمنع، بل إنه يستدعي، إذكاء الواقع بالخيال الذي يستنفر من الإنسان طاقاته الدفينة ويستشف ما وراء إمكاناته الظاهرة ليرسم طرقا جديدة في خياله المبدع توطئة لنقل هذا الخيال إلى حيز الواقع وحدود التنفيذ والإمكان. بهذا الخيال ارتقت الحضارة الغربية واستشرفت آفاقا في الكون والحياة لم تكن - في واقعها المجرد، لتظن أنها ترقي إليها، فصعدت إلى القمر بخيال كتّابها العلميين قبل أن تطأه بقدمها وغاصت في لُجي البحار دون أن تفارق شواطئه، وساير الواقعُ الخيالَ فكان التقدم في كل مجال تابعاً لخيال أمثال "جول فيرن" و "هـ. ج. ويلز".

والعجبِ كل العجب من العرب، الذين عُرِفَ عن كُتّابهم وشعرائهم الخيالَ البديع والقدرةَ على التصورِ الشفافِ مما لم يُعرف لغيرهم من كُتّابِ الأمم، العجب وهم حين حان استنفار ذلك الخيال ليصفوا الكون والحياة وصفا يستنفر الطاقات العلمية

ويشحذها، إذا هم يعيشون نوع آخر من الخيال، خيال أقرب إلى المخدر العقلي الذي ينبش صاحبه صفحات الماضي لا ليتخذ منه زادا ووقودا للحاضر، بل ليجعل ماضيه مسرحا لخياله يعيد فيه أمجاده كما كانت يوم أن كانت دون أن يتكلف عناء إحياء الحاضر بالعلم والعمل، فعاشوا واقعهم في خيالهم، وباعوا مجد حاضرهم بخيال ماضيهم، وما أتعسه من خيال!.

والمسلمون اليوم، إذ لم يستفيدوا بما دل عليه القرآن من حث على الواقعية العلمية ولا ما سمح به الدين من خيال مبدع، مطالبون بإعادة النظر في منظومة الحياة والكون بعين الواقع المشهود والخيال اللامحدود ليلحقوا بركب الحضارة ثم يتجاوزوها إلى مركز القيادة ومكان الصدارة من قافلة البشرية كما أراد لهم خالقها.



الحقيقة المغيّبة

أثناء مقابلة أجرتها التليفزيونية اليهودية، الشهيرة كريستيانا مانبور، الموالية للعنصرية الصليبية، لحساب سى إن إن، يوم السبت الماضي مع عدد من البريطانيين في الشارع البريطاني عقب أحداث التفجيرات اللندنية الأخيرة، وأثناء حديثها مع أحد البريطانيين تقدم منها مواطن بريطاني "أبيض" وتدخل بشكل فجائي في الحوار صارخاً فيها: "يجب أن تحدثي بالحق، قولي لماذا حدثت هذه الهجمات، إنه الغزو في العراق، لابد وأنّ ٥٠ عراقيا قتلوا اليوم في العراق بسببنا!"، وأُسقط في يد الصحفية ولم تجد ما تقول فحاولت التخلص بأن قالت :"هؤلاء هم المواطنون البريطانيون، على اختلاف آرائهم..."، كلّ هذا مسجّل على الهواء

لقد بدأ مواطنو الدول الغازية المعتدية، أمريكا وبريطانيا يدركون أن الأمر ليس كما يحاول زعماؤهم خداعهم به من التبريرات الفاسدة غير المنطقية، وقد ظهر توني بلير على التلفاز يخدع الناس بقوله إن هذا العدوان هو عدوان على كل الأمم لا على بريطانيا! وأن هذا لن يثني البريطانيين عن عزيمتهم في الحفاظ على "أسلوب حياتهم الخاص" الذي ارتضوه لأنفسهم!

عجبا يا بلير! ثم عجبا! إن هذا الهجوم تم على بريطانيا وحدها ولم يقع في الدانمرك أو هولندا أو كندا أو غيرهم من الأمم! والتبرير بسيط، أن هذه الدول لا تشارك في الغزو الصليبي الذي تقوده أمريكا وبريطانيا على أرض الإسلام، وهو تكتيك رخيص يهدف إلى توزيع المسؤولية على الغير حتى تشعر بقية الدول بأنها ضحية كذلك.

ثم من الذي قال أن أحدا يريد أن " يثني البريطانيين عن عزيمتهم في الحفاظ على "أسلوب حياتهم الخاص" الذي ارتضوه لأنفسهم"؟ إن أحدا لا يهتم بطريقة حياة هذه الأمم فهم أحرار في الطريقة التي يرونها ملائمة لهم، سواء كان ذلك في إباحتهم للشذوذ الجنسي أو إشاعة الفواحش وتقنينها، ذلك أمر لا يعنى المسلمين في قليل ولا كثير، وإنما هو تكتيك رخيص يلقى في روع رجل الشارع البريطاني الخوف والهلع من المسلمين الذين يريدون أن يفرضوا سيطرتهم على أسلوب الحياة في الغرب!

ولـكن إن كان غزو بلاد المسلمين هو مما يعتبره الصليبي بلير من "اسلوب حياتهم" فإن ذلك إذن هو من شأن المسلمين، وهو إذن مما يجب علي المسلمين تغييره بكافة الوسائل المتاحة لهم.

وهذا هو بالضبط ما عناه المواطن البريطاني الذي اعترض الصحفية الصليبية. إن على المسلمين اليوم أن يبذلوا قصارى جهدهم في العمل على بيان حقائق الأمور لرجل الشارع، فإن أكثرهم لا يعلمون شيئا عما يدور حولهم، وهم أسارى لما تبثّه وسائل الإعلام الموالية للصهاينة والصليبية من سموم يجرّعونها مواطنيهم ليل نهار. ويكفي أن تعلم أن ١٥.٪ من الأمريكيين يحوزون جواز سفر، فهي امة أمية سياسياً وإن ظهر غير ذلك، وهذا لا يقتصر على العوام بل يتخطاه إلى كثير ممن هم في مناصب عليا، ولا أشك البتة في أن أي سائق سيارة أجرة في القاهرة أدرى بمعالم السياسة العالمية أكثر من كوفي عنان!



المخـاض السياسيّ!

الفائز والخاسرون

كان الله في عون مصر وفي عون أبناء مصر في هذه الفترة العصيبة التي تمر بها وبهم. فإنه بعد عدة ساعات ستبدأ عملية يعجز اللسان عن توصيفها توصيفا صحيحا مطابقا للواقع، فإنه من المفترض أن تكون عملية انتخابات حرة بين عدة مرشحين مؤهلين سياسيا وقوميا لقيادة هذا البلد العريق في هذه المرحلة التي لا نعرف لها نظيرا في عصرنا الحاضر على اقل تقدير. ولكن حقيقة الأمر تنبؤ أنها ستكون كل شيء إلا ما وصفنا!

فإن المعارك الانتخابية كما تعرفها نظم الحكم الحديثة لا يمكن معرفة نتيجتها سلفا، وهي ليست الحالة التي هي قيد البحث! فالفائز معروف سلفاً، وغالب أهل البلد يعرفون ذلك بما فيهم منافسوه! ولا أعرف لمعركة انتخابية مثل هذه اسما!

ثم هي ليست حرة، فإنها اولا محددة النتيجة سلفا، وهو أمر لا ينبئ عن حرية إلا إن كان المرشح المتوقع فوزه لا يقارن في عبقرياته السياسية أو إخلاصه أو تفانيه في حب بلده بأحد من منافسيه، ومرة أخرى، هي ليست الحالة التي هي قيد البحث! فالفائز معروف سلفاً، فإن هذا النظام لم يعرف عنه إلا الخداع والتلاعب والإثراء على حساب الشعب المستضعف.

أما عن التأهيل السياسيّ فإن المرشح الرئيس! أكثر المرشحين خبرة إذا اعتبرنا الخبرة السياسية بطول مدة البقاء في صدارة الصحف وساعات الظهور على شاشات التلفاز! ولكن والحق يقال أن منافسه الرئيس (كذلك) لا أدرى من أين ظهر فجأة على سطح الواقع السياسي المصري، ما هي خلفيته السياسية؟ ما هي أجندة عمله؟ ما هي القوى التي تمكنت من إعطائه هذه الدفعة الهائلة لينافس المرشح "الرئيس"؟ أهو "كرزاي" أو "علاوى" تم تجنيده لمصر الحديثة المأمركة؟ أم هو حرّ محب للشعب ولأبنائه؟ ما هي ايديولوجيته تجاه بلد إسلامي الهوية والتاريخ والتقاليد؟ ما هو مفهوم الحرية في قاموس "أيمن"؟ وأنا شخصيا، ولا أعبر إلا عن نفسي، لا أثق كثيرا بتلك الشخصيات التي تظهر على السطح فجأة دون تاريخ سياسي يؤهل لمثل هذا المنصب؟ وهذا لا يعني بالطبع أن المرشح "الرئيس" أفضل أو أولى بالمنصب، فإن

امتشاق السلطة على أكتاف الجيش والبوليس لا يقل خيانة عن امتشاقها على أيدي الأمريكان. لها الله بلد الكنانة!

ثم، هل سيتم هذا المخاض ويفوز الفائز "أو يفوز الخاسر"، ثم تعود الحياة الطبيعية، أو أجدر أن أقول "غير الطبيعية" إلى سابق عهدها، يسرق من يسرق ويبيع مصر من يبيعها ويخونها من يخونها دون محاسبة أو رقابة؟ أم سيكون هناك من تدفعه وطنيته أو دينه أو عملاؤه "كلّ حسب دوافعه" إلى أن لا يسكت ويمرر التزوير مرة خامسة لعل الله أن يحدث بعد ذلك أمرا؟ لا ندرى.

كل ما يمكن أن نقول أنه لو كانت هناك بقية حس أو ضمير عند أي من هؤلاء اللاعبين والتلاعبين أن يتقوا الله ربهم في أبناء هذا البلد الذين استنفذوا في السنوات الخمسين الماضية أسوأ ما يكون الاستنزاف، فحسبهم ما نزل بساحتهم.

مهما كانت النتيجة ولصالح من طبّ الميزان، فإنني أدعو من له في الأمر يدّ أن لا يعرض هذا البلد لأهوال التفرقة والتحطيم والخراب فحسبنا ما نحن فيه من خراب طوال "عهود الحرية" السالفة.. .





التعددية السياسية

والهوية الواحدة

لا شك أنّ ظاهرة تعدد الأحزاب والتجمعات والحركات التي انفتح بابها منذ عهد قريب هي نتيجة كبت طويل وورم متأصل في جسد الأمة وعقلها الواعي وقلبها النابض، جعلها تئن بهذه النبضات الصارخة المتمثلة في التظاهرات وإنشاء هذه الكيانات. وهي ظاهرة صحية "في جملتها" إذ إن التعددية السياسية تعنى صحة الجسد ويقظة العقل وصحوة الروح وما يتبع ذلك من تعدد البرامج الإصلاحية والمذاهب التطبيقية في كافة مجالات الحياة مما ينشأ عنه اختيار الأفضل وتقديم الأولى.

والأمر الذي لا نقاش فيه ولا يحتمل المراجعة أو تعدد الآراء هو أنّ تلك الساحة التي توشك أن تعجّ بهذه التجمعات، لا يجب أن تعكس تعدداً في الأيديولوجية العامة أو في الاتجاهات الكليّة لتلك الأحزاب والتجمعات والحركات، إذ يجب أن تكون كلها ممثِلة لهوية الشعب المصري المسلم وما يحمل ذلك من التزامات تجاه دينه ووطنه وأهله – مسلمين وغير مسلمين - فكرياً واقتصاديا واجتماعيا. هذا أمر أدعو الله سبحانه أن يكون مجمَعاً عليه من كافة أعلام هذه التجمعات والحركات والأحزاب. فإنه لا يحق البتّة لأى فرد كان أو أي تجمع أو حركة أو حزب أن يكون برنامجه مناهضاً لتلك الهوية بأن يدعو إلى قومية جاهلية – مع اعتزازنا بالوطن والأهل – ولا إلى لا دينية "علمانية" - مع حرصنا على مواطنينا من المنصفين من أهل الكتّاب وغيرهم – ولا إلى إصلاحية غربية متفرنجة منسلخة عن هويتنا – مع ترحيبنا بالإنجازات العلمية الحضارية – ولا غير ذلك من دعوات تحمل شعارات الإصلاح ظاهراً وجراثيم الخراب والتعفن باطنا.

ليس من حقّ أي حزب أو تجمع أو حركة أن ينتهز فرصة هذه الموجة من الانفراج النسبي في التعبير والتحرك فيعمل على مزج هوية هذا الشعب بما هو غريب متغرب أو لا ديني ملحد أو جاهلي منتن "كما وسمها رسول الله ﷺ في حديثه عن الدعوة إلى التحزب القومي، قال عليه الصلاة السلام: دعوها فإنها منتنة". لا يصح أن يعبث أحد بمقدرات هذه الأمة التي عاشت قرونا في ظل الإسلام حضارة وعلماً وعادات وتقاليد فأصبح لها كالدم في العروق أو الروح في الجسد. كما أنه لا يحق لأحد، وإن كان ممن يحمل شعاراً إسلامياً ويندرج تحت لواء حزب إسلامي، أن يسعى لتحقيق

نجاح سياسي أو كسب برلماني على حساب مقررات ثابتة في دين الأمة ووعيها. الحذر الحذر من هذه المطبّات السياسية فإن نتيجتها مريرة، ولن يقدر أحد على أن يخدع الله سبحانه.

وإني لأدعو كل من دفعه حب وطننا وأهلنا أن يخلص التوجّه لله سبحانه وأن يجعل نصب عينيه الصراط المستقيم الذي يجب علينا إتباعه، كما قال تعالى: "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" إن أراد أن يكون برنامجه السياسي مقبولا عند الله والناس، وأن يترك السبل التي لا رصيد لها عند الله والناس فإن هذا كمن يسحب من بنك لا رصيد له فيه، فسينفق وقتا وجهدا ومالا ثم يكون عليه حسرات، والشعب المصري يعرف ما يريد ويتربص لمن يحاول أن يسلبه هويته التي هي أعز ما يملك، وقد بدأ بالفعل في التكشير عن أنيابه لا رضاً وارتياحاً! ولله درّ المتنبي إذ يقول:

إذا رأيت نيوب الليثِ بارزةً فلا تظنّن أن الليثَ يبتسمُ



تيسير علّوني .. صبراً

صدر أمس حكم المحكمة الإسبانية على الأخ الصحفي تيسير علّوني بالسجن سبع سنوات .. بعد سلسلة من الاحتجازات والاعتقالات التي هددت صحته من قبل. وتيسير ليس غريبا على أي منا، إذ كانت كلماته وتقاريره خلال الهجوم الصليبي على أفغانستان كالبلسم على أسماع المسلمين في أنحاء الأرض، ودخل تيسير من يومها قلوب المسلمين في كل مكان .. تلك كانت جريمته الحقيقية، لا ما أدين به من تهمة إجراء مقابلة مع أسامة بن لادن! إذ كم من الصحفيين العالميين التقى بن لادن، ومنهم من هم يعملون لحساب الشبكات العالمية مثل CNN وغيرها، ومنهم من يعمل لحساب صحف كبرى كالإندبندنت وغيرها، فلماذا تيسير؟ الجواب واضح ومباشر، لأن تيسير علّوني مسلم محبّ لدينه مخلص لوطنه الإسلامي ومتقن لعمله الصحفيّ. تلك هي جريرته الحقيقية، لا أنه التقي بن لادن أو غيره، فإن العمل الصحفيّ يستدعي تلك المقابلات، وإن التقاء بن لادن كان يعتبر سبقاً صحفياً كبيراً خطيراً، وكانت دور الصحف ووكالات الأنباء العالمية تتسابق على تدبير مثل هذا اللقاء ودفع الغالي والرخيص في سبيل أن تحظى بمثله، وتيسير لم يرتكب خطئا ولا جرما بل فعل ما كان يتمنى كل صحفي أن يفعله وقتها، أن يلتقي بذلك الرجل الذي روّجت وسائل الإعلام الغربية أنه المسؤول عن تدمير تلك البنايات في امريكا، وجاهر بعداء القوى العظمى الوحيدة على وجه الأرض. جريرة تيسير علّوني التي عاقبه عليها القضاء الصليبي الإسباني أنه مسلم، وأنه، لإخلاصه ومحبته لدينه وقومه والحق، قد تفوق على العملاء من الصحفيين، وأثبت للعالم أن المسلم قادر على أن يقدم المادة الصحفية الصادقة أفضل وأثبت مما يقدمه الغرب الذي يتباهى بتكنولوجيته ووسائله، التي تعوزها الروح لتكون إنباءً حقيقيا يمتزج بشخص الصحفي وفكره.

وما يؤلم ألم الحدث ذاته في هذا الصدد أنّ صحافتنا العربية كافة لم تعتني بهذا النبأ ولم تشحذ همم كتّابها وصحافييها لاستنكار مثل هذا الإجرام والتعدي، وللدفاع عن هذا الحرّ السجين، ولم يعتني أحد منهم بالكتّابة عن علّوني لا من زاوية ما يمثله الحكم من مأساة للصحافة العربية خاصة والعالمية عامة، ولكن غيرة على أخ مسلم صادق قدّم للمسلمين، وللعالم رؤية صادقة للحرب الصليبية على أرض أفغانستان، وكشف

ممارسات العدو الصليبي وأكاذيبه وجرائمه. وقد كنت أتوقع أن تمتلئ صحفنا بما يقيم الدنيا ولا يقعدها ويحرك الرأي العام العربي ويؤلبه ضد الظلم الإسباني الصليبي، فهذا أقل ما يقدمه أبناء المهنة الواحدة لزميل مسلم مخلص متقن.

كان الله في عون علّوني، وفي عون أهله وأبنائه، وكشف الله الغمة عن وسائل إعلامنا الرسمية وغير الرسمية فتقدّر الأولويات وتظهر الحق ليعرفه الناس فإن حقا مخبوءً ككنز مفقود يفتقر إلى من يكشفه.





وما خفي كان أعظم!

في أنباء أخيرة، وعلى شاشة قناة فوكس الأمريكية الشهيرة، تحدث جون لوفتس، خبير "الإرهاب"، قائلا أن الرجل الذي الصقت به تهمة التفجيرات الأخيرة في لندن، في ٧ يوليو، هارون رشيد، كان معروفا للمخابرات الإنجليزية، بل كان مطلوبا ومطاردا، إلا أن القيادة العليا للمخابرات أمرت أن تكف الأيدي عن القبض عليه، وهو من مجموعة "المهاجرون" التي تكونت عقب خلال الحرب في كوسوفو، ومُوّلت بشكل غير مباشر من المخابرات الأمريكية والإنجليزية. ويكمل لوفتس أقواله بأن المخابرات الأمريكية والإنجليزية قد تركت هارون طليقا يترك لندن متى شاء رغم أن اسمه على لائحة المطلوبين، بل إنه توجه في عام ١٩٩٩ إلى أوريجون Oregon، بالولايات المتحدة لإقامة معسكر تدريب، وأن المخابرات الأمريكية قد أمرت المدعى العام هناك أن يتركه حرا طليقاً!

ويبين الخبير أن الأخبار المتضاربة عنه تتحدث عن نفسها، إذ هو "اولا قد اختفى فجأة من لندن، ثم لا ندرى أين هو، ثم: الأخبار المتواترة أنه قد قتل، ثم: لا، لا، هو في أفريقيا، ثم: قد شاهده أحد رجال المخابرات البريطانية في أفريقيا، فهو إذن حيّ يرزق، ثم إذا هو قد توجه إلى لندن، ثم إذا هو يغادر لندن قبل عشية الانفجارات، ثم: تم القبض عليه في باكستان، ثم، ويا للعجب، أطلق سراحه بعد ٢٤ ساعة! ثم هو توجه إلى زيمبابوي، ثم إلى زامبيا، ثم أبناء متضاربة عن أنه قد اعتقل لا، بل لا يزال طليقاً!!!!"

يتعجب الرجل، ونتعجب معه، من هذه السياسة الملتوية، ما المقصود منها؟ وهل هذا نوع من الانتهازية الخفية يستعمل فيها رجال المخابرات بعض هؤلاء الرجال، دون علم ولا إدراك منهم بهذه الوقيعة، لتنفيذ خططهم ليتمكنوا من شنّ هذه الحرب الضارية على الإسلام والمسلمين بعد أن يمهدوا لهم سبل التنقل، بل والحماية، حتى يقوموا بتنفيذ هذه العمليات التي يستعملها الغرب في تبرير عدوانه؟

والأمر أن هؤلاء الذين يصفهم الخبير بأنهم عملاء مزدوجون، لا علاقة لهم حقيقة بالمخابرات ولا يعملون لحسابها بشكل مباشر، بل ولا يعرفون أنهم متروكون لسبب

وهدف، بل هم مخلصون لهدفهم، دون علم بما يحاك حولهم من وسائل تكفل لهم عمل ما يخططون له إلى حين.

وهذه التقارير وأمثالها قد نشرت في صحف ووكالات أنباء عالمية بشكل فردي، إلا أنها لم تكن محل تركيز الصحافة والتليفزيون، إذ أنهما يتبعان السياسات الحكومية الرسمية الغربية كما هو الحال في بلادنا، حذو النعل بالنعل!

لماذا كانت العملية الأولى ناجحة إلى هذه الدرجة، ولم ينجو أحد من فاعليها، ثم تأتي الثانية ضعيفة مقلدة ويتم القبض على منفذيها في أيام معدودة! أيمكن أن تكون العملية الثانية هي التي نفذها بعض من ليس له عند المخابرات قيمة، وإنما حاولوا تقليد ما حدث فجاءت النسخة ضعيفة واهية؟

لا أحد يعلم الحقيقة، فإن الناظر في هذه الأحداث لا يرى دليلا واحدا يشهد بما يقال دون شك في صحته، بل بلا دليل على وجه الإطلاق، إلا ما تطلقه الصحافة العميلة وتنعق به حناجر المذيعين الصهاينة والصليبيين، بدءا بأحداث سبتمبر ١١ وانتهاء بتفجيرات لندن الفاشلة.

ولا شك أن هذه القراءة للأحداث التي قدمها الخبير الأمني الأمريكي، هي التفسير الوحيد لما حدث، بل هناك تفسيرات أخرى تتفق على أمر واحد، أن الحقيقة ليست ما نرى ونسمع، وأن ما خفي كان أعظم!



بين العدل والإيثار

لا شك أنّ حب الذات وإيثار النفس وتقديم المصلحة الشخصية على العامة هي مما غُرِس في نفس بني آدم منذ خلق الله الخلق، وليس أدلّ على ذلك من فعل ابني آدم، حين قتل أحدهما الآخر لتقديم مصلحته إذ تعارضت مع مصلحة أخيه ولو كان ذلك بغير الحقّ. ولهذا، ولأن الله سبحانه لا يكلّف إلا بما هو مستطاع، فقد أمر سبحانه بالعدل، ونهى عن الظلم، قال: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" فبيّن بهذا أنّ العدلَ هو عدم الظلم، وهو يعنى عدم التعدي على حق الآخرين، وفرّق سبحانه بين العدل وبين الإيثار الذي هو أن يقدّم المرء الغير على نفسه، بل جعل هذا الإيثار من أفعال المحسنين دون أن يكون من تكاليف الشريعة ولهذا جاء وصفا للفضلاء وليس أمراً من الأوامر، كما في قوله تعالى: "ويأثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة". وفي الصحيح عن أبي هريرة: **أن رجلا من الأنصار نزل به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه، فقال لامرأته: نومي الصبية، وأطفئي السراج، وقربي للضيف ما عندك، فنزلت هذه الآية.**

إذا فإن الله سبحانه قد أمر المسلم بأن يقاوم تلك الغريزة الدفينة في النفس والتي لا تكاد تخلو منها نسمة على الأرض إلا من عصم الله من انبيائه ورسله، بأن يطبق معايير العدل أولا فإن نجح في هذا القدر فلا بأس من أن يعلو إلى أفق الإيثار والتضحية، ولكن لا يقبل منه دون العدل أو، إن شئت، دون الكفّ عن الظلم. ولا يحسبن أحد أن هذا أمر ميسور، فإنه لولا مشقته على النفس لما كان تكليفا، إذ التكليف يحمل معنى المشقة. وانظر إن شئت حولك بل وفي ذات نفسك، إن قدرت على ذلك، لتري مصداق ما نقول. ولكن عليك بالنصفة والتقوى إذ لا يمكن بغيرهما أن يدرك المرء عيب نفسه.

والعجب أن الظالم لا يظلم وهو يعلم أن ما يقوم به ظلم، أو أنه مجانب للعدل، بل غالبا ما ترى الظالم يتمحك بأعذار لا حصر لها يمليها عليه شيطان نفسه، كي يسهّل عليه أمر الظلم، إذ إن مخالفة الفطرة صعب شاق لابد له من غطاء ومن تزيين للمخالفة.

أنظر إن شئت إلى الزوج الذي يظلم أهله بإيذائهم أو سلبهم حقهم في ابداء الرأي أو

المشورة في الأمر، ويزين لنفسه ذلك بأنه هو ربّ البيت ولا أحد له حقّ الحديث إلا هو! ويعلم الله أنّه وإن كانت الكلمة الأخيرة هي كلمة الرجل إلا أن هذا لا يعني تقييد حرية أهله في التعبير عما يجيش في صدورهن أو إبداء آرائهن.

ثم انظر يا رعاك الله إلى الشريك الذي يعطى نفسه حقّ البت في الأمور دون شريكه والذي يقتطع لنفسه من عملهما أكثر مما لشريكه بل قد ينكر على شريكه غالب حقه بدعوى أنه هو صاحب الخبرة أو صاحب الفكرة أو صاحب ما شئت من الأوصاف، ثم تراه يقلل من جهد شريكه ويضخّم من جهد نفسه في المقابل، فجهده يستحق أكثر من جهد شريكه ولو استطاع لسولت له نفسه أن ماله أفضل من مال شريكه! والنتيجة أنّ الرجل يتعدى على حق شريكه مع أن الله سبحانه أمره بأن يحفظ هذا الحق ويرعاه وإن كانت نسبته واحد إلى مائة، وليست آية "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه" ببعيد عما نحن فيه.

ثم انظر إلى الأخ الذي يتعدى على مال أخيه الموروث سواء قلّ أو كثر، فإن حبّ النفس يكبّر الصغير المحتقر من المال، فيجعل الأخ لا يرى أنّ ما يغتصبه من حقّ أخيه لعاعة لا تغنى من جوع ولكن النفس تجعلها ذات قيمة لما ركّب فيها من حبّ الاقتناء ولو ظلماً.

آن الأوان أن يعود المسلمون إلى رشدهم وأن يجعلوا العدل ميزانهم وأن يحرموا الظلم على أنفسهم كما حرمه الله سبحانه على نفسه، فإن أمة تفقد ميزان العدل لجديرة أن يخبو إشعاعها وأن ينطفأ سراجها بين الأمم.



ذكرى الغزو الصليبي

والصمت المُتْعَب

نقلت الصحف أنباء تلك التظاهرات التي عمّت أرجاء العالم شرقيه وغربيه في الذكرى الثالثة الغزو الصليبي للعراق، من بريطانيا، إلى الولايات المتحدة وايطاليا وسويسرا في الغرب وفي اليابان وكوريا وإندونيسيا وباكستان في الشرق. ونقلت التقارير كذلك أنه لم تخرج أية تظاهرات في البلاد العربية في تلك المناسبة!

ترى ما سبب الصمت العربي إزاء تلك المناسبة؟ هل ملّت الشعوب العربية الحديث عن هذا الأمر بله التحرك والتظاهر والخروج إلى الشوارع؟ أم أن هناك اسباب أخرى جعلت الشارع العربي يخلد إلى الصمت حيال تلك المناسبة التي لها ثقل الجبال حين توزن بميزان الأحداث الحالية في وطننا العربي؟

هناك عوامل مشتركة بين الشعوب العربية أدت إلى هذا الصمت حيال المناسبة، منها الشعور باليأس من التغيير لما رأوه من صمت حكوماتهم إزاء الأحداث الجارية صمتا لا يُقرن إلا بصمت أصحاب القبور! وهو صمت غير مبرر إلا بالضعف إزاء الغطرسة الأمريكية والغوغائية البريطانية.

ثم إن هذه الشعوب لا ترى في العراق إلا صورة نفسها، مهددة بهذا الغزو عاجلا أو آجلا، ولا ترى شعب العراق إلا قطعة من نفسها فحين يقتل العراقي برصاص المحتل فإنما هو مصاب المصري والسوري والفلسطيني والمغربي على السواء، فكيف يُعزّون والمصاب مصابهم والقتيل من فلذاتهم؟ فالمظاهرات التي خرجت بها جماهير البلاد الشرقية والغربية إنما يشعر بها أبناء تلك البلاد نحو من يعتبرونه غريبا عنهم، أما العرب، فالعراقيون هم أهلهم وعشيرتهم، و التظاهر عن بعد لا يقبل من الأهل والعشير، إنما التضحية بالنفس في أرض المعركة هو ما ينتظره الأهل والعشير

ثم إن المصائب المتتالية التي تتعرض لها العرب جعلتها تصاب بالدوار فلم تعد تدرى ما تفعل، كالمريض الذي تتوالى عليه الأمراض فلا يعرف من أيّها يألم أو يستصرخ، فلسطين المحتلة التي أطبقت الدولة اليهودية على أنفاسها وأوشكت على سلبها سبل الحياة، خاصة بعد فوز حركة حماس الإسلامية في أول تجربة ديموقراطية حقيقية في البلاد العربية، والسودان الذي يتعرض لانتزاع الجنوب من جرّاء التدخل العنصري

الصليبي، إلى الحملات التبشيرية التي تجتاح أرجاء البلاد والتي دفعت الجزائر مؤخرا إلى سنّ قانون يعاقب على الردة، إلى تلك المؤامرات المتواصلة التي تستهدف ثقافتها ودينها وتقاليدها من خلال تغيير مناهجها ومبادئها.

هذا، ثم إن كل بلد عربي له ما يشغله من مشكلات محلية ما لتخرّ منه الجبال، مصر وخيانات بيع القطاع العام، والمسرطنات الغذائية، وانفلونزا الطيور وغرق العبّارة وتأجيل الانتخابات المحلية .. والقائمة لا نهاية لها، ثم لبنان ودوامة التدخلات الخارجية، ومثلهما بقية البلاد ولا فرق. أيُستغرب ممن هذا حاله أن يَذَهل عن التظاهر وأن يستغرق في محاولة فهم ما يحدث حوله؟

والشعوب العربية عريقة ذات حضارة لا تندثر، وهذا البعد الحضاري هو ما يمدها بقوة البقاء ويمهد لها سبل المقاومة ويقيم في حياتها معاييراً خاصة تواجه بها ذلك العدو الغاشم، وهذا الصمت المُتعب لا يعني الهزيمة بإذن الله ولكن يعني الترقب واستنهاض الهمة، وإن غدا لناظره قريب!



الترابي: إسمُ على مُسمّى!

أوردت العربية نت أنه "في فتاوى جديدة مثيرة للجدل"، في ندوة حضرها حشد من السياسيين وعلماء الدين في الخرطوم، أجاز الزعيم الإسلامي! السوداني الدكتور حسن الترابي زواج المرأة المسلمة من الرجل الكتابي "مسيحيا كان أو يهوديا"، قبل أن يصف أن القول بحرمة ذلك، "مجرد أقاويل وتخرصات وأوهام وتضليل" الهدف منها جر المرأة الى الوراء وقال الترابي، بحسب صحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية الأحد ٩-٤-٢٠٠٦ إن شهادة المرأة تساوي شهادة الرجل تماما وتوازيه بناء على هذا الأمر، بل أحيانا تكون أفضل منه، وأعلم وأقوى منه. ونفى ما يقال من أن شهادة امرأتين تساوي شهادة رجل واحد، وقال "ليس ذلك من الدين أو الإسلام، بل هو مجرد أوهام وأباطيل وتدليس أريد بها تغييب وسجن العقول في الأفكار الظلامية التي لا تمت للإسلام في شيء". واعتبر الترابي "الحجاب" للنساء يعني الستار وهو الخمار لتغطية الصدر وجزء من محاسن المرأة، "ولا يعني تكميم النساء".!!!

وهذا الهراء الذي يهذي به الترابي ليس بغريب على من عرف ماضي الرجل وحقيقة عقائده التي إن خالت على العامة فإنها مفضوحة لمن رُزق العلم من أهل السنة والجماعة. والرجل يحمل جرثومة الاعتزال منذ أن تصدى للكتابة في هذه العقيدة، وعُبِّئَتْ آراؤه بهذه البدعة في كل ما شذّ به من آراء [١]، ولكن ما خرج به على الناس من هذا الهراء أنّ شهادة الرجل كشهادة المرأة سواء بسواء وأن للمرأة المسلمة أن تتزوج من مسيحي أو يهودي هو القشة التي قصمت ظهر البعير، فالرجل معروف بالتطاول على السنة ورفض صحيحها وإن ثبت في البخاري ومسلم، فإنه ليس لهذه المراجع اعتبار عنده على مذهب المعتزلة من ردّ الصحيح من حديث رسول الله ﷺ إن لم يوافق عقولهم المريضة! لهذا فإنه لا معنى لمخاطبة مثل هذا المريض بما ثبت في صحيح البخاري "حدثنا بن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرني زيد عن عياض بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن بلى قال فذلك من نقصان عقلها)." باب الشهادات، ولا معنى إذن أنّ نذكره بقول الله تعالى: "فإن

[١] وقد أشرنا إلى هذا الخبث في كتابنا "المعتزلة" منذ أكثر من عشرين عاما.

لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء" فإن مثل هذا الانحراف الفكري لا علاج له.

ثم ما ذكره أن المرأة المسلمة لها أن تتزوج يهوديا أو نصرانيا! وابتداء إنّا ندعو الله سبحانه أن يكون هذا الشيخ غير الجليل صهرا ليهودي في القريب العاجل، لنرى ماذا يكون قوله عندها. ثم مرة أخرى لا نرى داعيا لأن نذكر هذا الشيخ غير الجليل بأن الرجل هو صاحب القوامة في عقد الزوجية وأن مآل ذلك أن يكون للكافرين على المؤمنين سبيل، ثم اي دين يكون عليه الأبناء يا شيخ السوء؟ ثم اين يعقد العقد، في الكنيسة أو المعبد؟ أخزى الله هذا الدعيّ المفسد.

ونحن نبرأ إلى الله من مثل هذه الدعوات التي تتزامن مع حملة الإفساد الصليبي في العالم الإسلامي ويتمحك مطلقوها في دعوات الإصلاح الهدامة لبث سمومهم في الجسد الإسلامي.

وليس العجب أن يخرج هذا الشيخ غير الجليل بمثل هذه الآراء، فإن تاريخه ملوث بهذه البدع، ولكن العجب أن يسكت عن هذا الهراء ممن يدّعون أنهم علماؤنا فلا ينهض منهم أحد له بالردّ، تحت دعوى عدم التفرق أو احتمال الآراء الفقهية! وهو ما لا ينهض كمبرر لهذا الإغضاء الذي أصبح عادة علمائنا تجاه الهراء المتناثر على الساحة الإسلامية من كلّ دعيّ منحرف.

أما عن التِرابي، فحديثه لا يعدو ما يدعى في قيمته التراب الذي يسير عليه، كما قلنا، اسم على مسمى..!



طريق العودة إلى الكرامة

"وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم.." صدق الله العظيم

مرة اخرى .. نعود إلى الكلمات نلوح بها في وجه القنابل والمدافع والطائرات، بعد أن بدأ الصهاينة الأنذال عملية السحق المنظم لإخواننا الفلسطينيين في غزة تحت شعار "الدفاع عن النفس" ضد هذه الألعاب النارية التي يدعون قذفها على أماكن مهجورة في فلسطين المحتلة. ونكرر ونؤكد ما قلنا سابقا من أن للكلمة حدود يقف عندها أثرها، ليبدأ العمل الذي تشير له هذه الكلمات، ومهما كانت قوة هذه الكلمات فلن تغيّر قائماً إلا إن استتبعها العمل، لذلك قال تعالى "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله" ولذلك فإن العمل صنو الإيمان ونطق الكلمة لا يدل إلا على النية الحسنة للالتزام بالعمل بها لا غير.

الله الله على الكفرة الموالين للصهاينة، والله الله على معاونيهم من أعمدة النظم الفاجرة، والله الله على كلّ متخاذل عميل فيما يسمونها مجالس "الشعب" و"البرلمانات" ومن لا يزال يمشي في الأرض مطية للفجرة الموالين للصهاينة، والله الله على أولئك الذين يجدون الراحة والدعة ويستمرؤون اللقمة ويستطيبون الشربة وهم يعلمون أن أهلينا وأبنائنا في غزة يموتون تحت وابل السلاح الصليبيّ الصهيونيّ على بعد كيلومترات عدة من قلب مصر! سابقة ليس لها سابقة، نسأل الله أن لا يكون لها لاحقة، وإلا فهو عار الزمن والتاريخ والأبد على رؤوس من تركوا الفجرة من الأنظمة الحاكمة يتآمرون دون خجل أو استحياء على حياة أهلينا وأبنائنا في غزة، والله إن حياءهم لا يمثل شعرة من حياء الزانية الأجيرة، وإن كرامتهم دون كرامة قواد الزانية الأجيرة درجات ودرجات، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

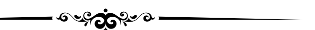
اليوم يوم الخروج عن المألوف، إذ تجرد العدو من الأنظمة الفاجرة الكافرة، وتجرد ممثليهم من وزراء وحقراء من أمثال المجرم أبو الغيط عن كلّ ما ألفناه من أقل درجات التجاوب مع أهلينا وأبنائنا في غزة حتى الشجب والمقاطعة، إلى التآمر وتشديد الحصار. اليوم يوم الخروج إلى الشارع والوقوف في وجه ما يسمونه بقوات "حفظ الأمن" التي لا دور لها إلا التمثيل بأبناء الشعب وسحق كرامته، وهم ليسوا

إلا مرتزقة لا دين لهم إلا دين أسيادهم، ولا عليك من أنهم مجرد جهلة مغرورون، فالجهل لا يغني عن الحق شيئا، وقد قال تعالي على لسان موس عليه السلام عن اليهود حين طلبوا منه أن يجعل لهم إلها صنما "بل انتم قوم تجهلون"، فلم يمنع جهلهم من أن يكونوا كفاراً فاسقين.

ما يجب أن تفهمه هذه القوات المخدوعة عن دينها أن ولاء المسلم لربه اولا ثم لنبيه ثم لأبناء دين الإسلام في كلّ مكان، فإن تجول هذا الولاء إلى ولاء للوظيفة أو القيادة أو الراتب الشهريّ، فليس إلا الخروج عن حظيرة الإسلام "ومن يتولهم منكم فإنه منهم".

اليوم يوم تقذف الجماهير بأحذيتها "المنتظرية" في وجه النظام، ورؤوسه، وممثليه ومسؤوليه، وتسحقهم تحت أقدامها، فالموت بحثا عن الكرامة خير ألف مرة من العيش بهذه الذلة والمهانة.

اللهم شتت أعداءك أعداء الإسلام من الحكام الكفرة الطواغيت المتآمرين على دينك، الحاكمين بغير ما أنزلت، المبدلين لشرائعك وأحكامك، الموالين للصهاينة والصليبيين ولاء مناصرة ومظاهرة ضد المسلمين، إنك قادر عليهم أجمعين.





عارٌ على الصرح عظيم!

حين جرت الأنباء بما كان من شأن سيد وشأن الفتاة العفيفة المنتقبة، لم أتمالك إلا أن رجّعت قول أبي العلاء:

إذا عاير الطائىٌّ بالبخل مادرٌ وعايَـر قَسّ بالفهامـــة وائـلُ

وقال السُهى للشمس أنت خفية وقال الدجى للصبح: لونك حائلُ

فيا موت زر إنّ الحياة ذميمة ويا نفسُ جدى إن غيرَك هازلُ

الأمر ليس أن سيداً قد خرق إجماع المسلمين، سلفهم وخلفهم، على أن مسألة حجاب المرأة أو انتقابها هو من مسائل الاجتهاد التي تفترق فيها آراء المجتهدين، وتتباين فيه أنظار المحققين ممن هم أهل للاجتهاد والنظر، منهم من يصحح أنه فرضٌ مؤكد على المؤمنات كابن تيمية وغيره، ويستدل على ذلك بما ورد في السيرة من روايات تؤكد هذا الرأي وتدعمه، ومنهم من رأي أن الحجاب هو الفرض على المرأة لما ورد كذلك من روايات تقوى هذا الرأي وتسانده، وأن فوق ذلك إنما هو من قبيل النفل والتعفف والتطوع، كما أنّ الصلاة فرضُها خمس، ونوافلها ما شاء للعبد أن يزيد، وليس لأحد أن ينهى رجلاً أو امرأة يراه متنفلا في الصلاة، أن يتوقف عن الصلاة، لأن فرضها قد أداه!

الأمر ليس أنّ سيداً قد تعدى على حرية شخصية، بصفته الرسمية، إذ إنه لو لم يكن "يحتلّ" هذا المنصب نائبا عن السلطة، لعرفت الفتاة، وغير الفتاة من المسلمين، كيف يردون هذا العدوان، وليس حادث منتظر الزيدي ببعيد!، وهذا التعدي على الحرية الشخصية لا يصح في الدولة المدنية العلمانية التي يروّج لها كلّ ناعق في هذه الأيام، بل إنه عملٌ مُجرّم في مثل هذه الدول يؤاخذ صاحبه ويعاقب عليه.

الأمر ليس أنّ سيداً قد ترك مظاهر الخلاعة والاستهتار وملابس العرى والتهتك التي باتت مما يراه المسلم في مصر عياناً أو على شاشات التلفاز ليل نهار، فلم يحرك لهذا الفجور ساكناً، الا ما تحرك له النفس الخبيثة حين ترى الفاحشة تشيع بين المؤمنين، فلم يتوجه إلى متكشفة متبرجة بقول أن: ألا تستحين وأنت في الحرم الجامعيّ

الإسلامي أن تسيري بين الناس متكشفة متبرجة، وأن تكون غضبته لله لا للشيطان.

الأمر ليس أن سيداً قد احتل مساحة في الصحافة والإذاعات الغربية، أمس واليوم، تشيد به وبما فعل، وتدعو أن يكون هذا "الشجاع" مثلا لغيره في بلادنا المتخلفة التي لا تزال فيها عفة المرأة وعذريتها مما تتمسك به النساء وتتفاخر به الرجال!

الأمر ليس هذا ولا ذاك، الأمر أمر فريق كامل ممن يعادون الإسلام، ويكرهونه، ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فريق تقلد مقاليد الأمور وانتخب من النخب أرذلها لتكون له اليد العابثة التي تدمر ما أراد الله له أن يقوم، وأن تبدل ما شاء الله أن لا يحول، فكانت له أيدى تعبث في العلن بعدما كانت لا تجرؤ إلا على العبث في الخفاء، والأزهر، كصرح مهيب، كان ولابد أن يُدسّ فيه سيداً ليقوم بهذا الدور على أفضل ما يقدر عليه من ترك الفاحشة عابثة لاهية، وتوجه إلى الفضيلة والعفة ينتقدها ويأمر بخلافها!

عار على الأزهر، عار على الصرح عظيم.





عتاب رفيق

للمستشار طارق البشرى

تربطني بالأخ الأكبر المستشار الجليل طارق البشرى، أكثر من صلة تجعله قريباً من القلب والعقل، فصلة رحمٍ ترجع به وبي إلى جدنا الشيخ سليم البشري، وما يأتي مع تلك الرحم من ذكرياتٍ قديمة تعود إلى السبعينيات حيث كنا نتحاور حول الإسلام ومشكلاته، ثم صلة الاهتمام المشترك بالعمل الإسلاميّ وبهموم الأمة. ولا أشك في أن المستشار البشرى قد أجاد في جلّ ما دوّن منذ أن اتخذ سبيل الله سبيلاً، ولا يحتاج احد لأن أعرّف بقدر البشري في تاريخنا الحديث كاتبا ومؤرخاَ ومفكراً.

ولكن الأمر هنا أجلّ من أن يمر مرّ الكرام، وأقصد به ما كتبه المستشار مؤخرا بصدد الفريّة الرافضية بحق الشيخ القرضاوي. وليس من المستغرب من أبو المجد أن يكتب ما كتب، وليس من المستهجن أن يصدر من سليم العوا أو من هويدي ما صدر من "نصائح" خائبة لا تصدر إلا عن جهل بطباع الرافضة وبتاريخهم وحاضرهم على السواء، ولكن أن يختط الأخ الكبير البشري هذا الخطّ من النظر إلى هذه القضية فهو ما لم أفهمه على الإطلاق.

فالمسألة الأولي التي طرحها المستشار تحدث فيها عن "المذهب الجعفريّ" وأنه مذهب معتبر بين المذاهب الفقهية الإسلامية، وفات المستشار البشري أن الحديث هنا حديثٌ عن فرقة من الفرق البدعية لا عن مذهب من المذاهب الفقهية، ولهذا فإن الأمر أمر خلاف في العقيدة لا أمر خلاف في الفقه، خلاف في الأصول لا خلاف في الفروع، وشتّان بين الأمرين. ولا أعرف أين يقع تكفير الصحابة وسبّ عائشة أم المؤمنين ووصفها بأنها "البقرة" ولعن الشيخان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وادعاء تحريف كتاب الله تعالى [١]، وادعاء مقام الإمامة لأئمتهم الإثنى عشرة وأنهم يعلمون الغيب ولا يموتون إلا بعلمهم ورضاهم [٢]، أين يقع هذا في مذهب الجعفرية "الفقهيّ"!؟ ولا شك أنّ هذه الادعاءات تُخرج الرافضة من دائرة الجماعة الإسلامية

---

[١] كما زعم عالمهم النوري الطبرسّي في كتابه "فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب".

[٢] كما نقل محدثهم الكلينيّ في "الكافي" الذي يعتبره الرافضة كالبخاري عند أهل السنة.

التي يتحدث عنها المستشار البشري إذ هم يخالفون ثوابت دينية ركينة عند المسلمين من أهل السنة المحمدية، ولا دخل له بتعدد الاجتهادات بحال من الأحوال، واين يقع ما ذكرنا من منكرات الرافضة من "الاجتهادات وتنوع النظر في الشؤون الجارية" التي أشار اليها المستشار البشري؟

ثم الأعجب هو ما ورد في المسألة الثالثة التي، وإن لم يقصد البشري إلى ذلك بالطبع، تكرّس مبدأ الفصل بين الدين والسياسة! إذ مؤداها أنه لأجل الظرف السياسيّ الحاليّ فإنه يجب أن نتغاضى عن هذه الثوابت العقدية الفاصلة، والتي لم يتغاضى عنها الرافضة لحظة واحدة في تاريخهم الأسود، بل كانوا ولا زالوا عوناً للمستعمر الغازي في كلّ زمان، ولا أظن أن المستشار البشرى، بل ومن هم أقل منه كثيرا في العلم بالتاريخ، ينكر دور الرافضة في سقوط بغداد الأول زمن التتار، وقتل الألوف المؤلفة من أهل السنة بسببهم وبعون منهم، ثم ما يحدث اليوم في العراق من استئصال للسنة على أيدى المليشيات الرافضية الصفوية المدربة والمدعومة من إيران المجوس، بل حتى الصليبيين الأمريكيين يعرفون ذلك ويحاولون مقاومته! أفلا نعرف نحن ما يراد بنا، بل ألا نشعر بما يُفعل بنا على أرض الواقع؟

وأسأل الأخ الأكبر المستشار البشرى، هلا عَرَفَتْ الرافضة هذه الحقائق والمسائل فوقفت عند حدها، ألا تضع اعتبارا للشيخ القرضاوي الذي قربهم وكان فارس "التقريب" المزعوم على مرّ العقود الماضية، رغم خلافنا معه فيه منذ أول الطريق، فالرافضة لا أيمان لهم ولا ذمة بل هم كما وصفهم الإمام مالك "يكذبون" وبخاصة عندما يكون الأمر متعلقاً بالسنة وأهلها تحت درع التقية التي رموا بها الإمام علي رضى الله عنه وهو منها براء. ولا أدرى ما هو موقع الأقلية والأغلبية في هذا الأمر؟ أيكون سبّ الصحابة أهون علينا لأننا أغلبية؟ متى كان هذا المعيار مبرراً للتهاون في العقيدة، وهل كان بن تيمية "قصير النظر" حين كتب كتابه "منهاج السنة" الذي فضح فيه دين الرافضة ومذاهبهم العقدية، رغم أنّهم كانوا أقلية حينذاك كذلك، وكان العالم السنيّ واقع تحت الاحتلال التتريّ كذلك؟ والرافضة يستغلون الجهل الأمريكي بالواقع الإسلاميّ لتعزيز مواقفهم ونشر مذاهبهم والسيطرة على العالم السنيّ

وهم لا يخفون هذا الأمر بل يتحدثون عنه في إذاعاتهم وصحفهم ولا عليهم من السنة فهم ماضون في خططهم لا يلوون على شيء. ألم يلاحظ المستشار البشري وجود بؤر رافضية في عدد من الأحياء المصرية بالفعل؟ أيسمح النظام الصفوي في إيران المجوس أن ينشط السنة في بلادهم وأن ينشروا مذهبهم؟ وقد زرت طهران في عام ١٩٩٦ وأقمت فيها ثلاثة شهور بتكليف من شركة استشارية كندية تعمل في مجال الهندسة النووية، ورأيت بعيني رأسي ما يكتبون على جدران مبانيهم من لعن الشيخين وسبّ عائشة رضى الله عنها، فهل هذا ماضٍ غابر أم إنه حاضر سافر؟

وأخيراً، فإنني على ثقة من أن ما نشره المستشار البشرى لن يكون كلمته الأخيرة في هذا الشأن فأنا اعلمه رجّاعاً إلى الحق بإذن الله تعالى.



عداء الإسلام وعبرة التاريخ

لا بد للباحث في أمر البشر والحضارات أن ينظر إلى التاريخ، قديمة وحديثه، ليربط بين الظواهر المتشابهة وينظمها في منظومة واحدة ثم يستنبط منها قانونا اجتماعيا عاماً، وينظر إلى الظواهر المتباينة ليعرف سبب تباينها في الأسباب والنتائج، ويؤكد من خلال التباين قانون التوافق ومن ملامح الاختلاف معالم الاتفاق، ثم ليأخذ العبرة من هذه الظواهر وتلك لتعينه وقومه على فهم ماضيهم وإنارة حاضرهم وبناء مستقبلهم.

وقد أمضّتني تلك الأحداث المتتالية المتسارعة منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١ إلى غزو العراق وأفغانستان، ثم ما جاء إثرها من سيطرة أمريكية شبه تامة على مصائر العالم الإسلامي خاصة، ومحاولة السيطرة على بقية العالم عامة.

وكان أن عدت إلى التاريخ الحديث منذ بدايات القرن العشرين، وسرت مع أحداثه سيراً بطيئاً أستلهمها معنى يهدي في هذا الواقع المتسارع بالشرّ. ثم كان أن تفطنت لأمر أحسبه يلقي ضوءً على بعض الأحداث الحاضرة، وإن احتاج إلى نظر المؤرخين والباحثين لتقويته بالدليل وترسيخه بالبرهان، إذ إن الظواهر الاجتماعية كما ذكرنا تحتاج إلى مبررات الربط بينها، ودور المفكر أن يستنبط الظاهرة ثم يتركها للباحث المتخصص يصوغ منها القانون الاجتماعي ويدعمه بالبرهان والدليل.

وتلك الظاهرة تتعلق بالهجوم على الإسلام في العصر الحديث، فإن الباحث يعلم أن السبب الرئيس وراء الحرب العالمية الأولى كان هو القضاء على الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٢ وتقسيم تركتها ومن ثم القضاء على الإسلام كقوة مؤثرة في العالم تمهيداً لإنهاء وجوده على الأرض - أو هكذا مكروا. وبعد انتهاء الحرب بثمانية أعوام، في عام ١٩٣٠ تحديداً، وقع الغرب فريسة الركود الاقتصادي الهائل "The great depression" الذي أكل الأخضر واليابس، ثم في عام ٢٠٠١، وهو العام الذي دبّرت فيه القوى الصليبيّة بقيادة بوش ذلك الهجوم العام على الإسلام فاحتلت العراق وأفغانستان، وأقامت القواعد في بلاد العرب شرقاً وغرباً وهددت مصر واستذلت السودان. ثم، إذا بالاقتصاد الأمريكيّ، بعد سبعة اعوام وبقدرة قادر،

يجد نفسه على شفا جرف هار، كأقرب ما يكون من ذلك الركود الجارف الذي وقع في الثلاثينيات من القرن الماضي! انهارت سوق الأموال وكاد أن يتوقف التعامل في البورصة، وفقد المستهلك الثقة في الوضع الاقتصادي مما جعلها دائرة مفرغة تنذر بالثبور.

كذلك فإن الحرب العالمية الأولي قد خلّفت من ورائها أشلاء قوة عظمي هي بريطانيا "العظمى"، وبشّرت ببزوغ قوى جديدة في الشرق وهي روسيا وفي الغرب وهي الولايات المتحدة. وفي الحرب العالمية الجديدة على الإسلام، فإن أشلاء الإمبراطورية الأمريكية قد بدأت تتناثر وإن لم يظهر بعد من سيخلفها على عرش القوى العظمى.

ولو قال قائل إن الانهيار الاقتصادي سببه الحروب وكلفتها، قلنا، ولِمَ لَمْ يحدث هذا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، بل حدث العكس إذ ازدهر الاقتصاد العالميّ نتيجة الحاجة إلى بناء ما دمرته الحرب، ومرّ نصف قرن من الازدهار والتقدم التكنولوجي حتى تولي بوش وقاد المعركة ضد الإسلام. ولو قال آخر أن العدوان الثلاثي على مصر لم يعقبه مثل تلك النتائج التي ذكرتها، قلنا لأن ذلك يؤكد ما لاحظنا من أنّ الهجمة العامة على الإسلام رغبة في استئصاله هي التي يتعلق بها مثل هذه النتيجة التي تكررت تكراراً متطابقاً في قرن واحد، والعدوان الثلاثي لم يكن يستهدف استئصال الإسلام، ولكن كان يهدف إلى اضعاف أهله واستمرار السيطرة الغربية على مقدرات الشعب المصري المتمثلة في القناة، وتعزيز التواجد الصهيوني في المنطقة.

ولا أريد أن أبرر تلك الظاهرة بالبعد الغيبيّ وحده وإن كانت يد الله تعمل من وراء الحجب لنصرة دينه، ولكن لا شكّ أن الحرب العالمية الأولى نشبت لغرض عدائي وضيع مضاد لسنن الله في الكون، ومعاداة لمناهجه، كذلك كان الهجوم الظالم على العالم الإسلاميّ إلى درجة أن تطاول الغرب على مقام رسول الله ﷺ جهرة ودون مواربة، هجوماً طالماً سفاحاً لا تسانده سنة من سنن الله في الأرض. والظلم والعدوان يعملان ضدّ الظالم والمعتدى دون أن يدرى، كما قال تعالى "وأملى لهم إن كيدي

متين".

على كلّ حال، هي ظاهرة لا شك فيها، تحتاج إلىٍ النظر والتدقيق والتحقيق، أدعها بين أيدى مؤرخينا وباحثينا علهم يهدونا بها سبيلا.





فلا نامت أعين الجبناء..

كلّ ما نملك من سلاح هو الكلمة، وكلّ ما نملك من عتاد فهو المداد والورق، وكلّ ما نملك من عون فهو الألم والدموع، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا.

ووالله لقد جفّ القلم وشُلّت اليد ونضب المداد ونفذ الورق من الحديث عن الظلم الصهيونيّ المبين الواقع على إخواننا في فلسطين، والتي يتعامى عنه العالم بأسره بما فيه جبناء العرب، بلا استثناء جبان واحد منهم.

حاصرهم الصهاينة وقطعوا عنهم الكهرباء والطاقة والدواء والغذاء، يموت مريضهم ويبرد وليدهم وتجوع نساؤهم ولا تطرف عين لأدعياء حقوق الإنسان من كلاب الغرب النصرانيّ. ولكن إن وجدنا العذر لهؤلاء بأنهم ممن قال الله تعالى فيهم "إنهم إن يظهروا عليكم لا يرقبون فيكم إلاّ وذمّة"، فما هو عذر هؤلاء الجبناء من حكام المسلمين ممن سكتوا عن هذه المجازر الجماعية بل واستقبلوا رئيس الصليبيين بوش يتبسمون في وجهه ويقتسمون معه الطعام الذي أنكره حلفاؤه على أهلنا في غزة من الفلسطينيين، لا لسبب إلا انتمائهم إلى الإسلام ديناً ورفضهم الخضوع للبهائي العميل عباس ميرزا.

عار ما بعده عار، وذلّ ما وراءه ذلّ، خروج عن الإسلام وولاء مكشوف للكفر وأهله، وعداء صريح للإسلام وأهله، فما هو عذر هؤلاء في إغلاق معبر رفح عن الأهل الأشقاء، إلا عون للصهاينة على قتل الأخوة في فلسطين؟ وماذا بحث الملوك والرؤساء العملاء مع بوش في زيارته المشبوهة من أمر غزة؟ ترى هل تحدثوا اليه عن هذه المجزرة الجماعية التي لا يتحدث عنها أحد في الدنيا رغم أنهم يقيمون الدنيا ويقعدونها على ما يزعمونه من ظلم في دارفور؟ أم أصدر لهم الأمر بإغماض أعينهم والتظاهر بأنّ شيئاً لا يحدث على أرض عربية مسلمة؟ أعرف التاريخ الإسلاميّ أخسّ وأكفر وأنجس من هذه الطغمة الحاكمة على أرضنا المسلمة في كلّ مكان؟ هؤلاء هم ولاة أمورك يا مدخليّ! هؤلاء هم أولياؤك وصحبتك في الآخرة إن شاء الله تعالى.

أما من مجير لهؤلاء الضعفاء؟ أرضى الناس أن يقتل المسلمون بهذا الحصار وهم يقفون موقف المتفرج الذي لا حول له ولا قوة؟ أين جيوش العرب التي تنفق عليها أموالهم؟ اين الصفقات البليونية التي تشترى بها دول البترول أسلحة من الغرب؟ إلى من توجه هذه الأسلحة إذن؟ أهي مجرد وسيلة لإنعاش الاقتصاد الغربيّ ليس إلا؟

والله ما من كلمة تقال تكفي أن تشفى غليل المسلم الغيور على إخوانه في فلسطين، فإنه محض الإجرام الغربيّ والعربيّ في الحق الفلسطيني

وأنت يا فلسطين .. ليس لك إلا ربّ العالمين ..





دول الخليج .. بين الإسلام والحداثة

أوردت الجزيرة أنّه قد "اختتم أمس في أبو ظبي بالإمارات العربية المتحدة مؤتمر "الخليج العربي بين المحافظة والتغيير" الذي تناول حرية الإعلام الخليجي وتحديد مفهوم المواطنة بدول الخليج، ومدى اعتبار العلمنة شرطا لتحقيق الحداثة" .

ومما شدّ الانتباه فيما تحاور فيه المؤتمرون في الجلسة الختامية عما إذا كانت العلمنة شرطا لتحقيق الحداثة! ومع تأكيدهم على عدم تغييب الدين!، فقد أكدواعلى مبدأ المدنية في شكل الدولة!

كما أفصح وزير سابق عن أن النموذج الدينيّ للحكم "مناقضٌ لمواد الدستور التي تنص على مساواة الجميع، كما أن الدول الدينية "لا تعترف بالتداول السلمي للسلطة" على حدّ ما نقلت عنه الوكالة!

ولا أدرى والله ما الذي دهى القوم بهذه الدواهي العقلية؟ إن ما يردده هؤلاء ليثير الحيرة والاستغراب ثم الحسرة والاستياء ثم اليأس وفقد الرجاء في أمثال هؤلاء، فماذا يقصد القوم بالتغيير؟ تغيير ماذا؟ إلى ماذا؟ أيكون المقصود بتعبير المحافظة هو التخلق بأخلاق الشرع والتحاكم لكتاب الله أفراداً وجماعات، والتغيير هو الانخلاع كلية عن كتاب الله سبحانه والانفضاض من حول سنة نبيه ﷺ؟ أيكون مفهوم المواطنة التي يدعون لها دائر حول أن الأرض هي الجامع المؤسس لحقوق الفرد لا الدين الذي قرر فقهاؤنا بلا خلاف بينهم أنّه وحده الذي يحدد المواطنة وأن المسلم مواطن في الأرض التي تجرى عليها أحكام الإسلام، مع مراعاة حقوق الأقليات غير المسلمة حسب ما شرع الله تعالى من عدم خفر ذمتهم أو العدوان عليهم أو سلبهم حقهم في العيش والحياة الكريمة بين المسلمين على أرض الإسلام، كما حدث على مدار تاريخنا خلافاً لتاريخ الصليبية المتوحشة التي قتلت اليهود أو الرومانية الملحدة التي قتلت النصارى من قبل؟

وما لنا نضرب أخماساً في أسداس، والوزير السابق قد تكفّل بالإجابة أنّ "نعم" هذا عين ما قصد اليه المؤتمرون، إذ إن النموذج الديني – هكذا! – للحكم يناقض الدستور على مساواة الناس! فسبحان الله، والله الذي لا إله إلا هو إن هذا إلا قول مرتد

خلع الربقة، وهل الدستور هو الحاكم على دين الناس أم أنّ الإسلام هو الحاكم على الدستور؟! وهل الإسلام لا يسوّى بين الناس بما يرضى عنه بوش وأتباعه؟! ألهذا الكلام أي محمل آخر ينفي عنه هذه الهرطقة المكشوفة؟! ثم يقول الزير – أقصد الوزير – السابق أن الدولة الدينية - يعنى التي تحكم بما أنزل الله – لا تعترف بالتداول السلمي للسلطة! أي تداول يقصد هذا الزير – أقصد الوزير – السابق، أهو تداول للسلطة بين من التزم بالإسلام دينا وبحكم الله حكماً واختلفت رؤيته فيما هو من قبيل المصالح المرسلة للناس فيما فيه محلّ للاجتهاد؟ وهذا التداول لا يرى به الإسلام بأساً وأمره إلى أهل الحلّ والعقد، يحلون عقداً ويعقدون غيره، أم أنه يقصد تداول السلطة بين المسلمين وبين من خرج عن شرع الله الحكيم وأرادها علمانية لادينية تعادى أولياء الرحمن وتوالى أعداء الإسلام وتتمحك بالإسلام خوفاً من غضب الناس وتفعل خلافه في كلّ خطوة وكلّ قرار؟

التحرر – أيها السادة المؤتمرون – يكمن في حرية القرار بأن يكون نابعاً من عقائد الشعب وموروثاته، لا مما يستورد من قيم وعادات لا يعرفها الناس ولا يعيشون بها، والتغيير ليس مقصوداً لذاته، وإنما يكون حين يكون هناك حاجة اليه، وأي حاجة لنا في تغيير ما حكم به الله سبحانه من حدود وعقود ومعاملات، ما صالحنا في تبني الربا المحرّم بديلا عما وجّه له القرآن من سُبل البيع الحلال؟ لصالح من نبتذل نساءنا وأخواتنا وأمهاتنا فنقنن سفورهن ونفخر بعريهن حتى وإن أبت العفيفات منهن ذلك؟ لصالح من ننشر الفاحشة بين الناس لمجرد أن نخرج عليهم بأن قد "غيّرنا" والحمد لله؟ أهو التقليد الأعمى للغرب فيما ليس فيه صالح للمسلمين؟ أي والله نعم إنه هو بعينه.

ثم لماذا لا نغيّر في مجال الصناعة مثلا بأن نُعنى بإنشاء صناعات ثقيلة تحرر اقتصادنا من ربقة الحماية الأنجلو-أمريكية؟ أيكون معيار التغيير هو علوّ البنيان واتساع ساحات الملاعب الرياضية ومدى "الخدمات" الترفيهية التي تقدمها الفنادق لروادها صباحاً ومساءً؟ ألا يصحّ أن يوجه هؤلاء المؤتمرون جهدهم لإنشاء صناعات ونشر جامعات ومراكز بحوث تنفق عليها الأموال لتقدم لشعوبنا خلاصة العلم في مجالات الطب والهندسة والزراعة والتقنية بلغتنا العربية فنكون راعين لهذا العلم كما كنّا من قبل بدلا

من أن نظلّ عالة عليه؟

إنها والله لحسرة تتفاقم في صدر المسلم يوماً بعد يوم فيمتلآ حزنا وغمّاً، حين يرى بعين أن بلاد الإسلام تمتلك أكثر من ٦٠٪ من أغلى سلع الدنيا – البترول – ثم يرى بعينه الأخرى مدى التخلف الفكري الذي يعيشه هؤلاء التائهون عن أنفسهم وعمن حولهم، وعن منهج الله سبحانه، سادرين في أحاديث لا يعلمون لها مبدأ ولا منتهى إلا كلاماً خائباً لن يجلب على أهله إلا الذلّ والصغار.





المصريون .. وأزمة القمنيّ

أزمة القمنيّ التي هتكت عرضها وفضحت سترها جريدة المصريون، وان لم يكن الرجل جديراً بأن يكون أزمة، ، يجب أن ينظر اليها المصريون على أنها أكبر من مجرد قصة رجل فاسد ساقط، أهان رسول الله ﷺ، وكذب على الله سبحانه، واستهتر بدين الأمة علناً وبلا مواربة، فإن ذلك يمكن أن يخرج من أي جاهل مزّور وجد قوى تسانده في نشر هذا الغثاء، لكن الأزمة التي يجب أن يقف عندها طويلا كلّ مصريّ مخلص لدينه وربه ووطنه هي ما كشفته هذه الأزمة من تغلغل قوى الفساد في أوصال الدولة المصرية ومدى التنسيق بين مجموعاتها المنتشرة في كوادر الدولة عامة، ووزارة "الثقافة"، أو إن شئت "السخافة"، خاصة، فهي الوزارة التي لها من المصادر والصلاحيات ما يمكّنها أن تبث السموم بين أبناء الأمة على أنه "فكر" أو "أدب" أو فن"، وهو ليس "فكرا" بل "كفرا"، وليس "فناً" بل "نفّاً"! وليس "أدباً" بل "محض "قلة أدب"! هي الوزارة التي تجعل من شهر رمضان خاصة مرتعاً للشيطان، وقديماً انتقد الناس قول أحمد شوقي:

رمضان ولى هاتها يا ساقي مشتاقة تسعى إلى مشتاقِ

ما كان أكثره على عشاقها وأقـلّه في عبادة الخلّاقِ

ولكن شوقي جعل الفساد يبدأ بعد نهاية رمضان، وجعل رمضان شهرا للعبادة، وهذه الوزارة المنكودة قلبت الموازين فجعلت رمضان شهر الفساد والمجون والطبل والرقص تحت اسم الفن، الفنّ الذي أشادت نقابته بجهد فاروق حسني وحكمته وحصافته! فنّ يدعم فنّ القمنيّ ويهيئ له مراتعه.

الأزمة هي أزمة أمة أصبح الفساد والمجون وسبّ الدين أمر تتآمر عليه القوى "الشلليّة" صاحبة السطوة والسيطرة فيها لتمرره على الناس أملاً في أن يصبح واقعاً مقبولاً على كَرْه أولا ثم بلا مبالاة ثانياً ثم برضوخ ورضاً أخيراً. مؤامرة بدأت على استحياء منذ صدور كتاب "الأدب الجاهليّ"، و"الإسلام وأصول الحكم"، ثم فرّخت وتفرّعت بعد الخمسينيات، ثم تربعت وتفرعنت بعد الثمانينيات، وها نحن نرى أحد مطاياها يُمنح أعلى وسام في الدولة، وهو محض مزور تالف خارج عن الشرعية

والقانون.

الأزمة هي أن هؤلاء يسرقون الأمة، في غفلة من أبنائها الذين شغلهم البحث عن رغيف العيش ليل نهار لتتثنى لهؤلاء السرقة في وضح النهار، بل وفي المجالس "العلمية" و "الأدبية" والجوائز التقديرية، فالأمر يتسق مع مخطط طويل المدى لسرقة هذه الأمة. الأمر ليس أن هذه العصابة سرقت مائتا ألف جنيه منحتها لهذا العابث، بل الأمر هو أنها حلقة في سلسلة السرقة الكبرى التي تتناول كلّ ما هو عزيز وغال في حياة هذه الأمة، سرقة الضمير والأخلاق، سرقة الدين والدنيا، سرقة الأصول والفروع، سرقة الدولة والحكم، سرقة كلّ ما يمكن أن يكون عاملا مقوِّماً من عوامل نهضة هذه الأمة، حتى لا يبقى لها من تراثها ودينها ورصيدها الماديّ والحضاري ما يجعلها قادرة على الصمود في وجه أي معتدٍ من الداخل أو من الخارج.

ولا أظن أن أحداً في هذه الدولة ممن يجلس على أي كرسي من "المسؤولين" سوف يتخذ أي خطوة ضد هذا العبث بالدين، والسرقة الفاضحة لمقدسات الأمة، إذ هم جزء من المخطط المتكامل لهذه السرقة. ولو حدث أمر مثل هذا في أي دولة من الدول "المتحضرة" التي تنتخب حكوماتها، وتختير أنظمتها، لقامت قيامة البرلمانات وتشكلت لجان لبحث هذه الفضيحة خاصة والتزوير قد أصبح أحد أركانها، فإن كان سبّ الله ورسوله ليس مجرّما في قانون هذه الدولة، فإن تزوير الشهادات يقع تحت طائل القانون الوضعيّ العلمانيّ، فما بالهم قد سكتوا سكوت الموتى وتقوقعوا تقوقع الحشرة، وأعرضوا إعراض البعير المعبّد!

فلينتبه المخلصون من أبناء هذ الأمة لما يراد بهم من أبنائها العاقين لفضلها وتراثها، ولينتبه "هابيلها من قابيلها" قبل فوات الأوان!



بين النقد الهادئ ونقد "الطبطبة"

لكل مقام مقال

لا أتوجه بحديثي هذا إلى القارئ العادي، رغم أني أرحب بقرائنا الأعزاء ليكونوا شهوداً وحكّاماً على ما أقول، ولكني أتوجه به إلى كلّ ذي قلم سواء من الكتّاب أو الباحثين، أو رؤساء تحرير المجلات المطبوعة أو الإلكترونية أو المواقع الإعلامية، فإن هؤلاء حاملوا مسؤولية تكوين عقول الأجيال الحاضرة وتوجيه وعيهم وفتح عيونهم على ما يراد بهم وبدينهم من شرّ.

وهذا التوجيه والتكوين يبنيان على أمرين رئيسين لا يقل أحدهما أهمية عن الآخر، أولهما بيان الحقّ وتوضيحه والثاني كشف الباطل وتحليله وتزييفه، وهو المنهج الذي خطّه القرآن وأقام أركانه بما لا يدع مجالاً لمجادل فيه.

وكما أن بيان الحقّ يجب أن يكون كاملاً قوياً لا تحريف فيه ولا مواربة، وإلا كان تحريفاً له وتبديلا، فإن تزييف الباطل وبيانه ونقده لا يجب أن يكون إلا بوصفه بما هو أهل له ونعته بما يستحق للأسباب التي سنوضحها فيما يأتي.

وقد لاحظت على مرّ السنوات الماضية التي شاركت فيها بجهد متواضع في كلا الأمرين السابقين، أنّ أمر النقد قد اختلط على الكثير، بل على الغالب من كتابنا وباحثينا ومسؤولي التحرير، فلم يفرق كثير منهم بين النقد الهادئ البناء وبين نقد "الطبطبة" أو النقد "الحنيّن" حسب التعبير المصريّ الدارج!

وقبل أن أقول في هذا الأمر قولاً، أود أن أقرر أن النقد صورة من صور المقاومة لا يختلف عنها، ويتشكّل، كما تتشكل المقاومة، حسب درجة الهجوم ونوعيته. وقد قال شوقي:

والشرّ إن تلقَه بالخيرِ ضقتَ بهِ ذرعاً وإن تلقه بالشرّ يحسمِ

بل إن هذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" يعنى لزوماً، حسب مفهوم المخالفة، وليس جزاء الإساءة إلا الإساءة.

فكلّ صورة من صور الهجوم لها ما يناسبها من صور المقاومة، ولا يشك عاقلٌ اليوم أن المجتمع الإسلامي والثقافة الإسلامية بل وكل ما ينتمي للإسلام واقع تحت وطأة هجوم شرس لا يرحم، سواء بالقوى العسكرية أو الاقتصادية أو الفكرية، وهو كذلك أمر ليس فيه مجال لمجادل. ولو أنّ المقاومة العراقية مثلا تبنت كتابة المقال كردٍّ على الاحتلال لكان ذلك ضرباً من ضروب الخبال بلا جدال.

والأمر أنّ منهج نقد "الطبطبة" قد نشأ نتيجة ضعف الأمة بشكل عام، وضعف أفرادها في مواجهة أي هجوم أو تهجّم من ناحية أخرى، والهجوم المتواصل يليّن من عزم الضحية ويوهن من قدرتها على المقاومة الجديّة الصائبة. ولكنّ الجادين من الدعاة والمسؤولين عن مواردها يجب أن ينتبهوا إلى ما يمكن أن ينشأ من ضرر نتيجة هذا التهادن الخائب في بيان الحق وتعرية الباطل بما يستحق.

ثم نبيّن ما نقصد بنقد "الطبطبة"، وهو النقد الذي يستخدم فيه صاحبه كلمات لا تعرّي حقيقة المتهجم على دين الله كأن يذكر أنه مبتدع أو مدلّس أو كاذب حاقد مفترى، أو ما شابه من كلمات وُضعت لغة لتبيّن حقيقة المتهجم على ما هو عليه دون استحياء، إذ لم يستحى المتهجم على دين الله، بل دلّس وكذب وافترى وأراد بالإسلام وأهله شراً، فما علينا إن وصفناه بما يستحق، بل إن وصفه بأقل من صفاته هو تدليس في حدّ ذاته لا يصح من داعية أو باحث جادّ.

وما يجب أن ينتبه اليه الدعاة والباحثون أنّ الأجيال الحاضرة اصبحت تعتمد أكثر ما تعتمد على السمع والرؤية في الأجهزة الإعلامية وشاشات المواقع لا على القراءة أو التحليل، وأصبح من الضروري اللازم أن يصاحبها الكاتب أو الباحث لا في شرح الحقائق وبيانها بل وفي استخلاص النتائج وتحديد الحق من الباطل بكل وضوح وبلا غبش.

وأن يقوم داعية أو باحث بتناول مقال مضللٍ عاد أثيم دون أن يطلق عليه ما يستحق من صفات يوهم القارئ أن الأمر مجرد اختلاف في الرأي وأن كلا الكاتبين له وجهة نظر يعرضها وأنّ كليهما يستحق الاحترام والتقدير، وأنْ ليس

للبدعة أو التدليس والكذب وخيانة الله ورسوله محلٌ بينهما، وفي هذا ما فيه من خطأٍ وتزييف. والحق أن يبين الكاتب أو الباحث حقيقة ما عليه المبتدع الضالّ **بأن يسميه باسمه، والإسم له نصيب من حقيقة الشخص نفسه وجزء من تكوينه لا يجب أن تُغفل، وتسمية الأشياء بأسمائها شرع يمنع من التضليل والتحريف.**

وأكاد أسمع عدداً من الكتّاب والباحثين ورؤساء التحرير الذين اعتادت أقلامهم الحذف والقصّ إن مرت على وصف ببدعة أو ضلال أو كذب وتدليس، أكاد أسمع قولهم: وما علينا من هذا اللون من الكلام، ونحن نقرِر الحق بعينه ونرد على الباطلِ ونبين زيفه، ما علينا أنِ نقرر أن صاحب الباطل مبطلٌ وأن صاحب البدعة مُبتدعٍ وأنّ من دلّس هو مدلّسٌ؟ والحديث الطيب أطيب وأنفذ إلى القلوب من الحديث الفظّ الغليظ، ولا حاجة إلى تنفير القارئ من المقال بمثل هذه الكلمات التي قد يتصورها تعدياً وتجنياً. نعم، هذا مجمل ما يردده أصحاب "الطبطبة" وأهل "النقد الحنيّن" ليصفوا لهم ما أرادوا من منهج.

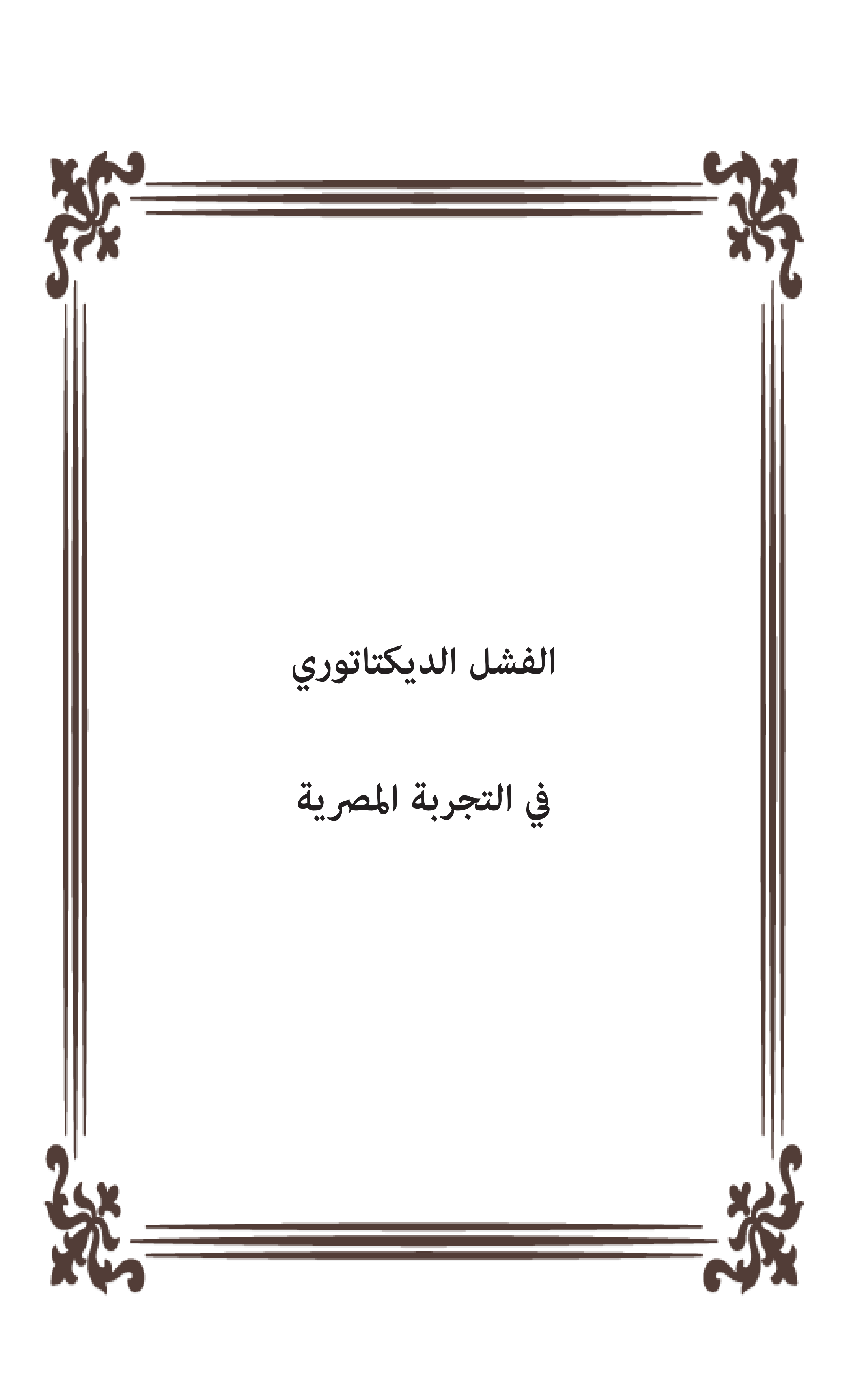
وقد يظهر هذا المنهج للوهلة الأولي منهجاً صواباً رقيقاً هيناً ليّناً، ولكن دعونا ننظر فيما وراء هذه الادعاءات من حق. فإن حذف الحق ومداراته لا تسمى ليناً وهوادة، كما أن بيان حقيقة المخادع وتسميته بما هو عليه ليس غلظة وشدّة، هذا من سبيل تحريف الكلم عن مواضعه، هذه واحدة، ثم الأخرى أنّ الغلظة والشدة مطلوبين كما أنّ اللين والهوادة مطلوبين كلّ في مجاله ومناطه، وأن نَخلُف الأمرِ ونقلبه على عقبه بأن نستخدم اللين والهوادة محلّ الغلظة والشدة هو خطأ شرعيّ يحاسب عليه فاعله، فإن الله سبحانه حين وصف أصحاب محمد ﷺ في القرآن وبيّن طريقة تعاملهم مع الغير من صنفيّ الناس قال: "أشداء على الكفار رحماء بينهم"، فالشدة تكون على من خرج على دين الله ونافق وابتدع، واللين يكون منهجاً سوياً حين يتناول من أخطأ أو اختلف في الرأي ممن يحب الله ورسوله من أصحاب المذهب السويّ، وهو مقتضى قوله تعالى: "رحماء بينهم" وأهل البدعة والنفاق والكفر ليسوا ممن يقال عنهم "بينهم" بأي شكل من الأشكال. كما قال تعالى: "جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم" فالغلظة منهج له محلّه حين يكون الخصم متعدياً على دين الله

قاصدٌ لهدمه، وقل لي بالله عليك: ماذا ترى في مثل "جمال البنا" الذي حرّف ودلّس وبدّل وأنكر معلوماً من الدين بالضرورة وأنكر الحدود وغيّر الشرع، أيصلح له أن يردّ عليه رادّ أو ينقده ناقد دون أن يبين للقارئ أن هذا الزنديق المتعالم كافر مشرك منكر لحدود الله ومبدّل لدينه؟ أيصلح أن يكتب كاتب عن زندقته التي ينشرها على الناس دون أن يبين لهم حقيقته واضحة صريحة أن ينعته بصفاته التي سيلقى الله عليها؟ هذا وإلا ظهر وكأن الأمر أمر اختلاف في الرأي وتباين في وجهات النظر لا غير! والكلام الطيب أوقع وأنفذ للقلوب لا جدال في ذلك، ولكن، ألا ترى أن صرخات هؤلاء المهووسين من أعداء دين الله وسنة نبيه يجب أن تعلو عليها أصوات الحق وأن قعقعة السيوف إن علت دلّت على شدة المقاومة وشراستها.

وفارق بين ما نقرر هنا وبين ما ابتدعه المدخليّ وأتباعه من أدعياء السلفية ومزيفيها، الذين يتهجمون على علماء الأمة الأبرار بلسان مقذع كاذب، إذ إننا نتحدّث عن أمثال طه جابر علواني وجمال البنا ومن هم على شاكلتهم من أهل البدعة والضلال.

بالله عليكم، كفى هذه الأمة ضعفاً وهواناً، كفى هذه الأمة انحناءً و"طبطبةً" وحناناً على من لا يستحق الحنان، ورحم الله شيخنا وشيخ العربية العلامة الإمام "محمود شاكر" فقد كان علماً على أسلوب النقد الجادّ فيما كتب عن الخبيث الخسيس شرلتان زمانه "لويس عوض" [١].

[١] انظر "أباطيل وأسمار".



الفشل الديكتاتوري

في التجربة المصرية

أوضح أحد اساتذة جامعة هارفارد الشهيرة، والذي يعمل حاليا كرئيس مكتب العلاقات الأمريكية الصينية، في مقابلة تلفازية جرت معه الأسبوع المنصرم، أن الحديث عن نشر الديموقراطية على الطريقة الغربية أصبح وهما لا حقيقة له، وأن التجربة الصينية هي أقوى الدلائل على ذلك، إذ إن الصين في العقدين الأخيرين قد أصبحت قوة هائلة للإنتاج والتنمية رغم نظامها السياسيّ الحاكم الذي هو نظام دكتاتوري في أصله. ورغم ذلك فقد تقدمت الصين تقدماً فاق كل ما أحرزته البلاد الغربية تحت ظلّ النظام الديموقراطيّ. فقد تفوقت الصين على أمريكا في مجال الخبرة التكنولوجية والمواصلات والإنتاج السلعي ونجحت في استقطاب الوظائف الأمريكية التي باتت تهرب من الأزمات المتواصلة في بلادها إلى الصين والهند.

وعزا البروفيسور هذا التقدم إلى رغبة الحكام في تحسين أوضاع شعبهم وفي التفوق رغم دكتاتوريتهم. كما ذكر أنّ الرفاهة وتحسين مستوى المعيشة كثيرا ما يكون بديلا عند عوام الشعب عن المطالبة بممارسة حقوقهم السياسية، فالغرض من الممارسات السياسة ليس بذي قيمة في حدّ ذاته، بل بما يؤمّنه من رفاهة للشعب، وهو ما توضحه التجربة الصينية. ونحن نسوق هذا التحليل لا بغرض تمجيد الدكتاتورية أو حكم الفرد، فهو نظام لا يتمشى مع الفطرة الإنسانية، وإنما نسوقه لنبين أنّ النظام المصريّ لم يلحق لا بديموقراطية أمريكا ولا بديكتاتورية الصين.

فالنظام المصريّ لم يلحق بالديموقراطية إلا عند أذنابه وعملائه، ولكن يعرف القاصي والداني انه نظام مقطوع النسب بالتجربة الديموقراطية الغربية، وهو، بطبيعة الحال، مبتوت النسب كذلك بالنظام السياسيّ الإسلاميّ شكلا وموضوعاً، ولم يحظ "بالتقدم" ولم يلحق بالغرب الديموقراطي إلا في مجال المهرجانات السينمائية والبرامج التليفزيونية الخليعة التي تتساوى في مجونها مع ما نراه على شاشات التلفاز الغربي.

إلا إنه قد ظهر من تحليل البروفيسور الأمريكيّ، حين نطبقه على النظام المصريّ، أنه ليس بنظام ديكتاتوري كذلك، بل قد فشل هذا النظام أن يحقق مكاسب الديكتاتورية الصرفة كما هي في الصين، إذ إن مستوى الحياة في مصر انهار في

السنوات الثلاثين الماضية انهيارا شديداً، وازدادت الطبقية توغلا في الحياة الاجتماعية، وفشت المحسوبية والعمالة والبطالة، وتراجعت الرقعة الزراعية والهيكل الصناعي، وخربت وسائل المواصلات، وتراجعت المقاييس الأخلاقية بشكل يهدد اصل التركيبة الاجتماعية ونسيجها.

والسبب في هذا الفشل الديكتاتوري، رغم أنه نظام حكم فردي لا مجال للشك فيه، أن اصحاب السلطة في مصر لا يعنيهم هذا الشعب من قريب أو بعيد، إنما الأمر في النموذج الديكتاتوري المصري هو أن يحقق لأصحاب السلطة أكثر ما يمكن من الكسب الماديّ، وأن يؤمنوا هذه المكاسب عن طريق السلطات الأمنية التي يطلقون عليها "قوات الأمن القومي" ونحسبهم يحصرون تعريف القوم هنا بالعائلة المالكة وبحراس النظام وسدنته.

النظام المصري لا يمكن وصفه بالديكتاتورية على وجه الإطلاق، كما في النظام الصيني، بل هو نظام فردي عائلي ملكيّ خاص يتعلق في ابعد أهدافه وغايات بقائه بالكسب المادي للفئة الطاغية، وبضمان أن يستمر هذا النظام الفردي ما أمكنه ذلك. والله ورائهم محيط.



أزمة الاقتصاد العالمي -

وتوابع الجشع

ليست الأزمة المالية العالمية الحالية أزمة طارئة ظهرت فجأة دون مقدمات، بل إنها أشبه ما تكون بالمرض السرطاني الذي يداخل الجسد، ويسعى مفسداً بين جنباته حتى لا يترك فيه جزء إلا اخترقه، وحين يكتشف المصاب داءه، يكون أوان البرء قد فات ولات حين مناص.

والجشع هو الباب الذي وَلَجَت منه هذ الأزمة، جشع المرابين على رأس المنظومة المالية الصهيونية العالمية، وجشع المستهلك العادي من العامة. ولنلق نظرة أقرب إلى ما حدث ليكون عِبرة لمن اعتبر.

والجشع - لغة - هو أسوأ الحرص، وأن تأخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك [١]، وهو صفة ملازمة للربا إذ إن الربا، في النظرة التحليلية، هو طمع في مال الآخر دون بذل جهد لتحصيله. وهو مختصر ما حدث في هذه الأزمة المالية الطاحنة.

كانت بداية الخمسينيات، حين ظهرت بطاقات الائتمان في الظهور بين طائفة محدودة من رجال الأعمال في الغرب. ولكن ظهورها الحقيقيّ يرجع إلى عقدين من الزمن، في الثمانينيات، حين أصبحت في متناول المستهلك العاديّ ثم في بداية التسعينيات، حين أصبحت في يد كل من له دخل ثابت في الغرب.

وتزامن مع ذلك، ذلك الفيض الهائل من الإعلانات المتلفزة عن كافة أنواع السلع والبضائع، بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ. والحق أن العلاقة بين ظهور البطاقات الأئتمانية وبين هذه الفيض من الإعلانات التي تطرق مسامعهم وتصمّ آذانهم ليل نهار، علاقة سببية متبادلة، أحدهما سبب للآخر ونتيجة عنه في آن واحد.

والمدلول هو أنّ البنوك، التي تقرض أصحاب الأعمال، لإنتاج البضائع ولدفع ثمن الدعاية المتلفزة لها، وتأخذ فائدة باهظة على ذلك، مما يرفع ثمن هذه السلع، هي ذات البنوك التي تقرض المستهلك لشراء هذه السلع، عن طريق القروض المباشرة، كما في حالة شراء المنازل، أو عن طريق بطاقات الائتمان في حالة شراء أي من السلع الاستهلاكية الأخرى، المعمّرة منها وغير المعمّرة، وتأخذ على هذه القروض فوائد مضاعفة، مرة أخرى، والنتيجة أنّ المستهلك يدفع هذه الفوائد الربوية مرتين، مرة

---

[١] اللسان ج١ ص٤٢٧.

عند المنبع، ومرة عند المصدر، ومن ثمّ يتضاعف عليه الدين أضعافاً مضاعفة.

ونضرب مثلا من إحدى الدول الصناعية السبع الكبرى؛ كندا؛ ففي عام ٢٠٠٤، بلغ دخل الأسرة العاملة ٦٥٠٠٠$ في العام، بينما بلغ مقدار الدين على ذات الأسرة ٦٩٠٠٠$ في العام، بواقع ١٠٣٪ من إجمالي الدخل الأسرّي، ثم ارتفع الدين في عام ٢٠٠٤ إلى ١٣٠٪ من الدخل السنوي. وفي عام ٢٠٠٨، عام الأزمة بلغ الدين العائلّي ٩٠٠٠٠$ في العام اي بواقع ١٤٥٪ من إجمالي الدخل الأسرّي، وهو إلى زيادة!

كيف يمكن أن يستمر مجتمع في الحياة والاستقرار وأفراده مدينون بأكثر من مرة ونصف ما يحصلونه كلّ عام؟! هكذا كان فعل الرأسمالية التي دفعت أبناءها إلى الجشع في تملك ما لا يقدرون علي سداد ثمنه، وأن يعيشوا من وراء إمكانياتهم وفوق قدرتهم الفعلية،، وحسنت لهم شراء هذه السلع دون أن يعقلوا ما وراء ذلك من خطر الدين الحالّ، وما فعلته بهم النظم الربوية التي موّلت هذه الدوافع وتقاضت حقها مرتين، أو كادت، فترى العائلة تنتقل إلى بيت كبير، وتملؤه بالأثاث الحديث، وتركب السيارات الفارهة، وهم لا يمتلكون من هذا المتاع شيئاً، لا شيئ على الإطلاق، كله دين في دين، يدفعونه مرات مضاعفة، حتى تأتي ساعة الحق، ولا يستطيع أحد الوفاء بدينه. ثم أن الله سبحانه أخذهم بما قدّموا، وجازاهم بما فعلوا، وهي سننه الكونية التي لا ينجوا منها مخالف منحرف عن أمر الله.

وقد قررت السلطات الكندية أن تخفض سعر الفائدة الربوية إلى ما يقرب الصفر (٠٫٢٥٪) في محاولة لتجنب الانهيار التام للاقتصاد العالمي الربويّ، وهو ما يعنى التخلي عن مبدأ الربا كلية، إلى حين! فسبحان الله العظيم، يعلمون ما فيه من فساد، بل يرون فساده رأي العين، ولكنهم كما قال تعالى: "لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون"، هم ومن اغتر بهم من أبناء جلدتنا، والمتحدثين بألسنتنا.



النفاق الغربيّ على المسرح السياسيّ

حدث في الأيام القليلة الماضية حادثان على المسرَح السياسيّ إن دلاّ على شيء فإنما يدلان على فحش النفاق الغربيّ الذي يستخفي وراء دعاوى ساقطة عن الحرية والصواب السياسي (Political correctness) وكلّ هذه الكلمات التي لا حقيقة لها ولا واقع يسندها.

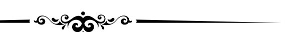
أما الحدث الأول فهو تلك الفضيحة السياسية الحضارية في منح الرئيس الأمريكيّ باراك أوباما جائزة نوبل للسلام قبل مرور عام واحد على توليه السلطة! جائزة نوبل للسلام للرجل الذي أمر في نفس الأسبوع بتصعيد الحرب في أفغانستان بإرسال مزيد من قوات الاحتلال حجمها ٣٠ ألف جندي!

الرجل التقي حامد كرزاي – رأس الفساد ومثال النفاق – ولا يزال يدعم حكومته، وهو يعلم أنه يدير حكومة تعتبر مثالا يحتذى في الفساد الحكوميّ وسوق بيع المخدرات. أوباما لم ينكر ولم يغيّر أي من السياسات الأمريكية في العراق، ولم يعلن عن اي جدول للانسحاب منها، بل لا يزال على خطى سلفه في التخطيط للبقاء الأبدي بصورة او بأخرى في بلاد الرافدين لاستنزاف خيراته والتسلط على بقية الدول المحيطة. أوباما لا يزال على تأييده للاستيطان والحصار الإجرامي على مليون ونصف عربي في غزة – بالتعاون مع الأنظمة المحيطة العميلة - في أكبر فضيحة لغياب الضمير العالميّ. ثم يحصل أوباما على أعلى جائزة عالمية للسلام! إن لم يكن هذا نفاقٌ فبالله عليكم ما هو النفاق؟

والحدث الثاني هو تلك التصريحات التي زلزلت الحكومة الكندية المنتمية لليمين المسيحي المتطرف، والتي أدلى بها ريتشارد كولفن، المساعد السابق للسفير الكندي في أفغانستان والتي كشفت عن دور القوات الكندية في تسليم المعتقلين الأفغان – الذين ذكر كولفن أن غالبيتهم العظمى من الأبرياء! – للجهات الأمنية الحكومية الأفغانية التي تقوم بدورها بتعذيبهم تعذيباً شديداً. ويواجه وزير الدفاع الكندي بيتير ماكاي، احتمال الاستقالة من جراء هذه الفضيحة. والأمر أن كندا الرسمية تدعى أن لها سجل لا غبار عليه في مجال احترام حقوق الإنسان بينما تقوم قواتها بتسليم

المعتقلين إلى جهات تعلم علم اليقين أن القائمين عليها أقل من يوصفوا بالبشرية في التعامل مع مواطنيهم.

ورغم أنّ هذه المعاملة اللاإنسانية هي من قبيل العادة في بلادنا الإسلامية إلا أن الفارق أن الحكومات الشرقية لا تدعى الحفاظ على حقوق الإنسان، ولا حريته ولا كرامته، وليس لها سجل يُخشى عليه محلياً ولا دولياً، ولكن الحكومات الغربية تنافق بمثل هذه الادعاءات، والتي إن كان لها ظل من الحقيقة فإنما يكون في حقّ مواطنيها لا غيرهم خاصة إن كانوا من أهل الإسلام الذين تخلت عن حقوقهم حكوماتهم وأهدرتها. وكما يقال: بين الشرق والغرب، يا قلب لا تحزن.





أوباما .. والسياسة الأمريكية

انتهت الانتخابات الأمريكية وما صاحبها من صخب وضجيج وفرح وترقب وأمل، ساد أوساط العامة في أمريكا وفي أنحاء العالم كله، وما ذاك إلا نتيجة سياسة بوش الذي ضحى فيها بمصالح قومه والعالم أجمع لتحقيق مكاسب مادية شخصية، والتمكين في ذات الوقت لما أملته عليه طغمة المسيحيين المتطرفين "الأفنجليكان" والتي تؤمن بأن المسلمين هم أعداء المسيح "Anti Christ" وأنه يجب الخلاص منهم والتمكين لليهود في فلسطين استعدادا لنزول المسيح!

وكان أن تشكلت ظاهرة أوباما، وهي ظاهرة تستحق أن يقف عندها الباحثون لدراسة أبعادها، ولا أقصد "بظاهرة أوباما" الرجل نفسه، ولكن أقصد ظاهرة صعوده البرقيّ واستخدامه لوسائل إعلامية في الانتخابات أجمع المتخصصون الأمريكيون أنها جديدة وفعّالة. أما عن الرجل نفسه فلعلنا نتحدث عنه في وقت لاحق إن شاء الله.

وما أذهلني وأثار مخاوفي هو تلك اللهجة الواعدة التي تحدث بها بعض مفكرينا ومثقفينا عن سياسة الرجل المرتقبة، خاصة تجاه العالم الإسلاميّ. بل تعدى ذلك إلى الجماعات الإسلامية التي رحبت ترحيبا شديداً بانتخاب الرجل على رأس الإمبراطورية الأمريكية بصفته أسود وله "جذور إسلامية"!

أن نفرح بنهاية مجرم الحرب بوش وانتهاء حقبته السوداء الني كانت كابوساً على العالم كله فهو أمر، وأن يكون أملنا في حدوث أي تبدّل في السياسة الأمريكية تجاه الإسلام والمسلمين لهو أمر آخر يعكس سذاجة مضاعفة في التصور السياسيّ.

الرجل تبرأ من أصوله الإسلامية بشكل تام ونهائي، وحرص على أن يظهر كنصرانيّ متديّن ينتمي لكنيسة يعتادها وأهله على الدوام، ثم كانت آخر خطبة ألقاها ليلة انتخابه هي كلمته أمام اللوبي الصهيونيّ، وهي لفتة لها معناها لتهدئة روع اليهود، ثم كان أول رجل تم تعيينه في إدارته هو رام إيمانويل يهوديّ من أصل إسرائيلي خدم في إسرائيل إبان حرب الخليج الأولى لتأدية خدمته العسكرية الإسرائيلية المفروضة على اليهود مهما كانت جنسياتهم. والبقية تأتي.

أمر السياسة الأمريكية ليس أمر أن أوباما أسود أو أحمر، أمر السياسة الأمريكية أعمق من ذلك بكثير، ولو ربطنا هذه السياسة بلون الرئيس الأمريكيّ لكنّا نضيف خطأً على أخطاء.

هناك خطوط حمراء لا يستطيع أي رئيس أمريكي أن يتجاوزها مهما كانت اتجاهاته الشخصية، ذلك إن افترضنا أن اتجاهات الرجل "عربية إسلامية"!!! فالسياسة الأمريكية سياسة مؤسساتية تقوم على قرارات جماعية تحكمها مصالح عليا تتمثل أول ما تتمثل في الحرص الأبدي على مصلحة إسرائيل وأمنها مهما كان الثمن، هذا البعد لم ولن يتغير مهما تغير لون جلدة الرئيس الأمريكيّ.

أعتقد أننا كأمة نكرر نفس الخطأ الذي نقع فيه كلّ مرة يتبدل فيها زعيم في دولة كبري، طبعا لا في مصر إذ إن مصر لا يتبدل فيها الزعماء!، وهو في نظري هروب من مواجهة المشكلة الداخلية التي تستدعي حلاً داخلياً باللجوء إلى الخارج للبحث عن المخلّص، ولو كان على رأس المنظومة الأمريكية الصهيونية!

دعونا لا نقع في ذات الخطأ الذي جعل بعضنا يرى في "الخميني" الرافضي قائد الفتح الإسلاميّ المرتقب، ثم أفاق ليجد الرافضة ينهشون في لحوم أهل السنة على اتساع الخريطة الإسلامية!



ثلاثيّ الخداع -

أمريكا، إسرائيل، إيران

من أحدث ما نُشر في الولايات المتحدة عن الخريطة السياسية للثلاثيّ الصليبيّ-الصهيونيّ-الرافضيّ، كتّاب بعنوان The Treacherous Allies أي "الحلفاء المخادعون"، لكاتبه تريتا بارسي "Trita Parsi"، مدير مركز العلاقات الأمريكية الإيرانية، والذي تناول فيه العلاقات الثلاثية المريبة التي لا زالت تتأرجح بين الود والتقارب باطناً، والعداء والتباغض ظاهراً.

والكتّاب غنيّ بالمعلومات الموثقة والتحليل الدقيق لتلك العلاقة المشبوهة لا يتسع المقام لسردها كلها، ولكن نكتفي بقدر يدل على ما سبق أن تحدثنا، وتحدث العارفون، عنه، ألا وهو أن مسؤولي الرافضة ليسوا حماة الإسلام في العالم، بل هم مديرو مشروع الدولة الصفوية الحديثة التي لا تشغلها هموم الفلسطينيين إلا بقدر ما يحقق لهم التوسع الجغرافيّ، يقول الكاتب: "وبإدراك أن المصلحة الوطنية تعلو (لدى الدولة الإيرانية) على ما عداها، اقتنعت أنّ كل قنوات التفاهم مع الولايات المتحدة يجب أن تفتح، وليكن الوسطاء الإسرائيليون طريق إلى ذلك، ويجب أن تكون كلّ هذه الاتصالات سرية للغاية حتى لا تدمر صورتها (أمام مسلمي العالم)" [١]. ثم يبين الكاتب سبب صورة العداء الرافضيّ الإسرائيلي التي تروجها إيران، يقول "إنّ مفتاح الدعاية العدائية الإيرانية لإسرائيل يكمن في رغبة إيران في رفع الضغط العربيّ عنها ... وخلافاً للشاه، فإن القيادة الثورية لم تجد سبيلا إلى فتح علاقات رسمية معلنة مع إسرائيل لأن في ذلك تهديد لعلاقتها مع العرب ... الشارع العربي (على وجه التحديد)".

وقد أوضح الكاتب أن تلك الأيديولوجية التي رسمها قواد الثورة الرافضية، قد بدأت خطواتها في الشهور الأولى من الثورة، يقول: "وبعد شهور من الثورة، ورغم قطع العلاقات بين إسرائيل وإيران، فقد عرضت إسرائيل أن ترسل دبابات أمريكية كان الشاه قد أرسلها لإسرائيل للصيانة، وقد قبلت إيران العرض" [٢]، ويقول: "وقد

[١] "The Treacherous Allies" ص١٠١.

[٢] السابق ص٩٤.

تزايد الشعور بانقطاع الصلة بين ما تدعيه إيران من عداء لإسرائيل وما تمارسه من علاقات معها في الخفاء، فبينما كانت إيران تدين إسرائيل علنا، فقد كانت تقيم معها علاقات في السرّ ... فكان المفتاح الرئيس للسياسة الخارجية الإيرانية هو العداء الهائج للدولة الصهيونية مع التعاون معها على المستوى العمليّ (عن مقابلة مع مساعد مستشار الأمن للمجلس الثوري عام ٢٠٠٤)" [١].

وهذا الموقف الرافضي من التعاون مع القوى المعادية للإسلام يمثل جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الروافض، فقد كتب بن تيمية في كتابه العظيم "منهاج السنة النبوية": "لا سيما الرافضة فإنهم أعظم ذوى الأهواء جهلا وظلماً ... تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين من أهل القرآن كما جربه الناس منهم غير مرة في مثل إعانتهم للمشركين من الترك (قبل العثمانيين) وغيرهم على أهل الإسلام في خراسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك. وإعانتهم للنصارى على المسلمين في الشام ومصر في وقائع متعددة من أعظم الحوادث في المائة الرابعة والسابعة .. وهكذا معاونتهم لليهود أمر شهير حتى جعلهم الناس لهم كالحمير" [٢].

ولقائل أن يقول: لكن كثير من الأنظمة العربية يتعاون مع إسرائيل، بل يحرص على المصلحة اليهودية أكثر من اليهود أنفسهم! فلم الكيل بمكيالين؟ فنقول: لأن هذه الأنظمة العميلة الساقطة لا تدعي الإسلام ولا تعمل تحت لوائه، بل تعلن علمانيتها صريحة وتنتصر لها من خلال أحزابها وكتّابها ومؤسساتها. بينما النظام الرافضي كالثعبان الزلق، يعلن الإسلام ظاهراً ليغش العامة ويبطن نشر الرفض بينهم ليصل إلى تحقيق الحلم الصفوي، لا قدر الله.

---

[١] السابق ص٩٥.

[٢] منهاج السنة النبوية ج١-ص٧-٨.



حماس .. بين مطرقة اليهود

وسندان الرافضة

كنت كلما قرأت عن علاقة محتملة بين "حماس" والقوى الرافضية الإيرانية أبت نفسى أن تصدق مثل هذه الأخبار بل وأخذت أردّها إلى قوى معادية للحركة الإسلامية تريد أن تربط بين النقيضين لتضرب الإسلاميين تحت ستار التعاون مع القوى الفارسية، إذ كيف يتوافق مسلم سنيّ يحمل توقير الصحابة ويؤمن بحفظ القرآن الكريم من التحريف ويحفظ للائمة الأعلام كالبخاري ومسلم مكانتهم، أن يضع يده في يدِ من كفّر الصحابة وسبّ أمهات المسلمين واعتقد تحريف القرآن ووضع الحديث على رسول الله ﷺ وآمن بخرافات صبيانية كدخول الإمام كهفاً وانتظار خروجه كلّ عام! ولكن ما زالت الأنباء التي تتحدث عن مثل هذه العلاقة تقوى وتتأكد حتى أصبحت حقيقة لا مفر من الإقرار بها والعمل على فهمها والتعامل معها بشكل أو بآخر.

ومع ما يعتصر النفس من ألم لما يحلّ بغزة الصامدة من حصار صهيونيّ-عربيّ، ومع ما تقدمه حماس من تضحيات في سبيل الموقف الفلسطينيّ المسلم، ومع الخذلان المخزي الذي تقفه الحكومات العربية "المسلمة" من هذا العدوان المجرم، ومع الانهيار التام للإرادة الإسلامية الجماعية وللأجهزة التي تمثلها كالجامعة العربية – تغمدها الله برحمته – إلا إنه ليس هناك مبرر يدفع إخوة الجهاد من أهل السنة إلى أن يتعاونوا مع من عادى الإسلام قرونا متطاولة وكان يداً للعدوان على أهل السنة طوال القرون الأربعة عشر السالفة، وهم يشهدون ما يحدث على مرمى البصر منهم في العراق، وما حدث من قبل في تآمرهم على طالبان. ولا يغترّن أحد بما تقوم به عصابات مقتدى الصدر فهي ألاعيب يريد بها الصدر أن يحتفظ لنفسه بمكان في التركيبة الرافضية الحاكمة، وأن يكرّس التدخل الفارسيّ في العراق وأن يقوّض ما قد يريده الصليبيون من إدماج بعض القوى المنتمية للسنّة اسماً في الحكومة العميلة لخداع القوى السنية في العراق والعالم الإسلاميّ.

ونحسب أنّ هذه الزلّة إنما تعود إلى سببين رئيسين، أولهما ما ذكرنا من أوزار الحكومات "المسلمة" العميلة عن تقديم يد العون إلى المنكوبين بالعدوان الصهيونيّ، على حين فتحت حكومة الفرس صدرها ويدها لحماس، وثانيهما أنّ الفكر الإخواني

الذي تنتمي اليه حماس لا يزال هو الفكر الإخوانيّ الذي يقبل التعامل مع أنظمة وحكومات تتولى أعداء الله وتعادي أولياءه رغم ما ظهر من استحالة أن يقبل أي نظام علمانيّ حاكم في العالم الإسلامي أن يسمح بأي تواجد رسمي إسلاميّ على الأرض التي يبسط سيطرته عليها، ولسنا في حاجة إلى أن نسرد مواقف الحكومات العلمانية الحاكمة من الإخوان في مصر وغيرها لندلل على صحة ما نقول ولكنها الجرثومة التي تصيب الفكر فتنحى به عن مسار الحق.

ولا زلت أعتقد أن إخوة حماس سيقوّمون هذه العثرة وسيعلمون أن الرافضة لم ولن يكونوا عوناً لأهل السنة في يوم من الأيام، وأن أهل السنة لا يجب أن يكونوا من السذاجة والبله أن يستظهروا بالشيطان على الشيطان، كان الله في عونهم على محنتهم.



من المسؤول الحقيقي

وراء أحداث ١١ سبتمبر؟

(1)

لا أشك أن هذا المسلسل من المقالات سيثير جدلا شديدا بين المسلمين في شرقنا الأوسط، بل قد يثير استياءً وإنكاراً وإعراضاً بين العديد منهم خاصة في أوساط شبابنا المسلم، ولكن البحث عن الحق والكشف عن الحقيقة أغلى وأحب إلى النفس من الترويج لوهم وإن كان وهما محبباً إلى النفس مرضيا للذات.

ومما لا شك فيه أيضا أن جهاد مجاهدي العراق وأفغانستان والشيشان وغيرها من الأراضي الإسلامية التي روعتها قوى الصهيونية الصليبية المجرمة، فهو ليس محل تشكيك أو تهوين، فالنتيجة المستخلصة من هذا المقال لا تقلل من روعة جهاد هؤلاء الأساور الذين يردون كيد المعتدين في أنحاء الأرض الإسلامية.

فهذا المقال يتناول الرد على سؤال طرأ على الكثير من العقول وحامت حول إجابته الكثير من الشبهات إذ إن الردّ عليه بشكل غير ما قدمته للناس وسائل الإعلام المجرمة يؤدى إلى تصور جدّ مختلف لعالمنا كله شرقيّه وغربيّه، أبيضه وأسوده، وهو ما لا تقوى الكثير من العقول على تحمّله، فإن تحمّل الحقيقة يحتاج إلى نفس صابرة أقوى ما يكون الصبر وعقل واع أشد ما يكون الوعي. ولهذا فإن الكثير من الناس يفضلون أن يعيشوا تحت الوهم المريح من أن يحيوا تحت ثقل الحقيقة المروعة.

وإنني أحسب أن بيننا الكثير ممن يريد الكشف عن الحقيقة وراء أحداث سبتمبر، من الفاعل الحقيقي؟

- أهي جماعة القاعدة بقيادة أسامة بن لادن وبإشرافه وتوجيهه،
- أهي جماعات تعمل بنفس ايديولوجيتها وإن لم تنضوي تحت قيادتها؟ أم
- إن المسلمين ليس لهم في هذا الأمر ناقة ولا جمل، فيعود الأمر إذن إلى التساؤل: من إذن المسؤول؟

وما سنتناوله بالنظر هنا ليس نظرية، فإن النظرية تنبني على فرضيات إما أن تعضدها

الحقائق أو تخالفها، وإنما سنقدم حقائق ثابتة مدعومة بالصوت والصورة والتسجيل، لا يختلف عليها عاقلان.

ومما تجدر الإشارة اليه أن هذا العرض لأحداث ١١ سبتمبر مطروح في الغرب، سواء أوروبا أو أمريكا بشكل واسع، تتحدث عنه الصحافة "غير الحكومية" ويبحثه الباحثون عن الحقيقة في العديد من البرامج وينشرونه على النت ويوزعونه على الأقراص المبرمجة. فهو إذن عرض موجود على أرض الواقع، إلا في شرقنا الأوسط، لأسباب سنتناولها في نهاية المقال إن شاء الله.

ونبدأ عرضنا لهذه الحقائق بأن نذكّر القارئ بهذه الصور المفزعة التي شاهدها العالم حيّة على التلفاز لهذه الأبراج العالية وهي تترنح من صدمة الطائرات التي صدمتها في جزئها الأعلى، ثم تسقط بعد عدة دقائق جملة واحدة، ثم الهرج والمرج الذي عاشه الألاف من سكان هذه المنطقة المنكوبة خلال الساعات والأيام التالية حتى انقشع الغمام وارتدت الأرواح في النفوس. هذا هو القدر المشترك المتفق عليه بين ما زعمته وكالات الأنباء "العالمية" المرتبطة بالحكومات الصليبية، وبين الآخرون الباحثون عن الحقيقة، أن هذه الأبنية قد تعرضت لهجوم من نوع ما ثم انهارت.

ما طبيعة هذا الهجوم، ومن المنفذ له، وبأي أداة نفذه المتآمرون؟ وما الدافع وراءه؟ ومن المستفيد منه؟ ومن الخاسر الأكبر فيه؟ لم يتفق الفريقان على أي إجابة لهذه الأسئلة كما سنرى [١].

---

[١] يمكن الرجوع إلى تفصيلات هذا الأمر في العديد من الكتب الذي نشرت في أمريكا وعلى راسها الفيلم التسجيلي رائعة مايكل مورز "Fahrenheit /١١"، وكذلك كتابه "Stupid White Men"والذي لخصناه من قبل على صفحات مجلة المنار الجديد.

(2)

- ذكرت وكالات الأنباء أن الطائرات المهاجمة هي طائرات مدنية للركاب: وهو ما لا يتناسب مع الصور التي سجلت للطائرات إذ كانت بلا نوافذ وهو ما يكون في الطائرات الحربية لا المدنية، وقد عرضت سي إن إن الأمريكية في الدقائق الأولى صور بعض الناس وهم يصرخون في الشوارع: "هذه ليست طائرات مدنية!" ثم سحبت هذه اللقطات من العرض كلية!

- ظهر في الصور التي التقطت للطائرتين اللتين ضربتا مبنيّ التجارة العالمية أن هناك جسم مركب بأسفل الطائرتين وهو ما لا يحدث في طائرات الركاب، وقد رجح تحليل الصور إلى ان هذا الجسم هو صاروخ من نوع ما!

- أظهرت تحاليل الصور واتجاه الظلّ أن هناك ضوء ناري لمع قبل أن تلمس كلا الطائرتين المبنيان بجزء من الثانية، وهو ما يرجح ان هناك انفجارا حدث مقدما للصدام، من جراء ارتطام جسم منفجر بالمبنيين مما سبب الانهيار وليس ارتطام الطائرتين.

- أظهرت الصور أنه كان هناك حريقا ناشبا في الأدوار الوسطى للمباني المجاورة للمبنيين – لا العليا - قبل أن يسقط عليها أي مبنى، فما هو سبب هذه الحرائق في المباني المجاورة، وفي الأدوار الوسطى، كما ذكر ذلك عدد من رجال المطافئ على التلفاز، إلا أن هذه اللقاءات لم تنشر مرة ثانية!

- لم يكن هناك في موقع الاصطدام بمبنى الدفاع – البنتاجون - الذي زعمت وكالات الأنباء الأمريكية العميلة أن طائرة من طراز ٥٧٥ قد صدمته، لم يكن هناك أي أثر لأي طائرة من اي نوع، ولا أجزاء من طائرة ولا جناح طائرة ولا محرك طائرة! فأين ذهبت الطائرة التي صدمته؟

- لم تسجل الكاميرات التي تعد بالمئات وتحيط بالبنتاجون اي صورة لأي طائرة تقترب أو تصدم المبنى، فكيف حدث هذا؟ والأعجب أن المخابرات الأمريكية قد سحبت جميع الكاميرات التي كانت مركبة على كثير من المحلات التجارية حول البنتاجون والتي كان لابد أن تسجل الطائرة القادمة من اي اتجاه سحبتها ومنعت

ملاك المحلات من الحديث عن هذا الأمر بالكلية!

• أثبتت الصور التي أُخذت للبنتاجون أنه بعد دعوى اصطدام الطائرة كانت أبعاد الفتحة الناشئة عن الاصطدام ١٤ قدماX ١٦ قدم ! بينما أبعاد الطائرة من هذا النوع أكثر من ١٦٠ قدما من الجناح إلى الجناح! فكيف أحدثت هذه الطائرة هذا الثقب الضئيل ثم تلاشت؟!

• أثبتت الصور كذلك أن سقف البنتاجون الذي يعلو هذا الثقب كان لا يزال قائما لم ينهدم حتى وصول رجال المطافئ! فكيف تخترق الطائرة المبنى دون أن تهدم سقفه الذي هو أقصر كثيرا من علو الطائرة؟!

• حين أرادت وكالات أنباء حرة ان تتحدث إلى رجال الإطفاء الذين كانوا بموقع الاصطدام بالبنتاجون والذين أبدوا دهشتهم من هذا الموقف، قيل لهم أنهم طلبوا نقلهم إلى محل آخر في ولاية أخرى وأنه لا يمكن أن يفصح عنها إلا بناء على طلبهم الشخصي، وهو الأمر المستحيل إذ كيف تحصل على إذن موافقة لمقابلة شخصية ممن لا تعرف محل إقامته؟

• أثبتت الصور كذلك أن الحشيش والخضرة المحيطة بموقع الاصطدام لم يمسّ على الإطلاق! فكيف يحدث اصطداما بهذا الحجم دون أن تمس الأرض الخضراء بالكلية؟

(3)

• لم تنشر صورة واحدة للطائرة التي سقطت في ضواحي بنسلفانيا، ولا صورة واحدة! كل ما نشر هو موقع حفرة كبيرة دون أي بقايا لطائرة متحطمة! كما أن الحفرة لا تناسب في أبعادها طائرة ولكنها تبدو دائرية كما هو الحال في سقوط قذيفة كبيرة.

• أجمع خبراء الطيران أن الخبرة في الطيران اللازمة لتنفيذ المناورة والهجوم على المبنيين تحتاج إلى آلاف من ساعات الطيران، بينما ادعت الحكومة الصليبية الأمريكية أنّ المنفذ قد كان طالبا في مدرسة طيران لعدة أيام أو أسابيع!!

• لم يتم العثور على جثة واحدة لمن في الطائرة، بينما ادعت الحكومة الصليبية الأمريكية أنّها وجدت جواز سفر محمد عطا الله سليما لم يمسّ على الأرض!! من بين كل هذا الدمار تنجو هذه الوثيقة وتسقط محفوظة ليجدها رجال المخابرات الأمريكية!! العقل يا ربّ!

• ادعت الحكومة الصليبية الأمريكية أنّ محمد عطا الله كان في ألمانيا قبل الهجوم يعاقر الخمر ويعاشر النساء قبل أن يقدم على الانتحار في سبيل الله!!! العقل يا ربّ!

• لم تظهر في الصورة اي عائلة من عائلات المتهمين سواء المصريين أو السعوديين أو غيرهم لتتحدث عن الابن الشهيد أو الابن العاق او ما شاء لهم الحديث عنه! فهل يعقل أن عائلات هؤلاء لا يكون لهم أي ظهور لا من قريب ولا من بعيد؟! بل إن والد محمد عطا الله قد صرح أن ابنه تحدث اليه بعد الحادث، ولكن لم يعلق أحد على هذا الأمر إطلاقا!

• لم يقدم أي من المحتجزين ظلما في جوانتانامو إلى المحاكمة ولم توجه إليهم تهمة!! مجرد مجموعة من المتدينين احتجزت لتكمل الصورة أن "القاعدة" لديها عملاء وهؤلاء مجموعة منهم، صورة سينمائية رخيصة!

• لم يقدم بن لادن أي تصريح عن مسؤوليته عن الحادث بل كان كل ما قال أن هؤلاء الذين نفذوا العملية شجعان أبطال شهداء، ولكن من هم؟ ثم بعض التصريحات غير الواضحة أو ذات الدلالة القطعية على أنه كان العقل المدبر وراء الأحداث. لم يثبت للآن أي علاقة له بهؤلاء لا من قريب ولا من بعيد..

• زعمت الحكومة الصليبية الأمريكية أنّ القاعدة التي هاجمت الأراضي الأمريكية تقبع في افغانستان، ولكنها أرسلت إلى أفغانستان عشرة آلاف جندي ثم

غزت العراق بأكثر من مائة وستين ألفا! وهو ما تتحدث عنه المعارضة الأمريكية المكبوتة منذ وقوع هذه الأحداث.

• كشف كلّ من بول أونيل وزير المالية الأمريكي السابق، وديك كلارك قائد وحدات مكافحة الإرهاب ومستشار الرئيس الأمريكي أن الحكومة الصليبية الأمريكية قد كانت تعد لغزو العراق منذ ان تولى بوش الأصغر الحكم! فما علاقة هذا التجهيز العسكري والاستراتيجي بأحداث ١١ سبتمبر التي جهزت الشعب الأمريكي نفسيا وجعلته مستعد لتقبل الغزو والتضحية بماله وأبنائه وحريته في سبيله؟!

• مئات من الصور والأحداث التي جعلت العديد من الجهات الأمريكية نفسها، عدا الأكثرية من الجهات الفرنسية والألمانية، تجمع هذه الحقائق وتصنفها لترى أي منطق يجمعها وأي صورة حقيقية وراءها، فإن الإجابة على هذه الأسئلة بشكل صحيح متناسق مع منطق الأحداث يمثل الكشف عن جريمة القرن التي تتخطى بشاعتها نازية هتلر وفاشية موسيليني وشيوعية ستالين.. .

(4)

ذكرنا في الحلقات الثلاث السابقة ما نشرته جهات لا تحصى في أمريكا وأوروبا من تقارير تفيد أن الصور والتقارير التي أذاعتها وكالات الأنباء الحكومية الأمريكية لا تمثل حقيقة ما حدث في هذا اليوم، وأهمها أن الطائرات التي هاجمت البرجين ليست مدنية، وأنه لم يكن الهجوم على البنتاجون بطائرة اصلا حيث لم يوجد أى بقايا لها ولا يتناسب حجم الحرق الذي حدث عُشْر حجم الطائرة، وأن طائرة بنسلفانيا لم يثبت وجودها ولا مرة واحدة في أية صورة، بل مجرد تسجيلات صوتية تدعى طلب النجدة، ومكالمات لبعض أهل "الضحايا" بالمحمول من الطائرة[١]! هذه حقائق مدعومة بالصور والمقابلات وإن أرادت وكالات الأنباء الصليبية أن تخفيها.

---

[١] يمكن مراجعة أكثرية هذه التقارير على موقع www.thepowerhour.com

ثم نأتي لتحليل ما حدث، إذ إنه يجب أن تكون الأحداث مطابقة لأسبابها ونتائجها لكون مقبولة عقلا "لا سمح الله إن كان الأمر كله يخضع للعقل"، ولندع لفترة من الوقت ادعاءات كلا الطرفين، الأمريكيين والقاعدة، إذ لا دلالة حقيقة وراء أي منهما، ونعنى بهذا:

- الإمكانيات المادية اللازمة للقيام بالعمل وتوفرها.
- الدوافع وراء الأحداث، ومن المستفيد من الأحداث، ومن الخاسر فيها؟

أولا: الإمكانيات المادية: مما لا شك فيه أن التقنية التي تمت بها هذه العملية لا يمكن، بل يستحيل، كما قرر الخبراء في الطيران، أن ينفذها مبتدؤون لم يمارسوا الطيران إلا ساعات عديدة في معهد طيران تعليمي، إن صح هذا، بل والنادرة الفكاهية التي زعمتها وكالات الأنباء العميلة أن السي آي ايه وجدت قرب موقع الأحداث كتيبا لتعليم الطيران! أي أن قادة هذه العملية التي تحتاج إلى ساعات طيران فعلية أكثر من الفي ساعة ليمكن التحكم في الطائرة بهذه الدقة كانوا لا يزالون يتعلمون من كتيب!! مهزلة تستهين بعقول الأمريكيين قبل غيرهم!

كما أن الدقة التي انحرفت بها الطائرات لتصيب المبنيين في الصميم بطريقة واحدة وشكل موحد تنبئ عن توجيه راداري من الأرض وهو ما افترضته العديد من التقارير التي عمّي عليها من قبل السلطات الأمريكية.

كذلك فإن الضربة التي وجهت للبنتاجون كانت ضربة بصاروخ ولا شك كما أثبتت الصور، وهو ما لا يمكن للقاعدة ولا غيرها أن يوفره، بل هي إمكانيات لا توفرها إلا مخابرات عالمية متواطئة مع حكومات عميلة.

ثانيا: الدوافع وراء هذا العمل، من الخاسر ومن المستفيد: وهذا، فيما نحسب هو أهم العوامل التي تحسم قضية "من المسؤول عن أحداث ١١ سبتمبر"؟ ولننظر الآن في المستفيد في الطرفين اللذين نتعلق بهما الأحداث، أي المسلمون، والصليبيون الصهاينة

الذين يتسترون تحت اسم "المحافظون الجدد" في حلبة السياسة الأمريكية الحديثة.

١. **المسلمون:** فلننظر إلى حال المسلمين والبلاد الإسلامية بعد هذه الأحداث: احتلت أفغانستان والعراق فعليا بالقوة العسكرية، واحتلت قطر والبحرين ومن قبلهما الكويت بالقواعد العسكرية التي تمثل ثلث حجم هذه البلاد! كما احتلت دول الخليج اقتصاديا وبتروليا بالكامل. ثم إن النظم القائمة في هذه الدول قد تقزّمت أمام الشيطان الأمريكي أكثر مما كانت من قبل فباتت خاضعة لإرادته دون قيد أو شرط، وبدأت عملية تبديل الدين وتحريفه تحت شعارات الإصلاح التعليمي، وغيرت المناهج لتحذف وتحرّف ثوابت العقيدة الإسلامية، وهوجمت دور التعليم الدينية في مصر وباكستان بشراسة بغية إلغائها بالكلية، وبادرت القيادات الدينية "الرسمية" وشجعت الصليبية الغربية الأقليات المحلية لتهاجم الثوابت في دور الإسلام تحت ادعاء التطرف وعدم المساواة في المعاملة وغير ذلك من الافتراءات. وبدأ تشجيع الانحراف والشذوذ الجنسي علانية تحت شعار الحرية! ودعم الخلاعة والتغاضي عن الرزيلة بل تشجيعها باسم حرية المرأة، ثم الأدهى هو السماح بالهرطقة والكفر البواح كتابة وشفاهة بدعم مالي لمن خلع الربقة من "الليبراليين" المسلمين، فدعمت الصليبية مؤتمراتهم ومراكزهم ومجلاتهم بل ودفعتهم إلى الصدارة في الدوائر السياسية دون رصيد حقيقي، بل وتدخل المندوب السامي الأمريكي "الملقب بالسفير في أيامنا هذه" في إلغاء أحكام قضائية وتبديلها لحماية هؤلاء العملاء والجواسيس تحت شعار حرية القول، والتي يسمح بها للناطقين بالعداء للإسلام، وهي محرمة على المسلمين! هذا عدا ما باتت تتعرض له الأقليات المسلمة خارج أرض الإسلام في أوروبا وأمريكا ومثال واحد على هذا ما حدث في فرنسا من نزع حجاب المسلمات.

وقائمة الخسائر التي أصيب بها عالمنا الإسلامي لا تكاد تنتهي. وقد يدعى البعض أنه كانت هناك بعض الإيجابيات، كصحوة الجماهير وفهمهم لحقيقة الأمريكية المحافظة الصليبية الجديدة، والدفعة التي تولدت في جانب الجهاد الإسلامي ضد المعتدى، والقول هنا أنه لا توجد في الدنيا مفاسد لا تأتي ببعض المصالح، كما أنه لا توجد مصالح تخلو من مفاسد كما يعلم علماء أصول الفقه، فإن الله سبحانه قد خلق الدنيا

على اختلاطهما، وإنما النظر في ايهما غالبن المصلحة، أم المفسدة، وهو ما لا يخطئه التقدير في مسألتنا هذه. أحداث ١١ سبتمبر لم تكن باي مقياس في صالح المسلمين.

(5)

يظهر بالتحليل البسيط، كما بيّنا في الحلقة السابقة أنّ المسلمين ليسوا على وجه القطع بالمستفيدين من أحداث ١١ سبتمبر، بعدما ظهرت نتائجه في التغلغل الصهيوني الصليبي في أراضيهم ماديا ومعنويا، إلا ما كان من قليل المصلحة التي لا تخلو منها مفسدة على الأرض.

٢. **أمريكا الصليبية وإسرائيل الصهيونية:** فالناظر إلى الواقع الأمريكي قبيل إدارته الجديدة يجد أن الأمريكيين قد كانوا على طريق الخسارة اقتصاديا وسياسيا، فإنه كما سبق وبيّنا في مقال سابق قد توجهت العديد من الدول إلى النظر في استخدام اليورو بدلا من الدولار، وهو ما بدأته العراق بالفعل، وظهرت بوادره في الصين وكوريا وغيرهما، ثم حالة الركود والفساد الاقتصادي والسياسي الذي عانت منه أمريكا والذي جعل اختيار رئيس جديد بدلا من الديموقراطي خيار رابح عام ٢٠٠٠. ثم أن الكيان الصهيوني كان في طريقه لتنفيذ مخطط جديد يتسارع به إلى تأمين حدوده، والقضاء على المقاومة وتوسيع دائرة نفوذه في الشرق إلى حدود الفرات، وهو تماما ما أظهرته الأحداث بعيد سبتمبر بدءاً باغتيال عرفات – الشريك القديم لأمريكا – إلى شراء الأراضي وإقامة المكاتب في أرض الرافدين.

والدوافع المباشرة التي يمكن تتبعها لدى الإدارة الأمريكية تتلخص في الآتي (مرتبة حسب أهميتها بالنسبة للإدارة):

دوافع شخصية: وهي الأكبر في هذا السيناريو، وتتمثل في النهم المادي للرئيس الجديد

بوش الأصغر في تنمية ثروة عائلته من خلال مكاسب البترول [١] وذلك بالسيطرة على منابعه الأكبر في العالم، خاصة وأنه وعائلته، ونائبه تشيني من أكبر مستثمري البترول في أمريكا. فإن الخاسر الأول من هذه الزيادة الهائلة في أسعار البترول والتي وصلت إلى ١٠٠٪ في الشهور السابقة، هم الشعوب المستهلكة وعلى رأسها الشعب الأمريكي الذي لا يعبأ به رئيسه على الإطلاق، بينما المستفيد الأول هو من يملكون أسهما في صناعة البترول وعلى رأسهم محور بوش/تشيني المغتصب. ذلك غير ما كان من تأمين العقود اليت تصل إلى البلايين من الدولارات في العراق وفي أمريكا إلى مجموعة الشركات التي يسيطر عليها محور بوش/تشيني مثل هاليبرتون لضمان عملات خيالية.

وقد كان المحللون من ذوي الاطلاع المحدود، الذين لا ينظرون إلى الصورة في كليتها، يتوقعون أن الأمر ببساطة هو إرادة الإدارة الأمريكية أن تحمي منابع البترول في الشرق الأوسط حتى يمكن ضمان تدفقه إلى بلادهم دون انقطاع، وبالتالي كان من المتوقع أن تنخفض أسعاره نظرا لهذا الضمان والسيطرة، ولكن، ويا للعجب، زادت أسعار البترول في العالم كله، على المستهلك، بنسبة الضعف! وهو ما يهدم هذا النظر القاصر في الدوافع من وراء هذا الاحتلال الذي أعقب أحداث سبتمبر والذي اتخذها ذريعة للعدوان، رغم أن "الإرهاب" وراء احداث سبتمبر ١١ كان من المفترض أن مركزه في أفغانستان لا العراق!!.، فيا للإجرام والتعدي! هي إذن الأرباح الخيالية من وراء رفع أسعار البترول لا حرب الإرهاب ولا يحزنون!

دوافع دينية: وقد استخدم بوش/تشيني الأمريكيين المتطرفين من الأنجليكان، الذين يؤمنون أن المسلمين هم الشيطان عدو المسيح، وأن تمكين دولة إسرائيل في الشرق هو تحقيق لنبوءة إلههم يسوع! ومن ثم يدفعون بكافه قواهم الاقتصادية والسياسية خلف الإدارة الجديدة التي اتخذت منهم محركا لحملتهم الانتخابية.

---

[١] يمكن الرجوع إلى تفصيلات هذا الأمر في العديد من الكتب الذي نشرت في أمريكا وعلى راسها الفيلم التسجيلي رائعة مايكل مورز "Fahrenheit /١١"، وكذلك كتابه "Stupid White Men"والذي لخصناه من قبل على صفحات مجلة المنار الجديد.

دوافع سياسية: وعلى رأسها تكريس القوى السياسية خلف محور بوش/تشيني لضمان تحقيق الهدفين الأول والثاني. كذلك يأتي هنا موضوع ضمان أمن إسرائيل وتوسعها على حساب "الشيطان الإسلامي!" الذي يجب الخلاص منه.

(6)

الملابسات، الإمكانيات، الدوافع، النتائج، كلها تومئ، كما رأينا، إلى أمر واحد لا ثاني له، أن المسؤول عن أحداث ١١ سبتمبر لا يمكن بالعقل أن يكون تنظيم القاعدة، التنظيم الذي أصبغت عليه وسائل الإعلام المغرضة إمكانيات وقدرات خارقة حتى يمكن للعدو الصليبي أن يفعل ما يفعل تحت تأثير عامل الخوف الذي يثيره اسم القاعدة في الغرب، وهو ما لا يقلل من إخلاص القائمين عليه ولا المنتمين له فيما يهدفون اليه، لكن أن يكون هذا التنظيم مسؤول عن هذه الأحداث التي لم تثبت حقيقتها على أرض الواقع من ناحية ولا يمكن أن يقوم بمثلها إلا من له إمكانيات دول كبرى من ناحية أخرى، هو أمر آخر غير معقول ولا مقبول عقلا. وفرق بين ما يفرضه الواقع ويمليه العقل وبين ما تنتجه دوافع العاطفة وخلجات الأماني.

أحقاً أن طائرات مدنية قد ضربت البرجين في نيويورك؟ لا يظهر ذلك من الصور والتقارير العديدة التي عميت عليها وسائل الإعلام المغرضة كما أسلفنا [١] . وهل ضربت

من المسؤول إذن عن هذه الأحداث التي جرّت الاحتلال الأمريكي إلى منطقة

[١] والتي يمكن الرجوع إلى أكثرها في موقع www.powerhour.com كما أسلفنا في المقال الرابع، والتي هي جزء من فيلم وثائقي رائع، وكما ظهر في عدد من الكتب الفرنسية التي تناولت نفس الموضوع، وعدد من المواقع الأمريكية الحرة.

الخليج بأكملها، إما عسكريا كما في العراق، أو واقعيا في الدول المحيطة بالعراق؟ الأحداث التي تسبب عنها مقتل مئات الآلاف من المسلمين نساءً وأطفالا وشيوخاً ورجالا، وجعلت المنطقة كلها مسرحا للخراب الاقتصادي والاجتماعي؟ الأحداث التي جعلت تعريف المسلم يقترن بالإجرام والقتل وما يسمونه الإرهاب، وجعلت المسلمين يتحركون في انحاء الأرض دسارهم الخوف وحاديهم الرعب في كل بلد يقطنون وعلى كل حدود يعبرون، مطاردين لا لشيء إلا لأنهم ينتمون إلى هذا الدين العظيم ويدينون لربّ العالمين، ويطيعون رسوله الأمين؟

من المستفيد الأول من هذه الأحداث؟ من القادر على أن يخطط لعملية بهذا الحجم وبهذه الدقة لتفتح باب الاحتلال والسيطرة على البترول على مصراعيه، وتجعل العداء للإسلام والمسلمين "موضة" هذا العصر، وتمكن الصهاينة من الدخول إلى ارض الرافدين وعاصمة الخلافة دون قيد أو شرط، وتجعل حكام العرب لا همّ لأحدهم إلا الحفاظ على كرسيه أن يسلب وعلى نفسه أن يسجن ويضرب ويهان كما أهينت كرامة صدّام، الذي أصابه الله بما يصيب به الطغاة القتلة من أعداء دينه مهما طال الأمد؟

والإجابة على هذا السؤال مخيفة! هل وصلت الدرجة بهؤلاء الذين ارتكبوا هذا العمل أن يصطنعوا هذا الإجرام للوصول إلى أهدافهم الخسيسة؟ لا شك أنهم عرفوا تأثير الإعلام وأنه يمكن من خلاله أن "يفَبْرَك" أي حدث ثم يُسْنَد إلى جهة تصلح أن تُتخذ عدواً للغرب تحت دعاوى مهترئة ككراهية النصارى او التطرف أو ما شابه ذلك مما تخالفه حقائق التاريخ وأحداثه. والمتابع لإعلام الغرب يعرف مدى إمكانية هذا التزوير وسهولته بما لديهم من إمكانيات تقنية ووسائل مخادعة إعلامية [١] يصاحبها إجرام وانعدام ضمير لا رادع له.

---

[١] وعلى سبيل المثال، فقد أنتجت هوليوود عام ١٩٩٧ فيلما بعنوان Wag the Dog جسّدت فيه إمكانية مثل هذه الحكومات من تزوير حرب كاملة لا وجود لها لتصرف الرأي العام عن فضائح الرئيس الأمريكي.

على العرب أن يفيقوا من هذا الوهم الإعلامي الذي هو مكر الليل والنهار، والذي أحاط بهم من كل الأقطار، ليقنعهم بأن هناك سبب لهذا الغزو وهذا العداء وهذا الاحتلال وهذه التصفية المتعمدة لكل ما هو إسلامي أصولي، وتمكين كل ما هو "علماني" أو ما يسمى بالإسلام المتأمرك الذي بات على الإسلام أخطر من الصهيونية الظاهرة أو الصليبية الواضحة، إذ إن القائمين عليه هم **"من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا"** كما في حديث رسول الله ﷺ.

ثم يبقى السؤال الذي نتركه لفطنة القارئ وذكائه: من المسؤول عن أحداث ١١ سبتمبر؟





"البترو - دولار"

والاستعمارية الأمريكية

لعل الكثير من الناس، حتى المهتمين منهم بالسياسة، لا يعلم أنه في سبتمبر ٢٠٠٠، قرر صدام حسين تحويل العملة المتداولة في بيع بترول العراق – في برنامج الأمم المتحدة "البترول مقابل الغذاء" – إلى البترو-يورو الأوروبي بدلا من البترو-دولار الأمريكي. وقد كتب وليام كلارك [١] في عام ٢٠٠٢ معلقا على هذا التصرف من العراق "أن صدام حسين قد رسم قدره بيديه" [٢]. وقد كان القرار الأول للمستعمر الأمريكي بعد سقوط بغداد هو إعادة فتح أبواب تصدير النفط العراقي والعودة إلى البترو-دولار كعملة لتداوله! برغم الخسائر التي ستعاني منها الميزانية العراقية بهذا السبب وانعكاس ذلك على إعادة تعمير العراق، كما بيّن ويليم كلارك في مقاله الفذ "حرب البترو-دولار: الدولار واليورو وأزمة البترول الإيراني القادمة"[٣]

وقد بينت المعلومات التي تسربت من البيت "الأبيض!" ومكتب ديك تشيني أن الإدارة الصليبية الجديدة قد دخلت معترك السياسة بغرض خلع صدام حسين والقضاء على تلك الظاهرة التي كانت قد بدأت تأخذ طريقها إلى بترول العرب، كذلك، من استبدال اليورو بالدولار الأمريكي كعملة لبيع البترول، وهو ما يهدم الاقتصاد الأمريكي كقوة مسيطرة على الأسواق العالمية، ومن ثم كان غزو العراق خطوة رئيسية لوقف هذا الاتجاه وكرسالة تحذير لمن تسوّل له نفسه من الدول البترولية أن يقدم على مثل هذا العمل.

ويعجب كلارك من أن مثل هذه المعلومات لم تتحدث عنها وكالات الأنباء الرئيسية الأمريكية الخمسة – التي تسيطر عليها الحكومة – ولو بكلمة واحدة! والأخطر من

---

[١] وليام كلارك، متخصص في أبحاث الاقتصاد البترولي وعملاته، وفائز بعدة جوائز في هذا المجال، وقد أخرج مؤخرا كتابه "البترول والعراق ومستقبل الدولار".

[٢] لاحظ تتابع الأحداث بعدها من سبتمبر ١١ الملفقة إلى غزو العراق.

[٣] "Petrodollar Warfare: Dollars, Euros and the Upcoming Iranian Oil Bourse", William Clark

ذلك أن إيران قد قررت أن تتحول إلى تداول بترولها بعملة بترولية خاصة بها تتخذ من البترو-يورو أساسا لتقييمها، اعتبارا من مارس ٢٠٠٦.

ويقرر كلارك أن مسلسل المفاعلات النووية الإيرانية التي تصعّده الولايات المتحدة حالياً، هو طبق الأصل كذبة أسلحة الدمار الشامل الذي استعملته الإدارة الأمريكية الصليبية لغزو العراق، ويبين أن السيناريو الأكثر احتمالا هو أن ترتب المخابرات الأمريكية حدثا "إرهابيا" على غرار سبتمبر ١١، ولكنه في حجم أحداث لندن الأخيرة، تضرب فيه هدفا معنويا، يتبعه بعض التفجيرات الصغيرة، ويكون هذا ذريعة لضرب إيران بأسلحة نووية تكتيكية محدودة كفيلة بالقضاء على كل مقاومة لها على أي مستوى، كما أشارت اليه العديد من المقالات الأخيرة التي تناولت استعدادات البنتاجون لهذا الهجوم، وما تسرب مما لا يحصى من المعلومات من العاملين بالبنتاجون، وهو الأمر الذي أشار اليه عدد من الساسة الأمريكيون في الآونة الأخيرة لتهيأ الرأي العام الأمريكي - الذي سيكون تحت تأثير عامل الخوف من الضربات الأخيرة - والعالمي، لمثل هذا العمل [١].

وقد صرح بوش في خطاب له: "إن غزو إيران واستعمال القوة معها هو أمر لا مبرر له وإن كانت كل الاحتمالات مطروحة على المائدة!" وهو كلام يضرب بعضه بعضا كما هي عادة بوش في خلطه المتعمد أو خطله الطبيعي.

ولا شك أن مثل هذه الخطوة ستزعزع العلاقة الأمريكية-الصينية و الأمريكية-الروسية إلى أقصى حدّ، خاصة بعد أن ألغت أمريكا صفقات البترول التي كانت موقعة بين العراق وروسيا والصين، وهو ما لن تسمح بتكراره الدولتان مما يعرض صفقات بينها وبين إيران تقدر بحوالي ١,١ تريليون دولار (تريليون = ألف بليون).

إن غالب العقلاء من الأوروبيين والأمريكيين، وغالب أهل السياسة الأحرار الذين

---

[١] ولم لا والولايات المتحدة زعيمة الديموقراطية في العالم "الحرّ" هي الوحيدة التي استعملت السلاح النووي من قبل لقل مئات الآلاف دفعة واحدة!

لا يرتبطون بالحكومة الفاشية الصليبية الحالية في أمريكا وصحافتها العميلة، يعلمون تمام العلم أن أحداث "الإرهاب" بداية بسبتمبر ١١، وغيرها من الأحداث ما هي إلا غطاء لهذا الدافع الاستعماري الذي افتعل هذه الأحداث لتبرير غزو بلاد المسلمين، بلاد البترول، وهو ما سنثبته في مقالات قادمة إن شاء الله تعالى، والله من ورائهم محيط.



ظاهرة انعدام الحياء

في السياسة الأمريكية

جاء في الأنباء التي أوردتها الجزيرة نت أنّه قد " أوضحت الوزيرة الأميركية أن سياسات طهران تهدف لإقامة شرق أوسط يختلف بمقدار ١٨٠ درجة عما تريده واشنطن للمنطقة. واتهمت مجددا الحكومة الإيرانية بدعم الفصائل المناهضة لإسرائيل والتدخل في الشأن العراقي"! وعجبا أي عجب مما باتت تطالعنا به كلّ يوم وسائل الإعلام مما يصيب المرء بالغثيان من هذا التطاول الممقوت والعجرفة الرخيصة التي تمارسها الولايات المتحدة في غياب العقل والقوة والمروءة العربية.

ونحن، رغم ما بيننا وبين شيعة إيران من اختلاف بيّن في مصادر الشرع وموارده أصولا وفروعاً، عملاً واعتقاداً، إلا إننا نعجب من تلك الازدواجية الباردة في المقاييس، إذ كيف تكون طهران أخطر على الشرق الأوسط من إسرائيل التي تمتلأ ترسانتها بالأسلحة النووية دون أن يجرأ أحد في تلك الألعوبة المسماة الأمم المتحدة أن يثير ذلك الأمر أو أن يشير اليه.

ثم تقول المسماة كونداليزا رايس أن إيران تريد شرقا أوسطا يختلف ١٨٠ درجة عما تريده أمريكا للمنطقة! وعجبا! أأصبح الشرق الأوسط ألعوبة في يد الغرباء، كلّ يريد أن يشكّله بما يراه يخدم مصالحه وايديولوجيته، سواء في ذلك إيران الفرس أو أمريكا الروم؟ لا شك أن لإيران هدف تسعى إلى تحقيقه في الشرق الأوسط، وهو أن تهيأ المناخ لإقامة دولة شيعية كبرى تعيد أمجاد البويهيين وتمتد من إيران عبر العراق لتضم، عقائديا، سوريا التي يحكمها العلويون وأجزاء من لبنان التي يديرها حزب الله الشيعي لحساب إيران. ولكن هذا التصور لا يتوافق مع التصور الأمريكي اليهودي للمنطقة، والذي ينبني على أن تظل الشعوب العربية خاضعة لدكتاتوريات ضعيفة مستسلمة تسمح لها بأن تحتفظ بآلية عسكرية قوية تمنع على أراضيها لتتحكم في تدفق البترول إلى الغرب من ناحية ولتمنع أي تقدم عربي إسلامي يهدد الكيان الصهيوني الغاصب من ناحية أخرى. والوجود الإيراني على مساحة العراق وسوريا ولبنان لا يخدم هذا التصور.

ولا ينقضي العجب حتى نرى أن يكون من الأسباب التي تهاجم أمريكا الدولة

الإيرانية بسببها اتهامها بدعم الفصائل المناهضة لإسرائيل والتدخل في شؤون العراق!!! والله إن الحياء قد انعدم من قاموس الغرب الصليبي! فمن الذي عيّن أمريكا وصياً على مصالح إسرائيل؟ لقد عشنا دهرا من الزمن في الستينيات والسبعينيات حين كان الساسة الأمريكيون لا يزالون يستخفون بسياستهم العنصرية ولا يظهرون الممالأة لإسرائيل جهارا كما حال الصليبية الصهيونية الأمريكية الحاضرة. ثم الأعجب الأطم أن تتهم أمريكا إيران بأنها تتدخل في شؤون العراق!! الله أكبر! هذا الغزو البربري وهذا الاحتلال الصليبي وهذه الحملة العدوانية التي قتل فيها الأبرياء وانتهبت فيها الأموال واغتصبت فيها النساء ليست تدخلا في شؤون العراق! فالعراق، كما يحسبها الرئيس الصليبي بوش، هي قطعة من ولاياته المتحدة، لا يصح لإيران أو غير إيران أن يتدخل في شأنها!

سيظل هذا الهراء المتعجرف يملي إرادته على بلادنا ويخطط لشرقنا طالما ظلت إرادتنا رهن بمن باع بلاده بثمن بخس، كراسي ومناصب وأموال ملوثة بدماء الأبرياء.



متى كان السبّ تعبيراً

عن حرية الرأي!؟

متي يفهم الغرب أنّ هناك مليار ونصف من البشر لا يحتملون أن يستمعوا إلى سبِّ رسولهم ﷺ دون أن تتحرك قلوبهم بالغضب العنيف من ناحية، وبالكراهة والبغض للسابّ من ناحية أخرى.

المسلمون لا يكرهون الشعوب عامة، فرنسيين كانوا أو أمريكيين أو غير ذلك. إنما نحن نتحدّث هنا عن شخصية معينة فردية، قامت بعملٍ يعتبره تلكم المليار ونصف من بني آدم، إهانة اشد على أكثرهم من قتل أنفسهم.

إن التخفي وراء شعار حرية إبداء الرأي، هو خدعة تشعل النار في الهشيم، وتسكب الزيت على النار، ولا تحلّ معضلة ولا تفك أزمة.

نحن، كمسلمين، نرى حرية الرأي من أهم مقومات الإنسانية، ومن أهم ما منحه الله سبحانه لبني آدم من حرية، حتى إنه سبحانه، ترك من كفر به، جهاراً نهاراً، يحيا حياة طويلة، ويتمتع متعاً كثيرة، وهو يتجرأ على الله بنسبة الولد والوالد أو الشريك والنظير، إليه! بل إن الله سبحانه وجّه المسلمين إلى عدم سبِّ من يقدّس الكافر من آلهة سواء المسيح أو غيره ممن عُبد من دونِ الله، درأ لمفسدة تبادل الأحقاد، والتجريء على الله سبحانه "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ" الأنعام ١٠٨.

إن حرية التعبير في الإسلام مكفولة، حتى لغير المسلمين الذي عاشوا قروناً تحت ظلّ الخلافة الإسلامية، كيهود ونصارى وغيرهم. فتركهم المسلمون يتبنون ما هو معاد ومخالف لمعتقداتهم، ويعبدون أصنامهم في كنائسهم ومعابدهم، حين كانت جاهليةً القرون الوسطى وتخلّف شعوب أوروبا، وحروبهم التي يشنّها الروم على الألمان وغيرهم، والقتل والتعذيب والدمار عند الأسبان في محاكم التفتيش هو الأصل. وما غاب مثال قطع رأس سير توماس مور لمجرد صمته عن إبداء رأي موافق لملك الإنجليز هنري الثامن، لا سبّ ربّ الكنيسة، أو قدّيسيها، عن أذهان العقلاء إلى يومنا هذا.

لكن ... أن يُقال أنّ سبّ الرمز الأعلى لدين الإسلام، ولمليار ونصف من البشر، هو من ضمن "حرية الرأي"، لهو افتراء على المبدأ وعلى الرموز الإسلاميّة التي يعلم الجمع أنّ المسلم مُطالبٌ بافتدائها بماله ودمه وعرضه.

لقد بدأ هذا الخبيث ماكرون حديثا حملة شرسة على الإسلام والمسلمين، دون سبب ظاهرٍ يوجب ذلك فأجج مشاعر المسلمين في بلادهم، وجالياتهم في بلاد غير المسلمين.

لا يُقال: إن شبّ أحد رسولكم، سبّوا رسوله، فالمسلمون مأمورون باحترام المسيح عليه السلام، وعدم سبّ رموز أصحاب الديانات الأخرى كما أسلفنا. لكن في المقابل، يجب على أصحاب الديانات الأخرى احترام رموزنا، وعلى رأسهم، نبيّنا ﷺ، مهما ادعوا من أسباب "حرية الرأي" الموهومة.

متى يتعلم الغرب، وخاصة حكوماته وحكامه، هذه الدرس! أم إنهم يريدون كسب شعبية بين منتخبيهم بإثارة أمور غاية في الحساسية مثل ذلك الأمر. فإنه لولا تجرء هذا الميكروب كاميرون على الإسلام، لما تجرء ذاك الفرنسي القتيل على إذاعة الرسوم المسيئة لنبي المسلمين ﷺ.

المسلمون يحترمون الرموز الدِينية لغير المسلمين، لا من باب عدم الإيمان بحرية الرأي، فإن قائل هذا جاهلٌ بالتاريخ والأديان معا. لكن من باب إن هذا السبّ لا يقع تحت باب حرية الرأي، كما يسبّ أحد أبناء جيرانك أباكِ، ثم يقول "هذه حرية رأي"! ما شعورك وقتها يا مدعي حرية الرأي! وشتّان بين سبَ أبٍ وسبّ رسول الرحمة والإسلام صلى الله عليه سلم.

إن مفتاح توقف مثل هذا العمل في يد الحكومات والإعلام الغربيّ، الذين لا يجب أن يؤججا الكراهية والحقد والغضب، باسم "حرية الرأي". بل يجب عليهما أن ينشرا مبادئ الاحترام والتوقير لمن يعلموا جيداً مكانته عند جالياتهم، وعند أنفسهم على أرضهم.

إن إدانات أهل الأرض كلها لعمل قتل المدرس الفرنسي الذي تطاول على رسول الله ﷺ، لن تحلّ مشكلة سوف تتكرر حتما، كما رأينا من قبل في شارلِ أبيدو، لعدم ذهاب سببها. بل العمل على نشر مفهوم الاحترام ومعرفة الحدود التي يُمارس داخلها مبدأ "حرية الرأي" مما هو ليس من هذا المبدأ في شيء، إلا التحقير والإهانة للغير هو ما يكفل عدم تكرار هذا التصرف.

المسؤولية تقع على حكومة فرنسا وإعلامها في تحقيق هذا التعديل الجوهريّ على سياساتها.

د طارق عبد الحليم

٢٠ أكتوبر ٢٠٢٠ - ٣ ربيع أول ١٤٤٢



ماذا تعني الانتخابات الأمريكية للمسلمين!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

تشغل الانتخابات الأمريكية انتباه بلايين البشر حول العالم، ينتظرون نتائجها، كما لم ينتظروا نتائج أي انتخابات أمريكية من قبل. وهذا يُذكرني بما رأيناه في انتخابات هاربر/ترودو عام ٢٠١، على مستوٍ محليّ أصغر كثيراً بالنسبة للكنديين.

وسبب ذلك الانتباه والأهمية الشديدة لهذه الانتخابات هو أساساً محل الولايات المتحدة على خريطة القوى العالمية، حيث هي الأقوى، حتى اليوم، اقتصاديا وعسكرياً، ومن ثمّ، المسيطرة سياسياً. فما يحدث على مستوى قيادتها، يعطي التكتيكية الأمريكية السياسية، وبالتالي الاقتصادية، اتجاهها الجديد. وقد تعمدت استخدام لفظ "التكتيكية" من حيث إن الأيديولوجية الأمريكية لا تتغير، في غالب مفرداتها، بتغير شخصية الرئيس. فإن لأمتهم ثوابت لا يخرجوا عنها، أملتها عوامل تاريخية وملّية واقتصادية، لا يمكن تغييرها إلا بأحداث أكبر كثيراً من حجم الحرب الأهلية الأمريكية في القرن التاسع عشر.

والسبب الثاني هو شخصية الرئيس الحاليّ، دونالد ترمب، وهو شخصية مثيرة للانتباه حقاً. فقد قدّم ترمب نموذجا فريداً للرئاسة الأمريكية في السنوات الأربع الماضية، لم يسبق أن رأته تلك الإدارة من قبل. فالرجل رجل أعمال أولاً وآخراً، يعمل بعقلية "المالك" لمؤسساته، لا السياسيّ "المدير" لمؤسساته. فهو يتعامل مع تلك المؤسسات، وقياداتها، كموظفين في ممتلكاته الخاصة! كذلك يتعامل بنفس المنطق، منطق "السوبرمان" مع بقية قادة العالم، حيث أهان أغلب القادة، مثل المستشارة الألمانية ورئيس استراليا وغيرهما، كما دعم، في المقابل، الدكتاتوريات الحاكمة حول العالم، مثل مصر والجزيرة العربية والخليج وروسيا، حتى إيران وكوريا الشمالية لم تُحرما من دعمه بشكلٍ أو بآخر. العقلية خلف تلك التصرفات واحدة.

ثم إن الرجل، بطبيعة عقليته، وتربيته وبيئته، من أنصار تفوق الرجل الأبيض، وهو ما لا يخفيه، إلا بكلمات تعارضها الأفعال. وهو ضد كافة الأقليات، مثل المسلمين والسود واللاتينيين، عدا أقلية اليهود بالطبع، مثله مثل منافسه في هذا الاستثناء!

والرجل، من هذا المنطلق، لا يهتم بحال المواطن الأمريكيّ، بل بكمّ المال الذي يعتقد أن سياساته ستجلبه لأمريكا، سواء سيخدم به الاقتصاد العام ويعين على تحسين الخدمات كالصحة والتعليم، أو يخدم مجموعات رجال الأعمال في وول ستريت، وهو الأهم لديه في غالب الأحوال.

ثم موقف هذا الرجل من كورونا أصبحت الولايات المتحدة الأكثر إصابة في العالم بهذا المرض، مع الفشل في خفض هذا التدهور مع ازدراء الأطباء والعلماء المخالفين له، تماما كموقفه من موضوع تحسين البيئة.

وقائمة شذوذ تصرفات هذا الرئيس طوية جدا، أطول منها قائمة الكذب الذي ينطق به في كل مناسبة.

لكن ما يهمنا هنا هو موقفنا، نحن المسلمين من هذا الأمر كله.

أضعها باختصار: نحن نهتم اهتماما شديداً بالسياسة الأمريكية، من حيث هم يدمّرون الإسلام، ويعادون أهله كأيديولوجية أمريكية عامة، لكننا لا نلقي اهتماما، ولا يهمنا، في غالب الأمر، من سيكون ساكن البيت الأبيض التالي.

المسلمون مأمورون بتجنب الانتخابات التي تجري في أنظمة علمانية، بشكلٍ يقيني قاطع، سواء في أنظمة عربية أو غربية، إذ الأنظمة العربية العلمانية، هي أنظمةٌ كفرية مثلها مثل الأنظمة الغربية. إنما الفرق في ملل الشعوب، لا نظم الحكم. فيجب التفريق بينهما عند الفقيه العارف، أو العامي الجاهل. لكن هذه الحقيقة الشرعية قد غطت عليها منظومة الجهل بالشرع التي صاحبت صعود موجة تقبّل الديموقراطية الغربية وتبنيها في الجماعات التي تدّعي الإسلامية، مثل الإخوان والجماعة الإسلامية المنكوسة، ثم مؤخراً جماعات، كانت "مقاتلة" يوما" مثل هيئة الجولاني بالشام.

لكنّ هذا لا يعني، كما قلنا، تجاهل أثر السياسة الأمريكية على أوضاعنا الإسلامية. المشكلة هنا، أنه أيّا كان اسم الرئيس الأمريكي، فإنه سيساند الصهاينة أولاً،

وسيضغط على "الإسلاميين" خاصة أهل الحقّ منهم. ولا أعجب لو خفف بايدن عن الإخوان، إذ الرجل أعقل من الثور الترامبيّ، يعرف أنّ الإخوان لا يمثلون خطراً حقيقياً على المصالح الأمريكية، بل هم، على لسان كافة مسؤوليهم، قبل نكبتهم أو بعدها، موالين للسياسة الأمريكية على طول الطريق، بل يعتبرونهم حماتهم، قبل عهد ترمب.

بايدن قد يكون أقل وطأة على العالم الإسلاميّ، من حيث سيحاول الحدّ من وحشية الأنظمة العربية العلمانية الديكتاتورية المجرمة، كما تمليه الفكرة الديموقراطية، وهي الاستغلال الناعم وخفيض الصوت والمحترم(!)، وإن كان سيحافظ على توازن القوى لصالح الصهيونية بلا شك، ودعم الحكومات المدنية العلمانية، بدلا عن العسكرية. وقد يظهر للعين القاصرة أن هذا أفضل من الوضع الحاليّ، لكن الحقيقة أنّ الحكومات العلمانية المدنية الديموقراطية، لها قدرة أعلى كثيراً على إخفاء حقيقة الكفر عن أعين المسلمين، خاصة لو قدّمت بعض الحرية والكسب الاقتصادي القليل، فلقمة العيش هي القائد للإنسان اليوم، قبل الملّة والدين. ولا يخفى أن ذلك أكثر خطورة من الكفر الصراح، الذي لا يمارِ فيه أحد.

بالنسبة لنا نحن المسلمون، هذه الانتخابات كنتيجة الفيفا، لا نتائج عظيمة تترتب عليها. لن يدع بادين الشعوب المسلمة تحكم نفسها بنفسها، وتحكّم الشريعة. وهذا هو الأهم في حياة المسلم العامّة، سواء كان يعيش في بلاد عربية أو غربية.

د طارق عبد الحليم

٦ أكتوبر ٢٠٢٠ – ٢٠ ربيع أول ١٤٤٢



ما يحدث في انتخابات أمريكا!

اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم ..

الحمد لله الذي جعل العدل ميزانا يقوم عليه نظام الكون كلّه، وجعل العدل ميزانا للحكم في حياة البشر "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل"، وبدونه تهتز النظم، وتضطرب الحياة، لكن السنن ثابتة حقاً، لا يعنيها ظلم البشر، بل تدمّر من يخرج عليها، عاجلاً أو آجلاً، حسب تقدير الله سبحانه، وحسب قسوة الظالم، واستسلام المظلوم.

ما يحدث اليوم في أمريكا مثال لمن كان له قلب أو سمع أو بصر!

أمريكا، معلمة البشر للديموقراطية (!) تعيش أسوأ أيامها، منقسمة على نفسها. ٤٧٪ من سكانها ضد ٥٣٪ منهم، يرفضون نتائج "الديموقراطية، ويقصدون إلى إقامة نظامٍ ديكتاتوري واضح. لا يسلم ترمب السلطة للمنتخب الديموقراطي، ويستمرّ فيه رئيساً تسانده الإدارات التي يرأسها الجمهوريون. يأتي يوم يناير ٢٠ ٢٠٢١، فيقسم هو اليمين للاستمرار، حيث يعلن إنه فاز في الانتخابات، ويسانده الجيش الذي غيّر قيادته أول أمس ليضمن ولاء القائد الجديد! وتبدأ المرحلة الديكتاتورية في أمريكا! وتنهار منظومتهم الديموقراطية، التي يتغنون بها، ويغزون بلاد المسلمين لنشرها!

هذا ما توقعته في ٢٠١٦، ونشرته في تغريده بتويتر، نشرتها جريدة الإندبندنت The Independent، حيث توقعتُ أن يكون انهيار النظام الأمريكي الحاليّ على يد ترمب، وأنّ حكم ترمب في صالح المسلمين، في الأجل البعيد.

نحن لا يعنينا، كمسلمين مؤمنين بحاكمية الله سبحانه، أيّ من المرشحين يفوز، فكلاهما صهيونيّ عتيد، بالقول والفعل، وإن قال البعض أن بايدن قد يكون أفضل قليلاً في قتله المسلمين بيد حنونة، بينما يقول البعض الآخر: بل هو أخطر لخفاء مكره، حيث أنّ ترمب يقتل، وهو يحمل سلاح الجريمة أمام الكاميرات!

لكن المهمّ، هو مفهوم الديموقراطية، التي سقط قناعها، وهو ما كنا نحاول إظهاره

لعقود طويلة، أنّ ذاك النظام ليس هو النظام الأفضل، لا شرقاً ولا غرباً، إذ يقوم على توجيه البشر، الذين يتناطحون بينهم، بلابد، عاجلاً أو آجلاً، على السلطة وحق الحاكمية، ويدمرون أنفسهم ومن حولهم.

وهذا بالضبط هو ما نراه اليوم في أمريكا .. راعية الديموقراطية!

أيريد دعاة الديموقراطية، في عالنا الإسلامي التعيس، دليلاً على هشاشة ذاك النظام أكثر وضوحا مما يرونه في محضن الديموقراطية المزعومة، التي، إلى جانب زيفها الأيديولوجي الواضح، تقتل معارضيها في الخارج بالدرونات، الذين لا يريدون إلا أن يُحترم اختيارهم لقادتهم ونظم حكمهم، باسم أمنها القوميّ! يا لها من ديموقراطية!

أفيقوا يا دعاة الديموقراطية، واعملوا على دعوة المسلمين للعودة للإسلام، لحاكمية الله سبحانه، ولا تترددوا في طرد من يدعو لغير ذلك من جمعكم، وإعلان كفره وزندقته. فإن الإسلام هو التوحيد، والتوحيد هو إعلان حاكمية الله في حياة المسلمين، لا غير ذلك ولو قيد أنملة.

د طارق عبد الحليم

١١ نوفمبر ٢٠٢٠ – ٢٤ ربيع أول ١٤٤٢




سلسلة الواقع الإسلاميّ

في نهاية ٢٠٢٠ .. دون رتوش!




(1)

الحركات الإسلامية المعاصرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،،،

يمكن القول، بكل أمانة وصدق، أن الحركة الإسلامية التي بدأت منذ حوالي ثمانين عاماً من الزمن، وتشعبت وتنوعت، فكريا وأيديولوجيا وحركيا، في بلاد العالم الإسلامي كلّه، قد توقفت عن الحركة، أسوة بكلّ ما هومن شأن التقدم الإنساني والحضاري المسلم، عربيّ وأعجمي.

ولا أظن أن هذا الخبر فيه صدمة لأي مسلمٍ مهتم بشؤون الإسلام، بل هو من باب تأكيد الخبر، لا أكثر.

فالجماعة المعروفة بالإخوان المسلمين، قد سجنت، بل وسُحلت جلّ صفوفها الأربعة الأولى، في كلّ بلاد العرب، رغم ما أبدوه، ولا يزالون، من استعداد، عقديّ وحركيّ من التعاون مع الغاصب المستعمر، في كلّ مجال. فالغاصب المستعمر لا يريد أقل من مستوى السيسي وأبناء سلمان وزايد، الذين لا يعرفون ديناً أصلا لينحرفوا عنه هنا وهناك.

وحركة السلفيين التي بدأها، في ظني الشيخ الألباني، كحركة أكاديمية حديثية، تحولت على يد المدخليّ الموالي لأعداء الله ورسوله، وبرهامي الكافر بالله العظيم، وشلّة المشايخ المصنوعة من عجوة النفاق، كمحمد حسان ومحمد يسري ومخيون وهذه الطبقة العميلة، وعلى رأسهم المتلوّن في دين الله الددو الشنقيطي.

وحركة التحرير لا تزال قابعة في احلامها بالخلافة، دون الأخذ بأسبابها إلا من فعل واحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عرض الفكرة على زعماء الدول، كما عرضها صلى الله عليه وسلم على زعماء القبائل! وغالب أبنائها في السجون، وإن لم

يكن لهم شأن كبير في تقدم الحركة بشكلٍ عام في العقود الأخيرة منذ أيام النبهاني في الخمسينيات من القرن الماضي.

ثم حركة الجماعة الإسلامية التي كتب الله عليها الانتكاس التام والردة الأصلية، فصاروا في خيار الديموقراطية والسياسة التوافقية، فحازوا قصب السبق فيها أكثر من الإخوان، وكانوا من أهلها بجدارة.

وحركة السروريين، التي لا تكاد تجد لها محوراً أصلاً، إلا معرفتنا الأكيدة الوثيقة الدقيقة التامة بوجودها كجماعة لها بيعة، فأظنها ماتت كحركة بموت مؤسسها محمد سرور بن نايف، ولا تجد من ينتسب لها علنا، عقديا ولا حركيا، من حيث غبش أيديولوجيتها العقدية وخرابها الحركي.

ثم إنّ حركات أهل السنة والجماعة، التي تعددت، لا لسبب إلا لتفادي تفتيتها، وشدة ملاحقة السلطات لها. فإن كانت السلطات الكافرة تهدم الجماعات التي تمدّ لها يد التعاون والتفاهم، وقبولها أن تكون اليد السفلى على الدوام، فكيف تراهم مع من لا يقبل نظمهم جميعا، وطرقهم جميعا، السياسية والبرلمانية والتوافقية التعايشية الائتلافية، التي تتمحور حول "نعبد إلهكم يوما وتعبد اللات والعزى يوما" فنزلت سورة الكافرون ردّاً عليهم. فحركة إحياء الأمة، ومجموعة الشيخ رفاعي سرور رحمه الله، والتيار السني الذي لم يتح له إلا عامين من الزمن، ثم اجتاحه السيسي وجحافل ٣٠ يونيو المريضة عقدياً.

ولم يبق إلا حركات الجهاد، كالقاعدة في أفغانستان وبقية فروعها، وطالبان التي هي معنية بالشأن الأفغاني أساساً. وكلاهما يعاني من مشكلاته أشد المعاناة، وإن بقي طافياً على السطح، لإخلاص قادته وأبنائه، وتوفيق الله لهم بهذا الإخلاص.

ثم الجماعات الجهادية المتناثرة في إدلب الشام، ولا أقول الشام، خاصة ما تُسمى الهيئة، وهذه قد صارت إلى الخيانة العظمى لله ورسوله على نهج الجماعة الإسلامية حذو القذة بالقذة.

أما على المستوى الفردي، فتجد من ينتسب لأحد من تلك الحركات، فكرياً وأيديولوجياً، وإن لم ينتم لها حركياً. وهؤلاء الأفراد هم من يوقعون في مخيلة العامة أن تلك الحركات لا توال تقوم لها قائمة، بين تصريح هنا، ودرس هناك، مثل تمثيل الددو للسلفيين، الذين يكادون يعبدونه من دون من دون الله، أو الصغار مثل الكّتانيّ المغربيّ المُشبع بالصوفية من ناحية والمشتت عقدياً من نواح أخرى، أو الشيخ الفلسطيني الذي لم يعد أحد يعرف انتماءه الحقيقي، وأظنه قاصدا عامداً لهذا، أو أمثال الشيخ السباعي والشيخ المقدسي، اللذين يمثلان أهل السنة، ويعلم الله ما هم فيه من ضيق عيش لا يُطاق، أعلمه يقينا ولا يعلمه الكثير، لا كالددو ملك السلفية الزائفة، أو مختار الشنقيطي المزيف، وأماالهما من المصطنعين.

وهذا هو الفرق بين أتباع أهل السنة وبين غيرهم، لمن يتساءل، ذلك السؤال الساذج الغريب: لماذا لا تفعلون أنتم شيئاً بدلا من لوم الإخوان وغيرهم!!؟ أقول لمحدودي الذكاء والإدراك، إن كان هذا حال من يوافق، فكيف بحال من يخالف، عقديا وحركياً؟ نحن مطاردون محاصرون، من جهة، والشرع يضع لنا مقاييس معينة لا نتجاهلها كما فعل الإخوان وغيرهم، لأنها حرام أولاً، ولأننا نعرف أن الحرام فيه المفسدة الحقيقية على الدوام، لا كما قلبوا الآية، فقالوا هي مصلحة ... وكيف يكون حراماً فيه مصلحة يا أولى الألباب! ومرة أخرى، بين أيديكم النتائج.

فإن قيل: إذن دعهم يعملون! قلنا: وهل قيّدنا أيديهم .. وصلوا إلى سدة الحكم بالفعل ثم خسروها بانحرافهم الحركيّ، لا بيع القضية كما يقول بعض المعاتيه، بل بالغباء وغبش الرؤية العقدية الذي أخرج للمسلمين "سلميتنا أقوى من الرصاص" وهم أصحاب يد عليا، وأعداد كبيرة. لكنّ لما كان المنهج منحرفاً لم يعدوا لذاك اليوم عدته، بل قالوا: إخواننا، مسلمون نتعاون معهم. إلا ما أغبى هذا الفكر والنظر ... ولا أدعي هذا من عند نفسي، بل هو ما رأينا نتائجه على الأرض لا يكرها أحد إلا أعمى بصر وبصيرة ... وكم كنت أتحدث لبشر من البشر فأقول: هؤلاء يسيرون في طريق الهلاك، عقب اتفاق كامب سليمان (مع عمر سليمان، الذي تولى كبره العريان والكّتاني)، فيكون الردّ: لا، هؤلاء محنكون، لهم خطط لا نعرفها ...!

فواحسرتاه على الملك الضائع بسبب غباء قيادته وقلة خبرتهم والتواء عقائدهم.

تلك هي معالم الوجود الإسلامي الحركي اليوم، إن وضعنا جانبا كفار مشايخ السلطان كالجندي وسعد الهلالي والمغامسي والسديس وأمثال هؤلاء الساقطين.

أمّا ماذا نفعل إذن .. فقد بينت هذا في مقالات سابقة عديدة، فليرجع لها من شاء .. وستصدر مجتمعة قريبا إن شاء الله تعالى في المجلد السابع من مجموعة الأعمال الكاملة تحت عنوان "الحركة الإسلامية والتاريخ".

والله تعالى وليّ التوفيق

د طارق عبد الحليم

٢٨ نوفمبر ٢٠٢٠ – ١٣ ربيع ثان ١٤٤٢

(2)

وجوه النفاق في الساحة الإسلامية .. بلا رتوش .

النفاق خصلة قديمة في جنس البشر، تنشأ من الضعف وخسة النفسة. والمنافقون هم أسوأ الناس حالاً، بل هم أحطّ من الكفار الأصليين، الذين يجاهرون بكفرهم، فيعرفهم الناس فيحذروهم. قال تعالى "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" النساء ١٤٥.

والمنافق متلوّن في عقيدته، تعرف لونها من تصرفه الآنيّ. فهو اليوم مع الطاغوت الحاكم في مصر أو جزيرة العرب، ثم هو غدا مع طاغوت آخر معادٍ لهم في الأردن أو غيرها. تجده يوماً يظهر على شاشات الإمارات ومصر، ثم إذا هو في قطر وتركيا. لا يجد في هذا بأساً، بل كله مبرر عنده بالمصالح.

وكثرة هؤلاء المنافقين هم من أصحاب الكلام واللسان الطليق، كما إنهم يحفظون الكثير من المصطلحات والمفردات المستعملة في العلوم الإسلامية، تكون لهم، عند العوام، بمثابة برهان على العلم والنظر.

وهؤلاء المنافقون، هم سحرة الفراعنة المحدثين، غير أنهم لا يجتمعون في "يوم الزينة" كسحرة فرعون، إنما هم متواجدون على الدوام على شاشات التلفاز، يبثون فكراً يتلاءم مع معتقدهم ورؤيتهم الآنية، المبررة بالمصالح. ولا يعدمون أدلة وأحاديث تدعم منطقهم الأعوج، من حيث يحرّفون الكلم عن مواضعه، كتاباً أو سنة.

وهؤلاء الذين أتحدث عنهم، ليسوا من علماء السلاطين الرسميين. فهؤلاء طائفة أخرى، أهون قدراً ممن أقصد في حديثي. إذ علماء السلطان، يصرحون بأنهم عبيد للسلطان، الطاغوت، الذي يطلقون عليه "ولي الأمر" مثل خالد الجندي أو سعد الدين الهلالي. أمّا هؤلاء فهم "منافقون "قطاع خاص" يعملون لحساب أنفسهم. يتنقلون من مذهب لآخر ومن قول لآخر، ومن أحضان عدو للإسلام لأحضان

عدوٍ آخر. يقولون اليوم حقاً، ثم يزيفونه في الغد. وينصرون قوماً ثم يقدحون فيهم غداً.

ومن هذه الطبقة مختار الشنقيطي (ليس شنقيطياً إلا بمحل الميلاد لا بنسب العائلة فهو مدلّس)، ربيب الجزيرة، يتحدث باسم العلمانية المقنعة، ويهاجم الإسلام وشرائعه كأنه يريد التنوير والتجديد، ويعلم أصحاب العلم حقيقته، التي تراها ظاهرة على كلاحة وجهه من غضب الله عليه! أو مثل جمال سلكان، مثيله في كلاحة الوجه، سبحان الله، فتراه ارتمى في أحضان بني سلول أعواماً، ثم عاد لأحضان مبارك ثم السيسي، ثم خرج على السيسي، ظاهراً ليتمكن من المال القطري والإقامة التركية. أمثال هؤلاء، أمرهم مكشوف وزيفهم معروف، عملهم تالف وكلامهم متخالف.

ثم هناك طبقة ثالثة، هي طبقة منافقي "التدليس". وهؤلاء كذلك من أشدّ الناس خطورة على دين الله وعلى معتقدات الناس، فكم من بني آدم أضلوا بأقوالهم، فأظهروا العلم في مواضع، ثم سحبوا غطاء الشريعة من حياة الناس وتوجهاتهم. ومن أمثال هؤلاء الددو الشنقيطي الموريتاني، الذي أظهر خسة ووضاعة لا يكاد المرء يستوعبها في نقاشه مع مساجين أتت بهم الحكومة الساقطة الطاغوتية ليقنعهم بعدم الإرهاب! رجل بالغ، على علمٍ لم ينفعه، أمام شباب حاشر مكبّل بالقيود، قدره في العلم محدود. فلو تصدى لعالم يقارعه لقلنا النصر لصاحب الدليل، إنما طفح هذا الوعاء الددو بالخبث الذي فيه، استهزاءً بهؤلاء الصغار المعتقلين. الرجل عميل السلطة، لكنه عميلٌ على مستوى عالٍ من العلم، يعرف كيف يدلس بما علم، ثم مظاهرته للديموقراطيات الكفرية ودفاعه عنها بالباطل، تدليساً وتلبيساً، وغير ذلك مما كتبنا عنه بشأن هذا المنافق التدليسيّ، وكتب عنه غيرنا كثير. لكن البلاء، كلّ البلاء في اتباع العامة له، انبهاراً بسرده بعض نصوص يحفظها، ويعلم الله إنه ما زاد بها في دنيا الناس عن جهاز آخر من أجهزة التسجيل، يجده في الأسواق بخمسين دولاراً!

وآخر من طبقته، أحمد الريسونيّ المغربي، عالم الأصول المقدّم (!) وخليفة القرضاوي على عرش اتحاد عملاء (قصدت علماء!) المسلمين، التي عُرفت على مدى حياتها باضطراب الفكر واختلاطه، ولا يخفى مدى انحرافهم من خراب فتاواهم الإرجائية وتبنيهم للديموقراطية ودعوتهم لتقريب المذاهب وخاصة الرافضية، وخضوعهم لكلّ حاكم طاغوت، إلا بما يدلّسون به في بعض الأحيان، أو المواقف، ليتم لهم موقف التدليس التام على العوام. والريسونيّ اليوم هو من يقود هذا القطيع غير المتجانس، الرافضي منهم والصوفي والديموقراطي ... وكأن هذا القطيع المختلط، وتبعيته الذليلة، سيؤدي، بشكله هذا، إلى أي تغيير حقيقي على الأرض.

تلك هي أوجه النفاق التي نعاني منها اليوم، وللقارئ أن يضيف مئات من الأسماء في كلّ طبقة، فالساحة الإسلامية زاهرة بمثل هؤلاء، وكيف لا، وحكامها السيسي وابن سلمان وابن زايد والحسن أمير المؤمنين(!) وعبد الله الهاشمي (!) وهلم جرا.

اللهم أحسن خاتمتنا واجعل بيننا وبين أمثال هؤلاء سداً منيعاً، فإن نهاية أمثالهم غير مأمونة العواقب.

د طارق عبد الحليم

٢٩ نوفمبر ٢٠٢٠ - ١٤ ربيع ثان ١٤٤٢

(3)

أحوال المسلمين في الغرب وكارثة الإسلام التقدميّ

تحدثت في المقالين السابقين عن الساحة الإسلامية في شرقنا العربي، ثم عن وجوه النفاق المنثورة على صفحات واقعنا المعاصر.

بقي أن أتحدث، باختصار، عن حال المسلمين في الغرب الصليبي، الذي لا يختلف عن حالهم الساقط في الشرق المسلم، وإن كانت وسائل السقوط وأشكاله غير تلك التي نراها في الشرق، لاختلاف طبيعة المجتمعات وأوضاع الأقليات، وبئس ما هو من حالٍ!

تنقسم الجاليات المهاجرة من بلاد المسلمين إلى أقسام ثلاثة، حسب تعاملها مع الحضارة التي وفدوا عليها.

القسم الأول هم أولئك الذين وفدوا للغرب، من بيئة علمانية التربية والمنشأ، منبهرين بواقعه (الذي يعتبرونه حضارة)، مع ضعف أو انعدام فهم للإسلام أصلاً. فهؤلاء اندمجوا كليةً في المجتمع الغربيّ، وتبنوا رؤيته ومبادئه وطرق عيشه، فشربوا الخمر واستحلوا الزنا (boy/girl friend) وأعرضوا عن كلّ ما هو إسلاميّ، فأعرض الله سبحانه عنهم، وصاروا في عداد المرتدين، إن عددناهم من المسلمين أصلاً.

والقسم الثاني، وهم المهاجرون الذين أتوا يحملون إما ديناً خفيفاً، يكفي لإقامة صلاة أو إيتاء زكاة أو صوم رمضان، وقد، في بعض الأحيان يضع حجابا على رأس المرأة. ومنهم من أتوا يحملون اصلاً عريقاً ونسباً متيناً، يجعلهم أقرب للتدين من الفسوق أو الكفر. وهذا القسم الأخير، تجد منه الكثير ممن يتحول، بدافع الغريزة الدافعة لحب البقاء والحفاظ على الهوية، إلى الدين، يتفاوت غالباً حسب الحال.

ومن حول هذا القسم الأخير تتكون ما يُعرف "بالمؤسسات الإسلامية"، التي لا

يمكن تصنيفها على أنها حركات إسلامية أو جماعات إسلامية. وهي السمة الرئيسية في العمل المهتم بالإسلام في الغرب. وتلك المؤسسات إما أن تكون من التجمعات الضخمة القديمة في الغرب، مثل الإسنا ISAN، أو هي مساجد صغيرة متناثرة في بقاعٍ الغرب، تقوم بدور دينيّ أهمه إقامة الصلوات، والأعياد، ومنها ما يتطور قليلاً إلى ما فوق مستوى المسجد إلى ما يسمى "المركز الإسلامي" ويقوم بعدة أنشطة اجتماعية كعقد القران وتعليم القرآن. ومنها ما يفتح مدارس إسلامية صغيرة محدودة، لها أوجها من المنافع، كما أن فيها ما فيها من المثالب، سواء في مستوى التعليم أو انحراف التوّجه داخل المؤسسات والمراكز، وهو الغالب الأعم الأوفى، من حيث إن قياداتها غالبا فيها جهل متأصّل بالشريعة، لبعدهم عن مصدر التلقي في بلاد الشرق، ولذلك تراهم يعتبرون من تخرج من جامعة المدينة على درجة بكالوريوس "عالماً" و "شيخا" و "فقيهاً"، يفزع إليه الناس في ملماتهم! كما أن أمثر تلك القيادات اليوم، هي من أبناء الجيل الثاني من المهاجرين، وكثير منهم لا يعرف العربية أصلاً، كما إنهم تأثروا بالبيئة والثقافة، فحملوا بذور خبث فكريّ عقديّ، وآراء منحرفة في كثير من المسائل، سياسية أو اجتماعية، خلاف شدة الجهل بالشريعة.

وبطبيعة الحال، ولغلبة البيئة الرأسمالية والفكر المادي في الغرب، تجد أن الكثير من تلك المؤسسات، والمراكز والمساجد كذلك، له ظاهر إسلاميّ، لكنه في نهاية الأمر، عمل ماديّ تجاريّ يخدم فئة معينة، من منشئيها، ومن حولهم.

أمّا القسم الثالث، فهم خريجو طبقة القسم الأول، ولهم بعض نسبٍ في القسم الثاني كذلك. وهؤلاء هم من تلبّسوا بالثقافة الغربية ومعانيها ومبادئها، كحرية الاختلاط، وحقوق المرأة (التي تُخالف ما فرضه الله لها)، وتقارب الأديان، بل تساويها وتوحيدها، وحرية الفرد في قراره، حتى في انتمائه الجنسيّ! وهؤلاء هم "الحداثيون" أو المسلمون التقدميون، مثل جمعية "يقين" وعلى رأسها عمر سليمان الكافر بالله، أو كلية الزيتونة التي يقوم عليها حمزة يوسف الصوفي العتيد، القائل بوحدة الوجود، الذي لا يفرق بين مسلم ونصراني أو يهودي إلا بالتقوى!!! أو جمعية CAIR, ومركز المغرب. ثم من هؤلاء من شرّع ديناً جديداً وحركات كفرية مبنية على التحرر مثل جمعية

المسلمين الشواذ مثل جمعية "سلام" Salaam الكندية، أو حركة المسلمين التجديدين Muslim Reform Union بأمريكا، التي ترعى المسلمين من شواذ الجنسين، ومنهم من لهم مساجدهم، وفيها يصلّون رجالاً ونساءً بإمامة النساء، ولا عَتَبْ!!

والمصيبة هنا في الغرب، أن القسم الثاني الذي أشرنا إليه، لا يعي مصادر الخطر ولا مناحي التيه الذي يعيشون فيه. فتراهم من عشّاق الديموقراطية الغربية والتحرر، وأفضلهم طريقة يحضّون على الانتماء للأحزاب والتصويت والممارسة السياسية في ظل النظم العلمانية، ويدعون ممثلي النصارى من القيادات السياسية لإلقاء الخطب في مساجدهم، وهم يدّعون التوحيد والسنيّة! وهي طريقة الإخوان، في كلّ أرض ومكان. والخوف من الناس ووسوسة الشياطين لا حدّ لقاعها.

والله غالب على أمره

د طارق عبد الحليم

١ ديسمبر ٢٠٢٠ – ١٦ ربيع ثان ١٤٤٢



مستقبل السياسة الأمريكية ..

والعمل الإسلامي

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه من والاه

لا أدعى الاهتمام بما يحدث في الولايات المتحدة الآن، وهو كثير وكبير وخطير لمن لا يتابع من خارج أمريكا خاصة، إلا من زاوية تأثيرها على عالمنا "الإسلاميّ" وعلى حكوماتنا الكافرة، خاصة التي دارت في فلكه واستقرت بدعمه.

من الهام أن ننظر بعين الاعتبار والتحليل، لتلك الأحداث التي لا أظن أن السياسة الأمريكية قد مرّت بها من قبل، حتى حين رئاسة جورج بوش الصغير، الذي كان أضحوكة العالم، وقومه قبل كلّ أحد، رغم ما تسبب فيه من دمار للمسلمين، عليه وعلى أمثاله لعنه الله والملائكة والناس أجمعين.

دونالد ترمب، رجلٌ فاقدٌ للخلق والمبادئ الأساسية للإنسان، كافراً كان أو مؤمناً، يحيا على الفسق والعار المشين، لا يهتم إلا بماله وثروته، وشهواته الدنية، وعنصريته الخسيسة، ولو فقد شعبه كلّ ما يملك، وطرح الطريقة التي ابتدعوها وأسموها الديموقراطية، والتي تناسب مبدأهم العلماني الذي لا دخل لدين فيه، إلا بإثارة الروح الصليبية ضد المسلمين خاصة.

لا أشكّ أن ترمب قد أصاب الحياة السياسة الأمريكية، ولا أتحدث عن سمعتها "الديموقراطية" التي مُرِّغت في التراب، أصابها بدمارٍ يصعب تخيل أبعاده في السنوات القادمة، على بلادهم وعلى العالم كلّه.

الرجل قد أسس لنظرية انهيار الديموقراطية في أمريكا، وسيادة طرق التزييف والعمالة التي تتبعها دول العالم الثالث كما ذكر بلسانه! ونحن لا نخالف في أنّ هؤلاء القوم يستعملون أخس الطرق في التعامل مع أعدائهم في العالم الثالث، لتحقيق المكاسب المادية والسيطرة العسكرية والاقتصادية، وهو ما حققته تلك الدولة الإرهابية منذ الحرب العالمية الثانية. بل ونرحب بما حققته، نيابة عنا في إيضاح مناحي الضعف في هذه النظرية التي لا تصلح في عالم الرجل الأبيض، اللهم إلا إن ادعى أحدٌ إنها تصلح بين قومهم، دون غيرهم. وما فعله ترمب أثبت إنها لا تصلح

حتى بين أبناء الجنس الأبيض أنفسهم، وفي عالمهم.

والأهم هنا، بالنسبة لنا، هو، كما توقعت ماري ترمب ابنة أخ ترمب، أنه لن يتوانى في العمل على هدم الإدارة الجديدة ووضع كافة العراقيل أمامها، وإشاعة الروح العنصرية بين أنصاره البيض وبين الأقليات من ناحية، وبين أتباع حزبه من الجمهوريين، وغالبهم من البيض، وأتباع الديموقراطيين. وهو ما سيجعل الفترة القادمة فترة اهتزاز عنيف في ساحة السياسة الأمريكية، وما يتيح فرصة أمام من له عقل من "الإسلاميين" أن يستعملها في صالح الوصول لدرجة من التحرر من سطوة حكامهم أولا، ثم الغرب ثانيا.

ونحن هنا لا نقارن بين مبادئ الديموقراطيين والجمهوريين، فكلاهما كفرٌ بواحٍ، مضاد لدين الله الذي نؤمن به ونقف وراءه. فالديموقراطيين أخساء منحلين خلقياً، وإن تلبّسوا بنعومة الحيّة. لكن الأمر هو كيف سيكون حال الدنيا، لو انشغلت أمريكا بمصائبها الداخلية، واستمر الروس خاصة، في الناحية العسكرية، والصين في الناحية الاقتصادية، من سحق الوجود الإسلاميّ في آسيا وأفريقيا؟ هذا ما يجب الانتباه له إن كان هناك عقول تسعى لنصرة دين الله حقاً.

أرى أنّ هناك نافذة من الزمن، يمكن أن تتيح للعمل الإسلامي، الذي يطيح بالحكومات العميلة، التي ستكون في أضعف أحوالها في المستقبل القريب على الأقل. وها نحن نرى آل سلول يتراجعون في موضوع قطع علاقاتهم مع قطر، ويتجهون لاستئنافها مرة أخرى. وليس لهذا فائدة حقة، إذ قد ينعكس هذا على العلاقة القطرية التركية، والتي تعتبر، من الناحية السياسة البحتة، حصناً مؤقتا لكثير من الإسلاميين، وإن حصرت تصرفاتهم وحاصرتها، خاصة في قطر. لكن المعنى هنا هو بداية تراجع بعض تلك الحكومات لإحساسها بالضعف في الفترة المقبلة، التي لن يجدوا فيها ترمب يرحّب "بديكتاتوره المفضّل" السيسي!!

قد تكون المبادئ الديموقراطية، وهو الأغلب، أخطر على الإسلام من المبادئ الجمهورية، وكلاهما شرّ، لكن كذلك قد تكون الفترة الديموقراطية القادمة، مع

الزلزال الذي أحدثه ترمب، والطوفان المرتقب، فرصة ذهبية يمكن فيها التقدم خطواتٍ، نحو الأمل!

د طارق عبد الحليم

٣ ديسمبر ٢٠٢٠ - ١٧ ربيع ثان ١٤٤٢





العلاقات التركية –

الإخوانية/الإسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه من والاه

لعبت تركيا دوراً هاماً في المرحلة السياسية السابقة، خاصة منذ حدوث التحول الهائل في التوجّه السلولي بالجزيرة العربية والخليج الإماراتي المؤامراتي، والذي صاحب ارتفاع شأن الملحد السيسي في مصر. وتمثّل هذا الدور في احتضان اللاجئين المسلمين أو "الإسلاميين" إن اعتبرنا قيادات ما يسمى "الجماعة الإسلامية" أو قيادات "إخوانية" من "الإسلاميين" السنة. وقد بدأ صعود هذا الدور بعد أن أخرجت قطر غالب تلك القيادات من أراضيها، لمحاولة رأب الصدع من المملكة السلولية، والتي لم تقبل بهم ككبش فداء.

واحتضان الحكومة التركية لتلك القيادات، ليس من قبيل إسلامية الحكومة، وفلا يتصورّ هذا إلا مغفل ذاهل عن حقيقة أن تلك الحكومة علمانية وطنية تركية صِرفة، يعلنونها بألسنتهم في كلّ حين وبكلّ طريق. إنما ذلك الأمر كلّه من قبيل لعبة السياسة البحتة، نكاية في السيسي والسلوليين، الذين أعلنوا عداءهم السافر للإسلام، واتخذوا الإخوان، وهم أقل الناس تمسكاً بثوابته، وقبولاً للحلول الديموقراطية الموهومة، وقرارتا المؤتمرات الدولية المزعومة والمجتمع الدولي العميل.

وهذا التصرف، احتواء المعارضة نكاية واستغلالا لها ضد العدو السياسي ليس جديداً على مسرح السياسة العالمية عامة أو العربية خاصة. وهل نسينا احتضان الأردن للاجئين السوريين من مجازر السفاح أبي السفاح، حافظ الأسد في بداية الثمانينيات، بعد سنوات قليلة من "أيلول الأسود"، الذي شرّد فيه عميل الانجليز الملك حسين، الفلسطينيين بلا رحمة؟! ثم هل نسينا احتضان المملكة السلولية عناصر الإخوان نكاية في عبد الناصر، ملحد مصر، في الخمسينيات والستينيات، خاصة بعد حرب اليمن، بعد أن لعب عبد الناصر بالإخوان، قبل ستين عاماً، نفس لعبة السيسي في٢٠١٣! ثم عادت اليوم لتعلنها حرباً لا هوادة فيها عليهم، وبالطبع على "أهل السنة" من الإسلاميين الحق، والتي لم تتوقف عداوتهم لهم يوما!؟ والأمثلة على ذلك كثيرة، عشناها كباراً راشدين، بيّنة لمن يتابع السياسة العربية/الإسلامية في القرن الماضي.

الحكومة التركية اليوم، كما أشرت في مقالي "السياسة الأمريكية" منذ يومين، ستعيد حساباتها بناءً على التغير المُتوقع في السياسة الأمريكية، والذي لن يكون في صالحها، من حيث أعلن بايدن الليبرالي العتيد، عداءه للأتراك، لهويتهم المسلمة، رغم إنهم ينتمون كلياً لحزب الناتو، ويوالون الغرب ويعتقدون العلمانية، بتصرف يتناسب مع بعض الشعائر الإسلامية. وهو أمرٌ غير مقبول في الفكر الغربيّ الماكرونّي/الأمريكي / الأوروبي الحديث. فليس أقل من التصرف السلولي لابن سلمان وابن زايد، وهو التصهين التام الكامل في كافة جوانب الحياة، ولا أقل.

هذا من جانب الحكومة التركية. أمّا من جانب الإخوان، فهم، كما كانوا، وسيظلوا، منتفعين متسلقين، لا ولاء لهم أصلاً. والجانب الوحيد الذي تعلقوا به منذ انقلاب الخميني الخبيث الكافر بالله، في ١٩٧٩، هو إيران المجوس واتخذوه شعراً ومثالاً لهم ولأبناء جماعتهم، سواء في مصر أو سوريا أو حماس فلسطين. فأن يظل لهم ولاء مرتبط بمصالحهم مع إيران المجوس، حتى وهم على الأراضي التركية، لا عجب فيه ولا غرابة. الإخوان يلعبون على أي وتر يرون فيه مصلحة، بغض النظر عن كونها شرعية أو غير شرعية، فالمصلحة لديهم مقصودة لذاتها، لا تراع فيها الوسائل، كما أصّل لهم منظروهم وعلى رأسهم القرضاوي ثم الأخبث الريسوني. ومن ثم فمن الممكن أن تنقلب عليهم تركيا لهذا السبب، خاصة، والمملكة السلولية ومعها قطر سيضع الخلاف في طورٍ جديد، يقلل من أهمية الدور التركي في قطر، بلا شكّ، بمباركة بايدن. ومن ثمٍ، يقلّ أو ينعدم الدعم القطريّ لهم في تركيا، وهو مصدر رزقهم، وأتحدث عن قادتهم وقادة الجماعة الإسلامية الذين لا ضمير لهم ولا دين، لا الأتباع المساكين المغفلين المشردين، المطحونين هنا وهناك، وتحت أي نظام، وإن استحقوا ما أجرى الله عليهم لضيق أفقهم وثقتهم فيمن لا يثق به إلا خائب!

وإيران تلعب، وستلعب دور حامية الإسلام "الرافضي الكافر" بلا شك، الحوثي في اليمن، الإثني عشري في فارس إيران والعراق، النصيريّ في الشام، والحزب اللاتّي في لبنان. وستدعم إيران حماس بالكلمات لا أكثر، كما هو دأبها، الكذب والتقية، إذ لديها مشاكل لا تُحصى سواءً على المستو الداخلي السياسي، أو الاقتصادي، نتيجة

الحظر الأمريكي العنيف عليها، والذي ترجو أن تصل لتخفيفه مع بداية حكم بايدن، لتنبه لتخريب الشرق الإسلاميّ أكثر وأكثر.

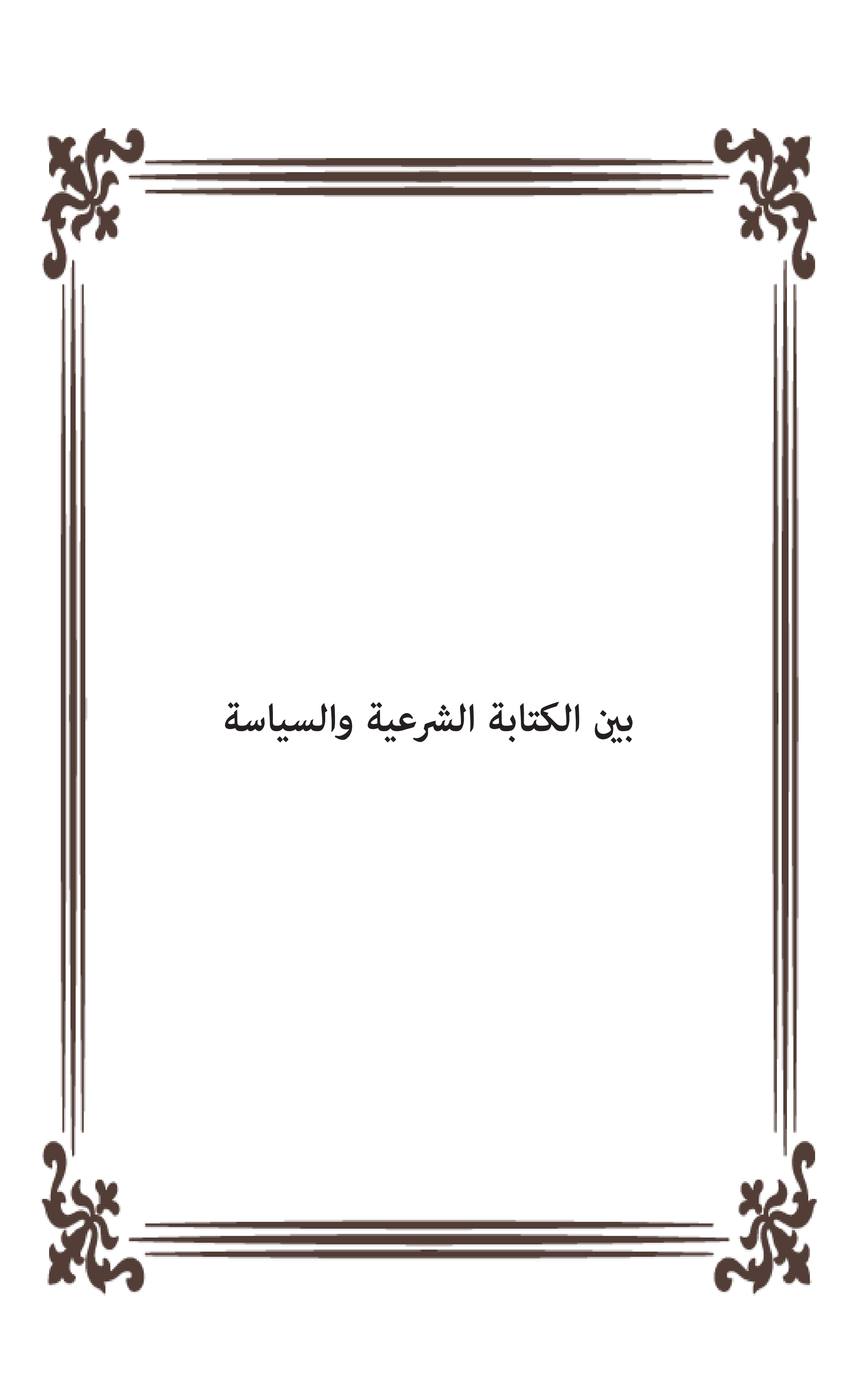
هذه نظرة عامة على أحداث السياسة الحالية، كما تكشّفت عنها الأسابيع القليلة الماضية. وكلها ليست في صالح الإسلام السنيّ، سواءً بفعل إيران المجوس أو الإخوان أو الأتراك أو السلولية الإماراتية المشتركة أو قطر تميم.

هي السياسة .. كذب ونفاق وخداع، لعنها الله .. لكن فهم اتجاهاتها على وجه صحيح لابد منه، لتحديد بوصلة المسلم، ومع انخراطه في أعمالٍ يظنها لله وهي أبعد ما تكون عن الإسلام.

والله غالب على أمره

د طارق عبد الحليم

٤ ديسمبر ٢٠٢٠ – ١٨ ربيع ثان ١٤٤٢



بين الكتابة الشرعية والسياسة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أله وصحبه ومن والاه ..

كنت أراجع مقالات المجلد الثامن من مجموعة الأعمال الكاملة، جعلها الله خالصةً مقبولة لوجهه الأكرم، شدّ انتباهي إلي الكم الكبير من الكتابات "السياسية" التي تعنى بالأوضاع القائمة وتحليلها، والنظر في أسبابها ومالاتها.

وعاد بي الفكر إلى ما دوّنت، خاصة في السنوات العشر الماضية، منذ عام ٢٠١٠، اندلاع حركة ٢٥ يناير في مصر، فوجدت أن ذلك اللون من الكتابة شغل ما يقرب من سبعين بالمائة من كتاباتي، وبقيتها في الأبحاث الشرعية أو الكتب العلمية الإسلامية، مثل "السياسة الشرعية" أو أبحاث الولاء والبراء.

أزعجتني هذه الفكرة فترة، وشغلت بالي وخاطري، وأثارت مخاوفي. سائلت نفسي، أو سائلتني نفسي، هل هذا تقصير مني أو كسلٌ تجاه البحث العلميّ الذي نحن في أشد الحاجة إليه، خاصة ممن التزم بمنهج أهل السنة والجماعة؟ أم هو أثر الواقع وضغطه؟ أم هو فعل الزمن والعمر، الذي يجعل المرء، حين يكون في عقده الثامن من العمر، أحرص على تقديم العمليات من النظريات، من حيث تجمع الخبرة وتراكمها عبر السنين؟

أمّا عن التقصير والكسل، فهما سمة من سمات بني آدم، فلا شك في تقصيري في أداء ما عليّ مما هو ممكن مستطاع، لا يمكنني التفلّت من ذلك بقول أو تبرير، والله المستعان.

لكن ما هدّأ من روعي، هو أنّ الحدّ بين ما هو شرعيّ محض وما هو سياسي أو اقتصاديّ أو اجتماعي، خاصة في صورته العامة لا التخصصية، فرق لا يكاد يتميّز. فالإسلام سياسة، والإسلام اقتصاد والإسلام اجتماع وعمران. وتلك النظم كلها هي جزء لا يتجزأ من توحيد مصدر التلقي، وهو الوحي الإلهي، متاباً وسنة. فالأبحاث الشرعية، مهما كان تخصصها، يجب، أولاً وأخيراً أن تؤدي إلى "عمل" أو تطبيق، يظهر أثره في حياة الناس، والا فهي عبثٌ من العبث. وإلى هذا أشار إمامنا مالك رحمه الله من أنه "لا يحب الكلام فيما ليس تحته عمل" .. هذا الإمام مالك يتحدث!

والأبحاث العلمية، سواء كانت تدويناً أو إلقاءً، يجب أن تخدم وجها من أوجه الحياة، حتى أبحاث اللغة، التي قد يراها البعض بعيدة عن مجالات التطبيق العمليّ، إلا ما كان منها تزيّداً عن المطلوب، وشراء سمعة رخيصة، كما يفعل البعض استسهالاً لجلب اسم ومشيخة، كمن صرف دهراً، ودوّن مجلداً في دراسة "حتى"!!!

الأمر، كذلك، أنّ الاهتمامات الإنسانية تتشكل بهوية أصحابها، وبمرحلة عمرهم، وبعمق دراستهم ونضج وعيهم واستيعابهم. فابن الأربعين يختلف عن ابن الخمسين، وكلاهما غير ابن الستين، الذي يختلف كلية عن ابن السبعين .. وهكذا. وهذا أمر لا يمكن شرحه بكلمات، بل هو متروك للزمن، يشرحه للمرء .. وليس أفضل منه شارحا!

والواقع الذي لا مراء فيه، إنه رغم ما مر بشعوبنا من أحداث جسام خلال الخمسين عاما الماضية، والتي كنت فيها عاملا فاعلا، على قلة الجهد وضعف القدرة، في حراكنا الإسلامي، إلا أن تكاثف الأحداث ووقعها المتسارع خلال العشر سنوات الماضية، قد كان وكأنه مخاض تلك العقود السابقة كلها. فقد كشفت حركات ادعت الإسلامية، وفشلت حركات ادعت السياسة والحنكة، وأعلنت دول كفرها، بعد طول نفاق وتميّع. وصعدت أسماء وسقطت أسماء ... ويكفي في بيان هذا التغيّر العميق الأثر، والذي، فيما أرى، هو نتيجة لمقدمات بدأت منذ قرن من الزمن، نهاية القضية الفلسطينية، التي عمرها من عمري، ونبذها من كافة حكام الدول العربية الذين كفروا بالله العظيم قولا وفعلا .. فإنه مهما كان امرئ من أصحاب الاستشراف قادرا على قراءة الأحداث، فقد يصعب عليه جدا أن يتصور يوما يصبح فيه "الفلسطينيون هم أعداء الأمة، وهم الغادرون بأمة صهيون، وهم المعتدون وهم المتسولون" .. إلى آخر ما يروجه كفار الخليج والجزيرة ... نيابة عن بقية كفار العرب! هذه وحدها نقطة تحول هائلة في التوجه العربيّ، الذي سقط بسقوط قادته في الدرك الأسفل من الكفر والذلة. وهل هناك على وجه الأرض أذل من السيسي، وأخبث وأكفر من ابن زايد وأكثر عتها من ربيب المخدرات وخريج مشافي الأمراض النفسية ابن سلمان؟!

إذن، كان من المحتّم أن يتوجه قلم الكاتب، الذي يعرف الصلة الوثيقة بين الحياة والشريعة، إلى الخوض في تفاصيل ما يحدث، بياناً وتأريخاً وتحليلا، ليبقى على أقل

تقدير، مصدراً من المصادر السنّيّة الرؤية والمنهج، واضحاً مدوّنا ثابتا، لجيل قادم، لعل الله يجعل الخير على يديه قادم.

انظر إلى ذلك الكمّ الهائل من الدراسات الأكاديمية المتراصّة على الرفوف، في الجامعات والمعاهد العلمية. واشهد أن كثيراً منها متميّز، بل رائع. لكن تبقى خافية عن الواقع، ويبقى الواقع خافياً عنها. فلا اتصال بينهما، إلا بتدخلٍ بشريّ يعي كليهما ويفهمهما معا كوحدة واحدة.

ثم انظر إلى قدرة العامي على التحليل والنظر في المسائل، حين تُعرض عليه من الوجهة العلمية، تجده لا يكاد يعي الأوليات المنطقية حتى ١+١=٢! دع عنك ربط الجزئيات بكلياتها واستنباط الحقائق من وسط ركام الأكاذيب التي تروجها وسائل الإعلام السلطانية ليلاً ونهاراً. فتقديم النتائج والخلاصة، التي هي من باب الإفتاء، هو دور الكاتب السياسيّ صاحب المرجعية الشرعية الإسلامية الثابتة الوثيقة.

واذن، فلعل تلك الكتابات لم تكن عبثاً، بل كانت رابطتها بالشريعة أقوى من الأبحاث النظرية، التي تعج بها الجامعات، ولا يكاد يستفيد منها إلا متخصص.

والله ولي التوفيق ومنه القبول والرضوان

د طارق عبد الحليم

٨ ديسمبر ٢٠٢٠ – ٢٣ ربيع ثان ١٤٤٢



الفكر المنهجيّ في مقابل الفكر الهمجيّ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

الفكر "المنهجيّ"، فكرٌ يقوم على قواعد، لا تتوفر إلا فيمن جمع بينها في تناسق وتوحّدٍ، بناءً على القدرة المنطقية الأصلية الفطرية للعقل، وعلى الدراسة المتعمقة لقواعد الأصول، وصلاح الفطرة الذي لا يعني حسن الخلق، كما يحسب البعض، بل هو استشعارٌ للحق المدعوم بأدلة واضحة لأصحاب العقول السليمة، ثم توفيق من الله سبحانه، ونور يسبغه على عقل من يختار، وهذا أكبر تلك العوامل وأهمها، مع عدم استثناء أي منها من المعادلة.

وهذا اللون من الفكر لا يمكن اصطناعه أو التدليس به، فهو إما قائم بعقل المرء أو غير قائم. وساعتها تعرف على الفور من انحرف به الفكر إلى اللون الثاني، وهو الفكر "الهمجيّ".

والفكر "الهَمَجِيّ" يعني الفكر الخالي من قاعدةٍ أو أكثر مما ذكرنا من قبل. فصاحبه إما يحوز فطرةً سوية، سواء طبعاً أو تطبعاً، أو إنه لم يحصل على علمٍ شرعي ودراسة متعمقة تؤهله لتتبع المسالك المنهجية المنطقية الشرعية في الفهم والنظر، أو هو ممن لم يهبه الله العقل الذكي الواعي، لا غير! أو عن الله سبحانه منع عنه نور الفهم وحجب عنه سراج المعرفة أن تصل لعقله الضعيف. أو هم ممن جمع كلّ تلك السلبيات معا كقيادة الجماعة الإسلامية المنكوسة.

ولابد من تقديم المثال، أو الأمثلة إن سمح الوقت والجهد، على ما نقول.

انظر إلى قاعدة "الفرع لا يعود على أصله بالإبطال"، التي هي قاعدة أصولية كبرى، لها تطبيقاتها التي تتفرع في غالب الجزئيات التشريعية، مثل عدم قتل الوالد بولده، أو في الحياة العملية، مثل بتر العضو المصاب لمنع وفاة المريض.

ثم اختبر قول القائلين بأن الجيش المصريّ مؤسسة عظيمة فيها الكثير من الشرفاء، يجب الحفاظ عليها ..!

الجيش المصري مؤسسة متفرعة من أصلها وهو شعب مصر. فإن خدمته صح لها البقاء، وإن ضرته، وجب بترها والتخلص منها.

الجيش المصري اليوم فقد المعنى المقصود بتسمية "جيش"، كما في القواميس العالمية كلها، فقد تحول إلى شركة عملاقة تستخدم عمالة مجانية (المجندون) لإنتاج الخبز والبطاطس المحمرة واللبن وتربية اللحوم، وصناعات محلية للاستهلاك، بحيث تقضي على المصنّعين والشركات المحلية، ثم يحصد عائدها الهائل لصالح رتب الجيش، وعلى رأسها العميل الأكبر والكافر الأعتى عبد الفتاح السيسي.

الجيش المصري يتسلح بمليارات الدولارات لحرب المسلمين في ليبيا، وضرب المسلمين في سوريا، ولقمع المسلمين في مصر، كهدفٍ رئيس.

الجيش المصري هو فرقةٍ نجسة من فرق الجيش الإسرائيليّ، لا كرامة ولا مهابة ولا شأن، عسكريا واستراتيجياً.

الجيش المصري هو حامي حمى الملحد السيسي، الذي يندى الجبين من أفعاله الكفرية التي ظاهرها وباطنها سواء، هدم الإسلام، والقضاء على كيان مصر كدولة، وإبقاءها كمزرعة له ولخلفِه التعيس.

فأي عقل منهجيّ يرى أنّ الإبقاء على ذلك الجيش وطنية وشرفٌ وضرورة، إلا عقل همجيّ مغفل أو مغرض، أرى مثاله في عمرو أديب وإبراهام عيسى وتوفيق عكاشة وشلة المجرمين الكفرة في إعلام السيسي، ومن يستمع لهم من تعساء ذاك الشعب الحزين.

الجيش المصري موالٍ لحاكم كافر، يأتمر بأمره، فيهدم المساجد ويعتقل الخلق، ويقتل الأبرياء، ويحمي النظام العلماني الديكتاتوري الملحد.

الجيش المصري فرع عن شعب مصر، صار كالسرطان أو الغرغرينا التي هاجمت الجسد، فوجب بترها كليةً، دون الإبقاء على فرد مفرد منها .. ثم بناءها من جديد بجندٍ وقيادات مختلفة تماماً، وبأهداف مضادة وعقيدة مغايرة لعقيدة هذا الوباء

المُسمى بالجيش المصري.

هذا مثالٌ من التوجيه المنهجيّ للفكر والمسلك العقلي للوصول إلى رأي شرعيّ مدعومٍ بالأدلة.

فلا يغرّنّك ترّهات من يدعي أن له عقل أو علم، وهم في الظلمات تائهون، يتسمون باسم المسلمين، وفكرهم لا يعدو فكر الهمج القائم على التدليس والكذب والمنفعة .. هم بئس العشير.

د طارق عبد الحليم

١١ ديسمبر ٢٠٢٠ – ٢٦ ربيع ثان ١٤٤٢



دعوها .. فإنها منتنة

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ..

ما أكثر العبر التي يلتمسها الناظر الحصيف العاقل، صاحب الفكر المنهجيّ، في كارثة أمريكا/ترمب، التي جاءت على يد الرجل الذي وضعه نصف الأمريكيين عام ٢٠١٦، ليجعل أمريكا "عظيمة مرة أخرى"! Make America Great!!! فإذا به يسير بها نحو التفكك العضويّ، بعد أن تفكك نسيجها الاجتماعي بشكل غير مسبوق، ومن ثم غير معروف العواقب.

عبرة سقوط الديموقراطية.

انظر يا رعاك الله، إلى ما حدث في تلك الدولة الباغية الطاغية بعد الانتخابات الأخيرة. نجح بايدن في الحصول على ٨١ مليون صوت من أصوات الشعب، بينما حصل ترمب على ٧٥ مليون صوت. نجح بايدن وسقط ترمب. لكن هل نجحت الديموقراطية المزعومة التي يتغنى بذكرها فاشلي وساقطي الحركات الإسلامية الاستسلامية، الاخوان وحزب الغنوشي الملحد، وزنادقة الجماعة الإسلامية، خلاف العلمانيين والليبراليين القحّ؟

لا، سقطت الديموقراطية سقوطاً مدوياً، سواءً تولى بايدن الحكم أم لم يتولاه، فالأمر صار حقيقة، هم أنفسهم يعترفون بها، كما يردد مذيعي السي إن إن CNN وغيرها، من إنه لن تفيق أمتهم مما حدث قريباً، بل هو أثر ودمار طويل المدى على نظامهم السياسيّ الذي بناه "آباؤهم الأولون".

والسبب في ذلك ليس هو ما يفعل ترمب من حركات عصبية، وإن كانت مدبرة تدبيرا دقيقاً أبعد ما يكون عن العشوائية، من رفع مئات القضايا التي خسرها، وآخرها أمام المحكمة الدستورية العليا! بل السبب والعبرة هو في أن ٧٥ مليون ناخب، يمثل ٤٧٪ من مصوّتي ذاك الشعب (والذي أسميهم السيساوية الأمريكان!) أسقط النظام الديموقراطي، ووقف، كما فعل السيساوية في ٣٠ يونيو.

ليس المهم لهم نتيجة الانتخابات. ليس مهما من حاز على الأكثرية التصويتية، بل هم يريدون ترمب (أو السيسي الأمريكي)، حاز على أصوات أقل أم أكثر، نجح ديموقراطيا أم فشل.

هذا الذي يحدث، هو تصويت عام في ذلك البلد المنافق، أظهر أن ٤٧٪ من شعبه لا يريدون ديموقراطية ولا يؤمنون بها. بل هي الديماجوجية واللا-نظام والحسّ بالخضوع والولاء للديكتاتور، وهو الحس المشترك بين كثيرٍ من بني آدم في كل زمان ومكان.

هذه هي الديموقراطية التي يريد الغرب أن يصدرها إلينا، كذبا وخداعاً. ديموقراطية السيسي وترمب. هذه هي الديموقراطية التي يعبدها الإخوان وأمثالهم ممن ذكرنا، من دون الله، دون مبالغة.

فدعوها .. إنها منتنة!

عبرة انهيار الدول الباغية

لم أستغرب دعوة رئيس النواب الجمهوريين في ولاية تكساس، ألان وست، للانفصال عن الفيدرالية، مع بقية التسعة عشر ولاية التي انضم منها بعض الجمهوريين لقضية تكساس، والتي رفضتها المحكمة الدستورية العليا. كما رفض ترمب ومعه عدد من الجمهوريين منهم، ومعه عدد من الجمهوريين منهم مستشار الأمن القومي السابق مايكل فلين، قرار الدستورية العليا! تماماً كأنها دولة الموز والبطاطا! ذلك أنّ تفكك مثل تلك الدول العاتية يأتي، كما قال ويل ديورانت بحق، من داخلها لا من خارجها.

وهذه الدعوة، وهذه المواقف هي أول مسمار في نعش الفيدرالية الأمريكية، حيث أصبح نصف الشعب لا يثق في نصفه الآخر، ولا في حكومته القادمة، بل يرى إنها حكومة غير مشروعة ومضادة للدستور! وهذا الوضع سيضع البلاد في حالة حرب

داخلية، صامتة أولاً، حتى تنفجر، في حالة اشعال ترمب لنارها، لمصلحته الخاصة في تلافي محاكماته المدنية والجنائية التي تنتظر خروجه من البيت الأبيض، بشأن الهروب من الضرائب والاعتداءات الجنسية، والصفقات المريبة مع دول معادية، وتسهيل الأرباح لأفراد عائلته.

الفرصة سانحة هناك لمعركة داخلية، على الأرض كما بدأت الاشتباكات بين المؤيدين والمعارضين في أوليمبيا، أو على أقل تقدير، في ساحات القضاء، لدراسة مشروع الانفصال، وهو ما سيودي بالأسواق العالمية وبسعر الدولار إلى الحضيض. ولا يخفى معنى هذا عند الاقتصاديين، إذ فيه خسارة بالمليارات من قيمة الديون المستحقة للدول الأخرى، مما سيسبب زلزالاً هائلاً في سوق العملات وأسواق البورصة.

لكن العبرة هنا، هي أنّ لكن نجم أفول، ولكل ليل نهار. كما قلت في بيت من أبيات قصيدة

فالليل يتبعه نهارٌ ** ولكل حادثةٍ أفولُ

هذا ناقوس النهاية، يقرع منذراً ببداية زوال دولة باغية ظالمة "ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين"

عبرة العقاب الإلهيّ.

عند أصحاب نظرية المؤامرة الخرقاء، فإن هذا الذي يحدث هو مؤامرة بشكل ما، من العالم السفليّ! كما يقولون عن أيّ حدث يقع على الأرض، تجنياً على السنن الإلهية أن تكون قائمة في الدنيا، سواء الاجتماعية أو الطبيعية، وهو ما نراه مجسداً في أوهام مؤامرة كورونا، التي يعتقدها الكثير من الناس اليوم، لا الغالبية بحمد الله. ولكن نسأل هؤلاء السؤال الذي سأله رسول الله الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم "فمن أعدى الأول"؟ من نشر وباء قوم فرعون أيام موسى عليه السلام؟ بيل جيتس! ومن

تسبب في طاعون عمواس أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟ بيل جيتس! ومن تسبب في الكارثة المستنصرية، وطاعون الحمى الإسبانية، وسارز، وانفلونزا الطيور وجنون البقر، وآلاف غيرها لا نعرفها، الله يعرفها؟ بيل جيتس! ما أطول عمر هذا الرجل وأشد يمينه!! ونحن لا ننكر مكر هؤلاء الكفار ليلا ونهاراً، ولا ننكر تآمرهم الدائم على العالم كله، وعلى المسلمين خاصة، لكن هناك عقل ومنطق، يفقده أصحاب هذه النظرية ليميزوا ما الممكن وما المحتمل وما الواقع، تماما كأصحاب السيسي وترمب، ولكن لهذا موضع آخر.

هذا الموقف الذي تمر به أمريكا/ترمب اليوم، هو ولا شك عقاب إلهي مُحكم، جاء متزامناً مع العقاب الأكبر حجماً، لا لأمريكا فقط، وإن كانت هي المتضرر الأول والأكبر، وإنما للعالم كله صالحه وطالحه، عملاً بسنن الله تعالى "واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة".

ضرب الله تلك البلاد بأزمة سياسية حطمت صنمها المعبود، فصارت لا تؤمن بالمحاكم والقضاء، تماما كمصر، ولا تؤمن بصناديق الاقتراع، تماما كمصر! فلم يعد بنا حاجة إلى استيراد نظامها السياسي، بل نحن من صدّر لهم نظامنا السياسيّ، محمّلاً بوباء الديكتاتورية، فمسح وهم ديموقراطيتهم، وكان وباء على وباء.

عين الله لا تغفل، وسننه لا تتبدل ولا تتخلف، لكنه قصر النظر البشريّ، والضعف عن رؤية تلك السنن، ومحاولة تبريرها بشرياً، وهي علمانية متخفية، تدبّ كدبيب النمل على صخرة صماء في جوف الليل بصحراء شاسعة، لا يُسمع لها ركزاً، وهيهات أن تغير نظر من ضربه الله بهذا الخلل العقلي، وعليك بالمحاولة مع سيساوي أو ترمبلاني!

عبرة الثقة بوعد الله

وهذه هي رأس العبر وأمّ العظات. أنّ الله لا يُخلف وعده. فقد انتقم سبحانه، وهو المنتقم الجبار، من قتلة الملايين، في العراق وأفغانستان، لمقتل ٢٩٩٦ أمريكياً في يوم الهجوم على البرجين، فأصابهم بوباء يحصد ٣٣٠٠ قتيل يومياً، ولا يستطيعون حيلة

ولا يهتدون سبيلاً.

والموت شرّ ومصيبة لأي كائن على الأرض، فنحن لا نتشفى في مقتل أحد، لكننا نرى السنة الإلهية العاملة، فنحمد الله سبحانه، ونلوم أنفسنا على تخلفنا في العمل، وتكاسلنا عن العطاء.

وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن يستخلفهم في الأرض، وهو وعدٌ غير مكذوب. كما وعد بالشر المحيق بالكافرين، كما رأينا في الأمم السابقة الذين أصبحوا حصيداً خامدين، وهو وعد غير مكذوب. فعلينا أن نختر مع من سنكون، وتحت أي فصيل سنقع. وليس أمامنا إلا خيار الإيمان والعمل الصالح، بتمامه في كلّ مجالاته، وبكل أبعاده، ليتم لنا هذا الوعد، إنه كان مفعولا.

د طارق عبد الحليم

٢٨ ربيع ثان ١٤٤٢ – ١٣ ديسمبر ٢٠٢٠



الشرعية الإسلامية والشرعيات الزائفة ..

إسلام وكفر




الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه ..

من طبيعتي الخاصة أني لا أحب، بل أكره، تكرار الحديث في نقاط أُشبِعت بحثاً من قبل، إذ في ذلك إعادة لا لزوم لها، وفقر في القدرة على العطاء والتجديد .. لكن هناك استثناءات، ككُلّ أمر من أمور الحياة، تستدعي الإعادة للتأكيد والتذكير. ولا أريد التوسع في ذلك المعنى، لكن حسبك البيان القرآني في تكرار بعض الآيات، مرات بعد مرات، كما في سورة الشعراء، على سبيل المثال لا الحصر "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ"، الشعراء، فقد تكررت ثمان مرات، لتأكيد المعنى المراد. وموضوع الحديث عن الشرعية الإسلامية من ذاك اللون من التكرار.

موضوع قديم جديد، لكنه لا يزال يطلّ برأسه من حين إلى حين، عندما يستيقظ أحد دعاة الانهزامية الاستسلامية الإخوانية المتميّعة، ويتذكّر د مرسي رحمه الله، و٢٥ يناير وتلك الحوادث الخوالي، فتثور فيه روح ثورية مفتعلة محدودة، يدعو فيها إلى العودة إلى "الشرعية"! ثم يعود بعدها لسبات عميق طويل حالمٍ.

العودة إلى الشرعية يستلزم أن نكون قد حزناها أولاً ثم فقدناها. والأمة المسلمة لم تحز الشرعية منذ أن سقط السلطان عبد الحميد، وألغيت الخلافة. قولٌ واحد.

حين نطلق كلمة "الشرعية" بألف لام التعريف، فهي لا تعني شرعية مقيدة، مثل شرعية القوة، التي يستخدمها اليوم كافة طواغيت العرب وملوكهم الكفرة. وهي شرعية مفروضة مرفوضة، تقوم على قوة الجيوش وما يسمونه قوات الأمن، أمنهم وضمانهم للكراسي التي ستحترق تحت مقاعدهم يوما بإذن الله.

فالشرعيات تختلف باختلاف مرجعياتها، وما تقوم عليه أعمدتها. لذلك فإن الاستعمال العشوائيّ للتعبير خطأ قاتل وتزييف للحقائق وتحريف للمعاني، مُغرِضٌ في غالب الأحيان.

هناك الشرعية الديموقراطية، وهي الشرعية التي تمنحها الصناديق الاقتراعية للمرشح الحاصل على أعلى عدد من الصوات، بغض النظر عن أيّ اعتبار آخر، لا دين ولا عنصر أو لون، كما يدّعون، إلا قيوداً فرضوها مثل أن يكون من أبناء الدولة ذاتها، وألا يكون مُدَانا في محاكم الدولة. والحق أنّ لهم ديناً يلتزمون به وهو "العالمانية"، التي هي دين أرضيّ متكامل. أما العنصر واللون، فهم كاذبون في هذا على وجه اليقين، ونظرة إلى ما يحدث في أمريكا تبيّن زيف دعواهم في المساواة والحرية.

هذه هي الشرعية التي يتبناها الغرب، والتي رأينا، كما وضّحنا في مقالنا السابق "دعوها .. فإنها منتنة"، هشاشتها وسقوطها في أمريكا، أمريكا التي تدّعي إنها موطن الديموقراطية الأصلي، كذبة أخرى، إذ عاشت إنجلترا هذه الشرعية البرلمانية آلاف السنين.

وهذه الشرعية هي التي يتعبّد بقدسيتها رؤوس الإسلاميين الساقطين من الإخوان والنهضوية والمُمَيّعة، حتى في معارضتهم للسيسي، أو بعض طواغيت العرب، حسب محلّ إقامة أحدهم! فمن عاش في قطر هاجم آل زايد والسيسي، ومن عاش في الامارات هاجم قطر وتركيا، ومن كان في تركيا هاجم الامارات والجزيرة، وهكذا. تخبط وتيه وهوى .. أعاذنا الله تعالى منه. لكن ما يوحّدهم هي عبادة هذا الصنم المسمى الديموقراطية، والدعوة للرجوع إلى شرعيتها.

ثم هناك الشرعية العسكرية، شرعية القوة. وهي غالباً ما تتلبّس بالشرعية الديموقراطية، من حيث إن هذه الأخيرة مقبولة عند الأكثريات الشعبية العامة من الجهلة، لكنها لا تعتمد إلا على قوة الجيوش والشرطة والأمن والمخابرات. ووسيلة تلك الشرعية، هي دائماً الانقلابات، التي تتبعها صناديق اقتراع جاهزة الصنع، مع أصواتها بداخلها قبل الاقتراع! ثم تولى السلطة، وقمع الناس وقتل المعارضين واعتقال المخالفين، وسرقة الثروات وانتهاب الأموال، وفعل كلّ ما هو فاحش فاسد. وهذه الشرعية هي التي عشنا فيها، في بلادنا منذ قرابة ثلاثة أرباع قرن من الزمن، بعد أن أتم الاستعمار العسكريّ خطته في تأمين حكام كفرة طواغيت، ينوبون عنه في

بلادنا، مصر والسودان والعراق وليبيا وتونس والجزائر. وصورة أخرى وهي ما تمّ في جزيرة العرب والمغرب والأردن، التي أسموها مَلَكيات، حيث بدأت عمالتها منذ بداية عهدها كدول في العصر الحديث.

الشرعية العسكرية هي التي يقوم عليها كلّ نظام ديكتاتوريّ سواء في الشرق الأوسط وأوروبا الشرقية وأمريكا الجنوبية وغالب القارة الأسيوية منها روسيا والصين، فهي شائعة في نصف الكرة الأرضية. ثم لا ننس أن تلك الشرعية قد بُنيت عليها امبراطورية اليونان والرومان، من هيكلية برلمانية ظاهراً وسيطرة عسكرية حقيقية. فهي شرعية قديمة قِدم الانسان نفسه.

والشرعية الثالثة، والتي لا رابع لها على الأرض، هي الشرعية الإسلامية. الشرعية الحق. وهي التي تقوم على شريعة الإسلام وقوانينه ونظامه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وتحمى نفسها ضد الشرعيات الزائفة الأخرى بقوانين عسكرية، ونظم دفاعية يوضحها علم السياسة الشرعية. وهذه الشرعية هي شرعية المسلم، لا شرعية له سواها. والخضوع لأي لون آخر من الشرعية، أو اتخاذ أي شرعية بديلة كمرجعية تخرج بالمسلم عن دينه، وتلقيه في ظلمات الكفر، علم أم لم يعلم، فقه أم لم يفقه، وافق أو خالف. قولٌ واحد.

والشِرعية الإسلامية، لا مرجع لها إلا الله سبحانه، مما في كتابه الحكيم، وما فصّله وبينه رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم في سنّته. وهي كلٌّ متكامل من القوانين والنظم المستمدة إما نصا أو استنباطا، من ذينك المرجعين، الكتاب والسنة، عاش على أساسها وفي ظلها نصف العالم، وعلى الأصح نصفه المتحضر، قرونا طوال، حتى ظهرت تلك الشرعيات الزائفة في أفق بلادنا، فبدأت بالشرعية الديموقراطية، خاصة في مصر بعد الحرب العالمية الأولى، حيث منّ الانجليز على المصريين بلعبة الديموقراطية، لحين تسوية أوضاعهم، ولحين أن يجدوا الكلب المناسب الذي يرعى أغنامهم، فكان دستور ٢٣، ثم كانت معاهدة ٣٦ المخزية التي ألغيت، ولمعت أسماء برلمانية أوهمت الناس بأن تلك الشرعية مقبولة يمكن التعايش معها وهم لا يزالون

على الإسلام! حتى أخذت الشرعية العسكرية بتلابيب البلاد في ٥٢.

كان الانتقال تمهيديا متدرجاً، ربى جيلا يتعبد بحسن الشرعية الديموقراطية. وظل أبناء ذاك الجيل على حبهم وولائهم لتلك الشرعية الزائفة الكافرة، مخلصين لها، فكان من أبنائهم إخوان بديع والشاطر والكتاتني. وكانت حركة ٢٥ يناير، وكانت نكسة السيسي التي لا تقل في أثرها عن دخول التتار إلى بغداد.

من الضروري أن يعيش هذا المعنى في نفوسنا ونفوس أبنائنا. من اللازم ألا يضيع هذا المعنى في تيه الترّهات الإعلامية الزائفة، التي تبثها وسائل إعلام منحرفة التوجه والعقيدة، إخوانية كانت (مكملين!) أو علمانية (الشرق)، وما يصدر عن دولة نبذت شرعية الإسلام، وأظهرت شعائره (تركيا).

د طارق عبد الحليم

٢٩ ربيع ثان ١٤٤٢ - ١٤ ديسمبر ٢٠٢٠



محنة الديموقراطية .. لا أزمة الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه ..

تذكرني الديموقراطية الغربية بذلك الغِرّ الذي اشترى لحافاً رآه حسناً في معرض البيع. لكنه لم يهتم بقياسه على قدّ جسده. فلما جنّ الليل، وبرد الجو، حاول أن يغطي نفسه بلحافه ذاك، فمده لرأسه، فانكشفت ساقيه، فأرسله يغطي ساقيه فانكشفت أكتافه!

اتخذ الغرب من تلك الديموقراطية، لحافاً، أو ثوبا أو ستاراً، أيها شئت، ظنّتٍ أنه يقيها زلّات النفس الإنسانية، وعثرات الأيديولوجيات البشرية، فإذا به ثوب بالٍ، مليء بالرقع والخروقات.

لم يدرك الغرب الفرق بين الطبيعة البشرية والأُمْنية البشرية (من التمني) Human nature and human wishes، وهو خطأ قاتل لمن لا يدركه.

فطبيعة البشر فيها نفسٌ أمارة بالسوء، تدفع القلة الظافرة إلى التغلب على الكثرة المتعثرة، ويلعب الشيطان لعبته في دفع ذلك التوجه ما استطاع. هكذا رأينا على مرّ التاريخ، في حضارات وأمم وأفراد، أكثر من أن تُحصى، إلا أن يُتلى التاريخ كله!

والأمْنية البشرية، هي أقرب إلى الحلم الواهم الجميل، الذي يقوم في القلب، دون سندٍ من عقل أو منطقٍ معتدل، يزِنه ويقيّم فاعليته وصلاحيته.

فالديموقراطية، الأُمْنية، النظرية، الأيديولوجية، المسطورة على الورق، تؤكد أن الشعوب تحكم نفسها بنفسها، لا تحتاج لمرجعية تتعدى ما يقوله أو يريده أفرادها. لكن الطبيعة البشرية تأبى إلا أن يكون أمر الناس لعبة في يد القلة الثرية المتحكمة، ديموقراطية أو غير ديموقراطية. فوصلت إلى ما تريده، بطبيعة الحال، إذ الواقع متغلّب على الأقوال. تارة بشكلٍ خفي يهيئه لها سحرة إعلامها، ترغيباً وترهيباً. وتارة بشكلٍ ظاهر واضح علني، لا خفاء فيه.

أمّا اللون الأول الخفي، فهو ما جرت على منواله الديموقراطيات الغربية، وأخص منها الأمريكية من حيث هي الدولة الأقوى والأعتى، منذ قيامها، مما جعل عدد

من كتّاب الغرب الأذكياء بيان زيف تلك الأيديولوجية، كما نقلت في بعض مقالات سابقة.

أمّا الظاهرة الجليّة، فهي ظاهرة جديدة، بدأت تظهر فيها أعراض المرض واضحة، على جسد المريض الغافل، تهيئة للقضاء عليه. وهو ما رأيناه في مثالين: سيسي الغرب دونالد ترامب، والعاهر الملعون إيمانويل ماكرون.

فترامب، قد أظهر الطبيعة البشرية على حقيقتها، حيث أظهر ٤٧٪ من الشعب الأمريكي، كلهم من البيض، أي حوالي ٦٤٪ من إجمالي الشعب الأبيض في تلك الدولة! وهذا أمرٌ مخيف للغاية، أظهرت هذه الأغلبية البيضاء تشككها بل رفضها للعملية الديموقراطية، وآثرت الاختيار الديكتاتوري، مهما قيل خلاف ذلك.

أما عاهر فرنسا العاهرة، ماكرون، فإنه قمع تظاهرات شعبه ضد سياساته بالقوة، سواء الاقتصادية أو الاجتماعية الهادفة لتقييد الحريات، فصار سيسي فرنسا! وكتبت صحف فرنسية إن الحريات في فرنسا تراجعت في عهده لدرجة خطيرة. وهذا الملعون ماكرون هو من يدّعى التمسك بمبادئ الجمهورية الفرنسية التي دوّنت في عهد ثورتهم الدموية الحمراء، والتي تركز على علمانية الدولة والسيادة الشعبية والحرية الفردية المطلقة. إلا أن هذا قد ظهر كذبه ونفاقه خاصة بعد الحملة الشعواء الأخيرة على الإسلام كدين وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم، ضاربة بالحرية الفردية عرض الحائط، ومعرضة عن العلمانية التي تسمح بأي لون من ألوان العبادة، حجراً أو شجراً أو بشراً!

إذن، فالديموقراطية اليوم في محنة كبيرة. إذ فقدت مصداقيتها، والتي نزعم إنها لم تكن موجودة بالأصل إلا في أوهام فلسفية مسطورة، لا واقع لها على الأرض.

ونظرة في تاريخ المسلمين تبيّن الفرق بين ما هو حقيقيّ واقعيّ أصيل، وما هو زائف مفتعل عليل.

انظر إلى موقف الإمبراطورية الإسلامية، يوم أن سادت نصف العالم كله، وغالب العالم المتحضّر منه، في عصر بايزيد الثاني العثماني، حفيد محمد الفاتح العظيم، حين قامت محاكم التفتيش الاسبانية الدموية، عام ١٤٩٢، التي مثّلت فترة من أظلم

فترات الحكم في أوروبا، بمطاردة اليهود وقتلهم بلا رحمة، فاستقبلهم بايزيد الثاني في امبراطوريته، واستوطنوا في إسطنبول وأزمير وغيرها. بل هدد الاسبان بغزوهم إن لم يوقفوا حملتهم ضد هذه القلة، والمسلمين في اسبانيا. بل إن أجداد بايزيد قد سمحوا لليهود بالاستيطان بأراضيهم وولاياتهم من قبل ذلك في عام ١٤٧٠.

ثم انظر ما يفعل هذا المجرم ماكرون "الديموقراطيّ العلماني" من سنّ قوانين خاصة بالمسلمين، وانظر ما فعله ترامب من منع المسلمين دخول أمريكا. وقل لي – يا رعاك الله – من أحق بالوصف بالآدمية، ومن أحق بالوصف بالحيوانية المنافقة.

تلك هي معالم الديموقراطية التي يعبدها الإخوان والغنّوشية والترابية والأذلاء من الجماعات المنحلّة العميلة، ويتبعهم فيها مؤسسات "إسلامية" رغبة في التمويل لا غير!

وما يحدث في أمريكا اليوم ينبأ بما بعده، فإنه لو مرّت أزمتهم اليوم مع ترامب، فالمبدأ قد أرسي بالفعل، أن القوة والعنف والديكتاتورية لها مكانها الذي تتربص فيه لتنقض على أثمال الديموقراطية البالية ... وكما كتبت على تويتر يوم تولى ترامب الحكم ("لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ" .. هو شر الآن، لكنه خير على المدى الطويل)

"وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" آل عمران ٥٤

د طارق عبد الحليم

٢ جمادي الأول ١٤٤٢ – ١٧ ديسمبر ٢٠٢٠



الفرصة السانحة .. والجهود التائهة

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفي وآله وصحبه ..

كما كتبت من قبل، مراراً وتكراراً، إن فرصتنا المثالية في إعادة السلطة لأيدينا، في بلادنا على أقل تقدير، هو أن تنشغل القوى الكبرى عنا، سواء بنفسها، أو بينها وبين بعضها. حينها يمكن أن تتاح فرصة لقوى مسلمة، إن وجد هذا المسمى اليوم على الأرض، لأن تتخذ خطواتٍ لتحرير بلادها من العدو الحقيقيّ الداخلي المحتل.

ونحن نرى الآن، كما ذكرت من قبل، وكم أكره الإعادة والتكرار، أنّ ما يحدث اليوم في أمريكا هو مصيبة على قومها وأيديولوجيتها، لكنه خير لبقية البشر الذين بغت عليهم تلك الدولة الحمراء الدموية الصائلة.

ولعل قائل أنْ يقول إنّ روسيا الحمراء الشيوعية هي أشدّ خطراً على المسلمين، وهم غزاة صائلون بالفعل، في سوريا خاصة! نعم، لكن العدوان الأمريكيّ متوغّل توغلاً بشعا في كل ناحية من نواحي حياتنا، خاصة الثقافية والأيديولوجية منها. الغرب الأمريكي لم يغز أراضينا وحدها، بل غزا عقول أجيالنا منذ عقود كثيرة، ومن قبله الغرب الأوروبي لقرنين من الزمن. أمّا الروس، فهم كالحيوانات المفترسة، لا يمكن صدّها إلا بمقارعة القوة وحدها. وهم ليسوا أقل خطورة، لكن دورهم لم يتعد إلى البعد الأيديولوجي، ومن ثمّ لم يعتمد عليهم حاكما من كفار حكامنا لدعم عرشه، إلا كلب النصيرية الذي لفظه الكلّ، حتى الغرب، في وقت من الأوقات.

أمريكا الآن واقعة تحت هجوم ثلاثيّ عنيف، أوله من رئيسها الحالي الذي شكّكَ في نظامهم ومصداقيتهم التشريعية كلها، ومثّل، ولا يزال، خطراً شديداً على استمرار الجمهورية والفيدرالية الأمريكية. وثانيها ذلك الوباء الذي كان أثره في الولايات المتحدة أشدّ منه في أي دولة في العالم! وثالثها، الهجوم التقنيCyber Attack الذي شنته روسيا على شركات خاصة وجهات حكومية بشكل غير مسبوق. أمريكا تتعثر في خطواتها اليوم، كالواقعة تحت تأثير مخدرات شديدة الأثر، مهتمة بأمر نفسها، أكثر من المحافظة على أنظمتها العميلة في شرقنا الأوسط.

هذه فرصة نادرة لشرقنا الأوسط، إن كان هناك من له عقل خطط ودبّر لإزالة تلك الأنظمة العميلة أو، على الأقل، النظام المصريّ النجس الصهيونيّ، من حيث

إنه الرائد في العمالة والانحطاط وعداء الإسلام.

هي نافذة ضيقة المدى، قد تمتد شهراً أو شهرين بعد تولى الرئيس الجديد منصبه، ومحاولة إعادة الوعي للأجهزة الحكومية الأمريكية. لكنّ النافذة قائمة ومفتوحة للعمل في تلك البلاد العربية ضد تلك الأنظمة.

أعلم أنّ الإخوان في غيبوبة الموت منذ عقود، وإنما وضعهم السيسي وبقية الأنظمة المعادية للإسلام، سواءً النسخة الإخوانية السلميةُ المستسلمة منه أو النسخة الأصيلة السنيّة، لكن هناك الكثير من الشباب والرجال الواعين، متفرقون في جهات عديدة، ينتظرون الفرصة السانحة للعمل على الإطاحة بذلك النظام الملحد الطاغوتيّ الظالم في بلادنا.

تلك هي ساعة عمل، لا ساعة كلام وأمل، في بلادنا العربية المحتلة. الدعوة للخروج في تظاهرات عارمة، العصيان المدنيّ، مواجهة الجيش اللعين الصهيونيّ. بتر الأعضاء المريضة في الإعلام وفي مجال الدعوة السلطانية، من التأثير على عقول أبنائنا، بالمقاطعة وإظهار العداء الصريح لهم.

فرصة سانحة لتحرير بلادنا ... فلا تضيعوها.

"وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" آل عمران ٥٤

د طارق عبد الحليم

٤ جمادي الأول ١٤٤٢ – ١٩ ديسمبر ٢٠٢٠



العلم الشرعي .. والتكنولوجيا

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفي وآله وصحبه ..

ملاحظة سريعة لاحت لي بعد أن تسلمت المجلد السابع صباح اليوم من مجموعة الأعمال الكاملة للعبد الفقير إلى ربه، على ضعف حيلتي وتقصيري الذي لا يعلمه إلا الله تعالى. قلت لنفسي: ترى أين علماء هذا الجيل؟ ولِمَ لَمْ نر أحداً أخرج ما تقرّ به الأعين من نتاجٍ علمي راسخٍ رصين قيّم مفيد؟ اللهم إلا البعض في أنحاء الدنيا، وقليلٌ ما هم.

تلك الملاحظة أنبتت في النفس مرارة وحرقة، وإليكم السبب.

أذكر في بداية الستينيات، حين كنت أذهب، بمصروفي الصغير، إلى مكتبة "دار الكتب" في شارع عدلي بوسط القاهرة، أجلس هناك على كرسي صغير، بموافقة صاحب المكتبة الذي كان محباً للعلم، أداول بين الكتب، وأقرأ ساعات طوال، وأشتري بعض الأحيان كتباً يقوم هذا الرجل الصادق بتجليدها لي، لا تزال على رفوف مكتبتي بتاريخها. هذا الجيل، جيلي، ومن قبله أجيال نشأت في عهد لم يكن للتكنولوجيا فيه دخلٌ ولا نصيب. لم نقرأ شيئاً على النت. لم نقم بقصٍ ولصق نسميه تحقيقاً لكتاب أو إنشاءً لمقال. بل كانت المعاناة في القراءة المطولة، والبحث المستمر الدؤوب، بلا كلل، سنين متعاقبة. ثم من كان من قبلنا، مانوا أشدّ حرصاً وأكثر مصابرة ومثابرة. والشاهد على ذلك تلك الأسماء العظيمة القدر التي ذخر بها تاريخنا المعاصر، حتى موت شيخ العربية أبو فهر محمود شاكر عام ١٩٩٧، ومن قبله أمثال د محمد محمد حسين، ومن قبلهما سيد قطب، ومن قبله الرافعي وطبقته. ومنهم المحققون الأصلاء ممن يصح تسميتهم "المحقق" مثل الشيخ عبد السلام هارون أو محمد رشاد سالم وغيرهما. حتى العلمانيون الأوائل قبل عصر النت والتكنولوجيا، كانوا قمما شامخة. اقرأ لزكي نجيب محمود أو فؤاد زكريا أو عبد الرحمن بدوي، أو غيرهم. وهم، على علمانيتهم الفلسفية، كانوا قمماً في انتاجهم الفكريّ. فإلياذة هوميروس لا يقلل من شأنها الأدبيّ، لا غير، أن كاتبها وثنيّ.

تلك الأجيال، تعلمت على قراءة الورق، لا بحث المحرّكات. والفرق شاسع واسع

عميق، والنتيجة بلاء مدمّر. فإنه كان من المتوقع أن تكون النسبة طردية، فكلما انتشر العلم وسهل الحصول عليه، زاد عدد العلماء وتعمق علمهم زيادة فوق زيادة! لكننا رأينا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، النسبةِ عكسية بين تطور التكنولوجيا، وانتشار دائرة المعرفة، وبين خروج علماء بحق، يُشار إليهم بالبنان!

وأظن، والله أعلم، أن سبب هذا هو قاعدة أن "الأجر على قدر المشقة". فقد كان أهل الأجيال السابقة، منذ أيام السلف الصالح، يسافرون على الجمال، أياماً وشهوراً لتحصيل العلم، يدونونه بأيديهم على جلد، وورق، لا يكلّون ولا يَمَلّون. فكان العلماء فيهم، العلماء بحق، مئات بل آلاف بلا مزايدة ولا مبالغة. ثم سهلت الأمور وظهرت المطابع، وصارت السيارات والطائرات تطوي بها أنحاء الأرض في ساعات، فإذا بالعلماء الحق ينكمش عددهم، وإن ظل البعض يبذل الجهد في تحصيل الكتب وقراءتها، قراءة دراسة متأنية مستوعبة، فكان الجيل من علماء العصر الحديث في القرن الماضي كلّه.

ولم يزل الأمر يتدهور شيئاً فشيئاً، مع سهولة الحصول على العلم، حتى كان، ما اعتبره، آخر جيلٍ ورقيّ (أي تعلم من قراءة الورق لا الشاشات) مثل الشيخ د السباعي والشيخ المقدسي، ومن قبلهم جيلي وجيل الشيخ د الظواهري وجيل الشيخ الشاذلي وقبله جيل سيد قطب رحمه الله. حتى الفاسدين من أبناء جيلي مثل الريسوني أو أمثاله، لم يكن لهم اسم لولا أنهم تربوا على الاطلاع والقراءة الحقّة، وإن ضلّوا الطريق! وهو أمر آخر يتعلق بتوفيق الله للعبد. ثم جاء جيل الانترنت، حيث انتشر العلم بشكلٍ غير مسبوق، وصار كلّ شيء على أطراف الأصابع. يضرب أحدهم الكلمة فيخرج له عِفريت من النت، على شاشة ملونة، فيها كلّ ما دوّن الأوائل من علم. فيتخير الغرّ منه ما يريد، دون دراسة أو تحصيل أو جهد أو تدبّر، ويخرج بفقرات متجاورات يسميها مقالات، أو آراء شاذة مصطنعة، تتناقض مع نفسها. ويصبح الشيخ أبو فلان وأبو علّان، أجهل دواب الأرض طرّاً، مشايخ علمٍ، بل منهم من يدير مراكز إسلامية (أي والله!).

عجبتُ لذلك الأمر .. كلما زادت رقعة انتشار العلم وتوفرت إمكاناته وسهل الحصول عليه، كلما ازداد الجهل وانتشر الغباء وعمت الفوضى العلمية!

العلم له ثمن يجب أن يُدفع كاملاً غير منقوص. وكل تلك الحشرات العلمية التي نراها اليوم، تقص وتلصق، لم تمارس جهداً في تحصيل. العلم منحة كبرى ونعمة عظمى من الله سبحانه، فهل ترى يهديها الله تعالى إلا لمن شقي في تحصيلها وقدّم لها ما يستحقها به؟ العلم ليس استخراج معلومة من هنا وهناك، بل هو حسّ متكاملٌ وشخصية مبنيةٌ على أسس متينة بذل صاحبها الجهد والوقت والفكر والممارسة، ثم طحنت السنون هذا المخزون ليخرج كُلّاً متكاملاً موصولاً بمصدره، يعرف ماذا يستقي ومن أين يستقي وكيف يستقي، لا كحطاب الليل المحدثين، ممن يجمعون أقوال هذا وذاك، من هنا وهناك، ويخرجون ما يرونه مقالاً أو بحثاً، فتهيأ له أوهامه مشيخة زائفة.

لك الله يا أمة .. فإنه ما يواري التراب أخر جيل تعلمّ علماً حقاً، وهم اليوم من فوق الستين عاماً على الأقل، فسنرى الامتداد الحقيقي لما بدأ بالفعل من قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم "عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبْقِ عالمًا اتَّخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسُئِلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا) متفق عليه.

د طارق عبد الحليم

٧ جمادي الأول ١٤٤٢ – ٢٢ ديسمبر ٢٠٢٠



الوصفة الإخوانية للدعوة الإسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفي وآله وصحبه ..

كم اشعر من ضيق في الصدر ومرارة في الحلق، وحسرة في النفس، حين يأخذ بي الفكر، رغماً عني، تجاه ما تمثّله تلك الجماعة المنكوسة المنكوبة بعملها، الإخوان، وأثرها المدمّر على وضعنا الإسلاميّ اليوم.

لكن ما السبيل إلى ردّ تلك الهجمة الفكرية التي تغزو عقلي بين الفينة والفينة، والوضع كما نرى، لا يبدو فيه سبيل إلى النهوض برقعتنا الإسلامية في المستقبل القريب، ولا البعيد؟!

الوصفة الإخوانية للدعوة وصفة متكررة متماثلة في كل أماكن تواجدهم، حقوقها محفوظة لهم، وإن تغيرت في بعض الأحيان لتنطبع بطابع الدولة التي تقوم فيها حركة قريبة الفكر، مثلما حدث في حركة النهضة التونسية التي انطبعت بالعلمانية التونسية، مع استخدام الوصفة الإخوانية!

وخلطة تلك الوصفة، كما رأيناها في نصف القرن الماضي، رأي المشاهدة والعيان:

١. جمع من الشباب المُخلِص، المحِب للإسلام، الناشط للعمل في سبيله، بشرط ألا يكون فيه من يفكّر تفكيراً مستقلا، ويميل للأتباع والانقياد بشكلٍ فطري، وهم الأغلب، وهو شرط أساسي لا يمكن الاخلال به.

٢. مجموعة رسائل الشيخ حسن البنا.

٣. كتاب دعاة لا قضاة.

كيفية عمل مجموعة إخوانية "مسبّكة":

١. رتب تلك المجموعة من الشباب في حلقات، لدراسة رسائل البنا.

٢. اجتهد ألا يقترب أحد من هؤلاء المرشحين من كتب السلف أو القراءة المستقلة، بعيداً عن نظر المشرف عليهم.

٠٣. اترك تلك الحلقات في قِدْرِ التسوية عدة شهور، حتى ينضج فيهم تبجيل البنا وما كتبه، ويصغر ويحقر عندهم قَدر ما كتب غيره.

٠٤. ابدأ في تقديم شخصيات الجماعة المعتمدة لديهم على أنهم رواد العلم الإسلامي في العالم، مثل القرضاوي وسلسلة مرشديهم، ومن انتمى إليهم من خارج الجماعة الرسمية، مثل الريسوني والددو.

٠٥. اختر منهم من هم أعلى مرتبة في الفهم، المحدود ابتداءً، ليدرس كتاب دعاة قضاة، ويتعلم أصول الإرجاء من هذا الكتاب، دون الرجوع إلى كتب الفرق المعتمدة، إذ هم يهيؤون لهم أنهم ليسوا فرقة مبتدعة، بل هم أهل السنة والجماعة!

٠٦. ابدأ في تشغيل بقية الأعضاء الجدد، الذين استوت رؤوسهم على تلك النار الهادئة عدة أشهر، بعد إسباغ ألقاب كبيرة على غالبهم ممن لديه الاستعداد، كمدير مركز كذا، أو مشرف كذا ... وهكذا، لينمو حسّ الانتماء، وينمو معه حسّ الغطرسة الذاتية والأهمية المصطنعة، التي لا أساس لها من علم أو فضل.

٠٧. قدّم بعض هذه المجموعات الصغيرة لتندس في دهاليز المراكز الإسلامية القائمة، فتأخذ بقيادها في غفلة ممن قام بجهد إنشائها اصلاً. أي، بصريح العبارة، تسرق جهد غيرها بالإغارة على تلك المراكز، وهي إحدى الطرق التي استخدمها الإخوان لنشر "لا-مبادئهم" في أنحاء كثيرة من العالم، بسلب الآخرين فضل جهدهم.

٠٨. اجعل الأهداف الاقتصادية، مقدّمة على أي أهداف أخرى، بدعوى أنّ المال مطلوبٌ للعمل الإسلامي، الذي لا تعرِف له وضعٌ ولا محلٌ ولا مكان. والتساؤل هنا يعني الخروج على الشرعية، و"يُكْشَطُ" السائل من إناء الجماعة!

هكذا تتم لك طبخة إخوانية مسبّكة.

وهذا المنهج، هو الذي أنتج ذلك الشباب الذي امتثل كالنعاج لأوامر قيادته، دون تفكير، أيام انسحبوا من التحرير، وجعلوا تظاهراتهم "ماتينيه" من ٦ إلى ٩ مساء لا

غير، حسب اتفاقهم مع عمر سليمان في معاهدة "كامب سليمان"! وهم من أرسى فكرة أن الجيش المصري درع الوطن الحامي! وأنّ السيسي وعصابته "إخواننا بغوا علينا"! وأن "سلمية" هي الطريق إلى ... لا أدرى والله إلى ماذا، وهم قد هلكوا جميعا بالفعل! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كل هذا من أثر "التتبيلة" الإخوانية التي ذكرنا.

لكن طبخة الإخوان، قد أصابها العفن، ولا شك، فخالت بهم الأيام، وجار عليهم عملهم، لا الزمان. وإذا هم بين مشرّدٍ وقتيل ومعتقلٍ وطريد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والأغرب هنا إنهم لم يرجعوا عن دينهم الذي ارتضوه، ولا فكرهم الذي اعتمدوه، مع ثبوت فشله وخيبته وسقوطه، أيديولوجيا وسياسيا وحركياً، هذا إن وضعنا الجانب العقدي البدعي جانباً.

وقد يكون للإخوان جيوب لا تزال تعمل هنا وهناك، في بعض بقاع الأرض. وتحرص تلك الجهات على ألا تُظهر انتماءها للجماعة "الأم"، كما يسمونها، لكنّ الوصفة والرائحة والتتبيلة لا يخطئها أنف الناظر ولا عينه ولا عقله.

اللهم هيأ للمسلمين خيراً، وأخلع عن عيونهم غشاوة البدع، وأهلك من اتخذ دينهم وسيلة لأهداف لا علاقة لها بدينك الحق.

د طارق عبد الحليم

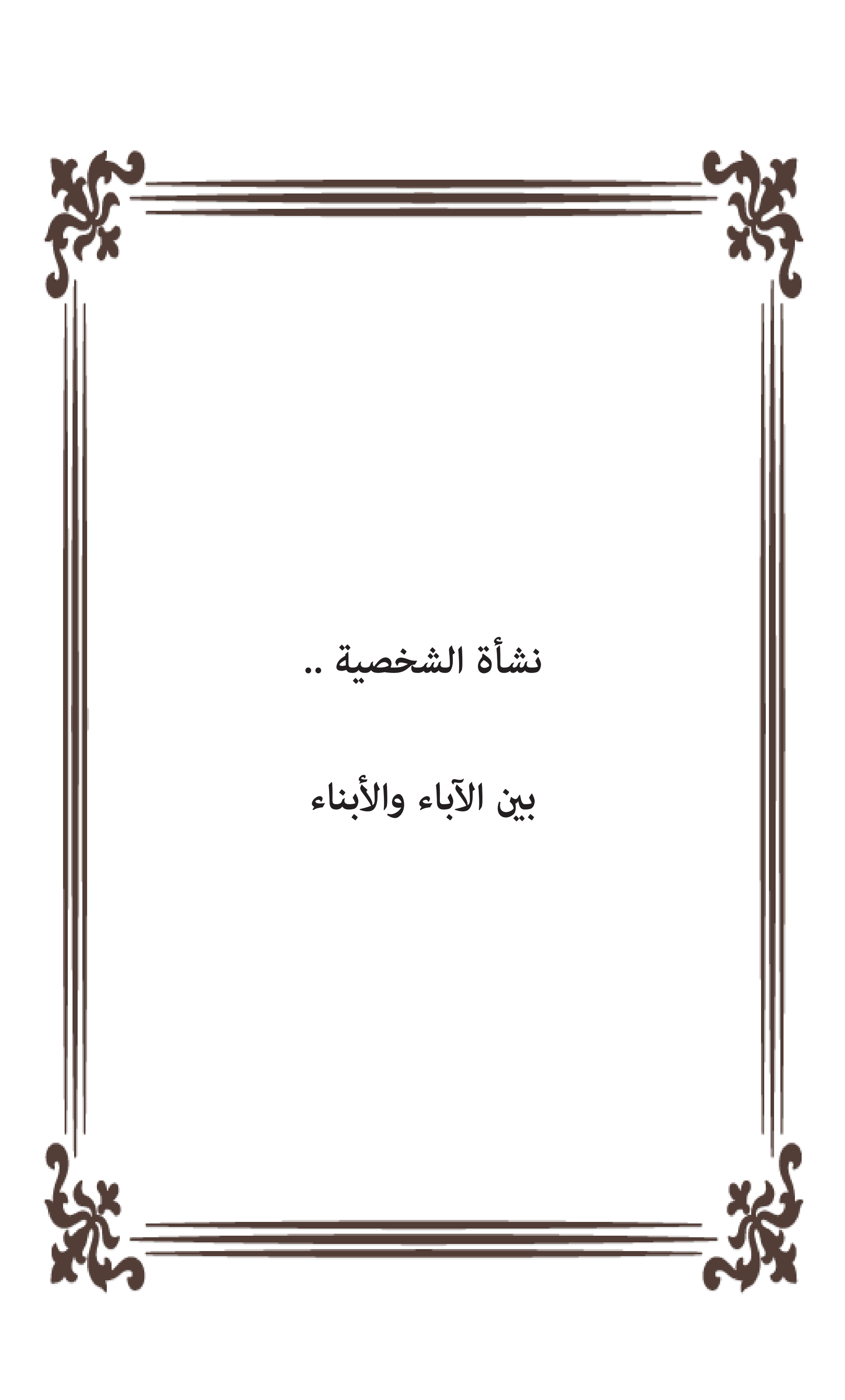
١١ جمادي الأول ١٤٤٢ – ٢٦ ديسمبر ٢٠٢٠





الجزء الخامس

في الحياة والتربية



نشأة الشخصية ..

بين الآباء والأبناء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد ..

لا تقتصر علاقة الأب بابنه على طور النطفة فالعلقة فالمضغة، فالطفل الرضيع، فالشاب اليافع القادر على القيام بشأن نفسه، في بعض الأحيان! بل تتجاوز تلك العلاقة هذه الأكوار كلها، والتي يشترك في غالبها الإنسان والحيوان، إلى علاقة فكرية وأخلاقية وأيديولوجية، يرتفع بها الأبناء تارة عن آبائهم تارة، ويخفضوا عنهم تارات، أو يساووهم في أكثر الأحيان.

فالطفل الصغير، لا يرى أمامه، في مَهْدِ عمره ومَطْلَع حياته، إلا أمّاً تحنّ عليه وتجود له بلبن صدرها ليأكل منه ويدفأ به. ولا يكون الأب في ذاك الوقت، إلا عاملاً من وراء الستار، راعياً للأم وللأبنِ معا، مؤمنا كلّ ما يحتاجونه، كالجندي المجهول. فهو، للرضيع، ليس إلا وجهاً مألوفاً، وصوتاً معروفاً، وإن تحدثت بعض النظريات عن مدى تلقى الرضيع أو الطفل الصغير المعلومات البنّاءة في تلك الفترة، إلا إنها غالباً معلومات كليّة عامة، عن الأشياء الحسيّة لا أكثر.

ثم يبدأ الطفل في النمو، ويبدأ العقل في التكوين، وتصبح المعلومات الأساسية مخزونة بنسبة كبيرة بالفعل، كأسماء الأشياء، وصفاتها، وطبيعتها، وبعض علاقتها، فالنار مع الحريق أو الأكل مع الشبع، وبكلمة أخرى، يبدأ في الوعي بالأسباب ومسبباتها، بطريقة بدائية فطرية.

ومع تطور العقلِ، تتعقد شبكة العلاقات بين الأشياء وقيمتها وغرضها، وبين حقيقة الأسباب ومسبباتها (أي نتائجها). وهذا الطور هو طور الصبا المتأخر والشباب اليافع.

هنا، في هذه المرحلة، تظهر شخصية الأب ويلوح وجهه واضحاً وأثره مكينا للولد، ويتوارى دور الأم شيئا فشيئا، إلى دور توفير الخدمات الحياتية اللازمة، أو التوجيه الحنون، القاصد إلى أمن الولد قبل أن يقصد إلى نجاحه.

والوالد، شخص في ذاته، له كيان عقليّ وتكوين سيكولوجي نفسيّ، وقدرة علمية، سواء متخصصة منحصرة في عمله، أو عامة شاملة تغطي مساحة أكبر في مسرح الحياة العامة، ماضيها وحاضرها، واستشرافا لمستقبلها.

يتفاوت الولد الناشئ في أسرة ما، من هذه الزاوية تفاوتا شديداً، يوازي تفاوت الناس في الرزق! وسبحان الله، الوالد جزء من رزق ولده بلا شك.

يرى الولد في صباه، تصرفات أبيه ومواطن ضعفه ومصادر قوته، ويلاحظ رد فعله عند الأحداث صغيرها وكبيرها، حتى درجة ارتفاع صوته وانخفاضه، ومدى تأثره بما هو حاضر أو غائب. يلحظ الطفل الناشئ والشاب اليافع كلّ هذا بعين الفطرة، وبصورة الصحيفة البيضاء، تنتظر المادة التي تملؤها. فيكون الأب، لفترة زمنية طويلة، قد تمتد إلى ست أو سبع سنوات، مثالاً للأبن، وتكون تصرفاته مرجعاً له، في عقله الباطن، والذي سيقبله بعدُ كمصدرٍ له أو سيرفضه، حسب شخصيته الذاتية، التي تتكون بشكل غاية في التعقيد، خلال تلك المرحلة، والتي تليها من شباب مجادل متسائل، ثم التي تليها من رجولة قادرة أو عاجزة.

وخلال فترة التكوين الثانية تلك، في السنوات الست أو السبع، لا يكون حديث الأب لأبنه كثير الجدوى، بل هو التصرف والعمل. ثم تبدأ مرحلة الشباب الثالثة، فيكون التساؤل فالدل فالصراع، فالقبول أو الرفض. وهذ أدق تلك الراحل وأصعبها، وأحوجها لخبرة الآباء وصبرهم وعلمهم، إن كانوا من أصحاب العلم، وقليل نادرٍ ما هم!

وقد رأينا من الأبناء من تفوق على أبيه، علمياً وشهرة، وهم غالب من نرى من المشاهير، الذين يندر أن تعرف آباؤهم. ومنهم من تساوى في الرفعة، حيث استقرت تصرفات الأب وأعماله ومعالم شخصيته، ثم موضوعات حديثه وتوجيهه للأبن، في عقله الباطن، وتواطأت تلك التصرفات والأفعال، ثم الأحاديث والمناقشات، مع فطرة الابن، فكُتب لها القبول، وتشكلت الشخصية الجدية متأثرة بشخصية الأب، وعملت، مع همة الابن وعزمه على أن يكون مثل أباه، علماً أو فقهاً أو شهرة أو

ثروة. وتجد مثل تلك الشخصيات حاضرة، وإن ندرت في الحضارات الغربية، من حيث أنّ الليبرالية والفردية التي يتبنونها، عملت على تحطيم أثر تلك الفترة الحاسمة، فترة الشباب المارق المجادل المُخاصم المُتسائل، وأعطت مساعدة للولد، كي يستغني عن خبرة أبيه، وعلمه وفكره وتوجيهه، فأوهمته أنه قادرٌ بذاته على إنماء شخصيته، وتكوينها دون الاستفادة من تجارب أقرب البشر إليه وأحنهم عليه! لكنك واجدٌ مثل هذه الأمثلة، من نبوغ الابن كالأب، أكثر حضوراً في تاريخنا الإسلاميّ، لعكس الأسباب التي ذكرناها في منطق حضارة الغرب. ونظرةِ في كتب الرجال تريك كم من الأبناء من سار على درب أبيه، وساواه، أو قرب منه، في مستواه العلميّ، وهي أكثر من أن تُحصى.

لكن، في بعض الأحيان، تكون شخصية الأب جانية على الأبناء، سواء قوة أو ضعفاً. فالأب الذي لا شخصية له، قد يؤثر تأثيراً سلبياً على ابنه، من حيث يعطيه مثال التسليم والإحباط، يكون له معْلَماً، أو في قليل من الأحيان، يدفعه حسّ المغالبة والرفض، ليصير عكس ما عليه ألاب من خسران وخيبة، وهي القليل من الحالات. أو قد تكون شخصية الأب طاغية قوية رفيعة الشأن، فلا يستطيع الابن مجاراتها، فإما أن يقنع بالقليل، أو أن يندفع نحو العكس والخسران، وهي حالات رأينا مثالها في حياتنا رأي العين.

الحاصل، أن مسؤولية الأب خطيرة الشأن، عميقة الأثر، دائمة الأثر، سواء شئنا أم أبينا. والموضوع أوسع من أن يُحاط به في وريقات قليلة، لكنه جهد المقلّ، إلى حين رجعة إن شاء الله تعالى.

شخصية الآباء .. وعوامل تكوينها

تحدثنا من قبل، عن أثر شخصية الآباء على تكوين الأبناء، بشكل عام مجملٍ، يقيم للموضوع صلباً، دون أن ندخل في تفصيل كثير من زواياه ووجه النظر في دقائقه وخفاياه.

لكن ترى، ما هي شخصية الأب التي عوّلنا عليها كثيراً في بناء الجيل القادم؟ أهي ثابتة على مرّ الأيام أم تتغير بتقدم الزمان؟ هل تبدلت عوامل تكوينها، عمّا كتبنا في تكوين شخصية الأبناء، بتفاني الأجيال بعضها في بعض؟ ما هي ملامح الشخصية الأبوية التي تنتج جيلاً ناجحاً رائداً؟

تحذير لازم:

وقبل أن أبدأ أودّ أن أبيّن للقارئ أن تناول هذا اللون من الدراسات فيه كثير من الذاتيةSubjectivity ، وهو ما يضاد الموضوعية Objectivity، سواء من الكاتب، الذي تنعكس "شخصيته" هو على آرائه ونظراته، أو على القارئ، المتلقي لتلك الآراء، ومدي تلاقيها مع طباعه وشخصيته. لكنّ هذا لا يمنع أن مثل هذه الدراسة لازمة من حديث إنها تقدم، على أقل تقدير، قالب عام، ونمط يمكن من خلاله التصرف لاحتواء أنماطٍ أخرى، تقرب أو تبعدً من هذا النمط على قدر موضوعية الكاتب والقارئ جميعاً. ويعلم الله إنني تحريت الموضوعية ما استطعت لذلك سبيلا.

وكما نوّهت قبل، فإني لا أعتمد كثيراً، إلا النادر، على ما يدوّنه الغربيون في هذا الشأن بالذات، لاختلاف الأسباب والمقاصد والغايات، وتنافر البيئة التربوية والفكر الحضاريّ، بما لا يدع محلاً لتلاق أو لاستفادة إلا في بعض النواحي القليلة، التي لا ننكر حاجة المُطّلع إلى معرفتها، وإن قلّت. بل إن كثرة الاطلاع على النتاج الغربيّ في هذا الشأن، هو من أهم أسباب انحراف أجيالنا الحديثة، والوسيطة (بين أعمار ٤٠-٦٠ عاماً)، عن المأمول منهم، حتى صرنا إلى ما نحن فيه من تبعية كاملة خاضعة للفكر الغربيّ، وكأن ذلك شرف ما بعده شرف!

الشخصية الإنسانية عامة، هي مُركّبٌ معقد متشابك، من جوانب نفسية كثيرة، يتصل بعضها بالنفس وبعضها بالجسد، فينشأ عن ذلك التفاعل العضويّ النفسيّ،

توجّه معين، تظهر تجلياته في تصرفات المرء، وأحواله، وطرق تعامله مع الواقع والأحداث، وطريقة تقييمه للآخرين، وإحساسه بمسؤوليته العامة والخاصة، أقصد مجتمعياً وأسرياً.

والشخصية، أمرُها داخليّ ذاتيّ، غير ظاهر، لكن أثرها هو ما يظهر للعيان، سواءً في الصمت أو الكلام، أو الإيماء أو الإيحاء.

الشخصية والطبع:

ويجب هنا التفرقة بين الشخصية والطبع. فالشخصية أعم من الطبع. إذ الطبع، أو الطباع، عنصر هام حاسم في تكوين شخصيةٍ ما. والطبع هنا يعني الجبلّة، التي فطر عليها المرء. والطبع لا يكاد يتغيّر البتة، فكما يُقال "الطبع يغلِبُ التطبع". ومثال الطبع حدة المزاج، أو استواءُه، أو تراخيه ولينه. ومن هذا الطبع، تنشأ "العادة"، مثل الخجل، أو الانطواء أو الانفتاح. وهذه تتعدى إلى مثل الشجاعة والكرم والخوف أو البخل، وكلها درجات متفاوتة حسب الجبلّة، تبدأ على سبيل المثال من الخوف المُقعد، إلى الحذر الموسوس إلى الإقدام الحذِر، إلى الاستهتار المُردي. فكلها متشابكة تنشأ عن بعضها، وأصلها في الجبلّة.

وهذه الطباع، لا يمكن، كما ذكرنا، تغييرها، إلا في أقل القليل وأصفر التفاصيل، لكنها تبقى متحكمة في النفس، وحيّة في الشخصية التي تحملها.

أمّا الشخصية، فهي أعم من تلك الطباع، إذ الطباع جبلّية. أما الشخصية، فمنها جبليّ ناشئ عن الطبع، ومنها مصنوعّ من البيئة والتربية معا. وسننظر في أثرهما فيما يأتي إن شاء الله.

أثر البيئة في الشخصية:

والبيئة التي أعنيها هنا، هي كلّ ما يتصل بالطفل الرضيع، ثم الصبي الناشئ، ثم الشاب اليافع فالرجل المكتمل الشخصية، سواء من الناس، أو الأشياء، أو مركباتهما.

ويمكن النظر فيها من ناحية التطور التاريخي، لا الأهمية بالضرورة، في البيئة المنزلية والأسرية، ثم البيئة المدرسية، ثم الجامعية، ثم العمل.

وقبل أن نأخذ في الحديث عن الأثر البيئي في بناء الشخصية، نود أن نشير إلى أن وصف الشخصية بالقوة أو الضعف، هو، مع كونه تعميم وتبسيط مخلٍ، في غالب الأحيان، لأبعاد الشخصية الإنسانية، وتركيبها المتشابك، إلا إنه ضروريّ لتعامل الناس فيما بين بعضهم البعض. والناس عادة ما تصبغ القوة على الشخصية التي لها "حضور" حيثما كان صاحبها.

و"الحضور" هنا يعني أن المحيطين بالرجل المقصود، يلاحظونه منذ الوهلة الأولى لسبب قد يخفى عن العين المبصرة، وإن لاحظته عين البصيرة.

وقد يتعدد سبب "الحضور" في مجلس ما. فإن العالم المتخصص في فرع معين من العلم، لا يحتاج إلى شخصية قوية لتلحظه الأعين، وتستمع له الآذان، وهذا حضور "مهني" Occupational leadership. وقد يكون الحضور بسبب رتبة أو موقع وظيفي، كرئيس مجلس إدارة أو جنرال، وهو حضور "رسمي" Position leadership، وغير ذلك من أسباب "الحضور". إلا إننا هنا لا نعني إلا "حضور الشخصية" غير المرتبط بعلاقات مبنية مسبقاً، بل هو حضور آنيّ، سواءً كان في جمعٍ سياسي أو اجتماعي أو علميّ.

البيئة العائلية:

والمقصود بالبيئة العائلية، التي تؤثر في بناء الشخصية، هي كلّ من، وما يحيط بالطفل، من بداية مرحلة إدراكه لمن ولما حوله إدراكا استيعابيا، وهو ما يمكن أن يبدأ بين الثانية والثالثة من العمر.

وبطبيعة الحال، فإن الوالدين هما أقرب الناس إلى الطفل. فهو يراهما على الدوام، خاصة الأم في السنوات القليلة الأولى. وتأثير الوالدين، ليس فقط عن طريق تصرفاتهما الفردية، وطباعهما الخاصة، لكن الأكثر أهمية هو شكل التعامل بينهما أولاً، ثم معاملة الإخوة والأخوات ثانياً، والذي يعطي الطفل أداته الأولى لتقييم

الغير. فهو يشاهد كيف يتحدثا في الغضب والرضى، وكيف يواجها الأحداث والأزمات، وإن لم يفهم طبيعتها، ثم ما طبيعة علاقتهما بالآخرين، بداية من دائرة العائلة المقرّبة، كالعم والخال، وأولادهما، إلى الأصدقاء ثم المعارف، وما طبيعة موضوعات حديثهما. وفي هذا يلحظ الطفل مدى الشدة أو اللين في الحديث أو المعاملة، ومدى الصدق والكذب في رسم تلك العلاقات، ومدى الفردية أو الاجتماعية التي تصبغ الطابع العائليّ عامة. حتى درجة ارتفاع الصوت أو خفضه في الحديث هو مما ينشأ عليه الطفل والصبيّ في وسطه العائليّ.

أمّا علاقة الآباء بالإخوة والأخوات فهي علاقة مفصلية بالنسبة للصبي، أكثر مما هي بالنسبة للأم، من حيث إن دور الأب في تشكيل الشخصية يفوق دورها كثيراً. فالطفل، ثم الصبي، يلحظ، ويتأثر كل التأثر، بأي فرق في التعامل، أو التمييز بين الإخوة. وعادة ما يعزو هذا إلى حب الوالدين لأحد الأبناء أكثر من الآخرين، لكنّ هذا الإحساس، في غالب الأحوال، يزول في مرحلة النضوج، حين تظهر له أبعاد الصورة العائلية كاملة مفهومة.

ونحن لا نقلل من دور الأم في تكوين شخصية أبنائها. لا، على الإطلاق. فالأم مثال لابنتها في تصرفاتها أكثر من الأب عادة، خاصة في فترة ما قبل المراهقة. فهي ترى أمها ترتدي حجاباً وتلتزم بالصلاة، وتهتم بشؤون الآخرين وتحاول مساعدة الغير، فينطبع كلّ هذا، إن وافق طبعها، في شخصية الصبية منذ صغرها.

أمّا الولد، فيلحظ أباه أكثر مما يلحظ أمه، في التصرفات، ويسمع له في الآراء والتوجهات. ومن ثمّ فإن كان الوالد شخصاً تافهاً فقير المعرفة قليل العلم، همه العمل والتلفاز، لم يسهم في تطوير ولده البتة، بل يصبح له أثر عكسيّ، قد يدمر حياة الولد، إن لم يهديه طبعه الأصليّ لوجهة مفيدة.

والوالد، حين يكون من أصحاب العلم الدنيوي أو الشرعيّ، أو ممن له ثقافة ومعرفة بالحياة من خلال اطلاعه على بعض التاريخ والسياسة والعلم الشرعي، قلّ أو كثر، فإن الإبن سيتأثر حتماً إن أتاح الوالد له فرصة التلقي عنه، وإجابة أسئلته واستفساراته. وكم هي عظيمة تلك المسؤولية، تقع على عاتق الأباء، في صياغة فكر الأبناء وشخصياتهم، وتوجيههم، بشرط أن يكونوا هم أولاً على علم صحيح، قلّ أو

كثر. وانظر إلى عبد الله لقمان في القرآن الكريم، كيف تحدث إلى ابنه وهو يعظه. آية من علو الهمة والشعور بالمسؤولية، وتوجيه لكافة الآباء بأن يحذوا حذو لقمان عليه السلام.

والتوجيه يكون بالمحاورة، وبالمثال، وبالتصرف، كما يكون بشرح الغوامض من المواقف التي قد لا يُدرك الولد أبعادها، على حسب عمره.

وهذا الأثر البيئيّ العائليّ، يستمر مع المرء شاباً حتى تكتمل شخصيته، قوية أو ضعيفة، عالمة أو جاهلة، طيبة أو خبيثة.

إذن، فالبيت، أو الوسط العائليّ عامة، هو صاحب الأثر الأول والأهم في تكوين الشخصية. والأب هو الشخصية المحورية في هذا الوسط كله. وعلى دربه، هو والأم، يكون هذا الوسط في تراحم لا تزاحم، توادّ لا تضاد، أثرة لا إيثار.

ومن نافل القول هنا أن نشير إلى أنّ طبع الأب، لها تأثير مباشر على شخصية الأبناء. فالأب الصبور، أو الضجر، أو المتعجل، أو البطيء، صورة لأبنائه، يأخذون منها مثالاً، غالباً ما يواف طبعهم، إن توافقت جينات الأب والابن في هذا الصدد.

ونود أن نشير هنا إلى أنه فرق بين "التربية"، و"التعليم". فالتربية هي أساس تكوين الشخصية وتقويمها وتوجيهها. والتعليم هو تغذية الشخصية بالمادة اللازمة لممارسة دورها في الحياة، من خلال معطيات المعرفة البناءة. ولا شك أن التعليم أو "العلم" فيه عنصر التربية قائم ومؤثر كذلك، لكنه ليس الغرض الأساس الأصيل فيه. فكلّ مربٍ معلم، لكن ليس كلّ معلمٍ مربٍ.

البيئة المدرسية:

والبيئات المختلفة المؤثرة في الشخصية تتداخل فيما بينها، خاصة بعد عمر السابعة على وجه التقريب، حين يبدأ الصبيّ في الخروج من الدائرة الأولى الأهم في حياته، بيته، الذي تكون فيه التربية هي الهمّ الأول، إلى المدّرسة التي تقوم بدور التعليم، وإن أثّرت من خلال التداخل الشخصي بين الصبيّ وبين معلميه، وبين زملائه وأقرانه.

والتعليم، هو عملية بناء العقل، وتطوير المنطق، وإقامة التصور، ومن ثم إعطاء الشخصية الأدوات اللازمة للتصرف، حسب مزاجها وتكوينها. وضعف التعليم، يعني نقص في قدرة الشخصية على العطاء، في أيّ مجالٍ كان.

والصبيّ، في بداية مرحلة تعليمه، يحتاج إلى التوجيه، من البيت خاصة، ومن المعلم، إن كان ممن يحسن فهم دوره في حياة المتعلمين الصغار. ولا أقصد التوجيه بمعنى المساعدة على أداء الواجبات المدرسية. بل أعنى الإعانة على فهم الوسط الاجتماعيّ التعليمي الجديد، والتعامل مع أفراده، سواء من المعلمين أو الأقران. والصبيّ، في بدايةٍ هذه المرحلة، لا يعرف ردود الأفعال الملائمة للمواقف المختلفة. فالوسط المدرسيّ، ليس كالوسط العائلي، حيث الحماية والرعاية هي الهدف الأول. بل، العكس في الوسط المدرسيّ، يبدأ الصبيّ في التعامل مع وسط الأصل فيه التحدي والشقاق والغلبة للأقوى. وهي نقلة كبيرة في حياة الصبيّ، لاً يجب أن يستهان بأثرها على شخصيته، أو عدم الاهتمام بتقييمها وتقويمها.

وهناك عوامل كثيرة، يجب اعتبارها في البيئة المدرسية، من حيث أثرها على تكوين شخصية الصبي البادئ في تلك المرحلة. تبدأ من مدى تفهم المعلمين لدورهم الخطير في هذا الأمر، للمادة التي تدرس للصبي، ذكراً أو أنثى، مع مراعاة الاختلاف بين الجنسين، وهو أمر لم ينتبه له الوسط التعليمي على الإطلاق! فالمناهج الدراسية واحدة للجنسين. وقد يصلح هذا في كثيرٍ من المواد، مثل المواد العلمية والرياضية، لكن من اللازم الحتم أن يكون هناكً فرق في المادة التعليمية حين يتعلق الأمر بالعلوم الإنسانية. فتكوين العقلية يختلفٍ بشكل حاسمٍ بين الذكر والأنثى. وهذا الفارق يبدأ من مرحلة الصبا المبكّر. فإن لم تعتبر هذه الفروق، ظهرت عيوب وانحرافات كثيرة خطيرة في الشخصية، الذكرية والأنثوية. واحتياجات الذكر والأنثى في مراحل تكوين الشخصية، تختلف بالكامل عن بعضها، في اعتبارات كثيرة، تحتاج لدراسة مستقلة، تركّز على الشخصية الذكرية والأنثوية، وما يجعل كليهما يتألق ويتحّصل على أكمل طاقات الشخصية.

ولا شك أن عقيدة مجتمع ما تؤثر على منهجية تنشئة أبنائه، إذ ترى في الغرب كيف إنهم يسمحون للشذوذات، من كل لون ونوع، أن تظهر نفسها وتعيش في حامليها وتنتشر فيمن حولهم، ويعتبرون أن نقضها أو محاولة تعديلها تعدٍ على تطور الشخصية

الطبيعيّ! ثم ينطلقون في هذا من زاوية حرية الاختيار، حتى لو كانت هدامة للفرد وللمجتمع! ومثال ذلك تشجيعهم الصبيان أو الصبايا أن يظهروا ميولهم لنفس الجنس بطريقة عادية، ويعاقبون من يردعهم، حتى لو كانوا أولياء أمورهم، فإن مفهوم "ولي الأمر" في الغرب قد تبدل وانقلب رأساً على عقب في القرن الماضي.

وترى من هذا، أن هذه التصرفات هي تصرفات جماعية أو مجتمعية، يتآلف ويتحالف عليها المجتمع كلّه، ولو رفضها كثير من أفراده، بشكل منفرد. وبأنها، بل هي، مؤامرة على البشر، لمحو آخر ما تبقى من مظاهر الفطرة السليمة السوية في الناشئين. وهذا كلّه يأخذ دوره في الطور المدرسيّ، ويمثّل أثراً حاسماً على تفكير الصبية، ذكوراً وإناثاً.

وهناك جوانب لا حصر لها، تتعلق بالمعلم/المعلمة، وبالطالب الناشئ، وبالمناهج الدراسية، وبالوعي العام التربويّ، في البيئة المدرسية، ما يلزم النظر فيه بتفحص وتدقيق، إزالة آثار جاهلية عميقة الجذور، ضربت أبناءنا بمفاهيم فاسدة وتصورات خاطئة، وزينتها بحلو الكلام ومؤثرات الأفلام!

ومثال من ذلك، كذلك، ما تراه من عملية تهجين كامل للمجتمع، باسم المدنية والتحضّر في التعامل! فالمرء، الغربيّ لا يجرأ على أن يسأل طبيبه تفاصيلاً أو يستفهم عن دواءٍ أو علاج قد يراه مناسب لسبب ما، إلا أقل القليل، إذ أوهموا الأجيال إن هذا ضد احترام المهنية، وتقدير دور المتخصص! وهكذا في كلّ حقل من حقول التعامل في المجتمع، باسم التمدّن. ونحن لا ننظر أنّ التخصص له الكلمة الأخيرة والقول الفصل في المسائل المتعلقة بتخصصه، لكني أشير إلى الناحية النفسية التي تقيّد المرء وتجعل سؤاله خروجاً عن العرف والأدب واللياقة!

ولهذا تجد هذه المجتمعات، رغم نظامها واستسلامها للنظم الموضوعة "systems"، قد تدجّنت بالكامل، وأصبح النظام system سيداً لا مستخدماً. وهذا كله ما تعمل البيئة المدرسية على زراعته في نفسية الطفل، وهو "سيادة النظام" والإيمان بعدله المطلق ونزاهته الكاملة وتحكمه الشامل.

مكونات الشخصية وأنماطها

كما أسلفنا من قبل، فإننا نرى أن الشخصية الإنسانية يصعب حصرها في إطار واحد يغطي كلّ جوانبها. وهو ما وصلت إليه الدراسات الغربية مؤخراً كذلك، رغم وضوحه. وقد انتهت هذه الدراسات إلى اعتبار مؤشرات خمسة رئيسة، تدلّ على الشخصية الإنسانية:

(١) الانفتاحية: وهي مؤشر يعني مدى انفتاح المرء على من حوله، من سريّة وخصوصية تامة إلى انفتاح وشفافية كاملة مع الآخرين.

(٢) إدراك الذات: وهو مؤشر يعني مدى فهم المرء لذاته، ومكانه في البيئة المحيطة، وما يدور حوله من أحداث من جوانب عدة، وفي مستويات كثيرة ودوره، سلباً أو إيجاباً.

(٣) الاجتماعية: وهو مؤشر يعني مدى حرص المرء على الاختلاط بالغيرِ وشعوره بالراحة في وجود الآخرين، ولعبه دوراً محوريا في التجمع المدنيّ ولو صَغُر، بين مرحبٍ بالخلطة والتجاوب على الدوام وبين محب العزلة والتفرد.

(٤) التوافقية: وهو مؤشر على مدى استعداد المرء لتقبل آراء الآخر والموافقة عليها أو مخالفتها، بين موافق على الدوام، وبين مخالف على الدوام.

(٥) التردد/التوتر النفسيّ: وهو مؤشر على مدى استقرار الحالة العصبية للمرء، بين قلق واطمئنان، بين تعصّب وانضباط، بين انفعال وهدوء .. وهلم جرا. فهو مؤشر عقليّ عصبيّ نفسي. ولعله الأبرز، وإن لم يكن الأهم في هذه المؤشرات.

وأول ما نلحظ هنا هو أنّ هذه كلها "مؤشرات" وليست "تعريفات" أو "حدود". وإن كنا نرتضي، لو حكم الأمر، أن نضع تعريفاً للشخصية بأنها "كيفية إدراك المرء وتصرفه في المواقف المختلفة".

لكن هذه المؤشرات الخمسة لا تحيط بجوانب الشخصية بكاملها كما أشرنا، وإن كانت

تعطي انطباعاً جيداً عن الشخص، وردود أفعاله، داخليا وخارجياً.

وقد جرت محاولات في المجال السيكولوجي أو علم النفس، قسّم فيها العلماء الشخصية بطريقة ثنائية، في محاولات لوضع حدّ أو تعريف لها.

فمثلاً، اقترحوا أنّ الشخصية الإنسانية تنقسم إلى نوعيّ ألف وباء (Type A and Type B).

وصاحب الشخصية من طابع "أ" Type A، تراه يسجّل أرقاماً منخفضة أو عالية في مؤشرات معينة من الخمسة السابقة. فهو يسجل رقماً منخفضاً في المؤشر الأول (الانفتاحية)، وعالياً في الثاني (إدراك الذات)، ومنخفضاً في الثالث (الاجتماعية)، ومنخفضاً في المؤشر الرابع (التوافقية)، ورقما عالياً في المؤشر الأخير (التردد العصيب أو النفسيّ). وصاحب الشخصية من طابع "ب" Type B، يسجل عكس ذلك، على درجاتٍ متفاوتة.

لكن هذا لا يمنع من قول أنّ هذا التقسيم ليس حداً جامعاً مانعاً بطبيعة الحال، بل هو وصف للشخصية وليس تعريفاً لها.

وقد ارتبطت مؤشرات الشخصية من نمط "أ" A، بقوة الشخصية وعكسها نمط "ب" B بضعفها. وهذا أمرٌ غير صحيح على إطلاقه. بل إنه يجب اعتبار نمط الشخصية في ضوء كافة مؤشراتها، إذ القوة والضعف يتراءيان من مناظير مختلفة حسب الموقف الحاضر، والبيئة التي تتعامل فيها الشخصية. وهو بعد يجب اعتباره في تحديد نوع الشخصية ونمطها. وقد شمل بحثي في الدكتوراه الأنماط المختلفة للشخصية حسب بيئاتها وملاءمتها لدورها في تلك البيئة. لكن هذا موضوع يتسع الكلام فيه من وراء غرض هذا المقال[١].

---

[١] وقد أصدرت أوراقا وبحوثا نُشرت في دوريات علمية منها:

International Journal of Project Management 1998, UK and King Saud University Academic periodical of Enginerring 1994

تغطي موضوع الشخصية القيادية وصفاتها وطباعها، ألزمني بدراسة موسّعة للجانب السيكولوجي من

النظرة العكسية لتطور الشخصية

وقد أشرت إلى موضوع أنماط الشخصية توسّلاً إلى محاولة إيجاد صلة، ولو بعيدة، تصل ما بين تاريخ بناء الشخصية وعوامله، وبين نمط الشخصية التي تجسّدت في شخصٍ ما، بعد تمام نشأته.

ولا شكّ أن عملية بناء الشخصية ترتبط ارتباطا أساسيا، وان لم يكن متطابقاً تماما، مع الزمن الذي يعيش فيه الناس، أي تختلف مع الظروف الزمانية والمكانية للمجتمعات. ولكن من المفيد دراسة تاريخ النشأة لتفهّم الشخصية المحورية، ومعرفة مصادر نموها وتوجهاتها. ففي بعض الأحيان، يكون دافع التصرف خاف حتى على صاحبه، ويكون معرفة تاريخ عملية بناء شخصيته مفتاح لفهم نفسه وفهم غيره له.

فهناك ثوابتٌ لا تتغير في عملية بناء الشخصية. منها الطباع الخاصة بالفرد، وهي غالبا ما تكون خصوصية لا تتأثر إلا بما هو من جبلتها الأصلية.

وهناك عوامل بيئية، كما ذكرنا قد تؤثر سالباً أو موجباً، على الشخصية، فتحرف بعض جوانبها، أو تقيمها سوية قدر الإمكان.

بناء الشخصية في العصر الحاضر

لا شك أنّ عوامل بناء الشخصية ترتبط بالزمان والمكان، الذي يرتبط بالتكوين البيئي والنظام الأسري. إذ كلّ عصر له ارتباطاته الأسرية، وعوامل بناء أسريّ، وسيطرة الأب على بيته، ودور الأم في بيتها، كلها عوامل تختلف اختلافاً حاسماً بين بيئة وأخرى، وبين زمن وزمن، وبين ثقافة وثقافة، إلى حدّ التناقض في بعض الأمور والأحيان.

وما يهمنا هنا، هو البيئة التي نسعى حافدين لتكون محضناً لأبنائنا، فننشأ شخصيات متزنة الطبع، غاضبة لله، طاهرة النفس، نقية السريرة، حانية على الأهل، ولية للمؤمنين، شديدة على الكفر والكافرين، قوية في العمل، رجّاعة للحق إن أخطأت،

طبيعة الشخصية.

مسارعة في الخيرات إن تمكنت.

ولنصل إلى هذا، أو قريباً منه، يجب أن ننظر إلى كلّ عامل من العوامل التي تساهم في إنشاء الشخصية كما ناقشناها.

شخصية الأب وتصرفاته

كما أسلفنا، فإن الأب هو العامل الأول، بعد الطباع الجبليّة، في تكوين شخصية أبنائه، خاصة الصبية منهم، لعوامل بيولوجية ونفسية بالطبع. ومن ثم، فإن النظر في الشخصية الأبوية، وما يجب أن تكون عليه، هو مفتاح النظر في أمرنا هذا الذي أخذنا فيه.

والأب، رجل متعدد المهام والواجبات، إذ هو أبُ وهو زوجٌ وهو أخٌ وهو ابنٌ، وهو صديق، وهو زميل، وهو عامل لكسب قوت. وقبل كلّ ذلك، فإن له طباعه الخاصة، وشخصيته المستقلة. ثم فوق كلّ ذلك هو صاحب نظر خاص ورؤية معينة، يقيّم بها دوره في كل مهمة من المهمات الموكولة إليه، في مرتبتها.

ولأننا بصددِ الحديثِ عن دور الأب، فسنجعل همّنا هنا النظر في جوانب الشخصية التي تُنشأ وتُوجّه وتربي.

ولا بد قبل أن نضع بعض النقاط المتعلقة بهذا الأمر أن نشير إلى أنّ الطفل الصغير، منذ شهوره الأولى، وهو متلقٍ للعلم، بصورة أو بأخرى، بدليل تعلمه للغة. فهو، وع علم اللغة، يلتقط كثيراً مما يدور حوله، من صور للتعاملات والتصرفات، خاصة من أبيه، وإن كان ذلك قد يبدأ في السنوات الأولى، لا الشهور الأولى. ومن ثمّ، لا يجب الاستهانة بالتصرف المسيء بحجة أنّ الولد لا يزال صغيراً لا يدرك!

ومن أوصاف الشخصية، أو من تصرفات الأب التي تنبني على شخصيته، والتي نعتبرها صالحة لتنشئة الجيل القادم، على أفضل مما نحن عليه، أن يتصف الوالد بما يلي، قدر المستطاع، فإنه لا كمال في الخلق والشخصية إلا لرسولنا ﷺ:

١. تقوى الله سبحانه: ما استطاع المرء لِذلك سبيلاً، بأداء الصلوات، وتلاوة القرآن في البيت. فإن هذا مما يرقبه الطفل ويزرع بذرةً في نفسه، لا تنتقض على الأغلب. ومن الواجب أن يكون ذلك قريب من مكان جلوس الابن ليرى حركات أبيه وتلفظه بالقرآن.

٢. الإقلال من لهو الحديث: ومن إضاعة الوقت في المناقشات والجدل، فالطفل يستفيد من كلّ ما يرى، فهو كالإسفنجة في هذا العمر، يمتص ما يرى، سواء من المعلومات، أو التصرفات، بشكلٍ دقيقٍ عميق.

٣. مراعاة الهدوء في الحديث وخفض الصوت ما أمكن: فإن هذا مما ينطبع في تصرف الطفل، فإن عارضه طبعه الأصليّ، فإنه لا يجد فيه غضاضة ولا ينكره على غيره، وفي هذا ما فيه من قلة النهي عن المنكر.

٤. عدم الشجار وإظهار الشقاق مع الأم أو الأكبر من الأبناء أمام الطفل الناشئ: فإن ذلك يؤثر سلباً على اتزانه النفسيّ، ويزيد من توتره العصبيّ الذي أشرنا إليه مسبقا كمؤشرٍ على الشخصية، فيصبح مهزوزاً، مفزوعاً، غير متوازن في ردود أفعاله. والواجبُ، عزل الطفل عن أي شجارٍ أو جدل غير محكوم بحكمة في الحديث، وبالأخص، عدم التلفظ بألفاظ مسيئة أيّا كان نوعها، ولأيّ سببٍ كان، فإن هذا مما يجعل الطفل معتاداً على مثلٍ تلك الألفاظ أولا، وعلى سهولة استخدامها وهو الأهم.

٥. التحاور وشرح المسائل التي تعرض للطفل، أو الصبيّ حسب عُمره: فإن من ميزة الطفل الناشئ الشغف بالمعرفة، وكثرة التساؤل، في كلّ أمرٍ يعرض له. وكيف لا، وهو صفحة بيضاء يراد بها أن تمتلئ بما يشفي ولعها بالمعرفة. فالواجب أن يصبر الوالد على أسئلة الطفل أو الصبيّ، فإنه مما رأينا عدم صبر الوالدين، ونهر الطفل عن زيادة التساؤل للشعور بالضيق أو للاشتغال بأمرٍ آخر، وهذا الانهيار خطأ معيب، بل يمكن أن يطلب من الصبيّ الانتظار برهة أو برهات، حتى يفرغ له الوالد إن كان مشغولاً حقاً، ثم يعود إليه، ولا ينسى، ما أمكن، من حيث إن ذلك يثبت الثقة في نفس الصبيّ بوالده وبتصرفاته.

٠٦ الابتداء بشرح بعض المسائل التي تختص بالدين وبداية الحياة، ثم التدرج لبعض حكمها، مع تقدم الصبيّ في العمر، بأبسط طريقة ممكنة. وهذا الأمر بالغ الأهمية، إذ يستمر الصبيّ في التلقي حتى طور الشباب، وحين ينتقل إلى البيئة المدرسية، إذ حينها تتشابك أمامه مشكلات الحياة، ويبدأ في الحاجة الملحة لفك طلاسمها، وفهم حكمها والاستفادة من تجاربها

٠٧ وعبرها. وهذا لا يكون إلا بتوجيه وشرحٍ وبيانٍ من الوالد خاصة، يعتني فيه بذكر المسألة، ثم بيان أصلها، ثم معانيها وما تدل عليه، ثم كيفية تكوين رأي فيها وتقييمها، ثم الحكم عليها أو إبداء الرأي الحاسم الحق فيها. ولا يجب القفز فوق هذه الخطوات، بل يجب أن يكون تناول هذا الأمر منطقياً متسلسلا لا خرق فيه، من حيث إن الصبيّ أو الشاب الصغير، يرى ضعف الاستدلال، وعدم ظهور العبرة وإن لم يجرأ على المصارحة بذلك، فتترك في نفسه فجوة قد تدوم دوام عمره.

٠٨ صدق الوعد واحترام الكلمة: وهي خليقة يجب التمسك بها في كلّ شأن من الشؤون، وإظهارها وتنبيه الطفل الناشئ عليها، من حيث تولّد الشعور بالمسؤولية واحساس الرجولة. ومها تجنب الكذب في أيّ موضع والتعبير عن ذلك لفظاً، أنّ الكذب خليقة شيطانية سيئة لا ينتج عنه إلا الخيبة، ولا ينتج إلا عن الضعف. وهذا يكون في الأقوال والأفعال جميعاً. فإن اضطر الأب لتغيير خططه، فليشرح ذلك، ويبيّن سببه لأبنائه، معلّلاً ومبيناً للسبب، لا مستهتراً وكأن الأبناء لا قيمة له ولا رأي. فالأمر ليس أمر تنفيذ قرار، بل هو شرح لقرار، ليحفظ ثقة أبنائه أولاً، ويعتبروا من صدق الوعد ثانياً، ويتفهموا أن الأمور قد لا تجري على ما خططنا لها لأسباب معينة ثالثاً، وكلها نقاط هامة ومحطات خلقية وفكرية تساهم في بناء الشخصية.

٠٩ الحفز على فنّ القراءة، سواء بالمثال، أن لا يصرف الأب جلّ وقته أمام التلفاز مثلاً، يشاهد توافه البرامج، بل يعمل على تكوين مكتبة، ولو صغيرة، في بيته، ويشجّع الأبناء على المشاركة في اختيار كتبها، حسب أعمارهم، بل وأن يكون لكلٍّ مكتبته الخاصة، يتسابق في ملئ رفوفها بما يحب. وعلى الأب أن يصرف وقتا في القراءة أمام أولاده، ليكون مثالاً لهم في هذا التوجّه.

١٠. ملاحظة، ثم مراعاة ما يرى الآباء من نقاط تفوّق، هي عادة تكون راسخة في طباع الولد، فيحفزه عليها، مثل ملكة الحفظ، التي يمكن للأب أن يوجّه ابنه إلى حفظ القرآن أو الحديث للاستفادة منها على أحسن وجه.

١١. توجيه الأبناء، في المرحلة المبكرة من العمر إلى ما قد يشذ من طبعٍ أو ينبو من خُلُق. فإن الناشئ كالبذرة النامية، في أول خروجها من الأرض، تحتاج إلى مسندين يقيمونها ويقوّمونها في وجه الريح، حتى يقوى عودها وتستقيم على الطريق، عالية معتدلة. وهذه المرحلة يجب أن تكون مبكرة في عمر الأبناء، حيث إن معظم معالم الشخصية، يتكون ويثبت في ذات المرء أبكر مما نقدّر له. والشخصية قد ينتهي تكوينها الأساسي ببلوغ الحادية عشر أو الثانية عشر، خلاف تراكم المعلومات وفهم الحقائق، فإن هذا يستمر ردحا طويلاً من الزمن، فلا يصح الخلط بينهما. وتراكم المعلومات وفهم الحقائق، رغم أنه يتنزّل على الشخصية، ويتقولب بقالبها، وقلّما، في النادر، ما يغيّر من طبيعتها الأصلية.

١٢. الحسم في الأمور، وعدم التراجع في القرارات، إلا إن ظهر خطأ القرار، وساعتها يجب على الأب أن يشرح سبب التراجع، مبيّنا أن الرجوع إلى الحق قوة لا ضعفاً، فإن في غير ذلك زعزعة ثقة الأبناء في أبيهم، وتعودهم على صفة التردد وعدم الحسم، وي من أسوأ الصفات التي يمكن أن تتسم بها شخصية المرء، أو الرجل عامة في أيّ من أدواره وأطواره.

ثم هناك أمران، من العادات المكتسبات، في تصرفات الآباء وعاداتهم، يجب أن نشير إليهما، لأهميتهما القصوى في تربية شخصية الأبناء.

أولاً: ربط الطفل بالمسجد، وهو ما لا يكون إلا إن كان الأب متعوداً على الذهاب للمسجد، بشكلٍ منتظم أو متقارب. ونحن هنا لا نقصد إلى بناء شخصية قادرة على الفوز في الدنيا والتفوق في صناعة المال فحسب، بل نحن في صدد بناء شخصية يكون همّها الأول هو رضاء الله سبحانه، فتنمو واعية بوحدانيته وتتحقق بمعانيها، وتتقوّى بالعزة بربها ودينها، وتكون سطوة الإسلام في قلبها هي الغالبة، فتعمل لله، وتتعلم لله وترعى أهلها وتنشأ أبناءها لله، وتكون الدعوة مبتغاها، بأي طريق تيسر لها حسب طبائعها ونشأتها، وكلٌّ ميَسّرٌ لما خُلق له.

والثاني هو المبادرة بالإيضاح لمسائل يعلم المرء إنها قد تُشكل على ولده، أو تكون من رزايا البيئة المدرسية التي يستمع فيها لشبهات كثيرة، مغرضة أو غير مغرضة، سواء في ذلك. والأب في هذه المرحلة، يكون معلّماً وموجّها ومربياً، إذ عليه أولاً أن يحفز ولده على ألا يهاب سؤاله عما يعرض له من شبهات، ثم أن يفنّد شبهات الباطل بطريق علميّ شرعيّ وعقليّ، يتمشى مع الحاضر ووسائله وما استحدث فيه من نظريات، وما ثبت منها من حقائق وما لم يثبت. وهذا الأمر هو ما نرى غالب الآباء غير موفقين فيه لقلة اهتمامهم بالتعلم ابتداءً، فتأتي استشهاداتهم ضعيفة، مردود عليها، في غير محلها، فإذا الأب محجوج لا حاجّ، وإذا الولد فريسة في يد الشبهات، لا يعلم منها مفراً.

فمسؤولية الأب الأولى هي أن يتعلم بذاته، علماً يقدر به على أن يصد عوادي الشبهات عن أبنائه، وأن يصرف وقته في إيضاح ما استغلق وإحكام ما اشتبه في عقل ولده. وذلك، بطبيعة الحال، على قدر ما يمكنه من ذلك، فإن من الناس من لا يقدر على علم إلا النذر اليسير. وفي هذا الحال، عليه أن يوجّه ابنه إلى من يمكنه أن يزيل عنه الشبهات، سواءً شيخاً أو مثقفاً صاحب دينٍ وخلق، يطمئن إليه.

دور الأم في بناء الشخصية:

وكما قال شوقي بحق:

الأم مدرسةٌ إذا أعددتها ** أعددت شعباً طيب الأعراق

وهو من أصدق ما قيل في هذا الباب. فإن دور الأم غاية في الأهمية، خاصة في السنوات الأولى من عمر الطفل أو الصبيّ، ذكراً كان أو أنثى.

فالأم هي الوجه الأول الذي يراه الوليد في دنياه، يرى فيه الحنان والعطف والرحمة والحب والرعاية متجسدة في صورة أمه، لا يكاد يرى غيرها. وهنالك تنشأ فيه روح تقدير الإحسان، والوفاء لمن يطعم ويسقي. فحب الأم لأبنائها لا شغب عليه، وإن كان من لون يختلف عن حبّ الأب لهم، فلكلّ طور ودور.

والنساء بطبعهن الجبليّ، يقدمن العاطفة على العقل والشعور على المنطق، في كلّ حالة وحال. هذا ما أثبتته تجربة عشرة آلاف عام من تاريخ الجنس البشريّ، وأكدته الأبحاث السيكولوجية الحديثة، فلا معنى للمحاورة فيه.

وهذا الطبع، لا يعني تقرير حقيقة واقعة، دون تقييم أو تفضيل، أو حساسية. فكما ذكرنا، لكلّ من الجنسين دور معلوم مرسوم محدود، مجبول على خلائق معينة تتفاوت بين الأفرادً بلا شك، ولكنها تجتمع في الجنس والنوع على أمور متقاربة في كلِ جنس.

والمرأة، بطبعها كذلك، وتمشياً مع طبعها الذي ذكرنا، تحب الاجتماع، وتفضل مخالطة الناس. وهذا الكبع الاجتماعيّ لازم ليكون توطئة للقرب من وليدها، وحبها لملازمته على الدوام، وقدرتها على ذلك دون الأب.

وأما الرجل، فإن في طبعه الفطريّ الجبلي حب الأدوات والآلات، وهو ما تأكد منذ أيام رجال الكهوف، الذين صنعوا أول رماح وخناجر للصيد، بينما كانت نسائهم يرضعن أطفالهن، كما هو مفروض معهود. وقد رأينا مصداق هذا في عصرنا الحديث. فالرجل يعشق سيارته! وحاسوبه ومحموله، ويفضّل مجالستهم والتمتع باستخدامهم أكثر من أيّ شيء آخر! خلافاً للنساء، اللاتي يفضلن الجلوس مع الصاحبات والقريبات، في حديث أبعد ما يكون عن السيارات والحواسيب.

فشخصية الأم، كامرأة، تختلف تمام الاختلاف عن شخصية الرجل. ومن هنا يختلف دورها في تنشئة الوليد عن دور الأب بشكلٍ حاسم.

وشخصية الأم هي الواجهة الأولى التي يواجهها الوَليد في حياته، لذلك فإن اسمها "أُمّ" أي تؤم وتتقدم. ومن هنا فإن جوانب شخصيتها يجب أن تكون منضبطة ومتناغمة مع شخصية الأب، كلٌّ في مجاله، لصالح الناشئة، إذ لا الأب يمكنه تقديم ما تقدّم الأمة لأبنائها، ولا الأم بقادرة على أن تقدّم لأبنائها ما يقدمه لهم أباءهم.

ومما أرى أنّ شخصية الأم الصالحة تستحوذ على:

١. التقوى: ورعاية حقّ الله في تصرفاتها، وتحمل مسؤولياتها، وأن يكون القرآن والسنة هاديها، والحكم لها عند الخلاف والشقاق مع زوجها.

٢. المثابرة: وهو خلقٌ لازمٌ في طبع الأم الصالحة، إذ إن واجبات الأم لا تقف عند حد في زمان أو مكان، إذ تسهر بالليل بجانب طفلها، وتتحمل ألم الإرضاع ومشقة المتابعةً المستمرةً بعينٍ لا تغفل، حرصاً على سلامة الوليد، وعلى حسن صحته وحمايته مما يؤذيه.

٣. الحنان: وهو أمرٌ يتجاوز القيام بالواجبات تجاه الأبناء. وهو ما نشاهده في كثير من أمهات العرب، الذين انتكست فطرهم، وتغيرت طباعهم، مع تآمر قرون من التخريب المتعمد لطبائع الأنثى السوية، التي تنشأ أماً حانية مشفقة تضحي بكلٍّ شئ في سبيل وليدها.

٤. الرضا: ودور الأم في البيت، خلاف الأب ودوره في الخارج، لا ينفصل عن دورها كزوجة. إذ هي تشارك الأب في تهيئة مناخ معتدل المزاج، يعيش فيه الوليد، ثم الطفل ثم الصبي، مطمئن البال، غير متزعزع النفس أو مرتعب القلب، يرى صراعاً دائماً بين أمه وأبيه، فيستقر في شخصيته ولا وعيه أنّ الدنيا قائمة على الصراع والصراخ، والنزاع والشقاق، وأنّ البشر أعداءٌ بعضهم لبعض، إذ إن الأم والأب هما البشر كلهم بالنسبة للوليد. وهذا أخطر ما يكون في مرحلة تكوين الشخصية. ورضا الأم، وقناعتها هو صمام أمنٍ للطفل، يقيه زوابع الدنيا، إلى حين!

٥. حسّ النظافة والترتيب: وهذا الأمر، عن تجربة شخصية، بالغ الأهمية في تكوين شخصية الوليد، بل وفي توجيه طباعه ثم تصرفاته. إذ الأم المنظمة النظيفة، تُنشأ في عقل وليدها الذي يرقبها في كلّ لحظة، نفس الحسّ، بينما الأم المهملة المبعثرة الشخصية، تترك انطباعا لا يمّحي في شخصية وليدها، يلازمه طوال حياته.

٦. الفهم والمنطقية: في مقابل الشعور والعاطفية: وهو أمرٌ نعلمُ أنه قد يكون مخالفاً للجبلّة الأصلية للمرأة في بعض جوانبه، لكن هناك مستويات ومناح عقلية يمكن أن تتميّز فيها المرأة وتُحسنها، إذ ليس كلّ العقل والمنطق دائر في مجالٍ واحدٍ. فعقل المرأة يدفعها إلى حسن التصرف في الأزمات، ودعم الأسرة معنوياً في

الملمات، وهو ما يعين الولد على تقدير دور العمل الجماعيّ، الذي تُعتبر البيئة الأسرية أول شكلٍ منه، ومستوى فيه، ومثال عليه.

٠٧ التواضع، والصدق واستقامة اللسان والعلم بمكارم الأخلاق، إذ كلّها مما يلاحظه الطفل الناشئ، وإن اعتقدنا غير ذلك، ويرسّخ في نفسه، ويكوّن جانباً من شخصيته، خاصة حين يكون ممن يلازمه ليلاً ونهاراً، في سنواته الأولى، التي تترسّخ فيها معالم شخصيته، وتستقر عناصر جبلته.

٠٨ الشغف بالمعرفة: وهي ضرورة يحتاجها الطفل والصبيّ، من حيث إن مصدره الأول والأساس في تلقيه اللغة، وسماعه للقصص والحكايات، واستماعه للحوادث والروايات، هو ما تلقيه الأمّ في سمعه، وما يتلقاه في روعه، سواء قصدت إليه أم لم تقصد. فإن كانت ممن لا يهتم إلا بتوافه الأمور وبالقيل والقال، فبئس ما سينشأ الطفل عليه. أمّا إن كانت ممن يحبّ الاطلاع، قدر المستطاع، فإنّ ذلك سينعكس على شخصية الطفل فيما يتلقاه سماعاً ومشافهة منها.

وأعرف إنّني لم أوفي الأمّ حقّها، في بيان دورها في حياة الأبناء، في سنواتهم الأولى، التي هي أهم سنوات العمر، حيث تتكون معالم الشخصية، كما ذكرنا، لكن ما ذكرت هنا هو بعض ما يجب أن تكون عليه الأمّ، جبلّة، وتراعيه تصرفاً، في تنشئة أبنائها.

دور المعلم في بناء شخصية الأبناء:

وبعد أن انتهينا، بشكل غاية في الاختصار، من الحديث عن بعض ما يتعلق بشخصية المؤثرين في البيئة العائلية للنشء، ننتقل مع الصبيّ من بيته إلى حيث يتلقى "العلم"، حسب المقصود بهذه الكلمة المطاطة اللزجة، والتي تتراوح معانيها اليوم بين طرفي العلم القليل، والجهل المطبق!

والمُعلّم يختلف عن المُرَبّي. لكن المعلّم الحق هو من يشمل الاسمين، ويحمل الصفتين، وإلا فإن في الكتب والشرائط متسعاً لكل طالب.

وصدق شوقي مرة أخري حيث قال:

قم للمعـــلّم وفِّهِ التبجيـــلا ** كاد المعلمُ أن يكون رســولا

أرأيت أفضل أو أجلّ من الذي ** يبني وينشأ أنفساً وعقــولا

وانظر يا رعاك الله إلى تفريقه بين تربية الأنفس والعقول، أي التربية والتعليم.

فالفرق بين الصفتين، هو أن المعلم يكتفي بنقل المعلومات وشرحها وإيضاح ما أُغلق منها على الصبيّ المتعلم. أمّا المعلِّم المربّي، حامل الصفتين، فهو من يفسّر ويسقط هذه المعلومات على واقع الحياة، ويلبسها تجارب الأمم والأفراد على السواء، ويستنبط للمتعلم فوائدها وما يحتاجه مها ليكون من المفلحين. والفارق جدّ كبير.

ومشكلتنا في هذا العصر خاصة، في توفر المعلمين، بله المعلمين المربيين!

ولبيان ذلك، أعود بالقارئ نيّفٍ وخمسين سنة، حين كنا، نحن الذين في عقدهم الثامن الآن، نحسب، ويحسب كبارنا وعلماؤنا ودعاتنا، من المهتمين بالإسلام وأحوال المسلمين، أننا "جيل الصحوة". ثم إذا بالأعوام تمرّ مسرعة الخطى كأنها على موعد مع قدرنا، فإذا بنا لسنا جيل الصحوة، ولا قريب منه! واذا بنا نرى الجيل اللاحًق لنا، فنأمل أن يكونوا هم جيل الصحوة، وهم من رأوا النور بين الستينيات والثمانينيات، لكن خاب أملنا مرة أخرى، وضاعت فرصة أخرى للصحوة. ثم جاء جيل التسعينيات، وهم اليوم الذين كانوا في عمرنا قبل أكثر من نصف قرن ... لكننا، ويا حسرتاه، لا نرى الأمل قائماً في هؤلاء الشباب والرجال، الذين هم في عمر أحفادنا اليوم!

وبين ذاك الجيل الوسيط، وهذا الجيل الجديد، نجد أن المعلمين، أو المدرسين، الذين تعتمد عليهم الأمة اليوم في تعليم وتربية نشئها الصغار، هم أنفسهم فاقدي للأهلية العلمية والتربوية، إلا من رحم ربيّ، وهم الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والعشرين والخمسين من العمر، ممن ولدوا في الفترة بين ١٩٧٠ و ١٩٩٥، على وجه التقريب بطبيعة الحال. وهي الفترة التي بانت فيها آثار السقوط التام بين مخالب الثقافة

الغربية، بعد أن أنشبت مخالبها في الجسد الإسلامي قرابة مائتي عام! هؤلاء هم معلمي وأساتذة أبنائنا. ولا نتحدث هنا على من ولوا وعاشوا في الغرب، فإن أولئك لهم الله، ثم البيئة العائلية، ولا غير ذلك أبداً.

لكنّا نطمح هنا إلى أن نتعرف على معالم شخصية المعلم المُربيّ، الذي نريد، أو نودّ أو نأمل أن يخرج من أصلاب هذا الجيل الحاليّ، إن أراد الله ذلك. فشخصية المعلم المربيّ تقوم على:

١. تقوى الله: وهي الثابت الأول في بناء كلّ شخصية سويّة يراد لها أن تسهم في إعادة بناء الأمة.

٢. الشغف بالعلم، على كافة ألوانه، ولو بقليل من كلّ بستان من بساتينه. فالعقل يعمل كوحدة واحدة، تتداخل فيه المعلومات، وتعمل الفطرة الجبليّة من خلال طبعها على أن ترتّب ثم تركّب الأفكار، وتربط العلوم بعضها ببعض، حيث ترى نقاط اتصالها، إذ هي كلها من خلق خالق واحد سبحانه. ولذلك ترى الأجرام والأفلاك والمجرات في اتساعها، صورة مكبّرة للخلايا الإنسانية، ولأنوية المادة عامة. كلها مرتبطة بذات القوانين. كذلك في المجتمعات الإنسانية، ترى أنّ القوانين التي تحكمها واحدة صارمة، لا تُجامل مسلماً ولا تحابي صالحاً. ويجرّ ذلك إلى متابعة ما يجدّ في مجال تخصصه خاصة، حتى يفيد طلابه، ولا يكون متخلفاً عن ركب التقدم، فقد تخلفت هذه الأمة بما يكفي أمماً عديدة!

٣. العقل التحليليّ، القادر على فكّ المسائل وتركيبها في أوضاعها المختلفة وأشكالها الممكنة.

٤. الملاحظة الدقيقة، وهي مرتبطة برهافة الحسّ وسرعة البديهة كذلك. وكلّها طبائع يحتاجها المعلم، ليؤدي المعلومة بطريق سويّ، ثم يلحظ من يحتاج إلى مزيد إيضاح دون إحراج، ثم يعرِض الجوانب المختلفة للفكرة أو المسألة، ليرفع الشبهات، ويزيل المعوّقات.

٥. الصبر والتأني، فإن فاقد الصبر لا يصح أن يكون معلّماً أو مربياً، خاصة

في مجال تنشئة الجيل الصغير. وفرق بين تعليم الأطفال والصبية، في مراحل تكوين شخصياتهم، وبين تعليم الشباب أو الرجال، لا محل لبحثه في موضوعنا هذا.

٦. القدرة على النظر في مآلات الأقوال والأفعال، فإن الخطأ مع الصغير، قد يصيبه بجرح نفسيّ قد لا يشفى منه، خلافاً للكبير.

٧. موهبة الإلقاء والشرح، وهي طبعٌ جبليّ، لكنه يكتمل بالاكتساب والمران، وملاحظة الخطأ وعدم الاستكبار على التوجيه.

٨. الثقة بالنفس، فإن المُتردد المهزوز، لا يقنع صبياً ولا طفلاً، بل يكون على العكس من ذلك، أداة لزرع التردد والاضطراب والخلل النفسيّ لدى من يجلس منهم جلسة المُعلّم.

٩. خلُقُ الشفقة والرحمة، التي لا يتعارض مع الحزم والشدة. فلكلٍ خُلة موضعها. إشفاق دون ضعف، وحزم دون صرامة. فمن اختل فيه الخُلقان، ضعفت قدرته على استيعاب المتعلم صغيراً أو كبيراً.

١٠. الاستقامة وصدق الكلمة، والبعد عن التحايل واللؤم. فكلها مما يشين المُعَلِّم.

ما المأمول من هذا المبحث؟

فما الحلّ؟ أين جيل الصحوة؟ أين جيل الاستبدال؟

الاستبدال هو حقٌ نراه واقعٌ لا محالة، إذ أثبتت تلك الأجيال، وأجيال قبلها، أنها غير جديرة بالتمكين. ووعد الله لا مردّ له "وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم" محمد ٣٨.

فكان حقاً علينا أن نسهُم، ولو بأقل الجهد، لرسم بعض معالم الطريق، التي خطّها القرآن، وبينتها السنة، ثم فصّلها وأنزلها على الواقع علماء الأمة وجهابذتها. فإن هذا الجيل، الذي لا يعلم إلا الله متى يحين حينه، يجب أن يتحلى بصفاتٍ خاصة

وشخصيات مميّزة. ولن يكون هذا أبداً إلا بتنشئة صحيحة، وهي تبدأ بتربية الجيل القادم من الآباء والأمهات والمعلمين، تربية تضمن أن يخرج من بين أيديهم جيل الاستبدال الموعود.

فالطريق، إذا، طويلٌ، شاقٌ، يحتاج إلى صبرٍ ومثابرة وهمة وعمل بلا كلل، ليتم هذا الغرض، في يوم ما.

لكن الخيار مفقود، والطريق واحد، لا ثاني له ...

والله وليّ التوفيق وعليه التكلان

د طارق عبد الحليم

٢٠ يونية ٢٠٢٠ - ٢٨ شوال ١٤٤١



الأحياء حقا .. والأموات حقا...

صدق الشاعر حيث يقول:

الناس صنفان موتي في حياتهم ** وآخرون ببطن الأرض أحياء

أما الأحياء فهم من شهد لهم الله سبحانه بذلك حيث قال: " وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ". الذين قدموا حياتهم فداء لقضيتهم، الألف شهيد ويزيد في غزة الصامدة، ومثلهم من ينتظر، يقاتل وهو يعلم ان يوم لقاء الله قريب، مهما بعد، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، وما بدلوا تبديلا.

أما الموتى حقاً، فهم الذين تمالؤا وتآمروا على هذه الفاجعة وأحكموا الحصار على المسلمين ومنعوا عنهم الغذاء والدواء، ولا عليك بالسلاح فهؤلاء الموتى لا يتضمن قاموسهم اللغوي هذه الكلمة ابتداء، والذين صمتوا صمت القبور على هذه الفواجع الدامية التي رمت بها يد الصهيونية والصليبية أرض الإسلام عن قوس واحدة. هم الذين صرحوا بأنه لا مجال لإسلام يتاخم حدودهم، ويقض مضاجعهم، فهم ليسوا منه في شيء وهو ليس منهم في شيء، فقد كفر كلّ منهما بالأخر.

الموتى حقا هم الذين تفرقوا شيعاً حتى في عقد لقاء يعرف الناس سلفاً أنه لن يتمخض عن شيء ولا حتى كلمات المواساة إذ قد تعكس تعاطفاً وتقارباً مع المسلمين مما قد يثير غضب السادة الصهاينة والصليبيين، وما أدراك ما غضب السادة الصهاينة والصليبيين، هو أكبر عندهم من غضب الله وأبعد أثراً، في دينهم الذي يدينون به، على دنياهم وكراسيّهم وعروشهم. الموتى حقا هم الذين عظمت في عيونهم الدنيا وصغرت أمامهم الأخرة حتى شروها بثمن بخس، رضا الغرب عنهم ومباركته لأنظمتهم.

الموتى حقا هم الذين صدوا عن سبيل الله ومنعوا الناس أن يتصدوا للعدو، قال تعالي فيهم: "الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين"، وقال تعالى فيهم: "وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا

أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة"، فهم في مجالسهم وعلى كراسيّهم كما قال تعالى: "وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون". قال القرطبي في شرح أية التوبة : "قوله تعالى: {فصدوا عن سبيل الله} أي أعرضوا، وهو من الصدود. أو صرفوا المؤمنين عن إقامة حكم الله عليهم من القتل والسبي وأخذ الأموال، فهو من الصد، أو منعوا الناس عن الجهاد بأن يتخلفوا ويفتدي بهم غيرهم".

وبيت القصيد هنا هو قول الله تعالى: "هم العدو فاحذرهم"، نعم هم العدو، فالذي يساند العدو ويعينه ويواليه ويظاهره ضد المسلمين، ويمنع الناس أن تعين إخوانهم وتنصرهم لهو العدو حقاً. وأمر اليهود والنصارى سهل قريب إن شاء الله، ولكن أمر هؤلاء الموتى الأحياء هو ما يجب أن يحذره المسلمون، كلّ الحذر.

والله ولي التوفيق





كيد الشيطان وقوى التغيير

لا شك أنّ الحلم الذي بات يداعب المصريين ويتراءى لهم في صحوهم قبل نعاسهم، هو الأمل في التغيير السياسيّ، الذي يتبعه التغيير في كافة المجالات الأخرى. وللمصريين الحق في ذلك، بعد أن عاشوا في ظلّ الدولة المباركية ثلاثين عاماً وصلت فيها بلادهم إلى حضيض قياسيّ من الفقر والجهل والمرض، بل وتورط وطنهم في سلسلة خيانات سياسية آخرها التآمر على حصار أبناء غزة المسلمين، وبيع الغاز للصهاينة، وغيرها من الفضائح السياسة المزرية بالكرامة المصرية والهوية الإسلامية!

لكنّ التغيير له أسلوبه ووسائله وإمكاناته التي لا يتحقق إلا بها. وقد علّمنا العليّ العظيم أنه "لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". وترجمة هذه الآية العظيمة إلى الواقع المعاش ينبئك عن الصورة التي بدأت تتشكل جوانبها لتصل إلى غاية محددة في الأعوام القليلة القادمة.

العوامل الحاسمة في عملية التغيير هي تحديد القوى المتناطحة، أو ما هي القوة القائمة المسيطرة وما هي القوة الباحثة عن التغيير، من هم القائمون على كلّ منهما، ما هي القوة المساندة لكلتاهما، وما هو الهيكل الذي تحرك هاتان القوتان من خلاله، وما هو مدى استعداد كلتاهما لتحمل التضحيات في سبيل الوصول إلى هدفه.

والقوة الرئيسة في هذه الحقبة من تاريخنا هو النظام الحاكم، وعلى رأسه الأسرة الحاكمة ويساندها كلّ من له سلطة وطول في المراكز الحساسة بالدولة ومؤسساتها، ويُضم إلى ذلك ويخدّم عليه رجال الدين الرسميين. ولا يأتي هذا الدعم عن جبّ وولاء، بل عن رعاية مصالح شخصية ضمنت السلطة المتحكمة تحقيقها لهذا الملأ فربطت مصالحها بمصالحهم بحيث أن أي متمرد عليها تلفظه هذه الجماعة دون أن تتدخل السلطة العليا في الأمر.. والهيكل الذي تحرك من خلاله هذه القوى وينظم تحركها هو الحزب الوطنيّ – كما يطلقون عليه. والأمر أن هذا الحزب رأس بلا جسد، إذ إن كلّ من ينتمون اليه حقيقة هم أولئك الملأ من القوم، ثم الصفّ الثاني ممن يتحكمون في رقابهم، دون أي من أفراد الشعب، فليس للحزب اي قاعدة في الشارع المصري على الإطلاق، رأس بلا جسد! وهم على استعداد للتحرك بأي

وسيلة، مهما اتّضَعَتْ (أي كانت وضيعة)، إن تعرضت مصالحهم الحيوية لخطر الزوال، بلا حدود إن استطاعوا. ثم إنه وإن تكاتفت قوى الشرّ وتطابق الملأ على الصدّ عن سبيل الله، فيجب أن نذكر "إن كيد الشيطان كان ضعيفاً" صدق الله العظيم.

ثم القوة الداعية إلى التغيير، وهي ليست جبهة واحدة، بل منها مجموعات الليبراليّة والإصلاحيّة العلمانيّة، واليساريون، وكلهم من الصغار الذين لا يرجى منهم نفع أو قوة دافعة للإصلاح الحقيقي، كما بدر من تلك التكتّلات المهلهلة التي تشارك القوة الحاكمة في الهجوم على البرادعيّ كقوة دافعة للتغيير، ذلك أن مصالحها ترتبط بمصالح القوى الحاكمة من حيث إنها "كمالة ديكور". ثم القوة الوليدة الناشئة التي بدأت تتكون بقيادة البرادعي، والتي أدركت أن لابد من وجود هيكل تتحرك فيه. وهي قوة وليدة تجمع مناصريها من أفراد الشعب وتتجه إلى الوقوف في وجه القوة الحاكمة. ثم القوى الإسلاميّة متمثلة في الإخوان والسلفيون. والإخوان هيكل عملهم هو الجماعة، وكوادرها ومنتميها من الشعب، وصدامها مع القوة الحاكمة معروف، وهو مثال واضح لتعامل القوة الحاكمة مع اي تهديد لمصالحها أيّا كان.

الأمر أنه لا سبيل إلى تغيير دون أن تفهم هذه القوى المعارضة الشريفة (وإن تغايرت حقاً وباطلاً)، سواء منها الإسلامية أو الديموقراطية أنه لا بد من تكاتفها وتراصّها أمام الغول الحاكم وهياكل عمله ومواطن نفوذه. هذه القوى المعارضة تستند إلى جسد الأمة وتفتقر إلى رأس حربة يمكن أن يسدده الرامون إلى النظام فيفقده توازنه. ولا يخدع أي طرف من أطراف هذه القوى فيرى الأمر سهلاً قريبا، بل هو صعب في غاية الصعوبة، شاق في غاية المشقة، سيكون له تبعاته وقت يحين الحين، والتي بدأت بوادرها باعتقالات الإخوان الأخيرة.



الاقتصاد الربوي في الميزان:

من الخاسر الحقيقي؟

أجمع خبراء الاقتصاد العالميّ أنّ الأزمة المالية العالمية الحالية تعتبر من أشد الأزمات عنفاً في العقود الأخيرة، ولا يكاد يجاوزها إلا الانهيار الاقتصادي في الثلاثينيات من القرن المنصرم.

ولا شك أن العالم بأسره سيتأثر بهذه الأزمة وسيكون لها ما يتبعها من آثار على الوضع السياسيّ والاجتماعي في العالم الغربيّ والشرقيّ على السواء.

أمران تجدر الإشارة اليهما في هذا الصدد، أولهما دور الولايات المتحدة في هذا الوضع المالي المنهار. وتتلخص هذه المسؤولية في نقطتين، تلك السياسة المالية المتسيبة التي تبنتها إدارة بوش في سنواته الثمانية العجاف، والتي تركت الحبل على غاربه للمؤسسات المالية العملاقة والبنوك وشركات التأمين بلا ضوابط مالية تحدد مسؤولياتها تجاه المستهلك وتقيّد حريتها المطلقة في تحديد الفائدة رفعاً وخفضاً وفي حجم وضوابط الإقراض للمستهلك الأمر الذي مما جعله يرزح تحت ديون ساحقة عجز أخيراً عن تأديتها، وساعد على ذلك النمط المعيشيّ الأمريكيّ الذي يعتمد على الاستهلاك والإقراض دون حدود، والذي جعل الإدارة الأمريكية مؤخراً تطبع الدولارات لمواجهة التضخم دون أن يكون لها رصيد حقيقيّ يغطيها من الذهب. والنقطة الأخرى هي تلك الحروب التي شنتها الولايات المتحدة على العالم الإسلاميّ تحت زريعة الإرهاب تارة وتحت زريعة نشر الديموقراطية تارة أخرى! والجانب الأخلاقي المعيب الذي تنضح به مبررات هذه الحروب ليس هو الأمر الذي يهمنا في هذا السياق، وإن كان سبباً لكل تداعياتها الأخرى، ولكن حقيقة أنّ الإدارة الأمريكية قد حمّلت الاقتصاد الأمريكيّ المتهاوي ما يزيد على ٥٥٩ بليوناً من الدولارات حتى لحظة كتابة هذه السطور. وهو ما يخفض من السيولة المتاحة في المؤسسات المالية ويقلل من قدرة الحكومة على مدّ يد العون لدافع الضرائب الذي وقع بين مطرقة الديون الإقراضية التي زينتها له شياطين الإعلانات ليلا ونهاراً وبين سندان الضرائب الني تصرفها الحكومة على الجيوش المتناثرة في أنحاء العالم الإسلاميّ، والتي لم يكن لها أثر إلا في ارتفاع سعر البترول في الغرب لمستوي لم يصل اليه من قبل حتى يوم أن وقف الملك فيصل رحمه الله تعالى وقفته الشهيرة ضد

الغرب وقطع عنه إمدادات البترول!

والأمر الآخر الذي نعزو اليه هذا الانهيار هو الشكل الربوي الذي أنشأته القوى اليهودية للنظام المالي العالميّ والذي تبناه الغرب دون قيد أو شرط. فإن هذا النظام الربوي يقوم على إقراض المستهلك المال بفائدة محددة ليشتري به المستهلك السلع التي يريدها أو يقيم بها مشروعا، ويكون مديوناً للبنوك بالمال إضافة إلى فائدته بغض النظر عن قيمة السلع التي اشتراها أو نجاح المشروع الذي أنشأه. فالعقد الربوي يقوم على مبدأ الدين لا مبدأ المشاركة. وحين أنهار الأئتمان السكنيّ في الولايات المتحدة منذ عام أو أكثر نتيجة عجز المقترض عن سداد أصل القرض فضلاً عن فوائده، فماذا كان موقف الاقتصاد الربوي من هذا العجز؟ لم يكن إلا أن البنوك والمؤسسات المالية حجزت على المساكن والمشروعات والسلع، وباعتها بأبخس الأسعار. وكان أن خسرِ الطرفان المعنيان في ظلّ هذا النظام الربويّ، خسرت المؤسسات المالية إنْ لم تعوض المبيعات قيمة القروض الأصلية، ولكنّ الخاسر الأكبر هو المقترض الذي خسر دفعاته من الفائدة وما دفعة مقدماً من قيمة القرض، فكانت خسارته مضاعفة. ولو كان النظام الاقتصادي العالميّ يقوم على مبدأ الشراكة الذي يعتمده الاقتصاد الإسلاميّ لكانت خسارة المستهلك أقلّ إذ يكون له حقّ بنسبة شراكته في قيمة الأصول المباعة.

وكعادة إدارة بوش التي تعمل لصالح اليهود الذين يمتلكون معظم هذه المؤسسات المالية المنهارة، فإن "خطة الإنقاذ" التي قدمتها كانت لصالح تلك المؤسسات دون أي اعتبار للمواطن الأمريكيّ المتضرر، لذلك رفضها مجلس النواب الأمريكيّ الذي فاض الكيل بأقليته التي لا تدين بولاء كامل لليهود فرفضوا تمويل المؤسسات اليهودية بما لا يفيد المستهلك الأمريكيّ بشروى نقير. وهو ما حدا بالإدارة أن تقدم عدداً من المقترحات لمساعدة المستهلك بدرجة محدودة لضمان تمرير الصفقة التي يذهب بموجبها ثلاثة أرباع ترليون دولار إلى جيوب المساهمين الأكابر في تلك المؤسسات الخاسرة.

اقتصاد ربوي ظالم، وصهيونية عاتية مسيطرة، وسلاح رهيب مدمر، وإدارة عميلة

لا ذمة لها ولا ضمير، والنتيجة هي ما نراه من الانهيار الماليّ والخلقيّ العالميّ، وارتفاع أسعار الغذاء والوقود، وانتشار الحروب والقتل، وعودة الحرب الباردة بين الشرق والغرب التي لا يستفيد منها إلا أباطرة سوق السلاح، فهل من مدّكر؟





نحن وأخطاءنا ...

(1)

الحمد لله وكفى والصلاة و السلام على المصطفي، وبعد

كثيراً ما نقع، نحن البشر في الأخطاء، صغيرها وكبيرها، لكن قليلا منا من يعرفها، والأقل من يعترف بها، والأقلِ النادر من يتداركها بالتصحيح. هذه خاصية من خواص الإنسان، تتراوح في كَمّها وكيفها بين الناس، لكنهم جميعا يجتمعون عليها بقدرٍ ما.

وتلكم الأخطاء، فليصدّق من يصدّق ولينكر من ينكر، لا حدّ لعمر فيها، ولا خبرة، ولا علم، ولا مناعة، إلا من رحم ربي، وهم ثلة من حفنة من قليل، ولا ينبئك مثل خبير.

وحين تتراكم الأخطاء، على عكس ما نظن، يصعب على المرء أن يراها، إذ تصبح كأنها العادة السوية، التي لا ضرر فيها. لكنها، مع الأسف، تعمل عملها، في حياته، معاشه، علاقاته، صحته ونفسيته، حتى يصحو فجأة على ما لم يكن يتوقع في يوم من الأيام. وإذا بتراكمات الزمان تتجمع في شكل صخرة جلمود، تقع على رأسه، فتهشّمه تهشيما، وتنعكس على قلبه فتطحنه طحنا، ولا يكاد يفر منها إلا إليها، فتعاوده المرة تلو المرة، تمثل له أخطاؤه، واضحة جلية كأنها عين الشمس في يوم صيف رائق!
كيف لم يرها وهي تتراكم؟ كيف لم يعترف بها ثم يتداركها؟ كيف تركها لتصبح جبلاً فوق رأسه، ينتظر السقوط، أو بحرا من حوله يوشك على الفيضان؟

هنالك، وهنالك فقط، يعرف المرء، ويرى، ويُدرك، ولات حين مناص.

لكن، هناك من تلك الأخطاء ما لا إصلاح فيه ولا ترميم له. فقط تحَمّله ومحاولة الصبر على عواقبه ومآلاته. لكن كذلك منها، ما لا يغني معها تعزية النفس، أو السلوان عن الأسى. وهي أفدح أنواعها وأشدّها خطراً على الناس.

والإيمان بالقدر علاج ودواء، لكن لوم النفس أمرٌ لا يُطاق، خاصة حين يُبصر

المرء بما فعل، ويتحققه عياناً بياناً، وخاصة فيمن يكون ممن لا يزوّر في المشاعر، ولا ينافق في الأحاسيس.

هل رأيتم حسرة أهل النار على فوات وقت التكليف، واستحالة العودة ليصلحوا ما قدّموا؟ فهذا من ذاك، مع الفارق في التشبيه بطبيعة الحال.

والسؤال، هل هناك علاجات لبني آدم، تجنّبه قواصم تلك العواصف؟ نعم، قد يكون هناك ما يمكن أن يبصّر المرء بمنحنيات الطريق، وخبايا مسالكه، وتشابك مظاهره، فلا ينخدع دائما، فيرى باطله حقاً وخطأه صوابا.

من العلاجات أن يتعلم التريث، فهو من الحكمة العاصمة. وأن يصبر على التثبت، فهو من علامات الحق. عليه أن يتعلم من مستقرات العادة، ما ينضبط به في أفعاله، فلا يشتط به عقله، وتنحرف به فورات طبيعته عما استقر عليه الجمع، فإن مستقرات العادة قد تجمعت من خبرات متراكمة لملايين من الأفعال ونتائجها، فلابد، وقد استقرت على أمرٍ، أن يكون فيه الصواب، أكثر مما عليه عقل واحد أو نفس بذاتها. لذلك جعل الله سبحانه العرف من الأدلة الشرعية المتفق عليها فيما لا يخالف نصاً.

أما من طاح به فيضان خطئه، وانهار الجبل على رأسه، فليس له في تلك العلاجات حاجة. فقط الحسرة والدعاء.

يونيو ٢٠١٩ – ٩ شوال ١٤٤٠

(2)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد

من أشد الأخطاء وأكبرها وأضرها، أن يظن المرء أنه أعرف بالدنيا وحالها، ومشكلاتها وحلولها، من غيره، حين يرى نفسه متقدماً في سن، أو بعلم.

أمر الدنيا أمر فطرة سليمة، وسير على نهجٍ صحيح، خاصة عند المسلم، في بيته وعمله.

فقد جعل الله الخلية الاجتماعية في الإسلام، وهي الأسرة، أساساً للمجتمع المسلم، إن صلحت صلح، وإن فسدت فسد.

ثم جعل زمام تلك الأسرة في يد الرجل، وجعله قوّاماً على أهل بيته، مسؤولاً عنهم، لا في توفير معاشهم فقط، بل وفي حفظهم من أخطار البيئة وشراك المجتمع الساقط.

وقوامة الرجل قامت في الإسلام على دعامتين، ذكرها الله سبحانه في آية واحدة، فقال تعالى: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ" النساء ٣٤.

فذكر الله سببين لقوامة الرجل، وهما نصّ فيها، لدخول باء السببية. أولهما أفضلية مطلقة، في ممارسة شؤون الحياة، والقيام بها، وتوفير مستلزماتها. فالرجل أقدر على ذلك بما لا يشك فيه عاقل. وهو مشاهد معروف على طول الزمان وعرض المكان. والمرأة التي تعرف ذلك وتفهمه، قد وصفها سبحانه بعدها مباشرة، فهي الصالحة القانتة الحافظة للغيب.

ولأن الرجل هو الأقوى، فهو الذي عليه توفير أسباب العيش كاملة، حسب قدرته، ومن سعته. وليس له أن يعتمد على مال زوجة، أو أن تعمل زوجه لتعينه على ذلك. تلك هي القاعدة، التي استثناؤها ونادرها غير ذلك أو عكس ذلك.

ولنا هنا ملاحظتان، أعلم أنهما تدوران في ذهن كلّ من قرأت هذه الكلمات. كيف لا، والمجتمع اليوم هو مجتمع المساواة بين الرجل والمرأة، في الحقوق، عادة!

الأولى أن هذه القوامة، لا تعني أن للرجل أكثر مما للمرأة من فضل، كلّ في مجاله، فقد سوى الله بينهما في قوله "ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف، وللرّجال عليهن درجةٌ" البقرة ٢٢٨.

فسوى سبحانه، فيما هو في مجال التعامل بالمعروف، فلا يسئ إليها، ولا تسئ إليه، ولها من الحقوق مثل ما له من الحقوق، إطعاماً وسكناً ومعاشاً. لكن له درجة عليها، هي درجة الفضل التي أشار اليها سبحانه في آية النساء، وهي التي تستلزم أن يكون أصبر وأفضل في معاملتها، منها في معاملته. لكن هذا، مع حفظ القوامة، والرقابة، ووجوب طاعة الزوج فيما لا معصية فيه، والتودد إليه، فإن المرأة إن فعلت ذلك، أحبها، ورغب في قربها، وآثرها على نفسه. فإن رفعت أنفها تفاخراً بأن الله سوى بينهما، وأنه لا فضل له عليها، كرهها، وصار الشقاق والخلاف، وانهارت الخلية، وفسد المجتمع.

ومن هنا، فإن من أسوأ الأدواء التي أصيب بها مجتمعنا المسلم، هو تسرب ميكروب عمل المرأة، كيّ تستوي مع الرجل في كلّ شيء.

فقد رأينا أن من أسس القوامة، الإنفاق، فإن اختل هذا الميزان، اختل التوازن، وفسدت العلاقة بلا شك.

والثانية، أن المرأة، في أصل خلقتها، فيها ضعف، جعله الله، لا ليهينها، بل ليضع كلّ من خلقه في موضعه، فتجدها تتحكم فيها العاطفة أكثر وأسرع من الرجل. وجعل الرجل قوياً، بدناً وعقلاً، وجعل عقله يقيّم فعله قبل عاطفته، فلا تنهار الأسرة عند أول شقاق يحدث بينه وبين زوجه. فيسير المجتمع سيره منضبطاً، معتدلاً.

من هنا فإن من أبشع الأخطاء التي تحدث اليوم، ويقع فيها، حتى أكابر الناس، أن يدع زوجه تعمل، لأي سبب من الأسباب. فإنه حين يفعل ذلك، وإن أعانته في شؤون المعاش، إلا إنه قد تنازل لها عن قدر كبير من القوامة. بل أعطاها مفتاح الباب الذي أمره الله سبحانه أن يحتفظ به، وهو "بما أنفقوا"، فإذا بها مستقلة قادرة

على العيش دون الرجل، فيسهل عليها أن تترك بيتها، وتهدم عشها، والسبب هو خلل الرجولة التي جعلت زوجها يتركها تعمل، وكأنها رجل من الرجال.

وترى حكمة الله سبحانه في أن جعل القوامة في يد الرجل، وجعل من شؤونها الإنفاق، أنه حين شرع قوانين الطلاق، فقد شرعها بما يكفل إدامة العشرة بين الزوجين. فجعل المرأة التي تطلب طلاقا، ليس لها إلا نفقة ثلاثة أشهر، حتى تفكر مرات ومرات قبل أن تقدم على طلب كهذا. وجعل الرجل الذي يريد طلاق زوجته، يدفع لها متعة ملائمة على قدر سعته، ليكون متردداً في طلاقها.

لكننا اليوم، خلطنا الحابل بالنابل، وقلبنا أعلى المجن أسفله. فالمرأة تعمل، ولا تهتم بثلاثة شهور النفقة ولا غيرها. لذلك فانظر يا رعاك الله، إلى نسبة الطلاق في الأسر التي تعمل فيها الزوجة، تجدها أضعاف أضعاف التي تجلس فيها الزوجة في بيتها، تحفظه وترعاه كما أراد الله لها، لا ما أراده الغرب الصهيوني والليبرالية الفسقة.

ولا تتمحك بالعوز والحاجة، فإن ذلك من المستثنيات من الحال، والشرع لا يضع القواعد والتشريعات للنادر من الأحوال، فإن القاعدة الفقهية "النادر لا حكم له في الشرع". أي يعامل حالة حالة، حسب احتياج وأوضاع الحالة الخاصة، لا بتشريع عام.

فاحرص، يا من تُقدم على زواج اليوم، ألا تربط عقدة نكاح مع امرأة عاملة أبدا، وإن كانت مثل رابعة العدوية تّدينا .. وقم بدورك في إقامة بيتك، وحفظ عرضك وصيانته مما يسمونه عمل المرأة وتكشفها .. فقد صدق رسول الله ﷺ: "أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط" البخاري. ولا ينبك مثل خبير.

د طارق عبد الحليم

يونيو ٢٠١٩ - ١٠ شوال ١٤٤٠

(3)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد

نعم .. نحن بشر يصيب ويخطئ .. لكن الأخطاء تتفاوت في مراتبها وموضوعاتها وقوتها. فمن أخطأ في سيره فذهب في طريق غير ما يقصد، ثم أدرك ذلك، وضاعت عليه دقائق، قلّت أو كثرت، ليس كمن ضلّ طريقه في بدأ عمره، فانخرط في اللعب والعبث والمجون، فضاعت عليه فرص النجاح، وأصبح ممن تخترقه العين، فتعبره ولا تكاد تراه، من قلة شأنه في مجتمعه وبين قومه.

ثم هذا وذاك، ليس كمن أخطأ فارتبط بمن لا تليق به، أو من ارتبطت بمن لا يليق بها، وشاء الله أن يكون لهما أبناء من هذا الارتباط غير السويّ. ثم إذا بهما لا يقدران على إدامة الصلة ومداومة العشرة، فتنفكّ الأسرة، وينهار البيت، الذي هو بالأساس موضع تربية الأطفال ومحل رعايتهم ومحمل ذكرياتهم، فيكونوا ضحية بلا ذنب اقترفوه، ولا خطأ واقعوه.

ثم هذا وذاك الخطأ شيء، ومن أخطأ طريقه إلى رضا ربه، فاقترف ما اقترف من الذنوب، واجترح ما اجترح من السيئات، غير عابئ ولا مهتم، كأنه اتخذ عند الله عهداً فسوف يوفيه الله عهده، أو أمن شر النار بوعد من إبليس اللعين، فهو خطأ من لون آخر!

كلها أخطاء، لكن خطأ القصد إلى مكان غير خطأ القصد إلى النجاح، غير خطأ القصد إلى الاستقرار وعمارة الدنيا، غير خطأ خسارة الآخرة.

فمن الواجب، المقبول عقلاً والمفروض شرعاً، أن يميّز المرء بين أخطائه، قوة وضعفا، أصالة أو تفاهة، دنيا وآخرة، ومن ثم بين ردود فعله في كل حالة منها. إذ إن من عطل الرأي وفساد العقل وضعف الفكر ورزالة الحسّ أن يستوي رد فعل المرء في أي من تلك الحالات. حينها، لا يعرف ذاك الإنسان صلاحا من فساد، ولا خيرا من شر، ولا ما يضره حقا مما يفيده حقا.

ثم إن من وقع منه خطأ، فسارع إلى تصحيح اعوجاجه، ليس كمن أخطأ فتمارى وتمادي وتراخى، وأجّل واستأخر. فهذا قد صيّر خطأه مصيبة، وصغيرته كبيرة، وعز عن الإصلاح، حين بغى الإصلاح، فإن القلب متى ران عليه الران، ونكتت فيه النكت السوداء، عزّ عليه رؤية طريق الحق، كيف وهو لم يره وقلبه لا يزال سليماً، فكيف به وهو مغلف أسود مرباد؟

وأمر آخر يصحب ذلك عادة، عند من لم يحسن التبصر بالأمور، وهو إيقاع اللوم والعتب، ويصب جام الغضب، على من ليس في أمره ذاك ناقة ولا جمل!

يختلف الرجل ورئيسه في عمله، أو صاحبه في جلسته، أو بائعا له، أو شاريا منه، فيعود إلى بيته مُرغيا مزبدا، يرمي بشرر كالقصر، على صغارٍ لا يدرون، ما أحنقه، وعلى زوج، لا تعرف ماذا أذنبت، وبأي جريرة أُخذت.

وهذا التصرف من أسوأ ما يمكن أن يقع من الغاضب الحانق. وهو أسرع وسيلة إلى تدمير البيوت العامرة، وتخريب النفوس المستقرة، بلا سبب على الإطلاق.

فعلينا أن نقدر حجم ما أخطأنا فيه، بلا تضخيم ولا تهوين. ثم إن خالط هذا الخطأ مشادة أو معاركة، فلا نحملها على من لا يد له فيها، فهذا مصدر خراب ومعول هدم وشقاق. ولا ينبئك مثل خبير.

د طارق عبد الحليم

يونيو ٢٠١٩ - ١١ شوال ١٤٤٠

(4)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

ثبت عن رسول الله ﷺ، فيما رواه النسائي وغيره أنه قال "أبغض الحلال إلى الله الطلاق". صدق الحبيب المصطفى.

والزواج مصدر من "زوج" أي قرن الشيء بالشيء. ولو عدت لتنظر في الاشتقاق الأكبر له، لوجدت حرفه تحمل معنى التقارب والتداخل، مثل "وجز" أي اختصر وهو يحمل معنى التقارب، ثم "جوز" بمعنى وسط الشيء، يُقال قام يصلي في جوز الليل، والوسط تجتمع فيه الشتات.

فالزواج تداخل بين حياتين، نفسين، وجودين، شئت ذلك أم أبيت، رضيت به أم لم ترض.

ثم انظر يا رعاك الله .. الطلاق حلال .. نعم، فإنه قد تفسد الوشيجة القائمة بين الرجل وزوجه إلى حد أن يكون بقاءها أكبر مفسدة من فسخها، عند أحد الطرفين على أقل تقدير. فلهذا أحلّه الله من باب درء أعلى المفسدتين بتحمل أدناهما.

وهذه المفسدة، التي تقع في حال استمرار العلاقة، مع بغض وتكاره بين الزوجين، يكون مرجعها عادة، إلى خطئ مركّب، سواء من ناحية إنه مشترك بينهما، يحتمل كلّ منهما بعضه. أو أن يكون أحدهما باغ على الآخر، ولا يرضى الله سبحانه أن يستديم الحيف والظلم.

ومن القليل النادر جداً، أن ترى من يحمّل نفسه مسؤولية الخطأ الذي أودى بتلك العلاقة التي يفترض أنها من أقرب الصلات وأشدها وثاقا. بل تأخذ الواحد منهما عزة النفس، والأنفة من أن يكون مخطئاً، فيرمي بثقل الفتك بتلك العلاقة على كتفي شريكه. لكن، ماذا نقول، بعد قول الله تعالى "إنه كان ظلوماً جهولا".

لكن الطلاق مع حلّه، أكره ما يكون عند الله تعالى كذلك.

ذلك أن الطلاق هو انسلاخ نفس عن نفس، وانفكاك وجود عن وجود، وانفراط حبات عقد ضمّها رباط واحد، سنين عددا. فكيف لا يكون فيه ألم ولوعة وشجون، وأنفس تساقط قطعا، حسرة وحزنا. إلا عند من فقد الحسّ البشريّ رأساً.

نعم، قد يكون هذا الشعور أقوي عند أحد الطرفين عن الآخر، وغالبا ما يكون أقل أثرا عند الطرف الذي يرى نفسه مظلوماً، لكنه لا يزال يمثّل تغيرا في نمط الحياة، ووتيرتها، يحتاج للزمن يعدّله ويستقيم به، إن استقام له.

العشرة الزوجية، هي كنسج الثوب، من خيوط متشابكة مختلطة مختلفة الألوان، كلّ خيط منها هو عادة أو عرف أو رأي أو توجه أو ذكرى أو حادثة أو ضحكة أو دمعة، عند واحد من طرفي تلك العلاقة. فإن سحبت طرفاً من تلك الخيوط، لتفرط به تماسك الثوب، وتعيده إلى أصله خيوطاً تنسج منها ثوبا جديداً، فسترى محل الفراغ والتمزق الذي يُحدثه ذلك العمل البغيض. فإن كنت ممن أسعدهم القدر، فنسجت ثوبا جديداً، فلن تكون خيوطه على جدّتها في الثوب الجديد أبداً، فهي مكرورة مستعملة، فيها من طيات الثوب الأصليّ ما يصعب تعديله.

والطامة الكبرى، حين يكون هناك نتاج لتلك العلاقة، من أبناء أو بنات. فتراهم مطحونين بين الوالدين، يتحدثون لهذا تارة، فيحنون للآخر، ويجلسون مع هذه تارة، فيشتاقون لذاك.

وقد لا ترى، من خارج، ما يعتمل في نفوسهم الساذجة البسيطة، بل هم لا يرون ما يعتمل في خلفية ضمائرهم. لكن النتيجة التي يرونها، من فوران بين الوالدين، يفيض به الغضب حتى يحرق الوشيجة، هي ذروة الخطأ الذي احتملوه، من دون أن يقترفونه.

فأمعن الفكر، ثم أمعن الفكر، ثم أمعن الفكر، قبل أن تقدم على أمر الطلاق، فإن الله أبغضه لأمر بغيض فيه حقا، ولا ينبئك مثل خبير.

د طارق عبد الحليم

يونيو ٢٠١٩ – ١٣ شوال ١٤٤٠



(5)
وإذا حكمتم بين الناس ...

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

من المواقف التي يجد أحدنا نفسه فيها، مرغما في بعض الأحيان، أن يقف موقف المُحَكِّم بين اثنين ممن له بهما صلة، في أمر شجر بينهما، فرأوا فيه ما جعلهما يرضيان أن يكون "واسطة خير" كما يقول العامة، فإذا به يلعب دور الحَكَم بينهما، فيخطأ في حقيهما، وحق نفسه قبلهما.

أمر التوسط بين الناس من أشد الأمور حرجاً وادعاها للتحوط، وأجدرها أن يتجنبها صاحب الضمير، إن وجد في نفسه عجزاً عن أن يوفيها حقها، أو رأى أنه أقل جدارة أن يحمل أمانتها. فإن الله سبحانه كتب على نفسه وعلى الناس عدم الظلم، أي العدل، وقال تعالى "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل". والعدل، هو عدم الميل، فكل ميل لجهة من المتشاجرين ظلم للآخر.

والحق أن ثلاثة من المناصب قد ذكر فقهاؤنا أنها تتطلب في صاحبها صفات معينة، وهم القاضي والمفتي والحَكَم. والفرق بينهما أن القاضي هو الذي يملك قوة تنفيذية تمكنه من فرض حكمه بالقوة. أما المفتي والحكم، فآراؤهما استشارية، إلا أن الحكم، إن رضي المتشاجران، وجب سماع قوله، وإن لم يكن له قوة تنفيذية، فيأثم من خالفه بعد تحكيمه.

وأهم صفات هؤلاء أن يكونوا من أصحاب العلم الشرعيّ، لا العوام فيه. بل كثير من الفقهاء اشترط في القاضي الاجتهاد المطلق، كما هو من صفات وليّ الأمر. لكن إن تعذر وجود من هم بهذا الوصف، ولو حتى واحداً، جُعل الأمر يقتصر على معرفة بالعلوم الشرعية وإحاطة بأبوابها ومطالبها، بالدرجة التي تجعله قادراً على تمييز الحق من الباطل، لا من باب الهوى والتشهي، لكن من باب معرفة الدليل معرفة مباشرة، أو معرفة المصدر الذي يمكن أن يجد فيه الدليل، أو معرفة من يلجأ

إليه إن أعوزه الدليل. وهذا يتطلب قدرا عاليا من المعرفة بالشريعة، تتطلبه مهمة التحكيم بين الناس، فمقاطع الحقوق لا عبث فيها ولا تسامح.

والشجار إذا ارتفع للقضاء، سمي تقاضيا، وسميت الحالة "دعوى قضائية"، وإذا عرضت على المفتي سميت "إفتاء" وقوله "فتوى". وإذا وصلت للتحكيم، فهي أشبه بالدعوى القضائية.

والتحكيم هو صورة من صور القضاء، فإنه لا يتشاجر اثنان إلا وكان أحدهما مطالب بحق ينكره عليه الطرف الآخر.

والدعوى أو القضية يلزم أن يكون فيها طرفان متخاصمان، أحدهما مدعٍ والآخر مُدعى عليه، بدعوى من المدّعِي.

وأول مهام القاضي أو المحّكم، كما وردت في كتب السياسة الشرعية، هو أن يحدد من هو المُدّعى ومن هو المدّعى عليه. إذ ليس كلّ من طالب بحق صار مُدعياً، بل يجب أن يثبت القاضي أو المُحكم أن ما في يده من الدعوى تجعله مدعياً مهضوم الحق، لا مُدعى عليه غاصب لحق.

والأمر الثاني هو أن يحدد القاضي أو المُحكم "موضوع الدعوى". وهذا يحتاج إلى مهارة فقهية وعقلية تستخلص موضع النزاع من حشد هائل من الاتهامات، عادة ما يتبادلها الخصمان. فيجب تحري موضع النزاع أو موضوع الدعوى قبل البدء في التحكيم أو القضاء.

ولنضرب مثالاً من شجار بين رجل وأمرأته، في سبيلهما إلى الطلاق، وكان التنازع بينهما على حق من حقوق المرأة، تطالب به، وينكره عليها الرجل.

عادة، يرتفع هذا الأمر إلى القضاء، إلا إذا رأي المتخاصمان أن التحكيم أسرع وتيرة، أو لم يكن في بلدتهما قاض معيّن من قبل والٍ شرعيّ.

وهنا، يمكن للمتخاصمين أن يتراضيا على واحد ممن تتحقق فيه الشروط التي ذكرنا، أو أن يختار كلّ منهما حكماً يمثّله كما قال تعالى "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا" النساء ٣٥. فيتحاور الحكمان، كلٌّ يُدلي بما يراه حقاً من جانبه.

والمفروض أن يكون كلا من الحكمين عدلاً، دقيقاً، لا ساذجاً عبيطاً. فيجب على كل منهما أن يراجع ما يدّعيه من ولاه عنه وكيلا ويعرضه على الأدلة القائمة مادياً، ليرى هل هو فعلا حق مغصوب أو هو مجرد ادعاء بلا دليل. فإن وجده حقا مغصوبا، ردّه على من ولاه، ونصحه، وبين له، وأشار عليه وإلا اعتزل وترك الوكالة. فإن الأمر هو أمر إحقاق الحق، لا نصرة جانب على آخر.

والإسلام، قضاءً وتحكيماً، ليس فيه نظام المحامي ووكيل النيابة، كل منهما ينافح عن خصم بالحق أو بالباطل، يريد أن يخرج بأكبر مكسب له، مع علمه بما هو عليه من باطل. بل في الإسلام، الحَكَم مؤتمن على الحق ذاته، أينما حل، مع أيّ من الطرفين.

فمثلاً، على من وكلته المرأة أن يبدأ بنصحها، ومحاولة ردّها إلى بيتها، وإطاعة زوجها. فإن كانت ناشزاً، نصحها بالعودة إلى بيتها وزجرها، فلم يتبسم لها مشجعاً على النشوز. فهذه كلها من ثوابت الشريعة، ومكارم الأخلاق. ثم أن لا يقبل الحكم، أو أيّ من الحكمين، دعوى من موكله لا ينتهض بها دليل. فمثلاً يدّعي الرجل على امرأته سوء أدبها، أو تدّعي عليه أنه عاملها بسوء أضر بها سنين عدداً. هذه كلها ادعاءات، لا دليل عليها، فإن الحكم، أو الحكمين، لم يشاركا الزوجين طيلة سنيّ عمرهما، ليقبلا دعوى بلا دليل! أو يصححا موقفا أو عذرا يدعيه موكله، يراه جدير أن يكون عذراً إن كان فيه ما يخالف الشرع. فعلى الوكيل ساعتها أن يردع موكله، وينصحه ولا يلتفت إلى الدعوى بالضرر إلا إن ثبت بدليل، كأن شهد شهود بأن الزوج كان يمنعها من طعامٍ أو شراب أو أن ملابسها مهلهلة، أو بها آثار ضرب، أو أيّ مما يمكن أن يكون دليلاً حسيا مقبولا، على سوء معاملة زوجها.

والقاعدة المسقرة، أن القاضي، أو المحكم، لا يقضي بعلمه. فحتى لو رأي القاضي بعينيه

شخصاً يقتل آخر، لم يكن له، إن انتصب للقضاء في هذه القضية أن يعتبر ما رأي، مبالغة من الشارع الحكيم في نزاهة القضاء وعدم تدخل القاضي، أو المحكم، طرفا في الدعوى. وهذا قمة استقلال القضاء والحكم.

ثم عليه أن يرجع إلى موضوع الدعوى فلا يحرف عنه، فيقول لموكلته "نحن في مقام دعوى محددة، وهي دعوى الطلاق هذه، أما ما ترويه من شكاوى، اعتاد عليها النساء، خاصة في مواقف الخصام، فليست من هذه الدعوى في شيء". فيكفها عن أن تلتفت بالأمر كله عن مساره، وتحرف به عن غرضه، وتكسبه هو إثما وبهتانا وزورا.

وهنا يأتي الخطأ وتقع المصيبة، وتزل القدم. وإذا بأحد الحكمين، يتحول، إلى خصمٍ للطرف الآخر، يدعى هو عليه أنه عامل المرأة بما لا يليق! وإذا به يقبل عذر موكلته دون تحفظ. رغم أن موكله هو من بدأ بالشجار، وهو من طالب بالقطيعة، وهو من فعل فعلة نكراء، يجب ردعه عنها. ويكون هو، الحَكَم، من حيث لا يشعر، معينا على الإثم والعدوان، بدلا من أن يكون معينا على البر والتقوى.

وهذا الخطأ نقع فيه كثيراً، لقلة العلم الشرعي، وسذاجة العقل، وتحكم العاطفة، وصبيانية التصرفات. وكم من صبيّ في جسد رجل، وقف موقفاً، أضر به نفسه، وأضاع به حق غيره.

فلنحرص على ابتغاء الحق، والتثبت من الدليل، وعدم التصديق على كلامٍ لم نشهده ولم نحضر وقائعه، بل هو مجرد هوى النفس، ودمعات امرأة، جعلت حكمها يتحول إلى خصم، ويقتطع لنفسه قطعة من النار. ولا ينبك مثل خبير.

د طارق عبد الحليم

يونيو ٢٠١٩ – ١٤ شوال ١٤٤٠

(6)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

لا يعيش المسلم الحق على الأرض دون مبادئ تحكم توجهاته وتصرفاته، في شتى ميادين الحياة ومناحيها.

والمبدأ، كما يدل عليه اسمه، هو المنطلق، تنبعث منه الأفعال المختلفة للمرء، لا يشذ عنه شيء منها. وهذه المبادئ هي ما طُبع عليه الإنسان بفطرته، قبل أن يحوّلها النظام الاجتماعي إلى رماد لا يصلح إلا أن ينثُر على مقبرة الحقوق.

ومبدأ الحق هو أعلى المبادئ وأشملها وأكثرها أهمية للإنسان عامة، والمسلم خاصة. فالحق هو اعتدال الميزان في معاملات الناس بعامة، وفي معاملة المسلم لدينه خاصة. وضده الباطل.

وانظر يا رعاك الله إلى كلمة "الباطل" واشتقاقاتها، فبَطُلَ أي فسد وضاع ولم يعد فيه فائدة. و"لبط" أي سقط وانهار، و"طبل" من الضجيج المزعج، وآلته "الطبلة" جوفاء لا داخل لها. فالباطل ضعيف زهوق لا قيمة له، زينة بلا قيمة، وصورة بلا حقيقة.

والحقّ مادته الثبات، والإنجاز، والتدقيق، وكلّ ما يدلّ علي الرسوخ عامة. ولا حقّ إن لم يرسخ معناه في النفس، ولا حق دون ثبات على مبدأ، ولا حق إن لم يدقق المرء النظر فيما بين يديه فيميز الصواب من الخطأ، والخبيث من الطيب.

" فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون" الأعراف ١١٨،

"وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا" الإسراء ٨١. فهو دائم السقوط والزهوق

"قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ" سبأ ٤٩.

فما إن يأتِ الحق بقوته، يزهق الباطل، ويموت، ويختفي، ويندثر، إذ هو ضعيف في مادته، لاَ يقدر على ما يقيمه لقوة فيه، بل لضعف من يقع فيه.

لكن .. انظر حولك .. تجد أنّ القوم قل وقعوا في كلّ ما يضاد الحق.

خطأ فرديّ أولاً، وجماعيّ متراكم ثانياً. تظهر آثاره في كلّ صغيرة وكبيرة في حياة من تخلى عن مبدئه. ومن تخلى عن مبدأ واحد، سقطت بقية المبادئ تباعاً تتلاحق، فهي كلها تنبع من مصدر واحد في النفس الشريفة، وهي العزة.

الحياة بلا مبدأ هي حياة منتهية الصلاحية، عابثة، لاهية، ساقطة، لا يقوم عليها بناءٌ ولا تستقيم عليها مجتمعات.

خطؤنا إننا هوّنّا من شأن المبادئ، فاستسغنا التنازل عنها، واحدا تلو الآخر، فانسلخنا من مقومات الإنسانية خطوة خطوة، حتى صرنا إلى حال يستوي فيه الآدمي والحيوان.

رفضنا أن نقايض الحق بحياتنا الذليل المقهورة الباطلة، فنحيا حق الحياة، لا صورتها.

وتجد هذا منعكس في تصرف العامل مع رئيسه، والعسكريّ مع قائده، بل والعالِمُ مع أتباعه، خوفا من انفضاضهم من حوله.

ما استغنى فرد عن الحق، ولو أقلّه، إلا وخسر من حياته وقيمتها ومعناها مقدار ما فقد منه.

وما استغنٍ مجتمع عن الحق، إلا ضربه الله بذلة وانكسار، وأباح أهله للأمم تعيث فيها فساداً.

هذا خطؤنا، أفراداً وجماعات.

أحيي مبدأ الحق، تحيا في داخلك كل مبادئ الحياة وقيمها التي صاغ الله فطرتك السليمة القويمة منها.

لا تستسلم للخنوع ولا تستمرئ الخنا والمذلة، فهي حياة والموت سواء.، بل الموت أعز منها وأفضل، عند الرجال، حق الرجال.

انته اليوم، وأعلن ما تراه حقا، وصحح خطأ قد تكون قد قارفته سنين عددا، وأنت لا تدري لم أصابك ما أصابك من تخلف وجهل وعجز وفقر.

قلت:

فافزع إلى الحق الكريم منازعا ** ذل الخضوع لغير ذاتِ البـــاري

فالحق تعلو في الذرى أغراضه ** والمُبطِل الملعون لن ينجُ من النار

ولا ينبك مثل خبير

(7)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد ..

خطأ تقع فيه نوعية خاصة من الناس، ويؤدي بها إلى كوارث في حياتها، قد تنجو من بعضها، وقد يهلك بعضها بها، ألا وهو افتراض الأمانة والثقة في الآخرين من الوهلة الأولى.

ويقول قائل، هذا ليس بخطء أصلاً، فإن الأصل الصدق، والكذبُ عارض عليه. فلا بأس من أن نُقر بالأصل ونعمل بحسبه، والمفترض أن المسلم صادقٌ أمين، حتى يثبت العكس!

ومع صحة هذا الفرض، نظرياً، فإنه قد ثبت أنه عكس الحقيقة على وجه التمام. بل قد وجدنا ورأينا ما يثبت أن الأصل اليوم هو افتراض أن الآخر كاذب مخادع، ليس بثقة، أو افتراض الجهالة فيه، أي عدم التحقق من حاله، على أحسن تقدير.

وهذا ليس بقسوة حكم على الناس، بل هو واقعية مورست واختُبرت وثبتت، في كثير، بل غالب أحوال التعاملات بين الناس.

فأنت تتحدث مع رجل في أمر بيع أو شراء، أو في وكالة عنك في أمرٍ من أمور الدنيا، فترى الوجه السمح الطيب، والقسمات الهادئة المطمئنة، والخشوع في الصلاة والدعاء بعدها، فيقع في روعك، للوهلة الأولى أن الرجل محل ثقة لا ريب. كيف وهو من تشاهد وتعاين فعلاً لا سمعاً؟! وقد يكون هذا صحيح لا غبار عليه، والرجل طيب القلب، سمح، صاحب دين بالفعل، لكن ..

لكن التعامل الماديّ أمر آخر مختلف تمام الاختلاف، لا علاقة له في زمننا هذا بالدين ولا بسماحة الوجه وحسن الخلق. التعامل الماديّ ينتمي إلى طبقة أخرى من طبقات الخلق، لا تراها حتى تجربها بنفسك.

تلقى الرجل، فتثق فيه، من حيث إنه طبعٌ لك، وقد يوثّقه لك آخرٌ، من طينتك ونوعك من البشر، ثم عند وقت الوفاء، تخرج الأعذار، ويظهر الإنكار، وتكثر

التعلات، وتسمع الأباطيل. فتعلم، ويا حسرتاه، بعد فوات الأوان أنك مغشوش مخدوع، قد خسرت الأمانة الموجعة، سواء كانت مادية أو معنوية. فالثقة قد تكون في سرٍ، من ورائه أمرٍ، ينبني عليه حياة أو موت، دمار أو استقرار، فيخون الثقة ويفشو السر وتقع الكارثة على رأسك.

زماننا هذا انعكس فيه الأمر، فأصبح الأصل هو انعدام الثقة، وعدم إحسان الظن، حتى يثبت بالفعل عكس ذلك.

فإن مثل هذه القوانين الاجتماعية، ليست من القوانين الكونية الثابتة، أو القواعد الكلّية العامة، التي لا تتخلف في جيل من الأجيال. بل هي تتلون وتتطاوع لحال أبناء الجيل، وصفات أهله، وأوضاعهم الخلقية عموماً، لا خصوصاً. وأنت حين تلاقي ذاك الرجل السمح البشوش، لا تقابل إلا غير معيّنٍ، من جمعٍ كبير، له قاعدته التي استقرت حسب أوضاعه الاجتماعية والخلقية. فلزم أن تعرف ما عليه واقعك وما تطبّع به الناس، مسلم أو غير مسلم، بلا فرق، حتى تسلم من الأذى، وتنجو من الخراب.

فالشخصية الفردية وحدها، أو الإسلام وحده، لا تنشأ به صحة الذمة المالية لأمرئ أو فسادها. بل ترى الرجل عنيفاً قاسٍ، لا يتهاودٍ ولا يتودد، لكنه صاحب ذمة، إن قال فعل وإن اؤتمن حفظ، وإن تحمّل حملاً وفَى به، ولو من عزيز ماله.

ورحم الله الإمام أبا بكر ابن العربي المالكي، حيث قرر، في زمانه "الأصل إحسان الظن بالمسلم، إما في زمننا، فلا"! فما عساه، بعد سبعة قرون، يقول!؟

وما ينبئك مثل خبير

د طارق عبد الحليم

٢٤ يونيه ٢٠١٩ - ٢١ شوال ١٤٤٠

(8)
التطفيف في المعاملة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

سجية غير حميدة، تجدها في غالب الخلق، وكأنها طبع من طباعهم، لكنه طبع مكّنته في أنفسهم شياطينهم، ألا وهي التغاضي عن القريب، والإغلاظ على الغريب.

فالرجل يرى ممن هم حوله، من أحبة، أو أقرباء مقربين، أو أصدقاء مميّزين، فيرمق في أحدهم، عيباً، أو يرى خللا، يعرفه، ويتحقق منه فيه. لكنك تراه يغض النظر، ويرى أموراً تقع من هذا الحبيب الوفي أو الخلّ الصفيّ، فلا يعتب عليه، ولا يتحدث إليه عما وقع منه، وكأن شيئا لم يكن، وبراءة الأطفال في عينيه!

ثم تراه يتعرض لغريب، أو لمن ليس له في نفسه حظوة، فتراه يحمل عليه حملاً، ويشدّ عليه شدّا، ويقرّعه على خطئه وزلته، كأنما هو حريص على هدايته!

وهذه السجية غير الحميدة تمثل خللَ الميزان الخُلُقيّ عند من تخلّق بها. فإن هذا الطبع، مخالف للشرع والعقل جميعاً.

والأمر هنا هو إقامة القسط والميزان، الذي أمرنا الله في آيات شتى بإقامته، في حق الأقارب والأباعد، سواء.

قال تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا" النساء ١٣٥.

وهذه الآية جامعةٌ لما نريد إثباته هنا، من أنّ تلك الخطيئة، التي تعتري أكثر النفوس البشرية، ولا يكاد ينجو منها إلا أولى العزم، هي رزيلة يجب الحذر منها.

فالقيام بالقسط، والشهادة على الناس، حتى لو كان أمر العدل يقتضي إنصاف الغير على النفس أو الولد أو الأقارب، بل حتى على الوالدين، إن كانا محقوقين. وعدم

الانصاف، والتنحي عن الحق، هو مجرد اتباع لهوى النفس الآمرة بالسوء والمنكر.

والشدة على الآخرين، تعكس، إلا في مواضعها المشروعة، قسوةً في القلب، وخللاً في النفس، واضطراباً في الفكر، وضعفاً في الخلق. فإن الله سبحانه قد جعل بين الناس جميعا صلة الآدمية، أي النسبة لآدم عليه السلام، وجعل بين المؤمنين صلة الدين، فهم إخوة في الإسلام، وجعل بين الأقرباء صلة النسب، العصب أو الرحم، ثم جعل بين الجيران الجنب أو الأصحاب بالجنب حقاً مفروضاً.

فترى يا رعاك الله، أنه ما أحد إلا وله حق الرحمة والنُصفة، إلا من آذى الله ورسوله ﷺ، أو تعدى حدودً الله. سبحانه فالتراحم صفة إنسانية أصيلة لا يفتقدها إلا خائب خاسر.

والشدة على النفس، أو الأقربين، تعكس قوة في الشخصية، وعزة بالحق، وسمواً في الخلق، واعتدال في المزاج، لا يؤتاه إلا ذو حظٍ عظيم، وفضل كريم.

وهذه الصفة، إن اختلت، اختل ميزان العدل في الدنيا، وجار البعض على البعض، ووُسدت الأمور لغير أهلها، وتراجع أصحاب التأهيل عما يستحقون، فيكون في هذا جنايتان، على الفرد نفسه، ثم على المجتمع كلّه.

فاحرص يا رعاك الله على تجنب هذا الخطأ الفتاك، ففيه مصلحة الفرد والجماعة، ورضا الله والثواب.

وما ينبئك مثل خبير

د طارق عبد الحليم

٣ أغسطس ٢٠١٩ - ٢ ذو الحجة ١٤٤٠

(9)
أمانة الوقت والتسويف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

داءٌ فتاك، بل الداء الفاتك بأمتنا جمعاء، هو داء فقد الحسّ بالوقت ومعناه وقيمته.

وأصحاب هذا المرض تجدهم يستحلون تأجيل الأمور "لحين إشعار آخر"، دون سبب مانع إلا الكسل والرغبة عن العمل وحبّ الركون إلى الفراغ، لا بسبب عدم قدرة أو فراغ، أو انشغال بعمل آخر! حتى لو كانت المهمة تستغرق مثلا عشر دقائق، فأنت واجده راغب عنها، تلوح إليه من ركن عقله، فيسرع بتناسيها ومحاولة الانشغال بأمر آخر، تافه لا لوزم له، إلا أن يكون عذراً للضمير وتبريراً للتصرف، لا غير!

رُبّيَت أجيالٌ في أمتنا على هذا الداء، وشابت عليه، فعاد جزءا من فطرة "الشرقي" العربيّ، يتعارفونها، بل يتلاومون عليها بعض الأحيان، لكن لا تنهض همة أحدهم للخلاص منها. بل تراهم على العكس، يمعنون فيها، ويتمسكون بها، فيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير!

والوقت هو جوهر الحياة، ومحورها، ومادتها. وهو عطية الله للإنسان، ليستخدمه في طاعة الله سبحانه، وقضاء حاجاته في الدنيا، ومن أهمها التقدم والرقيّ والقوة والعلو فوق من يحادّ الله ورسوله.

ورغم أن مادة الوقت مجهولة بالنسبة للإنسان، إذ ليس له مادة حقيقة، رغم ما قدّم العلم من تعريفات له، ليس محل عرضها هنا، لكنه هو بعد رابع، تقع فيه الحياة، ولا يكون للإنسان وعيٌ إلا به. وهذه المادة هي ما تصاغ بها حياة المرء، وهي نسيجها، ولوحتها التي يرسم عليها علمه كلّه. فإن أضاعها، ولم يحسن استخدامها، ولم ينصرف عنها بكسلٍ أو استهتار، انحلّ نسيج حياة فلا تماسك، ورجعت صفحته خالية من العمل المفيد.

يقول المولى سبحانه، مقيماً للحجة على بني آدم "أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ

وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ" فاطر٣٧. بل يتحدث القرآن عن نسبية الوقت، ومصيبة إضاعته واهداره "قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ" المؤمنون. فترى في هذه الصورة المجرمين، يسألهم سائلٌ: كم أعطاكم الله من وقت في الدنيا، تعملون فيه، ولا تضيعونه، بالتكاسل والتشاغل فيجور وقتكم بعضه على بعضٍ؟

والغرض هنا هو أن إرجاء الأعمال، وعدم إنفاذها وقت القدرة على إنفاذها، لا يؤدي إلا إلى ضياعٍ وخسارة مؤكدة، في الدنيا، أو الآخرة.

فهب أن أحدهم مُكَلَّفٌ بعملٍ ما، شراء غرض، زيارة صديق، إصلاح عطب، سواء لنفسه وأهله، أو تكليفاً من غيره. ترى المريض بداء إضاعة الوقت، ينسى الأمر كلّه بعد أن يوكل إليه بدقائق معدودة، كأن لم يكن! فإذا حدث وتذكره بعد يوم أو يومين، حدّثته نفسه الأمارة بالسوء: أن لا عليك، هون على نفسك، فما العجلة في الأمر!؟ الدنيا لن تنقلب لي عقبيها إن لم تُنجز مهمتك تلك اليوم! ثم يُطلّ ذاك التكليف برأسه بعد حِين يطول أو يقصر، فتكون ردة فعل المرء حسب درجة إصابته بالمرض، فإما أن يصرفه عن فكره مرة أخرى، لحين آخر، أو أن يتوكل على الله، فينفذ الأمر، متبرماً عادةً بما ألجأ إليه من عجلة في التكليف!

ثم تجد ذاك المرء يضعُ درجة من الأهمية لكلِ تكليف يأتيه، من نفسه وأهله، أو تكليفاً من غيره، ثم تكون درجة وعيه به على قدر هذه الدرجة التي وضعها جزافاً. ولا يدرى المريض أنّ التكاليف، إن لم تتعارض في الأداء، وتفسّح الوقت لاتساعها معا، كلها على نفس الدرجة من الأهمية. فإن تراكمها، بعد أيام يجعلها عبئاً كبيراً حقيقة، فيؤدي ذلك إلى إضاعة بعضها، أو أداء بعضها أداءً ضعيفاً، أو ضياع مصلحة له أو لأهله أو لمن كلّفه. وحينها، تبدأ الشكوى من كثرة الأعباء، وضيق الوقت، والتبرم بالحياة وتكاليفها! ومثل ذلك من المبررات الخادعة للنفس. هذا غير ما يكتسبه المريض من سوء السمعة في أداء الأعمال وإنجازها،

وهل تتذكر أخي القارئ العزيز، ما قلنا عن الهمة والعزيمة؟ فهذا الداء هو جرثومة الهمة ومطعن العزيمة.

وترى في القرآن دلالة ذلك كم مثل قوله تعالى "أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ" المؤمنون ٦١، فمدح الله المسارع إلى الخير، وكلّ عمل مطلوب الأداء، هو خير، إلا أن يكون الإنسان مُخيّر فيه، وهو من مفاهيم الخطاب. ويقول تعالى: "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ"، وأصل العمل هنا هو كلّ ما يقرّب من الله، سواء من العبادات أو المعاملات. ولا شكّ أن إنجاز التكاليف الشرعية والدنيوية من تلك الأعمال، والأصل في الأمر أنه على الفور لا على التراخي، كما يعبّر الأصوليون.

هذا أمرٌ خطيرٌ جديرٌ بالتأمل، حريّ بالعلاج بأسرع ما يكون. فإن هذا المذهب في التعامل مع التكاليف، صغرت أم كبرت، مذهب للسمعة والعزيمة ومقلّص لفرص النجاح أو الاحترام بين الناس، ثم مسببٌ لقطيعة مع الغير، ممن ضاعت عليه فرصة بسبب هذا الإهمال والكسل والمرض.

فاحرص يا رعاك الله، على ألا تكون من هؤلاء المرضى، ولا تسمع لشيطانك أن يوسوس لك بأنك طبيعي عاديّ في تصرفك، وأن الآخر، من ينصحك، هو العجول المتوتر. بل الأصل أن إنفاذ العمل بمجرد القدرة عليه، وغير ذلك هو الشاذ المنحرف.

وما ينبئك مثل خبير

د طارق عبد الحليم

٤ أغسطس ٢٠١٩ – ٣ ذو الحجة ١٤٤٠

(10)

اطمئنان البال للواقع الحال!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

خطأ فادح يقع فيه الناس، كلّ الناس، إلا من رحم ربي، وقليل ما هم، هو الركون للواقع الحال، والاطمئنان إليه، والأمل في استمراره، إن كانت الأيام ضاحكة له، والدهر راضٍ عنه. فيرى وقتها الزهور مفتّحة، والأشجار يانعة، والسماء صافية، والنجوم رائقة، والدنيا كلها ضاحكة!

وهيهات هيهات ..!

لا يستقر زمن بصاحبه، ولا يستديم حال بأهله، أمد الدهر.

فالحياة خُلقت من التحول، فهو ليس صفة لها، بل هو نسيجها وأصل ذاتها، لا يفارقها.

تتحرك بنا الأرض في الفضاء، ونحن نظن أننا ثابتون راسخون رسوخ الجبال. بل الحق أنّ الجبال ذاتها لا يقرّ لها قرار، في منظومة الزمان والمكان!

لكن الله سبحانه، جعل هذا الخلل في التصور، من رحمته بعباده. إذ لا تستقيم حياة بغير هذا الشعور بالثبات.

كذلك حياتنا الاجتماعية، ما إن واتانا زمن تألق فيه نجمنا، ورأينا فيه ثمرة عملنا، وسارت أمورنا مستوية منسقة متوازنة، لفترة ما، واطمأننّا للحياة وأحداثها، وركنّا إلى الأمل فتمطينا في استجداء حدوده، وصارت النفس لا ترى إلا ما هو تحت قدميها، لا أبعد من ذلك، ارتفع الحذر عنا شيئاً فشيئاً، وكيف لا، والزمن ضاحك متهلل، والأيام ناعمة رائقة!

لكن، يا صاحبي، هذا من خداع الدنيا، وطول الأمل فيها، وخطأ قراءتها. فالدنيا لا تستقر ببشر على حال أبداً، لا بفقير ولا بغني، لا بعليلٍ ولا بصحيح، لا بصغيرٍ

ولا بكبير، لا بمشهور ولا بمغمور، لا بسيد ولا بعبد، لا بمنتصر ولا بمهزوم .. لا تستقر بأحد كائناً ما كان. إنما الاستقرار من أوهامنا وصنع خيالنا، يغرّنا به الغّرور، لنخلع عنا درع الحذر، فيأتينا التحول فجأة، فلا ندرى إلا ونحن على غير استعداد للحال الجديد، فنرفضه أولاً، ثم نحاول المساومة معه ثانيا، ثم نخضع له حين نعلم علم اليقين، ألا مساومة مع الأيام، ولا فصال مع الزمن.

وصدق شوقي حيث يقول

ومنْ تضحك الدنيا إليه فيَغْتَرر ** يمُتْ كقتيل الغيدِ بالبسماتِ

فلا يخدعنك الشيطان برضا عن حالٍ متحوّل. فالحال لغة مشتق من التحول، يقال حال الشئ أي تحول، فانظر كيف نُحتت الكلمة من المفهوم.

بل إن هذا الاطمئنان إلى حال خلاف إنه مجازفة خطرة في الدنيا في حدّ ذاته، هو مخالف لسنن الله في عباده. فهو لا يكون إلا ممن نسي الآخرة أو تناساها. فإن من ذكر الآخرة دوماً ما اطمأن إلى حال رآها.

قال تعالى "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ" الأنعام ٤٤.

فكن، أخي الحبيب، على حذر مقيم، وترقب مستمر. ولا يمنعك هذا عن شكر المنعم على حسن الحال، والفرح به، لكن لا ينسيّك أن ذلك كسحابة صيف، تأتي من بعدها الغيوم، وقانا الله وإياكم شر الهموم.

وما ينبئك مثل خبير

د طارق عبد الحليم

١٧ أغسطس ٢٠١٩ – ١٦ دو الحجة ١٤٤٠



الجهل بالجاهلية ..

في مجتمعنا المعاصر

الجزء الأول: المصدر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد ..

لا تكمن المشكلة الحقيقة التي نعيشها في مجتمعاتنا "الإسلامية!" اليوم في أنها تعيش في جاهلية عمياء، ضاربة بجذورها تحت التربة التي تقوم عليها تلك المجتمعات، إلى أعمق طبقاتها. بل المشكلة الحقيقية هي في إننا لا نرى هذه الجاهلية أصلاً، ولا ندرك وجودها حولنا، ومن ثم، فنحن لسنا في جاهلية!

هذه هي المصيبة الكبرى ...

وهذا العمى عن رؤية الجاهلية وحقيقتها وتشعباتها، وتحكمها في كلّ مفصلٍ من مفاصل حياتنا، العامة والخاصة، في السياسة والاقتصاد والاجتماع، في التربية والتعليم، في الفكر والأدب والفنون بأنواعها، ليس خاصاً بالعامة وحدهم، بل هو شائع بين العامة وبين أكثر من هم من "أصحاب الدعوة" المنتسبين إلي "دعوة" ما، لا يعلم حقيقتها إلا الله!

حين صرّح كبار أهل الدعوة، ومفكريها وقادتها، من أهل السنة، مثل الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، والإمام السيد أبو الأعلى المودوديّ، والعالم الشهيد سيد قطب، وكثيرٍ من طبقتهم، في القرنين الماضيين، أنّ مجتمعاتنا تعيش جاهلية صريحة، بكل معاني تلك الكلمة، تشريعاً وتطبيقاً، خارج إطار الشرع، رماهم "أصحاب الدعوة" الزائفة، من العلماء اسماً، العميان قلباً وعقلاً، بأنهم "تكفيريون"، وأنّه ليست هناك جاهلية في أيامنا هذه! بل هي خطايا وذنوبٌ، عمّت في الشعوب المسلمة، كما كانت في خلال القرون الخالية منذ عصر النبوة! قد يستثنون منها القرون الثلاثة الفضلى ...!

أقول هذه هي المصيبة الحقّة ...

الجهل بالجاهلية .. هي مصيبتنا الأولى، والكبرى ...

المصيبة أنّ الداء قد تشخّص خطئاً، ومن ثم لم يُجْدي دواء في معالجة المشكلة على الإطلاق، وهو الواقع الذي نعيشه اليوم، لمن لم يلحظ ذلك.

نعم، نحن نعيش جاهلية تامة، مظلمة، بكل أبعادها، ألقت برانها على القلوب فغلّفتها، وشدّت القيود على أيدي العاملين المخلصين، المُدركين للداء وصحيح الدواء.

نحن نعيش جاهلية جديدة، أشدّ وأقسى، وأمكر وأخطر، وأقوى وأغلظ من جاهلية قريشٍ الساذجة البسيطة، التي كانت تمثل في عبادة بعض الأصنام الحجرية، وتقنين شرائعٍ لمجتمعهم البدائيّ حسب أهوائهم ورغباتهم الدنيوية.

جاهليتنا جاهلية علمية، تكنولوجية، إعلامية، اقتصادية وسياسية وعسكرية وسياسية واجتماعية وثقافية، تستخدم كلّ ما وصل إليه البشر من معرفة، بسلطان من الله حقاً، ليثخنوا في الجسد الإسلامي الهزيل المتداعِ، بعد أن نجحوا في إفقاده البصر، والبصيرة، فصار أهله، بل وكبارهم، لا يرون تلك الجاهلية وهي تعمل عملها في مجتمعاتهم، إذ جهلوا حقيقة معناها، شرعاً واصطلاحاً.

يعايش الناس الجاهلية في تلفازهم، وما يُقدَّم لهم من مادة، تخجل منها جاهلية قريش! يعيشون جاهلية الأندية أو المنتديات الفاسقة، حيث يقيمون حفلات عهر، يندى لها جبين العربيّ الجاهليّ، ودعوات حقوق المرأة الجاهلية في التعري والاختلاط المُحّرم، والحرية بلا قيود ولا حدود. يعيشون الكذب في كلّ قولٍ وفعل، والرشوة والتضليل والمخادعة و"الشطارة"! وأكل أموال غيرهم بالباطل، وجحد الحقوق، وإنكار العهود، والتعارف على المنكر، وإنكار المعروف. والأدهى من ذلك، ذلك الكمّ الهائل منهم، ممن يؤيد أو يعين المجرمين السفاحين من طبقة الحكام المرتدين، صانعي الجاهلية وأحبارها وحرّاسها، رغن أنهم يتخذونهم سخرياً، ويتركونهم فقراء ومرضى وأذلاء، دون حقٍ ولا كرامة.

والناس لا يرون كلّ هذا إلا بمنظار أولئك الفجرة من علماء دعوة السلطان... ويرددون كالببغاء كلمات "الإرهاب، التكفير، التطرف ..." دون وعي بما هم فيه

من جاهلية يتبرأ منها الله ورسوله وأنبياءه والملائكة والمؤمنين جميعا! وما أصدق قول الله سبحانه في وصف هذه المشهد الرهيب

"وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾" سبأ ... جدلٌ بين الظالم والمستضعف المستسلم بسلمية ... حيث لا ينفع الجدل!

نعم، أكرر، هذه هي مصيبتنا الكبرى ... لا ندرك إننا نعيش جاهلية متغلغلة في صميم بنياننا، مختلطة بلحمنا وعظامنا، متشابكة مع رغباتنا وشهواتنا، مقنّنَة لتلك الرغبات والشهوات، حتى صارت جزءاً منّا، وصرنا جزءاً منها ... نسيج وَاحِدٌ، أنَّى أن تفرّق بين خلاياه السليمة من الفاسدة!؟

هذه هي مصيبتنا الكبرى ...

ولا حول ولا قوة إلا بالله

(2)

الجزء الثاني: الغربة عن الجاهلية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،

لم يخلق الله داءً إلا وخلق معه الدواء ... هذه سنّة عامّة، سواء في عالم الطبيعة أو المجتمعات، في عالم الأجساد وعالم العقول.

وأدواء المجتمع أو العقل، أشدّ خطراً وأفتك بأهلها من أدواء الطبيعة والجسد. ذلك من حيث إنها:

أولاً هي أكثر انتشاراً وأوسع تأثيراً، حتى الأوبئة، إذ الأوبئة عمرها محدود بشهور أو سنين قليلة.

وثانياً، لأنها باقية الأثر، تتطور نحو الأخبث فالأخبث مع مرور الزمن، مثلها كمثل السرطان، مع فارق أن السرطان الجسدي يصيب فرداً، لا مجتمعاً بأسره.

وثالثاً، لأنها خافية عن الأعين، لا تكاد تلحظها إلا عين خبيرة بقواعد العمران وسنن الاجتماع ودلالات التفرق والتمزق.

من هنا يعزّ الدواء ويصعب، في حالة أمراض المجتمع عن أمراض الجسد، كما نرى في مصيبتنا الكبرى، التي أشرنا إليها، ومختصرها "الجهل"، الجهل بطبيعة المرض، الجهل بطبيعة الجاهلية، التي هي المرض.

ومثل أن لكل داء مضاد حيويّ، يعين الجسد على قهر المرض، فكذلك أدواء المجتمع. ومضاد الجهل العلم. فإعلام الناس بمعنى الجاهلية، ومظاهرها وتوابعها وآثارها، هو العلاج الأوحد الذي يمكن أن يحي بعض الأنفس الميتة، والعقول المنحرفة، والقلوب المغلّفة.

ولا نتوقع أنْ تحيا كلّ النفوس، أو تُرَدّ كلّ العقول أو تتطهر كلّ القلوب. هذا لن يكون ... لكن الأمل في بعث عدد من خلق الله المصلحين الصادقين الربانيين،

من أصحاب الخلق والدين واليقين، على بيّنة من ربهم، وعلى معرفة بواقعهم وفهم لعدوهم، ودراية بخطورة الجاهلية التي تحيط بهم، فيعملون على إشاعة الهدى ونشر العلم، وتوسعة رقعة الحق بين النّاس، ونزع حجاب الجهل والعمى عن العيون والعقول، ليرى الناس الجاهلية ... كما هي ... على حقيقتها ... جاهلية القرن الواحد والعشرين ... القرن الخامس عشر الهجريّ ... بكل ملامحها المقيتة القبيحة المتزينة كالشمطاء في عين عريس غافل!

فإن تمّ ذلك .. في جيل بعد جيل، تكوّنت البنية الصلبة على قواعد الحق، ونشأ جيش القوة المدعوم بالعلم والحق، والرؤية الصائبة، فلا تتكرر مأساة الجماعات الإسلامية الخائبة، التي عانى منها الواقع الإسلامي خلال المائة عام السالفة، من إخوان إلى سلفيين، إلى سروريين أو تحريريين، إلى خوارج ومرجئة من كلّ لون وعلى كلّ بدعة ... ودع عنك الكفار المستترين من الملحدين العلمانيين.

وكشف ستار الجاهلية صعبٌ يحتاج إلى أمرين: أولهما من يفهم الجاهلية على حقيقتها، ومن ثم يفهم الإسلام على وجهه الصحيح. وصدق عمر رضي الله عنه حيث قال "إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية" [١]

وثانيهما، أن يكون هناك جمعٌ من الناس على هذا الفهم والوعي، يكفي لينشأ عن دعوته أثرٌ يقوم به تغيير. أي، بكلمات أخر، يكون هناك الفرد، وتكون هناك الفئة، ثم تكون هناك المواجهة. ليس قبل ذلك بحال، ولا بعد ذلك بحال.

نشر الوعي بالجاهلية التي نعيشها، وتعريف تفاصيلها ومفرداتها لأبنائنا، وشبابنا، وأهلينا، هو ما يمكن أن يؤجج في نفوسهم شعور الغربة عن هذا المجتمع الجاهليّ. فمن غير شعور الغربة عن الجاهلية، لن يكون هناك أملٌ في وعيٍ ولا تغيير، ولا أمر

[١] مجموع الفتاوى ج١٠ ص ٣٠١. والأثر مروي بألفاظ أخرى غير ما أوردها ابن تيمية عن شبيب بن غرقدة عن المستظل بن حصين البارقي قال خطبنا عمر بن الخطاب فقال: قد علمتُ وربِّ الكعبة متى تهلك العرب. فقام إليه رجلٌ من المسلمين فقال: متى يهلكون يا أمير المؤمنين؟ قال: حين يسوس أمرَهم من لم يعالج أمر الجاهلية ولم يصحب الرسول ﷺ والمعنى واحد.

بمعروف ولا نهي عن منكر.

وكيف ينهى عن المنكر من لا يراه منكراً، أو من يراه مألوفاً عادياً؟! وكيف يأمر بمعروف من لا يدرك مدى العرف فيه، وموضعه من شرعه ودينه، بل قد يراه غريباً على طبعه ومألوفه؟!

كلها أمور تتشابك حلقاتها، وتتضافر أواصرها، لتصل إلى نتيجة واحدة، هي جدية الدعوة، التي تبدأ بالتعريف بالتوحيد، وتمييز الجاهلية والشرك، سلباً وإيجابا "فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ " البقرة ٢٥٦، فإن كلّ المحاولات التي دارت حول حلول الإيجاب، أي شرح الإسلام وتحبيبه إلى الناس، دون بيان الجاهلية وما هم غارقون في أوحاله، قد باءت بفشل ذريع.

ودونك المنهج القرآني. يبيّن آيات الله، ويقدم ذاداً للمؤمنين الصادقين، يبيّن الكفر بأشكاله وأنواعه، وخطره ومكره وطرقه الملتوية، ويضرب أمثلة بألوان من الكافرين وأفعالهم.

وهذا هو طريقنا، إن شاء الله، لمن أراد الرشد

ولا حول ولا قوة إلا بالله

د طارق عبد الحليم

٣١ يوليو ٢٠٢٠ – يوم عيد الأضحى الموافق ١٠ من ذي الحجة ١٤٤١



إحسان الظن ..

بين الحق والباطل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ..

تعتمد الناس في تصرفاها وأفعالها، من ثمّ المجتمعات في تطورها وتبدلها، على ما تراه وتسمعه من حفنة من الرجال، عادة ممن يسمونهم "شيوخا" أو رجال فكر أو مجتمع. تنشر هذه الحفنة ما تراه من أفكار وسياسات وأيديولوجيات من خلال إعلام، عادة ما يكون تابعاً للنظم الحاكمة الطاغية، أو من خلال وسائل الاتصال، أو الكتب، مقروءة أو منشورة، لمن لم يكن لهم نصيب في القرب من الحكام واستغلال جهاز الإعلام الهائل الأثر. وأفكار تلك الحفنة هي التي يقوم بها المجتمع، وتشكّل قيمه ومبادئه. فإما أن يكون بها تشييد وتعمير، أو خراب وتدمير.

من ثمّ، وجب أن يكون الناس على بينة حقّة، مبنية على أسس شرعية صحيحة، من أقوال تلك الحفنة من الرجال، وأن يكون حكمهم عليهم، ورأيهم فيهم غير عفويّ ولا متعجل.

لكن حقيقة الأمر غير ذلك. ذلك أنّ الناس يعتمدون "حسن الظن" بالغير ويتخذونه كمصدر ثواب لهم بصفة شخصية! غير عابئين إن كان الشخص المعني بحسن الظن جدير به أملا.

وتلك الحفنة من الرجال، هم قدوة بمعنى من المعاني، أو على درجة من الدرجات، يقتدي بهم الناس في أفكارهم وكثير من تصرفاتهم. فهم متبعون، أو مقتدى بهم، أو مقلّدون، أيها شئت أن تستخدم. والناس متّبعون مقتدون، مقلدون لهم.

وقد جرت عادة الناس، كما نوّهنا على أن يحسنوا الظنّ، خاصة بمن يستخدم ألفاظاً شرعية، ويبدأ حديثه بالبسملة، ويصلى على رسول الله ﷺ، بغضّ النظر عن حقيقة أقواله وأفكاره، التي هي غالباً سموم ناقعة تعمل على قتل ما بقيّ في الأمة من فهم أو تقدير لقيمة إسلامية على الإطلاق. وكفى بملاحدة من أمثال بلال فضل أو حسن الهلالي أو البرهاميّ أو رسلان، أو على جمعة، أو أمثالهم مئات منتشرون في الرقعة الإسلامية مثالاً على ما نقول.

لكنّ هناك رجال أخفى في تزييفهم للحديث، وأمكر في تزيين الباطل، مثل مختار

الشنقيطي أو الغنوشيّ، مثلاً، ممن يختفون وراء قوى إعلامية كبيرة، ويعملون تحت مظلة "الفكر الإسلاميّ التجديدي". وبالطبع فإن هؤلاء مؤهلون لإحسان الظن بهم، مهما قالوا!

والمسلم مأمور بإحسان الظن بأخيه المسلم، أليس كذلك!؟ فقد جاءت بذلك الآيات والأحاديث يقول تعالى "اجتنبوا كثيراً من الظن، إن بعض الظن إثم". لكن جملةٍ "المسلم مأمور بإحسان الظن بأخيه المسلم"، وإن صحت على الجملة، تحمل ميراثاً ثقيلاً من التناقض، والتشابك والتضارب مما يوجب فكّ اشتباكاتها وبيان حدودها.

فإن الفقهاء قد تناولوا هذا الأمر في أبواب الأخلاق والتربية، كما تناولها الأصوليون في أبواب الاجتهاد والتقليد، وباب التعارض والترجيح خاصة.

وما أدى إليه النظر أنّ "إحسان الظن" لا يمكن أن يُعتبر دليلاً على صحة قول أو خطئه. وذلك لأسباب عدة.

فإننا إذا نظرنا إلى عملية إحسان الظن، وجدنا إنها تتعلق برأي المُتّبِع أو المقتدي في المقتدى به، فهي أمر ذاتي شخصي، لا دخل له بحقيقة ما عليه المقتدى به من حسن ظن أو قبحه. فإن المقتّدي قد "رأى" إحسان الظن دون دليل يرجح هذا الظن الحسن من عدمه، فألغي الاحتمال الآخر، وجاء اختياره بلا دليل، بل بالهوى والتشهي، فهو مرفوض شرعاً.

يقول الشاطبي [١] "أن تحسين الظن إلغاء لاحتمال قصد المقتدى به دون ما نواه المقتدي من غير دليل. فالاحتمال الذي عيه المقتدى لا يتعين وإذا لم يتعين لم يترجح إلا بالتشهي وذلك مهمل في الأمور الشرعية إذ لا ترجيح إلا بمرجح".

كذلك، فإن عملية إحسان الظن، حين نتناولها بالتفكير، هي عملية قلبية بحتة من المقتدي المقلد، غير قائمة على عمل ظاهر، فلا يلزم أن تتطابق مع حقيقة أمر المقتدَى به. يقول الشاطبي "أن تحسين الظن عمل قلبي من أعمال المكلف بالنسبة إلى المقتدى به مثلا وهو مأمور به مطلقا وافق ما في نفس الأمر أو خالف إذ لو كان يستلزم

[١] الموافقات ج٤ ص ٢٧٤.

المطابقة علما أو ظنا لما أمر به مطلقا بل بقيد الأدلة المفيدة لحصول الظن بما في نفس الأمر وليس كذلك باتفاق، فلا يستلزم المطابقة. وإذا ثبت هذا فالاقتداء بناء على هذا التحسين بناء على عمل من أعمال نفسه لا على أمر حصل لذلك المقتدى به لكنه قصد الاقتداء بناء على ما عند المقتدى به فأدى إلى بناء الاقتداء على غير شيء وذلك باطل" السابق نفس الصفحة.

وقد نبّه الشاطبيّ إلى فرق دقيق جداً، لكنه غاية في الأهمية هنا، وهو أنه يجب التفرقة بين "الظّن" في حدّ ذاته، وبين "تحسين الظنّ". فالظن أمرٌ قد ترتفع به القرائن التي تحفّه، وما يشبهه ويعضده إلى أن يكون صحيحاً مقبولاً راجحاً. بل إن معظم أدلة الشرع بنيت على هذا المفهوم، إذ اليقينيّ نادر في الشريعة. بل العمل على ما يغلب فيه الظّن بالصحة للقرائن والشواهد والدِلالات. أمّا "إحسان الظن" فهو مجرد اختيار لأحد احتمالين دون مرجّح إلا هوى المقتدِي. فالفرق كبير بينهما.

يقول الشاطبي "وانما يشتبه هذا الموضع من جهة اختلاط تحسين الظن بنفس الظن والفرق بينهما ظاهر لأمرين أحدهما أن الظن نفسه يتعلق بالمقتدى به مثلا بقيد كونه في نفس الأمر كذلك حسبما دلت عليه الأدلة الظنية بخلاف تحسين الظن فإنه يتعلق به كان في الخارج على حسب ذلك الظن أولا والثاني أن الظن ناشئ عن الأدلة الموجبة له ضرورة لا انفكاك للمكلف عنه وتحسين الظن أمر اختياري للمكلف غير ناشئ عن دليل يوجبه وهو يرجع إلى نفي بعض الخواطر المضطربة الدائرة بين النفي والإثبات في كل واحد من الاحتمالين المتعلقين بالمقتدي به فإذا جاءه خاطر الاحتمال الأحسن قواه وثبته بتكراره في فكره ووعظ النفس في اعتقاده وإذا أتاه خاطر الاحتمال الآخر ضعفه ونفاه وكرر نفيه على فكرة ومحاه عن ذكره" [١]

وهذا معنى نادر يجب التفكّر فيه وأخذه مأخذ الجدّ والعمل به في بناء الرأي، خاصة حين يمس الأمر موضوع إحسان الظن، فإن تلك التكهنات الفكرية، بالصحة والإثبات، هي من صنع عقل المقتدي في غالب الأمر، كما نبه الشاطبي رحمه الله.

وقد يقول قائل: لكننا نرى ونسمع من هذا الرجل، أو الحفنة من الرجال، كلاماً

[١] السابق ٢٧٦.

كثيراً طيباً، يدلّ على حسن اتباعهم للسنة، كما نرى من تصرفاتهم ما يجعلنا نرجح جانب إحسان الظن، ومن ثم فإن إحسان الظن بهم مبني على دليل لا على هوى!

وهذا وهم مردود على قائله.

فإنّ شهرة رجلٍ بأنه ممن يتقي الله في تعاملاته وتصرفاته، ويفعل البر والخير، لا تُتخذ دليلاً على صحة فتوى أو فعل يقع منه على سبيل الإتباع (أي يصلح أن يتبعه عليه الناس)، بدعوى أن ذلك دليل وقرينة على ترجيح جانب إحسان الظن به، لوجود الدليل على هذا الترجيح الذي قيدناه من قبل بهذا الشرط (أي وجود دليل الترجيح)، وذلك من عدة وجوه،

أولها: أن هذا الرجل الذي صَلُح حاله وظهر منه فعل الخير وبانت عليه التقوى وإيثار الأعمال الأخروية على الدنيوية، فإنما يرجّح الظنّ فيه بأنه قاصد للخير في قوله وفتواه، فيجعله في مرتبة الترجيح، أي يمكن أن يدخل في زمرة من يرجّح بينهم الفرد حسب قواعد الترجيح المعروفة، لكن لا يؤيد "إحسان الظن" بما يجعله قدوة متّبعة.

يقول الشاطبي "أن هذا الفرد إذا تعين هكذا على هذا الفرض فقد يقوى الظن بقصده إلى الاحتمال الأخروي فيكون مجال الاجتهاد كما سيذكر بحول الله (انظر إلى قوله فيكون مجال الاجتهاد أي يجتهد الفرد في ترجيحه بين الرجال المؤهلين) ولكن ليس هذا الفرض بناء على مجرد تحسين الظن بل على نفس الظن المستند إلى دليل يثيره والظن الذى يكون هكذا قد ينتهض في الشرع سببا لبناء الأحكام عليه وفرض مسألتنا ليس هكذا بل على جهة أن لا يكون لأحد الاحتمالين ترجيح يثير مثله غلبة الظن بأحد الاحتمالين ويضعف الاحتمال الآخر" الموافقات ج ٤ ص ٢٧٧.

إذن قصارى الأمر أن يُعتبر قول هذا الرجل أو فعله من ضمن الأقوال المُعتبرة التي يجب أن يُنظر فيها حين الأخذ بالفتوى أو الاقتداء بالفعل.

وثانيها: أنّ أقوال الرجل وأفعاله يجب أن تكون من النوع الذي يؤهل للفتيا، لا مجرد فعل الخير والتقوى، فإن رجلاً صواماً قوّاماً، قد لا يكون عنده العلم اللازم للإفتاء

ولا حتى في حيضة امرأة! وهذا معلوم مشاهد.

ثم أن تكون أعماله مطابقة لأقواله، ومقاصده مطابقة لأعماله. فمثلاً، إن كان رجلاً يحسّ الناس على الإقلاع عن التدخين لضرره بالصحة، ثم هو نفسه يدخّن، فهذا لا تكون فتواه صادقة، إذ حقيقة الصدق هو مطابقة القول العمل "أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه". وهذا الصنف، عادة، لا تجد كثيراً من الناس، إلا الحمقى والمغفلين، يقتدون به أو يستمعون له، إذ الفطرة هي النفور ممن يكذّب قوله عمله في العادات الجارية.

يقول الشاطبي [١] "فعلى كل تقدير لا يصح الاقتداء ولا الفتوى على كمالها في الصحة إلا مع مطابقة القول الفعل على الإطلاق وقد قال أبو الأسود الدؤولي:

ابدأ بنفسك فإنها عن غيها ** فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يسمع ما تقول ويقتدى** بالرأي منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ** عار عليك إذا فعلت عظيم

وفي هذه الجملة أمران، أولهما أن أقوالَ المقتدى به يجب أن تُطابق أعماله، وهي نقطة أخرى لا مجال في البحث الموسّع فيها في هذا الموضع، إلا أن نقول أن النفوس عادةٍ لا تميل إلى اتباع من يخالف فعله قوله. بل وهو أمرٌ ممنوع شرعا. يقول تعالى "كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" الصف ٣.

ثم أمرٌ آخر، وهو أن رتبة من يأت بكثير من الأوامر، لكنه يقع في النواهي أقل من رتبة من يفعل الواجبات، ويحقق شروط العدالة، ولا يزيد عن ذلك كثيراً مثل الأول، لكنه يجتنب النواهي. فإن أعمال البر والخير والتقوى، وزبيبة الرأس وارتداء الجلباب والعقال، واستطالة اللحية، هي كلها تقع في باب اتباع الأوامر. لكن الأهم والأرجح، عند الترجيح بين الناس، هو الكفّ عن النواهي، فإن رجلاً لا يفعل إلا ما كتب عليه من فرائض، بشرط تحقق شروط العدالة طبعاً، لكنه منتهٍ عمّا نهى

---

[١] الموافقات ج٤ ص ٢٥٦.

الله عنه، فلا تراه يتقرّب لسلطان أو يتزلف لصاحب سلطة أو يشي بمسلم بدعاوى الأمن وغيره، فهذه كلها مما نهى الله سبحانه عنها، هو أحرى بالاقتداء به واتباعه ممن يقوم ليله ويصلى نهاره، ويقرأ القرآن معظم وقته، لكنه قريب من السلاطين الطواغيت، يدخل عليهم، ويحلونه محل الترحاب، فإن هذا لا يكون محلاً لاقتداء ولا اتباع. ذلك أن مرتبة اتباع الأوامر تتطلب بذل الجهد، وهو متفاوت في كلّ فرد، وكلّ مكّلف بل وكلّ وقت، بما هو في الاستطاعة. لكن الانتهاء عن المنهي عنه، قصاراه الترك وهو مقدور عليه عند الكل، فمن لم يترك المنهي عنه، السهل فعله، كيف يؤمن عليه فيما قصد في فعله الأوامر؟

يقول الشاطبي "فإذا اختلف مراتب المفتين في هذه المطابقة فالراجح للمقلد اتباع من غلبت مطابقة قوله بفعله. والمطابقة أو عدمها ينظر فيها بالنسبة إلى الأوامر والنواهي فإذا طابق فيهما أعني فيما عدا شروط العدالة فالأرجح المطابقة في النواهي فإذا وجد مجتهدان أحدهما مثابر على ألا يرتكب منهيا عنه لكنه في الأوامر ليس كذلك والآخر مثابر على أن لا يخالف مأمورا به لكنه في النواهي على غير ذلك فالأول أرجح في الاتباع من الثاني لأن الأوامر والنواهي فيما عدا شروط العدالة إنما مطابقتها من المكملات ومحاسن العادات واجتناب النواهي آكد وأبلغ في القصد الشرعي" [١] .

وهذا الأخير مبني على أمور، منها أن درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح، فمن ترك النواهي، درأ المفاسد، ومن فعل الأوامر جلب المصالح، والأول أولى كما هو معلوم.

يقول الشاطبي: "أن المناهي تمتثل بفعل واحد وهو الكف فللإنسان قدرة عليها في الجملة من غير مشقة وأما الأوامر فلا قدرة للبشر على فعل جميعها وإنما تتوارد على المكلف على البدل بحسب ما يقتضي الترجيح، فترك بعض الأوامر ليس بمخالفة على الإطلاق بخلاف بعض النواهي فإنه مخالفة في الجملة فترك النواهي أبلغ في تحقيق الموافقة" [٢] .

والنصوص شاهدة على ذلك. قال تعالى "فاتقوا الله ما استطعتم" التغابن ١٦، وقال ﷺ "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم" رواه الشيخان.

[١] السابق ٢٧١.

[٢] السابق ٢٧٢.

وهذه نصوص في المعنى المُراد.

كذلك فإن هنا نكتة لطيفة، تتعلق بما حدث مع عائشة رضي الله عنها في حادية الإفك التي رُميت فيها زوراً وبهتاناً، فإن الله سبحانه أمر المؤمنين بإحسان الظن فقال "لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم"، وهو جزم بطلب إحسان الظن، وعدم ترديد هذه الشائعة، لكن هذا الجزم لم يترتب عليه حكم شرعي أو دليل مأخوذ به، إذ انتظر المؤمنون نزول البراءة من السماء بالوحي، ولم يطلقوا البراءة بمجرد إحسان الظن، حتى أن رسول الله قال "أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه" رواه مسلم في كتاب التوبة. فلم يقم بإحسان الظن دليلا على البراءة إلا بعد نزول الوحي.

يتحصل لنا إذن، أن ما يعتمد عليه الكثير من الناس، خاصة من أصحاب الورع البارد، من إطلاق "تحسين الظن" في كلّ من تحدّث في دين الله، بقال الله وقال الرسول، وبدأ بالبسملة وختم بالحوقلة، وأطال لحيته وقصّر جلبابه، وأطلق عليه غيره، ممن لا يعتدّ بهم أصلاً "شرعيّ" أو مفت أو غير ذلك، هذا لا يعمل به في الشرع كدليل على صحة قول، إذ هو مجرد اتباعٍ هوى، واختيار لأحد احتمالين دون دليل على صحة أحدهما، وهما تحسين الظن أو عدمه.

ومن هنا يظهر لنا أحد أسرار هذه الفوضى العلمية الفقهية التي صارت هي الأصل في حياة المسلمين، من حيث انقادوا إلى من لا يصحّ الانقياد له، إما جهلاً أو غروراً أو هوى، أو إحساناً للظنّ، حيث لا يصح موضعه في هذا الشأن.

د طارق عبد الحليم

١٢ أغسطس ٢٠٢٠ – ٢٢ ذو الحجة ١٤٤١



عمرو خالد - وفتنة القصاصين

والله إنه لأمر تنفطر له القلوب وتذرف منه العيون، ثم لا نقول إلا ما يرضى ربنا. أمر هؤلاء العالة على دعوة الحق، الذين تسللوا إلى حماها من الأبواب الخلفية، وإذا هم محسوبون عليها، يضرون أكثر مما ينفعون، ويضلّون أكثر ممن يهدون، ويبدلون ثوابت ويزعزعون مستقرات، ولكن ماذا عليهم، فهم والله لا يعرفون أصلا يرجعون اليه ولا علما يركنون عليه، وإنما هو الوجه التلفازيّ الذي يرفع من يرفع ويخفض من يخفض بإذن السلطة ورضاها.

وعمرو خالد خير مثال لما ذكرنا، رغم ما يتمتع به من شعبية بين شباب متشوق إلى عقيدة يتمسك بها، ولكن بلا عزم ماضٍ إلى العلم الشرعيّ الصحيح وفي غياب رؤوس علماء ينصحون الأمة ويوجهون شبابها. وعمرو – والحق يقال – لم يدعِ العلم جهارة يوماً من الأيام، وإن ارتدى قلنسوته وامتطى جواده، ومن كان هذا حاله حسبه الناس فارسا! فالجلوس أمام كاميرات التلفاز صباح مساء يجعل المغمور معلوماً، والعيّ صاحب لسان!

وعمرو في هذا رفيق رفيقه طارق السويدان، كلاهما قصّاص لا أقل ولا أكثر! ليس لهما في العلم الشرعيّ ناقة ولا جمل. وقد عرفت مصر والعديد من البلدان الإسلامية طبقة القصّاصين في تاريخها، وكان لهم دور في الحفاظ على الفلكلور الشعبي كقصص أبي زيد الهلاليّ، كما دأبوا على قصّ بعض ما ورد من حكايات الصحابة رضي الله عنهم وخاصة على والحسين. ولكن الأمر في زماننا هذا قد خرج من حيز القصّ إلى الاقتداء والإتباع، وأصبح القصّاصون ممن يتوجهوا إلى الناس بالدعوة إلى ما يفهمونه من الإسلام، وما أضحله من فهم، ويتحدثون باسم المسلمين، ويوقعون على وثائق تقارب الأديان ووحدة الهلال والصليب وما إلى ذلك من الخرف والجهالة التي تروج لها النظم الحاكمة ويتولى رؤوس الجهل القيام بها.

والسبب الذي حدا بي إلى ذكر عمرو خالد هو ما تردد مؤخرا عن زيارته لكاتدرائية في احتفالات "أعياد الميلاد" القبطية السالفة، مهنئاً الأقباط بميلاد المسيح! مما أثار استياء الكثير، ولكن لهؤلاء نقول: هوّنوا على أنفسكم، ولا عليكم من سرد أحاديث

البيهقي واقوال غيره من العلماء في شرعية تهنئة النصارى بأعيادهم، فالرجل ليس ممن يخضع لدليل، ولا ممن يعرف معنى الدليل وقيمته، بل هو على ما وجد عليه آبائه وأجداده، وهو ممن يلعب لعبة السياسة دون خبرة بها ولا بالدين جميعا، وهي ليست بزلة، كما يزلّ بعض علمائنا الأفاضل أطال الله في عمرهم، بل هو موقف اصيل يتمشى مع فهم الرجل المحدود للإسلام.

وطبعة الإسلام التي يروى عنها الرجل ليست هي الطبعة التي يراها أهل السنة والجماعة، والتي كان عليها صحابة رسول الله ﷺ، وكونه يحكى عنهم لا يجعله سائراً على دربهم ومتبعاً لطريقهم، ونظرة إلى وجهه تغنى عن الكثير من الاستدلال. والرجل لا يرى من الإسلام إلا ما تعاضدت عليه الشرائع واتفقت عليه العقول كحب الجار والعطف على الفقير والإحسان لمن أساء والبسمة في وجه الأعداء، وهي كلها من الأمور التحسينية - على اصطلاح الأصوليين - التي تُعنى بالأخلاق والآداب وما اليها، ولكنه أغفل في طبعته عن الإسلام ما هو من الأمور الحاجية التي فرضها الإسلام، بل بكل ما هو من الضروريات كالدفاع عن الوطن وردّ العدوان ودفع الصائل وحماية جناب التوحيد والتحذير من البدع، بل الرجل نفسه لا يعرف سنة من بدعة، وقد حاول بعض الشباب من أهل السنة التحدث اليه حين حضر للمشاركة بمؤتمر بدعيّ صوفيّ سنويّ في تورونتو منذ حوالي ثلاث سنوات فرفض لقاءهم لمّا قيل له أنهم من الملتحين المناوئين للصوفية! هذا حال الرجل. فطبعة الإسلام عنده تخلو من البدعة ومن الجهاد ومن العزة، وتمتلئ بمعاني التذلل للنصارى والتقرب من الغرب وإثبات أن ديننا واحد بل وإننا نعبد إلهاً واحداً، أليست المحبة من الإسلام، ثم أليس الحب هو دعوة المسيح، فالإسلام إذن هو النصرانية حذو القذة بالقذة! فسبحان الله فيمن يتحدث عن الصحابة وهو أبعد الناس عن سمتهم وهديهم.

ونحن لا نعبأ بالرجل ولا بما يعتقد، فمثل هذه الظواهر إنما تنمو في أوان الضعف والتدهور والتفكك، ولا تفتأ تتكشّف جراثيمها وأعطابها إلى أن تقتلها شمس العلم ووهج السنة، ولكن الأمر هو تلك الشبيبة المخدوعة بمثل هذه الصنائع التي ترى في

عمرو مثالاً للمسلم المتحضّر الذي يرى الإسلام بعينيّ القرن الحادي والعشرين، وهو إنما يرى من الإسلام ما يرضى عنه أهل القرن الحادي والعشرين، وشتان ما بين الرؤيتين.

ويا حسرة على الشباب الذي باتت تتنازعه أيدي الشيعة من ناحية، والعلمانية من ناحية، والصوفية من ناحية، واسلام القصّاصين من ناحية.. فلهم الله هؤلاء الشباب، وإلى أهل السنة والجماعة أقول: ألا حي على الدعوة الصحيحة والإسلام المكتمل فإن هؤلاء ما قاموا إلا حين قعدتم، ولا تحدثوا إلا حين سكتم ولا برزوا إلا حين انتكستم.

ولنا رجعة إلى السويدان إن شاء الله تعالى.



"حتى يحكموك فيما شجر بينهم"

يرى البعض أنّ مسالة الرجوع إلى الشريعة وجعلها المصدر الرئيس والوحيد في الدستور والقانون، هو أمر من التحسينات الشرعية أو من درجات الإحسان الإيمانية التي يبلغها المسلم أو يتبناها المجتمع الإسلاميّ في أعلى درجات إيمانه. وهذا الاعتقاد خطأ مردود وقبيح، إنما نشأ في أعقاب سقوط الخلافة وقبلها منذ بدء الفصل بين المحاكم الشرعية وبين المدنية أو المختلطة، وما صاحب ذلك من مناصرة الفكر الإرجائي من قِبَل الحكومات المتعاقبة لتنحية المطالبة بتحكيم الشرع من التوجه الاجتماعيّ. الأمر أن الرجوع إلى الشريعة كمصدر أوحد في حياة الفرد والمجتمع المسلم هي لازمة من لوازم التوحيد وضرورة من ضرورات الإقرار بالألوهية لله -سبحانه-، فبسقوطها يخدش حمى التوحيد وينهار بنيانه الذي يعيش المسلمون في حماه دفعة واحدة.

والمسلمون يرجعون إلى كتاب الله وسنّة رسوله حين تختلف بهم الآراء وتتشعب بهم الطرق، فلننظر في آية واحدة من كتاب الله -سبحانه- تضع النقاط على الحروف وتبين الحق لمن كان له قلبٌ واعٍ وأذنٌ مُصْغية، وما علينا بمن ضلّ وكان كالأنعام بل أضلّ.

يقول الله تعالى في سورة النساء: "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" النساء ٦٥

يتوجه الله -سبحانه- في هذه الآية الكريمة إلى المجتمع الإسلاميّ بالمقام الأول، بقوله في صيغة الجمع: (لَا يُؤْمِنُونَ، يُحَكِّمُوكَ، وَيُسَلِّمُوا)، ثم إلى الفرد المسلم الذي تتكون منه خلايا المجتمع، والذي يتحقق به هذا الركن من التوحيد. فيُقسم الله بذاته العليّة أن "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ". وقد تضمن هذا القسم العظيم الجليل ثلاثة شروط، وهي هي ثلاثة أوصاف، لمن أسلم وآمن وعمل صالحاً، أو لمن اسلم وآمن وأحسن، أولها ظاهرٌ من أعمال الجوارح، وثانيها وثالثها من أعمال القلوب.

فقوله تعالى "حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ" هو إقرار العمل بالشريعة في الدستور والقانون، وهو مناط الإسلام ومظهره الذي يسقط دونه مهما تبجح الإرجائيون،

قديما وحديثا. وهو مناط المادة الثانية في الدستور التي يتنادى المهاترون بإلغائها، وهم على علم بأن ذلك هو خلع رداء الإسلام جملة واحدة.

ثم قوله تعالى في الشرط الثاني، والوصف الثاني "ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا"، أي لا يتململ أحدهم ضيقًا حين تجرى أحكام الشريعة، فيراها قديمة أو همجية، أو أنّ فيها ظلم وإجحاف بطائفة على حساب طائفة أو جنس على حساب جنس أو عرق على حساب عرق، ولا يردّد أن الحِجاب ظلم وجهالة، أو أن القصاص وحشية وهمجية، وما إلى ذلك مما يبوح به من خلع رداء الإسلام أصلا وفرعا.

ثم قوله -تعالى- في الشرط الثالث، والوصف الثالث "وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" وهو مقتضى التسليم التام والنزول على أوامر الله خضوعًا تامًا بها ورضاءً تامًا عنها، وكيف لا وهي صادرةٌ عن العليّ العظيم، وكيف لا وهي ميراث سيدِ المرسلين، وكيف لا وهي لبّ كتابِ الله الحكيم!!

وقد يقول قائل: هوّن عليك يا شيخ، فإنّ الآية تتحدث عن الإيمان والمؤمنين، وهو من كمالات الدين، ونحن نتحدث عن الإسلام الذي بني على خمس، لا نرى منها الحكم بشريعة الله؟ فنقول، أما عن الإيمان والمؤمنين، فإن من له علم بقواعد التفسير يعرف أنّ الإسلام والإيمان تجرى عليهما القاعدة التفسيرية أنهما "إن اجتمعا افترقا، وإن افترقا اجتمعا" أي، بلغة عصرنا، إن وردت إحداهما في نصّ وحدها شملت معاني الأخرى من الأعمال الظاهرة والباطنة، وإن وردا معا في نصّ واحد أصبح الإسلام دالًا على الظاهر من أعمال الجوارح، والإيمان دالًا على الباطن من أعمال القلوب. والآية الكريمة التي نحن بصددها ورد فيها الإيمان دون ذكر الإسلام، فشمل الإيمان معاني كليهما من أعمال الظاهر بتحكيم الشريعة، وأعمال القلوب برفع الحرج منها والتسليم المطلق لها.

أما عن الجزء الثاني من أنّ الإسلام بني على خمس لا نرى منها الحكم بشريعة الله، فإن ضرورة الحكم بالشريعة وكونها ركنًا من أركان التوحيد أساس من أسس "لا إله إلا الله"، فألوهية الله وحده تستلزم أن لا يكون له شريك في الحكم والأمر، كما انّ

ليس له شريك في الخلق "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ" الأعراف ٥٤ والإقرار بألوهية الله تستلزم صحة عبادته، أي طاعته، فالعبادة هي الطاعة كما قال تعالى "أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ" يونس ٦٠، قال المفسرون: أي طاعته، وإنما الأركان الأربعة وبقية الأوامر والنواهي هي صور من صور العبادة والطاعة التي أعلاها الرجوع إلى شريعته، لا إنشاء شريعة موازية وإجبار الناس على الرجوع إليها والطاعة عليها.

أمر الرجوع إلى الشريعة أكبر وأهم وأعظم في حياة من يريد أن يموت على الإسلام من مجرد مادة في الدستور يقرها أو يلغيها مجلس من البشر، بعد أن أقرها من بيده الأمرُ كله.

حديث عن المنهج

الحديث (**حول**) منهج أهل السنة والجماعة حديث تطمئن إليه قلوب المؤمنين وتنشرح له صدورهم؛ فهذا المنهج هو طريقهم السوي إلى بر الأمان في خضم تلك البدع والأهواء والفتن المتلاطمة التي يجر بعضها بعضاً للقضاء على زمرة أهل الحق

لكن الحديث (**حول**) المنهج أمر، والحديث (**عن**) المنهج أمر آخر... فالحديث حول المنهج، الذي اطمأنت به نفوس المؤمنين في السنوات الماضية قام على الدعوة للرجوع إلى هذا المنهج القديم وتحبيب الناس فيه، والتركيز على أنه لا منهج سوي سواه، ولا منجي مما يحيق من فتن إلا به ... فهو المنهج الذي أسسه محمد ﷺ، وهو الذي سار عليه أعلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا، ما انحرف عنه أحد إلا دخلته بدعة وفارقته سنة، وبعد عن القصد، وقرب مما ليس فيه مصلحة.

أما الحديث (**عن**) المنهج فهو يعني: بيان أسس ذلك المنهج، تقعيد قواعده وتفريع فروعه وبيان مبادئه وتفصيلاته، وشرح كلياته وجزئياته، وهو ما يحتاجه مسلمو اليوم ممن اطمأنوا إلى ضرورة اتباع هذا المنهج والسير على خطاه.

إن (منهج) أهل السنة والجماعة ليس هو (فتاوى) أهل السنة والجماعة أو (مذهب) أهل السنة والجماعة الفقهي أو الحركي. إنه (أسلوب) في النظر إلى الأمور الثلاثة التي تشكل مسار الدنيا، والتي يختلف عليها الناس في كل آن ومكان: الأفكار، والأشخاص، والأحداث.

المنهج هو: (طريقة) في البحث والتحري عن الحقيقة - أو بالأحرى: عن الحق - تضيق نطاق الخلاف حول تلك الأمور الثلاثة التي ما فتأ الخلاف حولها يهدد كيان المسلمين ويزعزع بنيانهم، وأهم من ذلك أنه الوسيلة التي تجعل النية والقول والعمل موافقاً لسنة رسول الله ﷺ، أو قل إن شئت:

(هو تلك الأسس والقواعد الشرعية والعقلية التي يدرب عليها عقل المسلم؛ فتكون

قالباً تُصاغ من خلاله حركاته وسكناته .. أقواله وأفعاله .. إقدامه وإحجامه في كافة شؤون حياته).

إذن، ما هو ذلك المنهج أو الأسلوب أو الطريقة التي ما زلنا نتحدث عنها وندعو إليها؟

سؤال يحتاج أن تتجرد له عزائم الرجال، وتتفرغ له أوقاتهم، وتشحذ عقولهم لوضع تفاصيل ذلك المنهج وحدِّ حدوده ورسم معالمه، فما أظن أنه قد تجردت له العزائم بعد، بل حامت حول حماه ثم جنحت إلى جوانبه راضية من الغنيمة بالإياب!

أنواع المناهج

نوعان من المناهج يتبعها الباحثون في المجالات العلمية أو النظرية، تجدر الإشارة إليها كأحد المعالم الهادية إلى تحديد نوعية المنهج المراد، وهما:

أولاً: تلك المناهج التي توضع تفصيلاتها وتحدد معالمها قبل البحث المقصود إليه أو المراد إنشاؤه، ويطلق عليها (أسلوب البحث) إن تعلقت بمبحث علمي، أو (خطة البحث) إن تعلقت بأمر عملي فيزيقي، أو (خطوات البحث) إن تعلقت بأمر عمليّ في مجال الأعمال والتجارة وغيرها. هذه المناهج غالباً ما تكون مقصورة على البحث الذي وضعت لأجله.

ثانياً: تلك المناهج التي تستشف معالمها وتستنبط مبادئها من واقع حال وظروف قائمة وأحداث واقعة - سواء في الماضي أو الحاضر - لتكون هيكلاً في البحث وطريقة في النظر، تتبع فيما يستحدث من وقائع أو ظروف أو أحداث في المستقبل، وهو ما نرمي إليه في الحديث عن منهج أهل السنة والجماعة. وأقرب ما وجدناه من معنى يعبر عن ذلك في معجم المباحث الغربية هو كلمة Scheme.

هذا النوع من المناهج هو ما استعمله (ديكارت) في كتيبه الشهير الموسوم بـ: (مقال في المنهج)، وهو الذي نبتت أفكاره من بذور الفكر الذي ساد تلك الحقبة من

الزمن، والذي قامت على أساس هدم الفكر الديني الكاثوليكي، وفصل الدين عن السياسة، والوقوف في وجه طغيان الكنيسة وسيطرتها على مصائر الناس، مما أشاع فكر (التحرر) وضرورة (الشك) في المسلمات السائدة. ذلك المنهج الديكارتي هو الذي سيطر فيما بعد على مجالات الفكر النظري والعملي الغربي، وأنشأ قواعد الفكر الغربي الحديث.

بين المنهج والقانون:

ومما يجب أن نلفت إليه النظر هو: ضرورة التفريق بين القانون أو النظرية وبين المنهج، إذ أن الخلط بينهما يؤدي إلى أخطاء كثيرة في البحث والتطبيق جميعاً.

فالقانون أو النظرية مع اختلافهما في درجة التوثيق هما قالب تفسر فيه أحداث واقعة، سواء في الماضي أو الحاضر، تحت ظروف محددة خاصة، وتنطبق أوصافهما وتتحقق نتائجهما كل مرة تتحقق فيها تلك الظروف أو الشروط، كما في النظريات والقوانين العلمية بشكل عام. فهي قوالب كلية استنبطت من جزئياتها [١] من جهة، ثم فسرت بها الجزئيات المستحدثة، بعد ذلك من جهة أخرى.

أما المنهج فهو وإن كان قالباً أو هيكلاً للبحث يقوم على أحداث ووقائع كما ذكرنا، إلا أنه أسبق في الوجود الذهني وأعلى في الدرجة من الكليات والقوانين؛ إذ على أساس منه وفي حدوده ومن خلاله تستنبط تلك الكليات والقوانين التي تفسر من خلالها الوقائع وتقدم الحلول والنتائج، أو الأحكام الشرعية والفتاوى في التعبير الشرعي . فهو إذن مصدر الكليات والقوانين، لا بأعيانها وذواتها، وإنما بذلك التحديد الذي تضعه فرضياته ومبادئه لتحكم به مسار الفكر واتجاه البحث الموصل إلى تلك القوانين والكليات.

---

[١] ونعني بالجزئيات: الوقائع والأحداث التفصيلية التي تشكل بمجموعها قانوناً عاماً أو كلية كما يعبر عنها في أصول الفقه.

ولنضرب مثالاً على ما نقول:

فإن القاعدة الكلية - أو القانون إن شئت - (رفع الضرر) قد استنبطت من جزئيات عديدة تكررت في مواضع عديدة من الشريعة مؤدية لذلك المعنى.

فقد قال تعالى: "لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِهَا"، وقال "ولا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا"، وقال ﷺ في الحديث : (الجار أولى بالشفعة) أي: أن الشريك أو الجار أولى بالشراء من الغريب عند رغبة البيع ، حتى لا يأتي من يضر المالك في ملكه أو جواره .

كذلك الرد بالعيب في البيوع، وحكم الحجر على السفيه، وشرع القصاص، فإن فيه رفع الضرر عن العباد بكف أذى المعتدين. بذلك جاء في الحديث: «لا ضرر ولا ضرار»، وهو مروي في (الموطأ) مرسلاً، كذلك أخرجه الحاكم في (المستدرك) والبيهقي والدارقطني من حديث أبي سعيد الخدري، وابن ماجه من حديث ابن عباس، وهو وإن كان ضعيفاً إلا أن معناه صحيح مقرر في أماكن عديدة من الشريعة.

كل ما سبق هي جزئيات أدت إلى استنباط قانون عام كلي هو (رفع الضرر). وفرضيات المنهج الذي أدى إلى استنباط تلك القاعدة من جزئياتها المتعلقة بها عديدة، منها العقلية ومنها الشرعية، نذكر منها:

فرضية عقلية: أن الوقائع المتكررة في معنى واحد تؤكد ذلك المعنى وتقرره.

فرضية شرعية:

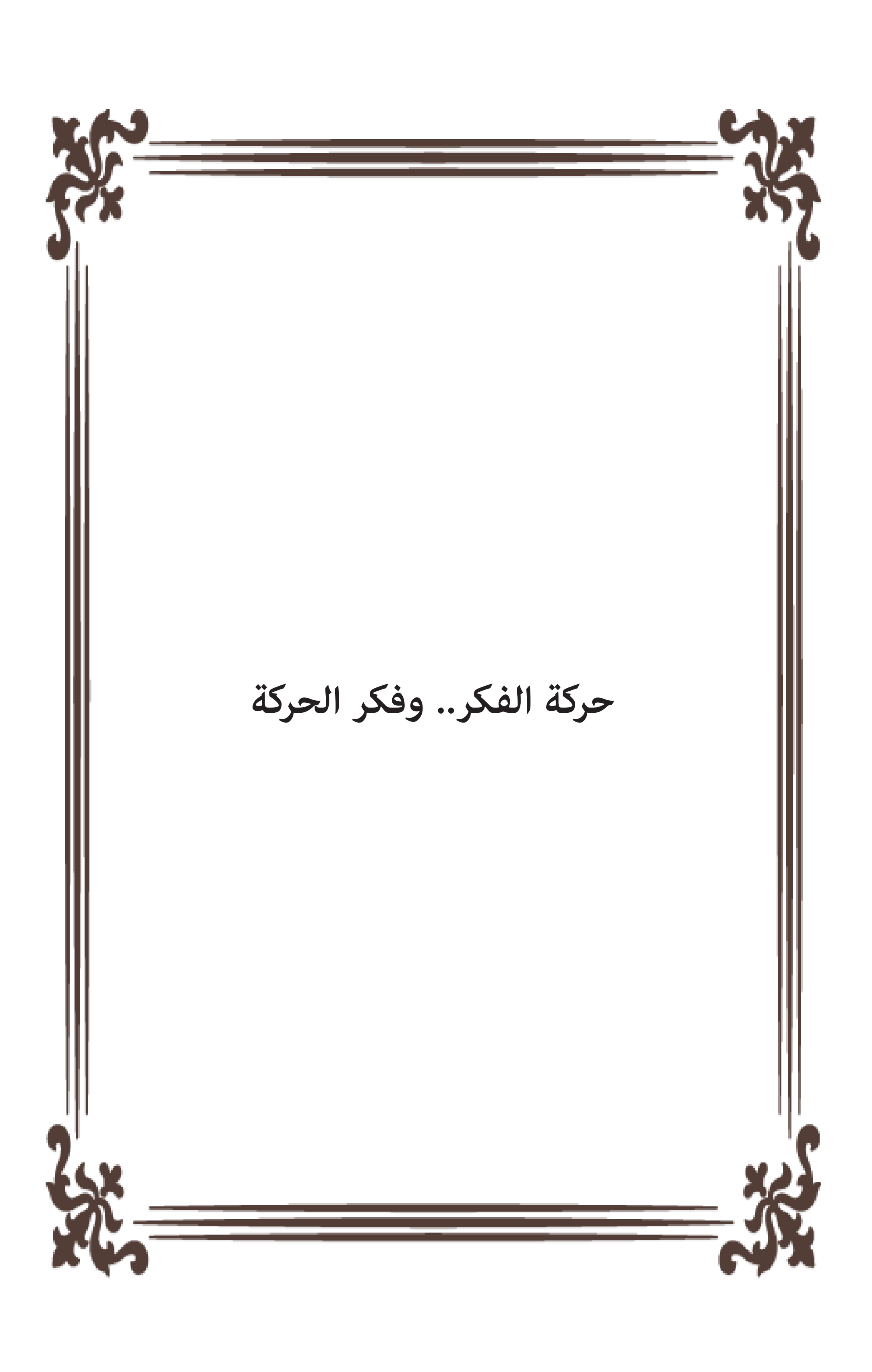
- أن الأحكام الشرعية إنما قصد بها جلب مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم.
- أن مقصود الشرع هو تحقيق (أفضل) الحلول الممكنة حسب الواقع لا الخيال.

- تساوي الناس في حق تحصيل المنفعة ودفع المضرة.

وماذا بعد؟

في إطار ما قدمنا يحق للقارئ أن يتساءل: إذن ما هي مصادر منهج أهل السنة والجماعة؟ ما هي معالمه ومبادئه؟ وما هي حدوده؟ ثم ما هي قواعده وتفاصيله؟ أيطابق منهج أهل السنة في النظر والاستدلال منهجهم الحركي أم يغايره في بعض تفصيلاته؟ إلى آخر تلك التساؤلات التي آن لها أن تجد أُذُناً صاغية وعقولاً واعية.

ولأن الغرض الأساسي من حديثنا هذا عن المنهج هو إلى شحذ الفكر، وتوجيه العقل وطرح السؤال أكثر منه إلى إملاء الفروض وتقرير الجواب، فإننا نكتفي بهذا القدر، وندعو إلى المشاركة في وضع تلك المعالم والتفصيلات. فقد آن لنا أن نفعل، والمسلمون بحاجة شديدة إلى مثل هذا العمل، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



حركة الفكر.. وفكر الحركة

لعل من مواضع الاتفاق بين العديد من المهتمين بشؤون العالم الإسلامي اليوم أن الأزمة المعاصرة التي يمر بها العالم الاسلامي هي أزمة فكر بالدرجة الأولى، قبل أن تكون أي صنف آخر من الأزمات التي تعتور حياة الناس ومجتمعاتهم وحضاراتهم، فتلقي بهم خارج دائرة التاريخ تارة، أو تجعلهم ذنباً في مؤخرة الركب تارة أخرى. فحياة الحضارة – إن صح التعبير – مرهونة بحياة الفكر فيها، ومدى حيوية وجديته، وملاءمته للواقع، ومواكبته للمتغيرات، مع احتفاظه بكينونته وهويته التي تميزه عن غيره من أنماط الفكر.

وأين المسلمون – ويا حسرة على العباد! – قد خفُت فيهم ضياء الفكر، وخبا شعاعه منذ فترة، قد يختلف على تحديدها المؤرخون ، من زاعم أنها بدأت منذ عصر اضمحلال الخلافة العثمانية ، وممن يمتد بها إلى العصر الحديث ، الذي انهارت فيه دولة الخلافة انهياراً قاضياً ، وتفتت شمل الأمة المسلمة إلى أمم تعرف من الإسلام ما تعرف ، وينكر منها الإسلام ما ينكر ، ولكن لا يختلف المؤرخون - في النتيجة النهائية – أن العالم الإسلامي قد ضحّى بما أرثه من قدرة على إنماء الفكر وصياغته في صورة حركة دافقة دافعة ، وركن إلى التقليد و "الاستيراد" ، تقليد الأفكار واستيراد المنتجات!. وكلنا يعرف أن هذا المناخ لا يتولد إلا عن مناخ تغيب فيه الحريات، ويكبل فيه العقل، فيركن إلى التقليد والاستيراد.

من هذا المنطلق، فإن أية "حركة" إصلاحية تقصد إلى إعادة الأمور إلى نصابها – ورد الحقوق إلى أهلها – يجب أن تدرك أن حركة الفكر هي المنطلق الحقيقي والوحيد لبلوغ الغاية المقصودة.

حين تنعزل الحركة عن الفكر فإنها تصبح شبيهة بالتشنج العصبي، الذي لا يحكمه عقل، ولا يوجهه منطق، وحين ينعزل الفكر عن الحركة فإنه يصبح أشبه ما يكون بأماني الأسير في الحرية، وجود خيالي لا يدعمه واقع، ولا يتجاوز عقل صاحبه، فالفكر والحركة – إذن – هما وجهان لعملة واحدة، نتاجها الإنجاز الإيجابي.

إن الفكر هو حركة العقل التي ينبني عليها تفاعل الأحداث وحركة المشخصات

لتحقيق أهداف مرسومة. والحركة هي تجسيد الفكر في وقائع وأحداث تجري على ما رسمه الفكر وحدده.

والحركة بلا فكر لا ينشأ عنها إلا الفوضى، التي لا تقضي أمراً، ولا تصيب نجاحاً، بله مجافاتها للمقاصد الشرعية التي تبني اجتهادات المسلم على غالب الظن، وما هو إلا نتيجة النظر الفاحص الذي يدرك أن غالب الظن متحقق في نفس الأمر.

والفكر بلا حركة لا ينشأ عنه مجتمع حقيقي واقعي، يعالج مشاكل الناس، ويدفعهم لحيازة نصيبهم من الدنيا، وابتغاء الدار الآخرة، بل هو أقرب إلى "اليوتوبيا" - أو هكذا سموها - حيث يتخفف المفكرون من عبء الواقع ومعالجته، ويركنون إلى وهم الخيال ووهنه.

فالفكر والحركة متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر إلا في فترات الهبوط الحضاريّ، حين يغشى على أعين المخلصين ما يغشى، فتتوه عنهم تلك العلاقة الوثيقة التي تجعل الانفصال بينهما بداية الانحطاط ووسطه ونهايته.

والغرب قد احتفظ بهذا الوقود الحضاري الذي يذكِّي القوة الدافعة البناءة، فأنتج تقدماً فاق به المسلمين، وتغلب عليهم على الرغم مما هو فيه من خراب عقائدي، وانهيار خلقي. ولعله من الجدير بالذكر هنا - مما يعين على تقدير أهمية ما نرمي إليه - هو ما نلاحظه من أن نسبة منْ تفوق في مجال الإنتاج الإسلامي من مجموع المسلمين الجدد من أهل أوروبا أو أمريكا هي أعلى بشكل واضح من نسبة من برز من أهل العلم والفكر من أهل الإسلام الناشئين في الشرق، بل ومستوى الفرد العاميّ المسلم الذي تحول حديثاً إلى اعتناق الإسلام من أهل الغرب أعلى من نظيره من عوام مسلمي الشرق، ممن ينتسب إلى أهل السنة والجماعة في الحالين. وما هو - كما نرى - إلا نتيجة للمناخ الفكري الأساسي الذي يتمتع به الغربيون، فيحملونه معهم حين التحول إلى الدين الجديد. وصحيح أن الآفاق التي يحلق فيها من تحقق بالعلم من أهل الشرق لا تزال أعلى بكثير من نظرائهم من إخواننا من المسلمين الجدد، ولكن النسبة العددية هي ما نرمي إليه لإثبات تأثير المناخ الذي يتحرك فيه الفكر على مستوى الفرد

وعلى مستوى المجتمع.

كذلك لا يظن ظان أن ما نقصد إليه بالفكر هو بالضرورة مذهب أهل السنة والجماعة بذاته – أي الأسس العقائدية لمذهب الحق الذي ندين به – إنما هذا المذهب هو من خيوط الفكر ومن جزئيات مادته، فإن مذهب أهل السنة والجماعة – في معناه الواسع – يقدم القالب الإجمالي الذي يجب أن تدور من حوله عملية الفكر الجماعي والفردي، بحيث يكون ضابطاً لهما، ومانعاً من انحرافهما، ومن ثم ما يترتب عليهما من نتائج في حياة الفرد والجماعة على السواء. وهذا القالب إنما نعني به منهج النظر والاستدلال الذي ينبني على معطيات أصول الفقه، وعلى مقررات القواعد العامة الكلية في الشريعة. هذا المنهج الذي لم نر- حتى يومنا هذا – من تناوله بالدرس والتمحيص ليخلص منه بأصول للمنهج تشابه – على سبيل المثال لا المقارنة – ما وضعه ديكارت إبَّان حركة التنوير الأوروبية تحت عنوان "مقال في المنهج". وقد أشار كاتب هذه السطور إلى هذا الأمر من قبل – في مقال نُشر في منتصف الثمانينيات بمجلة "البيان" اللندنية تحت عنوان "حديث عن المنهج" - توجه فيه إلى مفكري المسلمين بشكل عام، ومنظّري الحركات الإسلامية بشكل خاص، إلى أن يولوا هذا الأمر انتباههم، وأن يهيئوا المناخ لمثل هذه الإفرازات الفكرية أن تنشأ، وتترعرع ، فينشأ بها جيل من المفكرين، يوجه الحركة ، ويصحح مسارها من حين إلى حين.

فإذا فرغنا من تحقيق هذه الأولية، ووجهنا النظر إلى الحركات الإسلامية المعاصرة – التي هي نتاج المجتمع الإسلامي المعاصر – رأينا فيها ما نرى فيه من سلبيات وإيجابيات، إذ نشأ رجاله في أحضانه، وتربوا على أفكاره، فكانت صورة منه. فلا غَرْوَ إن انعكس في هذه الحركات نفس الداء الذي أوقف نمو الحضارة، وعاق تقدمها في القرون الماضية، ونقصد به داء الركود الفكري.

فالحركات الإسلامية المعاصرة إذن تعاني ضعفاً فكرياً يعوقها عن تكوين قاعدة فكر أصيل، تبني عليه اتجاهها، وتوجه – من خلال حركته – حركتها، فيكون عملها

منتجاً. ولا نحتاج إلى أن ندلل على ما نقول، إذ إنه منذ أن سقطت الخلافة إلى يوم الناس هذا – أي منذ أكثر من خمس وسبعين سنة – لم نر لهذه الحركات نتاجاً عملياً مثمراً، يشار إليه بالبنان، ويظهر أمام أعين الناس كالعنوان. وما هذا – فيما نحسب – إلا لغياب الفكر المحقق المدقق الذي يعقبه عمل متقن محكم. ونحن لا ننكر ما قدّمه الرعيل الأول من أبناء هذه الأمة في هذا القرن من فكر راقٍ أصيل، نتج عنه وجود الحركة الإسلامية ذاتها، من أمثال حسن البنا وسيد قطبٍ ومالك بن نبي والمودودي – رحمة الله عليهم جميعاً – إلا أن هذا الفكر لم يتابع بما يسمح له بالنمو من ناحية، وبالتغيير والتعديل إن لزم الأمر من ناحية أخرى.

إن الفكر الذي نقصده ليس هو ما عبر عنه بعض كُتّابنا الأفاضل "بفقه الدعوة" أو "فقه الحركة" أو "فقه الاقلاع"، إذ هو يتعلق بمرحلة ما بعد الفكر البنائي الأساسي. فقه الدعوة أو فقه الحركة هو أقرب ما يكون إلى التنظيم والترتيب لا التأسيس والتنظير، ما نقصد بالفكر هنا إلا ذلك العمل العقلي الأساسي الذي تبني عليه الحركة، فكر التحليل ثم التركيب، فكر الجزئيات ثم الكليات، الفكر الذي يرى المشكلات في مبادئها الأولية، وما تنشأ عنه قبل أن يبدأ العلاج، ويقترح الحلول. عن هذا الفكر نتحدث، وهو ما نقصد إلى تحريكه من سكونه وركوده، وهو العمل الأول الذي يجب أن تضطلع به الحركات الإسلامية. هذه القدرة الفكرية هي ما يجب أن تربي عليها الحركات الإسلامية أبناءها ومنتسبيها، حتى يكون صفة عامة لهم، ينشأ عنها حسن التحليل والتوجيه ودقة الفهم والتأصيل، وهو ما يُنتج – بالضرورة – قيادات تتسم بدقة التخطيط، وأتباعاً يتصفون بحسن الأداء. حين ينتظم هذا الفكر، ويصبح صفة ملازمة لأبنائها، ينشأ حينئذ فكر الحركة، وفكر الحياة كلها. ففكر الحركة هو المبررات التي تجعل اتجاه الحركة في طريق معين اتجاهاً سائغاً له ما يبرره.

وإذا نظرنا إلى كبرى الحركات الإسلامية في هذا العصر – ونقصد بها حركة "الشهيد" البنا (رحمة الله عليه) – فإننا نجد مصداقاً لما قرّرنا من أن الفكر الحركي يعاني أزمة حادة نتجت عن الأزمة الأعم في جمود الحركة الفكرية في الأمة بشكل عام. فإن "الإخوان المسلمون" بعد أن فقدوا زعيم الحركة ومنظرها في نهاية الأربعينيات

قد فشلوا في إعمال الفكر التحليلي، وردّ جزئيات الواقع المحيط بما تجدد فيه بعد عصر البنا - رحمة الله عليه - إلى أصولها، بحيث ينشأ عن هذه الحركة الفكرية الواعية فكر حركي يلائم معطيات الواقع الجديد، فيثمر العمل، وتتوج الجهود بالنجاح - أليس غريباً أن تظفر دعوة البنا بهذا النجاح الهائل في فترة حياتها الأولى، وحتى استشهاد مؤسسها، ثم إذا بها تضمحل من بعده، ويقل حصادها، حتى يصبح جل ما تعيش عليه هو ذكريات الماضي؟ ولو كانت الحركة الفكرية شابة فتية - تسري في أبناء هذه الدعوة من خلال ما تربى عليه أفرادها في مجتمعهم الكبير، ثم في جماعتهم - لاستطاعت أن تواجه الواقع الجديد بما يناسبه من فكر حركي، يوحد الجهود، وينظّم الصفوف. وحتى لا نتجاوز حد الإنصاف، فإننا يجب أن نذكر أن التحدي الجديد - الذي واجه الدعوة بعد فقد مؤسسها - كان تحدياً تاريخياً هائلاً، إذ انتقلت فيه المواجهة إلى آفاق جديدة لم تكن بهذا السفور والوضوح في العصر الأول من حياتها، ولكن أليس هذا هو دور المفكرين من أبنائها ومن أبناء الأمة كلها أن يتحرك فيهم الفكر، ويعمل العقل لإيجاد ما يلائم الواقع من أشكال عملية منتجة!

وحتى لا نظلم حركة "الإخوان المسلمين" - في مرحلة ما بعد البنا - فإن سائر الحركات الإسلامية قد عانى مثل ما عنته هذه الحركة - بشكل أو بآخر - على درجات متفاوتة، وإن اشتركت كلها في أنها لم تغذّ هذه القدرة لدى أبنائها، ولم تنمّها بالقدر الكافي، بل إننا نحسب أنه في غالب الأحوال عملت قيادات العديد من هذه الجماعات على كبت ما يظهر من براعم فكرية، وذلك حرساً على مكانتها القيادية، وتبنت مبدأ "الولاء قبل الكفاءة"، فأبعدت من يستحق لحساب من يوالي. فانزوت البراعم الفكرية، ورضي القادة من الغنيمة بالاتباع! ثم ما نراه حاصلاً في واقع بعض الحركات الإسلامية الأخرى من أنها تربي أبناءها على منهاج يدفع إلى تحقير الفكر لحساب العمل، فإن لم يكن ما تقدمه للدعوة عملاً حركياً في التو واللحظة كنت من المخذّلين المتقاعدين. وما ينشأ هذا الاتجاه إلا حين تضعف القدرة الجماعية على التوجيه الفكري الذي يسبق الحركة، ويوجّه عملها، أو نتيجة الرغبة الشخصية في دخول معترك العمل الإسلامي من أي باب كان، حين تجتمع في الفرد الرغبة المخلصة في العمل مع العجز عن التوجه الصحيح المبني على الفكر الواعي.

والمحزن في هذا الأمر أن نرى الحركات الإسلامية – التي تنعي على الأنظمة السياسية الكثير من ممارساتها مع مواطنيها – تكاد تتبع نفس سنن هذه الأنظمة في ممارساتها مع أتباعها من ناحية ، ومع مخالفيها من ناحية أخرى ، حتى أننا سمعنا من يردد القول: أن يتعامل أفراد حركته مع الأنظمة السياسية القائمة أفضل من أن تتعامل مع الحركات الإسلامية الأخرى ، وحين نحلل هذا الموقف إلى عناصره الأولية نجد فيه مصداق ما ذهبنا إليه من أن أبناء هذه الحركات الإسلامية وموجهيها ليسوا إلا نتاج هذا المناخ الفكري الراكد ، وأن جرثومة الإحباط الفكري قد سرت في الجسد كله ، بما فيه من انتمى إلى الحركات الإسلامية.

ولسنا – يعلم الله سبحانه – بذاهبين إلى هذا القول، وآخذين بهذا التحليل تقليلاً لقيمة العمل الإسلامي المعاصر، فإنه – على ما يحتاجه من توجيه وتقويم – أملُ الأمة الذي تعيش عليه، لعل الله – سبحانه - يُحدث من خلاله أمراً. وإنما قصدنا توجيه النظر إلى حقيقة أن الحركة الفكرية التي تباطأت في أبناء الأمة بوجه عام قد أحدثت آثارها التلقائية في أبناء الحركات الإسلامية بشكل خاص، وأن تصحيح الفكر الحركي لا بد أن يبدأ بإذكاء حركة الفكر بشكل عام، إذ هما صنوان لا يفترقان.

وحتى نسبغ على دعوانا هذه شرعية البرهان وقوة الحجة والدليل، فسنتناول بعض ما كان من نتاج الحركة الفكرية من جهة، ومن خراج الفكر الحركي من جهة أخرى، لنرى بأنفسنا مدى ما نعانيه من نقص لا يسده إلا جهد مخلص جبار واع.

وأول – بل خير – ما نبدأ به ذلك العمل الفذ الذي أخرجته قريحة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما عُرف بكتاب التوحيد، فإن الأثر الذي تركه هذا العمل الفكري الديني التجديدي قد فاق أثر كلُ ما تركه عمل أجيال قبله أو بعده منذ تدهور الخلافة العثمانية، وبداية تفكك عُرى دولتها. والكتاب على أنه لم يقدم جديداً من ناحية ما طرح من العقيدة – إذ هو مجرد جمع لما تفرق في شرح عقيدة أهل السنة والجماعة – ولكن مصدر قوته يرجع إلى مساق ذلك الجمع، وتلك القوة التي تضاعفت بحشد دلائل التوحيد وعلامات قيامه أو سقوطه، كما قررها رب العالمين، وكما بيّنها

المصطفى – ﷺ – صافية نقية قوية، لا مداهنة فيها ولا مجاملة. هذا العمل الفكري الفذ قد أفرز طاقة حركية هائلة تمثلت في حرة الإخوان (إخوان نجد)، ثم استمر أثرها في كثير من الأعمال التي أصدرها عدد عديد من العلماء والدعاة، وعلى رأسهم السيد أبو الأعلى المودودي، و"الشهيد" سيد قطب، ثم ما كان من أثر هذا العمل في الحركات الإسلامية المعاصرة، خلاف حركة "الإخوان المسلمين".

ثم ما كتبه العلامة السيد محمد رشيد رضا – في العدد الأول من مجلة "المنار" في مطلع هذ القرن – حين تناول بالتحليل قوة الحضارة الغربية، وسبب تفوقها. فقد استطاع هذا العالم الجهبذ أن يرى – بنور عقله وبهداية الله سبحانه له – ما لم تره أجيال من بعده، أو لنقُل ما فشلت أجيال من بعده أن تستفيد منه في حركتها. فقد قرر السيد رشيد رضا – حين تناول البحث في "منافع الأوروبيين ومضارّهم" – أن ما ساد الغرب من قوة تنظيمية أفرزت ما عُرف "بالمؤسسات" (Organizations) – أو "الجمعيات" كما سماها – وعزا تفوق الغرب على الشرق إلى أن الشرق لا يزال يعمل بروح الفرد لا بروح الجماعة. وما ذكره السيد رشيد رضا هو أمر في غاية الدقة في التحليل وصواب النظر، فإن الغرب قد عرف نظام المؤسسات في منتصف القرن التاسع عشر، ثم استفاض استعمال هذا الشكل من التنظيم في بداية القرن العشرين، وأفردت له دراسات عديدة في مجال الأبحاث الإدارية ونفسية الجمعيات وتصرفاتها (Organizational Behavior & Human Performance System)، وصار استعمال كلمة "النظام" (System) سائداً في كل مجالات العلم سواء الطبيعي أو الاجتماعي. وما أردناه في هذه الإشارة إنما هو التدليل على أن فكر السيد رشيد رضا قد ضرب في أعماق الحضارة الغربية وسبب تقدمها ما سبق به حتى فلاسفة الغرب في إرجاع تقدمهم إلى هذا الشكل من العمل، وعلى أن حركة الفكر التي قادها السيد رضا – رحمة الله عليه – كان يمكن أن تفرز نتاجاً عملياً حركياً لو قُيّض لها من يحملها، ويحول طاقتها من الفكر إلى الحركة.

وحين نتحدث عن الأعمال الفكرية المؤثرة في الحركة ، فإننا لا نستطيع أن نتجاوز السيد أبا الأعلى المودودي ، وما كتبه في بيان ما أحاط بعدد من المصطلحات من

غبش في المعنى ، قد أدى بدوره إلى اضطراب في الحركة المبنية عليها ، وذلك في كتابه العظيم "المصطلحات الأربعة في القرآن" ، حيث تناول بالتحليل مصطلحات "الدين" و"الرب" و"العبادة" و"الإله" ، ثم ما قدمه من فكر راق في تحليل النظام الإسلامي وبناء الدولة والدستور الإسلامي ، وقد كان السيد المودودي مواكباً لحركة بناء دولة باكستان ، فكان فكره وتنظيره لأبناء حركته - "الجماعة الإسلامية" - مصدر إشعاع فكري لغيرها من الحركات التي اهتدت بما خطّه أبو الأعلى (رحمة الله عليه).

ثم نصل إلى معلم من معالم الفكر في هذا العصر ، تعدى آثره موطن صاحبه ، وجيل صاحبه ليكون مصدر فكر حركيّ دائم متجدد ، وهو كتاب "معالم في الطريق" للشهيد سيد قطب ، والكتاب - على صغر حجمه - استطاع صاحبه أن يمهد الطريق إلى طلائع مباركة تأتي من بعده ، تهتدي بكتاب الله - سبحانه - وبهدي سيد المرسلين - ﷺ - ويتمثل فيهم بعضاً من شمائل ذلك الجيل الفريد من صحابة رسول الله - ﷺ - فإن مادة القرآن لا تزال حية كما أنزلت ، وسنة الرسول (ﷺ) لا تزال محفوظة في الصدور وفي السطور ، فحري بمن يتبعهما أن يرقى إلى قريب مما رقي إليه ذلك الجيل الفريد. وقد هلك في هذا الكتاب أناس ترجموه إلى التكفير والعزلة الشعورية وغير الشعورية، وما إلى ذلك مما لم يقصد إليه الكاتب، ومن الناس من رماه بالغلو والخروج، بل وبالكفر والمروق، ثم إن بعض فضلاء الدعاة اعترض على بعض ما كتب الأستاذ سيد من أن جيل الصحابة لا تكرر، وهو صحيح، وإن كنا لا نذهب مع هؤلاء الفضلاء إلى ما ذهبوا إليه من تحليل لغرض سيد ومقصده، فليس هذا موضع الخوض فيه على أي حال. ومحصل القول أن الحركة الإسلامية المعاصرة في جيل الستينيات والسبعينيات ترجع - بشكل أو بآخر - إلى هذا العمل الفذ الذي قُتل صاحبه دونه، لتحيا كلماته من بعده.

أمثلة مضيئة من حركة الفكر التي توجه وتبني فكر الحركة، وتقود خطواته. وذلك ما نقصد إليه من أن الحركة بلا فكر لن تؤدي إلا إلى إنتاج أمثال من يلقي بنفسه في معترك الحركة الجهادية دون أن يمر بمرحلة الفكر لعجز فكري أو لسهولة الحل

المطروح. والفكر بلا حركة لن ينتج إلا أمثال أولئك القاعدين ممن يحترفون الكتّابة، ثم لا ترى لهم أثراً في واقع حيّ أو عمل قائم.

إن التحدي الذي تواجهه الأمة الإسلامية - في عصرنا هذا - هو تحد عام شامل يهدد كيانها ووجودها، يأتيها من بين أيديها ومن خلفها، تتكالب على تغذّية القوى الشيطانية في الداخل والخارج. وهو تحد يضرب قوى الأمة في الصميم، إذ ليس أضر على امة من أن تفقد قدرتها على الإنتاج الفكري. هو تحد نفذ من نطاق العامة إلى نطاق الخاصة، وظهرت آثاره في اللعثمة الفكرية التي تتسم بها الحركة - فهو - من ثم - تحدّ يستحق أن يواجه مواجهة عامة شاملة، تشحذ لها القلوب والعقول، ثم تبسط لها الأيدي، تشمر السواعد حتى تخرج الأمة من المأزق التاريخي الذي يهدد كيانها ووجودها كأمة مستقلة، لها تاريخ وحضارة وفكر حكم العالم ، وتفاعل معه قروناً متطاولة. وما نحسب هذا متحققاً إلا بتحريك الفكر ودعمه وتقويته، وتهيئة مناخ يتربى فيه الفرد على "إعمال العقل"، واحترام الفكر وتقدير دوره في توجيه الحركة.



شريط الذكريات .. ترجمة خاصة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه، وبعد ..

كثيرا ما سألني الشباب أن أكتب عن حقبة السبعينيات، تلك الحقبة الفريدة في عصرنا الحديث هذا، لاسيما ونحن كنّا رجالاً أسوياء، نعرف ما التوحيد، وما حكم الله، ومفاهيم الولاء والبراء، بل وندرّسها للشباب أيامها بهمة ونشاط، من حيث شعرنا إننا قد حصلنا، بتحصيلنا لهذا العلم، على جواهر نفيسة ومعادن ثمينة، يجب أن ننفقها ونسوّقها بين الناس، فالبخل بها حطّة لحاملها.

بداية الحركة

كنّا نعلم تماما من هو عبد الناصر، ونعلم عن كفره وطاغوتيته. كشفنا زيف عبد الناصر، منذ حرب اليمن وانسحابه المخزي منها، ثم في ٩ يونيو عام ١٩٦٧، في الانتكاسة الكبرى، يوم انتصر الكيان الصهيوني، ثم حين خرج ليعلن "تنحيه" الصوري، وخرجت جماهير لا حصر لها، تنادي بعودته، ورفض البرلمان الاستقالة!

ثم أيام خرجنا ضد عبد الناصر في أول مظاهرات بجامعة القاهرة عام ١٩٦٨، وكنّا أيامها على في سبيلنا لإنهاء الدراسة الجامعية. هناك، استولينا على عربة مطافي واعتقلنا سائقها داخل أسوار الجامعة، وقام طلاب قسم الكهرباء بكهربة السور لمنع حشود الأمن المركزي من الدخول. وعشنا داخل أسوار الجامعة عشرة أيام، حتى أتي السادات، وتحدث مع وفدٍ منا، في التحرير، وكنت، والله يشهد على ذلك، ممن بصق في وجهه مباشرة.

ثم حين هلاك عبد الناصر، كنت ساعتها في قطار مسافراً من الإسكندرية إلى القاهرة، وسمعت ورأيت حشوداً هائلة، ملايين البشر، يصيحون في الشوارع عند هلاكه "لا إله إلا الله، عبد الناصر حبيب الله". رأيتهم في كلّ محطة وقف عليها القطار عام ١٩٧٠، وكنت ساعتها مهندساً بشركة الحديد والصلب المصرية.

المرحلة الأولى: مرحلة السبعينيات

اختلطت الذكريات الخاصة، مع ذكريات الحركة، التي كانت، عقب تولي السادات الحكم، في أوجها، بعد مظاهرات قمنا بها في عام ١٩٧١. ثم أخرج السادات الكثير من الإخوان المسجونين، لمواجهة المد الشيوعي، وتقوية النفوذ الأمريكي. فكانت فرصة ذهبية، لم نحسن، أو لم يحسن التيار كله استخدامها في حينها. وخرجت وقتها في ١٩٧٤ على ما أذكر مجموعة من تلامذة سيد قطب الأوائل، وهم المشايخ الأحباب عبد المجيد الشاذلي ومجدي عبد العزيز ومصطفى الخضيري رحمهم الله جميعا، ومحمد المأمون أطال الله لنا في عمره، فتمكنا وقتها من التحقق مما جرى في السجون، والتحزبات التي أسفرت عن اتجاه الإخوان في مرحلتهم الثانية، بقيادة مأمون الهضيبي، وجماعة الشاذلي التي أطلقوا عليها "القطبيون" زوراً، ثم من التحق بالفكر التكفيري وخرج مع شكري مصطفى، إلى جانب من انضم إلى الجماعة الإسلامية، والتي كانت قد تأسست في أوائل السبعينيات، وبدأت عملها الحركي في الثمانينيات. وكانت جماعة الجهاد التي تأسست في أوائل الستينيات قد أصبحت تحت المرصاد، توطئة للقبض على كل من انتسب للاتجاه الجهادي في أوائل الثمانينيات، إلا من خرج بعد فترة السجن الأولى وترك مصر مثل الدكتور الظواهري ومن معه.

وكانت فترة السبعينيات هي الأكثر نشاطاً بين عامي ١٩٧٤ و١٩٧٩، حتى حين صدرت أوامر بملاحقة الإسلاميين في اتحادات الطلبة بالجامعات المصرية، ومنهم عصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح، وكانوا طلابا بالجامعة، بعد أن تركناها بأكثر من عشرة سنوات.

وقد كنت أيامها، بفضل الله تعالى، بعد عودتي من عقد بالجزيرة انتهى شر نهاية! نشط في الدعوة للتوحيد في القاهرة، وبخاصة في الألف مسكن والمطرية وعين شمس، وكان من يرافقني في الذهاب لحلقاتي، بعد انتهاء عملي كمدير مشروعات في شركة عثمان أحمد عثمان، هو الشيخ الحبيب الفاضل اسماعيل بحيش رحمه الله، حيث كان يملك "فسبا"!، يمرّ عليّ في نهاية الدوام، وننطلق إلى حلقتين أو ثلاث، ثم يعود بي إلى منزلي نحو منتصف الليل! وقد كان الشيخ إسماعيل هو من خطط لقائي، وأخ حبيب من أصحاب العلم في مصر، لست في حل من ذكر اسمه، عام ١٩٧٧ مع ممثلين لجماعة مصطفى شكري، حيث كانت مناظرة استمرت ثمانية عشر

ساعة دون توقف، تمكنّا فيها بحول الله تعالى من دحض شبهاتهم في مسائل الإيمان والتوحيد والعذر بالجهل، نخرجا من الشقة وهما غاضبين قائلين "على كل حال قد أقمنا عليكم الحجة فكفرتم بها، ولو لقينا كم بعد هذا لن نتوقف عن قتلكم!". كذلك قد شهد الشيخ رحمه الله لقاءً بيني وبين الشيخ عبد المتعال الجبري رحمه الله، من قيادات الإخوان، وكان قرابة الثمانين من عمره آنذاك. وكان الشيخ قد خرج من السجن قبل ذلك بفترة قصيرة.

ومن أعجب الأمور أن من التهم التي كانت موجهة له هو أنه يدرّب الشباب على الكاراتيه! أي والله! وقد فقد سمعه في أحد أذنيه من التعذيب، رحمه الله. وكان اللقاء في بيته. وبالطبع، رفض معاني الشرك في التحاكم وشرك القبور، وحرمة التصاوير .. ولا عجب.

وفي تلك الفترة عرفني أخ حبيب لي على الشيخ صلاح الصاوي، وكان وقتها شاباً وعضوا في جماعة شكري مصطفى، إلا أنه بعد مناقشات مع هذا الأخ الحبيب، وبعض من هم من أفراد مجموعتنا، تركها وهرب شارداً منها، وكان يأتي بيتي كثيراً في مدينة نصر، وكنت أحسن وفادته وإعانته. وسيكون لصلاح الصاوي شأن معي، ومع الدعوة بعد!

ثم التحقت، بعد تركي للعمل في شركة عثمان للمقاولات، بالعمل مديرا تنفيذيا لشركة اسمها "الشركة المصرية للرخام والجرانيت". وكان صاحبها من الشخصيات المتنفذة في مصر، وقد أعجبه أدائي، فدعاني إلى بيته في يوم من الأيام، وعرض عليّ أن انضم إلى المحفل الماسونيّ بمصر! وأن ذلك سيعينني كثيراً في النهضة بمستقبلي العمليّ. فراوغته قليلا وانصرفت.

وفي تلك الفترة، من السبعينيات في مصر، التقيت بشخصيتين من أهم الشخصيات التي أثّرت وأثْرَت العمل الإسلامي في تلك الحقبة وما بعدها، أولهما الشيخ العالم الفاضل الجليل رفاعي سرور رحمه الله تعالى، حيث التقيته في منزله بالمطرية مرتين. والشيخ رفاعي سرور غني عن تعريفي به، فهو نار على علم، وهداية لمن التزم، وكتبه تنبئ القارئ عن قدره، وكنت أكبره في العمر بثلاث سنوات. وثانيهما هو الشيخ الجليل عبد الله السماوي رحمه الله تعالى، حيث زرته في بيته، وكان الرجل مهيب

الطلعة، ذو لحية بيضاء كثيفة، لا يهاب في الله أحد، يحسب مجالسه أنه في حضرة خليفة من خلفاء العصر العباسي!، وكان يكبرني في العمر بعامين، فكان ثلاثتنا من جيل واحد والحمد لله تعالى.

وفي عام ١٩٧٩، فوجئت في بيتي بزيارة الشيخ محمد سرور، المعروف بأبي عصام رحمه الله، مصطحباً معه الشيخ سفر الحواليّ، وكان أيامها شابا صغيراً نحيلاً جدا، حتى أني رفعته عن الأرض مازحاً! واستمرت الزيارة ثلاثة أيام.

وكانت هذه الزيارة لسببين، أولهما توزيع كتابه المعروف "وجاء دور المجوس"، والثاني هو التعرّف عليّ عن قرب، لأمرٍ في نفسه، علمته بعد ما يقارب عشر سنوات!
وكنت وقتها قد نشرت كتابي "الجواب المفيد" وسرت مكملاً تدوين كتاب "حقيقة الإيمان".

وكان أن استمرت فترة عملي في الدعوة من تلك الأيام، حتى عام ١٩٨١، على نفس الوتيرة، نعمل تحت الرادار، كما يقال. وكانت فترة مثمرة جداً بعون الله تعالى لا يزال الكثير ممن درستهم التوحيد يتواصلون معي، أو يتواصل معي أبناؤهم، إلى اليوم، إن كان الله سبحانه قد اختارهم لجواره. ومنهم وعلى رأسهم الحبيب الشيخ الذي طبع لي كتابيّ الجواب المفيد وحقيقة الإيمان، مع عدد كبير ممن لا يزال حياً، وكتب الله لي ملاقاتهم أثناء زيارتي لمصر في عهد د محمد مرسي كما سيأتي بعد.

وكنت قد أتممت مسودة كتاب "التوحيد"، والذي كان من المخطط أن يُطبع بعد كتاب حقيقة الإيمان، لكن أراد الله تعالى أن تأتي أنباء في منتصف عام ١٩٨٠، أن المخابرات ناشطة في القبض على من له اسم يُذكر أيامها، احتياطا من توتر الجوّ العام، فأرجأنا طباعته قليلاً.

كذلك أخرجت كتيبا صغيرا باسم "حكم شيخ الإسلام فيمن حكم بغير شرائع الإسلام" وهو رسالة لابن تيمية عن حكم التتار، استخرجتها من مجموع الفتاوى حينها، وعلقت عليها، وكتبت لها مقدمة أصولية وخاتمة، وطبعها أخي الحبيب ذاته، من دون أي اسم عليها، يجدها القارئ على مكتبتي الإلكترونية في طبعتها الوحيدة. فإذا بها تنتشر انتشار النار في الهشيم، حتى وصلت إلى من يعملون ضمن الجماعات المسلحة.

وكان الوقت أيامها، في أول عقد الثمانينيات، مشحونا أشد الشحن، خاصة بعد توقيع الهالك السادات على معاهدة الخزي والاستسلام في كامب ديفيد عام ١٩٧٩، ومع تزايد نشاط الجماعة الإسلامية. ثم فوجئت يوماً بأحد الإخوة يطرق بابي، حاملاً حافظة صغيرة، فرحبت به، وما أن استوى في غرفة الجلوس، حتى أخرج من الحافظة مسدساً مفككا، وقال: أرسلني الإخوة لأدربك على استعمال المسدس، وعلى بعض الحركات اللازمة للتسلق وغيرها مما يلزم المقاتل! وكان هذا من أعجب ما حدث لي، فإني لم أكن يوماً منتمياً لأي جماعة أصلاً، بل وكنت ممن يرى أن أسلوب الجماعة الإسلامية في القتل العشوائي، لن يؤدى إلا إلى فرح قصير يتبعه ندم طويل! وأن العمل يجب أن يكون ممنهجاً وعلى طريقة دعوة الرسل، بالتمهيد وبناء الحاضنة أولاً، يلحقه بعد ذلك الجهاد، حين يحين الحين. فما كان مني إلا أن اعتذرت من الأخ وصرفته صرفاً جميلا، بعد أن حثني على أن أتقبل التدريب، قائلا لي أنّ مصر على وشك أن ترى أحداثاً جساماً في القريب العاجل.

ثم جاء اغتيال السادات في ٦ أكتوبر عام ١٩٨١، وسمعت ضرب الرصاص والهرج، بأذنيّ، حيث كنت أعيش قرب المنصة التي قتل عليها. ثم نشطت المخابرات بعد ذلك الحدث، فما كان مني إلا أن تخلصت مما بقي في بيتي من كتاب "وجاء دور المجوس"، كما وضعت كتبي كلها في حاويات عدة، أخذها أحد الإخوة ووضعها متفرقة عند عدد من معارفه، لم يخبرني باسمهم احتياطاً. فلما سافرت بعدها إلى الأردن كما سيأتي، استرجعها الأخ كلها منهم، إلا الحاوية التي فيها مسوّدة كتاب التوحيد، وهو ما أورثني ألماً أشعر بغصته إلى يومي هذا، كفقد ابن من أبنائي، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ثم إن الأخ صار يرسل لي مكتبتي تباعا، حتى وصلني حوالي ثلاثة أرباعها .. وبقي بعضها في مصر.

وفي أول عام ١٩٨٢، كان أخ حبيب قريب منا، يعمل أخاه الأكبر في مكان مرموق، ينقل لنا محاضر التحقيق التي تقوم بها المباحث العامة، وهي من آلاف الصفحات. ثم نقل لنا في صبيحة أحد الأيام، أن أمرا صدر من النيابة بالقبض عليّ، وعلى أحد من أفراد مجموعتي المقربة، وهو والحمد لله لا يزال على قيد الحياة، فما كان منا إلا أن توجهنا لحظتها إلى المطار، وغادرنا على أول طائرة إلى الأردن، والتي كانت لا تستلزم تأشيرة دخول أيامها. وعرفت بعدها أن كتيب شيخ الإسلام كان مما وجد في حافظة الشهيد خالد الإسلامبولي، فكانت تلك هي الصلة التي ربطنا بها

طلب القبض علينا حينها.

وانتهى دوري في مصر في فبراير ١٩٨٢.

المرحلة الثانية: المرحلة الأردنية

بدأت تلك المرحلة بوصولي إلى عمّان، حيث استقبلني بعض الإخوة السوريين، ممن أوصاهم الشيخ سرور بهذا، ووجدوا سكنا لي، ثم لحقني أهلي وابني الأكبر شريف، فكّ الله أسره. وهناك قابلت الشيخ د محمد العبدة.

تمتد معرفتي، إذا، بالشيخ د محمد العبدة، المعروف بأبي أنس، والد الخائن أنس العبدة، إلى أكثر من ٣٥ عاماً، حين نزحت إلى الأردن، فراراً من قبضة الكلب مبارك، وكانت عائلة العبدة قد نزحت من سوريا بعد مجزرة حماة، والتقينا في الأردن عام ١٩٨٢. وكنا من قبل قد تزاملنا في معهد الدراسات الإسلامية في الزمالك بمصر عام ١٩٧١، لكن دون لقاء.

عرفت الرجل، وعرفت الصبي أنس. وكان الرجل فاضلاً محبا للعلم، يقدر الرجال ولا شك. وتحابينا في الله، وكان ابنه الخائن أنس أكبر من ابني شريف بحوالي ٣ سنوات.

وقد اتفقت وقتها مع الشيخ العبدة أن نكتب سلسلة من الكتب في الفرق. كتبت منها بنفسي كتابي مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، والمعتزلة: بين القديم والحديث، أمدني فيها ببعض نقولات بسيطة. ومتب هو الصوفية نشأتها وتطورها.

وهناك في الأردن، التقيت مع عدد من الشخصيات التي كان لها شأن كبير فيما بعد في أفغانستان، ثم الشام، وعلى رأسهم الحبيب رمضان نموس المشهور بأبي فراس السوريّ. وكنا نسكن في شقتين متقابلتين في عمان، الأردن. وكان الرجل حباباً عطوفا جياش العاطفة رغم بسطة له في الجسم وهبها الله إياها. وكان أولاده صغاراً،

كما كانت زوجه، مع الفاضلة أم أنس ممن عاونوا أهلي أيام وصولنا أكبر العون، وخاصة في حدث ميلاد ابنتي الكبرى في مشفى الشميساني بعمّان، جزاهما الله كلّ خير.

المرحلة الثالثة: المرحلة البريطانية

ثم التقيت مع عائلة العبدة مرة أخرى في بريطانيا، وعشنا أحباء في الله. ويشهد الله ما رأيت عليهم شيئاً يدل على انحراف، في حينها.

لكن ما أثار انتباهي هو عداوة شديدة حانقة من الشيخ محمد سرور، المعروف بأبي عصام، نسبة لابنه عصام الذي قتل في حادث سيارة وهو شاب صغير، مما أثر على والده سلباً في نواح عديدة منها تصرفاته وسرعة غضبه، أقول عداوة شديدة حانقة على فكرة الجهاد المسلح، والتجربة الجزائرية التي كانت ناشئة في وقتها. وكنت أيامها مشغولا في الكتابة الأكاديمية لمجلة البيان اللندنية، والتي كنت ممن شاركوا في إصدار عددها الأول في برمنجهام، كتابة، وفي اقتراح إعادة تصميم غلاف عددها الثاني وما تلاه. وقد كتبت في الثلاثة عشر عددا الأولى منها، وكانت معرفتي وثيقة حميمة بالأخ أبو فاضل السوري رئيس تحريرها، وكان ممن تميّزوا في اللغة العربية.

وفي تلك الأثناء، ظهرت فكرة المنتدى الإسلامي في لندن. وتم اختيار مبناه هناك، حيث راجعت الرسومات الهندسية له قبل عملية الشراء. وكانت صاحبة الفضل في دفع ثمن المبنى سيدة من الجزيرة لست في حلٍ من ذكر اسم ابنها الذي كان يدرس أيامها في لندن.

وقد قابلت عدة شخصيات جزراوية هناك، ممن هم يصغرني بحوالي عقد ونصف، منهم د محمد الأحمريّ، الذي كان طالبا بلندن. وقد كان مترددا قلقا أن يكتب، خوفا من أن لا يكون أسلوبه على المستوى. وأذكر يوما دخل عليّ المكتب في برمنجهام، وجلس أمامي في مقر صحيفة البيان، وصرح لي بذلك الهاجس، فكان أن طمأنته وذكرت له أن الأمر أمر ممارسة، وإن لم يبدأ فلن يعرف ما هو مخزون

طاقته في هذا المجال. وهو الذي صار بعد ذلك بحوالي عشر سنوات رئيس الأيانا الأمريكية IANA وهي مؤسسة دعوية أنشأنها مجموعة من أهل الجزيرة في أمريكا. كذلك عاشرتُ الأخ الطيب الذكر د. محمد آمحزون المغربي، وكان طيباً هادئاً، محباً للعلم. وكان مشاركاً في الكتابة بالبيان. وعرفت بعدها أنه صار أستاذا للتاريخ في جامعة بالمغرب. وغيرهم كثير من الموفدين إلى لندن من مختلف البلدان، وخاصة الجزيرة، وإن لم تسعني الذاكرة بكثير من أسماء تلك الشخصيات.

وكنت وقتها، أقيم دورات في لندن، لتدريس التوحيد والإيمان، وبعض الأصول، كان يحضرها عدد من الإخوة الأفاضل منهم من لا يزال حياً، ولا إخالهم يحبذون ذكري لأسمائهم. وكان منهم الصابر المحتسب مصطفى كمال المعروف بأبي حمزة المصريّ، والذي أكمل على يديّ دراسة التوحيد والإيمان، في النصف الثاني من الثمانينيات، قبل أن يفتتح مركزه في لندن، وقبل أن يتوجه إلى أفغانستان. وكان شجاعاً جسوراً طيب القلب، حاضر الذهن، وكان يصغرني بعقد من الزمن، فكّ الله أسره.

وقد كان الشيخ محمد سرور في تلك الفترة يقيم دورات للشباب الوافد، هي أشبه بجلسات "المساطب" الريفية المصرية، حيث يكون هو رحمه الله فيها الرأس، يستمع له الكلّ، ولا تتوجه الأسئلة إلا اليه. ولمّا كنت وقتها معروفا بما أصدرت من كتب في العقيدة والفرق، وبمقالاتي الكثيرة، ودوراتي في لندن، فكان بعض الحاضرين يتوجهون لي ببعض الأسئلة أحيانا، فلا يعجبه ذلك، ويظهر التنكر منه، وكان هذا من أسباب الشقاق الذي حديث بيني وبينه في عام ١٩٨٨.

وكانت علاقتي بالشيخ سرور تزداد قوة ومتانة. وكنا نخرج لشراء بعض احتياجاتنا العائلية معا، لفترات تمتد لساعات. مما جعلني أتكشف الأبعاد النفسية والفكرية للشيخ. وكان دائم السؤال عن الشيخ عبد المجيد الشاذليّ، يريد أن يجمع عنه أكثر المعلومات، وعن الشيخ عبد الهادي المصري، الذي كانت تربطني به صلة ولاء ومحبة عمرٍ، لا تذهب إلى يوم أن نلتقي عند مليك مقتدر.

وكنت ألمس في أسئلة الشيخ سرور نوع من الحسد للشيخ الشاذلي، فكنت أشرح له أبعاد شخصية الشيخ الشاذلي، وخاصة في موضوع التوقف والتبين، والذي اتهمني بتبنيه شخصياً، فيما بعد في كتابه "الحكم بما أنزل الله وأهل الغلو" والذي عرفت

بعدها أنه كان يراني، والشيخ الشاذلي من أهل ذاك الغلو، رغم معاشرته لي كلّ تلك الفترة! وما أطلعني على ما لمّح به عنى في ذلك الكتّاب إلا أحد الإخوة الجزراوية في مؤتمر كنت قد دعيت اليه لإلقاء محاضرة في عام ١٩٩٢، في مدينة دنفر بكولورادو، أمريكا. كما أطلعني هذا الشاب، لأول مرة، على كتاب "عقيدة الموحدين" الذي قدّم له الشيخ عبد الله بن باز، وحوى كتابي الأول "الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد"، بالاسم المستعار الذي أخرجناه به أول مرة في مصر!

وكانت علاقتي بالشيخ محمد العبدة في تلك الفترة اللندنية، حميمة قريبة، بنيت على إخوة في الله، نشأت منذ أيام اللجوء إلى الأردن، وامتدت بعدها عقودا، وكانت كتب الفرق التي ذكرتها مِن جناها. والشيخ العبدة، رجل هادئ الطبع إن سكت، شديد الغضبة إن غضب، لا برفع صوتٍ أو مكافحة قول، ترى غضبه في عينيه وفي وجهه، لا تخطئه. وكان حفظه الله ألوفاً كريماً مضيافاً، محباً للخير. كم من جلسات جلسناها، وكم من حوارات حاورناها، وكم من لطائف المزح الطيب مازحناها. حتى وقع ما وقع من ابنه أنس، ولهذا حديث آخر إن شاء الله. وقد قابلت الصحفي أحمد موفق زيان في بيته مرة.

وكان الشيخ سرور، في هذه الفترة كذلك، يعمل على إصدار مجلة "السنة" والتي كان المراد أن تبتعد كلياً عن المنتدى وعن البيان، من حيث أراد لها أن تأخذ الطابع السياسي. وقد كان، رحمه الله، ممن يحسن جمع المعلومات وأرشفتها، وحمل الشباب على عمل ملفات بكلّ ما يدور في أي بقعة من بقاع العالم الإسلامي. وقد رأيت بعيني الحاويات المكتبية التي امتلأت حينها بملفات لا حصر لها. لكنني لم أشارك في كتابة أي مقال بتلك الجريدة، لأن اهتمامي كان منصباً وقتها على أمرين، أحدهما إنهاء الدكتوراه في الهندسة، وثانيها البحث الأكاديمي في علوم الشرع، بعيداً عن عجيج السياسة وصخبها.

وحدث أن جاءني، في بيتي ببرمنجهام، الشيخ محمد سرور في يوم من الأيام، ومعه الشيخ العبدة، وعدد من الإخوة، فجلسنا، وكان أن طلب منى بيعة لجماعته، صراحاً. ولمّا كنت ممن لا يقيّد نفسه ببيعات أو يلتزم بجماعات، فقد رفضت برفق قائلا إنني أحتاج إلى وقت للتفكير في الأمر، فما كان منه إلا أن غضب وقام واقفا وولى شطر باب البيت مندفعا، يحاول الشيخ العبدة أن يخفف من غضبته! وما فعلت

إلا ما كان لابد لمن هو في مثل تجربتي حينها أن يفعل، فلا أقبل أن أكون من أحد حواريي الشيخ سرور. ولم نتحدث بعدها مواجهة قط، حتى توفاه الله. لكنه فاجأني بمكالمة تليفونية في عام ١٩٩٦، في بيتي بتورونتو، مفاجئة لم أتوقعها، فسأل عني وعن أحوالي، ودعاني لزيارته في الدوحة، واشتكي لي من تكاثر المرض عليه، فطمأنته ما يسر الله لي ووعدته خيراً بالنسبة لأمر زيارته.

ثم علمت من بعد أن صلاح الصاوي تواصل مع الشيخ سرور، ليدبر له أمر لقائه بالشيخ الشاذلي في مصر، حيث كان بصدد إصدار مذكرة حوار بين قادات العمل الإسلامي في محاولة للتقريب، على حدّ قوله. وأخرج بالفعل رسالة في حوارات من القيادات الإسلامية، لكن لا أعلم مصيرها. وعرفت أن لقاء الشيخ سرور مع الشيخ الشاذلي لم يكن طيباً ولا مثمراً، كيف وكلاهما له وجهةٌ هو موليها!

انتقلت من برمنجهام إلى مدينة ميلتون كينز، حيث أعنت في بعض الأعمال الخيرية الدعوية، كما أشرفت على صحيفة عربية لندنية، مانت تصدر بالإنجليزية وتعنى بفن إدارة الأعمال، وذلك إلى جانب عملي في إنهاء الدكتوراه، والتي كنت أوشكت على أن أنجزها في وقت قياسي بالنسبة للجامعة، بعد الحصول على الماجستير.

ومن حسن تدبير الله، أن كان ترددي على السفارة المصرية في لندن مستمراً بسبب أنني قد سجلت ابني شريف لتكملة دراسته الإعدادية، حيث إنه كان من المقرر أن أعود مع عائلتي لمصر بعد إنهاء دراستي. لكن "وتقدرون فتضحك الأقدار"!

كان أن قابلت في السفارة ملحقا دبلوماسياً شاباً، في مقتبل العمر وقتها، وهو محمد رفاعة الطهطاوي، حفيد الشيخ رفاعة الطهطاوي المصري الشهير، فقامت بيننا صداقة قوية حميمة، واعتاد أن يزورني في بيتي في برمنجهام، وأتردد عليه في مكتبه، للحصول على أوراق لدراسة ابني. وقد انتهى الحال بالأخ محمد رفاعة أن يرتقي في السلك الدبلوماسي، وينتمي للإخوان، ويعينه د محمد مرسي رئيساً لديوان الجمهورية في عامه الأوحد، ثم، كبقية الإخوان، أودعه الملحد السيسي السجن، بلا جريرة. وكان الرجل، يشهد الله، هادئ الطبع خفيض الصوت، فيه ولاء لإخوانه وأحبائه، فكّ الله أسره وإخوانه. وقد وصلتني أخبار عن تدهور حالته الصحية، شفاه الله وعافاه، وأخرجه من محنته.

وفي نهاية عام ١٩٨٨، كان ابني قد أنهى الشهادة الإعدادية. وكنت كل رجعت لمصر في فترة الأربع سنوات التي قضيتها في لندن، مرة واحدة. وأنهيت عامها، أو كدت أنهى الرسالة. وتحدثت مع لأهل، وأبي رحمه الله، عن خططي عند العودة لمصر، ولم يكن يخطر ببالي الهجرة إلى أمريكا الشمالية على وجه الإطلاق حينذاك!

وفي يوم من أيام ذاك العام، فاجأني الأخ محمد رفاعة بمكالمة تليفونية، مؤداها أني قد وضعت على قائمة المطلوبين، عند عودتي لمصر، وذلك من حيث وصلهم نشاطي الدعوي في لندن، والذي كان يكشف عورات الطاغوت المصري مبارك دون تورية.

فأسقط وقتها في يدي، واقترح عليّ محمد رفاعة محاولة الهجرة، حيث أن البقاء في بريطانيا لم يكن خياراً لي لعدم توفر فرصة عمل.

وكان بالفعل أن قدمت إلى ثلاث سفارات، الكندية والأمريكي والاسترالية، وجاءتني منها جميعا موافقات سريعة، نظرا لمؤهلاتي العليا واتقاني للغة الإنجليزية والحمد لله تعالى. فوقع اختياري على كندا، من حيث أخبرني أحد زملائي القدامى، وكان بعيدا عن الدعوة وأهلها، والذي هاجر لكندا قبل عدة أعوام، أنها الأقل عنصرية، فاستخرت الله، وأتممت أوراق السفر، وانتقلت بعائلتي في تورونتو، مرغمٌ أخاك لا بطل.

المرحلة الرابعة: المرحلة الكندية

وصلت إلى كندا في أغسطس ١٩٨٩، مع أهلي وأولادي. وكان في استقبالي أحد الإخوة الجزراوية، كنيته أبا مالك، من المبعوثين للدراسة هنا في كندا. وقد كان معينا لي أشد العون، فبقيت في بيته، حتى دبرت لي سكناً، ثم عملاً.

وقدمني بعض المصريين في تورونتو إلى عدد من الشخصيات، منها من قبلت، ومنها من رفضت. وكان من تلك الشخصيات أسماء تنتمي لجماعة الإخوان. وكان لهم

نشاط اجتماعي واقتصادي، كعادتهم. لكني لاحظت عدم اهتمامهم بنشر العلم أو عقد الدورات العلمية. بل الاعتماد على الخطب والمؤتمرات، التي هي في غالبها مناسبات اجتماعية، تجتمع فيها العوائل لتتعارف وتتقارب، وتستمع إلى المتكلمين في المؤتمر، دون أي تركيز أو خطة معينة.

وكان الغرض الأساسي من تلك المؤتمرات هو جمع التبرعات، لإقامة مراكز ومدارس إسلامية، وهو غرض، في حد ذاته مطلوب. لكن أمرهم، كأمر الإخوان جميعا، لا يعنى بالعلم الشرعي، إنما بالجهد الحركيّ. وقد بسطت هذا الأمر في عدة مقالات أهمها "الإخوان المسلمون .. في نصف قرن".

وكانت حركتهم في الجالية المسلمة، تعتمد على التحرك من أعلى إلى أسفل. وأعنى بهذا السيطرة على مراكز القيادة، بأي وسيلة كانت، في المراكز الإسلامية والمساجد، ثم ، صبغها بالصبغة الإخوانية، وإن لم يكن أحدا ممن رواد تلك الأماكن منتميا للإخوان، أو حتى يعرف عنهم شيئاً. وقد تحدث عن الجالية

وقد تعرفت هنا على د على هندي، وهو مهندس نشطٌ في مجال العقارات بالطريقة الإسلامية، وله اتصالات واسعة بين المسلمين، ويتميز بشخصية لها لونها الخاص، لا ينازعه فيها غيره، وهو طيب القلب حسن السريرة يرعى الود والمعاشرة. وكان أن قمت بتعريف الشيخ على هندي على طريقة الإخوان ومنهجهم، فأحسن العمل، وكان ممن عاون بشكلٍ فعال في نشر الفكر السنيّ في مجتمع الأقلية.

وفي عام ١٩٩١، قدّم أحد المعارف شخصية، عرفت بعدها أن صاحبها من جماعة الشيخ محمد سرور، وهو إمام مسجد ومركز إسلامي في وسط تورونتو، اسمه "مركز بدر الإسلامي"، ينفق عليه عدد من الوافدين السعوديين، الذين كانت لهم مدرسة خاصة بأولادهم تدرس العربية والقرآن أيام الأحد، ولا يسمحوا لأطفال غير السعوديين في الحضور! وللأسف علمت بعدا أن هذا الرجل قد استولى على محتوات المركز، ثم سافر إلى محافظة كويبك، واسس لنفسه مركزا وصنه لنفسه اسما!

بدأت بعدها في إلقاء دورات أسبوعية عديدة، في التوحيد والإيمان وأصول الفقه، لمدة تناهز أربع سنواتٍ وأنهيتها كلها بحمد الله تعالى وتوفيقه.

ثم عاودني حلم كنت أتمنى تحقيقه منذ أمد بعيد، وهو إصدار مجلة إسلامية شهرية، فاستخرت الله وبدأت في إصدار مجلة شهرية، بالعربية والانجليزية أسميتها "أمة الإسلام"، في عام ١٩٩٨، وكنت أكتب مقالاتها وحدي، وإن شارك فيها الشيخ العبدة وغيره مرة أو مرتين.

وكنت أطبع هذه المجلة في بلد أمريكي قرب الحدود الكندية في ولاية ميتشجان، اسمها آن أربر، على الحدود مع أنتاريو. وكان يقطنها عدد كبير من المسلمين، غالبهم من اليمن، وبعض السعوديين والمصريين. وكان من يتولى طباعة المجلة لي باسم خفاجي، يستلمها من بيتي ويعيدها لي مطبوعة للتوزيع. وكان بسام خفاجي مقربا من محمد الأحمري السعودي، ورئيس الأيانا كما ذكرت قبلا. وانتهز خفاجي فرصة هذه الثقة، فسلب عددا من المسلمين أموالاً، احتفظ بها، وحوكم بسبب ذلك وسجن في ميتشجان.

وهذا الرجل هو ذاته باسم خفاجي الذي روّج لنفسه بعد العودة لمصر على أنه شخصية إسلامية، وكاد أن يأخذ تزكية السلفيين في مصر للترشح لانتخابات الرئاسة، لولا أنني كتبت عنه ما أعرف، بل وأحضرت نسخة من محمة ميتشجان المحكوم عليه فيها، واتصل بي ممثل برهامي ليلة الترشيح، وسألني مباشرة، هل ما كتبت عن هذا الرجل صحيحا؟ فأكدت له معرفتي التامة بما فعل، وأحلته إلى شخصيات معينة لو أراد التأكد مما ذكرت، فرفع السلفيون اسمه من قائمة الترشيح في يومها.

ثم أوقفت طباعة المجلة، لمّا وجدت صعوبة في ترويجها في المراكز الإسلامية، رغم أنها مجانية، لسيطرة الإخوان على المراكز، ومعرفتهم بهويتي وتاريخي من قياداتهم الخارجية، أوقفت طباعتها بعد ١٣ عدد صدر منها بالفعل..

وتوقف نشاطي الإسلامي، أو كاد، في الفترة ما بين ١٩٩٥ و١٩٩٨، حيث شغلتني الدنيا بمشاغلها وزينتها، فأسست عدد من الشركات التي كانت ناجحة بحمد الله تعالى. لكنها أخذت مني أعواما لم أنشط فيها لعمل إسلامي أو تدوين أكاديمي، إلا في أواخر عام ١٩٩٨.

في أثناء تلك الفترة كلها، والتي بدأت أحداثها تدور في حياتي، أو تدور حياتي حولها، ما زلت أفكر في كتابة منهج متكامل، ينظّر لأهل السنة والجماعة تلك الأسس والقواعد التي يقوم عليها الفكر السني، سواء شرعياً أو عقلياً أو فطرياً، بدافع أن يكون "المنهج" الذي يرجع اليه، لا في مسائل العقيدة وحدها، كما يعرف حين يطلق لفظ المنهج اليوم فيقصد به التوحيد، لكن يغطى التركيبة العقلية التي تقرّب بين الآراء والنظر سواء في العقيدة أو في الفقه بشقيه، أو الفقه الحركيّ، وهو ما أسميته حينها "منهج أهل السنة في النظر والاستدلال. ولا شك أن هذا المنهج يضم أصول الفقه ومقاصد الشريعة، والقواعد الفقهية والأصولية، لكنه لا ينطر فيها بمنظار من كتب فيها من قبل، بل بمنظار آخر، أشرت اليه في عدة صفحات أخرجتها منذ وقتٍ، في هذا الموضوع.

ولا أريد أن يطول بي الحديث في هذا الأمر، لكن، أحببت أن أشير اليه، إذ صاحبني، في كلّ مراحل حياتي، حتى يومنا هذا، دون أن يكتب الله لي إنجازه. بل أخرجت كتاباً مبسطاً في أصول الفقه، ولم أخرج ذاك البحث، لأمرٍ أراده ربي، ولعله خير.

وفي حوالي عام ١٩٩٧، عاد صلاح الصاوي إلى الظهور ... والظاهر أن أحد الإخوة ذكر له أنني أقيم في كندا. وكان هو وقتها يتردد بين أمريكا ومصر ... بعد أن بدأ مشروع الجامعة الأمريكية المفتوحة، وهي جامعة للتدريس عن بعد، ينتسب اليها الحاصل على الثانوية العامة أو ما يعادلها. وكان مركزها في ألكسندريا، واشنطن. وكان الصاوي رئيسا لها، وعضوية د. حسن شواط وعدد من الأساتذة في علوم القرآن والحديث، من المقيمين، وعدد ممن يقومون بالتدريس عن بعد. وقد طبعت الجامعة عدد من المراجع في بعض علوم الشريعة، كما اعتمدت عددا من الكتب المطبوعة لعلماء عدة.

ودعاني الصاوي لزيارة مقر الجامعة في واشنطن، كما دعوته لزيارتي في بيتي. وقد قمت بزيارة مقر لهم في فيلادلفيا كذلك. كما طلب مني أن أكون عضوا في مجلس إدارة الجامعة في القاهرة، فقبلت.

وكعادة تلك المؤسسات، كانت دائما في حالة ضيق ماديّ، فكنت أعينهم بالمال، بشكل سخيّ، لموقع الصاوي عندي وقتها. وقد طلب مني مرة مبلغ سبعة آلاف دولار، لتمويل زيارته للخليج لجمع تبرعات، على أساس أنها قرض له، فأعطيته المبلغ بلا تردد، على أنه سيعيده بعد عودته. ولم أره بعدها إلى يوم الناس هذا!

وكانت الجامعة تُقدم منهجا لدراسة البكالوريوس في أربعة أعوام. فجاءتني فكرة عمل دبلوما في الشريعة الإسلامية، لمدة ثلاثة أعوام، لاختصار المدة على من يريد الحصول على دبلوما فقط، على أن يمكنه إكمال السنة الرابعة لمن يريد، أسوة بالجامعات العادية.

وبالفعل وضعت منهجا متكاملاً، باللغتين العربية والإنجليزية، لمواد الدبلوما، يتكون من دراسة تسعة وعشرين مادة، في عدة محاور، كل محور منها يحتوي على عدد من المواد. ووضعت سجلاً بالمراجع المطلوبة في كلّ مادة. وبدأت في عمل دعاية للدبلوما في تورونتو. ولم تعجبني فكرة الدراسة عن بعد، فهي ليس مما يتمشى مع ما كان عليه سلفنا من التحام بين المُربي والتلميذ، مع فقدان الكثير من الفائدة جرّاء عدم الوجود في معية الأستاذ المعلم. فجعلتها دراسة في الفصل، مرة كل يوم أحدٍ لمدة ثلاث ساعات للعربية، يتلوها ثلاث ساعات لطلبة الإنجليزية.

والتحق عدد لا بأس به في البرنامجين، وكنت أدرس كلّ مواد الدبلوما بنفسي، وبدأت بهذا في تطبيق عمل أعتبره من أهم وأنجح ما حققت بفضل الله تعالى، وهو تخريج دفعات من الطلبة الدارسين دراسة منهجية سواء من المتكلمين بالعربية أو الإنجليزية، على علم بالتوحيد والإيمان، ومواد كثيرة في الحديث وعلوم القرآن، وأصول الفقه ومناهج البحث، والتاريخ والعربية، وهي محاور الدبلوما. وكان ذلك سببا في وضعي لمذكرات متكاملة في تلك العلوم، ظهر منها دراسات كاملة، منها مختصر في دراسة التاريخ من العصر الأموي إلى غزو التتار، علم مصطلح الحديث ومناهج المحدثين باللغتين، ومختصرات للتوحيد وغير ذلك، كما أعانتني على إتمام كتاب أصول الفقه الذي طبع في مصر في عام ٢٠١٢ بعدها.

ثم بدأ عدد من طلبة العلم الصغار في إنشاء برامج على غرار برنامجي، لكن ليس مجانيا كبرنامجي، بل ربحياً، أي مقابل مصروفات مدفوعة. منهم عادل السيد، والذي

قابلته مرات في فيلادلفيا، شابا صغيرا، حين كان يدرس في الجامعة الأمريكية المفتوحة، والذي أنشأ مع آخرين معهد المغرب، ثم اشتهر وصار له صيت، وحقق أرباحا طائلة لمنشئيه.

وداومت على تدريس تلك الدبلوما، إلى جانب عملي الهندسي، مدة ثمان سنوات، من ١٩٩٨ وحتى ٢٠٠٦، تخرج خلالها صفوف من الطلبة، بفضل الله تعالى. ولا يزال منهم من يتواصل معي إلى هذا اليوم.

وفي عام ٢٠٠٠، قررت شراء مبنى خاص لإنشاء مدرسة إسلامية ابتدائية ومتوسطة، يكون التدريس فيها على نهج إسلاميّ سنيّ، إلى جانب المناهج المعتمدة من وزارة التعليم الكندية، وقد كان. ونقلت تدريس الدبلوما إلى ذلك المبنى، بدلا من التدريس في الطابق الأسفل من بيتي. وقامت مدرسة دار الأرقم ومركز ودار الأرقم الإسلاميّ، وسارت الأمور على ما يرام، إلا أن الحومة المحلية لم تكن راضية، فما زالت تضع العقبات حتى اضطررت لإغلاق المدرسة، في عام ٢٠٠٤، مع الاستمرار في الدبلوما بالمبنى.

ثم في عام ٢٠٠٤، كان أن قابلت شاباً، أصله من مصر ومولده في أمريكا، فذكر لي أنه ينتمي إلى مجموعة المداخلة في كليفلاند، بولاية أوهايو بأمريكا. وذكر لي ذاك الشاب تمدد حركة المداخلة بشكل واسع بين الأمريكيين السود، بما يعرضون عليهم من مال، وبعثات للمدينة ومغريات شتى. فكان أن حفزني هذا على أن أدوّن كتابي باللغة الإنجليزية أولا تحت عنوان "The Counterfeit Salafies" ، ثم ترجمته اللغة العربية بعنوان "فتنة دعاة السلفية وانحرافاتهم"، وتم طبع الكتاب بنسخته الإنجليزية، ولم أر مثله مدونا في موضوعه، في أي من اللغتين، حتى خرجت بعض الأعمال تالية له بالعربية.

ثم حدث أن كانت المخابرات الكندية ترسل من حين لآخر أحد الجواسيس من المسلمين، عربا أو باكستانيين لينتظموا في الدراسة، ويسجلوا بعض ما أقول محاولة لإيجاد ما يمكن أن يؤخذ عليّ. وكنت أعرفهم بعينهم، وأتركهم في الفصل، لحرصي على كلماتي وما أقول. ثم ينقطع الجاسوس فترة، لحين استبداله بآخر.

وفي عام ٢٠٠٥، التحق شاب مصري ينتمي لعائلة كبيرة في تورونتو اسمه شاهر السحيمي، في عمر ابني الأكبر شريف فك الله أسره. ولم أعرف ساعتها أنه جاسوس مأجور. لكن وقعت بعض أمور بيّنت لي سوء معدن الرجل فطردته من الفصل، غير عالم بعد أنه جاسوس، وحذرت ابني شريف من التعامل معه تحذيرا شديدا. وقد عرفت فيما بعد أنه كان يسجل كل الدروس ويتقاضى أجرا بالقطعة من المخابرات الكندية! لعنة الله عليه.

ولكن قدر الله سابق، فقد علمت فيما بعد أنه رتب مكيدة لابني ومعه بعض الشباب المحبين للإسلام، بعد أن ترك شريف الاستماع لنصيحتي. وكانوا يلتقون بعد صلاة الفجر في مسجد بضاحية من ضواحي تورونتو. وكانت الظروف السياسية مهيئة لعمل ضجة عن الإرهاب في كندا، لرفع شعبية بوش الصغير، الصديق المقرب لستيفن هاربر رئيس الوزراء الكندي الصهيوني، ولرفع ميزانية المخابرات الكندية، ولزرع الرعب في نفوس الكنديين، لابتزازهم سياسيا، بمبدأ "fear mongering" أي زراعة الخوف.

وفي ٢ يونيه ٢٠٠٦، كنت أقضي عطلة نهاية الأسبوع في نياجرا فالز، الشلالات الشهيرة، فتلقيت في يوم السبت، الساعة العاشرة مساءً أسوأ مكالمة تليفونية تلقيتها في حياتي كلها: ابنتي تبكي بكاء هستيريا، وتبلغني أن شريف، ابني الأكبر، قد تم اعتقاله. وما أشدها عليّ من ذكرى!

تلقيت تلك المكالمة المشؤومة، ليلة السبت، ٢ يونيو ٢٠١٦، وطارت بي سيارتي، أو طرت بها، إلى البيت.

اتصلت بكل من أعرف، فذكروا لي قصة اقتحام البوليس الاتحادي RCMP، لبيوت ١٨ مسلماً منهم ابني شريف.

مرت الساعات كأنها دهوراً! انتظرنا فجر اليوم التالي، وتوجهت لمحام يمثل ابني في جلسة توجيه التهم "arraignment hearing"، حيث اتهم بجريمة الانتماء لخلية إرهابية، ومحاولة قتل مدنيين..!!

ثم كان ما كان من قدر الله، واستمرت المحاكمة مدة خمس سنوات كاملة، شربنا فيها المر والعلقم، والحمد لله تعالى، من المحامين، وحراس السجن، والإعلام، والحزن على الولد، ولدي الأكبر .. وإلى الله المُشتكى.

وكان من أهم ما أصابني في هذه المأساة، هو مصيبتي في عدد من الناس، كنت أحسبهم رجالاً، بل كنتم أحسبهم رجالاً من ذوى الفضل، قطعوا اتصالهم بي تماما، خوفاً وفزعا، وعلى رأسهم صلاح الصاوي، الذي عرفته منذ كان شاباً حدثاً، وأعنته في كل خطوة .. ولم أبخل عليه بمال. لكنه ردّ الجميل بالانقطاع عن السؤال! جبن عجيب في طبيعة الرجل .. بل صار يأتي إلى محافظة كويبك بجوارنا، فلا يتصل ولو تليفونيا! فإن كنت أنا، والد المتهم، لم يمسسني سوء بحمد الله، فمم يخاف من يتصل بي!؟ صحيح، الجبن خلّة المخذول حقاً. ثم لمّا أراد الصاوي أن يبني لنفسه بيتا في مصر، بعد أن أعياه الفقر والعوز زمناً، اختار أن يبتعد عن صديق عمر، لعله يساءل! واتخذ سبيله في طريق الطرح الديموقراطيّ، وضرورة الانصياع للقوانين، وعدم الخروج على الحاكم .. فانتكس وارتكس مما أصابه من جبن في القلب .. كما انتكس وارتكس من قبله نبيل نعيم وآل الزمر، وغيرهم ممن اشترى بيوتا وتجارة تبور، بدينه، والله المستعان.

وفي فبراير ٢٠١١ جاء الحكم على ابني بالسجن مدى الحياة، ليس مؤبداً، فالمؤبد ٢٥ عاماً، بل مدى الحياة، وهو لم يطلق طلقة نار واحدة، ولم يهدم حجراً واحداً، بل كله كلام، أثاره حنق هؤلاء الشباب وغيرتهم على ما يحدث لأهلنا في العراق، وما زينه لهم الجاسوس، بعد أن تسلّم ثمن كفره وولائه للظالمين ٤،١ مليون دولارا، كما حكت الصحف عن قيمة تعاقده مع المخابرات، ونحلوه، وأهل بيته، شخصيات جديدة خوفاً مني، لمّا أخبرهم إني ممن لا يترك حقاً يضيع! ولا يزال مختفيا عن أعين الناس، لكن أنّى يختفي من خالقه؟!

ووضع ابني في السجن الأعلى حراسة supermax، مدة ثلاث سنوات في مكان نصل اليه بطائرة ثم سيارة! ثم نقل بعدها إلى سجنّ مشدّد الحراسة "super" مدة ثلاث سنوات بعدها، ثم انتقل إلى سجن متوسط الحراسة medium، حيث لا يزال فيه إلى يومنا هذا، لا نعلم ما سيكون من حاله، والله المستعان على ما يصفون.

وفي خلال تلك الفترة، قدّم لي أحد الأحباء صحفياً يُدعى جمال سلطان، توسمت فيه خيراً وقتها، لمّا رأيت له كتاباً ينقض فيه الديموقراطية. ثم كان أن تحدث إليّ جمال بأنه يفكّر في إنشاء جريدة الكترونية، اسمها "المصريون"، لكنه أولا، ليس لديه المال الكافي، وثانيا يخشى تسجيلها في مصر حتى لا يغلقونها. وسألته لم اختار "المصريون"؟ قال تمويها للحكومة، وإيحاءً بأنها تقبل أي من الآراء الموافقة والمخالفة، لكنها ستكون مجلة ذات طابع إسلاميّ صرف. فتشجعت على مساعدته، وسجلت اسم الشركة هنا في كندا، وأرسلت اليه أوراق التسجيل، ثم بدأت في إعانته بدفعات مالية كبيرة متواصلة، لدفع إيجار المكتب، وشراء حواسب، ومرتبات للعاملين، وغيرها. وكان أخي د محمد، هو من يعطيه المال، حيث يذهب جمال إلى بيته، ينتظر على بابه حتى يخرج له بالمبلغ. وصرت أكتب مقالات ينشرها في الصحيفة التي بدأت في الانتشار على النت.

ثم لاحظت تغيراً في سياسة المجلة، حيث بدأت تنشر مقالات لسياسيين عملاء من الحكومة، وتتغاضى عن أقوالهم المشينة، فكتبت لجمال، مرات بهذا الشأن وبعدم رضاي عن هذا التوجه، وكان دائم التعلل بأن هذا تمويها للحكومة!

وفي يوم من الأيام، كتب على جمعة مقالاً من تخاريف عقله، فكتبت مقالا للرد عليه، فامتنع جمال عن نشره، مما أغضبني كثيراً، وذكّرته بأنني العمود الرئيس في إنشاء هذه المجلة، فلم يردّ، بل ظلّ يتلون في الحديث تلوّن الحرباء.

علمت بعد ذلك مباشرة، أنه استخرج عن طريق من يعرفهم من سعوديين، تصريحا جديدا للمجلة من لندن، دون علمي، وغيّر اسمهما في هجائه باللغة الإنجليزية! بدهاء المجرمين. ثم علمت تعاونه مع آل سلول، واستلامه أموالاً طائلة من الأسرة الحاكمة، لينشد في محاسنهم ويتغاضى عن سيئاتهم، فقلت في نفسي، باع الرجل نفسه للشيطان، واستعضت الله فيما أنفقت في بناء تلك المجلة، التي استولى عليها جمال وحده، لثقتي فيه وعدم طلب تسجيل نصيب فيها في محاكم مصر! واستمر الرجل في التدهور، بعد أن حسن حاله الماديّ، وتزوج بثلاث زوجات، وترك أيام الفقر والعوز خلفه، وأولاها ظهره، على حساب دينه، تماما كما فعل صلاح الصاوي .. فهما من طينة واحدة! ولا يزال في قاع الحضيض، لم يخرج منه بعد.

ثم كان من محاسن قدر الله، أنني سافرت انجلترا لزيارة بعض الأحبة هناك، فذكر لي أحدهم أن شيخاً جليلاً شهيراً اسمه د هاني السباعي، يقيم في لندن، وطلب منه أن يلقاني، فرحبت أيما ترحيب. وأذكر أنني كنت في صبيحة يوم اللقاء مريضا، فتأخرنا قليلاً مما أغضب الشيخ هاني، لكنه سرعان ما عرف فعذر، لأنه لم يكن مقصوداً، وكانت وليمة فاخرة لا أنساها.

وقويت أخوتي مع الشيخ د السباعي، فوجدته فاضلاً، صادقاً، محبا لدينه نحسبه ولا نزكي على الله أحدا، مضحياً صابراً، عالما في التاريخ والفقه، متحكما بنواصي اللغة، وله باع في الأصول والحديث وغيرها من أصول الشرع وفروعه. وصار هو الأخ الوفيّ الذي لا يكاد يمر يوماً دون أن نتواصل. وقد زرته بعد ذلك مرتين في بيته العتيق القديم الصغير في لندن، ومشوار حياته معروف منشور لمن أراد الاطلاع على بلاء الشيخ وابتلائه في دين الله. وأذكر أنه كتب مقالاً في عام ٢٠١١، منافحاً عني، بعد أن هاجمت الشيخ الحويني لموقفه من الثورة المصرية بعنوان "المتسلفون الجدد"!! يهاجمون الشيخ طارق عبد الحليم لأنه ليس شيخاً فضائيا!"

وفي نهاية عام ٢٠١٠، بدأت بوادر الثورة المصرية، تلوح، بعد حكم مبارك الذي دام مدة ثلاثين عاما بالتمام.

حينما بدأت مظاهر التمرد في مصر، حوالي أكتوبر ٢٠١٠، وفاض بالناس الكيل، كنت قد قطعت علاقتي كلية بجمال سلطان، بعد أن ظهرت أنانيته وسعيه للمال والشهرة، لا لله ولدينه. كما كان ابني شريف يقضي شهوره الأولى في السجن. وقد فاتني أن أذكر أنهم قد وضعوه في حبس انفرادي مدة ١٥ شهراً أثناء المحاكمة، كانت أشدّ الفترات عليه، وعليّ. وكنت وقتها قد تخطيت الستين من العمر بأربعة سنوات، فلم أكن شاباً أتحمل الهزات النفسية العنيفة هذا العنف، فابتلاني الله بأمراضٍ، نعمة منه وفضلا. ومع ذلك، تابعت زيارة ابني زيارات شبه يومية قبل الحكم عليه وارساله إلى السجن ذي الحراسة القصوى.

كذلك أود قبل أن أبدأ في المرحلة التالية، أن أُنهى ما حدث مع صلاح الصاوي.

وقد عرفت صلاح ظاهراً وباطناً، قدر ما يمكن أن يعرف رجلٍ رجلاً. ومع ذلك لم أكن أتوقع منه أن ينحرف ذاك الانحراف من أقصى اليمين، مصطفى شكري، إلى أقصى اليسار، دعم الحل الديموقراطي البرلماني الحقوقيّ، الذي يعلم الناس، شرقييهم وغربييهم أنها هذا التصور ملازم للعلمانية. فكان صرح الصاوي كالرجل البندوليّ الذي ضربته من قبل مثلاً لمن ينتقل من بدعة إلى بدعة أخرى تضادها. لهذا جاء عن السلف أنه لا يرجى لصاحب بدعة توبة.

وصلاح الصاوي من ذوي اللسان الزلق الناعم، والوجه الطيب المبتسم، فتراه حنوناً محبباً لا يمكنك أن تضغط عليه لما تراه من هذه النعومة ورقة النفس. لكن الرجل، على هذا، وعلى كثرة ما دوّن، وتنوعه فيما كتب، مما لا ننكره عليه، لم ير الطريق السويّ الهادي، لمانع من موانع الهوى، وهو خوفه من أن تضيع منه ثمرة عمله في الدنيا، من مال وبيوت وأثاث ومتاع! وكان من نتيجة هذا الهوى أن انشق مجلس إدارة الجامعة الأمريكية المفتوحة، وسافرت إلى فيلادلفيا لمحاولة رأب الصدع، لكن كان الخرق قد اتسع، وحدث ما حدث مما لا أذكره لحساسيته، وعلاقته بذمم وخلق. فانفصل الصاوي عن الجامعة وكوّن لنفسه كياناً آخر.

فترة الثورة المصرية

بدأت في أكتوبر ٢٠١٠ أكتب مقالات سياسية تحليلية من وجهة شرعية. عن الأحداث التي تجرى في الساحة المصرية، حتى جاء يوم ٢٥ يناير، ثم ١٢ فبراير ٢٠١١، حين "تنحى" مبارك، لمّا رأي أن القوة الشعبية الكاسحة، لن تبقى ولن تذر.

لكن كانت بداية الثورة بداية منحرفة البوصلة، قادها بعض شباب لم يكن له بالإسلام صلة، مثل نوارة نجم، ابنة أحمد فؤاد نجم الشاعر الإباحي، وأحمد ماهر وأحمد دومة وغيرهم، الذين سرعان ما اختفوا، بعدما استقطبتهم دول خارجية، لوظائف ذات رواتب.

وتلقف الثورة من ناحية الحكم، المجلس العسكريّ المجرم، ومن ناحية الجماهير، تلقفتها

حركة الإخوان المسلمين. وكان كلا الطرفين مأساة ومصيبة في حد ذاته.

سافرت إلى مصر في ٢٠١٢ قبل تولى د مرسي الحكم، حيث قابلت عدداً من الأفاضل عدة مرات، منهم الشيخ الفاضل محمد الظواهري، والشيخ الفاضل مرجان سالم رحمه الله، كما تعرفت على الشيخ أحمد عشوش، والشيخ نشأت أحمد. كما قابلت عددا من المشايخ الذين صاحبتهم عقوداً، ولست في حلٍ من ذكر أسمائهم. كما سجلت عدة حلقاتٍ مرئية على شبكة يقين.

وقد حدث معي حادث أحب أن أشارك فيه القراء. ففي أحد أيام شهر أبريل، على ما أذكر، وكانت المواجهات شديدة بين المجلس العسكريّ والثوار. وكان حازم أبو اسماعيل هو نجم المرحلة، الذي يتحدث بلباقة وهدوء، لكن يلدغ فيحرق. وكانت لي تحفظات عليه، من هو برلماني قانوني حتى النخاع، لا يرى العمل خارج إطار القانون، وهذه العقلية هي التي تسببت في الأحداث التي أدت لسقوط الإخوان، وتولى المجرم الصهيوني السيسي حكم مصر.

وحدث أن تلقيت دعوة من حسن أبو الأشبال، لحضور اجتماع طارئ للجنة المساندة لحازم أبو اسماعيل، حيث كان من المُفترض أن يلقي خطاباً في اليوم التالي على الجماهير التي كانت لا تزال مرابطة في ميدان التحرير. وبالفعل، توجهت مع أحد الإخوة إلى مقر الاجتماع خلف مبنى التليفزيون المصري، ووجدت جمعاً من المشايخ والأساتذة منهم د. محمد عباس، الذي صافحني، واعتذر لي خطئه في موضوع الرافضة، الذي هاجمته فيه بشدة لدعمه إياهم وانخداعه بثورتهم، ثم عاد فهاجمني مرة أخرى لوقوفي ضد داعش!!

جلسنا حول المائدة، وكان من المفترض أن يحضر الشيخ حازم، إلا أنه اعتذر في اللحظة الأخيرة عن الحضور! وكلّف اللجنة بكتابة خطابه الذي سيلقيه في مساء اليوم التالي بالتحرير. ولا أدرى لماذا وقع اختيارهم عليّ لأكتب ذاك الخطاب. فعدت إلى بيتي، وعكفت على كتابته، حتى أنهيته. ثم توجهنا إلى مقر المشايخ، فاطلعوا على الخطاب، وعدّلوا بعض الحروف والكلمات، ثم أقروه. وبعدها توجهنا إلى ساحة التحرير حيث كانت منصة الشيخ حازم منصوبة، وعليها الميكروفونات على أهبة استعداد.

وانتظرنا الشيخ حازم، ثم انتظرنا، ثم انتظرناه، فلم يأت، وبدت الجماهير المحتشدة أمام المنصة تهتف وتتململ، ونحن على المنصة، لا ندري ما نفعل. وإذا بالشيخ أبو الأشبال يأتي فيخبرنا أن الشيخ حازم يشعر بوعكة! ولن يحضر اليوم. وأسقط في يد الجميع، فقال أحد المشايخ: إذن ليلقي الخطاب الدكتور طارق! فنظرت حولي مذهولاً، وقلت، يا إخواننا، لي أسابيع قليلة في مصر بعد غياب طويل، وهذا ليس دوري. واقترب أحد الشباب مني وقال: أنصح بترك المنصة، فالأمور ليست على ما يرام، وبالفعل تركت المنصة وتوجهت لبعض الخيم حيث قابلت من أعرف ومن لا أعرف.

وكنت قبلها، تعرفت على أحد طلبة الشيخ نشأت، وهو الشيخ داوود خيرت، فك الله أسره، وكان قد قابلني عند نزولي لمصر أول مرة في مطار القاهرة. وكان الشيخ داود، شاباً فاضلاً خيّرا صابراً محباً لله ورسوله، عاملا على نشر الدعوة بلا كلل، فاتخذته كابن لي، فكان خير ابن وأفضل صديق.

ثم حدث في السادس من مايو ٢٠١٢، أن توجهت جماهير غفيرة لاقتحام مقر وزارة الدفاع في العباسية. فخرجت في صحبة الشيخ داود، وبعض إخوانه من الشباب المجاهد، حيث توجهنا إلى العباسية. وأترك ذكر ما حدث، يقرؤه القارئ في المقال الذي دونته بعد عودتي للبيت ليلتها مباشرة. وهذا المقال [١] موجود ضمن

---

[١] مقال: "من قلب المعركة ... في مواجهة الطاغوت"

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

ارتفع آذان العصر في خلفية المَشهد. نقترب من مدخل ميدان العباسية، من تحت كوبرى ٦ أكتوبر، ونترجل من السيارة، في مكان قريب. عدد من الإخوة يسيرون تجاه ميدان العباسية بجانبنا، فرادى ومثاني. نصل إلى أمام وزارة العدل، ونتخَطّاها قليلاً. الجو يبدو هادئاً، وعدد من المخبرين يقف أمام مباني الإدارة العسكرية، منتشرين يتلصّصون على الوافدين. الشارع مفتوح ولا أثر لعربات عسكرية.

فجأة، بلا مقدمات، بدأت سحائب دخان كثيفٍ تظهر في السماء. صرخات تتصاعد. هتافات تتعالى "أرجعوا للخلف فقد بدأ الضرب!" رجالٌ ونساءٌ يهرعون من قِبَلَ الداخل نحو الشارع، وهم يختنقون من الدخان. كثافة الدخان تتزايد، شعور بالإختناق يلتف بصدرى ويتصاعد إلى حلقي. تتوافد الدموع مسرعةً إلى عينيّ، وحريقٌ ينشب في وجهى. لا فائدة من تغطية الوجه أو العين، فالدخان يخترق كلّ مانع. هو نوع جديدٌ مطور غير ما استعلته قوى الطاغوت في محمد محمود. صمدنا قليلاً. ثم بدأن زخات الرصاص الحيّ تتوالى

مخترقة صراخ الصارخين، ونداءات المنادين. فردية ومتتالية. الجموع تجرى من الداخل. شباب يحمل رشاشات مياه مملحة يرشونها على أوجهها لدرأ الحرق. بدأنا في التحرك إلى الخلف. وإذا بالشارع الذى كان مفتوحاً من ورائنا قد سدّته علينا بكامل عرضه، مصفحات عسكرية، بلا مخرج منها. تهرع الجموع إلى شارع آخر جانبيّ، تحت أصوات الرصاص الحيّ، وسحائب الدخان الكثيف. تتعالى الصيحات أن "اركضوا فقد اصطف جنود الأمن المركزيّ في منتصف هذا الشارع استعدادا لغلقه.
المصيدة تُحكَم قبضتها. كفار العسكر يريدون أن يوقعوا الناس في المصيدة ثم يقتلوهم بلا رحمة. نركض جميعاً بأسرع ما يمكننا نحو نهاية الشارع، ونرى قوات الأمن المركزيّ الإرهابيّ بدأت في الانتظام. نتجاوزها ونقف في مفترق الطريق. يتجادل الإخوة فيما نفعل، أينتظر الجمع الكرّ، أمْ يتجه إلى ميدان التحرير؟ نوارة نجم تجلس على جانب الرصيف بعد عملية الفرّ. يقرر الجمع ان يتجه لميدان التحرير، حيث الأوضاع هادئة. حيث يقبع الإخوان، في تظاهرتهم "الماتينيه"، "من ثلاثة لسته"! يخابرني أخٍ من الداخل أنّ العسكر قد فتحوا الرصاص الحيّ فأوقعوا عشراتٍ بين قتيل وجريح. وتنقض قوات الكفر على بعض الإخوة فتضربهم بلا رحمة لتسقط فكوكهم وتدقّ أسنانهم. يتصل بيّ أخٍ يهرَع بين الدمرداش وغَمرة حيث أحكمت قوات الكفر الحصار على المنطقة وراحت تضرب برصاص حيٍّ، حيث اختبأ في منزلٍ مجاور حتى هدأت أصوات الرصاص، ثم خرج في صحبة عائلة، ليخرج من المنطقة. أخبار تأتي من مستشفى الدمرداش أنّ من فيها من الجرحى محاصرون، وأنه يتعرضون للرصاص.
هكذا بدت ساحة العباسية، لشاهد العيان في ٤ مايو.
كلّ هذا يجرى، والشياه من أدعياء السلفية يجلسون في بيوتهم، يطلبهم إخوة سائلين أن يقولوا شيئاً أو يفعلوا شيئاً، فكان جواب بعضهم "هؤلاء مكفراتية يستاهلوا"، غيرهم يقول "وأنا مالي، هؤلاء سَبّوني من قبل"، وأمثلهم طريقة يقول "قد نصحناهم فلم ينتصحوا، أفيطلبون منا النصرة الآن لنموت معهم"! جبن وخساسة ونذالة، لم نر لها مثيلاً في تاريخ أمتنا. ولتفرض أنّ أخاك أخطأ في التقدير، أخطأ في التصور، أخطأ في إهانتك، أفيكون موقفك أن تتركه يُقتل؟ والله إن أبا جهل ليفضل أحد هؤلاء المتعممين مئات من المرات في ميزان الله سبحانه.

هذا، واللواء أمن دولة محمد حسان، يقف بين يدي ملك السعوديين، يقبل الأيادى، ويلعق الأقدام، ويمرغ كرامة شعب مصر في الوحل، يستجدى عودة سفيرهم إلى بلادنا! ألا ما أذلك وما أخسّك وما أحقرك من رجل! ويجلس المفتون في دينه، سعد الكتاتنيّ، خذله الله وأضله، بجوار ملك السعوديين، كأنه يرى نفسه في هذا المقام قد بلغ منتهى أمله في دنياه، فهو يقول كصاحب الجنة "ما أظن أن تبيد هذه أبدا"! تبّاً له من تعيس!
الأمر أكبر من أن نتعرض له في مقالٍ واحد، والجسد منهك، والفكر مشتت. لكنّ ما حدث، ويحدث اليوم، ينبئ عن مستقبلٍ مظلمٍ، ستعود فيه قوى الظلم والقهر، تخسف بشعب مصر الأرض، وتهلك له حرثه

مقالات الكتّاب الثاني للثورة تحت رقم مقال ١١٥.

وفي بحث طويل بعنوان "الانتخابات الرئاسية .. رؤية شرعية وواقعية" كتبته في ٨ مايو ٢٠١٢، أي قبل سبعة أسابيع من انتخاب مرسي، وموجود في كتّاب الثورة الثاني "من الانتفاضة إلى الخمود" ص ٥٢٥ من طبعة دار ريم للطباعة والنشر، وص ٢٤٨ من النسخة الإلكترونية علي مكتبتي على تليجرام[١]، أوردت فيه ما أراه شرعاً في عملية الانتخابات، وآثرت أن أضع هنا صورة له من الكتّاب المطبوع.، ها هي

الإشتراك في هذه العملية السياسية، سواءً بالترشح، أو الإنتخاب، أو الدعم، أو إقامة الأحزاب، مُحرّم شرعاً، وباطل لا يحلّ. ذلك من المنطلق الشرعيّ المبنيّ على الأدلة الشرعية المعتبرة، أو من المنطلق الواقعيّ، المبنيّ على النظرة الواقية الصحيحة، لا الواهمة أو المغرضة أو المخدرة أو الناقصة. والواجب على أبناء الحركة الإسلامية الصحيحة التوجّه أن يتجنبوا هذا الوحل النجس، مهما كانت مكانة من دعا اليه، أو أشار به، أو عاوَن عليه، مشايخاً أو دعاة، فرادى أو جماعات.

وليكن شعارنا

"جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ" ص11

وفي ٣٠ يونية ٢٠١٢، تم انتخاب د محمد مرسي، بعد صراع انتخابي مع الفريق أحمد شفيق، أحد مجرمي مبارك. فيكون حكم المجلس العسكريّ قد دام حوالي سبعة عشر شهراً، من ١٢ فبراير ٢٠١١ إلى ٣٠ يونيو ٢٠١٢.

انشغلت بعد ذلك فترة في طباعة عدد من كتبي، بعد أن تعرفت هناك على الشهيد

ونسله. والمستفيد هم مشايخ السوء أولياء الكفر، وإخوان البغي من عباد البرلمان، وخنفس السلفية نادر بكار بطبيعة الحال!

لعل الأمر أن يكون له ما بعده، في ميدان التحرير.

وإلى إخواننا الصامدين، أنتم شوكة في حلق الكفر، فاثبتوا ورابطوا، فإن حملوا السلاح، حملتم الأرواح، وإن تحصّنوا بالعدّة، تحصنّا بالعدد.

وفي جنة الخلد يا أبناءنا الأبرار، الذين باع المنافقون من المشايخ دماءهم، وتغاضوا عن حقوقهم خوفاً ورهباً، أو نفعاً ومصلحة." اهـ بنصه.

[١] https://t.me/THaleem100research

عمر رفاعي، وعلى أخيه يحي رفاعي، الذي كان يعمل وقتها في الطباعة. وقد صاحبني الابن عمر رفاعي رحمه الله عدة مرات مع الشيخ داود خيرت إلى عدد من القرى والمدن ومنها الإسكندرية، نلاقي الناس ونتحدث اليهم، وما كانت أجملها من أيام.

وقابلت الشيخ عبد المجيد الشاذليّ في بيته، ورأيت كم كان منهمكاً ضحياً، وفزعت لما رأيت من تسيير من حوله لأموره كلها، حتى رأيت مصداق فزعي في الكتاب المنسوب اليه بعنوان "الحكومة الإسلامية"!

كما بيّنت في أربعة مجلدات أخرجتها، كلّ شاردة وواردة، حدثت في تلك الثورة، وحذرت وأنذرت، ووجهت ونظّرت، لكن قدر الله سابق. وقد طُبع منها كتابان، "من الثورة إلى الانتفاضة - في تسعة أشهر" في ٢٠١٢، ويشتمل على ١٧٠ مقالاً، في ٥٦٠ صفحة من القطع الكبير، انغمس فيه ألم الحسرة على ما يحدث على أرض مصر من خلل في العقيدة واضطراب في الحركة، والنخداع بالعسكر المجرمين، وابتعاد عن المسار الحقيقي للثورات، ألا وهو القتال حتى النصر. وقد صدّرته بهذه الكلمة:

"لو أنّ امرأة حملت يوم ٢٥ يناير ٢٠١١، لرأى وليدها النور واسمع الدنيا صراخه. لكنّ المصريين إلى اليوم لم يروا نتيجة إسقاطهم للمخلوع، بأي وجه من الوجوه. فهل كان الحَمل كاذباً؟ أم كان الإسقاط سقْطاً؟"

لعلنا نعرف ذلك فيما يأتي من صفحات

ثم أتبعته بكتاب طُبع في مصر عام ٢٠١٣ بعنوان "من الانتفاضة إلى الخمود"، وبه ١٨٨ مقالا وبحثا، في ٥٢٥ صفحة من القطع الكبير، ثم الكتاب الثالث، وهو إلكتروني بعنوان "عام من السقوط مع الإخوان"، يشمل على ١٣٨ مقالاً، ثم الكتاب الأخير بعنون "وأطل الكفر برأسه"، ويشمل على ٩٣ مقالاً وبحثاً.

ولست مؤرخاً لتلك الفترة مرة أخرى هنا، فمن أراد أن يتابع الأحداث كأنه يشهدها، مبيّنة بنظرٍ شرعيّ علميّ، فليرجع إلى تلك الكتب الأربعة. كذلك فقد دوّنت بحثاً طويلاً لخصت فيه ما حدث، وقدمت ما أرى من حلّ، وهذا البحث

بعنوان "بعد أن انقشع الغبار" فارجع اليه.

في تلك السنوات الأخيرة، توطدت العلاقة بيني وبين الشيخ د هاني السباعي، وهو يصغرني بحوالي ١٣ عاماً. لكننا صرنا كتوأمي روح، لا يكاد يمر يوما لا نتحدث فيه، نناقش أوضاع المسلمين وهمومهم، وما نراه من حلول عسى أن نخرج من تلك الأزمة التاريخية، خاصة بعد أن عرفنا توجه الإخوان، بتعاملهم مع المجلس العسكري، ولقائهم بعمر سليمان، ورضاهم بمسار المجلس العسكري، رغم ما كتبنا، وما قال غيرنا في هذا الصدد.

وكان أن فكرنا في إنشاء ما أسميناه "التيار السنّي لإنقاذ مصر"، إذ، من وجهة نظرنا، لم يكن انتخاب د مرسي، والإخوان، إنقاذا لها، بعد أن رأينا المسار "الديموقراطي القانوني"، الذي ارتضوه، وشهدنا تلاعب العسكر وسقوط الإخوان في مصيدة البرلمانية، وتهريج الكتاتني، وسذاجة د مرسي اللانهائية، وتركه الإعلام يمزق شرفه! وتكريمه الفنانين ...! وما لا يحصى من أخطاء شرعية جسيمة، جعلتني أذكر أن أمام المسلمين نافذة لا تزيد عن ستة أشهر حتى يسقط هذا الحكم، والله على ما أقول شهيد.

وكان أن حدث اتصال تليفوني بيني وبين الشيخ السباعيّ والشيخ رفاعي سرور رحمه الله، في مكالمة ثلاثية الأطراف، قبيل وفاته بثلاثة أسابيع، ذكر فيها الشيخ رفاعي أنه يفكر في أمر كهذا، فناقشنا الفكرة، وافترقنا على أمل لقاء قادم، لكن كان قدر الله أسبق، وتوفي الشيخ رفاعي رحمه الله.

قررت، والشيخ السباعي أن نبدأ هذا العمل، والذي كان هدفه استقطاب الشباب المسلم السنّي، واعطاء دورات شرعية مركزة في التوحيد والإيمان وعلوم القرآن والحديث، مع إنزالها على الواقع الحال، ليخرج الشاب مؤهلا فاهما واعيا بما يدور حوله، فلا تتكرر مأساة الإخوان، وترك الميادين، اعتقاداً بأن سقوط مبارك هو سقوط المنظومة العسكرية، والدولة العميقة.

استأجرت مكتبا كبيراً في مدينة نصر، وجهزته بلوازم الدرس عن بعد، وفي صالة المكتب كذلك. وكان الشيخ داود يقوم على شأنه. وبدأ الشباب يتوافد على المكتب

للتسجيل، وبدأنا دروس التوحيد والإيمان وعلوم القرآن، وطبعنا كتيبين، باسم التيار " عقيدتنا" و" حركتنا" .. وأنشأنا موقعا على النت، وضعنا عليه بيانات التيار التي تماشى مع أحداث الواقع. لكن كان لله قدر مرسوم، ألا يتم هذا العمل.

وجاء يوم ٣٠ يونية ٢٠١٣، وكنت ساعتها قد عدت لكندا، خرج شعب السيسي يفوّضه في القضاء على مصر قضاء مبرما، وتسليمها للصهاينة رخيصة، بلا ثمن! ثم كانت أحداث رابعة والنهضة، واطلاق شعار الخزي والعار "سلميتنا أقوى من الرصاص"، الشعار الذي أضاع بقية الأمل في أي تحرك ضد السيسي، فاعتقل عشرات الآلاف من الأبرياء، وعلى رأسهم قادة "سلمية"، وانفض سامر الثورة المصرية، وصمت الشعب المصري، بعد أن بيعت أرضه وانتهبت ثروته، وقتل رجاله، واغتصبت نساؤه، تحت شعار "سلمية"، لا أفلح من أطلقه.

واستطعنا أن ننقل بعض مفروشات مكتب التيار السني، الذي كان تصريح الشؤون الاجتماعية قد صدر له! وكذلك الكتب التي طبعناها في خلال العامين السابقين.

ودونت آخر كتاب لي عن أحداث الثورة المصرية، التي خمدت تماماً، بعنوان "وأطل الكفر برأسه" وغطى الفترة من ٣٠ يونيو إلى ٣٠ نوفمبر ٢٠١٣.

فترة الثورة الشامية

كان أول انتباهي للثورة الشامية، مع نهاية الثورة المصرية، التي لم يصبح فيها ما يستدعى إلا الحسرة والندامة.

كانت الثورة المسلحة السورية قد نضجت بالفعل، منذ تكوين الجيش الحر في يوليو ٢٠١١، عقب مظاهرات سلمية بدأت من درعا وامتدت إلى حماة واللاذقية ودير الزور وحلب وحمص ودمشق والبوكمال، وشملت البلاد كلها بعد ذلك.

ويظهر من هذا أن الحرب المسلحة ضد النصيريين، لم تكن في أول أمرها "إسلامية" حسب المصطلح المتعارف عليه. فالجيش الحر قد بدأت ألويته في الظهور حتى منتصف عام ٢٠١٢. وكانت دولة العراق التابعة للقاعدة، تمر بمخاضات عدة، نتيجة مقتل زعيمها أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله، وتولى أبو عمر البغدادي وأبو حمزة المصري رحمهما الله قيادتها، ثم آلت، بعد مقتل الأخيرين، وفي غفلة من الجماعة الأم، القاعدة، إلى أبو بكر البغدادي الحروريّ، والمبايع لأمير القاعدة.

أرسل بعدها البغدادي شاباً مجهول النسب والتاريخ، هو أبو محمد الجولاني مع ستة من رفاقه لإنشاء جبهة النصرة في أرض سوريا، ونجح الجولانيّ في ضم جماعات مسلحة إلى صفه، وقويت جبهة النصرة حتى أصبحت هي القوة الأكبر في الداخل السوريّ. وتكونت "أحرار الشام" في بداية ٢٠١٣ من مجموعة فصائل، انضوت كلها تحت ما يسمى بالجبهة الإسلامية.

وازدادت قوة جبهة النصرة وشعبيتها، حتى أعلن أبو بكر البغدادي ما أسماه "دولة العراق والشام: ثم أعلن بعدها الخلافة. وحدث النزاع على قيادة النصرة، بين البغدادي والجولاني في أبريل ٢٠١٣، وحكم د أيمن الظواهريّ، أمير القاعدة، بأن يبقى كل من البغدادي والجولاني منفصلين، كلٌّ على جماعته، لمدة عام ثم يتم استبدالهما.

لم يزعن البغدادي، لأوامر أميره، بينما سارع الجولانيّ بمبايعة د الظواهريّ، متسترا وراءه، ليخرج من عباءة البغداديّ.

ومنذ تاريخ نوفمبر ٢٠١٣، حتى مارس ٢٠١٤، كنت أجمع المعلومات عن أطراف النزاع واللاعبين الرئيسيين في الساحة الشامية. ثم دونت أول مقال لي عن الثورة بعنوان "دعوة للصلح والصفح بين المجاهدين في الشام" بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٥ – ٢٥ مارس ٢٠١٤، حاولت فيها تقريب وجهات النظر بين جماعتي البغدادي والجولانيّ.

وزاد اهتمامي بساحة الشام، حتى أنني كنت أكتب، مقالين أو ثلاثة في تدوين وتحليل الأحداث على أرض الواقع، بشكل يوميّ، منذ ذلك التاريخ في نوفمبر ٢٠١٣

وحتى يومنا هذا. وكان من نتاج ذلك ثلاثة مجلدات، تقع في أكثر من ١١٠٠ صفحة، عنونتها "أحداث الشام كما عايشتها"، ويلحقها الكتاب الرابع إن شاء الله بحلول منتصف العام ٢٠١٩، أو آخره، إن أطال الله في العمر. وهذه الكتب متوفرة في مكتبتي على تليجرام، وفي موقعي، لمن أراد الاطلاع عليها، فهي وافية في تغطية أهم الأحداث اليومية، إخباريا وتحليليا من وجهة النظر السنية البحتة.

كان لي دور في محاولة الإصلاح بين جبهة النصرة وبين جماعة البغداديّ، كما ذكرت، التي لم تكن تظهر حروريتها جلية إلا بعد الخطاب الشهير لمتحدثها العدناني الهالك، بعنوان "ما كان هذا منهجنا"، والذي كفّر فيه الظواهري وأكثر القيادات في الساحة وقتها.

وكنت قد أعددت خطابا يحوى تساؤلات عدة عن تصرفات جماعة الدولة، وطلب منى الوسيط، ولست في حلٍ من ذكر اسمه، ألا أنشره على الملأ، حتى لا يسئ لسمعة الدولة، وأنه سيأتي لي بأجوبة شافية. كان هذا في ١١ أبريل ٢٠١٤. وفي ١٩ أبريل خرج العدناني بخطابه المشؤوم، كاشفا الوجه الحقيقي لجماعته، فأصدرت بيانا مطوّلاً شمل التأصيل العقدي، والتاريخي لعقيدة الخوارج، مع الشيخ د هاني السباعي، منزلا على واقع جماعة الدولة، وكان الأول من نوعه في الساحة.

ثم توالت كتاباتي في كشف أفعال الحرورية، بشكل يوميّ، مؤصلاً ومؤرخا لما يحدث على أرض الواقع. وكان هوى الناس في الشام مع جبهة النصرة، مع تمتعها بعطاء شرعي قويّ ودعم مالي من القاعدة.

وممن ظهر على الساحة، في الغوطة الشرقية، كذلك ما أسموه "جيش المجاهدين" ثم تبدل إلى جيش الإسلام بقيادة زهران علوش في سبتمبر ٢٠١٣، والذي اغتيل في ديسمبر ٢٠١٥. وهو كتائب تدين بالولاء للمملكة السعودية، وتأتمر بأمرها. وكذلك وصلت قيادة أحرار الشام إلى يد حسان عبود، والذي استشهد مع خمسين من رفاقه، في عام ٢٠١٤، بفعل مجهول. وانحرف مسار الأحرار بعدها كما هو مفصّلٌ فيما دونت من مقالات وأبحاث.

وكنت في طوال تلك الفترة على اتصال وثيق بالساحة عن طريق ما يُنشر من أخبارها على وسائل الاتصال، وبعض الأخبار التي تصلني من أفراد عاملين في الداخل السوريّ.

ثم حدث ما أسموه "فك الارتباط"، وهو الحلقة الثانية من تحركات الجولاني، للسيطرة الفردية على جبهة النصرة، فتحلّل من بيعته لأمير القاعدة، بعذر أنه مطلب الأحرار وغيرهم للاندماج في كيان واحد. وكان نكث بيعته هو أول خطوة لسقوطه، وانهيار جماعته. فإن الله لا يحب كل خوان أثيم.

حدث اندماج صوري، بين النصرة والزنكي وجماعة الطحان من الأحرار، في كيان اسمه "جبهة تحرير الشام" بقيادة أبو جابر الشيخ وذلك في يناير ٢٠١٧. وسرعان ما انهارت الجبهة، لمّا عرفوا طغيان الجولاني وحبه للسيطرة والسلطة. ثم كان أن وضعت أمريكا اسم الجبهة على قائمة الإرهاب، فيرها الجولاني إلى "هيئة تحرير الشام" فراراً من التصنيف، بعد أن نكث بيعته مع أميره فراراً من ارتباط اسمه بجماعة "إرهابية" عالمية. إلا أن ذلك لم يجديه نفعا، بل توالت الهزائم عليه، وسقطت المدن السورية، بعد التدخل الروسي، واحدة تلو الأخرى، حتى لم يبق إلا إدلب التي هاجر اليها كل من تبقي ممن يحمل سلاحا، خاصة من الغوطة التي سلمها ما يدعى بجيش الإسلام إلى بشار، بأوامر سعودية أمريكية.

كتبت في نكث البيعة ما شاء الله لي أن أكتب، وفي انحراف الجبهة، ثم الهيئة، وفي خيانة جيش علوش، وجماعة النحاس و"شرعيو" تلك الجماعات، الذين هم لم يبلغوا حتى مقام طالب علمٍ جاد.

وفي خضم هذه المعمعة الفكرية الحركية، قدّر الله أن يقع لي حادث سيارة، كاد أن يودي بحياتي، حيث تم نقلي جواً من السيارة المحطمة، إلى المشفى الخاص بالعمليات الكبرى في تورونتو. وخضعت لثلاث عمليات جراحية، ثم فترة ثلاثة أشهر في مقر العلاج الطبيعي بالمستشفى. ولا زلت إلى الآن أتعافى من ذلك الحادث، وهو من قدر الله الذي لا يرد.

وقد دار سجالٌ حادٌ بيني وبين الشيخ أبي محمد المقدسيّ حول خارجية جماعة البغدادي، ثم انتهى بنهاية التنظيم على الأرض في بداية عام ٢٠١٩. كما لا يزال سجال بيني، والشيخ المقدسي والشيخ د السباعي من ناحية، وبين الشيخ أبو قتادة الفلسطيني، يهدأ تارة، ويحتدم تارات، بشأن موقفه من هيئة تحرير الشام، وإطلاقه مصطلحات مبهمة، لا يعرف مقصده بها إلا الله سبحانه!

ولا زلت أتابع الكتابة، في الشأن الشاميّ، بدرجة أقل كثيراً مما مضى، من حيث أن جهاد الشام الحاليّ الواقع قد انتهى، مرحلياً، بسبب شدة الانقسامات، وحظوظ النفس، والرغبة في التسلط، مما جعل تلك الساحة من أسوأ ساحات الجهاد على الإطلاق، بل أكثر سوءاً بكثير من الاقتتال الداخلي بين رباني وحكمتيار وشاه مسعود، والذي دمر كابل، قبل مرحلة طالبان.

هذا ما كان من محطات هامة، استرجعتها في شريط الذكريات الذي غطى فترة الوعي من ١٩٦٨، وحتى يومنا هذا، في ٢٠١٩، قيدت منها ما قيّدت، وشرد منها ما شرد، لكنى عشتها كلها بتفاصيلها، ما تقيّد منها وما شرد.

لعل الله أن يجعل فيها فائدة لناظر، يبحث عن وجهة نظر، غطت نصف قرن من تاريخنا الحديث، من منظور رجل سنيّ طلب العلم وحصل منه ما قدّر الله أن يُحصِّل، عرف أشياء، وفاتته أشياء، لكنه كان أمينا على ما عرف، باحثا دؤوبا على ما لم يعرف.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

د طارق عبد الحليم

١٥ مارس ٢٠١٩ - ٨ رجب ١٤٤٠



الجاهلية الغربية

حين يعرّف المؤرخون فترات تاريخية على أنها فترات تقدّم وازدهار، وحضارة وثقافة، فإنهم عادة، أو من المفترض أن ينظروا إلى المستوى الإنساني التي وصلت إليه تلك الأمم التي توصف بحضارة ما، إن اتفقنا أنّ لفظ الحضارة يعني التقدم والعلو والترقي في سلم الحياة البشرية، لا مجرد جمع المال، وقهر بقية الأمم والحضارات.

ولو رجعنا إلى أقوى حضارة أدت في تطورها إلى ما عليه البشرية اليوم، لقلنا إن الأثر الإنجليزي في التاريخ العالمي المعاصر هو صاحب العلامات المؤثرة والأثر الأكبر في صياغة ما تحويه حضارة اليوم، التي استولت عليها أمريكا، بقرصنتها المعتادة، علمياً وعسكرياً، وإن لم يكن لها فضل إيجادها أساسا، إن اعتبرنا أنّ وجودها فضل في الأصل.

فإذا نظرنا إلى عصر تطور القوة الأمريكية، التي هي امتداد لما قدّمته "الحضارة الإنجليزية"، إن صحّ تسميتها حضارة. في الفترة بين منتصف القرن السابع عشر والتاسع عشر، وما تحقق في هذا الأخير من تقدّم علميّ في مباحث الطب والسيكولوجي والضوئيات وغيرها، لوجدنا أنه كان عصراً في غاية الانحطاط الخلقيّ وعدم المساواة بين الجنسين، واستمراء الفواحش، واستغلال الفقراء، والتعالي والتكبّر على أبناء جلدتهم أنفسهم.

لم يكن للمرأة حقوق على الإطلاق، في إنجلترا أو أمريكا، أي الغرب كله. ونحن هنا نتحدث عن المرأة البيضاء لا السوداء أو غيرها! بل كانت دمية يزينونها للمتاع، ويعاملونها، في الطبقات الثرية، برفاهة وتأنق، لكن كما قلنا، كدمية لا أكثر.
فهي لا ترث والدها، بل يرثه الأخ الذكر الأكبر، فإن لم يوجد إخوة ذكور، ورثه ذكر أقرب من أبناء العمومة أو الخؤولة، أو أبعد من ذلك. فلا حيلة للمرأة إلا إن وجدت زوجا يعيلها قبل موت أبيها! هذا في الطبقات الغنية، أمّا الفقيرة، فقد كانت النساء كالصيد السهل، يعيش أكثرهن من جهود فروجهن، والعياذ بالله. أمّا عن بقية الحقوق، فلم يكن للمرأة حق التصويت، الذي يتشدق الغرب اليوم بأنه من

فضليات حضارته. أما عن العمل، فقد كان مِن أغرب الأمور أن تعمل امرأة، عملاً محترماً، غير البغاء، إذ لم يكن هذا مقبولاً بين الرجال، في مجتمع ساد فيه الرجل سيادة مطلقة، بظلمٍ وتعسفٍ بلا حدود.

ثم كنت ترى المجتمع، في غالب أفراده، يعيشون حياة عبودية حقّة، بفقرٍ مدقع وذلة ومهانة. وصاحب الحظّ فيهم من كان خادماً لسيدٍ غني. ولا زلنا نتحدث عن الرجل الأبيض هنا! فالمال هو المعيار الوحيد للسيادة، والرقّ، للمال، أي لأصحابه، كان هو المُعتمد دون شريك، بلا ضميرٍ ولا تدخلٍ من سلطات أو حكام.

ويتجلى مظهر الفساد الأعم المتغلغل في ثنايا ذاك المجتمع، في وجود تلك الطبقة من الصبية الذكور العواهر، يبيعون أنفسهم للأغنياء، ويلبسون ثياب النساء، ويقفون بزوايا الشوارع، يلتقطهم الباغون، تماما كمجتمع قوم لوط. وقد كان هذا اللون من البغاء منتشراً في لندن ونيويورك وغيرها من المدن الكبرى. لذلك، فإننا حين نرى انتشار الشذوذ والموافقة والتراضي على قبوله، نعلم من أين أتت جذوره. فهذه المجتمعات ساقطة منحطّة خسيسة أصلاً. وما أولئك الذين نراهم اليوم في شوارع الغرب، إلا سلالة تلك الحثالة البشرية التي عايشت تلك الفترة، فتبع الحفيد أجداده! وما منهم إلا وجذوره تعود لأحد تلك العائلات، الغنية الباغية الشاذة، أو الفقيرة التي احترفت الإجرام والبغاء.

تلك هي جذور تلك المجتمعات في أزهى عصورها، التي يسمونها عصر النهضة!

د طارق عبد الحليم

٢٦ أكتوبر ٢٠٢٠ – ٨ صفر ١٤٤٢



هل انتهت طبقة العوام بين المسلمين؟!

في عصر النت، ووسائل التواصل الاجتماعي، والمعلومات التي تعجّ بها المواقع التي لا حصر لها، في كلّ مجال من مجالات المعرفة البشرية، نرى ظاهرة مخيفة في واقع العالم الإسلاميّ المرير، تزيد من مرارته، وتضخّم من بؤسه واضطرابه، وهو اختفاء طبقة العوام!

نعم، والعامي، في التعريف الشرعي هو من ليس بعالم في الشريعة، ولا طالب علم في الشريعة. وعالِم الشريعة، كالعالِم في أيّ موضوع علميّ معرفيّ آخر، يُقصد به من صرف سنيناً في التعلّم، ثم سنيناً في البحث والتحري، ثم سنيناً في التحليلِ والاستقراء، ثم خرج على الناس بنتاج درسه وبحثه وتحليله، جديداً يقدّمه دليلاً على علمه بالموضوعِ المختص. أمّا طالب العلم، فهو من لم يزل في مرتبة التحصيل، قارئاً دارساً وباحثاً ناظراً. أمّ العاميّ، فهو من لم يحصّل في العلم المختّص، على المستوى الأكاديمي، بأي قدرٍ يؤهلّ لي درجة من العلم. فأنت ترى أنّ طالبِ العلم واسطة بين العاميّ والعالم. فهو عاميّ بالنسبة للقدرة على الإدلاء برأيِ مفيد، يُعمل به، في موضوعات معينة، وهو أقرب للعالم بالنسبة للعامي، في علمه بطرقٍ العلم المختص، وطرقه ومسالكه، وخفايا مسائله[١].

الفرد "العامي"، كمصطلح أصوليّ، لا يعنى "الجاهلِ" بالعموم. بل هو الجاهل في علمِ الشريعة على وجه التحديد. فقد يكون العاميّ عامياً في الطبّ والهندسة، لكنه عالمٌ في الاقتصاد أو الفيزياء. وقد يكون الفرد العامي، عاميا في الشرعِ، لكنه عالم في الطب، حاصلٌ على أعلى الشهادات الأكاديمية والخبرة العملية.

ولا تجد رجلاً قرأ في النت على عشرات المواقع التي تتحدث عن الأعراض والأمراض، أو استمع محاضرات عامة عن الطب، الذي يتفرع إلى عشرات التخصصات، ثم يجرأ أن يتصدى لمرضى، يكتب لهم العلاج، أو يمارس جراحة قلب على مريض قلب!

---

[١] راجع هذا المعنى بتفصيل في الموافقات للشاطبي ج٤، ص ٢٧٠ كتاب الاجتهاد المسألة الرابعة وبعدها.

ودرس الشريعة والتحدث فيها والإفتاء بأقوال في شأنها، يُنظر إليه من هذا الباب.

فهناك عشراتٌ من مواقع الإفتاء، وعشراتٌ من مواقع تُحشد فيها أقوال العلماء وكتبهم، في مختلف فروع العلم الشرعيّ الواسع. لكنك تجد العلم الشرعيّ وحده، هو من يتجرأ المسلمون على الخوض في تفاصيله والقول في مسائله، بثقة وطمأنينة (!!).

وقد يكون السبب في ذلك هو الخلط بين العلم بالشريعة، والعلم بالإسلام. فالعلم بالإسلام هو العلم بمبادئ عامة لا يسع المسلم الجهل بها، كوحدانية الله، وختم الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأسماء مشاهير الصحابة وبعض مواقفهم، وما هي علامات الشرك الأكبر التي يحذرها المسلم، كعبادة الأصنام، والرضا بغير الله رباً، بوجه عام، وإن لم يكن التعرف على كثيرٍ منها هو من علم العامي. تماماً كما يعلم الفرد العاديّ، وإن لم يكن مهندسا، أن البيوتَ تُبنى بالأسمنت والطوب، وأبوابها من خشب وتصلها المياه خلال أنابين، وهكذا. أو يعلم، وإن لم يكن طبيباً، أن القلب هو مضخة للدم، وأن الرئتين مضخة الهواء، وأن الطعام يعالج في المعدة، وأن البنكرياس مُنتج لأنسولين السكر في الجسد. أو يعلم أنّ الكون فيه مجموعات شمسية كثيرة، وأن فيه مجرات تحتوي على مجموعات شمسية لا حصر لها، وأن لكلّ منها جاذبية. لكن هذا الفرد وذاك، لا يزالون من "العوام" في علم الطب أو الهندسة أو الفيزياء.

فما الذي حدث؟ اين اختفت طبقة "العوام" في العلم الشرعيّ؟! أكلتها قراضة الأرض أم تمالأت عليها قوى الشرِ التي تريد بالإسلام أن يضطرب ويتلعثم ويختلط حابله بنابله، فلا يُعرف فيه حقّ من باطل؟!

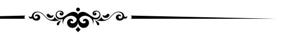
وما حصل اليوم هو عملية خلط في الأداء وعدم توفير المعلومات الصحيحة والأقوال الصائبة، مما خدم القوى المحاربة لسلام خدمة جليلة. فإن من أغراضهم ضرب الأيديولوجية الإسلامية، والتشكيك في مبادئها وجدوى تصوراتها وما ينبني عليها من أشكال اجتماعية واقتصادية وسياسية. فإنه حين يتم لهم هذا، يفقد المسلم مرجعيته، ويصبح فرداً وحيداً في صحراء الجهالة، لا يعلم كيف يصل إلى موارد العلم، تهديه للصواب في القول والعمل. وهذا بالضبط ما يتحقق باختفاء طبقة العوام، وإشاعة

فكرة أن "الإسلام" للجميع، وأنه سهلٌ مُيسّر، وأن الفتوى في أمور الناس، وفي نوازلهم الفردية والجماعية ليست حكراً على أحد! وكلّ هذا من طل القول وتمويهات الشياطين. فمتى كان قرارات الطب بإجراءِ جراحة أو زرع عضو، أو الهندسة ببناء معبر أو هدمه لضعف تسليحه، مُباحاً للكلِّ؟!

من هنا وجب على أصحاب العلم أن يوجّهوا العامة، ويحذرونهم من مثل هذا التوجّه، الذي جعل كلّ مسلمٍ عالم، وكلّ عاميّ مفتٍ في دين الله!

د طارق عبد الحليم

٣ نوفمبر ٢٠٢٠ – ١٧ ربيع أول ١٤٤٢





درس من الحياة!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد ..

الحياة، الزمن، التجربة، أيّا ما تسميها، فهي تعنى أمراً واحداً، وهو الوعي. الوعي بما يدور حولك، وبما يدور وراءك وخلفك، وبما تحبكه الأيام لك من مصائد، وما تحيكه الأيام من مكائد. ثم الوعي بطرق معالجتها، جزئيا أو كلياً.

علمتني الحياة الطويلة التي أمدني الله سبحانه بها، مع كثرة الترحال، وتنوع الاهتمامات، وتعدد الممارسات، وتعمق الفكر في كلّ تلك الأمور، أنّ الفائز، في غالب الأحيان، هو الشخص القلوق، العصبي المزاج، الحاد الطبع، مع القدرة على التحكم في كلّ تلك الخصال، حين يعوز الأمر التحكم فيها.

النجاح، قرين الحركة الدؤوبة، والحركة، تعني الاضطراب في الحياة، ومعاناة تجاربها. وهذا ما يجعل المرء فيه حدّة مزاج، لكثرة تعامله، ومن ثم تشاغبه، مع الناس، فيظهر وكأنه غولٌ قاسٍ يريد بالناس شراً، وهو لا يريد بأحد شراً، بل يرمي إلى تغيير ما يراه بطيئا، آسنا، لا يتحول. والتحول سمة التقدم، فما بقي شئ على حاله، إلا كان في ذلك وباله.

الفوز لا يستقيم مع الشخص البارد الطبع، الهادئ المزاج، البطيء المملّ. فإن من صفات إدراك النجاح، هو الأخذ بالمخاطرة، وهذا لا يكون، مرة أخرى، إلا مع حدة في الطبع، والتململ والسعي إلى الجديد.

ولا تحسبنّ أني أقصد بالاضطراب، التردد وعدم الثقة والتشتت، بل أقصد به عدم القناعة بحال واحد، يأخذ به، ثم يستمر عليه، كابراً عن كابر. فإن هذا إن صلُحَ في أحوال العبادة، التي تستدعى الاستمرار واستدامة الحال، وعدم تشتت الخاطر بما يهدد مراعاتها، فإنه لا يصلح فيما يخصِ أحوال الدنيا، وإصلاح معيشتها، لمن رام أن يكون له سهما في محاولة تغيير ما أسِنَ منها، وتحريك ما ركد فيها. ودونك مثالاً ما يفعل الطبيب حين يصاب مريضه بتوقف القلب، يصعقه بنبضات كهربائية متتالية، تهزه هزاً ليستيقظ من رقدته، ويتفاعل مع الحياة مرة أخرى.

لهذا ترى كبار الدعاة قد أوصوا بالعمل الحرّ الطليق من قيد عبودية الوظيفة. فإن في ذلك مجالاً رحباً، لمن جدَّ، أن يخطو خطوات واسعة إلى الأمام، متحرراً، يتحين الفرص ليهتبلها ويأخذ منها ما يدفعه للأفضل دوماً. لا كمن هو قابع على مكتبه، قانع براتبه، يزعم أن في ذلك أمان وطمأنينة، وهو في حقيقة الأمر، خمولٌ وركونٌ إلى غلِّ الوظيفة.

ثم إني لا أقصد المجازفات المستهترة، التي لا يُحسب فيها حسابا لأطراف معادلة الحياة، وإعطاءِ كلٍّ منها وزنه وتقدير أثره. بل المجازفة المحسوبة، قدر الطاقة البشرية في العلم بمآلات الأمور، ثم التوكل على الله. وقد يسلم غير المجازف، لمدة أطول، دون هزات عنيفة في حياته، لكن، وبالحق أشهد، إن الحياة لا تدع أحداً، مجازفاً أو غير مجازف، إلا رمته بملء كفيها بلاءات واختبارات، تعصِف به، مهما استتر منها.

أذن، هي الحدة في ترفق، والقلق في تقدم، والاضطراب في توازن، والمجازفة في حرص. تركيبة صعبة، متشابكة. لكن كم نرى من حولنا من استحق أن تشرف البشرية بنسبته إليها!

د طارق عبد الحليم

١١ أغسطس ٢٠١٩ – ١٠ ذو الحجة ١٤٤٠



الاهتمامات الفردية

ودائرة أثرها في حياة المسلم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ..

لا شك أن دائرة اهتمام الفرد تمثّل، إلى درجة كبيرة مستوى نضوجه الاجتماعي، ومدى مشاركته في الحياة الإنسانية التي تحيطنا من كلّ جانب. فكلما اتسعت دائرة الاهتمام، وانشغل المرء بقضايا تخرج عن دائرة البيت ومشاكله، والحاجيات الاجتماعية ومتطلبات الحياة اليومية، والدائرة الخاصة بالأهل الأقارب، من زوج وولد، كلما كان عطاؤه في المجتمع أكثر وأغزر. وعلى العكس، كلما ضاقت دائرةً اهتمام الفرد، فحُصرا في احتياجات البيت اليومية وما يلزم للأهل المقيمين في حضرته الآنية، كلما قلّ عطاؤه وقلّ أثره في مجتمعه. وهذه قضية منطقية عامة، تخرج للإطار الإنساني عامة بله المجتمع الإسلامي، الذي يحث على التكافل، ويدفع إلى أن يكونٍ همّ المسلم هو همّ أخيه، وألمه هو ألمه، فالمجتمع كالجسد الواحد يشدّ بعضه بعضاً كما في الحديث.

ولو نظرنا إلى علم النفس ودوافع الفرد، في الفكر الحديث، لرأينا أن من أهمها ما وضعه "ماسلو" عالم النفس التربوي عن احتياجات الفرد، التي تُمثل، لحرجة كبيرة دائرة اهتماماته، ومن ثم دوافعه، في الشكل التالي:



يوضح هذا الشكل تدرج الحاجات عند ماسلو، الاحتياجات الأكثر أهمية عند قاعدة الهرم

ومن هذا الشكل الذي نوافق عليه بشكلٍ عام، وإن غفل عن محلّ الدين في هذه الهرمية، والذي يأتي أحيانا قبل القاعدة الأولى من تأمين الاحتياجات الفسيولوجية. لكن هو صحيح من حيث الحاجات البشرية الدنيوية، التي تدافع الجين وتغالبه في

حسّ المسلم.

ونرى من هذا التسلسل أنّ دائرة الاهتمام العام تتوجّه من طبقة إلى طبقة صعودا في المسلسلة الهرمية. ويصعب تخطي بعضها والقفز من مستو لآخر دون تحقيق ما قبله من مستو. فالمرء الذي يشعر بخطرٍ على حياته ولا يجد سلامته الجسدية مأمونة، يصعب عليه السعي لإقامة الصداقاتٍ وتوسيع دائرة المعارف عادة، إلا فيما شذّ وندر مما ليس له حكم.

والمسلم في هذا المفهوم، ومن هذا المنظور، وكما بين أهل الأصول في مقاصد الشريعة، الجالبة للمصالح بإطلاق، والدارئة للمفاسد بإطلاق، من خلال أحكام التحليل التحريم الشرعية، تجده يحرص على تأمين دينه ونفسه، أولاً، ليكون لحياته معنى يرتقي به في سلم الهرمية، فيكتسب الصداقات ويقيم العلاقات، وينشر الدعوة، ويسعى لتحقيق غرض أعلى بالنسبة له، وهو إقامة دين الله الذي يأتي على قمة الهرمية الماسلوية الإسلامية التشكيل، لو صحّ التعبير.

وبناء علي هذا، فإن المسلم يجب عليه أن ينطر خارج القاعدة الأولى من تلك الهرمية، إذ هي تعنى بالحاجات الأقرب للحيوانية، وإن كانت ضرورة على مستو معين هو مستو الكفاية.

ولننظر في تلك الهرمية من الناحية الأصولية الشرعية. فالاحتياجات الفسيولوجية، وضمان المسكن والمأوى وحسّ الأمن، هو من باب حفظ النفس في مقاصد الشريعة، وهو من أعلى المقاصد المطلوبة. بل هو، في حدّ الضروري منه، مُقدّم على بقية المقاصد، حتى حفظ الدين، في مستو الحاجيات الشرعية. فإقامة الدعوة، لا تصح إن مان أبناء الداعية يتضورون جوعاً في بيتهم، ولا يجدون ما يقتاتون به، أو عرايا في الشارعِ، لا يجدون سقفا يمنع عنهم قرصة البرد أو لسعة الشمس. لكن، إن صال صائلٌ على قراهم، وجب تقديم حفظ الدين من باب الضرورة، إذ لن ينفعهم سقف ولا مأوى من الموت على يد الصائل، على أية حال.

لذلك فإن الأصوليون قد قرروا أنه إن احتاجت قرية إلى معلّم للشريعة، ولم تقدر على إقامة حياته وتوفير احتياجاته الأولية، سقط عنه واجب التصدي للتعليم، وإن لم يكن سواه في القرية (راجع الموافقات، كتّاب المصالح).

فإن نظرت إلى الاحتياجات الأعلى للشخصية الإنسانية، ككسب احترام الآخرين وتقدير الذات، فإن هذه الاحتياجات مقيدة تقييداً شديداً في مقاصد الشريعة، بالنية المقصودة، وهي تختلف اختلافاً بيّناً عن دوافع الفرد في الثقافة الغربية. نية المسلم هي أصلاً إقامة دين الله، وهذا لا يتأتى إلا بكسب ثقة واحترام الآخرين. انزر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لقومه بين يديّ تقديم الرسالة. انظر إلى قول أبي جهل "وقال: الأخنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ها هنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا. فقال أبو جهل: ويحك! والله إنَّ محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟". إذن فإن المكانة والشرف كانتا من سمات نبينا صلى الله عليه وسلم، وكيف لا، وهي سمة الأكرمين على الدوام، لمنها هنا لها قصدٌ وهدف مُقدّم وهو إقامة الدين، لا الفخر الذاتي والرضى النفسي.

لذلك فإن المسلم دائما يحري على سنن التوازن بين الحاجات الأساسية، مع استصحاب النية، والتوجيه التصرف للمصلحة الأعلى لدينه.

فإذا نظرت إلى أولئك الذين تنحصر همومهم في تأمين لقمة العيش، دون اهتمام بما يحدث للإسلام والمسلمين في نواحي الأرض، وجدت أنّ أولئك لا يقدمون لمقاصد الشريعة أية خدمة في مستواها الأعلى، وهو مستو الضرورة، الذي يجب على كلّ مسلم تقديم ما يمكنه في مجاله. صحيح إن المسلم يقدم في مجال حفظ الدين، من الناحية الإيجابية صلاة وصياماً وشعائراً، لكن، كما ذكرنا، دائرة الاهتمام ضيقة لا تخرج عن مصلحة النفس والأهل الأقربين.

لذلك فإن من الضروري، أن يوجّه المسلم، العادي العاميّ، بعض اهتمامه لجماعته الآنية، ولمجتمعه الأعم، كما قال صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى "روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم" والنصح لكل مسلم لا تكون إلا بمعرفة حاله ومحاولة الوقوف بجانبه بالقول والعمل، لا تجنب أخباره، وعدم الاهتمام بحاله من منطلق إننا مشغولون بحالنا، وأنّه ليس لدينا ما نقدّمه، كما أسمع من الكثيرين من ضعاف النفوس.

والله غالب على أمره

د طارق عبد الحليم

٦ ديسمبر ٢٠٢٠ – ١٩ ربيع ثان ١٤٤٢



الواجبات المنوطة بجيل المستقبل

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه ..

من أهم الواجبات اليوم هو تحديد المهام والتكاليف المنوطة بالجيل القادم، في مقابل الجيل الحاليّ، جلينا البائد، الذي هو على مشارف النهاية، بعجره وبجره، محاسنه ومساوئه.

فإنه من الخطورة والإثم المبين أن يُترك هذا الجيل المُقدم على معركة، لا يعرف تحديداً من هم أعداءه فيها، ولا يعرف أسلحته المتاحة له في تلك المعركة، ولا إمكاناته الجمعية، ولا تفاصيل المواقف التي أدت إلى هذه المواقف، بصدقٍ ووضوح وشفافية، بلا تدليس وكذبٍ وادعاءات فارغة، وتزييف مطلق للحقائق، مع خلفية علمية تعينه على الثقة والوعيٍ الثابت.

المشكلة أن هذا الجيل إما ساقط عن عربة الدعوة، والإسلام أصلاً، لم يعد يهتم للدين ولا للحضارة والهوية، ولا لاحترام الذات، ولا لمذلة التبعية التي يعيشها اقتصاديا ثقافيا وسياسيا وعسكريا، يذوب في ثقافة، لا أسميها حضارة أو مدنية، تعنى بماديات، تتيحها لفريقين من الناس، مواطني بلادها الكافرة بالله، أو من يخون ويبيع ضميره ودينه وشرفه وكرامته وعرضه، على أعتاب زبانية ذلك الجحيم المستعر الذي يسمونه "ثقافة". مثلما فعل أمثال آل الزمر في عبادتهم للنظام العلماني الأردوغاني، أو آل العبدة الذي عاشوا على مال الباغي الصائل الكافر وإحسانه، كونهم اليد السفلى، مهما عرضوا من مبررات، أو حتى أفراد منبذين منحطين من عائلة البشري، وضعوا اسم العائلة في التراب، وصاروا مورّدين لحريم السلطان، وقوادين لأمراء الخليج!
والحمد لله إنهم خرجوا من فرع واحد، من سوء الطالع إنه من فرع عبد العزيز البشري مباشرة. لكن، كما نعلم، الفاكهة العنفة موجودة في كلّ مجموعة من الفاكهة الصالحة. ولا يضيرني أن أشير إلى ذلك، حيث إنني عاهدت النفس أن أكون قائما وقائلا للحق ولو مسّني شخصياً، والا فما فائدة العدل والقسط "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ" النساء ٥٥.

والقسم الثاني، هم أولئك الذين لا يزالوا يحتفظون بشعور الانتماء، والهوية، ويودون لو عادت لهم أوطانهم خالصة من دون المنافقين الكافرين، وهم الأقلية المغلوبة على أمرها. وهؤلاء مشكلتهم أنهم لا يقرءون، وإذا قرأوا لا يثقون، وإذا وثقوا لا يفهمون! دورة صعب اختراقها إلا على مخلصٍ صاحب همة لا تكلّ وعزمٍ لا يفل.

الأمر إذن هو بيان تلك الواجبات، والمشكلة هي تحديدها ووضعها في إطار عمليّ، وفي خطوات محددة، ثم عرضها على لسان من يثق به العامة الطيبون، من المتحدثين اللبقين الجماهيريين، مثل الأخ الحبيب الشيخ د هاني السباعي أو الحبيب الشيخ د وجدي غنيم على سبيل المثال، لا الحصر.

وقد دونت مقالات عديدة عن توصيف الداء الواقع بالأمة في بحث "قيام الدولة وبناء الأمة"[١]، ثم في بحث "الخطوات المنهجية" المطلوبة لمسيرة الجيل المقبل[٢]، وحاولت تفصيلها وصبّها في إطار عمليّ، قدر الجهد والطاقة. فإني مؤمن أتم الإيمان، وموقن أشدّ اليقين أن الأمر أكبر من أن يُعالج بمعالجة الجزئيات التي تعرض في حياة الناس بشكل يوميّ. فدحض قول فلان، أو الهجوم على أقوال علّان، أو فضح حقيقة شخصية ما، ليس طريقاً لهدم نظام فاسد أو لبناء أمة راشدة. وإنما هو من باب الكماليات التي تعتمد في الحفاظ على بقاء أمة قائمة مستقرة، والفرق شاسع.

لابد إذن من نوعين من الخطاب الدعويّ اليوم. خطاب دراسي منهجيّ يهدف إلى بناء عقليات عالمة واعية رشيدة، تصلح لقيادة فكرية وسياسية وعسكرية، حسب شخصيتها وميلها الأساسيّ، ثم خطابٌ ينشأ دعاة متحدثين لبقين جماهيريين، يعرفون كيف يثيرون النخوة الهائمة في أمة كانت يوماً أعزّ الأمم، بخطاب علميّ بسيط واقعي، لا تعقيد فيه ولا أمت[٣].

---

[1] https://tariq-abdelhaleem.net/ar/post/73226

[2] https://tariq-abdelhaleem.net/ar/post/73219 & https://tariq-abdelhaleem.net/ar/post/73220 & https://tariq-abdelhaleem.net/ar/post/73224

[٣] الأمْت: الاعوجاج.

أمّا مادة الخطابين كليهما فهي ذات محتو واحد، لا تدليس ولا كذب ولا تلوّن ولا بترٍ للحقائق ولا "سياسة" بدعوى المصالح الموهومة، التي أغرقتنا في تيه الفشل قرابة قرنٍ من الزمن الآن، على يد جماعات "إسلامية" فاشلة مدحوضة، فاتها العقل والعلم والشرف والإخلاص، أو بعض ذلك، فلم يتم لها من الأمر شيء. وواقعنا دليل ماديّ على صدق ما نقول.

ولله الأمر من قبل ومن بعد

د طارق عبد الحليم

١٢ ديسمبر ٢٠٢٠ – ٢٧ ربيع ثان ١٤٤٢





الجزء السادس

الرافضة في الميزان



الاحتلال الصليبي والسيطرة الصفوية

- من سيكون الذابح




لا شك أن الاتفاق بين حكومة المالكي العميلة في واشنطن على وشك التوقيع بعد تمثيلية الخلاف الهزيلة التي لعبها المالكي ليدخل في روع الأمة أنه حريص على شرف بلاده وحرية قراراتها.

والأمر هنا أن العراق قد وقع فريسة بين النفوذ الصفوي الرافضي وبين الاحتلال الصليبي الأمريكيّ، وكلاهما باطل منكر لا خير فيه، بل تجب مقاومته على كلّ مسلم قادر. ولكن الواقع الحاليّ يفرض نفسه على الأرض ويضع الوصايتان الصليبية والصفوية على العراق ومن ثمّ على المنطقة العربية كلها، أمر لا مفر منه، والسؤال الوارد هو هل يتعارض النفوذ الصفويّ مع الاحتلال الصليبي الأمريكيّ؟ هل تتعارض المصالح الأمريكية في المنطقة مع طموحات التوسع الرافضيّ الإيرانيّ؟

والحق أنّه بالنسبة للروافض والصليبيين فإن كليهما يفضّل أن ينفرد بالسيطرة على العراق وعلى المنطقة كلها، ولكن المصالح تتضارب وأصبح من الواضح أنه لابد للطرفين من أن يصلا إلى صيغة للتعامل تسمح بتبادل المنفعة على الأقل في هذه المرحلة من اللعبة السياسية. والحق كذلك أن هذه الصيغة ستكون على حساب أهل السنة في العراق وفي المنطقة كلها، والمحقق في الصورة السياسية الحالية يجد أن كلا الطرفين يستغل ورقه الضغط التي يملكها علي الطرف الآخر. فالرافضة يستغلون مرتزقة الصدر ليزعزعوا السيطرة الأمريكية التامة ولتكون رساله واضحة على أنهم قادرون على التأثير المباشر غلى الأحداث في العراق، وفي المقابل تستخدم الصليبية الأمريكية ورقة النووي الإيراني ليكون إنذاراً للرافضة على أن ضرب مصالحهم ممكن ووارد ومبرر.

ولكن، هذه السيناريوهات إن هي إلا استعراضاً لما في جعبة الفريقين المتناحرين للسيطرة على العراق وعلى المنطقة العربية كلها. وهي سيناريوهات لن ترى النور إذ إنها ليست في صالح ايّ من الفريقين المتناحرين. بل سيكون هناك اتفاق على اقتسام المصالح وحدود التدخل والتداخل، وسيكون ذلك على حساب حرية الشعب العراقي بأكمله وبكل طوائفه وبخاصة اهل السنة، إذ ستتوالى مجاذر السنة على ايدي

الرافضة والصليبيين على السواء. وسيتوالى النزوح السنيّ إلى دول الجوار، وستكون العراق قاعدة صليبية صهيونية لضرب ما تبقى من قوى عربية إسلامية في المنطقة والاستيلاء الواقعي على مصادر البترول، كما ستكون العراق موطئاً ومنطلقاً للمشروع الصفوي الذي رُسمت خطوطه وتحددت معالمه للسيطرة الرافضية المجوسية على لبنان ثم السعودية والخليج العربيّ واليمن.

والعرب السنة، تحت وطأة الحكومات العلمانية العميلة، قد سلبت إرادتهم بالكلية وأصبحوا كالشاة التي تنتظر الذبح، فهل يهم من الذابح؟





أكاذيب الرافضة في ميزان النقد

وصلتني رسالة الكترونية من أحد قراء الموقع ممن تعوّد أن يرسل لي هذ الأكاذيب الرافضية ويسألني بأدب جمّ أن أرد على مثل تلك "الحقائق"! وكان آخرها وصلة "يوتيوب" تحمل إفكا وجهلا تحت اسم "ضريبة تجاهر أهل السنة بالحق" وقد جاء فيها مروجها بأربعة اسماء منهم من هو من غلاة الرفض ومنهم من هم من أهل السنة، وكعادة الرافضة في الكذب صوروا الأمور على غير حقيقتها بجهل وخبث. ولولا سؤال هذا القارئ لما أضعت لحظة في الرد على هذا الهراء.

قالوا: نقدم في هذا الفصل حقيقة أهل السنة والجماعة وكيف يحاربون علماؤهم إذا نطقوا بالحق وصدحوا به بعد أن يتهموهم بالرفض وكيف حاربهم أهل زمانهم وهجروهم وكتبوا ولفقوا التهم ضدهم لأنهم قالوا كلمة حق وبينوها باللسان والبنان، فحرم "علماؤهم" المتعصبون مذهبهم وكتبهم ونسبوها إلى الضلال عن بغض وشنآن بل وجرموا الجهلة من عوام الناس"! ووالله لم أرَ كذبا ولا بهتانا صريحا مثل هذا! ولكن هؤلاء لا دين لهم ولا عقل ولا خلق.

وأود أن أذكر أولا بأن تعريف الرافضي عند أهل السنة هو من سبّ الشيخين ورفض خلافتهما، فالعجب من المأفون صاحب الفيديو أن يقول: فتصور يا أخي أن كلّ من يذكر حقائق (هي عنده حقائق!) الشيخين يعتبرونه رافضيا!! عجيب، هذا هو عينه تعريف الرافضيّ.

ذكروا أولا الحافظ محمد بن أحمد بن عباس المعروف بابن عقدة، وبن عقدة قد روى الحديث : "أخبرنا أبو الغنائم المسلم بن محمد القيسي، والمؤمل بن محمد البالسي -كتابة- قالا : أخبرنا أبو اليمن الكندي، أخبرنا أبو منصور الشيباني ، أخبرنا أبو بكر الحافظ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن هارون بن الصلت الأهوازي، حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى الطلحي، حدثنا محمد بن الحسن ، حدثنا شريك ، عن أبي الوليد، عن الشعبي، عن علي، قال : قال رسول الله -ﷺ- وأنا عنده، وأقبل أبو بكر وعمر - : يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين"، كما روى الحديث: "الحافظ أبي بكر:

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن حماد الواعظ، حدثنا أبو العباس بن عقدة إملاء في صفر سنة ثلاثين وثلاث مائة، حدثنا عبد الله بن الحسين بن الحسن بن الأشقر قال: سمعت عثام بن علي العامري، قال : سمعت سفيان، وهو يقول: لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلوب نبلاء الرجال". وإما أنّ بن عقدة كاذب مخادع في حديثه الأول، فيكون ساقطا في كلّ أمر، وإما أن يكون صادقاً كما قال عنه علماء أهل السنة وأقر به الرافضيّ فهذا مما لا يمكن مخالفته إلا بمخالفة رسول الله ﷺ أو أن نتهمه بالغفلة – حاشاه – وأنه لم يعرف عن أصحابه كما عرف هؤلاء الضالين والمضلين، وهو الذي كان يأتيه خبر السماء بكرة وعشياً ألا لعنة الله على الضالين. ثم إن أهل السنة لم يحاربون ولم يحرموا كتبه بل – بنص قول هذا "المأفون" – كانوا يرونه صادقا وإن عرف عنه الحديث في الشيخين وهو ما ارتآه لا ما حدّث به، وحديثه عن رسول الله ﷺ مقدّم على رأيه الخاص، ولذلك قال الذهبي في ميزان الاعتدال [١] في معرض رده على بن عدي في تكذيبه أحمد بن الفرات في الكامل "ذكره بن عديّ فأساء، فإنه ما أبدى شيئا غير أن بن عقده روى عن بن خراش – وفيهما بدعة ورفض – قال إن بن الفرات يكذب عمدا وقال بن عدي: لا أعرف له رواية منكرة: قلت: فبطل قول بن خراش". كما قال الذهبي في السير[٢]: قلت: زمن الذي يصدق بن خراش ذاك الرافضي في قوله".

والواضح أنّ الذهبي لم يهاجم بن عقدة كما صرح برافضية بن خراش، لآن بن عقدة لم يعرف عنه شدة في الرفض عكس الكاذب بن خراش.

وأعجب من المأفون صاحب الفيديو، اين وجد أهل السنة يحاربون بن عقدة ويمنعون كتبه ورواياته وهو مذكور بالحق وما يستحق في كافة كتب الرجال لروايته الحديث المذكور ولما عرف عنه من صدق.

---

[١] ميزان الاعتدال ١-١٢٨.

[٢] سير أعلام النبلاء ١٢-٤٨٧.

ثم ذكروا بن جرير الطبري: وهذه أعجوبة الأعاجيب أن يقول المأفون صاحب الفيديو أهل السنة "يحاربون الطبري ويمنعون كتبه ورواياته!! وهذا أوضح مثال على كذبهم الذي شهد به مالك وكافة أئمة المسلمين، فالطبري هو الإمام المقدم بين علماء أهل السنة والجماعة، لم يذكره أحد منهم إلا بالخير والعلم والتقديم، بلا خلاف بينهم، ونتحدى هذا المأفون أن يأتي بواحد من علماء أهل السنة رفض الطبري وتحدث عنه بشرّ، والأمر الذي موه به المأفون صاحب الفيديو، هو ما حدث من عدد من جهال العوام من أتباع الحنابلة الذين شوشروا على جنازة الطبريّ واضطروا اهله أن يدفنوه بليل، وهو الخبر الذي ذكره بن كثير في البداية والنهاية ج١١ ص ١٤٥ قال فيه" روى الكثير عن الجم الغفير، ورحل إلى الآفاق لطلب الحديث وصنف التاريخ الحافل وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير، ..قال الخطيب البغدادي: وكان من أكابر العلماء يُحكم بقوله ويُرجع إلى معرفته وفضله. .. وروى الخطيب عن إمام الأئمة بن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة. قال بن كثير: "ودفن في داره لأن بعض **عوام الحنابلة ورعاعهم** منعوا من دفنه نهاراً ونسبوه إلى الرفض ومن الجهلة من رماه بالإلحاد، وحاشاه من ذلك كله بل كان أحد أئمة الإسلام علما وعملا بكتاب الله وسنة رسوله، **بل تقلدوا في ذلك عن ابي داوود الفقيه الظاهري حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم وبالرفض...**" إلى آخر ما مدح به الطبريّ، وفيه بيان أن من رماه بذلك داوود الظاهري وهو ليس من علماء أهل السنة والجماعة، وأن من فعل ذلك في ليلة دفن الطبري هم عوام ورعاع، ولكن المأفون صاحب الفيديو يقول أن علماء السنة هم من حاربوه ومنعوا كتبه ورواياته! ألا لعنة الله على الكاذبين.

والأعجب هو حديث المأفون صاحب الفيديو عن الإمام النسائي! ونفس التمويه الذي استخدمه المأفون صاحب الفيديو مع الإمام الطبري، والنسائي لم يذكر الشيخين بسوء وحاشاه، وإنما كان رأيه أن ما عليه أهل دمشق من سبّ عليّ هو بدعة وهو صحيح صادق في هذا، ولهذا دوّن كتاب مناقب عليّ رضى الله عنه، وليس كلّ من ذكر مناقب الإمام عليّ ناقم على الشيخين الأجلّين صاحبي رسول الله ﷺ وقد روى النسائي في صحيحه مناقب الشيخين ما يغنى عن الكلام، ولكن الأمر كما ذكره بن

كثير والخطيب أنه دخل دمشق وعوامها متعصبون بجهل وظلم لمعاوية ورفض ذكر فضائله، فضربوه، وقال بن كثير "قال الدارقطني: فمات بمكة شهيدا" [١]. هكذا يراه علماء أهل السنة لا أنهم يحاربون كتبه ويمنعون رواياته! ألا لعنة الله على الكاذبين.

ثم تحدث عن عبد الرحمن بنِ يوسف بن خراش، وقد قال فيه أبي زرعة: كان يخرّج مثالب الشيخين وكان رافضياً. وهذا بن عقدة الذي استشهد به المأفون صاحب الفيديو يقول "سمعت ابن عقدة يقول: كان ابن خراش عندنا إذا كتب شيئا في التشيع يقول: هذا لا ينفق إلا عندي وعندك" أما عن قول الذهبي عنه أنه شارب الأبوال، فهذا ما وصف به بن خراش نفسه، قال بكر بن محمد: سمعته (أي بن خراش) يقول: شربت بولي في هذا الشأن -يعني الحديث- خمس مرات! ثم ما رأيك فيمن سبّ صاحبيّ رسول الله ﷺ أهذا أهون من قول الذهبي عندك في هذا الرجل المطعون في عقيدته!

---

[١] البداية والنهاية ج١١ ص١٢٤.



الشيخ القرضاوي .. والرافضة

نشرنا منذ أشهر مضت مقالا بعنوان "شيخنا القرضاوي.. أنصف السنة من الرافضة"، فحواها أنّ الرافضة لا أيمان لهم ولا عهد ولا ذمة، وأنهم يسعون إلى إفساد عقائد أهل السنة، وماذا ننتظر ممن كفّر الصحابة وابتدع بدعة التقية واستحلّ الكذب والمتعة واعتقد تبديل كتاب الله تعالى! وقد تلقينا رسائل نصرت ما قررنا ورسائل من محبي الشيخ ومريديه تنصُر الشيخ في موقفه من الرافضة وتبذل كل ثمين ورخيص لتخرج بأدلة على مذهب التقريب المزعوم الذي نصره شيخنا من قبل، ونعوا علينا هذا الحديث ورمونا بالرغبة في التفريق بين المسلمين!

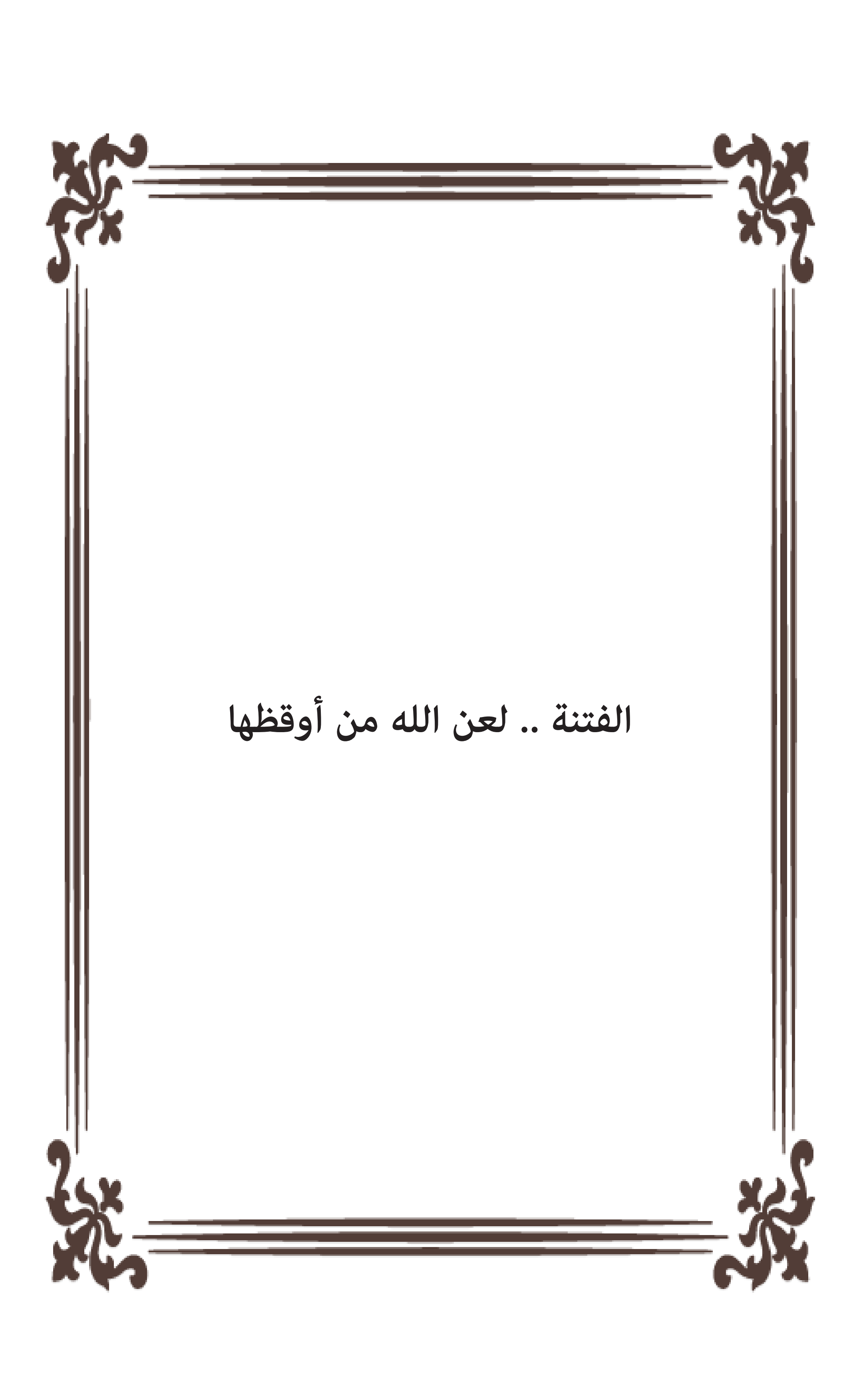
ثم خرج علينا شيخنا القرضاوي أخيراً بما أثلج صدورنا إذ إن الرجوع إلى الحق فضيلة، فبين أهداف الرافضة في اختراق العالم السنيّ وتمزيق وحدته ونشر البدع الاعتقادية والعملية التي أشار إلى بعضها الشيخ القرضاوي في حديثه في "المصري اليوم" بعد أن هاجمته وكالة مهر الإيرانية رغم تقربه من الرافضة وإعلانه مرات ومرات عن ضرورة التعاون معهم، رغماً عن أنوفهم!

ولأن الرجوع إلى الحق فضيلة، فإننا نتوجه بالشكر إلى شيخنا القرضاوي لهذا البيان التاريخيّ، إذ إن الكثير من الشباب المُضَلل المقلد للقرضاوي سوف يعرف حقيقة ما عليه الرافضة بعد أن أعلنها الشيخ، عقب مهاجمة الرافضة له.

ولكن لنا على هذا الحدث ملاحظتان، أولهما: ماذا الذي دفع القرضاوي لإصدار هذا البيان الآن، بعد أن كان شهر العسل بينه وبين الرافضة دائم مديد؟ ونسأل العلامة القرضاوي: هل تبدل دين الرافضة مؤخراً مما دعا إلى إصدار هذا البيان؟ هل توقف الرافضة عن سبّ الصحابة في القرون الثلاثة عشر الماضية؟ هل ابتدع الرافضة عيد النيروز الفارسيّ وبدع زيارات المراقد وتلك الشركيات في الأشهر القليلة الماضية مما دعا علامتنا إلى التصدي لها بهذا البيان؟ هل كان الرافضة في يوم من الأيام أولياء لأهل السنة وأعداء لمن عاداهم، أم كانوا على مرّ تاريخهم الأسود أعداء للسنة وأهلها وكلّ ما تمثله؟ وهل غاب عنه موقفهم من أهل السنة في العراق وما يدبرونه من اغتيال القوي السنية بالكامل وفرض "الرفض" عليهم؟ وهل غاب عنه ما ذكرناه

من مؤامرات للسيطرة على اليمن ولبنان والعراق ثم التحول إلى السعودية كما بيّن أحد كبرائهم؟ لا أدرى والله كيف غابت عن علامتنا هذه الواضحات البينات؟ ولا أرى لهذا الأمر إلا أنها غضبة للنفس وردّ للكرامة بعد أن شهّر به الإعلام الرافضي وكنا نود لو أنه نطق بالحق من دون أن يتعرض للهجوم الرافضيّ، فإن الغضب لله أكرم وأشرف من الغضب للنفس، وإن كان فيه رجوع إلى الحق.

ثم الثانية أنّ على الشباب الذي قتله التقليد الأعمى والهرولة وراء المشايخ من ذوي الأسماء اللامعة دون إعمال عقل أو شرع فيما يقول ويسمع، حريّ بعد هذا الموقف من شيخنا القرضاوي أن يعيد التفكير والنظر في معايير نقد الرجال ومواقفهم من الحق والباطل، فإن رجال الحق هم رجاله في كل وقت وتحت كلّ ظرف، والمتردد بين الحق والباطل، إلا أن يكون خطأ مشروعا في الاجتهاد، هم ممن لا يصح مراجعتهم وتقليدهم، فالأمر أمر دين لا أمر صفقة إن ربحت ربحت وإن خسرت فلا بأس. وقديما قالوا "اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال".. وصدقوا والله.



الفتنة .. لعن الله من أوقظها

تعقيباً على تلك المداخلات التي جرت بين أخي الأستاذ جمال سلطان وبين حامد قويسى، لا أرى بُدّا من أن أوجه النظر مرة أخرى إلى أن ما يجرى على الساحة الإسلامية السنية أكبر من مجرد الهجوم على الشيخ القرضاوي وأهله وعرضه، رغم ما لِعرض العلامة القرضاوي وأهله من حرمة يجب صونها من أي اعتداء، بل هو أمر عقيدة، أولا وأخيراً. الأمر أمر عرض آل بيت النبيّ ﷺ وعرض صحابته الأبرار، الذي يتفق معنا العلامة القرضاوي أنه وأهله وعِرضه فداء لهم. الأمر أمر تسللٍ مجرم يستغل بعض الجماعات "الإسلامية" التي ارتضت في منهجها أن تغض الطرف عن البدعة بل وعما يصل إلى حدّ الكفر انسياقاً وراء السياسة وأوهامها، وكأنّ أولئك الأئمة الأعلام من أهل السنة الذين لا يبلغ أحد ممن يتحدث الآن عن تهدئة الفتنة وعن التقارب عشر معشار علمهم بأحكام الله ورسوله، كأنهم لم يعتبروا حق التقارب من الرافضة ولم يصلوا إلى وعي هؤلاء المُضَللين في العلم والسياسة!

أقول لهؤلاء المُضَلّلين، من الذي أيقظ الفتنة؟ أيكون من يدافع لحفظ عقيدته من التسلل السرطانيّ الخبيث لبدع الرفض المتستر باسم التشيع، أم أن الذي أيقظها هو من ينفق الملايين لنشر هذه الخبائث بين أهل السنة؟ من الأحق باللعن إن كنتم صادقين؟ من الذي يجب أن يوقف عدوانه الإجراميّ ليس على القرضاوي فحسب بل على أهل بيت النبيّ ﷺ صحابته الأبرار، فلا يسبّ عائشة ولا يكفر الشيخين رضي الله عنهم جميعا، ولا يروج لأوهام الأئمة المعصومين، وتلك العقائد الفاسدة؟

ألا يجب على هؤلاء المُضَلّلين أن ينتبهوا أن تزل قدم بعد إيمانها، فيقف في صفّ من لعن أبي بكر وعمر ضد من يدافع عن عقيدة الإسلام الصافية ضد هذه المجوسية المتسترة تحت غطاء الإسلام؟

وأعجب من العجب ما جاء في مقال أحد السيدات "المفكرات" التي استشهدت بحسن نية الروافض ونقضت من يهاجمهم بأن "لديها في البيت مصحف من إيران ليس فيه أي تحريف"!!! سبحان الله العظيم، تلك المجلدات المدونة والكتب المنشورة

منذ قرون متطاولة عن عقيدة الرافضة في تحريف المصحف وما يعرف عندهم بمصحف فاطمة ينهار تحت هذا الدليل البرهاني العتيد! وكأنّ ليس في إيران أهل سنة لهم مصاحف صحيحة منها هذا المصحف الذي انتهى إلى بيت الباحثة!

الأمر ليس أمر أن تتوقف المصريون عن الكتابة في هذا الموضوع، الأمر أن يهب السنة ممن يعتقد عقيدة الإسلام الصحيحة الصافية ليدافع عنها، وكفانا ما تتعرض له هذه العقيدة وأهلها من الداخل العاتي فضلا عن الوافد العابث.

الفتنة .. لعن الله من أيقظها من الرافضة...





المؤامرة الصفوية وأبعادها على الأمة السنية

لا زال ما كتبت عن الخطر الصفويّ، في مايو ٢٠٠٨، تحت عنوان "الذئاب الصفوية الناهشة في نحر الأمة الإسلامية "، يتأكد وتتوالى مؤشراته وآخرها ما يحدث من محاولاتهم مستميتة للتوغل في أرض الجزيرة. وهي ما نراه في أنحاء العالم الإسلامي السنيّ، وهاك ما نراه بلا غبش ولا تشويش:

العراق: الرافضة قد وضعوا ايديهم بالفعل على بلاد "الرافدين" وحوّلوها إلى بلاد "الرافضين!"، بعونٍ من اسوأ حكومة عرفتها الولايات المتحدة وبتأييد مادي وعسكريّ من صهاينة إسرائيل، ولا يغرنّك ذلك التناوش السخيف على موضوع "النووي الإيراني" فهو خبل لا وجود له على أرض الواقع، وإنما هو كارت يلعب به الرافضة ليستمر العالم الإسلامي المخدوع على ظنه بأنهم هم من يقاوم الصليبيين والصهاينة الذين يريدون بالمسلمين السوء. كيف والصليبيون والصهاينة هم من قضى على أعداء الرافضة في الشرق والغرب بالقضاء على طالبان وعلى حكم صدام الذي كان على عداء للرافضة والسنّة على السواء، وتركوا الباب مفتوحاً أمام مجوس إيران لتحقيق حلم الإمبراطورية الصفوية الجديدة الذي قد يكون وشيكاً لا قدر الله.

لبنان: والوضع في لبنان لا يخفى على أحد من أنّ الحزب الذي يطلق على نفسه حزب الله هو يد إيران في هذه البلاد، وما مسرحية الصراع بين هذا الحزب وبين إسرائيل إلا مسرحية أخرى لتغفيل الشعب المسلم السنيّ الذي أكل الطعم وخرجت جماهيره تحمل صورة الرافضيّ نصر الله في يوم من الأيام! وحزب نصر الله هو الذي يوجّه الأمور في لبنان رغم ما تحاوله تلك الدمية السياسية "الجامعة العربية" وما يحاوله بعض الحكام العرب من التعامل مع القضية على أنها قضية مصالح عادية يمكن أن تنتهي بشكل من أشكال اقتسام المصالح! وهو غباءٌ سياسيّ وعقيديّ مقزز، فهؤلاء لن يرضوا إلا بإخضاع لبنان للحكم الصفويّ على رقاب السمة والمارون على حدّ سواء.

سوريا: والوضع في سوريا يختلف بعض الشيء عن السابقتين، إذ إن أسرة الأسد المالكة هم من العلوية أصلاً، ولهم صلة نسب بالاثني عشرية إذ خرجوا جميعاً من تحت عباءة الرفض المجوسيّ. والأسرة المالكة السورية لن تتنازل عن سلطانها لملالي

فارس، وإنما هو تعاون وثيق بين الجانبين ضد مسلمي السنة.

اليمن: والحركة الحوثية التي هي امتداد للنفوذ المجوسي، وتجراها على التمدد داخل الأراضي العربية بالجزيرة، لم يعد مجرد دلالة بل دليل ماديّ على أرض الواقع على ما يبغونه من تطويق جزيرة العرب وأرض الحرمين من كلّ جانب، فهؤلاء الحوثيون إنما هم صنعة الفرس تمويلاً وتدريباً وعتاداً وفكراً، وهم على الباب الجنوبيّ للسعودية، يهددونها ويترصدون بها الدوائر، وهو ما لا يمكن قبوله، بل يجب ضربه بيد من حديد.

دول الخليج: والنفوذ الفارسي في دول الخليج (الإمارات، الكويت، البحرين، عُمَان) لا ينكره إلا أعمى أو متعامٍ عن الحقيقة، فهم يمثلون نسبة لا بأس بها من السكان، وهم، وإن كانت دعواهم الولاء لوطنهم، من الرافضة أولا وأخيراً بشكل أو بآخر، ولن يظهر هذا إلا عند المحكّ وحين تميز الصفوف.

والعجب لمن يقول: انضرب على يد الرافضة وهم أولا وأخيرا من المسلمين، بدلا من الضرب على يد إسرائيل وهم اليهود الصهاينة؟ فنقول للقائل: هون عليك، فإن ضرب إسرائيل لا يختلف عليه مسلمان، ولكن أمره بيد الحكام الذين لا يريدونه ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن هذا الخطر الصليبي أهون فيما نرى من خطر الصفوية الرافضيّ، عند من يعرف حقائق أقوالهم وعقائدهم ومخططاتهم، لا عند من يتكلم بجهل وغفلة. والصهيونية عدو دائم مقيم يعرفه العالم والجاهل من المسلمين، فهو كفر ظاهر بيّن، أما الرافضة، فهم مندسون يتخفون في ثياب الإسلام ويرتدون رداءه وهم يغيرون معالمه وأسسه لتناسب مجوسيتهم وشعوبيتهم التي لم يتنازلوا عنها عبر القرون، بل حولوها من تأليه كسرى إلى تأليه على رضى الله عنه، وأهل البيت كذباً وخداعاً، وكفروا تحت غطاء هذا الحب المردي، الصحابة الأبرار، وزوجات النبي أمهات المسلمين، غير ما انتشر في دينهم من بلاء يعرفه من درس اقوالهم وقرأ كتبهم.

واخوان سوريا، بلا شك، أعرف بالرافضة قلبا وقالباً من إخوان مصر، فإدانتهم القوية الصريحة للحركة الحوثية الصفوية يدعمها معرفة بمدى الخطر الصفوي على

الأمة، أما إخوان مصر، هداهم الله للصواب علما وعملا، فهم لا يزالون يلعبون بأوراق السياسة، بالتقارب مع الصفويين لكسب دعمهم، وما هم لهم بداعمين لو كانوا يعلمون، غير مدركين أنّ السياسة ليست إلا كما وصفها أبي العلاء في قوله:

يسوسون الرعية دون عقل ** فيسمع قولهم ويقالُ سَاسه

فأفٍ للحياة وأف منـي ** ومن زمنٍ رئاستُه خساسه

فالحذر الحذر من السذاجة في النظر والبساطة في الفكر، فإن الجهل قتّال.





إكلاشيه "الوقيعة".. بين السنة والشيعة

لا زلت أعجب من أولئك الأفاضل الذين يروّجون لحلم التقارب بين السنة والشيعة، وآخرهم الدكتورة زينب عبد العزيز أستاذة "الحضارة الفرنسية" التي نشرت مقالا على صفحات المصريون قالت فيه - بعد أن شرحت معنى كلمة التّرّهة" في اللغة العربية، أن الخلاف بين السنة والشيعة هو ترهة من الترّهات!، وأنها محض مؤامرة خارجية للوقيعة بين السنة والشيعة!

ونحن نوافق الدكتورة زينب على ما جاء في مقالها من حقيقة تآمر الغرب الصليبيّ الداعم للوجود الصهيونيّ على الإسلام والمسلمين، وعلى أنهم لا يدعوا طريقاً لإهلاك المسلمين والقضاء على دينهم إلا سلكوه، وأنهم لن يهنأ لهم بال إلا إذا قضوا على ما يعتبرونه الخطر الأعظم على دينهم ووجودهم من أعداء المسيح! نحن لا نخالف في هذا ولا يخالف فيه عاقل إلا عميل مدفوع الأجر محسوب على الإسلام.

ولكن أن يكون هذا دليل على حذف حقائق التاريخ وإنكار أن يكون هناك خلاف بين السنة والرافضة أصلاً كما قالت نصّا "**أم نظل نتمسك بترّهة اسمها خلافات السنة والشيعة**"، فهو ما لا يقبله عقل ولا منطق ولا تاريخ ولا دين. كما لا يبرره حسن نية وبراءة طوية. بل هو من قبيل تبسيط الأمور إلى حد ما يسمى صاحبه بأنه "simpleton"! فالخلاف بين السنة والرافضة قد وجد قبل اكتشاف القارة الأمريكية ذاتها، وقبل وجود الكيان الصهيوني في فلسطين بمئات السنين، ولا نظن أن هؤلاء كانت لهم يد في الدور الخسيس الذي قام به الرافضة يوم أن سقطت بغداد للمرة الأولى أيام التتار! فأن ينسب هذا الخلاف إلى مؤامرة صليبية صهيونية هو من قبيل الخطأ المعيب على أقل تقدير.

ثم، إن الوجود الصهيونيّ الصليبيّ لم يدفع آيات الرافضة لدعم ميليشياتهم في العراق لقتل السنة، ومن المعروف انّ جهدهم - ولا أقول جهادهم - لإخراج الصليبيين من العراق هو للانفراد بالسلطة وإنشاء الإمبراطورية الصفوية الجديدة التي هي امتداد تاريخي لإمبراطورية كانت قبل الوجود الصهيوني الصليبي في العالم الإسلاميّ! وهو ما أعلنته ملاليهم دون مواربة ولا تزويق، أن هذا هو مخططهم في العراق ولبنان واليمن ثم جزيرة العرب! حقائق تاريخية وحاضرة بسيطة لا أدرى كيف تفوت أصحاب العقول الأكاديمية المستنيرة اللهم إلا "حسن النية والبساطة والطيبة" لا غير. ولكن هذا لا يغني عن العلم والمنطق والعقل ذرة واحدة.

ثم، لا أدرى والله عمن يقول أنّ الخلاف بين السنة والرافضة ترهة من الترهات هل يعلم أن مؤدى ذلك أنّ رمي عائشة بالزنا هو مجرد ترهة من الترهات، وأن رمي أبا بكر وعمر بالكفر والطاغوتية هو مجرد ترهة من الترهات، وأن تكفير عامة الصحابة وأعلام الأمة هو ترهة من الترهات! لا أدري كيف يقابل ربه يوم يقوم الحساب! وقد قامت الدنيا ولم تقعد حين قام شكري مصطفى بتكوين الجماعة التي سمتها قوات الأمن التكفير والهجرة في السبعينيات لأنه كفّر المسلمين عامة، وهو في هذا مخطأ أثم، فما بالنا لا نقف من تكفير الدولة المجوسية للمسلمين السنة ذات الموقف الذي وقفناه من شكري مصطفي؟ ألأنهم أصحاب دولة وبريق سلطة وقوة؟ بل إن من أصحاب "القلوب الرقيقة" من دعاة التقارب من هاجم، ولا يزال، الشهيد سيد قطب لأن كتاباته – على حدّ قولهم – بدت منها بذرة التكفير! فكيف بمن زرع البذرة وأنبتها شجرة لعينة تكفر – لا عامة المسلمين – بل صحابة رسول الله ﷺ، وآل بيته من أمهات المسلمين!

ثم، ألا نذكر حقيقة أنّ الرافضة هم الذين سهّلوا وساعدوا قوات التحالف الصليبيّ في غزو أفغانستان والقضاء على قوات طالبان السنية وهو ما اعترفت به سلطتهم دون مواربة؟ أين الترهة في هذا العمل الشائن الحقير؟ إن ذا هو دين الرافضة، أن يكونوا عملاء للعدو ضد السنة أيا كان هذا العدو؟ إين هذا من دعوى الحرص على "وجود الإسلام نفسه" إن هؤلاء الرافضة هم أعدى أعداء الإسلام كما نعرفه لا كما نسجوه وخلطوه بخرافات المجوسية؟

إن إجرام الصليبية الصهيونية العالمية واعتداءاتهم على الإسلام والمسلمين لا ينكرها أحد، ولكن أن نداري خلفها حقائق التاريخ والحاضر التي لا ينكرها إلا جاهل أو عميل لهو نهج آخر لا يصح بمن ينتسب للعلم أن ينتهجه. ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.



تعقيب على التعقيب -

الرافضة في ميزان السنة

أود، قبل أن أعقب على الرد الذي نشرته الدكتورة زينب عبد العزيز في جريدة الشعب، أن أتقدم اليها بالاعتذار عن شبهة تهوين لدورها أو لعقلها أو لدينها، قد تنشأ من جراء هجومي على منهج محدد، لا على شخص بعينه، منهج يحمل في طياته جرثومة الانحراف عن السنة والسماح بتسرب البدعة والتمكين لها تحت شعار الوحدة وعدم الفرقة، في موضع لا يقصد اليه القرآن ولا يقصد اليه رسول الإسلام ﷺ.

كما أشير إلى أنني أنتهز هذه المساجلة لبيان موقف الإسلام من الرافضة المجوس دون أن تكون مشادة كلامية قد نهينا عن مثلها شرعاً. لهذا سأتجاوز عمّا لا غناء فيه من لمز فيّ، عابت عليّ الدكتورة زينب مثله، كتشبيهي بتلامذة المدرسة الأمريكية! أو رميي بالالتواء بالكلمات والمفاهيم، ووالله الذي لا إله إلا هو أن لا غرض لي إلا نصر السنة وردّ البدعة، وما تمنيت إلا أن يظهر الله هذا الرد على يد غيرى فيكفيني القول فيه أصلا، أتجاوز هذا إلى لبّ الأمر مما بيّنته في تعقيبها.

١. قرأت المقال عدة مرات عملا بنصيحة الدكتورة زينب، ولكني مع الأسف لم أخرج منه إلا بما فهمته أول مرة، وهو دعوتها إلى اعتبار الخلافات بين السنة والرافضة باطل لا صحة له، ومن ثم التقارب بل التوحد مع الرافضة فالخلاف بين السنة والرافضة "ترهة" من الترهات، أي باطل من الأباطيل التي لا نصيب لها من الصحة. وأود هنا أن أبيّن أن ما ذكره بن منظور في معنى "ترهة" هو بالنص الذي لم تورده الدكتورة: "الترّهات: **الأباطيل**...وهي في الأصل الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الأعظم" [١] فالإستخدام الأصلي للكلمة هو الشعبة ولكن المعنى الاستعمالي هو الأباطيل، وهو ما حملَت عليه كلام الدكتورة زينب، إذ إن المعنى الإستعماليّ مُقدّم على المعنى الأصلي، كما في كلمة صلاة وهي في الأصل الدعاء، ولكنها في الاستعمال تعني الركوع والسجود المعروف في صلاة المسلمين، أمر يعرفه كلّ دارس للغة العربية وأصول الفقه. ولم أقل في حديثي أن الترهة هي التفاهة كما ذكرت الدكتورة، وهذا للتصحيح.

٢. أننا، أهل السنة، نؤمن بما ورد في القرآن الكريم من دعوة للوحدة ونبذ الخلاف، كما في الآيات الكريمة التي أوردتها الدكتورة، ولكن يجب أن أبيّن هنا بعض قواعد الفهم المنهجيّ عند أهل السنة، وهى أن النصوص العامة المجملة لابد

---

[١] لسان العرب ج١ ص٣٠٢.

من حملها على ما يخصصها ويبينها من آيات أخرى أو أحاديث صحيحة من سنة أو سيرة، والآيات القرآنية الداعية إلى نبذ الخلاف موجهة أصلا إلى من أوجد الخلاف وانشق عن طريق السنة المستقيمة التي لا يزيغ عنها إلا هالك، وقد قال رسول الله ﷺ: "ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة" رواه أحمد، وابن أبي الدنيا، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم، وصححوه، ورواه غيرهم أيضاً، رووه عن عوف بن مالك، ومعاوية، وأبي الدرداء، وابن عباس، وابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وواثلة، وأبي أمامة، وغيرهم.

فهذا قول رسول الله ﷺ شارحا لمجمل القرآن، وقد أجمع علماؤنا أنهم يندرجون تحت الرافضة والجهمية والمعتزلة والمرجئة والخوارج بشعبهم. والاعتصام بحبل الله يكون اعتصاما مع أتباع منهجه وطريقته لا اعتصاما مع من كفّر الصحابة وامهات المؤمنين، وأؤكد على أنه يجب التفريق بين الفرق العقائدية، وبين المذاهب الفقهية وهي التي ما لا يصح فيها اختلاف وتفرق. وهل يا ترى قد غاب عن علماء المسلمين على مدى تاريخنا الإسلاميّ معنى هذه الآيات الكريمة وهم يتصدون للرافضة ويحذرون أهل السنة من مذاهبهم الشركية ولعل الدكتورة قد اطلعت على بعض هذه المدونات الموسوعية ككتاب "منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية" لشيخ الإسلام بن تيمية فلعلها تدرك الخطر الأعظم في تصور أن الرافضة قد يعينون أهل السنة ضدّ الصليبيين أو الصهاينة، إلا بكلام من باب التقية يستدرجون به من لا يعرف مذاهبهم فينبري للدفاع عنهم والدعوة إلى نصرتهم بغفلة وجهالة.

ثم أليس من الغريب حقا وما يجب أن يتفكر فيه كل من نحا هذا المنحى في نصرة الرافضة أن يتساءل كيف أنّ الصهاينة والصليبيين قد اكتفوا بالهجوم الكلاميّ على إيران المجوس، بينما سحقوا بالقوة الغاشمة أفغانستان والعراق! بعون من الرافضة كما أقروا على أنفسهم، وما دعواهم اليوم لخروج الأمريكان من العراق إلا ليتم لهم السيطرة عليها، والا فكيف لم يدعو يوما واحدا إلى خروج الأمريكان من أفغانستان!! أفيقوا وفقكم الله!

٠٣. ثم ما ذكرته الدكتورة من تآمر الكنيسة والغرب بشكل عام ليس لدي اعتراض عليه كما قلت، ولكن أن يكون هذا باب لإغماض العين عن حقيقة مؤامرات الرافضة فهو، وأكرر مرة أخرى، تبسيط ساذج للأدوار التاريخية التي تلعبها القوى المعادية للإسلام بما فيها الرافضة.

٠٤. ثم أعجب ما أذهلني في تعقيب الدكتورة هو قولها: "**لو كانت كرامة السيدة عائشة وكرامة الصحابة، رضى الله عنهم جميعا، أهم وأكبر من كرامة قول الله سبحانه وتعالى، فأم المؤمنين والصحابة فى رحاب المولى، أما كلام الله عز وجل في قرآنه الكريم فلا يضاهيه شيئا، وأمانة فى أعناقنا، علينا تكليف حمايته واستتبابه وليس العمل على اقتلاعه وضياعه**"!! استدلال عجيب مقلوب، فمتي تناقضت كرامة كلام الله سبحانه مع كرامة صحابة رسول الله رسول الله ﷺ وأزواجه المطهرات، اللهم إلا في نظر منحرف المنهج بدعيّ العقيدة، ولا أظن أن الدكتورة من هذا في شئ. وكيف أنّ كونهم في رحاب الله يقلل من حرمتهم وكرامتهم، عجيب عجيب! وقد قال تعالى: "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً"، وأعود بالدكتورة إلى دراسة أصول الفقه حيث تقعد في القواعد الفقهية أنّ "الإعمال أولى من الإهمال"، وأن "الجمع أولى من الحذف" أو "الجمع بين أطراف الأدلة"، وبيان هذا أنّ الجمع بين الحفاظ على مقتضى آيات القران الكريم والحفاظ على مقام الصحابة وأمهات المؤمنين الذي نزل الوحي ذاته بتكريمهم، وبين الحفاظ على السنة التي تركنا عليها رسول الله ﷺ لا يزيغ عنها إلا هالك، يتحقق بأن ننبذ الرافضة على سواء، وهو موقف علماء المسلمين على مدى تاريخنا كله، لا أن نزعم أن الحفاظ على المعنى المجمل للقرآن يستلزم نبذ حرمة أهل بيت النبي ﷺ خاصة وأنهم الآن من الأموات!

٠٥. ثم اسأل الدكتورةِ زِينبٍ، ما هو موقفها مما قال رسول الله ﷺ في حديثه الصحيح عن الخوارج: "بعث عليٌ - رضى الله عنه - وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقسمها رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفرٍ الأَقْرَعِ بن حابسٍ الْحنظليِّ وعيينةَ بن بدرٍ الفزاريِّ وعلقمة بن علاثة العامريِّ ثُمَّ أحدِ بني كلابٍ وزيد الخير الطَّائيِّ ثُمَّ أحدِ بني نبهان - قال - فغضبت قريشٌ فقالوا أتعطي صناديدَ نجدٍ وتدعنا فقال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم "إِنِّي إِنَّما فعلت ذلك لأَتأَلَّفهم" فجاءَ رجلٌ كثُّ اللّحية مشرِفُ الْوجنتينِ غائر العينينِ ناتئُ الجبينِ محلوقُ الرَّأسِ فقال اتّقِ اللَّه يا محمَّد. - قال - فقال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم "فمن

يُطِعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْته أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلاَ تَأْمَنُونِي" قال ثُمَّ أدبر الرَّجلُ فاستأذن رجل من القوم في قتله - يرون أنّه خالد بن الوليد - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنّ من ضئضئ هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السّهم من الرّمية لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد". متفق عليه، أترى لم يراعى رسول الله ﷺ آيات الله الداعية إلى الوحدة ونبذ التفرق، وهو يتحدث عن قوم يقرؤون القرآن ويقيمون الصلاة! كيف أمر بقتالهم وقتلهم قتل عاد! الله الله في دين الله يا كتّاب المسلمين ومفكريهم! عليكم بدراسة العقيدة والتعمق في أصولها قبل أن تدونوا آراءً تحاسبون عليها يوم يقوم الأشهاد.

٠٦ والله لا أعرف من هم الذين هللوا لي وكبروا، ولكني أعرف أن للحق قوته ونوره، ثم أوافق الدكتورة على أننا، أهل السنة التي أنتمي، وتنتمي الدكتورة فيما أحسب، إليها، ننبذ الخلاف ونتوحد في وجه كلّ من أراد بالإسلام سوءاً سواء من الصهاينة أو الصليبيين أو ممن قرأ القرآن فلم يتجاوز حناجره.

٠٧ النصر لا ولن يكون بالتغاضي عن السنة لصالح فهم منحرف لآيات الله لا يتقيد بقواعد الأصول في التفسير، ولا هو بالتقوّي بصاحب في الظاهر، عدو في الباطن لا يرعى لرسول الله ﷺ وصحابته وأهل بيته حرمة.




ردّ عائلة الشيخ سليم البشري

على بهتان الشيعة في كتاب "المراجعات"




أحمد الله سبحانه على نعمة الإسلام ومنة الإيمان وأصلى على رسوله المبعوث بالهدى، المعروف بالصدق والأمانة في كلّ أمره وأبرأ إلى الله من الكذب والخداع والنفاق وأهل الكذب والخداع والنفاق وعلى رأسهم الروافض الذين تكاد تتفطر الأرض بكذبهم وتخر الجبال هذاً ببهتانهم وافكهم. وما تجنينا على هؤلاء الضالين بل هذا ما تواطأت عليه أقوال أئمة أهل السّنة والجماعة في كافة العصور، اسمع إلى أقوالهم في هؤلاء المبتدعة:

- قال أشهب: سئل الإمام مالك عن الرافضة فقال : لا تكلمهم ولا تروي عنهم فإنهم يكذبون .

- قال حرملة: سمعت الشافعي يقول : لم أرى أشهد بالزور من الرافضة .

- قال يزيد بن هارون: يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكم داعية إلا الرافضة فإنهم يكذبون.

- قال شريك القاضي: احمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً.

- قال ابن تيمية: الرافضة بهائم فلا النقل يصدقون ولا الصدق يقبلون.

بل إنهم لغفلتهم قد أوردوا عن أنفسهم صفة الكذب كما ذكر الشيخ العلامة عثمان الخميس في رده اللاحق:

- قال جعفر الصادق - رحمه الله ورضي عنه: "رحم الله عبداً حببنا إلى الناس ولم يبغضنا إليهم ، أما والله لو يروون محاسن كلامنا لكانوا به أعز وما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحط عليها عشرا"[١].

- وقال أيضا - رحمه الله ورضي عنه: "إن من ينتحل هذا الأمر لمن هو شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا " [٢] ، وهذا الكلام قاله عن زرارة بن أعين أعظم رواة الشيعة على الاطلاق!!

---

[١] روضة الكافي ص ١٩٢.

[٢] رجال الكشّي ص ٢٥٢.

- وقال أيضا رحمه الله تعالى: "لو قام قائمنا لبدأ بكذابي الشيعة فقتلهم"[١].

- وقال أيضا: "ما أنزل الله من آية في المنافقين إلا وهي فيمن ينتحل التشيع"[٢].

- وقال أيضا: "إن ممن ينتحل هذا الأمر ليكذب حتى إن الشيطان ليحتاج إلى كذبه"[٣].

- وقال محمد الباقر – رحمه الله ورضي عنه: "لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكا والربع الآخر أحمق"[٤].

- وقال محمد باقر البهبودي: " ومن الأسف أننا نجد هذه الأحاديث [يعني الضعيفة والكذوبة] في روايات الشيعة أكثر من روايات أهل السنة (مقدمة صحيح الكافي).

وما دعاني إلى التعرض لأمر هؤلاء الكذابين المبهتين إلا أنه قد راسلني أحد الإخوة الأفاضل من البحرين يستنجد من الرافضة وما يبذلونه من جهد في نشر ما وضعه أحد أئمتهم في الكذب والمعروف بشرف الدين الموسوي والعروف بالمراجعات، وطبعه وتوزيعه بين أهل السنة ليستميلوا عقول من خفت عقولهم وضعفت عن الجدال حججهم. وذكر أن منهم من يقول، كيف لم نسمع من عائلة البشري شيء يكذّب هذا الأمر وهو شائع مشتهر منذ عقود؟!

واني، حفيد الشيخ الإمام سليم البشرى شيخ الإسلام وشيخ الأزهر، الذي افترى عليه الموسوي، ما خيّلت له أحلامه وتشعبت به في طرق الخداع أوهامه، أقرر لكل من تقع عيناه على هذا الافتراء البيّن الموسوم بالمراجعات أن ليس لهذا الكتّاب صلة بالشيخ البشرى رحمه الله، هو لم يكتبه ولا سأل سؤالا ورد فيه ولا اطلع عليه، إذ إن الكاذب الموسوي قد نشر أوهامه بعد سنوات من وفاة البشرى ليضمن انتشار

---

[١] رجال الكشّي ٢٥٣.

[٢] رجال الكشّي ص ١٥٤.

[٣] الروضة من الكافي ص ٢١٢.

[٤] رجال الكشي ص ١٧٩.

كذبه دون مراجعة صادقة لمراجعاته الكاذبة. ولو كان لهذا الوهم المكذوب أثر لوجده أولاده وهم تسعة أولاد، وفيهم من هو في مقام من العلم لا يضاهى كجدى الشيخ عبد العزيز البشرى إمام العربية وجاحظ العصر، أو لوجده من بعده أحفاده، كما وجد أخوالي حسين وعبد الحميد عبد العزيز البشري مسودات كتاب الشيخ عبد العزيز بعد وفاته فحققوها وطبعوها في كتاب "قطوف"، أو لوجدها من بعد أولاد أحفاده ممن اهتم بالعلم الشرعيّ ونقب فيه عما خبئ من آثار، كالأستاذ الجليل أخانا الأكبر المستشار طارق عبدالفتاح البشري، الذي نشأ في منزل الشيخ سليم ونقب فيما ترك من ورائه منذ طفولته. تعاقبت الأجيال الثلاثة ولم يسمع أحد لهذا الأثر من ركز، إلا من طريق من شهدت عليه أحجار الأرض بالكذب والوضع. ونعجب، إن كان دين هؤلاء الرافضة هو تكفير الصحابة رضوان الله عليهم والكذب عليهم وهم أعلام هذه الأمة وأسيادها، كيف يستغرب كذبهم ووضعهم على شيخ الإسلام سليم البشرى؟

وقد نعرّض عدد من علماء السنّة للردّ على أوهام الموسوي منهم العلامة المحدّث الألباني الذي خرّج الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حشى بها الموسوي مراجعاته، كما أخرج الشيخ الجليل عثمان الخميس رداً شافيا مفصّلا على الكتاب يعتبر مرجعا في هذا الأمر.

وأود أن أحيل إلى بعض ما يدلّ على بطلان نسب هذا الوليد غير الشرعيّ الذي خرج من متعة الموسوي بأوهامه وأخيلته.

فكما ترى في متن الكتاب، يقف الشيخ البشرى موقف طالب العلم المبتدئ بين يدى شيخه ومعلمه، وهو لا يرد عليه ولو مرة واحجة بل يسلّم له في كلّ قول يقوله، ويمدحه على علمه وفقهه بما يتجاوز مقام المدح. اسمع الشيخ البشرى يسأل في المراجعة التاسعة: "طلب المزيد من النصوص في هذه المسألة: أطلق عنان القلم، ولا تخف من سأم، فإن أذني لك صاغية وصدري رحب، وأنا في أخذ العلم عنك على جمام من نفسى، وارتياح من طبعي، وقد ورد عليّ من أدلتك وبيناتك ما استأنف نشاطي، وأطلق عن نفسى عقال السأم، فزدني من جوامع كلمك، ونوابغ حكمك، فإني ألتمس في كلامك ضوالّ الحكمة وإنه لأندي على فؤادي من زلال الماء، فزدني منه لله أبوك زدني، والسلام"! عجب على عجب، أهذا حديث شيخ الإسلام وإمام

المالكية في عصره لمجهول من مجاهيل الرافضة؟ وما "زدني زدني" هذه! مما يطلب الشيخ البشرى الزيادة؟ فكله كذب كما سنبين وسيبين الشيخ الألباني والعلامة الخميس. هذا المدون، كما قال الشاعر: حديث خرافة يا أم عمرو.

ثم إن هذه ليست بمراجعات، إذ إن الشيخ البشرى لم يراجع الموسوي المُدَعي ولو مرة واحدة ولم يورد ولو حديثا واحداً من أحاديث أهل السنة يبين بها عطَل هذه الأسانيِد الموضوعة، ولا سرد دليلا واحدا على صحة مذهب السنّة، وهو القائل: "والله لو هُدِم مذهب مالك لأقمته" لتبحره في العلم الشرعيّ، وفي علم الحديث خاصة؟

ثم إن أي قارئ للعربية يجد بما لا يدع مجالا للشك أن أسلوب السائل والمجيب قد خرجا من جمجمة واحدة لتشابه الأسلوب بما فيه من سجع مقيت لا يتكرر في أسلوب رجلين تصادف أن يتكاتبا، وما فيه من مبالغات لا تعرف إلا عن الرافضة، وهو يجافى ما عرف من نثر للشيخ البشرى.

ثم نأتي إلى كذب الرافضة وتدليسهم فيما أوردوه في هذا البهتان، ونذكر من ذلك مثالين ثم نحيل القارئ على كتاب العلامة الحسيس ليرى بقية الأدلة وعلى تخريج المحدث الألباني ليرى كذبهم واجترائهم على وضع الحديث.

١. جاء في المراجعة العاشرة بعد هراء سرده عن مواقع حكمته وخزائن علمه من مثل "لئن تلقيت مراجعتي بأنسك، وأقبلت عليها وأنت على جمام من نفسك فطالما عقدت آمالي بالفوز، وذيلت مسعاي بالنجح، وان من كان طاهر النية، طيب الطوية، متواضع النفس، مطرد الخلق رزين الحصاة، متوجاً بالعلم، محتبياً بنجاد الحلم، لحقيق بأن يتمثل الحق في كلمه وقلمه، ويتجلى الانصاف والصدق في يده وفمه ...

ثم قال: أخرج الطبراني في الكبير، والرافعي في مسنده بالإسناد الى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، "من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوالي علياً من بعدي، وليوالي وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فأنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي"..

ثم قال: وأخرج مطير، والبارودي، وابن جرير، وابن شاهين، وابن منده، من طريق

اسحاق، عن زياد بن مطرف قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآلة وسلم يقول: "من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي، وهي جنة الخلد فليتول علياً وذريته من بعده، فانهم لن يخرجوكم باب هدى، ولن يدخلوكم باب ضلالة" وعلّق على من ضعّف الحديث كابن حجر بقوله "وأورده ابن حجر العسقلاني مختصراً في ترجمة زياد بن مطرف في القسم الأول من إصابته ثم قال: قلت في إسناده يحيى بن يعلى المحاربي وهو واهي. اقول هذا غريب من مثل العسقلاني فان يحيى بن يعلى المحاربي ثقة باتفاق"

والعجب أن هذا المدلس، بعلم أو بجهل، قد ذكر يحيى بن يعلى المحاربي، وهو ثقة باتفاق، قال أبو حاتم: ثقة وذكره بن حبان في الثقات . إلا أنه ليس المذكور في سند الحديث وانما هو يحيى بن يعلى الأسلميّ القطوانيّ وهو شيعيّ ضعيف قال عنه البخاري: مضطرب الحديث، وقال بن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، وقال بن عديّ: كوفيّ من الشيعة.

فانظر - رحمك الله - كيف أنّ هذا المدلس يستدل بصدق دعواه بالكذب والوضع في السند، وكأن ليس هناك من الجهابذة الذين سيكشفون عطله!

٢. في المراجعة رقم ٥٠، قال الموسوي: " قوله ﷺ: (علي مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) قال [أخرجه الحاكم وهو من الاحاديث المستفيضة] .

قال الشيخ عثمان الخميس: قوله (من الاحاديث المستفيضة) ان كان يعني الصحة فإن الحديث غير صحيح فإن فيه دينار أبوسعيد التيميّ ويلقّب بعقيصا، قال الدارقطني: متروك، وقال ابن معين: ليس بشيء وهو شر من أصبغ بن نباتة، قلت: أصبغ بن نباتة كذاب وهذا شر منه فماذا يكون حاله عند ابن معين.

وهذا غيض من فيض كذب هذه الطائفة وتدليسهم وخداعهم.

وقد حاول الشيخ الخميس أن يرد على استشهاد الرافضة ببيت الشافعي

إن كان رفضا حب آل محمد ** فليشهد الثقلان أني رافضي

فقال الشيخ الخميس: وأنا لا أجيد الشعر:

إن كان نصبا دفع أعداء محمدٍ ** فليشهد الثقلان أني ناصبـي

فقلت تشطيراً للأبيات:

إن الصحابة يبرئـــون بذِمّـةٍ ** من كلّ من قال إني رافضى

إن كان نصباً من يردّ عدوهم ** فليشهد الثقلان أني ناصبي

ونحن نبرأ إلى الله من هذا الكتيب الموضوع ونردّ كلّ من سوّلت له نفسه نسبة هذا الهراء إلى الشيخ الإمام سليم البشرى رحمة الله عليه.

ألا هل بلّغت، اللهم فاشهد.

عن عائلة الشيخ سليم بن ابي فراج البشرى

د. طارق عبد الحليم

تورونتو شوال ١٤٢٨ الموافق أكتوبر ٢٠٠٧



رب ضارة نافعة

قال تعالي "وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم" صدق الله العظيم.

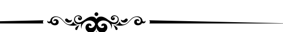
لعل أفضل ما في أمر الابتذال الرافضي الأخير في التهجم على الشيخ القرضاوي هو ذلك الحشد السني الذي وقف خلف القرضاوي وغضب له وبين أمر الرافضة ودينهم وما يترصدون العالم السنيّ به، كما ظهر في كتابات العديد من صحافيينا وكتابنا وما صدر عن جبهة علماء الأزهر الشريف من فضح لدين الشيعة ومؤامراتهم.

ونحن، مع فرحنا بهذا الموقف المشرّف من هؤلاء الصحفيين والكتّاب ومصدري البيان، لا نملك إلا أن نعجب عجبا لا ينقضي من هؤلاء الصحفيين والكتّاب ومصدري البيان! أين كان هؤلاء قبل أن يتعدى الرافضة على القرضاوي؟ ألم يكن يكفي تهجمهم على ابي بكر الصدّيق وعمر الفاروق وعائشة أم المؤمنين وكافة الصحابة وعلماء الأمة من أهل السنة على مدي التاريخ؟ أيكون التعدي على القرضاوي، مع تقديرنا له، أشد وطأة عليهم من التعدي على صحابة رسول الله ﷺ وأزواجه المطهّرات؟ لماذا لم نقرأ في صحيفة من هذه الصحف مقالا أو بيانا ولم نسمع أو نقرأ لكاتب أو صحفيّ يفضح دين الرافضة ومواقفهم؟ والله الذي لا إله إلا هو إنّ هذا الموقف لهو سبب ضعفنا وخذلان أمرنا وهواننا على الله. لم نجهر بالحق لوجه الله ونصرة له، بل نصرة لإنسان، مهما علا قدره!

وأعجب من هؤلاء هو موقف الإخوان المسلمون! لم نسمع لهم صوتا ولم نحسّ لهم ركزا وكأنهم يعيشون في دنيا غير دنيانا، أولياؤهم غير أوليائنا وأعداؤهم غير أعدائنا، قتلتهم السياسة وصرفت المصالح المتوهمة أنظارهم عن الحق فشلّت ألسنتهم حتى عن الذب عن شرف عالمهم الأكبر القرضاوي. أم يكون هذا الموقف نجلا مما صدر عنهم من قبل في شأن ما يسمّى بالثورة "الإسلامية" التي قادها الخميني زعيم الرافضة ومكفّر الصحابة وسابّ الخلفاء الراشدين ومفتي المتعة، فقد أشادوا بهذه الثورة غير المباركة وساندوها وشجعوا العوام على احترام تلك الشخصيات المتهافتة كحسن نصر الله الرافضيّ ومن قبله الخميني. وما هو والله، ونقولها احتسابا لوجه الله تعالى، إلا الجهل بالعقيدة والشريعة على السواء، والإرجاء المذموم الذي تشربت به مواقفهم على مرّ تاريخهم.

ووالله إننا لا نرضى أن يهين أحدا من الرافضة الأذلاء عالمنا القرضاوي، مع اختلافنا معه في العديد من القضايا وعلى رأسها ذلك الكيان الذي أنشأه باسم التقارب بين السنة والرافضة! واتخاذه أحد رؤوس عصابتهم نائبا له!!

ولعل القرضاوي قد عرف الآن أنّ الرافضة لم ولن يكون بينهم وبين السنة تقارب، وما لم يحاوله جهابِذة السنة كأمثال بن تيمية والعز بن عبد السلام وبن القيم من مثل هذه الجهود المجهضة، لم يكن له أن يحاوله. ولعل تلامذة العلامة القرضاوي وتابعي الإخوان أن يفهموا لماذا وقفنا من الرافضة هذا الموقف من قبل ولماذا حذرنا من المنهج الذي يتلون بلون السياسة ولا يستند إلى كتاب أو سنة.





إلى رئيس وزراء كويبك

ترددت في كتابة هذا المقال باللغة الإنجليزية لعدة دقائق، ثم آثرت الرجوع إلى لغتي الأصلية، لغة القرآن، العربية، التي هي أفضل ألوان البيان وأعلاه، بلا خلاف ..

السيد رئيس الوزراء

الحرية، بكل معانيها، هي أمرٌ إنسانيّ مكلوب ومُحترم في كافة الرسالات التي أرسلها ربّ العالمين للناس، إذ جعلهم أحراراً لا يعبدون أحداً ولا يخضعون لأحد، إلا لربهم الخالق. ونحن نختلف في معنى الحرية ابتداءً، إذ هي عند المسلمين، "عدم الخضوع" إلا لله أو ما وافق دينه، وعند غير المسلمين، هي الانطلاق في التصرف دون قيود ولا حدود، إلا ما رآه بعض مسؤوليهم "قانوناً" يعتبرونه فترة، ثم يلغونه فترات. فما هو حرية اليوم، قد يصبح قيداً بالغد، حسب مزاج الممثلين المنتخبين! بلا ثوابت ولا قواعد

السيد رئيس الوزراء

لا أقصد هنا إلى وصف نبي الإسلام محمدا صلى الله عليه وسلم، بصفاته القويمة، وأنه قد جاء رحمة للناس، بشرع حنيف على ملة إبراهيم، يهديهم سبل التصرفات الحسنة والمقاصد السويّة، التي تتوافق مع الفطرة، فإن لن تفهم هذا المعنى، ولن يرسخ في عقلك وجود هذا المستوى من البشر، لتربيتك الدينية المتعصبة لدين أنشأ على يد آباء الكنسية، وأسيئ استخدامه، حتى خرج عليه أهله، وعلى راسهم فرنسا، التي قادت حركة العلمانية والتحرر من الدين كله، اسما، لا حقيقة.

لكن أذكرك بأنه إن كان لأمة أن تتحدث عن الشر والغشم والتهور والإجرام في حق البشرية، أو الإرهاب والقتل لأسباب دنيوية مادية وحشية بشعة، فلن تكون فرنسا تلك الدولة. فالفرنسيون تاريخهم الدموي معروف، لا ينكره مؤرخ من مؤرخي أوروبا.

أذكرك يا رئيس الوزراء، أن فرنسا استعمرت شمال افريقيا وقتلت عشرات الآلاف من المسلمين، منهم ٤٠٠ عالم مسلم دفعة واحدة، وهي الدولة الوحيدة التي تحتفظ ب ١٨ ألف جمجمة غالبها لمقاتلي الجزائر، وفي مصر أكثر من ٣٠٠ ألف خلال غزو نابليون، والذين كان كلّ ذنبهم مقاومة الاستعمار الفرنسي، ليس إلا! سيطرت فرنسا على مالي والسنغال والمغرب والجزائر وتونس وليبيا ولبنان. وفرضت لغتها وثقافتها، دون مراعاة لحرية أهل تلك البلاد. بل حطّمت معتقداتهم، ومحت لغاتهم، ثم ادعت إنها مهد الحرية ومعبدها!

فرنسا دولة دموية متوحشة الطبع، والفرنسيون يحملون هذا الطبع في تركيبتهم النفسية، وعلى قمة هذا العطن، كراهة الإسلام، منذ الحملة الفرنسية، وآراء رينان في الإسلام، التي تتناقض مع عظماء أخر مثل فيكتور هوجو وجوته.

السيد رئيس الوزراء

تعريفك للحرية تعريف كاذب أولاً، لا تطبقونه أنتم في تصرفاتكم، وناقض متناقض ثانيا، لأنه يسبب خراب البشرية، إن أطلقت الحرية المطلقة بِلا قيود في حياة الناس. أي حياة تلك التي لا تحد حرية أفردها حدود، ولا تعتبر فيها قيود، ولا تراعى مشاعر ومقامات. هل أنا حرٌ في سبّ أبيك ووصفك بأنك ابن زنا!؟ هل تقبل أنت أو غيرك هذا؟ هي حرية تعبير، فإن من يقول بهذا يعبّر عن رأيه. لكنك تتحكم في حدود التعبير، فتجعل منه حلال وحراما! تجعل منه ممكنا ومرفوضاً، فتقيّده ثم تدّعى إطلاقه دون قيود.

السيد رئيس الوزراء

أنت ظالم متكبر في رأيك، فإن الوجه الآخر، الحقيقي، لإهانة بنينا الكريم، الذي لا يضره أقوالك الالاف مثلك، هو نشر الكراهية والحقد، وإعطاء مبررات للقتل، قتل قومك، بدعوى الحرية.

السيد رئيس الوزراء

هو تحذير من مسلمي كندا والعالم لك ولأمثالك. نبينا صلى الله عليه وسلم، كان قبل ما كرون الخبيث، وقبلك، بقرون، وسيظل بعدكما بقرون، فجهودكما في إهانته، كجهد الذبابة في القضاء على الأسد. ولن تجني أنت ومن يؤيدك إلا الحسرة والندامة.

لقد أحسن جاستين ترودو في موقفه المتوازن، فأجاز حرية التعبير، ولكن بيّن أن كلّ أمرٍ، مهما كان، له حدود، وليس إلا المغفلين من لا يعرف حدوداً لأي أمر.

د طارق عبد الحليم

نوفمبر ٢٠٢٠ – ١٧ ربيع الأول ١٤٤٢





القاعدون من الإسلاميين .. غير أولى الضرر!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد .

كتبت الابنة المحترمة د. ولاء رفاعي سرور ابنة الأخ الحبيب والشيخ العالم الأريب رفاعي سرور رحمه الله تعالى، مقالاً جميلاً عن "المعوِّقين من الإسلاميين" الذين يقفون، بأفكارهم وتصرفاتهم، في وجه مسيرة العمل الإسلامي.

وقد رأيت أن أُلحق مقالها بصنف آخر من الإسلاميين القاعدين، غير أولى الضرر، الذين ذكر الله تعالى في مثال يختلَّط عليهم فهمه "**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة**"، أي الذين ليسوا بهم عجز عن الفعل، ولا عن المشاركة، لكنه ضعف الهمّة وخور العزيمة، وخيبة النظر، التي تجعل هؤلاء، الذين يعتبرون أنفسهم من أبناء الحركة الإسلامية، مجرد عالة على الحركة، كالدهون التي يكتظ بها الجسد، فتؤذيه، مع كونها تجعله كأنه أكبر من حجمه الحقيقي الفاعل.

كم تعجّ الساحة الإسلامية بهذا الصنف، وأنا أتحدث عن المنتمين للفكرة الإسلامية المخلصين لها، لا الغرباء عنها القالين لها. نعم، هناك الكثرة الهائلة من القادرين على العمل والبذل، وتقديم الجهد، فكراً أو عملاً أو إعانة، بأي شكل من الأشكال، إلا أنهم يرون أنّ التزامهم بالجماعة المنصورة، وفهمهم للحق، كافٍ لقضاء ما عليهم من واجب، وهيهات!

إن الواجبات تناسب الأوقات، والأوقات التي تتزاحم فيها البلاءات والاختبارات حكمها غير حكم الأوقات التي يخيّر فيها المرء بين القعود والعطاء. وزماننا الحاليّ ليس فيه اختيار بين قضاء التكاليف العينية أو الكفائية. فقد شحّ العاملون، وقصر القادرون، وحسبوا أنّ القيام بما يمكنهم، ولو جهد المُقل، هو من باب المندوبات، فأعرضوا عن العمل، وركنوا إلى القعود.

الواجب اليوم على كلّ صاحب قدرة، في أي مجال من المجالات، أن يفزع من قعدته، وأن يستخدم ما وهبه الله من استطاعة، ليقوم بأي عملٍ على أي مستوٍ كان،

يعين به على إيضاح الإسلام، أو الذب عنه، أو الأخذ بيد المسكين من أهله، أو سد رمق المحتاج، ولو بشق تمرة، كما عبّر صلى الله عليه وسلم.

فالقدرة على الفعل المصلحيّ للإسلام اليوم لم تعد من باب الاستحباب، بل صارت واجبة عيناً على كلّ قادرٍ من حيث أن الإسلام يواجه قوي عالم الكفر مجتمعاً، في كلّ مجال من مجالات الحياة، فكري وثقافي، أو اقتصادي، أو غير ذلك، ما سمحت به ظروفه. فمن سمحت له موهبته، في أي مجال، بأن يقدّم مشاركة فعّالة، فلا تردد هناك في ضرورة القيام بها، وإلا فهو الإثم.

والقاعدون اليوم ليسوا معذورين، إلا أولى الضرر منهم، بل هم محاسبون لا يكسبون حسنات على تخليهم عن واجبهم العينيّ. وليس وضع القاعدين اليوم هو وضع القاعدين المذكورين في الآية الكريمة، إذ إن أولئك كانوا آمنين في بلدهم، المدينة، وكان ما يُدعون إليه هو المشاركة في الفتح وفضل جهاد الطلب. أمّا اليوم، فالديار محتلّة، والعدو من حولنا مسيطر على كلّ مفاصل الحياة، يحارب الإسلام علناً ويقتل المسلمين كفاحاً، ويغلق المساجد ويهدمها. ويغير مناهج التعليم نشراً للعلمانية والكفر، ويبيح سبّ المصطفى صليه الصلاة والسلام، والاستهزاء بالقرآن، والاستهانة بالمحرمات، وموالاة الكفار ضد المسلمين، وكلّ عمل مكفّرٍ مسكور في كتاب من كتب الفقه.

المسألة مسالة الهمّة التي صار المسلمون "المخلصون" يفتقدونها تماماً. وتراهم يعتذرون بالولد والرزق وضيق الوقت، وهيهات أن تُقبل أعذارهم. فكم ممن قبلهم من عمل وبذل، مع ضيق الوقت وقلة الرزق. وهل يحسب هؤلاء أن العاملين الباذلين للإسلام ليس لهم ذرية ولا أهلٍ ولا يحتاجون معاشاً ومسكنا!؟ والله أمرُ هؤلاء عجيب. يدّعون "الإسلامية" وهم قاعدون عن نصرتها، بحجة الانشغال بالدنيا، وكأن كلّ من بذل من قبل كان من طبقة الأغنياء الوارثين، العاطلين الفاشلين، لا أهلٌ ولا عيال!

يجب أن نحي الإسلام والرغبة في ظهوره وانتصاره في أنفسنا، قبل أن نتحدث عن إحيائه في نفوس الغير، فكم من تجمعات ومؤتمرات وجلسات، يستفيض فيها الحديث عن ضرورة الدعوة وحتميتها، ثم تجد كلّ من شارك، مهملاً لواجب يمكنه عمله، لو شحذ الهمة قليلاً، وتغلب على شعور العجز المترسخ في نفوس المسلمين منذ عقود.

والله ولي التوفيق

د طارق عبد الحليم

٥ نوفمبر ٢٠٢٠ - ١٩ ربيع أول ١٤٤٢





الجزء السابع

في أساليب الإدارة

الإدارة في المنهج الإسلامي



دوافع الفرد بين المنهج الإسلامي والفكر الغربي

لا شك أن المسلمين اليوم أحوج ما يكونوا للنظر في تلك القواعد والأسس التي تبنى عليها مناهجه، والتي تمثل القالب الفكري الذي تعالج من خلاله مشكلاتهم، وتواجه به التحديات الحضارية المحيطة بهم.

وهذه الحاجة ليست نابعة من التشكك في تلك الأسس والقواعد، فهي أمور قد بنيت على قطعيات الشريعة من الكتاب والسنة، وما استخلص منهما، وهي من ثمَّ غير قابله للنقض ولا متعرضة للنقص.

كما أن تلك الحاجة ليست ناشئة من مركب نقص؛ يواجه تلك الهجمة الغربية التي تتهم كل ما لدى المسلمين من معطيات، فنحاول بالدعاوى أن نؤكد أن ما لدى المسلمين هو الصواب وهو الحق، كما يفعل بعض الناس؛ بل إن الحاجة لمراجعة تلك القواعد والأسس نابعة من ضرورة أن يتعرف المسلمون أنفسهم على قوة وعظمة تلك الشريعة الغراء ثم أن يتعرفوا على مواضع تلك العظمة بالدليل والحجة، لا بمجرد الحديث والدعوى.

وحتى تؤتي تلك المراجعة ثمارها، فلا بأس من أن نقابل تلك الأسس والقواعد بما يقابلها مما أفرزته قرائح البشر، وهدت إليه عقولهم، وأنتجته سلوكياتهم وأخلاقهم بمعزل عن الهدي الإلهي، فيميز الصواب من الخطأ ويمحص الحق من الباطل، وكما قيل "بضدها تعرف الأشياء".

من هذا المنطلق، رأينا أن نقدم في مقالنا هذا مقابلة-ولا أقول مقارنة - بين نظريتين في مسألة من أهم المسائل التي تنبني عليها التصرفات الإنسانية ، ومن ثم توجه النشاط البشري خلال حضارة من الحضارات... وهي مسألة "دوافع الفرد" التي يسعى لتحقيقها خلال سني عمره بالنظر في تلك المقاصد التي قررتها الشريعة، ودونها علماء أصول الفقه، ومقابلة ذلك بما قرره أحد كبار العلماء في علم النفس الفردي، هو "إبراهام ماسلو"، والذي قدمه في صورة نظرية في الدوافع البشرية عام ١٩٥٤ في كتاب "الشخصية والدوافع الإنسانية " ، وهي النظرية التي تحكمت إلى حد بعيد في فكر كل من تناول موضوعها من بعده من العلماء

أمثال: هيرتز بورج (١٩٥٩)، والدرفير (١٩٧٢).

متسلسلة "ماسلو" في الدوافع الإنسانية ومقاصد الفرد:

قدم " إبراهام ماسلو" نظريته في دوافع الإنسان للمرة الأولى عام ١٩٤٣ في مجلة (المراجعات السيكولوجية) ثم فصلها بعد ذلك في كتابه " الشخصية والدوافع الإنسانية " في عام ١٩٥٤، الذي طبع في أمريكا.

وفي هذه النظرية يفترض ماسلو أن الإنسان إنما يتحرك في حياته من خلال "احتياجات" مادية ونفسية معينة، تمثل الحافز القاهر الذي يجعله يطلب تلك الاحتياجات ويسعى لتحقيقها واحدة تلو الأخرى.

وقد وضع ماسلو تلك الاحتياجات الإنسانية التي تدفع الفرد أمامها ، على هيئة متسلسلة تتكون من خمس حلقات أو طبقات تمثل كل منها نوعين من الاحتياجات المادية أو المعنوية ، فالفرد - كما يرى ماسلو-يبدأ بالبحث لتلبية الحاجات المادية الأولية التي تحفظ عليه الحياة ، وهي الحاجات الطبيعية (Physiological Needs) من المأكل والمشرب وهي "الاحتياجات الدنيا" فإن تحققت تلك الاحتياجات انتقل الفرد إلى المستوى التالي لتحقيق ما أسماه ماسلو بالحاجات الأمنية (Security Needs) وهي المسكن والدخل المقبول الذي يكفل الاستمرارية ، وفي المستوى الثالث يسعى الفرد لتحقيق حاجاته الاجتماعية(Social Needs) لتكوين العائلة واتخاذ الأصدقاء وممارسة الحياة الاجتماعية بأشكالها المتعددة ، فإذا تحققت الحياة الاجتماعية بقدر مرض ، انتقل الفرد إلى طلب ما هو أعلى، فيسعى لتحقيق حاجات معنوية واقعيةً كاحترام النفس ، وتحقيق الذات ، والإحساس بالتقدير والنجاح ، وسمو المكانة ، والاستقلالية... فإن بلغ ذلك ارتقى إلى المرحلة النهائية والتي يهدف فيها إلى إبراز طاقاته الكامنة كفرد مبدع ، والحرص على الترقي ومداومة التقدم ، وتظهر هرمية ماسلو في الشكل المرفق:

تفجير الطاقات الإبداعية



مسلسلة هرم ماسلو

وقد ذكر ماسلو أن عملية الانتقال من مستوى إلى آخر في هذه الهرمية لا يتم إلا إذا أشبعت الحاجات المتعلقة بهذا المستوى، بمعنى أن الفرد لا يسعى لكسب احترام، المجتمع أو لتحقيق روابط اجتماعية مالم يحقق حاجة الطعام والشراب والسكن.

وتجدر الإشارة إلى أن تلك النظرية التي تعالج الدوافع النفسية لدى الفرد، إنما هي - كما يظهر من مضمونها - وليدة الفكر الغربي الذي يجعل "الفرد" ومصلحته العليا أولى بالتقدمة، إذ هو الوحدة الاجتماعية الأولية "لا الأسرة كما في المجتمع الإسلامي"، ونجاح الجماعة إنما يهدف أولاً إلى تحقيق صالح الفرد، وإلا فلا عبرة ولا دافع له كي يساهم في التقدم الجماعي، فالفرد في "الغرب" إنما يحترم الجماعة ويعمل طائعاً في إطارها لأنه يعلم بفطرته وبخبرته خلال القرون أن تلك هي الوسيلة الناجعة لتحقيق صالحه هو... من خلال الجماعة، كذلك فإنها نظرية يمكن أن يقال إنها "وصفية" ، أعني هي تصف واقع الفرد كما هو كائن ، ولا تعالج الطموح إلى الترقي أو السمو بالحاجات ، وتقديم ما هو أنفع على غيره كما إنها-بطبيعة الحال - تعالج مقاصد الفرد ودوافعه في حيز الحياة الدنيا ، إذ ليس لدى القوم كبير اهتمام بما عساه يكون في عالم الغيب، وما يتطلبه ذلك الأمر من ضرورة دافعة تجعله يسعى قاصداً لتحقيق

احتياجات محدودة تعين على بلوغ غايته.

مقاصد الفرد في المنهج الإسلامي:

في مقابل تلك النظرية الغربية في " الدوافع Motivation" يمكن للناظر في أصول الشريعة الإسلامية وقواعدها الكلية أن يستنبط نظرية في "الدوافع" التي تحرك الفرد المسلم وتوجه حركاته وسكناته، ذلك أن بواعث المسلم ودوافعه تنبع من تلك الفطرة المخلوقة السوية، التي لم يفسدها الانحراف أو الضلال، تلك - الفطرة التي تتلقى المنهج الإلهي المقرر، الذي فصلت جزئياته في الشريعة، فيصوغ لها قالبها النفسي الذي تتحرك من خلاله في حياتها الدنيا. فالمسلم إذن حين يتحرك من خلال تلك الشريعة، وفي قالبها ذاته، إنما تتناغم بواعثه ومقاصده مع ما تهدف إليه الشريعة وتقصده... فمقاصد الشرع - في الإسلام - هي بشكل عام، "مقاصد الفرد المسلم"، وهي دالة بطريقة اللزوم على بواعثه ودوافعه، إذ العلاقة بين دوافع الفرد ومقاصده هي علاقة الفرع بأصله، وهي علاقة موجبة طردية، وإن لم يكن محل الحديث عن هذه العلاقة بشكل أوسع في هذا المقام، فإننا أردنا أن نبين أننا اتخذنا من مقاصد الشرع[١] قواعد تهدي إلى "بواعث الفرد" في النظرية الإسلامية.

ينبعث الفرد المسلم في حركاته وسكناته ساعياً نحو تأمين حاجته من متطلبات خمس رئيسية، تدور حولها سائر حاجاته الإنسانية وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. وهذه الحاجات الخمس هي التي تبعث الفرد على إتيان أعمال محددة لحفظها ومنع زوالها، إذ بها تتحقق أقصى مصالحه على وجه الكمال، سواء في الدنيا أو في الآخرة، كما أنه بعدمها يتعرض للتلف الآجل أو العاجل.

فلا عجب أن يكون الحرص على تحقيقها ومنع فواتها، هو الدافع الأصيل للفرد منذ أن يبدأ وعيه وحتى النهاية، فالحرص على "الدين" هو الباعث الأول للفرد، إذ به تتحقق هويته البشرية من حيث هو عبد لله الخالق، كما ينال ما يتمنى من السعادة

---

[١] راجع الموافقات للشاطبي ٢/ ٨ وما بعدها.

الأبدية في الآخرة.

والحرص على النفس هو كذلك أمر فطري يندفع إليه الناس دون حاجة للتعلم أو التوجيه، والحرص على العقل دافع أصيل لدى الإنسان من حيث يحقق له القدرة على السيطرة على مقدراته، والسعي نحو حماية الأهم من النفس أو الدين، وحفظ النسل، الذي يؤمن للفرد شعور الاستمرارية والدوام. ورعاية النبتة التي تحفظ له اسمه ووجوده، يمثل ولا شك دافعاً قاهراً للمرء ليحقق ما به قوام تلك الحاجة الأساسية الأصيلة، والمال الذي هو زينة الحياة الدنيا، دافع حقيقي للمرء، يعينه على إبقاء النفس ورعاية النسل، وإعلاء كلمة الدين.

وتختلف تلك الحاجات، في شدة أثرها على بواعث الفرد ودوافعه، قوة أو ضعفاً، حسب رتبة العمل المقصود، في تلك الحاجة المحددة، فإما أن يكون الأمر ضروري، فيقوى الباعث عليه حتى لا يفتأ المرء يسعى لتحقيقه ليل نهار، سراً وعلانية، لا يجد راحة حتى يدركه، إذ كيف يتركه وهو أصل لا تستقيم الحياة - الدنيا أو الآخرة - بدونه! أو أن يكون أمر حاجي، يرتفع به ضيق الحياة، وهي من ثم دوافع تستحق السعي والطلب، مالم تعارض في هذا السعي بضرورة أولى بالتقدمة، تبعث النفس على تحصيلها بعثاً. ثم أخيرًا تلك الأمور التي تسبغ على الحياة سعتها، وتستدعي استكمال رفاهيتها ورغدها، وتحسن وجه الحياة في كافة مناحيها، وهي لا شك دوافع للمرء تحفزه على طلبها إذ تحقق باستكمالها ما به ضرورات بقائه، وحاجيات حياته.

وأخيراً، فإن قوة الباعث على تحصيل تلك الحاجات، تتوقف على أمور ثلاثة أخرى، تتعلق بأثرها، أهي على الفرد أم الجماعة، أهي شاملة أم محدودة في جزئية معينة، ثم أهي متحققة الوقوع أم موهومة، فما هو للجماعة، تميل نفس الفرد إلى تفضيله عما فيه فائدة شخصية، وما هو شامل مقدم على ما يعالج جزئية محددة، ثم ما هو متحقق الوقوع، لا شك فيه، تميل النفس إلى السعي نحوه "أكثر مما هو متوهم، لا يعلم: حقيقة هو أم خيال!

من خلال ذلك العرض الموجز، لما عساه يكون قالباً للنفسية الفردية السوية، في

بواعثها ودوافعها نحو تحقيق أعمال تحققٍ صالحها ورضاها وتشعرها بالكفاية والسمو الداخلي، تتم المقابلة التي أردنا إليها أولاً. ونلحظ من مقابلةٍ تلك الحاجات التي تمثل القالب النفسي للفرد في النظرة الإسلامية، بما قدمناه آنفاً من نظرية الدوافع لماسلو، ذلك الفارق الشاسع سواء في هيكلها أو فرضياتها الأولية أو دقتها وسعتها.

فالنظرة الإسلامية لدوافع الفرد تتميز بإحكام بنائها، وإحاطتها بكافة ما يعتمل في النفس الإنسانية من عوامل، كذلك دقة تقديم الأوليات، حسب ما أدت إليه التجربة البشرية على مدى الزمان والمكان.

وقد اعترض الكثير من الغربيين أنفسهم على متسلسلة ماسلو من حيث هي أغفلت أن الفرد في كثير- بل جل - عمله وحياته يقدم نفسه وحياته أمام حفظ كرامته أو معتقده، وأن الدراسات التطبيقية لم تدعم ذلك التسلسل المذكور.

كذلك فإن هذه النظرة تضع الفرد في محله الصحيح من الجماعة، من حيث إن أفعاله تنبعث من الحاجة إلى تحقيق صالح الجماعة أولاً... ثم صالحه من حيث هو فرد فيها ثانياً، لا العكس كما ذكرنا عن النظرة الغربية الرأسمالية، ولا الترف الشيوعي الذي يسخر الفرد لصالح الجماعة - في زعمهم - لا غير.



نظرية "الوسيلة والهدف" في القيادة

ر. ج. هاوس [١]

ترجمة: طارق عبد الحليم

هذه الدراسة المترجمة التي نقدمها في مجال الدراسات الاجتماعية، استكمالاً لما قدمناه في العدد الثامن من "البيان" ، هي لعالم الاجتماع الأمريكي روبرت هاوس، المتخصص في علم النفس الاجتماعي Social Psychology والتي قدم فيها الورقة الأولى لنظرية جديدة في فن القيادة وسماها بنظرية (الوسيلة والهدف)، وتعني بتحديد المهام الرئيسية للقيادة كما يراها، والتي على رأسها إيضاح الهدف المنشود، وبيان الوسيلة لتحقيقه، وأثر ذلك على سلوك الاتباع.

ظهرت - في الحقبة الأخيرة - مجموعة من الدراسات في مجال دراسة "القيادة" تعرف باسم نظرية" الوسائل والأهداف"، وحسب هذه النظرية فإن فعالية القيادات تتحدد بدرجة تأثيرها على حفز همم المرؤوسين (الاتباع)، ورفع قدراتهم على أداء العمل بفعالية، وتنمية شعورهم بالرضا والاكتفاء الداخلي عن العمل، وقد أطلق على هذه النظرية "الوسائل والأهداف" لأنها تصب اهتمامها على كيفية تأثير القائد على تصورات اتباعه عن "الهدف" من العمل الجماعي، وعن تطلعاتهم الشخصية، وطرق ووسائل تحقيق كلا الهدفين.

الأسس التاريخية للنظرية:

تمتد جذور نظرية "الوسائل والأهداف" في القيادة، لنظرية أكثر عمومية تبحث في مجال "الدوافع" تعرف باسم نظرية "التوقعات" (Expectations) وبشكل مختصر، فإن هذه النظرية الأخيرة تنص على أن تصورات الأتباع ومواقفهم يمكن استنباطها من:

---

[١] Path–goal Theory of Leadership, HOUSE, R.J and MITCHELL, T.R, Journal of Contemporary Business 1974.P81-94.

أ- درجة اقتناعهم بأن العمل الجماعي الذي يقومون به، سيؤدي إلى نتائج محددة (التوقع).

ب- درجة تقييمهم لهذه النتائج (التقييم).

ولهذا السبب، فإن رضا الناس عن عمل ما، وما يحققه لهم من شعور بالاكتفاء الداخلي، إنما يكمن في قناعتهم بأن هذا العمل سيؤدي بهم إلى الوصول لتحقيق أشياء ذات قيمة عالية في نظرهم.

هذا الأساس العقلي النظري، يمكن من خلاله التنبؤ بعدد من الظواهر المتصلة بموضوع القيادة، فمثلاً: لماذا تتصرف القيادات بشكل ما في موقف ما؟ أو كيف يمكن أن تؤثر القيادة على "حفز همم" (Motivation) الأتباع على العمل؟

وهذا الأمر الأخير، هو محور اهتمام هذه الدراسة الحالية، وهو أن "همم الاتباع إنما تحفز على العمل حسب سلوك القيادة وأثرها في توضيح أهداف العمل وقيمته، ووسائل تحقيق هذه الأهداف".

وقد طور عدد من الباحثين (إيفانز، هارمر، جرين) في هذا الشأن، بعض الافتراضات المحددة بشأن أثر السلوك القيادي على وسائل وأهداف الأتباع. وقد ركز هؤلاء الباحثون على أمرين:

١. كيفية تأثير القائد على توقعات اتباعه في أن "الجهد المبذول سيؤدي إلى أداء فعال، ومن ثم إلى نتائج قيمة، ومقابل مجزٍ".

٢. كيفية تحول هذا التأثير إلى دافع لحفز همم الأتباع لزيادة العمل كماً وكيفاً.

وعلى الرغم من أن تنظير فن القيادة من زاوية الوسائل والأهداف للاتباع، يدرج في مراحله الأولى، فإننا نعتقد أن له مستقبلٍ واعدٍ لسببين:

أولهما: أنها تعالج جوانب من سلوكيات القيادة لم تبحث من قبل، إلا أنها تبدو مثمرة.

وثانيهما: أنها تحدد - بدرجة كافية من الدقة - العوامل المختلفة التي يتوقف عليها سلوك القيادة في المواقف المختلفة.

وقد افترض "إيفانز" في بنائه النظري الأساسي، أن فعالية القيادة تتحدد بقدرتها على إتاحة الفرصة للأتباع للوصول إلى النتائج التي يسعون إليها، مع ربط هذه النتائج التي يرجونها بحسن أدائهم للعمل. وقد أوضح "إيفانز" أن أحد مهام القيادة الاستراتيجية، هو إيضاح الوسيلة للأتباع لإتمام وتحقيق عمل ما للوصول إلى نتائج وأهداف ذات قيمة لهم، كذلك فإن من مهام القيادة أن ترفع من درجة "المقابل المتوقع" لدى الأتباع، بأن تكون داعمة لهم عن طريق الاهتمام براحتهم، وحالتهم الاجتماعية والعامة، ذلك أن الإحساس الناشئ لدى الأتباع بأن القيادة تدعمهم شخصياً، هو في حد ذاته "قيمة" مطلوبة كجزاء على العمل والجهد يمكن للقائد أن يمنحها بنفسه، وتؤدي إلى رفع دافعية الأتباع للعمل ومزيد من الجهد.

كذلك فقد درس "إيفانز" العلاقة بين سلوك القيادة من جهة، ودرجة توقع وتطلع الأتباع لتحقيق أهدافهم، وأوضحت هذه الدراسة أنه كلما أعطت القيادة التوجيهات الكافية لأداء العمل، كلما كانت العلاقة بين سلوك القيادة وبين أداء الأتباع طردية إيجابية.

وكما ربط "إيفانز" بين جودة أداء الأتباع، ودرجة قناعتهم بأن عملهم سيؤدي إلى نتائج محددة قيمة، كذلك ربط بين هذا الأخير وبين سلوك القيادة وأدائها، بأن جعل وظيفة القائد الأساسية هي إيضاح الوسيلة لتحقيق الأهداف بشكل لا يشوبه لبس، وجعل النتائج المرجوة مرتبطة بحسن الأداء كما سبق ذكره.

وانطلاقاً من هذا الخط فقد طور "هاوس وكيسلر" نظرية أكثر تعقيداً من نظرية "إيفانز". وتسعى هذه النظرية لبيان أثر أربعة نماذج من السلوك القيادي على الأبعاد الثلاثة التالية:

٠١ رضاء واكتفاء الأتباع بعملهم الجماعي.

٠٢ قبول الأتباع لقيادتهم، واقتناعهم بها.

٠٣ قناعة الأتباع بأن جهدهم سيؤدي إلى أداء حسن، ومن ثم لتحقيق الهدف المرجو.

هذه النماذج الأربعة القيادية هي:

١- القيادة الموجهة: Directive Leadership

وتعرف بأنها القيادة التي تعرف الأتباع بما هو منتظر منهم، وتعطي التوجيهات المحددة للعمل المطلوب وكيفية أدائه، وتجعل دور الفرد كالتابع معلوماً محدداً في مجموعته. كذلك فإنها تجدول العمل، وتحافظ على مستوى معين من الأداء بالحرص على التزام الأتباع لقواعد وقوانين محددة.

٢- القيادة الداعمة: Supportive Leadership

وتعرف بأنها القيادة المتوددة، القريبة من الأتباع، والتي تظهر الاهتمام بأوضاعهم واحتياجاتهم. وهذه النوعية من القيادة تهتم عادة بالتفصيلات الصغيرة التي تجعل العمل أكثر إمتاعاً، وتعامل الآخرين على أساس من الندية والتكافؤ، وبطريقة ودية دون حواجز.

٣- القيادة المشاركة: Participative Leadership

وهي القيادة التي تستشير أتباعها، وتستمع لاقتراحاتهم، وتضعها موضع الجدية والاهتمام والدراسة قبل اتخاذ قراراتها.

٤- القيادة التي تصب اهتمامها على العمل: Achievement-oriented Leadership

وهي التي تحدد أهدافاً عالية لأتباعها، وتتوقع منهم أن يتصرفوا على أحسن مستوى، وأن يكونوا ساعين دائماً لتحسين أدائهم، كذلك فإنها تظهر الثقة في أن أتباعها سوف يتحملون مسؤولياتهم، ويصبون اهتمامهم على إنجاز الأهداف السامية. هذه النوعية من القيادة تؤكد دائماً على سمو الأداء، والثقة في قدرة الأتباع على تحصيل هذا المستوى.

وقد ذكرت بعض الدراسات أن هذه الأنماط المختلفة من السلوك القيادي قد تظهر في قيادة واحدة تبعاً لاختلاف الموقف، فعلى سبيل المثال، قد يكون القائد "موجهاً" في بعض الحالات، لكنه مشاركاً أو داعماً في حالات أخرى. لذلك فإن الطريقة التقليدية في تعريف القائد بأنه "داعماً" أو "مشاركاً" أو "موجهاً" لم تعد بذات نفع، كذلك فإن القيادة تستطيع أن تتخير من أنماط السلوك القيادي ما يناسب الموقف المطلوب لقيادة الأتباع. والنظرية التي كنا بصددها الآن، وإن كانت تعتبر شرحاً مؤقتاً - وغير نهائي - لتأثير سلوك القائد، فإنها غير متكاملة، ذلك أنها لا تتناول بقية أنماط السلوك القيادي، كما أنها لا توضح أثر هذا السلوك على العوامل الأخرى خلاف رضاء الأتباع، وشعورهم بالاكتفاء.

نظرية الوسيلة والهدف:

الافتراضات العامة:

الفرض الأول: أن سلوك القائد مقبول ومرضي للأتباع، إذا كان الأتباع يرون في هذا السلوك مصدراً لتحقيق اكتفائهم ورضاهم الداخلي حالاً أو مستقبلاً.

الفرض الثاني: أن سلوك القائد يجب أن يكون له تأثير "تحفيزي"، بمعنى أن يحقق زيادة الجهد، حين يرتبط بأمرين:

١- أن يجعل تحقيق احتياجات الأتباع متوقفاً على حسن أدائهم.

٢- أن يساعد هذا السلوك على توفير الظروف الملائمة لتحسين الأداء بواسطة التعاون والتوجيه والدعم والجزاء اللازم لتحقيق كفاءة الأداء.

ومن الأبحاث السابقة على نظرية "التوقع" السابق ذكرها، يمكن استنتاج أن مهام الزعيم الاستراتيجية هي:

١- تحديد وحفز احتياجات الأتباع التي تكون للقائد إمكانية السيطرة عليها وتحقيقها لهم.

٢- التركيز على زيادة الإنتاجية الفردية للاتباع لتحقيق أهداف العمل.

٣- تسهيل وإيضاح وسائل زيادة الإنتاجية بالتدريب والتوجيه.

٤- مساعدة الأتباع في الحصول على آمالهم والإفصاح عنها.

٥- تقليل فرص الشعور بالإحباط.

٦- زيادة فرص الرضاء الشخصي للأتباع عن العمل، بشرط حسن أدائهم.

العوامل الشرطية: Contingency Factors

هناك فئتان من المتغيرات الظرفية (التغير في الموقف والظروف) يمكن اعتبارهما عوامل شرطية.

والعامل الشرطي: هو المتغير الذي يؤثر على العلاقة بين متغيرين آخرين. مثال ذلك: يمكن القول بأن "هيكلية العمل" (كعامل شرطي) تؤثر على درجة الارتباط بين كل من سلوك القائد التوجيهي (كمتغير أول) وإحساس الأتباع بالرضاء نتيجة هذا

السلوك (كمتغير ثان) ففي حالة ارتفاع درجة هيكلية العمل: كلما زادت درجة توجيه القائد لأتباعه، كلما قل إحساسهم بالرضاء عن العمل ونتائجه، والعكس في حالة ضعف هيكلية العمل (أي درجة وضوح المطلوب وتنظيمه) نجد أنه كلما زادت درجة وكمية توجيهات القائد للأتباع، كلما زاد إحساسهم بالرضاء لهذا يمكن القول بأن العلاقة بين درجة توجيه القيادة للأتباع وإحساس الاتباع بالرضاء، متوقفة على (أو مشروطة بـ) هيكلية العمل ودرجة وضوحه.

والعاملان الشرطيان في هذه النظرية هما:

١- الصفات الشخصية للأتباع.

٢- الضغوط البيئية التي يجب أن يتلاءم معها الأتباع حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم، والوصول لإرضاء ذواتهم، وتأمين احتياجاتهم. وبالرغم من أن هناك عوامل ظرفية أخرى تؤثر على تحديد نوعية السلوك القيادي، إلا أنها غير محددة حتى الآن.

الفئة الأولى من العوامل الشرطية (صفات الأتباع): Subordinates Characteristics

تؤكد نظرية الوسيلة والهدف على أن سلوك القيادة يكون مقبولاً لدى الأتباع، ما دام محققاً لرغباتهم وآمالهم حالاً أو مآلاً. وتحدد صفات الأتباع الشخصية هذا ا لمفهوم.

فمثلاً، قد أوضح رينون وميتشل باستخدام مقياس "مركز التحكم" أن درجة الفرد على هذا المقياس تؤثر في العلاقة بين السلوك القيادي المشارك، ودرجة رضاء الفرد التابع. وهذا المقياس يعكس رأي الفرد في مدى استجابة البيئة المحيطة لسلوكه وتصرفاته. فبعض الناس يعتقدون أن ما يحدث لهم -من البيئة المحيطة-إنما هو بسبب سلوكهم هم، والبعض الآخر يعتقد أن ما يعرضون له إنما يكون بسبب الصدفة

العابرة لا أكثر.

فالطائفة الأولى ترحب بالقيادة المشاركة (نظراً لأن أفرادها يرون أن مشاركتهم في صنع القرار ستنعكس على ما يحدث لهم) أكثر من الطائفة الثانية التي تفضل النمط القيادي الموجه.

كذلك فإن درجة قناعة الأتباع، بتكافؤ إمكانياتهم الشخصية مع الأعمال الموكلة لهم، تعتبر من الصفات الشخصية للأتباع التي يمكن أن تعد من قبيل العوامل الشرطية، فإنه كلما كان الأتباع أكثر إحساساً بقدرتهم الشخصية على أداء العمل المطلوب، كلما قل ترحيبهم بالنمط القيادي الموجه أو السلوك التدريبي، حيث أن ذلك يؤدي إلى تقليص دافعية الأفراد على العمل، حيث يرون ذلك نوعاً من الرقابة التي تضيق عليهم الخناق.

الفئة الثانية من العوامل الشرطية (الضغوط البيئية): Environmental Pressures

وتحدد هذه الفئة بمجموعة العوامل التي لا يمكن للأفراد السيطرة عليها، مع أنها لا تزال ذات أهمية بالغة في الوصول بهم إلى درجة الاكتفاء والقدرة على تحسين الأداء. وتؤكد النظرية على أن تأثير السلوك القيادي على الحالة النفسية للأتباع، يتوقف على ظروف بيئية أخرى ذات علاقة بدافعية الأتباع، هذه الظروف البيئية هي:

١- نوعية العمل المنوط بالفرد.

٢ - نظام تسلسل السلطة الرسمي للمنظمة.

٣ - مجموعة العمل الأساسية التي يعمل الفرد من خلالها.

وتقييم هذه العوامل البيئية يمكن من التنبؤ بدرجة ونوعية تأثير السلوك القيادي على مجموعة معينة من الأتباع.

وتؤثر هذه العوامل الثلاثة السالفة الذكر على الأتباع بإحدى الطرق الثلاث التالية:

١- أن تكون "حاثّة" لدافعية الفرد وانكبابه على عمله.

٢- أن تضبط سلوك الأتباع في شكل محدد لصالح العمل وهذه الضوابط تساعد على إبراز آمال الأتباع في أن الجهد سيؤدي للجزاء الحسن، وعلى الحد من تخوفاتهم من حدوث تضارب أو اضطراب.

٣- كذلك فإنها تعتبر كمكافآت على بلوغ درجة الكفاءة المطلوبة للعمل فمثلاً: قد يعتبر الفرد أن الثناء الذي يتلقاه من زملائه في مجموعة العمل التي يتبعها، على حسن أدائه، مكافأة إضافية، بغض النظر عن ثناء القائد نفسه عليه.

من هنا يمكن القول بأن أثر القيادة على دافعية الأتباع للعمل يرتبط بدرجة تأثير البيئة المحيطة كحاثة للدوافع، أو كضوابط للسلوك أو كعامل جزائي إضافي.

وبالنسبة للبيئة، فإن نظرية "الوسيلة والهدف" تؤكد على أنه عندما تكون أهداف العمل ووسائله واضحة-بسبب طبيعة العمل الروتينية، أو نمطية العادات ووسائل التحكم في الأداء - فإن أي محاولة للقيادة في أن تتدخل لإيضاح العمل ووسائله وأهدافه بشكل زائد ستكون غير ذات نفع، لأنها ستعامل من جهة الأتباع على أنها تدخل مباشر دون داع. وعلى الرغم من أن ذلك قد يؤدي إلى تحسن الأداء بعض الشيء إلا أنه سيؤدي كذلك للحد من درجة رضاء واكتفاء الأتباع في أداء عملهم.

كذلك فإن هذه النظرية تنص على أن سلوك القيادة يساعد على حفز همم العاملين ما دام يساعدهم على التلاؤم مع مخاطر ومجاهل البيئة المحيطة التي تأتي من مصادر متعددة لإحباطهم.

ومثل هذا السلوك القيادي الذي يحمي الأتباع من مخاطر ومجاهل البيئة، يؤدي لزيادة دافعيتهم للعمل نحو الهدف، طالما أنه يزيد من قناعتهم بأن حسن الأداء سيؤدي إلى حسن الجزاء.

وهذه الافتراضات، والمواصفات الخاصة بالشروط الظرفية، تقدم هيكلاً مشجعاً يمكن من خلاله بناء وتطوير البحث مستقبلاً للوصول إلى نظرية متكاملة في القيادة.



نموذج اتخاذ القرار

ف. فروم[١]

عرض وتحليل: طارق عبد الحليم

مقدمة:

يعتمد نجاح قيادة ما في أداء مهامها الموكلة إليها على عدة عناصر متداخلة، تتفاعل لتحقق الهدف الذي ينشده القائمون على هذا العمل، من تلك العناصر:

١- كفاءة [٢] القيادة وفعاليتها [٣] في الأداء والمتابعة.

٢- كفاءة الأتباع وفعاليتهم في التلقي والأداء.

٣- درجة الثقة المتبادلة بين الطرفين.

٤- المناسبة (الزمانية والمكانية) للمهام المطلوبة في المواقف المختلفة.

٥- الإمكانيات المتاحة اللازمة لأداء الحد الأدنى على أقل تقدير.

ويندرج تحت كل عنصر من تلك العناصر المذكورة عدد من العوامل الفرعية التي تؤثر على الأداء الناجح الفعال لكل من القيادة من جهة، والمجموعة العاملة من جهة أخرى، فعلى سبيل المثال، تحدد كفاءة الأتباع حسب (المستوى العلمي - درجة التخصص- الصفات الشخصية كدرجة الانضباط.. - درجة التآلف بين المجموعة - الخلفية النفسية والاجتماعية... الخ).

وحديثنا في هذا البحث يخص أحد مركبات العنصر الأول، أعني "كفاءة

---

[1] VROOM,H.V. (A NEW LOOK AT MANAGERIAL DEClSlON MAKING) Organizational Dynamics, 1973, VOL 2,P 66-80.
VROOM,V&JAGO,A(On the Validity of the Vroom and Yetton Model) Journal of Applied Psychology, 1978, vol. 63, P 151-162.

[2] Competence.

[3] Effectiveness.

القيادة" وبالتحديد عملية " اتخاذ القرار" ومدى الحاجة إلى المشاركة فيه بين القيادة والأتباع في المواقف المختلفة من خلال نموذج "اتخاذ القرار" الذي قدمه للمرة الأولى العالم الأمريكي فيكتور فروم في مجال علم المنظمات والإدارة في ربيع عام ١٩٧٣، ثم طورها بعد ذلك بمعاونة آرثر ييتون.

والنموذج يصلح للتطبيق في مستويات الإدارة كافة بواسطة المسؤول سواء كان القائد مع بقية أفراد مجلس الإدارة مثلاً، أو كان قائداً تنفيذياً مع أفراد مجموعته العاملة.

النظرية:

تقوم تلك النظرية على فرضية أن "مدى الحاجة إلى المشاركة بين القيادة والأتباع في اتخاذ قرار ما تحدد حسب الموقف ومتغيراته المختلفة، والتي تملى بالتالي نمطاً قيادياً محدداً يؤدي إلى أفضل النتائج ويعتمد النموذج المقدم على ثلاث قواعد يتم خلالها اختيار ذلك النمط به وهي:

أولاً: الأسس التي يتم عليها تحديد متغيرات الموقف.

ثانياً: الأنماط القيادية المختلفة.

ثالثاً: متغيرات الموقف.

وعلى أساس التفاعل بين تلك العوامل الثلاثة يمكن للقيادة تحديد النمط المطلوب في هذا الموقف المحدد ، وسنتناول باختصار ذكر تلك القواعد.

أولاً: أسس اختيار وتعيين متغيرات الموقف:

- نوعية المشكلة المراد البت فيها (كمية أم كيفية؟).
- درجة اطلاع القائد وفهمه للمشكلة القائمة نظرياً وعملياً.
- درجة اطلاع الأتباع وفهمهم للمشكلة القائمة.

- درجة إمكانية الحصول على معلومات من خارج المجموعة (بشأن المشكلة).
- تقبل الأفراد لقرارات القيادة وطاعتهم لها.
- درجة الإحساس بالولاء والانتماء للشركة أو المجموعة.
- درجة التعايش والتآلف بين الأتباع.

وتهدف هذه الأسس بجملتها إلى المحافظة على عدة مبادئ منها : (مبدأ التآلف) ، (مبدأ التخصص) ، (مبدأ الحرص على الكيف) ، وعلى أساسها يتم اختيار عدد من الأسئلة التي تمثل متغيرات الموقف الراهن.

ثانياً: أنماط القيادة:

تتحدد الأنماط القيادية بثلاثة أنماط (١،٢،٣)، يندرج تحتها خمسة أشكال من التصرفات القيادية المختلفة (أ ، ب ، ج ، د ، هـ).

١- قيادة موجهة متحكمة (Autocratic):

أ. تتخذ القرار بنفسك وحسب معلوماتك الخاصة..

ب. تتخذ القرار بنفسك بعد جمع المعلومات اللازمة من أتباعك.

٢- قيادة مشاورة (Consultative):

ج. تشاور أتباعك بطريقة فردية لمعرفة رأيهم ومعلوماتهم ثم تصدر قرارك بنفسك.

د. تشاور أتباعك بشكل جماعي لاتخاذ القرار بنفسك بعد المشاورة.

٣- قيادة مشاركة (Participation):

- تصدر القرار بشكل جماعي بعد المشاورة وأخذ الأصوات.

ثالثاً - متغيرات الموقف:

وفي عشرة أسئلة بنيت على الأسس التي قدمناها في القاعدة الأولى:

١. في حالة تقبُّل الأفراد للقرار الفردي، هل تتأثر النتائج ذاتها بطريقة اتخاذ القرار؟

٢. هل لدى القائد العلم الكافي لاتخاذ قرار كفء؟

٣. هل تتوفر لدى الأتباع معلومات (زائدة على معلومات القيادة) تؤدي إلى تحسين الأداء؟

٤. هل يعرف القائد نوعية المعلومات المطلوبة، وممن يحصل عليها، وكيفية جمعها؟

٥. هل من الضروري أن تتوفر معلومات إضافية لصالح القرار داخل حيز المجموعة ككل؟

٦. هل من الممكن جمع معلومات إضافية من مصادر خارجية قبل اتخاذ القرار؟

٧. هل تقبُّل القرار من الأتباع مهم وحاسم لضمان حسن التطبيق؟

٨. إذا كان من المحتم اتخاذ القرار بطريقة فردية (بنفسك) هل أنت متأكد من تقبل الأتباع له؟

٩. هل يمكن الوثوق بقدرة الأتباع على اتخاذ قرارات مهمة تتلاءم وأهداف العمل بشكل عام؟

١٠. هل من المحتمل حدوث خلافات بين الأتباع على نوعية الحل؟

الطريقة:

يمكن اختيار النمط الأمثل للتصرف القيادي (وبالتالي تحديد الأنماط الممكنة

في حالة القرارات طويلة المدى) في موقف ما بأن يقوم القائد المسؤول بالإجابة عن الأسئلة السابقة بادئاً بالسؤال الأول... وحسب الإجابة بنعم أو لا ينتقل إلى السؤال التالي حتى يصل - عن طريق الشكل المرفق على هيئة شجرة - ليحدد في النهاية النمط المناسب لاتخاذ القرار.

فمثلاً: في حالة تقبل الأفراد للقرار.

- ولكن النتائج ذاتها تتأثر بطريقة اتخاذ القرار (الفردية أو الجماعية) السؤال رقم (١) - "نعم" ينتقل المسؤول إلى السؤال رقم (٢).

- أما إذا كانت النتائج لا تتأثر بطريقة اتخاذ القرار السؤال - "لا" ينتقل المسؤول إلى السؤال رقم (٧) مباشرة.

وعند الانتقال إلى السؤال رقم (٧):

- هل تقبل الأفراد للقرار ورضاهم به مهم وحاسم لضمان حسن التطبيق؟

- فإن كانت الإجابة بنعم... ينتقل المسؤول إلى السؤال رقم (٨).

- واذا كانت الاجابة لا ، يكون النمط المناسب هو "اتخذ القرار بنفسك وبمعلوماتك" في حالة القرار ذي التأثير قصير المدى... أو الأنماط ب ، ج ، د ، هـ على التوالي إذا كان القرار ذا تأثير طويل المدى وهكذا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرارات ذات التأثير المحدد (قصير المدى) تحدد بالنمط المذكور أولاً في النموذج... ولكن حسب درجة نضوج الأتباع ومع مرور الزمن فإنه من المناسب العدول إلى الأنماط المجاورة على التوالي (بين القوسين) خاصة فيما يخص القرارات ذات التأثير المستمر (طويل المدى).

مثال:

وحتى يسهل الأمر على القارئ، نعتبر مثالاً يعرض طريقة استخدام النموذج للوصول إلى السلوك القيادي الأمثل.

١- لنفترض أن مديراً لإحدى الإدارات بشركة ما، يعمل تحت إمرته عشرة من العاملين من ذوي الخبرة المناسبة.

٢- يتمتع العاملون العشرة بثقة المدير بكفاءتهم وحسمن أدائهم للعمل بشكل متكافئ.

٣- أرسلت الادارة العامة للشركة تطلب ترشيح ثلاثة أفراد من تلك الإدارة لأداء مهمة بالخارج لفترة من الزمان.

٤- يعتبر العاملون ذلك السفر أمراً غير مرغوب فيه، كما يعلم المدير ذلك حيث يحتاج السفر لتغييرات جذرية في أوضاع الحياة الخاصة للمرشح.

أ. أيتخذ القرار بمفرده ويحدد من يقوم بالمهمة؟

ب. أم يشاور العاملين معه فيمن يود الذهاب؟

ج. أم يجمع العاملين ويتركهم يقلبون الأمر على وجوهه فيما بينهم لتحديد الأسماء المرشحة؟

وللوصول إلى القرار المناسب، نرجع إلى الشكل المرفق لشجرة القرار، والأسئلة العشرة.

- السؤال الأول: هل تتوقف النتائج (أداء العمل بالخارج) على طريقة اتخاذ القرار؟.

والجواب: لا، حيث إن العاملين العشرة متساوون في الكفاءة، والخبرة، ويتمتعون بثقة الإدارة بقدرتهم على حسن الأداء.

- انتقل إلى السؤال رقم (٧).

- السؤال السابع: هل تقبل العاملين المرشحين للقرار مهم وحاسم في حسن التطبيق للعمل والقرار؟.

والجواب: نعم، حيث إن العامل حين يؤدي أمراً لا يرغب فيه - حتى مع كفاءته وقدرته وخبرته - لا يكون على المستوى المطلوب من العمل.

- انتقل إلى السؤال رقم (٨).

- السؤال الثامن: في حالة اتخاذ القرار بشكل فردي، هل الإدارة متأكدة من تقبل العاملين لذلك القرار دون معارضة؟

والجواب: لا، حيث إن القرار بالسفر سيكون له أثر في الحياة الشخصية للمرشح، والاحتمال الأكبر أن يلقى الترشيح معارضة، ما لم تكن الموافقة مسبقة عليه.

وبناءً على ذلك التحليل نصل إلى النمط (هـ) والذي يعني: "أن يعقد المدير اجتماعاً حيث يعرض المسألة على العاملين معه، ويطرح الترشيح للمناقشة حتى يصل إلى اتفاق على الأسماء الثلاثة.

التعليق:

تعتبر هذه المحاولة التي قدمها "فروم" لبناء القرار على طريقة أكثر عقلية وتحديداً ودقة من باب النماذج (Model) التي يمكن احتذاؤها.

ولا يزعم المؤلف - كما لا نزعم نحن - أنها أنضج ما يمكن تقديمه في هذا المجال، بل ولا أنها تغطي المواقف والاحتمالات كافة التي يمكن أن تواجهها قيادة ما.

ولكن الجديد الذي تقدمه النظرية هو تلك الوسيلة العملية التي يمكن بواسطتها أن يضع المسؤول المتغيرات كافة التي يواجهها على الورق ليكون اختياره أكثر تحديداً ودقة ، دون أن يهمل عاملاً ما ، أو أن يبني قراره على مجرد النتائج التي يهتدي إليها بعقله بعد تقليب الأمر بينه وبين نفسه مما قد لا يستغرق منه سوى لحظات قليلة ، فتارة يشاور من معه ، في حين أن المشاورة قد لا تكون في صالح القرار أو الجماعة ككل ، وتارات يتخطى الجميع ليتخذ قراره بنفسه ، في حين هو أقل علماً بالمشكلة من بعض أتباعه الذين تتوفر لديهم المعلومات الكافية والتخصص الدقيق.

ومما لا يخفى أنه ليس من المعقول المشاورة في كل أمر صغير أو كبير ، كما أنه ليس من المشروع الاستقلال بالرأي والاستبداد بالقرار على طول الطريق ، ولنا في رسول الله -ﷺ- أسوة حسنة في ذلك الأمر وحدوده حين أخذ بمشورة سعد بن

معاذ في بناء العريش في غزوة بدر من حيث هو أهل أعلم وثقة بهذه الأمور ، كما استشار -ﷺ- الصحابة والأنصار على وجه التحديد قبل الإقدام على الحرب في بدر ، حيث إن موافقتهم كان لها وزن خاص في النتائج المرتقبة ، بينما قرر -ﷺ- بنفسه في حادثة نعيم بن مسعود وإرساله ليخذل عن المسلمين إبان غزوة الخندق.

وما يعنينا في هذا الموضع أن نشير إلى أن الأسس التي يقوم عليها تحديد متغيرات الموقف - والتي قدمناها في القاعدة الأولى - ومتغيرات الموقف نفسها (والتي قدمناها في الأسئلة العشرة السابقة) تخضع للتغيير والتبديل حسب نوعية العمل وحسب البيئة التي يراد تطبيق النموذج عليها، بحيث تشمل في كل حالة ما يناسبها، وما يغطي احتياجات القيادة، وقدرات الأتباع والمواقف المختلفة المحتملة.

ولا يفوتنا أن نوجه نقداً حاسماً لذلك النموذج من حيث إهماله - بشكل يكاد يكون تاماً - الحالة النفسية والدوافع الداخلية التي قد يصدر عنها القائد والأتباع على حد سواء في اتخاذ القرارات. وهو - وان وضع بين الأسس التي يحدد عن طريقها متغيرات الموقف مبدأ "التآلف والتجانس" بين القيادة والأتباع من جهة ، وبين الأتباع بعضهم البعض من جهة أخرى ، إلا أن ذلك لا يعفي من ضرورة اعتبار الدوافع الذاتية الشخصية التي توجه الأفراد حين اتخاذ قرار ما ، والذي قد يتخلى في أثره الجانب العقلي الميكانيكي الذي عالجه المؤلف في نظريته ، بل ويكاد يتحكم لحد كبير في عملية اتخاذ القرارات داخل المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية.

فمثلاً: قد تقرر قيادة ما الاستغناء عن خدمات أحد أفرادها، نظراً لعداء شخصي أو حالة نفسية محددة دون الدخول في تفاصيل الأسباب والدوافع ولكن قد يقرر فرد ما الاستقالة من عمله والانفصال عنه لدوافع خاصة قد لا يصرح بها في غالب الأحوال. وهو الوضع الذي لم يعالجه "فروم" في نموذجه ولم يحسب له حساباً في أسسه وقواعده وأسئلته على الرغم من أهميته القصوى والحاسمة.





الجزء الثامن

من كتب الغرب



قيام وسقوط القوى العظمى

بول كنيدي [١]

عرض وتعليق: طارق عبد الحليم

حين تعيش أمة من الأمم حاضرها وتبني مستقبلها، وهي ذاهلة عن ماضيها، معرضة عن تراثها بكل ما تحمله الكلمة من معان، فإنها تكون كالنبتة التي اجتثت من فوق الأرض، وانقطعت عن أصولها، ففقدت أصالتها وهويتها التي تعينها على البقاء، لذلك لن تلبث إلا أن تموت.

وحين تغفل أمة عن حاضرها ومستقبلها، وتكتفي بأن تعيش على ذكريات ماضيها السالف، تجتر أحداثه وتردد ما كان لها به من مجد مؤثل دون أن تستلهمه العبرة لحاضرها ومستقبلها، ليكون بناؤها مؤسساً على قواعد رأسية، فإنها تكون كمن يخدع بالسراب حتى يموت ظمأ.

والأمة القوية - أمة الوسط - تصل ماضيها بحاضرها، وتمهد بهما معاً طريق المستقبل، من هنا تبرز أهمية علم "التاريخ" الذي يعرض أحداث الماضي كما كانت، ثم علم "فلسفة التاريخ" الذي يحاول استجلاء السنن الاجتماعية الكامنة وراء تلك الأحداث، كما يحاول علم الفيزياء أن يستنبط السنن الطبيعية التي سنها الله -سبحانه- لعالم المادة .. ومن هنا كذلك، تظهر أهمية التعرف على ما يستجد من محاولات في هذا الباب.

من هذا المنطق، وحرصاً على اطلاع القارئ على ما يستجد من مساهمات بارزة في هذا المجال، فإننا نقدم - في هذا المقال - كتاباً احتفلت به الدوائر العلمية والثقافية في العالم أجمع، بل وأشار الكثير منها إلى أنه يعد من أهم الأعمال المتعلقة بالتاريخ السياسي والاقتصادي العالمي في هذا القرن.

---

[1] THE RISE AND FALL OF THE GREAT POWERS. Economic change and Military conflict from 1500 - 2000, PAUL KENNED,
والمؤلف بول كندي أستاذ التاريخ بجامعة (ييل) وقد نشرته مؤسسة (هاميان) باللغة الإنجليزية عام 1988م.

والكتّاب بالفعل جدير بأن يطلع عليه المسلمون للتعرف على ما يقدمه الغربيون من تفسير للتاريخ الاقتصادي السياسي وما يتوقعونه، بناء على ذلك التحليل لصورة العالم في العقود القادمة.

أولاً: العرض:

ينقسم الكتّاب الذي يقع في ٦٩٨ صفحة من القطع المتوسط، إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: الاقتصاد والاستراتيجية في عالم ما قبل التصنيع، وفي فترة التصنيع، واليوم وغداً، هذه الأقسام الثلاثة مقسمة بدورها إلى ثمانية فصول، سنقوم بعرض محتوياتها في السطور التالية.

في البداية يقرر الكاتب بإيجاز أن القوى النسبية بين الأمم الدائرة في العالم لا تظل ثابتة، وذلك لاختلاف معدل النمو بين تلك الأمم، إلى جانب الطفرات التكنولوجية التي تميز مجتمعاً عن الآخر، ثم يبسط المؤلف نظريته عن ظاهرة بروز قوة دولية جديدة على المسرح العالمي، واندفاعها لتقهر من حولها ولتحتل مكاناً بارزاً بين بقية القوى العظمى بأنها ترجع إلى ذلك التوازن الدقيق بين القوة "العسكرية" لتلك الأمة وبين قوتها "الاقتصادية". وبشكل أكثر تفصيلاً فإن الانفاق القومي على القوة العسكرية التي تحفظ كيان مجتمع ما يجب أن يتوازن مع ما تنفقه تلك الأمة في سبيل تنمية مواردها الاقتصادية وتقدمها العلمي التكنولوجي ، والخلل في تلك النسبة - لصالح أي الطرفين - هو السبب الرئيسي في انحدار تلك الأمة وأفول نجمها، إذ لو طف ميزان القوة العسكرية لصالح التقدم العلمي والاقتصادي لصارت الأمة نهباً للطامعين ومرتعاً للغازين المترصدين لها من كل جانب، ولو تغلبت آلة الحرب العسكرية على المؤسسات الاقتصادية والعلمية ، وابتلعت قوة الأمة لصالحها، فإنها لن تلبث وسائلها وأجهزتها العسكرية أن تغدو قديمة أمام ما يستحدث من وسائل متطورة في حوزة الأمم الأخرى ، مما يجعلها تقهر عاجلاً أو آجلاً.

هو إذن ميزان دقيق يتراوح بين القوة العسكرية ودرجة التسلح من ناحية، وبين القوة الاقتصادية التي تحفظ على الأمة مواردها وتقدمها من ناحية أخرى، وكلاهما

مكمل للآخر، وكما يقرر المؤلف "آسفاً" فإن القوة لازمة لضمان التقدم والرفاهية، كما أن التقدم المادي ضروري لحيازة القوة وضمان سيطرتها.

ويرسم الكاتب في الفصل الأول صورة متكاملة للمسرح العالمي حوالي عام ١٥٠٠ ميلادية، حيث تركزت القوى العظمى في خمسة مراكز: امبراطورية مينج الصينية، الامبراطورية العثمانية وتوسعاتها في الهند، امبراطورية مسكوفي في شمال آسيا، ودولة تاكوجلوا باليابان .. إلى جانب تلك المجموعة من الدويلات المستقلة المتناحرة في غرب أوروبا، تلك المجموعة التي لم يكن هناك في ذلك الوقت ما يدل أي دلالة على أنها ستحتل المركز القيادي الذي تحتله في عالم هذا القرن، ولعل أهم ما ميزها عمن حولها من قوى عظمى هو أن تلك القوى كانت تعاني من عيوب السلطة المركزية التي بنيت -كما يرى المؤلف - على أسس فكرية عملية، نمطية لا تسمح بإبداع أو تغيير ليس فقط في مجال الدين أو المعتقدات بل حتى في المجالات التجارية والعسكرية.

ويرجع الكاتب السبب في تطور أمم أوربا الغربية إلى ذلك التحرر السياسي من وطأة أية سلطة مركزية عليا ، مما جعلها تنمو وتندفع في طريق التقدم دون عوائق ، كذلك بسبب تلك المخاوف التي كانت تسودها من جيرانها، فإنها قد حققت تطوراً في مجال التسلح بشكل متصاعد ، جعلها تسيطر أخيراً على العالم المتحضر.

وقد قاومت أوربا بالفعل محاولتي السيطرة اللتين هددتا الاستقلالية الأوربية من قبل الإسبان وعائلة هابسبورج النمساوية خلال فترة المائة والخمسين عاماً التالية للقرن السادس عشر، وكادتا أن توقفا عملية التقدم التي كانت قد بدأت تشق طريقها بالفعل ، كما أوضح الكاتب في فصله الثاني .

أما الفصل الثالث فقد عالج الفترة بين ١٦٦٠ ــ ١٨١٥ م، حيث أخذت بعض القوى العظمى في الانحدار، مثل إسبانيا وهولندا، وظهرت قوى أخرى هي: انجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا، تلك القوى التي حكمت حركة العالم خلال القرن الثامن عشر. وقد عزا المؤلف ذلك لحسن إدراك تلك القوى لما يحتاجه عصرها من سيطرة بحرية، وحيازتها لأساطيل هائلة تجوب البحار بحثاً عن الموارد الاقتصادية الجديدة.

وقد أشار الكاتب في الفصل الرابع إلى ذلك التوتر النسبي الذي ساد العالم - خاصة الولايات المتحدة وروسيا في محاولة توحيد الكتلة الجغرافية السياسية لكل من الدولتين - خلال القرن التاسع عشر، وما مهد لإنجلترا أن تحتل موقع الريادة في الاستفادة من الثورة الصناعية ومنجزات عصر البخار للدرجة القصوى سواء على الصعيد الاقتصادي أو العسكري، وفي هذه الفترة ذاتها تخلفت دول كإيطاليا وفرنسا عن مركز الريادة لتحتله قوى أخرى قد تكون هي الوحيدة التي أهلت في هذه الفترة لتشق طريقها في سبيل إحراز القوة والسيطرة ؛ وهي ألمانيا إلى جانب الولايات المتحدة وروسيا واليابان خارج نطاق أوربا الغربية.

وقد تميز النصف الأول من القرن العشرين بأنه كرس "عالم القطبين" الشرقي والغربي، بعد ظهور القوة الأمريكية الهائلة على مسرح السياسة الدولية، وكذلك دولة روسيا تحت النظام البلشفي. أما ألمانيا فقد أجبرت القوى الكبرى أن تقف في وجهها لتمنعها من تحقيق سيطرة امبراطورية مركزية لم يعد أوانها في عالم القرن العشرين كذلك تميزت تلك الفترة بما أسماه الكاتب "أزمة القوى الوسطى" وهي الدول التي لم تبلغ مدى القوى العظمى في الاقتصاد والقوة، ولم تنحدر إلى حد التخلف والتبعية كما هو حال "الدول النامية".. وهو موضوع الفصلين الخامس والسادس.

ويلقي الكتاب في فصليه الأخيرين الأضواء على عالم السبعينيات والثمانينيات، محاولاً التنبؤ بناء على الرؤية التاريخية والمعطيات الحاضرة، بما عساه يكون صورة للقوى العظمى الآخذة في الظهور والأخرى الآخذة في الانحدار والأفول.

ويقرر المؤلف أن مركز الثقل العالمي يتحرك باتجاه دول منطقة الباسفيك - شرقية وغربية - كاليابان في المقدمة، وهونج كونج وسنغافورة والصين ، وكذلك الولايات الشرقية الباسيفيكية لأمريكا وكندا، وهو يؤيد ذلك بإحصائيات عديدة تؤكد أن معدل النمو الاقتصادي لتلك الدول يتجاوز معدلات نمو بقية الدول حتى العظمى منها بدرجة كبيرة، ويعلل الكاتب ذلك حسب نظريته في التوازن الاقتصادي العسكري بعدم إنفاق تلك الدول على ميزانيات دفاعها ما يخل بذلك التوازن .

ثانياً: التعليق:

وقد قصدنا - بعدما قدمناه من عرض سريع لمادة الكتاب وموضوعه -إلى تقديم بعض الملاحظات، وابراز بعض النقاط التي تعين القارئ على استكمال الفائدة منه، كما تعين قارئ المقال على إعمال الفكر فيما أثرناه، من خلال عرضنا للموضوع وتعليقنا عليه.

وأول ما نثبته من الملاحظات هو أن الكتاب يعتبر تحليلاً للتاريخ الاقتصادي السياسي، وليس معالجة لظهور الحضارات وانهيارها كما عالجها المؤرخون أمثال توينبي في دراسته للتاريخ، وهو أمر لم يدعه الكاتب لمؤلفه كما يظهر من عنوانه الجانبي، والفارق بين النظريتين فارق كبير إذ كافةَ ما عالجه الكاتب من قوى إنما ينتمي إلى حضارة واحدة، الحضارة الغربية بوجهيها الشيوعي والرأسمالي اللذين يشتركان في أصل النظرة المادية العلمانية.

أي إن الكتاب قد تركز حول القوى الغربية - أعني الدائرة في حيز الحضارة الغربية الحديثة - بصفتها الغالبة في عالم اليوم، ولم يلق بالاً لتحليل ما قد ينشأ من قوى خارج محيط الغرب وفي بقاع أخرى من العالم.

والكتاب قد بنيت فكرته الرئيسية على أن التاريخ إنما يصاغ بتأثير القوى العسكرية الاقتصادية، وأغفل تلك الايديولوجيات التي تصنع تلك القوى وتدفعها للظهور بادئ ذي بدء .. فهو يصور العالم على أنه ساحة صراع اقتصادي مغلف بالصراع المسلح، ليس إلا.. هذه الصورة وإن كانت تبدو صحيحة للنظرة العجلى إلا أنها تتجاوز بعداً أساسياً، بل البعد الأساسي في صناعة أحداث التاريخ .. الفكر والايديولوجية، خاصة في عالم "القطبين" اللذين ظهرا أساساً نتيجة لأيديولوجيات فكرية معينة لا تزال آثارها تحرك العالم وتشكل قالبه الحاضر. وإن التقارب الشرقي الغربي الذي يلاحظه المراقب لمجريات السياسة العالمية اليوم لا يجب أن يبرر بأنه تنازل عن عالم المبادئ والايديولوجيات الفكرية ليحل محله عالم المال، بل إنه أقرب لأن يكون أيديولوجية جديدة يتحرك بها القطبان الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي كل لصالحه، ثم لا ننسى أن كلا الكتلتين إنما ينتميان لقالب حضاري مادي واحد فما المانع إذن أن يتقاربا حين تدعو الحاجة لذلك، بل وتلح عليه إلحاحاً!

كذلك فإن الكاتب قد سوغ سبب نهضة دول أوربا الغربية، وتفوقها على كافة معاصرها من الامبراطوريات المنهارة، بأنه يعود إلى تلك السلطة المركزية العليا التي كانت سمة مشتركة لتلك الامبراطوريات، والتي لم تقصر سيطرتها على النواحي الدينية أو الأخلاقية، بل قد تدخلت حتى في الجوانب الاقتصادية والعسكرية لتحافظ على نمطيها .. وتلك كان غلطتها القاتلة.

والحق أن ذلك التعليل، وإن كان يحمل حقاً لاشك فيه، إلا أنه لا يجب أن يحمل على إطلاقه، فنحن نرى أن أوربا الغربية نفسها تتحرك اليوم نحو إيجاد سلطة مركزية بدرجة ما تتمثل في السوق الأوربية المشتركة، توحيد العملة الأوربية وغير ذلك من المظاهر، بل إن القوة العظمى في عالم اليوم، الولايات المتحدة الأمريكية، قد نشأت من اتحاد فيدرالي بين ولاياتها التي تتجاوز الخمسين ولاية، تخضع كلها لسلطة مركزية عليا واحدة، والأمر كما نراه ليس أمر مبدأ السلطة المركزية في حد ذاتها، بل هو في خطأ التطبيق، الذي يؤدي بأية سلطة مركزية، حين تفقد القدرة على الرؤية الصحيحة ومتابعة ما يجري حولها بوعي ويقظة، وحين تقل ثقتها في اتباعها ومنفذيها، مما يؤدي إلى وأد القوى المبدعة والقدرات البناءة في مهدها، وإهدار فرص التقدم وإمكانيات التطور لدى الأمم والمجتمعات.




"الحرب العظمى من أجل الحضارة" -

"السيطرة على الشرق الأوسط"




صدر منذ أيام قليلة، في الأسبوع الثاني من الشهر الحالي كتاب لمحرر وكاتب ومراسل صحفي بريطاني عرفته أوساط الصحافة العالمية أميناً في نقله موثّقاً في مصادره، عادلا في حكمه، دقيقاً في تحليله، عرف بفهمه الدقيق لمشكلات الشرق الأوسط خاصة، ولخريطة السياسة العالمية ودوافعها الخفية عامة. الكاتب روبرت فيسك، والكتاب "الحرب العظمى من أجل الحضارة: السيطرة على الشرق الأوسط"، ويقع في ١١٠٧ صفحة من القطع الكبير. وقد عرف عن فيسك تعاطفه الشديد مع المسلمين وفهمه مشكلاتهم، بالقدر الذي يسمح لكاتب غربي مسيحي أن يتفهم مشاكل المسلمين ويعيش مشكلاتهم، وما يتعرضون له من مؤامرات بدأت منذ بداية سقوط الإمبراطورية العثمانية مروراً بغزوة الفرنسيين للشرق، ثم السيطرة الأنجلوسكسونية وما تبعها من الصراع الأمريكي الأنجلوسكسوني لاستبدال المعتدي المستعمر وأخيرا الحرب الأمريكية المعلنة على الإسلام والمسلمين من أجل السيطرة على البترول والقضاء على الإسلام.

وسأكتفي في هذا المقال القصير بترجمة ما جاء في تقديم الناشر للكتاب، تعريفا مجملا بما فيه، إذ سآخذ في تلخيص الكتاب تلخيصا وافيا إن شاء الله تعالى، لأقدمه إلى قراء العربية كما قدمت من قبل أعمال العديد من كتاب الغرب تمهيدا لهذا الفكر أن يتضح لأهلينا بما فيه من سلب وإيجاب، وإنصاف وانحراف.

إبان سنيه الثلاثين التي قضاها الكاتب المحرر روبرت فيسك، مراسل الإندبندنت، في تحريره عن الشرق الأوسط، غطى فيها غالب أحداثها الرئيسة، من الحرب الأهلية الجزائرية، إلى الثورة الإيرانية (الشيعية)، إلى حادث الرهائن الأمريكيين في بيروت، وحرب العراق-إيران، وغزو روسيا لأفغانستان، وإسرائيل للبنان، إلى الحرب الحالية الدائرة في العراق.

وبعاطفة جياشة نحو هذه المنطقة من العالم، وبسعي حثيث للوصول إلى الحقيقة، تمكن روبرت فيسك من أن يتعرف على الشرق الأوسط ويتغلغل في حياة أهليه ما لم يتمكن منه غيره من الصحفيين. وكانت نتيجة ذلك تقارير أقل ما توصف به أنها مبهرة. إن شهادته العينية التي لا ترقى إليها الغفلة على فظائع هذه الحروب تجعله بلا جدال في مصاف أكابر محرري الحرب العالمية الثانية. إن وصفه لحياة هؤلاء الذين رمت بهم الأقدار في خضم العشوائية الحربية، وتلك الحروب ذاتها، لتجتمع فيها

البشاعة والرقة في آن واحد!

وهذا الكتاب يتميز بتسليط الأضواء على الأحداث بوضوح ومباشرة. فهو يعود بالبحث إلى تاريخ طويل من الغزو والاحتلال والاستعمار في هذه المنطقة. وقد اتضح من سياق المعلومات التي جاء بها الكاتب كيف أن تاريخ طويل من الظلم قد حطّ على الشرق الأوسط حرباً لا تخمد. وقد أوضح الدور الذي لعبه الغرب في تمهيد هذه الحياة التي تبدو لا نهاية لحروبها وأنموذج حياتها اللاهث، كما تتبع نمو الدور الغربي وسيطرته ونفوذه، وكذلك مساندته لأسوأ النظم السياسية الدكتاتورية الخربة في الشرق الأوسط خلال القرن الماضي من الزمن. كما أوضح الكاتب التزايد المضطرد لنفوذ الولايات المتحدة وتواجدها العسكري في المنطقة مما أدى إلى نمو العداء للغرب ولأمريكا على وجه الخصوص بين الشعوب المسلمة في هذه المنطقة.. .

وأخيراً، فإن هذا الكتاب يمثل دور الصحافي في الحرب، مقدماً الحقائق غضّة صحيحة، مراقباً لمراكز القوة وصنع القرار ومتحدياً لها - خاصة حين يكون السياسيون هم الذين قد ساقوا شعوبهم للحرب، ومقاوماً ذلك التعصب والحزبية المتزايدة في أوساط الإعلاميين حين يحين وقت الحقيقة..."

هذه كلمات الناشر، وهي تكفي لتعريف قرائنا بهذا العمل، إلى أن نقدّمه مفصّلا إن شاء المولى عز وجلّ.




الغطرسة الإمبريالية:

لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب[١]

[1] "Imperial Hubris, Why the West is Losing the War Against Terror?", By Anonymous August 2004.

تقديم وتحليل

صدر في الآونة الأخيرة، منذ حادث الحادي عشر من سبتمبر، عدد من الكتب التي تناولت العلاقات الغربية الإسلامية بشكل عام، والحرب الأمريكية المستترة على الإسلام، تحت اسم الإرهاب، بشكل خاص منها على سبيل المثال لا الحصر[1] "ضد كل الأعداء" [2] لخبير الأمن القومي ريتشارد كلارك وهو الكتاب الذي اكتسب شهرة واسعة لعلاقة مؤلفه الوطيدة بنظام بوش ومعرفته بما يرتكبه من جرائم في حق شعبه وحق العالم أجمع.

إلا أن الكتاب الذي نقدمه إلى قراء العربية اليوم هو كتاب فريد في بابه، إذ إن الكتب الأخرى تنتقد سياسة بوش من حيث فشله في حماية الشعب الأمريكي، وكذبه المفضوح على شعبه في مبررات الحرب وعدم وضوح أي استراتيجية محددة لإدارته في مواجهة الأوضاع القائمة في العالم اليوم. وهذا الكتاب يتعدى ذلك، ولأول مرة، إلى تقديم تحليل حقيقي أمين واضح الرؤية لأسباب الأزمة بين المسلمين والإدارة الأمريكية بزعامة بوش الصغير. والكاتب، حتى لا ننساق بما يقرر من أمور صحيحة وإن كان منصفا في تحليله إلا أنه ناصح لقومه في هذا الأمر بما يجب أن تكون عليه السياسة الغربية لمواجهة "العدو". ولكن لنا أن نقول إنصافا "عدو عاقل خير من صديق جاهل" فما بالك بعدو جاهل كالإدارة الأمريكية الحالية!

والكتاب يقع في ٢٦٣ صفحة من القطع المتوسط، وينقسم إلى مقدمة وثمانية فصول. هذه الفصول هي:

١. بعض أفكار عن "قوى الكراهية المركزة والمؤصلة".

٢. الانغماس الجاهل وغير المعدّ له إلى الهزيمة - أمريكا في أفغانستان.

٣. لا اندحار ولا تراجع – القاعدة: مقاومتها، اتساعها وانطلاقها.

٤. كيف يرى العالم بن لادن: قائد إسلامي وبطل يلمع نجمه؟

---

[1] "American Dynasty" by Kevin Phillips, "The Bush Betrayal" by James Bovard, "Cruel and Unusual" by Mark Crispin Miller, "The Lies of GW Bush" by David Corn.

[2] "Against All Enemies", by Richard Clarke.

٥. آراء بن لادن في العالم: قديمة وجديدة مع بعض التحوير.

٦. الغطرسة المفرطة: الحاق الهزيمة بأنفسنا – اللاحرب، تسريب المعلومات والديموقراطية المصدرة.

٧. حين يعد العدو مسرح العمليات: كيف يعين غباء أمريكا العنيد أعداءها.

٨. طريق المستقبل: بعض أراء ومقترحات للمناقشة.

وقد حاز الكتاب على شهرة واسعة في الغرب وتحدثت عنه وسائل الإعلام الغربية بكثافة لما أحاط بشخصية مؤلفه من غموض ولما يحتوي على آراء جريئة لم تعرض على المواطن الأمريكي من قبل. أما عن شخصية الكاتب، فقد وضع على الكتاب اسم "كاتب مستتر الهوية". كما أن أجهزة الإعلام حين استضافته للحديث عن الكتاب فبيل إخراجه كانت تغطى وجهه كيف لا يظهر على الشاشة. إلا أنه أصبح من المعلوم أن هذا الكاتب هو خبير مكافحة الإرهاب في السي آي آ CIA "مايكل شوور".

وانما الخفاء في الاسم والهوية يرجع إلى حساسية عمله في وكالة الاستخبارات الأمريكية، وحرصا على عدم إعطاء الإدارة الأمريكية – التي عرف عنها الهجوم الشرس والتجريح لكل من يعارض سياستها – الفرصة للنيل منه، كما تذود عنه هجوم اللوبي اليهودي الشرس في أمريكا لما ذكره من ضرورة مراجعة السياسة الأمريكية بشأن إسرائيل.

ومما يجدر بالذكر أن الكاتب المعروف إريك مارجوليس قد قرّظ هذا الكتاب في مقال بصحيفة تورونتو ستار بتاريخ ١٢ سبتمبر ٢٠٠٤، وقال إنه كتاب "يجب على كل عاقل قراءته" كما قال إنه "أخيرا فإن هناك من عنده الشجاعة في واشنطن لتحديد أسباب العنف التي نعيشها" وأن "يبلغ الأمريكان أنهم قد بدوءا حربا خاسرة على بليون مسلم".

وسنتناول الكتاب بالنظر في كل فصوله، حاكين عن المؤلف في غالب الأمر، متحدثين بلسانه، ومحللين إن رأينا فائدة للإضافة إلى محتواه. وستكون الحكاية أمينة

دقيقة إن شاء الله وإن كانت شبه حرفية إلا في مواضع محددة نقلناها نصاً، إذ أن الترجمة الحرفية لا تليق بمقال عن الكتّاب وحرية أن تترك لمن يريد أن يترجم الكتاب للنشر كاملا، وما نراه إلا حريّ بالترجمة الكاملة.

٠١ الفصل الأول: بعض أفكار عن "قوة الكراهية المركزة والمؤصلة":

يبدأ الكاتب بتقرير أنه لا يريد أن يدخل في تفاصيل إن كانت تعاليم بن لادن وإرشاداته هي من صلب الإسلام حقيقة أم أنه مجرد قاتل متعصب لا خلاق له كما يدعي سياسيو الغرب، وهما في رأيه مقدمتان كلتاهما خطأ. ثم ينتقل إلى نقطة غاية في الأهمية إذ تعكس دقة فهمه للوضع الإسلامي أو المشكلة الإسلامية إن صح التعبير، وهي أن المسلمين كافة، من أقصى اليسار المتعصب كابن لادن إلى أقصى اليمين "المعتدل" كجماعة التبليغ والإخوان، سواء منهم من يقبل بالمواجهة العسكرية أو يرفضها، فهم يحبون الله ورسوله [١] حبا لا يدركه أو يفهمه المسيحيون، وإن كان المسيحيون، خاصة الأفنجليكيون منهم، يحبون إلههم كذلك (أصحاب اليمين المتطرف مثل بوش الصغير) إلا أن الفرق الذي بين المسيحيين وبين المسلمين أن حب المسلمين لدينهم يدفعهم – كما دفعهم طوال ١٤ قرنا الماضية - إلى حمل السلاح في سبيله، أما المسيحيون فهم لم يعرفوا مثل هذا الأمر إلا مرتان: حين طرح البابا صكوك الغفران لتحريك الجماهير لنصرة الحروب الصليبية وكذلك في إبان المواجهة الكاثوليكية البروتستانتية. ويقرر أن المسيحيين حتى المتعصبين منهم من اليمين المتشدد يقبلون بفصل الدين عن الدولة وأن تكون كلمة الإنجيل في المقام الثاني بعد كلمة البشر، وهو الأمر الذي لا يقبله المسلمون قط.

ثم ينتقل من هذه النقطة إلى القول بأن كل قول يصدر عن متديني الغرب ومعلميهم الدينيين فيه مساس بالإسلام أو الله أو رسوله، فإنه يؤخذ مأخذ الجدّ في بلاد المسلمين، ويراه الناس على أنه تعد على دينهم وهو ما لا يمكن القبول به، مثل أقوال بات روبرتسون، جيمي سواجرت، فرانكلين جراهام الذي قال "إن الإسلام

[١] يستعمل الكاتب تعبير الله ورسوله : Allah and His Messenger

دين بغيض"، وغيرهم، ممن بينهم وبين الإدارة الأمريكية الحالية علاقة وثيقة قائمة على الاشتراك في هذه الآراء.

وينتقل بعدها إلى مفهوم **الجهاد** ويقرر أنه من الأهمية بمكان في عقيدة المسلم حتى أنه يمكن أن يعتبر الركن السادس للعقيدة عند الغالبية، وأنه – بحق – ينقسم إلى جهاد طلب، وهو ما يجب أن لا تخشاه الولايات المتحدة حاليا لقوتها وضعف المسلمين، وجهاد دفاع وهو ما يجب أن تتفهمه أمريكا والغرب جيدا إذ أنه – كما يقول – سيكون سببا في حرب دائمة لن تنتهى ولا حتى في عصر أبنائنا. ويقرر الكاتب أن الإسلام يزرع في نفس المسلم، بمثل هذه المحبة التي تحدث عنها سابقا، عدم قبول أي اعتداء على حرمته وعلى الله أو رسوله أو السنة. وأنه حينئذ يكون الواجب في الدفاع عن الإسلام فرض عين على كل واحد من المسلمين، لا كما في جهاد الطلب الذي يشترط له إمام وجيش. وهذا الجهاد هو ما حدث على مر التاريخ في مئات من المعارك لرد العدو عن بلاد المسلمين.

ثم ينتقل إلى نقطة أخرى في غاية الأهمية، يبنيها على ما قرره سابقا فيقول "وبعد تقرير ما ذكرت .. فيجب أن نفرق بين ما يمكن أن يجده المسلم مقبول لديه، وما لا يمكن السكوت عليه بناءً على ذلك الفهم للجهاد الدفاعي"[١]. ويبين بحق أن ما ينشره سياسيو الغرب من أن بن لادن والمسلمون يهاجمون الولايات المتحدة والغرب "لأنهم يكرهون طريقة الغربيين في الحياة ولا يحبون الديموقراطية" هو دعاية في غاية الخطأ والخطورة، وأنه لا يمكن تصور، بل ولا يوجد من قواد الحركات الإسلامية اليوم، بما فيهم بن لادن والظواهري، من يهاجم أمريكا لموقفها من قضية الإجهاض أو تحرير المرأة أو زواج الشواذ أو الديموقراطية على النهج الغربي، رغم أنهم يكرهون هذه الأفعال ولا يرضونها.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى السؤال الطبيعي: لماذا إذن هذه الكراهة، فيقرر بحق أن المسلمين الذين يهاجمون الغرب إنما يفعلون ذلك لأنهم يرون أن الغرب يتدخل في شؤونهم ويعتدى على حرمة دينهم ويريد القضاء على إسلامهم وتغيير هويتهم، وهو غير مقبول حتى للعامي منهم كما أسلف. يقول "من الجائز أن كثيراً من المسلمين لا يحبون

---

[١] ص٨.

ما نحن عليه، ولكن هذه الأشياء التي يكرهونها فينا نادرا ما تدفعهم إلى الهجوم علينا"[١]. السبب – كما يقول – كامن في سياسات أمريكا تجاه المسلمين وفي بلادهم وخاصة ما يظهر لهم من أنه هجوم على الإسلام وعلى إلههم وعلى أرضهم.

ثم يتساءل: هل أعمال وسياسات أمريكا توحى بالفعل بهذا الموقف العدائي من المسلمين والإسلام؟ ويجيب "للأسف، نعم". ثم يناقش ثلاثة نقاط عامة يرى أنها تجعل أمر السياسات الأمريكية يبدو كأنه عداء للإسلام للناظر اليه[٢]:

١. تحدى كلمات الله: ويتمثل في:

a. إعلانها عن تجريم الجهاد الدفاعي واعتقال المئات دون جريرة.

b. إجبارها النظم السياسية في البلاد الإسلامية على إيقاف كل مساعدة خيرية إسلامية.

c. مطالبتها للنظم السياسية الإسلامية بتغيير مناهجها التعليمية لتقليص حجم الدين فيها.

٢. الهجوم على الإسلام وتجفيف موارده:

a. تشجيع أمريكا ومساندتها للطوائف غير الإسلامية في صراعها مع المسلمين كما في كشمير أو الفليبين.

b. مساندتها للنظم القمعية كنظام الكويت والسعودية والإمارات ومصر والأردن، وهي نظم - كما يقرر - خربة عميلة دكتاتورية لا تعمل إلا لتدمير الإسلام.

c. فرضها العقوبات الاقتصادية من خلال الأمم المتحدة أو من خلال الكونجرس على الدول الإسلامية دون غيرها.

d. محاولة فرض السيطرة على النفط العربي بالكامل بواسطة الشركات

---

[١] ص٩.

[٢] وهل هناك تفسير آخر لذلك؟

الأمريكية في المنطقة.

٣. احتلال أرض الإسلام وتقسيمها:

a. مساندة أمريكا لجهد إقامة حكومة انفصالية مسيحية في تيمور-إندونيسيا.[١]

b. عدوانها واحتلالها لدولتين إسلاميتين هما العراق وأفغانستان

c. مساندة أمريكا غير المحدودة ولا المشروطة لإسرائيل وسياساتها في فلسطين والعالم العربي.

ثم يقرر أن نقطة البداية أن نفهم أعمال الإدارة الأمريكية كما هي لا كما نحب لها أن تكون، حتى نعرف سبب العداء والكراهة، وأن بن لادن ومن هم على شاكلته، سيستمرون في قتل الأمريكيين طالما أمريكا تقوم بما تقوم به في العالم الإسلامي لا بسبب كراهتهم لنظامنا السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي.

[١] لم يذكر الحرب الانفصالية في جنوب السودان!

٢. الفصل الثاني: الإنغماس الجاهل والعفويّ في الهزيمة - أمريكا في أفغانستان

يبدأ المؤلف بأن يقرر أن مما ينشأ عليه رجل الاستخبارات في أول عهده بالوظيفة هو تحليل ما يسميه "ما يقبل المراجعة والتأكيد"، وأنه في قرار شنّ الحرب على أفغانستان، قد أغفلت القيادة الأمريكية هذا الواجب البسيط إغفالا تاما مما أدى إلى أن هزيمتها في أفغانستان ليست محلا للجدال.

ويقرر المؤلف ضعف التحرك الأمريكي أمام وقعة سبتمبر ١١، ويبين أن رد الفعل الأمريكي قد تأخر حتى أكتوبر ٧، وقد فقد بذلك كل فرصة لتوجيه ضربة قاتلة لنظام القاعدة وقياداتها.

وتحت عنوان: **إلى أفغانستان: دولة تراجيدية وتحليلات خائبة:** يقرر أنه رغم سنوات من العمل الاستخباراتي وبلايين من الدولارات أنفقتها الإدارات الأمريكية في مساندة المقاتلين الأفغان وذلك الكمّ الهائل من المعلومات التي تراكمت عن طبيعة الناس والأرض والعلاقات في أفغانستان فإن ذلك لم يكن له أي أثر في قرار شن الحرب هناك.

ثم تحت عنوان: **هل لاحظ أحد أن الجيش الأحمر السوفيتي قد هزم في أفغانستان؟**، يقرر الكاتب أن مقولة أن الأمريكان يحاربون نوعا جديدا من الحرب هي خاطئة ولا تهدف إلا إلى تبرير الهزيمة، إذ أن السوفييت قد خاضوها من قبل، وأن المجاهدين يستعملون نفس التكتيك، فما بال الأمريكان لا يعلمون ما يفعلون هناك؟

وتحت عنوان: **حتى أسوأ مشارك في الرقصة ليس متاحا هناك**، يناقش الكاتب كذلك مراهنة الإدارة الأمريكية على قوات التحالف الشمالي بقيادة أحمد شاه مسعود، وأنه من المستحيل أن تتكوّن حكومة قابلة للبقاء في أفغانستان إلا من البشتون الإسلاميين وليس من الأزبك أو التاجك الذين يمثلون الأقلية الضعيفة في البلاد. ويقول إن الغرب، وبالذات فرنسا قد انخدع بتلك الهالة الاصطناعية التي رسمها أحمد شاه لنفسه على أنه "الفنان" الحساس الموالي للغرب.

ويقول تحت عنوان: **ثمن التقسيم**: أن المعلومات التي جمعتها الاستخبارات، حسب ما ذكره بوب ودوارد في كتابه "حرب بوش" لم تستخدم، بل لم تطلب حتى للاطلاع عليها! كل ما استهدفته أمريكا هو تقسيم الأفغان، وكأن ذلك سوف يفلح في تحقيق أغراضها، وكأنه فيلم أمريكي صنعته هوليوود وتريد أمريكا أن تطبقه. ويقول ان الطريقة الأمريكية المكررة في محاولة تأمين حكومة لا تمثل إلا أقلية، بل ومعظمها ممن رفض الحرب في سبيل بلاده ضد الاحتلال السوفيتي وفضّل الحياة المريحة في المنفى في أوروبا أو أمريكا، أو إيران، ممن بات يتحدث بلسان إنجليزي ويرتدى حلل بهية ويتعطر بعطور عالمية، هؤلاء هم من تولى الغرب وأراد أن يجعلهم حكاما لكابل، العاصمة التي معظم قاطنيها ممن لا يأبه لإسلام ولا دين[١]، ولا يمثل بقية الشعب. يقول إن هذا هو دائما ما تفعله أمريكا "الشكل قبل الموضوع"!

وتحت عنوان: **لماذا كل المحاربين على الجبهة الأخرى**: يرى الكاتب أن المقولة التي روّج لها الغرب وبعض الإعلاميين أن القاعدة وطالبان لن يقدرا على مواجهة القوات الأمريكية بعد الضربة الأولى هي غير صحيحة بدليل المواجهات المتزايدة يوميا على الجبهات في أفغانستان، وعدد القتلى كل يوم. ويقول إن الحرب في أفغانستان ضد الروس قد انتصر فيها الأفغان أنفسهم، ولم يكن في عونهم إلا القليل من غير الأفغان، ما عدا المساعدات المادية التي كانت تمدهم بها الولايات المتحدة والسعودية وكافة المنظمات الإسلامية في العالم لدحر العدوان الأحمر، وذلك ليس إلا لكونهم محبين لدينهم ولرسولهم. وهو ما قرره كذلك روبرت كابلن في كتابه الفذ "جنود الله: مع المحاربين المسلمين في أفغانستان وباكستان".

ويلخّص أخيرا ما قاله بأن يقرر أن الوقت ليس في صالح الغرب في أفغانستان، وأن حكومة طالبان ستعود مرة أخرى ليحلّق علَم الرسالة (المحمدية) فوق كابل، وأن الحكومة المؤقتة برياسة كرزاي مصيرها الهلاك لا محالة خاصة بعد أن انضم كل من قوات حكمتيار وحقّاني وخالص إلى صفّ طالبان، ولا يستبعد أن قوات التحالف الشمالي ستنضم إلى قوات المعارضة قريبا. وهذا السيناريو قد لا يكون متوقعا غداً أو بعد غد ولكنه قادم لا محالة.

---

[١] ومصداقا لذلك فإن طالبان لم يتخذوها عاصمة لحكمهم، بل استقروا في كاندهار.

ثم يضع سبع نقاط يعتبرها نقاط رئيسية يجب أن يتفهمها صنّاع السياسة الأمريكية، بعد أن أخفقوا في مراجعة "النقاط التي يمكن مراجعتها والتأكد منها" قبل الحرب. هذه النقاط هي:

أولا: أن الأقلية قد تتمكن من حكم كابل ولكن ليس لأمد طويل.

ثانيا: أن الأفغان أصحاب الثقل والتأثير هم القبائليون من المتعصبة.

ثالثا: أنه لا يمكن شراء الأفغان بالمال.

رابعا: أن حكومة مركزية قوية في كابل لن تفلح إلا في استمرار الحرب ضدها، فاللامركزية هي الشكل الأصلح هناك.

خامسا: أن حكومة باكستان تحتاج لبقائها أن يكون هناك حكومة بشتون إسلامية قوية في جارتها أفغانستان.

سادسا: أن تكون أفغانستان ملتقى للمصالح العالمية خاصة مصالح من حولها من الدول كباكستان من ناحية وتركيا وأزباكستان وتازكستان وروسيا من ناحية أخرى، لا أن تكون مجرد منطقة معزولة لا ساحل لها.

سابعا: أنه لابد أن يكون هناك نظام إسلامي، أخيرا، في أفغانستان لطبيعة الشعب المحافظة والمتدينة.

٠٣. الفصل الثالث: لا اندحار ولا تراجع – القاعدة: مقاومتها، اتساعها وانطلاقها.

يرى الكاتب أن الخطأين الفادحين الذين عاونا على عدم القضاء على القاعدة وعلى نظام طالبان هما: أولا: التأخير غير المبرر في الرد على هجوم سبتمبر ١١، والثاني هو افتراض أن القاعدة تنظيم إرهابي، وأن طالبان نظام دولة بالمفهوم التقليدي. ويشرح النقطة الأخيرة بقوله أنه رغم هزيمة طالبان في حرب المدن إلا أنها قد عادت إلى تركيبتها الأولى وهى أنها منظمة قبلية تعمل في الجبال بكفاءة ومهارة، وأنه من الخطأ القاتل، كما ذكر موقع ستراتفور.كوم ، أن يعتقد الأمريكيون أن سيطرتهم على المدن قد أنهت الحرب أو قالت الكلمة الأخيرة فيها، بل هي بداية حرب طويلة وخاسرة للولايات المتحدة.[١]

وابن لادن، كما يذكر المؤلف، لعلمه بأحداث سبتمبر، قد بدأ قبلها في توزيع أفراد جماعته في أماكن مختلفة حتى لا يعطي للعدو فرصة القضاء عليه في ضربة واحدة. وقد ساعد على ذلك عدد هائل من الجماعات الإسلامية الباكستانية والأفغانية والكشميرية عدا العديد من الأفراد في القوات الباكستانية الأمنية وغيرها، كما ذكره موقع النداء.كوم في شكره لمن قدم هذه المساعدات اللوجستية لأفراد القاعدة. [٢] ويشرح كيف أن القتال الذي دار في تورا بورا وفي شاه كوت لم يكن إلا لإعطاء الفرصة للمقاتلين أن ينحازوا إلى أراضٍ لا تطولهم فيها أيدى الغرب، وهو ما كان بالفعل. ثم يقرر أن دعاوى قادة الغربَ أنهم في مرحلة القضاء على فلول القاعدة وطالبان هي دعاوى كاذبة وخاطئة. ويبين بعدها أن جهل القوات الأمريكية بحقيقة حجم أعدائهم يجعل من المستحيل أن نقرر أين تقف المعارك اليوم، وأن المجاهدين يسخرون من القوات الأمريكية التي تدعى في نهاية كل موقعة معهم أنها الأخيرة![٣].

---

[١] ص٦٢.

[٢] ص٦٥.

[٣] ص٦٨.

وتحت عنوان: **الاتساع المضطرد في منابتها الأصلية**: يقول الكاتب أن القاعدة لا تزال متواجدة بل اتسع وجودها في البلاد التي كانت لها فيها تمثيل من قبل أحداث سبتمبر، مثل اليمن وباكستان، والسعودية وشيشنيا وأفغانستان وأندونيسيا والفليبين وماليزيا والعراق والولايات المتحدة وكندا. وهم رغم تحقيق بعض انتصارات للمخابرات الأمريكية ضدهم أصبحوا أكثر انتشارا وفعالية في معظم هذه البلاد. ثم يتساءل: هل وجودهم في السعودية كان سابقا لسبتمبر ٢٠٠١ وأنهم إنما نشطوا بعد تلك الأحداث هناك، إذ أنه كما يقول، لبن لادن شعبية ساحقة بين السعوديين، ويستشهد بما كتبه عبد الباري عطوان، أحد نقاد النظام السعودي، في مجلة القدس العربية، عما يلقاه أسامة بن لادن من مساندة الشعب السعودي لموقفه من أمريكا التي تساند إسرائيل في عدوانها على الشعوب الإسلامية وفلسطين، وأن نسبة ٩٥٪ من السعوديين بين أعمار ٢٥-٤١ يحملون مشاعر الود لأسامة بن لادن. [١] ثم يقرر أن النظام السعودي ربما يكون قد ارتقى فراش الموت في سكينة، إذ أن الخيارات أمامه قليلة، حتى لو تبنى سياسة أكثر بطشاً وأكثر تنظيما مما يتبع، فلن يكون لذلك دور إلا على المدى القصير.

وتحت عنوان: **ونحو تهيئة الظروف لمناخات جديدة**: يبين الكاتب حسن استغلال القاعدة للظروف الجديدة في المناطق الساخنة كالعراق ولبنان، بل واستخدامهم المتميز للإنترنت لترويج بضاعتهم.

وتحت عنوان: **الانطلاق إلى مجال جديد**: يتحدث عن المواقع التي يساندها تنظيم القاعدة وتسانده مثل النداء والأنصار. ويبين أن ملاحقة الولايات المتحدة لهذه المواقع قد بيّن لقرائها مصداقية ما يقوله بن لادن، بل - كما يقول القائمون على هذه المواقع، قد رفع عدد القراء، إذ أنه فضح نوعية الديموقراطية التي يتشدق بها الأمريكيون وأنها قد قُدّت على مقاسهم، ولا مكان فيها للمسلمين[٢]. ثم يقدم نصيحة للاستخبارات الأمريكية أن تحاول تفنيد ما ينشر على الإنترنت إذ أن التخوف من كل تهديد مفرّغ من الحقيقة يجعلهم أكثر عرضة للخطر، كما قال فيلسوف صيني "إذا

---

[١] ص٧٢.

[٢] ص٨١.

أردت أن تكون مستعداً على كل الجبهات، فستكون ضعيفا على كل الجبهات".[١]

وفي الصفحات التالية لذلك بدأ الكاتب في تسجيل ما أحرزته أمريكا من انتصارات ضد القاعدة، وما أحرزته القاعدة من انتصارات ضد أمريكا. فعلى صعيد انتصارات أمريكا في الفترة من ٢٠٠١ وحتى ٢٠٠٤، عدّد ٣٠ وقعة وجه فيها الأمريكيون ضربات للقاعدة مثل:

- مصرع بن الخطاب القائد الشيشني في مارس ٢٠٠٢.

- ترحيل أحمد حسين ومحمد سليمان، من قواد الجهاد المصري إلى القاهرة من السويد في ديسمبر ٢٠٠١.

- القبض على ثلاثة من الكويتيين إبان تخطيطهم لمهاجمة قوافل أمريكية ومنهم من كان في أفغانستان، فبراير ٢٠٠٣.

- مهاجمة السلطات السعودية لأحد البيوت في الرياض حيث وجدوا عدة كيلووات من المتفجرات في مايو ٢٠٠٣.

ثم عدّد ما حققته القاعدة ضد أمريكا في الفترة بين ٢٠٠١ – ٢٠٠٣، وأثبت ٧٣ وقعة كان للقاعدة فيها السبق في إنزال ضربات بالأمريكيين وسياساتهم، منها:

- في نوفمبر ٢٠٠٢، قتلت أحد الممرضات الأمريكيات (من المبشرات) في لبنان بعد أن اتهمت بتحويل أحد

- الصبيان إلى النصرانية.

- أكتوبر ٢٠٠٢، سيطر الشيشانيون الإسلاميون على مسرح في روسيا وقتلوا حول ١٢٩ من الروس.[٢]

---

[١] ص٨٥.

[٢] نلاحظ أن الكاتب قد جعل كل انتفاضة إسلامية في أنحاء العالم هي من عمل القاعدة أو مما تسانده القاعدة، وهو غير صحيح إذ أن المسلمين يحملون نفس المبادئ في كافة أنحاء الدنيا ومن المتوقع أن يكون ردّ فعلهم للتصرفات السوفييتية أو الأمريكية المعتدية واحدة، ولا يلزم من ذلك أن يعدها على القاعدة.

- في ديسمبر ٢٠٠٢، هاجمت جماعة مسلحة أحد المستشفيات في اليمن وقتلوا مجموعة عمال أمريكيين.

وراح يعدد مثل تلك الهجمات التي شنتها قوى إسلامية في أرجاء الدنيا إذ جعلها محسوبة على القاعدة.

ومما يجدر بالذكر ما قرره من أن القاعدة – كما يقول الكاتب – قد عرفت نقطة الضعف الأمريكي، وهي في هذه المرة ليست فقط نقطة الضعف التقليدية والتي هي مصارع أبنائهم في حرب خارجية، ولكن هي ضربهم في الجبهة الاقتصادية، كما نقل عن أبي عبيدة القرشي فيما كتبه على موقع الأنصار: قال:

"وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد مكّن المجاهدين من فهم طبيعة الأمريكان أعداء الله .. وهذه المرة فإن مركز ثقل الضعف الأمريكي يكمن في الاقتصاد"[١]

ويقرر أن الإنفاق المالي على الاستعدادات والدفاع كلما رفعت وزارة الدفاع "لون" الخطر، هو مما يعد تكملة لعملية سبتمبر ١١، وأن هذا الإنفاق قد تعدى كل التوقعات، وهو ما يستنزف الخزانة الأمريكية بغير حدود.

---

[١] ص١٠١.

٤. الفصل الرابع: كيف يرى العالم بن لادن: قائد إسلامي وبطل يلمع نجمه؟

في هذا الباب يتناول المؤلف شخصية بن لادن من وجهة نظر المسلمين بشكل خاص، ومن وجهة الغرب بشكل مقتضب، فيقول إنه، ومن أي زاوية ينظر اليه الناظر، رجل عظيم ولا شك، رغم أن للعظمة ظلال إيجابية وسلبية على حد سواء. وإن كان هناك من لا يوافق د. سام هانتينجتون في آرائه بشأن صراع الحضارات[١]، إلّا أنه يجب أن يوافق على ذلك الفرق الشاسع بين الحضارتين في تقييم بن لادن. فالغرب يرى بن لادن على أنه قاتل متعطش للدماء لا خلاق له. ولكن المسلمون لهم فيه رأي مختلف تماما[٢]. وينقل هذا الرأي فيما حكاه عن بعض الكتّاب المسلمين مثل إنجاز منجي في مقاله بجريدة إبرات[٣]:

"هو (أي بن لادن) لا يزال يعيش في خيمة في أفغانستان معنا، نحن أمة الأفغان. إنه ابن بار عظيم لهذه الأمة (الإسلامية) إذ لم ينفق ثروته على الملذات. هو رجل مبادئ ويمتلك صفات دينية مميزة. إنه نتاج الشرف الإسلامي. وهو مناضل ينصر الجهاد لنشر كلمة الله العظيم في العالم. لقد أثبت شجاعة فائقة في ميدان الحرب حيث لا يثبت الرجال المصنوعون من الزجاج، ولكن يثبت فقط الرجال الحديديون.

لقد كان يحارب القوى الشيطانية في العالم معرضا حياته للخطر. فهو لا يحب الحياة الرغدة، ويفضل أن يعمل بجد. وهو يضرب أعداءه بقوة وكفاءة ولهذا فإن الولايات المتحدة تخشاه. وقوى الكفر تخشى أن تتحد الأمة تحت لوائه. إن قوى الإمبريالية تريد قتله، ولكننا نرى أن في الموت الحياة. إن لكلٍ مقياسه في تعريف النصر والهزيمة. فقد يكون في بعض الأحيان من يظهر للعيان على أنه منتصر، هو في الحقيقة المهزوم وقد يكون من يظهر أنه مهزوم هو في حقيقة الأمر منتصر بإذن الله"[٤].

---

[1] The Clash of Civilizations, S. P. Huntington

[٢] ويظهر أنه فات المؤلف، لمحدودية علمه بالخريطة العقائدية في العالم الإسلامي اليوم أن من المسلمين المنتسبين إلى «السلفية» من يرى بن لادن وجماعته أسوأ مما يصنفه حتى أعداء الإسلام من الغربيين، وهؤلاء هم أتباع المذهب الجامي والمدخلي وصغارهم كعلي الحلبي ومحمود شكرى.

[3] Injaz Mangi "Osama Is not Caught Despite Exhaustive Efforts" Ibrat, March 10, 2003.

[٤] ص١٢٥.

ويعلق الكاتب بأنه ليس في هذه المقولة ما يرسم صورة قاتل جماعي أو سفاح.

وفي المقابل، يبين الكاتب أن النظام السعودي قد حرص على رسم صورة محددة لبن لادن يظهره فيها على أنه رجل بسيط التفكير يكيل إلى عدم الذكاء، ذلك كي يبعد عنه شبهة تدبير تلك الأعمال العسكرية الدقيقة، بل وفي محاولة أخيرة لرسم صورة له مخالفة للواقع، يقول الكاتب أنهم أظهروه على أنه تابع محدود الذكاء لأيمن الظواهري، الفاعل الأصلي لكل هذه الأعمال! وهو ما ينكره الكاتب تماما.

كما ينقل تحليلا نفسيا لابن لادن على حد قول رالف بيتر في حديثه عنه:

"أسامة بن لادن لم يعلن الحرب على واقعنا الذي نعيشه، إذ هو لا يعرفه أصلا، وانما هو يعلن الحرب على تصور عام شامل مقزز للغرب في نفسه، وتصور محدد لأمريكا هيأته له مخاوفه منها...إنه يتمتع بتلك النشوة التي تعطيها الكراهية لأهلها"[١]

ثم يقرر أن محبيه وأعداؤه على حد سواء قد أقروا أنه، لمن قابله وتحدث معه يصعب عليه أن يكرهه، إذ هو رجل بسيط متواضع مؤدب للغاية وسهل الحديث، ثم لا يمكن أن ينكر أحد إخلاصه في خدمة معتقداته. وهو ما قرره حتى أحد ألد أعدائه، تركي الفيصل السفير السعودي للمملكة في بريطانيا والذي حاول اغتيال ابن لادن عدة مرات[٢].

---

[١] ص١١٣.

[٢] ص١٢١.

٥. الفصل الخامس: آراء بن لادن في العالم: قديمة وجديدة، مع بعض التحوير

يبدأ الكاتب هذا الفصل بصورة كوميدية تمثل ذلك الاضطراب الذي يعترى المسؤولين الأمريكيين كلما أذاعت الجزيرة أو العربية شريطا جديدا لبن لادن، ومسارعتهم في رفض تقريراته وشجب القنوات الفضائية التي أذاعتها. ولكنه الاضطراب ليس ما يعنيه، إنما الإهمال التام لما تحتويه الرسالة من كلمات ومعانٍ، لحساب شكليات عجيبة يهتمون بها مثل: ترى هل طالت لحيته هذه المرة عن سابقتها؟ ما هذا الرداء الذي يرتديه؟ أهو جديد أم استعمله من قبل؟ هو لا يحرك زراعه الأيسر! هل مهني هذا أنه مصاب؟ هاه! لقد رمش بعينه اليسرى! أهذه علامة لتباعه للتحرك؟ ما هذه الطيور التي تصدح من خلفه؟ هل يمكن أن نعرف أين تعيش؟ اطلبوا إخصائي طيور! ما هذه الصخور التي تحيط به؟ هل يمكن معرفة مصدرها؟ اطلبوا اخصائي جيولوجي! وهلم جرا من تفاهات لا علاقة لها بالمضمون، الذي يعنيه الرجل تماما ويدل على معرفته بنا أكثر جدا من معرفتنا به.

وتحت عنوان: **الثبات على المبدأ في النقطة الرئيسية**: يقول الكاتب أن الإطار الرئيسي الذي يعرض فيه بن لادن آراءه هو مقاومة هذا الهجوم على الإسلام من أمريكا. وهو يصف قوى الصليبية الصهيونية التي تهاجم ديار الإسلام وأبنائه بأنها تسبب كوارث هائلة ومذابح ومظالم لا حصر لها لأبناء الأمة، لذلك "يجب علينا أن نقاومهم وأن نعلن الجهاد الدفاعي". فهل يا ترى تبرر أفعال الولايات المتحدة ذلك التصور الذي يطرحه بن لادن؟ يجيب: "**الحق، نعم، لقد أوقع بنا في هذه النقطة**"[١]. ثم ينقل رد بن لادن على أولئك الذين ينتقدون هجوم سبتمبر ١١ مبررين ذلك بأن هذا الهجوم الإجرامي – حسب تعبيرهم - قد أمدّ الولايات المتحدة بمبرر الهجوم على الإسلام، فينقل عن بن لادن قوله في موقع الواقعة:

"أستحلفكم بالله! وأين المبررات الإجرامية التي فعلها المسلمون والتي استبيحت أنفس وأموال وأراضي الفلسطينيين مدة نصف القرن الماضي على أيدي الصليبيين والصهاينة لأجلها؟ ما هي المبررات الإجرامية الإسلامية التي أملت حصار الشعب العراقي طيلة عقد من الزمان مما أدى لقتل أبناءهم وتشريدهم؟ بشكل ليس له سابقة في

---

[١] ص١٢٩.

التاريخ؟ ما هي المبررات الإجرامية الإسلامية التي جرّت مذابح بوسنيا والهرسج على أيدى الصرب الذين اتخذوا الولايات المتحدة مثالا يحتذى؟ ما هي المبررات الإجرامية الإسلامية التي جعلت شعب كشمير يدفع دمه غاليا في مقاومة عبّاد البقر لمدة خمسين عاماً. ماذا فعلت شعوب شيشنيا وأفغانستان وجمهوريات وسط آسيا للتعرض للغزو الشيوعي وتشريد عشرات الملايين من أبنائها؟ ... وتحت غطاء الأمم المتحدة غزوا الصومال وقتلوا أهله. وتحت نفس الغطاء أجبروا المسلمين على مبارحة تيمور في إندونيسيا. بل وشجعوا الحاكم الصليبي في الفليبين لتدمير إخواننا المسلمين هناك. أمور أكثر من أن تحصى. ونحن نقول إن الجريمة الوحيدة التي جعلت قوى الصهيونية والصليبية الجديدة تغزو وتدمر المسلمين هي إعلانهم أن لا إله إلا الله"[١].

ويقرر الكاتب أن ما قاله ابن لادن كله يمثل الحقيقة وما يجرى على أرض الواقع، ورغم أنه صبغها بلون ايديولوجي عقائدي ليجعلها مستحسنة ومقبولة للجماهير المسلمة، إلا أنها حقيقة لا شك فيها. ويقول بعدها أن القرآن بالفعل يقرر في مثل هذه الحالات يفرض الجهاد الدفاعي على المسلمين[٢]. كما نقل عن الكاتب برنارد لويس في كتابه "كارثة الإسلام": "المسلمون غير مأمورين بإدارة الخدّ الآخر!". وهو ما أكده البروفيسور تيرنر جونسون في قوله "إن المسلمين مطالبون بقتال من هم في دار الحرب إذا هاجموهم في دار الإسلام"، وهو عين ما قاله بن لادن - يقول الكاتب - حين قرر في خطاب إلى الشعب الأمريكي: "تتساءلون لماذا نقاتلكم؟ الجواب بسيط، لأنكم تقاتلوننا ومستمرون في قتالنا".[٣]

وتحت عنوان: **الحضّ على الإيمان**: بعد أن يبين الكاتب وجهة نظر بن لادن في أن الهجوم الصهيوني الصليبي هو على الإسلام، وأن الإسلام يفرض على أبنائه في هذه الحالة أن يجاهدوا جهاد دفاع إذ هو "فرض عين" كما عبّر، وليس فرض كفاية وأن الأمة كلها عاصية حتى يخرج منها من يؤدى المهمة على كمالها، يقرر بن لادن أن

---

[١] ص١٣٠.

[٢] سبحان الله! لعل أدعياء السلفية من أتباع المدخلي وأمثالهم أن يقنعوا الرجل بخلاف ذلك، ولم لم يكن نصرانيا أصلا لكفّروه أو بدّعوه كما يبدّعون أهل السنة الذين يطالبون بالوقوف في وجه العدوان.

[٣] ص١٣١.

مهمة القاعدة ليست في تحقيق الانتصار النهائي على الأعداء، ولكن في إبقاء الجهاد حيّا كفريضة في نفوس الأمة حتى يتحقق النصر بمشاركة كافة أبنائها. [١] ولا ينسى بن لادن أن يشرك المرأة في حثّها على الجهاد وفرضيته عليها كذلك. كذلك فهو يوجه عناية خاصة للشباب من المسلمين إذ أن الجهاد مفروض عليهم أكثر من فرضيته على الأكبر سنّاً، وهو يكيّف خطابه الإسلامي لهذه الطائفة على أنها يجب أن تكون مرحلة من مراحل النضج والرجولة وأن الأمة لابد أن تعتمد على أبنائها في تحرير أرضها وتطهيرها من الأعداء فهم حريّون بذلك.

من هذا المنطلق، فإن من تراهم العين الأمريكية على أنهم شرّ محض من الاستشهاديين، هم، في عين الإسلام شهداء أبرار مخلصون لنبيهم ولكلمة ربهم[٢].

ولا نجد في حديث بن لادن أثر الإحباط إلا حين يتحدث عن المساندة المطلوبة من المسلمين في غير مجال الجهاد الفعلي. وهو لا يجد مشكلة في إدراج أعداد من الشباب في سلك الجهاد طالما أمريكا وإسرائيل يمدونه بالوقود اللازم لذلك بسياساتهما في الشرق الأوسط. ولكنه غير رأض عن المساعدة المعنوية التي ينتظرها من شيوخ الطبقة الوسطى والعليا من أساتذة الجامعات والعلماء والأثرياء وأبناء الصحافة. وهو يمد المحيط الإسلامي بالأشرطة السمعية والبصرية ليس فقط للإعلام، ولكن ليكشف عن خزى وتقاعس الفئات التي لا تتحرك من المسلمين ويخجلهم، وهو بعد عبقري في تكتيكه إذ أن الخزي والعار لا يزالا من أهم العوامل المحفزة على العمل في الوسط الإسلامي.

وتحت عنوان: **الهدف: أمريكا**: يقول الكاتب أن بن لادن بعد أن حدد أمريكا كهدف للعداء – للأسباب السابق ذكرها – فقد واجه صعوبة في توجيه قوى الجهاد إلى خارج حدود البلاد الإسلامية إذ أن الجهاد التقليدي كان دائمًا موجه لتغيير الأوضاع الداخلية السيئة! وأن ذلك مبني على توجيهات النبي (ﷺ) ذاته![٣] وينقل

---

[١] ص١٣٢.

[٢] ص١٣٦.

[٣] لم يذكر المؤلف شيئا عن أي حديث ذكره النبي ﷺ بهذا الشأن، فالجهاد ضد قوى الكفر قد تكون

عن عبد الله النفيسي قوله إن تركيز بن لادن على العداء لأمريكا هو سبب مهم في استمرارية القاعدة حيث إن ذلك منع وجود أي خلافات داخل هذا التنظيم خلافا لغيره من التنظيمات الإسلامية.[١]

وتحت عنوان: **أهمية أفغانستان**: يوضح الكاتب عقيدة بن لادن وجماعته أن أفغانستان هي الدولة الإسلامية الوحيدة على ظهر الأرض حاليا. ويقرر أن ما من قتال إسلامي في الوقت الحالي إلا لغرض كسب قطعة من الأرض يمكن أن تجرى عليها أحكام الإسلام. وهذا المعنى – كما يقول المؤلف – قد تجلى بعد قضاء بريطانيا على الدولة العثمانية، ولم يحل محلها أية دولة تكون محورا ومركزا للمسلمين، وهو ما نقله الكاتب عن سيد قطب في المعالم، من حاجة المسلمين إلى دولة وأرض تقبل شرع الله، وما أكده هانتينجتون في كتابه "صراع الحضارات" من ان المسلمين يفتقدون ما أسماه دولة محورية" يراها في تحليله لحضارات العالم ضرورية لحفظ الهوية.[٢]

ثم أخيرا تتمثل أهمية أفغانستان لبن لادن في أنها البلد الوحيدة التي تغلبت على الغرب حين هزمت روسيا منذ أن وعى التاريخ صراعا بين المسلمين وبين الغزاة في العصر الحديث، ولا غرو فقد رحب بن لادن بالغزو الأمريكي لأفغانستان إذ أن ذلك يمهد لهزيمتهم على أرض إسلامية يدافع عنها مسلمون. لذلك فإن الصراع الحقيقي بين بن لادن وبين أمريكا على حكم هذه البلاد لابد وأن يبدأ قريبا شكل جدّي.

وتحت عنوان: **فقد السيطرة العسكرية تدريجيا**: ثم يشرح الكاتب لماذا ظهر بن لادن أكثر استرخاء بعد أحداث سبتمبر ١١ إذ أن ذلك أعطى الفرصة لأتباعه في الانشغال في هجمات تفصيلية في أنحاء العالم، وأتاحت له الفرصة هو وقياداته العليا لتخطيط الهجمة التالية على أمريكا. وقد كان بن لادن حذرا في عدم المصادمة الكلية مع دول أوروبا الغربية كافة لعدم إجبارها على الدخول إلى جانب أمريكا في الحرب ضده، وكان فقط أن أرسل تحذيرا قويا في حادثة إسبانيا ليعلمهم أنه

في الداخل أو الخارج على حد سواء، وربما يشير هنا إلى الصراع التقليدي بين الخوارج والطالبيين من ناحية والسلطة الأموية والعباسية من ناحية أخرى على مر التاريخ.

[١] ص١٣٩.

[٢] ص١٤٢.

قادر على إيذائهم إن أراد ومتى أراد. وقد قام بالفعل بعمل هجمات بسيطة ولكنها معبرة – كما عددها في الفصل الثالث – على أهداف أوروبية لدول تساند أمريكا وإسرائيل.

وتحت عنوان: **مهاجمة الأنظمة الكافرة مباشرة**: ويحكي الكاتب عن ابن لادن رأيه في "حكام المنطقة" ويقرر أنه قد بنى معارضتهم على أمرين، أنهم لا يطبقون حكم الله في بلادهم، وأنهم غير كفء لعبوديتهم للأمريكان على حدّ تعبيره. وهو يقرر أن الإسرائيليين، بمساعدة أمريكا، قد نفذوا كل مخططاتهم في جنين ورفح وبيت لحم، وأخذوا في بناء الجدار العازل الذي يبتلع أرض أكثر من أراضي فلسطين، والحكام العرب لا يفعلون أكثر من إصدار كلمات تعبر عن غضب غير حقيقي ثم يهيؤون القواعد العسكرية والمساعدات اللوجستية لقوات الاحتلال.[١]

وتحت عنوان: **استهداف أمريكا وتبرير الإصابات الجماعية**: ينقل عن بن لادن قوله "إنني أعلم أن هناك الكثير من الرجال الجيدين في الغرب...إننا لا نحارب الولايات المتحدة، ولكن نحارب سياسات الولايات المتحدة في الدول الإسلامية، والتي تريد أن تسيطر على الاقتصاد الإسلامي وتستعبد شعوبنا وتجعلنا عبيداً لأمريكا"[٢]. وينعى على النظام الأمريكي تشدقه بالديموقراطية ويعلن أنها ديموقراطية مزيفة.

وتحت عنوان: **بن لادن يتنبأ برد الفعل الأمريكي**: يكرر ما سبق ان ذكره سابقا من أنه "صحيح أن بن لادن يكرهنا ويكره أمريكا ويكره الغرب، ولكنه، رغم ما ذكره بول بريمر في حديث له بهذا الشأن، لا يكرهنا لذواتنا، بل لسياساتنا في بلاده، وأن هذه الكراهية والعداء ليست عمياء أو جاهلة كما يزعم قواد الغرب، بل هي دقيقة ومحددة، وأفضل كثيرا من فهمنا لما يقوله هو.[٣] ثم ينقل أقوال بن لادن التي يعرب بها عن رأيه في العجز الأمريكي عن الاستمرار في محاربة الإسلام، وعن النفاق الأمريكي في التشدق بالديموقراطية والحرية في نداءاته بتاريخ ٢١ سبتمبر ٢٠٠١

---

[١] ص١٤٨.

[٢] ص ١٥٦.

[٣] ص١٥٩.

و٢١ أكتوبر ٢٠٠١ على الترتيب.

ثم يقرر الكاتب أخيرا، تحت عنوان: **ولا تزال الكلمات غير مسموعة**[١]!: ينقل عن ابن لادن قوله:

"سأهاجم أولئك الذين يساعدونكم، سأشن حربا عليكم في العراق وأفغانستان وفي كل مكان آخر، سأهيج عليكم المسلمون، سأضربكم مرة أخرى في بلادكم، بأسلحة دمار شامل إن استطعت، وسأحاول تحطيم اقتصادكم، إنكم شرّ خالص، ونحن لا نعبأ بكم، وبمعتقداتكم، وبطرقكم، ولكنني سأجبركم على أن تخلوا عن كثير من سياساتكم تجاه العالم الإسلامي، ونحن لن نخاف ولن نضعف ولن نتراجع، ولن نفاصل، إنكم، بمشيئة الله، منهزمون"[٢]

يقول الكاتب إنها كلمات جادّة، ولكنها قد أُهملت ولم تلفت انتباه أحد من صنّاع القرار في أمريكا! وهي تعنى ببساطة "أننا قد دخلنا حربا إلى الموت مع عدو قد حذرنا بما فيه الكفاية، هذه كلمات لا تترك لنا عذرا. إن أي كوارث سيتعرض لها اقتصادنا أو بلادنا أو أبناؤنا بسبب هذا لا يمكن أن ندعى أننا لم نتلق تحذيرا بشأنها".

---

[١] يقصد كلمات بن لادن التي لا يعيرها الغرب التفاتا.

[٢] ص١٦٠.

٠٦ الفصل السادس: الغطرسة المفرطة: الحاق الهزيمة بأنفسنا - اللاحرب، تسريب المعلومات والديموقراطية المصدّرة:

وفي مقدمته لهذا الفصل تحدث الكاتب عن قضية وسائل الإعلام والتشويه التي تشوه الحقائق على أرض الواقع، وقد آثرنا أن نترجم هذه الصفحات حرفيا لأهميتها البالغة:

"تفيض في الغرب بصفة يومية، كلمات صنّاع الأخبار، ثم شارحيها والمعلقين عليها. ومنذ أحداث سبتمبر ١١ فإن قارئ الصحف أو المجلات أو الإنترنت أو مشاهد التلفاز والمستمع إلى رأي الخبراء والمتخصصين، يخرج بإيحاء أن الغرب في انتصار متلاحق في الحرب التي استعرت في يومه ذاك. ويمكن تصوير تلك الأخبار في عينة صورية غير حقيقية لما قد تكون عليه هذه الأخبار في يوم من تلك الأيام[١]: النصر في أفغانستان، تدمير طالبان، بن لادن والزرقاوي يلوذان بالكهوف، قرب القبض على فلول القاعدة، أنصار الديموقراطية الغربية يتقلدون زمام الحكم في كابل، إسحق شارون "رجل السلام"، حرب على القاعدة لا حرب على الإسلام، الحرب على الإرهاب لا علاقة لها بالدين، بن لادن يعادي الولايات المتحدة بسبب نظامها الحرّ لا بسبب سياساتها، الإسلاميون يكرهون أمريكا لما تمثله من مبادئ لا لما تمارسه من أفعال، السعودية وباكستان يقدمان المساعدة لأمريكا في حربها على الإرهاب، الغرب يجفف منابع النقد لبن لادن، خريطة السلام بين إسرائيل والفلسطينيين تسير نحو النجاح، النصر في العراق ولا وجود للمتمردين الإسلاميين، العراق يقترب من إرساء حكومة علمانية ديموقراطية حرة [٢].

ومع الإحساس المريح بأن أمريكا تنتصر في حربها، ويقترب موعد إرسائها لتلك الديموقراطية العالمية، فإن القارئ أو المستمع أو المشاهد للأخبار في الغرب لا يزال

---

[١] لتأكيد هذا المعنى نشير إلى ما نشرته الصحف في أوتاوا تحت عنوان: Reuters upset by CanWest's misuse of "terrorist" عن رويتر أنها ستطلب فتح تحقيق فيما نسب إلى مجموعة نشر اسمها "كان وست"، التي نسبت اليها رويتر تغييرها كلمات مراسليها الإخبارية عن الشرق الأوسط وتعديلها بكلمات مثل الإرهابيون والتي لم ترد في تقارير مراسليها!.

[٢] كلها مثال من الدعاية الأمريكية اليومية.

يتحسّس بين آونة لأخرى عدم الترابط بين هذه الأخبار التي تذاع عن الحرب على الإرهاب. وفي وسط أنباء الانتصارات التي نسمعها دوما، فإننا في عام ٢٠٠٤، نستمع إلى مدير مكتب التحقيق الفيدرالي FBI، يقرر أن القاعدة هي الآن أخطر مما كانت عليه عام ٢٠٠١! ثم إذا نظرت محققا في الصحف وجدت من يقول أن هذه الادعاءات عن قوة القاعدة الآن غير صحيحة! ولكن في نفس الوقت، نجد أن إدارة الأمن القومي تغيّر لون الخطر من اللون الأصفر إلى اللون الأصفر الباهت، أم هو العكس من الأصفر الباهت إلى الأصفر - من يدرى - على يافطة ذات ألوان متنافرة تشبه إشارة المرور. وهذا التغيير ينذر بأن إدارة الأمن القومي قد تحسست أن خطرا ما في مكان من العالم قد ارتفعت درجته! ثم تسمع على برنامج من البرامج سواء على شبكة سي إن إن CNN أو على برنامج أوبرا OPRAH [١] أن الهجوم القادم للقاعدة سيكون بأسلحة الدمار الشامل! ثم يتبع هذا التصريح الأمني نصيحة بشراء لوازم الإنقاذ الأولية والتي تشمل أكياس بلاستيكية تقاوم الأسلحة البيولوجية والكيماوية التي يرتفع ثمنها لحظيا في الأسواق! وهو ما يؤكد ما كانت عليه دائما طريقة واشنطن حين تشعر بأنها تواجه خطرا، ترعب الجميع معها!

وباختصار، فإن الأمريكيين أصبحوا متحيرين واختلط الأمر عليهم، أنحن في طريق النصر، أم أننا في الطريق إلى المدافن؟ أهذه التحذيرات من مهاجمة القاعدة حقيقية أم أنها لا تعدو محاولة المسؤولين أن يغطّوا مؤخرتهم حتى لا يقال أنهم لم يحذّروا الناس إن وقعت الواقعة؟ هل هذه التحذيرات من هجوم بن لادن تعكس رغبة السياسيين من الحزبين المتنافسين على الرئاسة في تغطية الاقتصاد الذي يتراوح بين الصعود تارة والهبوط أخرى؟ أهناك استراتيجية أمنية قومية ضد بن لادن أم أن الساسة يتصرفون بما هو من وحي الساعة؟

في هذا الفصل ... سأحاول أن أثبت أننا نرى الغير ونقرؤهم ونحلل أخبار من هو من خارج القارة الأمريكية بطريقة قد غشت عليها سحب مكثّفة من الغرور والذاتية لدرجة أنها يمكن أن تسمى الغطرسة الإمبريالية. وهذه الصفة في علية الساسة الأمريكيين ليست صفة طارئة عليهم، بل هي من ثوابتهم منذ أيام الحرب العالمية الثانية، حيث أننا أصبحنا نرى العالم بمنظار يجعله ذا مغزى لنا نحن (دون أهمية لما

[١] برنامج رخيص لامرأة من الزنوج يقدسونها في أمريكا على ترخصها وتفاهة برامجها!

هو عليه حقيقة) ولذلكما نواجه أحداثا لم نجد لها مبررا للفهم حيث أننا "أمركناها" لتناسب الصورة التي بنيناها للعالم فلم تعد ذات مغزى حقيقي، فنحن إن رأينا أحدا من الناس يفعل شيئا، نفترض تلقائيا أن دوافعه لذلك هي ما نحسب أنها دوافعه طبقا لمقاييسنا الذاتية التي تراكمت على مرّ السنين من تجاربنا الخاصة. لهذا، فإن بن لادن – بالنسبة لنا - هو مجرم مدفوع بالرغبة في الكسب الماديّ، وليس جنديا مسلما مخلصا لعقيدته، لأننا ببساطة نستطيع بل وتعودنا التعامل مع رجال العصابات والقضاء عليهم! ثم إننا نعتبر أن بن لادن والإسلاميين يكرهوننا لما نحضّ عليه من ديموقراطية وحرية، لا بسبب ما يراه الملايين من المسلمين مما نفعله في سياساتنا الخارجية من هجوم على الإسلام أو لأن أمريكا الآن ومنذ عشرة سنوات، تقرع كل الناس وكل الأشياء في العالم الإسلامي بشراسة.

إن ساستنا لا يزالون مقتنعين أن شعبيتنا المتدهورة في العالم الإسلامي، كما تظهرها الإحصائيات، ليست بسبب مساندتنا لإسرائيل[١]. إن بعض المعلقين السذّج الذي اقترح أن تتبنى أمريكا سياسة الاغتيالات الهادفة التي تتبعها إسرائيل في فلسطين، وهو لا يدرى أن ذلك يناقض تماما نصيحته الأخرى بأن تتحرك أمريكا بشدة لإقامة جسور من التفاهم مع الإسلاميين المعتدلين في مصر والسعودية! وهم لا يربطون ذلك بتلك المعايير الثنائية التي نستخدمها والتي تجعل الحظر على الأسلحة النووية أمر يمكن التغاضي عنه بالنسبة لإسرائيل والهند ولكنه أمر لا يغتفر حين يتعلق الأمر بدولة إسلامية مثل باكستان! ثم يدعى ساستنا أن مبادئ بن لادن لا دخل بالدين الإسلامي، فإنه في قارتنا تعيش كل هذه الأديان منسجمة لا عداء بينها! لذلك فإنهم يرسلون المبعوثين والمبشرين والدبلوماسيين إلى الدول الإسلامية لإجبارهم على تغيير مناهجهم وتعديل صورة إسلامهم وتغريب القرآن والسنة حتى يحصروا تدخل الدين في حياتهم في أضيق نطاق ممكن كما هو الحال الذي عليه المسيحيون في الغرب اليوم!

لهذا كله فإن الغطرسة الأمريكية لدى القواد العسكريين والسياسيين والدبلوماسيين والاجتماعيين والأكاديميين والصحفيين أقنعتنا أن المسلمين لا يفهمون مقاصدنا

---

[١] أعتقد أن الكاتب على نباهته قد فاته أن من هؤلاء من يعرف ذلك تماما ولكن يؤثر أن يقف في صف اليهود حتى ضد مصلحة شعبه مثل بوش.

الحسنة تجاههم! ثم ما يؤكد ذلك ما جاء في دستورنا من عبارة انتخاب "رئيس للعالم" لا "رئيس أمريكي"، هذا مع ما سبق من خط للتفكير يجعلنا غير مطالبين بمراجعة سياساتنا، بله تغييرها، بل فقط علينا أن نحاول شرحها بطريقة أفضل للعالم الإسلامي. هي إذن مشكلة "اتصالات" بيننا وبينهم، وأنه يكفي أن نطلب من أحد شركات الدواء والتعبئة أن تصنّع لنا عبوة من "الديموقراطية والعلمانية والرأسمالية الصالحة لعلاج أصدقائنا المسلمين" لتصديرها إلى عالم إسلامي لا يزال حتى لحظتنا هذه رافض لها على الإطلاق.

وأخيرا، فإن ما أقول باختصار، أن علينا إن أردنا تحقيق الأمن واتخاذ قرارات صائبة ورصد مقررات في محلها أن نفهم العالم كما هو، لا كما نوده أن يكون تبعا لفهمنا الخاص"[١]

ثم يمضي الكاتب فيقرر تحت ضوء ما ذكره سابقا، وتحت عنوان: **بن لادن: العدو الذي نريد، لا العدو الذي نواجه**[٢]: فيؤكد ما ذكره من قبل أنه ليست هناك أية أسس لافتراض أن بن لادن ليس هو كما يصفه من قابلوه وعرفوه، مسلم مخلص موهوب كريم صبور بشكل غير عادي، قد حبي بمقدرة فائقة على التخطيط والتنفيذ وبمجموعة من القادة الذين لا يتورعون عن القتل رغم أنه ليس اختيارهم الأول. وهذه هي حصيلة سبع سنوات من التقارير التي لم ترد إلينا بغير ذلك. وحتى يكون الأمر واضحا فإن هذه الصفات أكدتها ٩٠٪ من التقارير، وتبقى ال١٠٪ الباقية والتي تصفه بالدموية والرغبة في القتل قد جاءت عن طريق معادوه من الحكام المسلمين والقادة الغربيين. ثم يقرر أن أحد الوسائل التي يمكن بها تفنيد ال ١٠٪ التي تمنع من فهم الرجل بطريق صحيح، هو متابعة أقواله ومطابقتها لأفعاله، وأن ما أعلنه مرارا من أنه سيهاجم أمريكا والدول التي تساندها ليجعلها تعيد تقييم سياساتها في العالم الإسلامي.

---

[١] ص ١٦٣-١٦٧.

[٢] ص ١٦٨.

ثم تحت عنوان: **تقرير عن الحرب أم تقرير أن لا- حرب**[١]**!**، يقول: أنه من الصعب تصديق أنه خلال العقدين الماضيين من الزمان، ورغم اشتباكنا في كل هذه الحروب، فإن لم يحدث أن حسمنا حربا واحدة منها، وهو ما يعني أننا واجهنا العدو وحصرناه وانتهينا من تدميره للمرة الأخيرة! هذا لم يحدث في أي من حروبنا! ويتساءل: ما هي الانتصارات التي حققتها الآلة العسكرية الأمريكية منذ ١٩٩٠، كلها انتصارات من وجه نظرنا، يمكن مناقشة النصر فيها وغير معترف بالنصر فيها من قبل العدو! ثم يضرب مثالا بأفغانستان حيث أن كل ما صنعته الانتصارات الأمريكية هناك أنها حولت كبل إلى منطقة تعجّ بالسلع والمنتجات الأمريكية، ثم يتندر ببول أونيل، وزير المالية آنذاك، أنه نصح للسلطات الأفغانية أن تبني فندقا "خمسة نجوم" في كابل حيث أن ذلك سينشط السياحة هناك!

ثم يتحدث حديثا مطولا تحت عنوان: **الجنرالات والمحامون – صنّاع اللاحرب**[٢]: عن أثر العقلية العسكرية على رسم السياسات الأمريكية، وكذلك عن أثر مجتمع "المحامين" وأصحاب القانون في التعامل مع الحرب ومع أعداء أمريكا مما لا يجعل النصر سهلا أو معبد الطريق.

ثم ينتقل بعدها للحديث عن: **تسريب المعلومات، غطرسة أم خيانة عظمى**[٣]: وفيه يقرر أن ظاهرة تسريب المعلومات الاستخباراتية إلى الصحف تنشأ جزئيا من الشعور بالعظمة والغطرسة إذ يفترض فاعلها أن أمريكا لا يمكن أن يضرها تسريب معلومة هنا أو هناك لقوتها المفرطة، وأنه حتى لو أدى تسريب المعلومة إلى قطع الاتصال مع مصدرها الأصلي – والذي هو عادة خائن لبلاده – فإنه سنجد من نجنده بديلا عنه لخيانة بلاده كذلك.

ثم ينهى هذا الفصل بعنوان: **الديموقراطية: أقل سلع أمريكا رواجا**: فيقرر أن الشكل الديموقراطي الأمريكي لا يمكن فرضه على دول لا يعلم الأمريكيون عن تاريخها وثقافتها واجتماعياتها شيئا كما حدث في أفغانستان، وأن الساسة قد زعموا أنه بعد

[١] ص ١٦٧، "War Reporting or Reporting No War"

[٢] ص ١٧٧.

[٣] ص ١٩٢.

أن نقتل ونبيد المقاومة في أفغانستان، سوف نقيم الحكم الديموقراطي على أطلال ثقافتهم ورفات موتاهم! وهو ما لم يحدث مطلقاً. ويقرر أنه "سواء كان ممكنا أن يكون هناك ديموقراطية إسلامية قابلة للتطبيق أم لا" فإنه يجب أن ندرك أن "تجربتنا الديموقراطية هي ملك لنا وصنيعة ظروفنا الخاصة". وكما قال وزير الخارجية السالف جون كوينسى آدم عام ١٨٢١ "أنه يجب أن ننصح بما نراه صحيحا في طريق الحرية ثم لا نتعدى ذلك" ويعلق الكاتب بقوله: "إن تعدي ذلك هو محاولة المستحيل، والغير مرغوب فيه، وهو الشروع في طريق دموي بدأت خطاه أمريكا لتصل إلى ما وصلت اليه اليوم من حرية، وهو تجاهل للصعوبات الذي تلازمه، وأن نجبر أقواما على نظم سياسية لا يرغبونها ولا تناسبهم وغالبا ما سيقاومونها".[١]

[١] ص ٢٠٦.

٠٧ الفصل السابع: حين يُعِدُّ العدو مسرح العمليات: كيف يعين غباء أمريكا العنيد أعداءها.

ويُعدّ الكاتب لهذا الفصل بترديد أن بن لادن قد كان حليفه التوفيق منذ نصره الحاسم على أمريكا في سبتمبر ١١، وهو ما قاله بن لادن نفسه عدة مرات أن النصر ليس بيده ولكنه بيد الله، وأن لكل مسلم دور فيه، إذ أن مهمته الأولى هي حشد همم المسلمين للجهاد.

ويسرد الكاتب النقاط التي بنيت عليها **سياسة بن لادن "الخارجية"** فيقول إنها تدور على ستة محاور:

٠١ إنهاء المساعدة الأمريكية لإسرائيل ثم تدميرها وإقامة دولة إسلامية فلسطينية محلها.

٠٢ إنهاء الوجود الأمريكي في الجزيرة العربية، وفيما جاورها من بلاد الخليج، إذ – كما يقول المؤلف – أن نقل القوات من السعودية إلى قطر أو البحرين لا يخدع أحداً.

٠٣ إنهاء الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان.

٠٤ إنهاء المساعدة الأمريكية للحكومات المناهضة لأقلياتها المسلمة في روسيا والهند والفليبين وغيرهم.

٠٥ إنهاء سيطرة أمريكا على بترول الغرب ليكون عائده ملكا للمسلمين وتعديل سعر بيعه ليكون ملائما للمسلمين لا لمساعدة الغرب على الحياة المترفة.

٠٦ إنهاء مساندة أمريكا للأنظمة العلمانية الدكتاتورية – كما يصفها المؤلف – في العالم الإسلامي.

ثم يعقد مقارنة بين الخميني وبين بن لادن، يؤكد فيها أن ثورة الخميني كانت ضوضاء وجعجعة فارغة لم ينشأ عنها حقيقة أي قتال ضد الأمريكيين، ولكن بن لادن قد أنشأ حركة أصبحت خارج السيطرة في العالم الإسلامي كله إلا في رقعة محدودة جنوب لبنان أو في إيران حيث يقطن الشيعة. ويقول إنه يفتقد أن سبب ذلك يكمن

في أن الخميني قد صوّر أمريكا على أنها "الشيطان الأكبر" الذي يشيع الفواحش، وهو ما لا يحرك ساكنا لمجابهته، ولكن بن لادن صوّر أمريكا على أنها غازية محتلة إمبريالية انتهازية.

وتحت عنوان: **العراق، الهدية التي تلقاها ابن لادن دون أن ينتظرها**: يقول الكاتب أن بن لادن قد رأى فيما يراه النائم حلما أنه قد مع الكراهية التي تغلي بها صدور المسلمين لأمريكا نتيجة الحصار الاقتصادي على أبناء العراق مما قتل مليون نفس، فإن غزوا للعراق سيعمق هذه الكراهية أكثر وأكثر، ثم استمر في حلمه أن تمكث أمريكا بقواتها في العراق لمدة طويلة تسمح له فيها بأن يبني على هذا الاحتلال ما يوقظ به عزائم المسلمين ويدفعهم للجهاد الدفاعي، ولكنه استيقظ ولم يجد حوله أمر مما دار بخياله النائم. وفجأة في عام ٢٠٠٣، إذا بالولايات المتحدة تقرر إهداؤه هدية كهدية الكريسماس، فغزت العراق مما جعل الدعوة للجهاد الدفاعي شرعية تمثلت في فتاوى أكثر علماء المسلمين، لا بن لادن وحده.[١]

ثم تحت عنوان آخر: **نقاتل إرهابيين، بينما نحن نواجه ثائرين**: يلفت النظر إلى أمر في غلية الأهمية وهو أن معسكرات القاعدة في أفغانستان لن يكن القصد منها تخريج قتلة وإرهابيين ممن يقتلون "بالقطّاعي"! فإن هذا التدريب كان من الممكن أن يتم في أيّ شقة أو بدروم أو محلّ مستأجر ليكون بعيدا عن أعين التجسس الفضائية. وإنما كانت هذه المعسكرات تدرب أفرادها على قتال المواجهة والالتحام، بل وعلى استعمال أنواع مختلفة من الصواريخ لا يمكن أن تكون مما يستخدمه الإرهابيون التقليديون.

وتحت عنوان: **عندما يكون بناء التحالف حليفا للدكتاتورية**: يكرر الكاتب ما سبق أن ذكره من أن التأخر في الرد على أحداث سبتمبر كان سببا مباشرا للهزيمة الحالية وهو ما سمح للقاعدة وطالبان أن يعيدا التجمع ويعيدا الهجوم مرة أخرى. ويقول أن سياسة أمريكا في إنشاء التحالفات الدولية لا تصلح إلا في حالة الكوارث الطبيعية أو الإنسانية، أما في حالة تعرض الدولة لكارثة أمن قومي فلا محل للتأخير في الرد لبناء تحالف دولي.

ثم يتحدث عن **تغيير سياسات الهجرة**، والتي أعقبت أحداث سبتمبر ١١ ورأى فيها المسلمون أنها تقصد إلى إذلال المسلمين، وحذروا من أنها تعمّق الكراهية ضد الغرب، بل إن محمود عباس قد كتب في جريدة الشعب القاهرية "لماذا لا تقوم

---

[١] ص ٢١٢/ ٢١٤.

الحكومة المصرية بأخذ بصمات أصابع الأمريكيين المقيمين في القاهرة وتسألهم عن علاقاتهم بإسرائيل والمخابرات الأمريكية CIA". وبالطبع فإن الكاتب يذكر أن هذه السياسات وان كانت مبررة من وجهة نظر الأمريكيين لحماية بلادهم وأنفسهم من هجوم آخر، إلا أن ابن لادن قد اتخذها ذريعة أخرى ليشحذ همم المسلمين على أنها دليل آخر على سياسات أمريكا لإذلال المسلمين.

ثم يتحدث عن: **أهي حرب قنابل دقيقة التصويب أم هي تدمير لمسلمين في براميل؟** فيصف تلك التقارير اليومية التي يقوم بها الجنرالات الأمريكيون فيعرضون فيديو يصور كيف أن الطيار صوب على هدفه الصناعي أو التجاري أو أيا كان، ثم جعله في ملتقى شعرات سلاحه على التلسكوب، ثم يتبع ذلك فترة صمت لا يقطعها إلا صورة خرساء لانفجار هائل. ولا يعرض أحد مدى الخسائر التي تبعت هذا الانفجار. وهذا مما يمكن أن يفهمه الأمريكي إذ أنهم يريدون أن يؤكدوا لدافع الضرائب الأمريكي أنهم يعملون لصالحه وأنهم يحاولون مع ذلك تقليل الخسائر الجانبية. ولكن مثل هذه الفيديوهات تمثل تناقضا لدي المشاعر الإسلامية إذ هي بينما تعرض العنف والقتل الذي يتعرض له المسلمون، تريد أن توصل رسالة بعدم تعرض المسلمون للعنف بتقليل خسائرهم. وهذ نقطة أخرى يعتمد عليها بن لادن لإعداد مسرح الكراهية ضد الأمريكيين.

ثم ينهي الكاتب هذا الفصل بأن يقرر أن الأمريكيون يعانون مما صنعت أيديهم في العالم الإسلامي، وأن مهما تكن أفعالنا موجهة لحماية أنفسنا كقوانين الهجرة أو استخدام قنابل التصويب الدقيق، فإن مثل هذه التصرفات ستظل تعتبر في الحس الإسلامي أنها دليل التمييز العنصري والنفاق والجبن الأمريكي الذي يقصف من السماء خوف المواجهة على الأرض. ثم يقول إن العوامل التي تؤدى إلى فشل أمريكا في رؤية الوبال الذي تجره عليها سياساتها تجاه العالم الإسلامي هي ذاتها الوقود الذي يستعمله بن لادن ليضاعف قوته أضعافا كثيرة والتي هي غير مرئية لكافة السياسيين في أمريكا لعماهم.[١]

[١] ص ٢٣٥.

٨. الفصل الثامن: طريق المستقبل: بعض أراء ومقترحات للمناقشة

وفي الفصل الأخير من كتابه، يعرض الكاتب آراءً ويطرح نصائحاً للقيادة الأمريكية يرى أنها جديرة بالمناقشة. وهو يبدأ الفصل بتقرير أن أول ما يتعلمه رجل الاستخبارات أن لا يتدخل في السياسة وأن لا يحاول رسمها، إنما عليه أن يمدّ صانعي القرار بالمعلومات لا غير، إلا أنه في هذه الحالة فإن الأمر قد اتخذ شكل تقديم معلومات "منتقاة" إلى صنّاع القرار بدلا من كل المعلومات وهو بديل للمشاركة في صنع القرار. [١]

وقد قسّم هذه النصائح إلى قسمين:

الأول: خطوط عريضة للاعتبار: وهذه العناوين التي ناقشها تحت هذا القسم:

١. استرخوا! فإنها حرب لا أكثر ولا أقل: يقول الكاتب أن التصرفات الأمريكية مخجلة وكأنما هذه هي الحرب الأولى التي تخوضها أمريكا لما تعكس من فزع، مع كل هذه الألوان من مستويات الإنذار كأنها علامات مرور، مع عدم وجود أي وضوح في الرؤية لتلك الإنذارات!

٢. كفي احتفالات بالموت والهزيمة: وفيه ينعى على الصحافة وأجهزة الإعلام والأجهزة الحكومية التكرار المثبط للهمم بذكرى الهزيمة في سبتمبر ١١، وأنه يجب أن توفّر هذه الاحتفالات للانتصارات الحقيقية حين تتحقق.

٣. اعترفوا بأننا مكروهون، ولسنا متفَهَمون بطريق خاطئ: وفيه يقول أن القاعدة ومن ورائها حشد متزايد من المسلمين يكرهون الأمريكيين لا أنهم يفهمون رسالة الأمريكيين "الحضارية" خطأً، وهم على حق في ذلك إذ يكفي أن ننظر إلى ما يعدّده بن لادن من الأفعال الأمريكية لنعرف لماذا يكرهوننا:

a. مساندة إسرائيل دون قيد أو شرط ضد الفلسطينيين.

---

[١] ص ٢٣٨.

b. الوجود الأمريكي العسكري على أراضي الجزيرة العربية.

c. الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق.

d. مساندة أمريكا لروسيا والهند والفليبين في حربهم على الجاليات الإسلامية في بلادهم.

e. الضغط الأمريكي على دول البترول للسيطرة على أسعاره ومصادرته.

f. مساندة أمريكا للأنظمة الحاكمة الدكتاتورية الخارجة عن الشرعية الإسلامية.

٤. تعودوا على القتل، وبكفاءة! وفيه يقرر أن هذه النوعية من الحرب التي لا تغني ولا تسمن من جوع لن يكون فيها النصر على الإسلاميين وعلى الإسلام، إذ أن ذلك يستدعى الهجوم بشكل كاسح على كافة "الطرق، الكباري، الأراضي الزراعية، مصادر الطاقة، المصانع والمناجم، وأكثر من ذلك حتى نقطع على العدو أي سبيل إلى تلقى المساعدة"[١]. ويكمل قائلا "إن هذا يستتبع بلا شك مذابح هائلة للمدنيين، وتشريد الملايين، ومخيمات اللاجئين، وهي مرة أخرى، وان كانت أمور غير مرغوبة وممقوته، إلا أنها هي الخيار الوحيد طالما أننا نتمسك بتلك السياسات الفاشلة تجاه العالم الإسلامي"[٢].

٥. الجنود المحترفون يتلقون رواتب ليلاقوا الموت: وهو يذكر الأمريكيين أنه لا يجب أن يفزعوا عند سماع نبأ مقتل أحد جنودهم، فهؤلاء الجنود قد انخرطوا في سلك العسكرية حتى يكونوا رهنا لإشارة بلادهم في مثل هذه المواقف.

٦. لن يقوم الآخرون بعملنا "القذر" بدلا منّا: لا يجب أن تعتمد أمريكا على غيرها لمساعدتها في أداء ما يجب عليها وحدها أداؤه حين يكون الأمر أمر أنها

[١] ص ٢٤١.

[٢] ص ٢٤٢.

القوميّ، لا الأمم المتحدة ولا التحالفات الهزيلة التي لا فائدة منها إلا تخفيف العبء العسكري والمادي عنها.

٠٧ راجعوا ما يمكن مراجعته واستعينوا بالخبرات المتوفرة: استفيدوا من الأخطاء السابقة ومن خبرات من سبقكم، فإنه على سبيل المثال لم ننجح في إغلاق الحدود الأفغانية وتركنا للعدو فرصة الدخول والخروج بحرية، ونسينا كذلك أن العراق هي – بعد السعودية – أرضا تحمل ثاني مقدسات للمسلمين (يقصد الشيعة). وهذه الأخطاء سببها أن صانعي القرار لا يحترمون بل يحتقرون أصحاب الخبرات إلا إن كانت تقنية بحتة. وها كم مثالا مما ذكر بوب وودوارد في كتابه "حرب بوش" عن المناقشات التي دارت قبل غزو أفغانستان، فإنك لا تجد إشارة واحدة لتأثير العقيدة الإسلامية والشعور الديني على هذا الأمر كله عند هذه الجماعات.[١]

٠٨ لا تتعاملوا مع بن لادن على أنه "إرهابي": وهي نصيحة – كما عبر – يجب على الأمريكيين قبولها وإن غصّت بها حلوقهم ولم يهضموها. الحرب مع ابن لادن – كما يقول – هي حرب بمعناها التقليدي مع عدو قادر على الرد في بلادنا، فلا يصلح في التعامل معها الحرب الاستخباراتية وحدها ولكن يجب أن تحشد لها كل القوى إذ أنه رغم أن ابن لادن ليس عدوا ممثلا في دولة لها عنوان محدد، إلا أنه يستمد المساندة من بليون مسلما ليس لهم مكان محدد لمقاتلتهم فيه وهم أكثر من ذلك يعتبرون أن الموت في هذه المهمة هو طريقهم للجنة.

٠٩ اعملوا على تطوير مصادر الطاقة لتأمين احتياجاتنا: فإن كما يقول أهم أسباب هذه الحرب هي السيطرة على مصادر الطاقة في بلاد المسلمين.

٠١٠ الإسلام في حرب ضد أمريكا: بينما أن قادة أمريكا لا يصرحون بأن حربهم هي مع الإسلام، فإن بن لادن يصرح بها في كل مناسبة "هذه حرب دينية" ويقول "لا يجب أن ننسى أن عداؤنا لهم هو عداء عقائدي". ويقرر أن عدم الاعتراف بأن هذه حرب مع دين له مصادر بشرية واقتصادية هائلة لن يتسبب إلا في عدم الاحتراز من العواقب وعدم الإعداد للحرب بشكل كفء. ثم يتساءل: ماذا

---

[١] ص ٢٤٥.

يعنى أن نكون في حرب مع الإسلام؟ ويجيب أن ذلك يعنى أن نكون أكثر جدية في النظر لهذا الأمر مما نحن عليه، يقول:

"إن الحرب قد شنت علينا بسبب ما نفعله كأمة في بلاد المسلمين، وهو ما حدا بن لادن أن يعلن الحرب علينا بسبب هذه الأفعال والسياسات، وهو إعلان مبني على حقائق ورؤيا حيادية لدورنا في تلك البلاد... ونحن كأمة مستقلة، لنا أن نتبنى السياسات التي نرى أنها تخدم مصالحنا القومية في تلك البقاع من الدنيا، ولهذا قد انتخب قادتنا لتنفيذ ما فيه مصالحنا. فيجب إذن أن نقبل أننا في حرب مع الإسلام أولا، ثم أن نعلم أن ذلك يستدعى التفاقم المتصاعد لهذه الحرب تدريجيا مما سيكلفنا أكثر مما يمكن أن نتخيله حاليا، وثالثا، أن نبدأ في فتح باب الحوار في موضوعات حساسة مثل علاقتنا بإسرائيل، ومصادر الطاقة، الديموقراطية "على الطريقة الأمريكية" التي نريد تصديرها للخارج، ذلك قبل أن يفوت الأوان ويندثر أسلوب الحياة الأمريكية.[١]

الثاني: ضرورة مناقشة الخطوط العريضة الآن: وتحت هذا القسم، يقرر الكاتب أن هذه الحرب الحالية أصبحت لا مفر منها، وأن الخيار الآن ليس بين الحرب والسلام، ولكن بين أن تخوض الولايات المتحدة الحرب بتكاليف بشرية أقل، وأن "العالم الإسلامي لأكثر من ثلاثين عاما يستمع لوعودنا الكاذبة في تغيير سياساتنا بلا جدوى، ... وهو ما صدمني كضابط استخباراتي قديم وكدارس للتاريخ أننا نعمل بسياسات مناقضة لمصالحنا"[٢].

وتحت عنوان: **ببساطة ويسر: بن لادن هو على ظاهره:** يقول المؤلف "دعونا لا نتحدث عن بن لادن القاتل المحترف مصاص الدماء المعقد جنسيا ونفسيا الذي هو ألعوبة في أيدي غيره.. وسائر تلك الصفات التي يحلو لنا أن نرددها عنه. فإلى أن يثبت لنا عكس ما نراه بأعيننا وما ذكره عنه من رأوه وتحدثوا إليه، فسوف نتحدث عن بن لادن الموهوب القيادي الهادئ ذي الرؤية البعيدة الذي سبب عداؤه لنا

---

[١] ص ٢٤٩.

[٢] ص ٢٥٣.

تهديداً متنامياً من كافة أنحاء بلاد المسلمين لا من جماعته "المضطربة عقليا".[١]

ثم يقرر أخيرا، تحت عنوان: **ليست هناك مشكلة لا يمكن الحديث عنها**: أنه يجب أن يرى الأمريكيين المشكلة على أنها ليست "مشكلة بن لادن" بل على أنها "مشكلة الإسلام" أو "المشكلة الإسلامية". ثم يحكى عن العديد من علماء المسلمين، عدا بن لادن، فتاواهم التي أعقبت غزو العراق من الدعوة إلى الجهاد الدفاعي وشرعيته، وتحث المسلمين على مقاومة "الكفار" ومشروعية قتالهم وقتلهم، كما في كلمات الشيخ سلمان العودة الذي هي مرآة لكلمات ابن لادن[٢]. ثم يقول إن الواقع يقرر أنه اليوم يوجد عشرات الملايين من المسلمين ممن يرون أن الإسلام عرضة للهجوم من الولايات المتحدة. [٣] ويضع بعض الأسئلة التي يجب الإجابة عنها:

١. هل من صالح الولايات المتحدة أن تستمر في الدفاع عن إسرائيل مهما كانت التكلفة البشرية والمادية؟ وهل هذا الدفاع ناشئ عن مراعاة المصلحة القومية أم إنه مجرد عقدة الذنب بسبب "الهولوكوست" مذابح اليهود (المزعومة) في الحرب العالمية الثانية؟ وهل تخشى أمريكا أن تفقد السيطرة على دولة سمحت لها بأن تكون نووية؟ ومتى يفهم القادة الأمريكيون أن عبارة "المصلحة القومية الأمريكية" ليست مرادفا لعبارة "المصلحة القومية الإسرائيلية".

٢. ويقود هذا السؤال إلى التساؤل الأهم، وهو هل يجب على الولايات المتحدة أن تترك هواجس العالمية وأن تغلق عليها حدودها ما استطاعت ذلك؟

٣. هل هناك سبب لمساندة أمريكا لتلك الأنظمة الدكتاتورية الحاكمة في البلاد الإسلامية، عدا السيطرة على منابع النفط؟

٤. هل نحتاج إلى قوات تحتل دولا إسلامية ونتواجد على أرض الجزيرة العربية؟ هل هناك مبرر لذلك، خاصة وهذه الأمور هي التي تقوى موقف بن لادن

[١] ص ٢٥٤.

[٢] لا أعتقد أن المؤلف يدرك أن التوافق بين بن لادن وبين سلمان العودة وغيره من علماء المسلمين هو من قبيل الصدفة، إنما لأن الكلّ يستقي من نبع واحد.

[٣] ص ٢٥٦.

ودعوته؟

٥. هل من حقنا، أو من واجبنا الأخلاقي كذلك أن نحاول إقامة نظم ديموقراطية علمانية في بلاد لا تبدو منها حتى رائحة قبول تلك النظم؟ هل ستهلك أمتنا إن لم تكن بقية دول العالم تعيش أسلوب حياتنا تماما؟ أم أن هذه المحاولات هي ذاتها السبب في عدم الاستقرار العالمي؟[١]

وبعد أن سردنا نصائح المؤلف وتوجيهاته كما وضعها، نود أن نلخص نتيجته للقارئ لأهميتها الفائقة في فهم ما خلص اليه. فقد دارت نصائحه على نقاطتين محددتين:

١. أن تقر أمريكا أن حربها هي حرب ضد الإسلام والمسلمين وأن تتوقف عن المراوغة بترديد أنها حرب ضد الإرهاب.

٢. أن هناك اختياران لا ثالث لهما أمام القيادة الأمريكية:

a. أن تقرر المضي قدما في خطتها في هذه الحرب، وفي هذه الحالة يجب أن لا تتردد في قصف كل ممتلكات المنطقة الإسلامية وثرواتها وأرضها ومبانيها التحتية ومصادر مياهها حتى تقطع كل أمل في تقديم أي مساعدة للقاعدة، وبالطبع فإن النتيجة الحتمية لهذا الخيار هي مقتل عدة ملايين وتشريد عشرات الملايين وتخريب المنطقة بكاملها، ولكن، كما يقول المؤلف، هذه هي الخطوة الشجاعة التي يجب أن تقدم عليها أمريكا إن أرادت أن تسير في طريق هذا الخيار.

b. أن تغير، بكل بساطة، سياستها تجاه الشرق الأوسط وتجاه الإسلام والمسلمين، وأن تراجع سياساتها تجاه إسرائيل، وبهذا يمكن أن نتفادى هذا الدمار الشامل، إن أرادت أن تسير في هذا الخيار.

---

[١] ص ٢٥٧/٢٥٨.

تعليق المحلل:

ثم، أخيرا، ولا أريد أن أطيل على القارئ بعد هذه الجولة التفصيلية في الكتاب، أود أن أشير إلى أن صدور مثل هذا الكتاب الذي يحمل وجهة نظر أقرب ما تكون إلى الصحة والإنصاف لا يدلّ على أن السياسة الأمريكية وشيكة على التغيير! بالعكس، فإن كل الشواهد التي نعيشها في مرحلة الانتخابات الأمريكية إنما تدل على ثابت من ثوابت التاريخ الحديث، أنه، لسبب من الأسباب، فإن شرار الناس هم الذين يتقلدون سدّة الحكم في كل مكان، لا عقلائهم وأولى الفضل منهم. ووجود مثل هذا الرجل العاقل لا يدل إلا على ذلك المبدأ، فهو كما نرى ليس مرشحا للرئاسة.





الفهارس العامة

لمجموعة الأعمال الكاملة



المجلد الأول

العقيدة

المقدمة ٧

المختصر المفيد في مفهوم التوحيد ١١

* **الإسلام ١٣**

- **التوحيد ١٤**

- **الربوبية ١٥**

- **الألوهية ١٦**

- **الطاغوت ٢٠**

- **الحكم ٢١**

- **الولاء ٢٦**

- **النسك ٣٣**

* **الإيمان ٣٥**

* **ملحق: تحقيق النظر في نواقض الإسلام العشرة ٣٩**

كتاب حقيقة الإيمان ٥٥

* **تصدير ٥٧**

* **مقدمة طبعة دار الأرقم ٥٩**

* **مقدمة الطبعة الأولى ٦١**

* **الباب الأول مفاهيم ضرورية ٦٨**

- الفصل الأول: الإسلام والإيمان ٦٨

- الفصل الثاني: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ٧٥

- الفصل الثالث: أولاً: الاعتقاد ١١٤

- ثانياً: الإصرار والرد ١٣٣

* **الباب الثاني: الرد على المرجئة ١٤٣**

- الفصل الأول: مجمل أقول المرجئة ١٤٤

- الفصل الثاني: أحاديث الشفعة وحقيقة الشهادتين ١٤٨

- الفصل الثالث: ردود على الشبهات ١٦٤

- أبو طالب ١٧٦

- جارية معاوية بن الحكم ١٧١

- النجاشي ١٧٣

- مؤمن آل فرعون ١٨١

* **الباب الثالث: الرد على الخوارج ١٨٣**

- الفصل الأول: مجمل أقوال الخوارج ١٨٤

- الفصل الثاني: بحث في أقسام المعاصي ١٩٧

- الفصل الثالث: نقض أدلة الخوارج ٢١٠

- خاتمة ٢٣٠

مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفريقهم ٢٣٣

* مقدمة ٢٣٥

* الفصل الأول العوامل الداخلية ٢٦٣

- تمهيد ٢٦٣

- المبحث الأول: إتباع الهوى ٢٦٦

- المبحث الثاني: التعصب ٢٩٨

- المبحث الثالث: الجهل ٣١١

* الفصل الثاني: العوامل الخارجية ٣٢٢

المعتزلة بين القديم والحديثة..٣٤١

* مقدمة ٣٤٣

* الفصل الأول الصديق الجاهل ٣٤٧

- تعريف علم الكلام ٣٥٢

- مآخذ أهل السنة ٣٥٤

- مراحل علم الكلام ٣٧٠

* الفصل الثاني: عقائد المعتزلة ٣٧٨

- الأصل الأول: التوحيد ٣٨٠

- الأصل الثاني: العدل ٣٩٠

- الأصل الثالث والرابع: الوعد والوعيد, المنزلة بين منزلتين ٤٠٥

- الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٠٩

* الفصل الثالث: تطور المعتزلة الفكري والسياسي ٤٣١

* الفصل الرابع: المعتزلة في العصر الحديث ٤٥٢

* الخاتمة ٤٦٧

فتنة أدعياء السلفية وانحرافاتهم ٤٧٣

* المقدمة ٤٧٩

* الفصل الأول: تعريفات ضرورية ٤٨٤

* الفصل الثاني: تعريف مجموعة المنتمين إلى أهل السنة ٤٩١

* الفصل الثالث: أدعياء السلفية بين الخوارج والصوفية ٥٠٦

* الفصل الرابع: نقض القواعد الأساسية للمداخلة ٥٢٠

* الفصل الخامس: بيان خدع الأدعياء ٥٤٢

* الفصل السادس: نداء إلى الجيل الناشئ ٥٥٣

* خاتمة ٥٥٦

* ملحق البحث: الرد على كتاب العتيبي ٥٥٩

دفاع عن الشريعة ٥٩٣

* مقدمة الطبعة الأولى ٥٩٥

* مفاهيم يجب أن تصحح ٥٩٧

- أزمة تطويع المفاهيم في ظل "الفكر الإسلامي" الحديث ٦٠٠

- إسلام جديد أم تجديد في الإسلام ٦٠٥

- مفهوم المواطنة بين الإسلام والعلمانية ٦١٠

* دفاع عن الشريعة ٦٢٠

- الإرجاء والمرجئة ٦٢٠

- مفهوم السببية عند أهل السنة ٦٢٧

- نظرات في الدراسات الاجتماعية ٦٥٧

- حركة الفكر وفكر الحركة ٦٧٠

- مقاصد الشريعة والتجديد السنني المعاصر ٦٧٩

* البيان الجلي في فضائح المدخلي ٦٩٣

* الهجمة على المسلمين في بلاد الغرب ٧٢٣

* التعليق على مقدمة الاعتصام الإمام الشاطبي ٧٣٤

* نظرات في فكر سيد قطب ٧٥١

* زلة عالم أم عالم من الزلل ٧٧٣

* رؤية في تحولات الحركة الإسلامة في مصر ٧٩١

* ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية ٨٠٥

* لنكن صحراء عن واقعنا الجاهلي ٨٠٩

* عن الجهاد والمقاومة - نظرة فقهية تطبيقية ٨٢٢

* عقل البدعة وبدعة العقل : طه جابر علواني ٨٢٩

* د. سليم العوا.. بين الشرع والقانون ٨٤٩

* محمد سليم العوا.. والتسوية بين الإسلام والشرك ٧٥٢

* خالد منتصر.. الحجامة ٨٥٧

* تعقيب على مقال الدكتور محمد عمارة الفاتكان والإسلام ٨٥٩

* توابع فتنة القصاصين وزوابعها.. ٨٦٢

* د. محمد عمارة وأحاديث الآحاد ٨٦٤

* القرضاوي وتصويف السنة ٨٦٦

* فتوى الدكتور عبد الرحمن البر، عضو الاخوان ٨٦٩

* فتوى الريسوني وآخرين.. في تسهيل أمر الردة عن الدين ٨٧٢

* الوجه القبيح لمحمد عمارة.. ٨٧٥

* محمد عمارة.. في ركب أرباب المواطنة ٨٧٨

* الطريق الي إنقاذ الأمة بين محمود شاكر وسيد قطب ٨٨١

* محمد عمارة وكتاب "الإسلام في مواجهة التحديات".......................... ٨٨٧

* القرضاوي وكتاب "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة"........................ ٩٠١

السيرة الذاتية ومسيرة نصف قرن.. ٩١١





المجلد الثاني

أحداث الشام كما عايشتها

الفترة الأولى نوفمبر ٢٠١٣ - ديسمبر ٢٠١٥





القسم الأول: المقالات

مقدمة المجلد الثاني ٩

تقديم الشيخ د هاني السباعي ١٥

مقدمة ١٧

دعوة للصلح والصفح بين المجاهدين في الشام ٢٧

حملة كشف الرويبضات ٣٤

تعقيب على تعليق أبو معاذ الشرعي بالدولة ٣٨

"الإنصاف فيما يجرى على أرض الشام من اختلاف" ٤٣

محاورة بين شرعيّين ٥٧

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة! ٦٣

تعقيب على مقال "بين إلحق بالقافلة أو الحق القافلة" ٦٤

تعليقٌ على ردّ منشور – في موضوع الشيخ الحازميّ ٧٢

بيان براءة ومفاصلة ٨٦

تلخيص الكلام في شبهات العوام ٩٤

هذا منهاجكم معوجّا فاتركوه - مظاهر مذهب الحروريّة ١٠٠

هذه رؤوسكم .. فاقطعوها - الإعلام ببهتان العدناني ١٠٤

نعم باقية .. لكن على السُّنة لا البدعة ١٢٥

لن يصير الضبعُ سبعاً .. يا تركيّ! ١٣٠
تعليق عاجل على تسجيل الشيخ الجليل د أيمن الظواهري ١٤٠
تكملة التعليق على بيان الشيخ الظواهري ١٤٢
رفع الإشكال في كلمة الشيخ الظواهري بوقف القتال ١٤٧
رأينا في تنظيم الدولة الحرورية المارقة ١٤٩
بين دولة الكفر .. ودولة التكفير! ١٥٠
أسئلة محددة لمناصري الدولة ١٥٢
حين يتحدث الرويبضة..! صعلوك علم .. يُغير على سيده ١٥٥
عن ميثاق الشَرف الثوري السوري ..! ١٥٧
المخطط المُرتقب في صراع الشام ١٦٢
دعوة إلى جنود أحرار الشام – بعد الميثاق ١٦٥
أهل السنة بين المطرقة والسندان .. في الشام! ١٧٠
اقتراح مقدم إلى المشايخ الأجلاء ١٧٥
الجهاد السوري .. على مفترق الطرق! ١٧٦
الفائزون والخاسرون في النظام الشرق-أوسطي الجديد ١٧٩
نكبة أهل السُنّة في العصر الحاضر ومأساة الدير ١٨٣
الغرور، الغطرسة الطفولة السياسية .. المنهج الحروريّ؟ ١٨٥
نداء عاجل إلى علماء وحكماء ودعاة أهل السنة والجماعة ١٨٩

ما للحرورية البغدادية .. وما عليها! ١٩١
يا علماء الأمة ودعاتها .. لَا تَكْتُمُونَه!.. ١٩٧
الخلافة .. بين السنية والعبثية ١٩٩
لا والله .. ما هذا منهاج النبوة ولا هو وعد الله! ٢٠٢
لا يا بغدادي .. ما هكذا تورد الخلافة! ٢٠٦
ترجمة مجهولٍ لمجهول .. أيصلح هذا في العقول؟ ٢٠٩
خلافة البغدادي .. الخنجر المسموم في ظهر الجهاد ٢١٢
الرجوع إلى الحق فضيلة .. اعتراف واعتذار! ٢١٥
بين الخلافة وتطبيق الحدود .. بعد المشرقين! ٢١٩
بين الخلافة والإمارة .. في الواقع الشاميّ ٢٢٢
هل تجوز بيعة سُنيّ لجماعة الحرورية العوّادية؟ ٢٢٧
إقامة الحدود .. في واقع الصراع الشاميّ ٢٣٠
هل ذبح البشر من الإسلام - جُرْمُ على جُرم؟ ٢٣٦
الضربة الصليبية للحرورية العوّادية .. وموقف السنّة ٣٤٠
مسار الفكر الجهاديّ في المرحلة المقبلة ٣٤٦
أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٢٥٠
مسيرة الدم العوادية .. والنفق المظلم ٢٥٣
على هامش قرار مجلس الأمن بشأن العراق والشام ٢٥٥

من أسس قيام الخلافة الإسلامية النبوية ٢٥٨

الصقور والحمائم - في الصفّ السنيّ ٢٦١

إجتماع الفصائل السُنّية العاملة في الساحة الشامية ٢٦٥

الصراع ضد الفكر الحروريّ .. مسؤولية وأولوية ٢٦٩

نظرة في مسلسل التصرفات الداعشية ٢٧٢

الواقع الجهادي في نيجيريا .. بوكو حرام بين الحق والباطل ٢٧٦

فقه الأولويات .. في الواقع الجهاديّ المعاصر ٢٧٩

التطورات الحالية في مسرح الساحة العراقية الشامية ٢٨٤

أخوة المنهج .. أم منهج الأخوة؟ ٢٨٨

فتاوى العلماء في الحركة الإسلامية السنية – ساحة الشام ٢٩٣

بين الثورات الشعبية والحركات الإسلامية ٢٩٨

تعليق عاجل عن كلمة العدناني الأخيرة ٣٠٢

المنطقة العربية .. والفوضى المُمَنهجة ٣٠٧

بيانٌ على مقال حكم العمليات الاستشهادية ٣١١

أين الخلل؟ وما المخرج؟ رؤية خاصة بعد الأحداث ٣١٥

أين الخلل؟ وما المخرج؟ رؤية خاصة بعد الأحداث ٣١٩

أين الخلل؟ وما المخرج؟ رؤية خاصة بعد الأحداث ٣٢٢

على هامش الحملة الصليبية والتكتيك الحروريّ ٣٢٦

الموبقات العشر في فكر الحرورية الأشرّ ٣٢٨

الطوفان القادم على آل سعود - وما بعد الطوفان! ٣٣١

أخطاؤنا - بذرة الزقوم والشجرة الحرورّية الملعونة ٣٣٤

دعوة إلى توحد فصائل السُّنة في مواجهة خطر العدو ٣٤٠

الرد على فتوى ضالّ مخذول.. ٣٤٢

رسالة مفتوحة لمجاهدي سنّة اليمن ٣٤٥

الشرق الأوسط الجديد .. في مرآه السياسة ٣٥٠

دول السقوط ... وسَقْطُ الدول ٣٥٥

بديل الخليفة! ٣٥٧

الهداية السنية في البيعات العوادية جزء ١ .... ٣٦٠

الهداية السنية في البيعات العوادية جزء ٢ .... ٣٦٤

ماذا بعد المباحثات الغربية الصفوية النووية! ٣٦٧

وقفة هادئة مع بيان تنظيم قاعدة اليمن ٣٦٩

السياسة الشرعية ... بين الصحة والبطلان ٣٧٣

القاعدة الذهبية في معاملة أصحاب البدعة البعثية الحرورية ٣٧٩

تعليق على مقال شؤون استراتيجية - النظام السياسي في الإسلام ٣٨٢

uk الوثيقة التاريخية المسربة.. ٣٨٦

موقف الدين والعقل والواقع من قضية الدعم والتحالف ٣٩١

تعليق على الحلقة الثانية من سلسلة الربيع الإسلامي ٣٩٩

اللاجئون .. وداعش .. والغرب ٤٠٣

ردّ على بعض شُبهات .. حَرورية أم غلاة؟ ٤٠٨

رؤية في وضع الساحة الشامية .. أهناك حل يلوح! ٤١٣

بين الراية النقية والراية العمية .. المناهجة واللامناهجة ٤١٧

الحجة القائمة ... والعقول المتورمة! ٤٢٠

الفصام النكد ... وقضية التكفير ٤٢٤

كفر دون كفر ... وتكفير دون تكفير ٤٢٩

رسالة إلى إخواننا المجاهدين في القوقاز ٤٣٣

فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ... .... ٤٣٥

مناقشة سريعة للفكرة العوادية في مسائل البيعة والخلافة............................ ٤٣٨

تذكرة بشأن الوضع السياسيّ الحاليّ في المنطقة العربية ٤٤٢

الموقف التركي السعودي .. إرهاصات بماذا؟ ٤٤٦

الفتنة الكبرى .. والمسيخ السامرائي ٤٤٩

هل قضت داعش على الفرصة السانحة للأمة؟ ٤٥٣

انهيار المنظومة الأخلاقية بين السيسي والسامرائي ٤٥٧

حرب العصابات في مجال السياسة الشرعية ٤٦١

لماذا تريد الحرورية قتلنا؟ ٤٦٧

بين مفهوم القوة والنصر في الفوضى الشرق-أوسطية ٤٧١

المشكلة السورية .. بين الجهاد وبين ابن عواد ٤٧٦

أصول الإجرام عند الحرورية اللئام ٤٧٩

مسوح الخلافة ٤٨٢

تعليق على مقال شؤون استراتيجية - النظام السياسي في الإسلام ٤٨٧

هل يحيا الأمل من جديد في الشام؟ ٤٩٤

قوم عاد .. قوم ابن عواد ٤٩٨

نقاط استراتيجية .. في التعامل مع العوادية ٥٠٠

السنة ومكانتها في الساحة الشامية ٥٠٤

هذا قولي وأمري إلى الله .. عن أبي محمد المقدسيّ ٥٠٨

السنة .. بين الحرورية العوادية والإرجائية الإخوانية ٥١٢

الحَوَل العقدي والسياسي ... رد على لؤي الزغبيّ ٥١٥

- a. تفصيل ٥١٨

دين المارقة .. وخدعة التنظيم ٥٢١

حول بيان فصيل "جند الأقصى" .. ومسائل أخرى ٥٢٣

تأسيس النظر فيما في طرق العوادية من خطل وضرر ٥٢٦

تحقيق النظر في نواقض الإسلام العشرة ٥٣٢

شهادة ممن درس على يد الدكتور طارق عبد الحليم ٥٤٥

رسالة إلى أمير المجاهدين الشيخ د أيمن الظواهري ٥٤٦

القول الأمين في الإقامة بين ظهراني المشركين ٥٤٩

نظرة في موقف القاعدة من "تنظيم الدولة" ٥٥٠

قول في مناظرة د عصام العويد ومحمد رزق ٥٥٤

بيان للأمة الإسلامية عن حقيقة تنظيم العوّادية الحرورية ٥٦٢

معركتنا الحقيقية مع العوادية الحرورية ٥٦٦

تعليق على مقال الشيخ المقدسي "تكفير الخوارج.. " ٥٧٠

ماذا بعد مؤتمر الرياض؟ ٥٧٢

الحكم بغير ما أنزل الله .. والتدليس السعودي ٥٧٥

معالجة شَرعية ونفسية عن مؤتمر الرياض ٥٧٩

- a. ثم إلى ما سوّدت في صفحتك ٥٨٠

- b. أما عن مرسي فك الله أسره ٥٨١

- c. أما عن أردوغان ٥٨١

القسم الثاني: خواطر وتغريدات شامية

تغريدات: إذا قلنا للمتميّعين ٥٨٧

توضيح على الخلل في منطق ماجد الراشد بشأن مؤتمر الرياض ٥٨٨

"مشروع أمة لا جماعة" – والسؤال: كيف؟ ٥٨٩

المذهب التبريري .. في العمل الديموقراطيّ ٥٨٩
ظاهرة الغضّ من قيمة العلماء – أسبابها وأثرها ٥٩٠
مجموعة تغريدات مؤتمر الرياض ٥٩١
بناء الانسان قبل بناء الأمم ٥٩٤
متابعة على تعليقي – فتوى الشيخ المقدسيّ ٥٩٥
ما الدافع وراء دعم السعودية وأمريكا لبعض الفصائل؟ ٥٩٦
قول في بحث للشيخ الفاضل أبو محمد المقدسي ٥٩٧
النظام العالمي والشرق الأوسط ٥٩٧
هؤلاء ... وأولئك ..! ٥٩٨
مجموعة تغريدات سياسية عن الوضع الحالي اليوم ٥٩٩
قل لي يا صاحب سقف التمكين ..! ٦٠٠
تغريدات سياسية ٦٠١
تغريدات د طارق عبد الحليم ٦٠٢
تغريدات د طارق عبد الحليم – ١٩ نوفمبر ٢٠١٥ .... ٦٠٣
التحالفات الخارجية والمطامح الشخصية في جهاد الشام ٤٠٦
أتباع تنظيم الدولة الخارجي أصناف ٦٠٥
تعقيب على فتوى الشيخ أبو محمد المقدسي - ٢٢ نوفمبر ٢٠١٥ .... ٦٠٦
تغريدات د طارق عبد الحليم – ٢٠ نوفمبر ٢٠١٥ .... ٦٠٦

منهجان لا يلتقيان ٦٠٧

سفاهة على بلاهة .. سفيه ينقش لأمثاله – ١ .... ٦٠٨

سفاهة على بلاهة .. سفيه ينقش لأمثاله – ٢ .... ٦٠٩

نصيحة محب لجبهة النصرة ومنظريها وشرعييها ٦١٠

خطة العدو الثلاثي في الشام – إنذار خطر ٦١٠

أأنت في ضمير الأمة وجسدها؟ ٦١١

حول الوضع العالمي ومسألة الشام والإسلام ٦١٢

مقتطف من بحث "ماذا يجرى على ساحة الشام" ٦١٣

رسالة إلى أهل مصر .. في عيد التضحية ٦١٤

يا أبا فراس ويا أبا عبد الله الشامي ويا أس الصراع، كفوا اليوم! ٦١٥

تعليق على التعليق ٦١٦

كلمة نافعة في موضوع الرافعة ٦١٦

تلخيص أحكام الدواعش الحرورية اللئام ٦١٧

مشروع القاعدة ٦١٨

القول الرشيد في قصيدة "يا بحر" للدكتور عبدالرحمن العشماوي ٦١٩

تحذير من كارثة تطرُق باب الشام! ٦٢٠

يا مصر .. أين الحلّ؟ ٦٢١

التعاون والتحالف والدعم على الساحات الجهادية ٦٢٢

تغريدات وفاء لمن قدّم حياته في سبيل دعوة الحق ٦٢٣

حقائق .. للتاريخ والعقلاء ٦٢٥

أمانة المسلم ٦٢٦

"العالم" ... في الميزان ٦٢٧

مثال آخر من الحَوَل العقدي – إيمان مصطفى البغا ٦٢٨

يا فتية التجديد والمرونة .. أين يعيش عبد المنعم حليمة؟................................ ٦٢٩

خطرات شامية - ٢٢ أغسطس ٢٠١٥ – ٨ ذو القعدة ١٤٣٦ .... ٦٣٠

من هم أهل السنة؟... حتى تتضح المصطلحات ج ٢ .... ٦٣٢

أين سقطت العوادية الحرورية ٦٣٣

بيان حول تشكيل هيئة علماء الشام والتعاون مع الأتراك ٦٣٤

ليلة خروج الحرورية .. من رحم الباطل ٦٣٥

أين تقف المقاصد .. وتبدأ الوسائل ٦٣٦

عن الشيخ الحبيب عبد المجيد الشاذلي ٦٣٧

تعليق على كلمة لبيب النحاس .. ثمن المفاوضة! الجزء ١ .... ٦٣٩

تعليق على كلمة لبيب النحاس .. ثمن المفاوضة! الجزء ٢ .... ٦٤٠

عن أحرار الشام .. وبقية الفصائل ٦٤١

من فقهيات التعامل مع أهل البدعة ٦٤١

عن كلمة زهران علوش – بتاريخ ٨ يوليو ٢٠١٥ .... ٦٤٢

تعريف الطائفة وحدّها ٦٤٣
الحرورية والتحالف .. أيهما أشرُّ على المسلمين؟ ٦٤٤
إن كانت العوادية ليسوا بخوارج .. فكيف الخوارج إذا! ٦٤٥
فتوى غلو العوادية! مرة أخرى ٦٤٦
سايكس بيكو الجديدة – يا حمير العوادية! ٦٤٦
بأيّ لون من الكفر كَفَرْنا يا عدناني!؟ ٦٤٧
تعليق على مقال "رسالة إلى المنتسب لتنظيم الدولة" ٦٤٨
مجموعة تغريدات ٦٥٠
الواجب الشرعي تجاه زلات العلماء وخبط الغُشماء ٦٥١
الورع البارد .. والشجب في وجه القتل .. لك الله يا أمة ٦٥٢
آراء أصحاب العلم في الفرقة العوادية ٦٥٢
عن التمدد .. والانكماش! ٦٥٣
فوائد عن فهم الأحداث ٦٥٤
نقاط على هامش فتوى بعض علماء السنة ١٦ شعبان ١٤٣٦ .... ٦٥٥
تعليق بشأن فتوى بعض العلماء في دفع الصائل! ٦٥٦
لمحة في خطاب الجولاني ٦٥٧
بين القائد والفقيه ٦٥٨
مسألة لا يفتى قاعد لمجاهد ٦٥٩

الالتزام بإتباع السنة ممن قاتل بشار في الشام١ .... ٦٦١

الالتزام بإتباع السنة ممن قاتل بشار في الشام٢ .... ٦٦١

إيضاح أن د مظهر الويس ألزم الحرورية بغير ما التزمت ٦٦٢

عن المدعو الطرطوسي..!! ٦٦٢

معاذ الله أن ندعو بنصر أحفاد المجوس الروافض! ٦٦٣

سمّوا الأسماء بأشيائها! ٦٦٥

دليل آخر على أن جماعة الحرورية جماعة جهل وهوى ٦٦٥

تشديد النكير على ما أحلته الحرورية باسم النفير ٦١٦

كلمات للدعاة إلى الله ٦٦٧

نهاية داعش وشيكة، فماذا أعددتم لها إلا الشقاق؟ ٦٦٩

الحرب الأهلية القادمة في مصر - هي الشام بحذافيرها قادمة! ٦٧٠

نظرة في البيان عن الإخوان ١ فبراير ٢٠١٥ .... ٦٧٠

النياشين الصدئة على ملابس الخلافة المهلهلة - صحوات الخوارج ٦٧١

لماذا لا يجدى الحوار الشرعي مع العوادية الحرورية! ٦٧٢

أين علمك يا بن عواد؟ ٦٧٣

حول حادثة شارلي أبيدو ودلالاتها ٦٧٤

الحكم بالردة وإنما الأعمال بالنيات ٦٧٤

تطبيق فتوى حكم ومعاملة شعب السيسي ٦٧٥

سؤال عن ترجمان السوء ٦٧٥

ميزان السنة ٦٧٦

عن المسعريّ ٦٧٧

دول الخليج النفطاوية ٦٧٧

يسألونك: ما هي حقيقة التحايل في تنظيم العوادية؟ ٦٧٨

ثم يسألونك: عن انشقاقات الحرورية ٦٧٩

ثم يسألونك: هل هناك فرق بين الحرورية الأولى والعوادية؟ ٦٧٩

ثم يسألونك: هل العوادية مجاهدون؟ ٦٨١

ثم يسألونك: عن تحريم بيعة العوادية ٦٨١

العلماء في مواجهة الطواغيت ٦٨٣

تعليق على أبي حمزة الدرعاوي "قتال النصرة وشهداء اليرموك" ٦٨٤

من أولى باللحاق بمن؟ ٦٨٥

عبرة من التاريخ ٦٨٦

الشبه بين السيسي اليهودي والسامرائي العوادي ٦٨٧

احذروا الشامتين المرجفين ٦٨٧

منهج النبوة ٦٨٨

كشف الجاهل الغبيّ .. صعلوك العلم الدعيّ ٦٨٩

الحذر الحذر ... يا أبناء النصرة ٦٩٠

فائدة: حتى لا تتوه الحقائق ... بيننا وبين داعش ٦٩١

فائدة: أنقذوا أهل السجون من السرطان الداعشي ٦٩٢

فائدة: صراع الخارج ... أم جهاد الداخل؟ ٦٩٢

فائدة: تسجيل مخزٍ لجماعة أوباش ... عصابة داعشية! ٦٩٣

لو كان ابن كثير حياً ..! ثم دخلت سنة ١٤٣٦! ٦٩٤

المصلحة هي السنة وإن ظهر للناس غير ذلك.. ٦٩٥

اللهم عليك بمن جَلَب الخراب على المسلمين ٦٩٦

إلى مجاهدي النصرة والفصائل ٦٩٧

ماذا حدث لأهل السنة ... يعزفون على وتر السامرائي!! ٦٩٨

موقفنا من بيان قاعدة اليمن .. ليفهم أهل السنة! ٦٩٩

فائدة: حصاد الحرورية، فكراً وعملاً، دينا ودنيا ٧٠٠

فائدة: مركبات الدين المقبول عند الله سبحانه ٧٠٠

مجموعة خواطر حية ٧٠١

فائدة: حقيقة داعش .. عصابة العشرة آلاف حرامي ٧٠٣

فائدة: ماذا بعد انتهاء الهدنة – "لأقتلنهم قتل عاد" ٧٠٤

فائدة: هل مشاركتنا في الهدنة يعنى عدم مهاجمة الحرورية؟ ٧٠٥

أولويات السنة وأولويات الحرورية ٧٠٥

فائدة: الحق والباطل ... اختلاطا واختلافا ٧٠٧

فائدة: هل تصلح النية مع سوء العمل؟ يا أتباع فصيل الدولة ٧٠٨

فائدة: صياغة الهوى .. دليلك إلى فكر الحروريّة! ٧٠٩

تويتات صباحية - ١ .... ٧١٠

تويتات صباحية - ٢ .... ٧١١

فائدة: معذرة إلى ربكم ٧١٢

إيضاحٌ لازم على مبادرة الهدنة بين الفصائل ٧١٣

فائدة: ما الذي تغيّر على الأرض بعد الحملة الصليبية؟ ٧١٤

تغريدات صباحية ٣ .... ٧١٥

فائدة: بين العقوق .. والولاء والبراء الباطل ٧١٧

فائدة: الساحة السنية .. على مفرق الطرق! ٧١٨

فائدة: المختصر في التعامل مع الحرورية إبان الحملة الصليبية ٧١٩

فائدة: أين دولتك يا بغدادي؟ ٧٢٠

من قتل قادة الأحرار؟ ٧٢١

فتنة الأحلاس والسَّرَّاء والدهيماء ٧٢٢

مجموعة تغريدات "هل تعلم" ٧٢٣

فائدة: قصة على بابا بن عواد العراقيّ والأربعين حراميّ ٧٢٧

فائدة: أخدود غزة .. وفرعون مصر وجنده! ٧٢٨

فائدة: هم الحرورية .. يا مشايخ السنة وأعمدة الجهاد ٧٢٩

هل هناك وسطية في التوصيف والتعامل مع الحرورية العوّادية؟ ٧٣٠

فائدة: القصد من تتبع العوّادية وفضح عقائدهم وتصرفاتهم ٧٣١

فائدة: ما أخبث الأمريكان .. صنعوا خلافة منبوذة في أمة محمد!........................ ٧٣٢

فائدة: ما يحدث في مصر .. قانون الأغلبية وقانون الغاب! ٧٣٣

فائدة: أصل الاضطراب في الأحكام والفتاوى ٧٣٤

الخوارج الدواعش الجهلة وإنكار التوحيد!! ٧٣٥

فائدة: هل يمكن أن يعادي المسلم العوّادية، ويدعم السلولية؟ ٧٣٦

فائدة: لا حاجة لردّ على رد حسين بن محمود ١ .... ٧٣٧

فائدة: الإباضية والعوادية .. في الميزان ٧٣٨

فائدة: بيان وإيضاح - ٢١ شوال ١٤٣٥ – ١٧ أغسطس ٢٠١٤ .... ٧٣٩

فائدة: احتمالات التدخل العسكري الغربي في الشام والعراق ٧٣٩

فائدة: هل توصيف الحرورية إعانة للصليبية........................ ٧٤٠

فائدة: يا دعاة الورع .. أي فريق ينتمي له تنظيم بن عواد؟ ٧٤١

فائدة: حقيقة الفعل العوّادي الحروريّ ٧٤٢

فائدة: تحقيق مشكلة المختلِطين في أمر العوادية ٧٤٣

فائدة: الجازوليني .. وبيع الحرورية الجاز للدول النصرانية ٧٤٤

فائدة: اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم ٧٤٥

الصحوات .. تعبيرٌ مُحدثٌ أضل الله به منْ عميت بصيرته ٧٤٦

فائدة: داء أصحاب الفضل: الحكمة الانهزامية والورع البارد ٧٤٧

فائدة: "إنك لن تهدى من أحببت" ٧٤٨

فائدة: ما وراء أكمة الحرورية، إلا الضلال ٧٤٩

فائدة: محنة الغرباء ٧٥٠

فائدة: صبراً أهل غزة .. فإن موعدكم النصر بإذن الله ٧٥٠

فائدة: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان! ٧٥١

فائدة: هل تصح مقولة لامخرج من الأزمة إلا بتوحيد الكلمة! ٧٥١

فائدة: فِطرٌ منكوسة وعقولٌ موكوسة! ٧٥٢

فائدة: أيّ طفولة عاشها مثل ذلك المجرم؟ ٧٥٣

فائدة: السبب وراء هجومي المُستمر على العوّادية الحرورية ٧٥٤

فائدة: المشترك بين البرزاني وإبراهيم عواد وبشار والمالكيّ ٧٥٥

فائدة: في تشابه الأضداد ٧٥٦

فائدة: .. بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٧٥٧

فائدة: فما له من قوة ولا ناصر ٧٥٨

فائدة: نصرك الله يا غزة الحبيبة ضد أعداء الله عرباً وصهاينة ٧٥٩

فائدة: عجبت لأتباع الحرورية البغدادية، كيف لا يرون ٧٦٠

فائدة: ردّة ولا أبا بكرٍ لها .. وسحر ولا موسى له! ٧٦١

فائدة: نشر الحرورية صور من قتلوا من السنة، ولاصور لروافض؟ ٧٦٢

فائدة: أغيثوا أنصار الإسلام من عصابة البغدادي ٧٦٣

فائدة: لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ٧٦٤

فائدة: تقسيم العراق أصبح واقعاً .. فهنيئا لداعش.................................. ٧٦٥

فائدة: ردّ الشيخين أبو محمد وأبو قتادة على الخلافة المزعومة ٧٦٦

فائدة: أقوال العلماء في تكفير الحرورية ٧٦٧

فائدة: أثر البدع في خذلان المسلم والأمة ٧٦٨

فائدة: "هل رأيت بأم عينك"! ٧٦٩

فائدة: لا زالت كما هي .. نفسية العبيد ٧٧٠

فائدة: ماذا تغيّر على الأرض .. بإعلان خلافة الغدر؟ ٧٧١

فائدة: محمد عمارة - أعداء الأمة .. من الداخل ٧٧٢

فائدة: عود على بدء .. لماذا تنظيم البغدادي يتصف بالحرورية؟ ٧٧٢

فائدة: رسالة عتبٍ إلى علماء السنة .. أين أنتم مما يحدث؟ ٧٧٣

فائدة: نفسية البغدادي .. نرجسية لا جدال فيها ٧٧٤

فائدة: خلافة النبوة قادمة .. على أشلاء خلافة الندامة ٧٧٥

فائدة: أأنتم أقومُ إسلاما من رسول الله .. يا حرورية البغدادي؟ ٧٧٦

فائدة: لماذا يكثر أتباع البدعة .. ؟ ٧٧٧

فائدة: هل هذه نهاية الجولة .. يا حرورية البغدادي؟ ٧٧٨

فائدة: موقفنا اليوم مع الحرورية .. خلافة أم خلاف؟ ٧٧٩

فائدة: مآزق مزدوجة بين الحرورية والسلولية والرافضية ! ٧٨٠
فائدة: هل يجوز الترحم على روح الشعب المصري الهالك؟ ٧٨١
فائدة: أين هي قائمة علماء قادة الأمة الجدد، الحرورية؟ ٧٨٢
فائدة: قوة الحرورية أم هوان الرافضة سبب الزحف السريع؟.............................. ٧٨٣
فائدة: لماذا نسمى تنظيم البغدادية بالحرورية لا بالغلاة؟ ٧٨٤
فائدة: عن أهل الحل والعقد ٧٨٤
فائدة: حقيقة خلافنا مع الحرورية البغدادية! ٧٨٥
فائدة: بين حصار غزة وحصار الدير .. أهناك فرق؟ ٧٨٦
توضيح على موضوع الاعتداءات على دعاة السنة ٧٨٧
فائدة: كلاب أهل النار .. لا رفع الله لهم راية! ٧٨٨
فائدة: الحرورية .. وإخوة يوسفّ! ٧٨٩
فائدة: حكاية الحافظ بن بطة وموقف أهل البدع منه ٧٩٠
فائدة: الشاطبيّ وموقف أهل البدع منه ٧٩١
فائدة: ولكن الدير لا بواكي له! ٧٩٢
فائدة: إلى ذكور الحرورية – احفظوا إناثكم أطهر لكم ولهن! ٧٩٣
فائدة: سبحان الله، يا بنعلي رفعت عينك فوق حاجبك! ٧٩٤
فائدة: معنى الحياة .. بين المسلم والكافر ٧٩٥
فائدة: بين قوة الإيمان وتشنجات الهوس الديماجوجي ٧٩٦

فائدة: بين الإرجاء والخروج .. بين التخفيف والزجر ٧٩٧

فائدة: عبرة التاريخ.. بين نازية هتلر وحرورية البغدادي ٧٩٨

فائدة: التقارب العربي الطاغوتي – الرافضي الإيراني، إلى أين؟ ٧٩٩

فائدة: العمالقة والأقزام .. في ساحة الشام ٨٠٠

فائدة: تصريحات حسان عبود للبي بي سي ٨٠١

فائدة: من مقال ورطة المسلمين في العصر الحاضر ٨٠١

فائدة: الهجوم على بروكسل! أَضَعُفَت الموساد؟ أم قوِيَ الجهاد؟ ٨٠٢

فائدة: الانتخابات في الغرب بين المصلحة والمفسدة، في عجالة ٨٠٣

فائدة: ماذا كان على الإخوان ومرسي فعله؟ ٨٠٤

فائدة: العلم طبعا وتطبعاً ٨٠٥

فائدة: هل مصلحة الغرب في ضرب البغدادية الحرورية الآن؟ ٨٠٦

فائدة: في ظلال الأنفال: بين النفاق ومرض القلب ٨٠٧

فائدة: سفيه الكويت بين برهامي وعبد الرحمن عبد الخالق ٨٠٨

فائدة: التعامل مع الوضع الحاليّ في مصر ٨٠٩

فائدة لطلاب العلم: التعميم في الأحكام الشرعية وضوابطه ٨٠٩

فائدة: المصلحة تقع حيث أمر الله والمفسدة حيث نهى ٨١٠

فائدة: خريطة الفرق المتصارعة في الشام ٨١١

فائدة: صراع الشام يدخل مرحلة جديدة ٨١٢

فائدة: وضع الجهاد في الشرقية .. ودحر الخوارج! ٨١٣

فائدة: زرارى السلفية الجامية .. يرون أن قتال الحرورية فتنة! ٨١٤

فائدة: الخلق العلمانيّ تحت الرداء الإسلاميّ – في حواري النت! ٨١٦

فائدة: ثم ماذا بعد يا أتباع "الحرافضية" وجنودها؟ ٨١٧

فائدة: أنتم يا الحرورية .. ما أعجب أمركم! ٨١٨

فائدة: الموالاة الخفية بين النظام والحرورية ٨١٩

فائدة: أولياء الجهاد وأعدائه .. على الساحة ٨١٩

فائدة: بشأن رسالة الشيخ د أيمن الظواهري بشأن البغدادي ٨٢١

فائدة: التكفير بين المرجئة والحرورية ٨٢٢

فائدة: الحياة في ظلال سورة البقرة - ١ .... ٨٢٣

فائدة: واجب الوقت والواجب المطلق ٨٢٤

فائدة: الإصدار الرابع .. إخراج رائع! ٨٢٥

فائدة: المنهج هو "القاعدة " أم "القاعدة" على المنهج؟ ٨٢٦

فائدة: بين العلم والجهل ٨٢٧

فائدة: صعاليك علم .. انقطع بهم الطريق ٨٢٨

فائدة: دماء أهل الشام، كم هي غالية علينا ٨٢٩

فائدة: أيعود أهل البدعة عن بدعتهم؟ ٨٣٠

فائدة: الورع البارد الخبيث .. وقلب المقاييس ٨٣١

فائدة: الهبّة السنيّة لفك حصار الشرقية: يا مجاهدي الشام ٨٣٢
أفيدونا .. يا مشايخ #المتورمة .. لعلكم تعقلون ٨٣٢
فائدة: ماذا دهاكم يا أتباع التنظيم؟ ٨٣٣
فائدة: كيف نفهم عن القرآن؟ ٨٣٤
فائدة: من مقدمة بحث "قيام دولة الإسلام بين الواقع والأوهام" ٨٣٥
فائدة: لماذا سقط التراث العلمي من ميزان الجيل الجديد؟ ٨٣٦
فائدة: والله أسقط د السباعي ذاك الكاذب وتنظيمه المتورم! ٨٣٧
فائدة: "لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ" ٨٣٨
مرة أخرى: نكرر التساؤل: لماذا لا يقصف النظام الرقة؟ ٨٣٩
فائدة: عبث "الدولة" ٨٤١
فائدة: لماذا لا يقصف النظام الرقّة؟ ٨٤١
فائدة: أنواع العلماء ٨٤٢
فائدة: فلن ترى لهم من باقية ...! ٨٤٢
فائدة: حتى لا تتيه الحقائق، في شأن "الدولة" ٨٤٣
فائدة: حقيقة الصراع في الشام ٨٤٤
فائدة: لا والله بل هو الهوى ..! ٨٤٥
فائدة: هذا السباب عرفناه، فأين العلم؟ ٨٤٦
فائدة: توضيح على مقال الشيخ حمود العقلاء ٨٤٧

فائدة: معرفة الحق ٨٤٩

فائدة: من هو الشيخ؟ ٨٥٠

فائدة: ردّ على البنعليّ ٨٥١

فائدة: فهم النصوص وتحكيم العقل ٨٥١

فائدة: ملخص أصل الحرورية في منهج جماعة الدولة المارقة ٨٥٣

القسم الثالث: الأبحاث

١- توثيق لتطور العلاقة بيننا وبين تنظيم إبراهيم بن عواد ٨٥٧

a.مصادر معلوماتي عن تنظيم إبراهيم بن عواد العراقي ٨٥٨

b.قليل من الجرائم التي قام بها بن عواد خلال الفترة المؤرخ لها ٨٧٨

c. فهرس تأريخ وتوثيق ٨٧٧

٢- بحث مسائل حاسمة في العلاقة بين الدولة والنصرة (١) ٨٨٠

a. أولاً: نقاط الاشتباك العقدي ٨٨٢

b. نقاط الاشتباك السياسي ٨٨٧

c. مسألة البيعات ٨٨٧

d. قد يقول أنصار الجبهة ٨٨٨

e. قد يقول أنصار جماعة الدولة ٨٩٠

٣- حاسمة في العلاقة بين الدولة النصرة (٢) ٨٩١

a. موقف القاعدة و د أيمن الظواهري من الخلاف ٨٩١

٤- مسائل حاسمة في العلاقة بين الدولة النصرة (٣) ٨٩٦

a. للعقلاء فقط .. اكتب ٨٩٦

b. خطوة اصلاح النوايا ٨٩٩

c. خطوة تصويب الأقوال ٩٠٠

d. خطوة تصويب الأفعال ٩٠١

e. المحصلة ٩٠٣

٥- رفع الشبهات في موضوع الولاء والبراء (١) ٩٠٦

٦- رفع الشبهات في موضوع الولاء والبراء (٢) ٩١٠

a. الولاء المطلق أو ولاء الكفر ٩١٠

b. قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ٩١٢

c. مطلق الولاء أو ولاء المعصية ٩١٣

٧- بحث قيام دولة الإسلام بين الواقع والاوهام ٩١٨

a.مقدمة ٨١٩

b. المعطيات ٩٢٢

* معطيات الفكر السياسي الإخواني في موضوع الدولة ٩٢٢

١- شكل الدولة ٩٢٢

٢- الأسباب ٩٢٢

٣- الواقع ٩٢٣

*** معطيات فكر التيار السلفي الجهادي في موضوع الدولة ٩٢٣**

١- شكل الدولة ٩٢٤

٢- الأسباب ٩٢٦

٣- الواقع ٩٢٦

c. الإشكاليات ٩٢٨

*** إشكاليات الفكر السياسي الإخواني في موضوع الدولة ٩٢٨**

١- شكل الدولة ٩٢٩

٢- الأسباب ٩٣١

*** إشكاليات الفكر السياسي الحروري الجديد في موضوع الدولة ٩٣٢**

١- شكل الدولة ٩٣٣

a.مقدمة ٩٣٣

b. إقامة الدولة ٩٣٧

c. التمكين له شقان ٩٤٠

d. المُمَكَّنون: أهل الحلّ والعقد ٩٤٥

e. المحصلة ٩٤٧

f. المُمَكَّن له: الأمير أو الإمام ٩٠٥

*** الدولة الإسلامية في مواجهة الخارج ٩٥٤**

* **إشكالية العوائق ٩٥٤**

d. الأطروحات ٩٥٧

* **إنشاء الدولة في النظر الإخواني ٩٥٧**

* **أطروحات إنشاء الدولة في النظر السنيّ ٩٥٨**

١- الأمة والحاضنات الشعبية ٩٥٩

٢- التمكين ٩٦٢

٣- واقع الحصار ٩٦٣

٤- أهل الحلّ والعقد ٩٦٤

٥- هل تقوم الدولة دون عصبية ٩٦٥

٦- الفرق بين انتشار الإسلام قديما وحديثا ٩٦٨

٧- النتيجة ٩٧٠

٨- قيام دولة الإسلام في العصر الحديث ٩٧٠

a.الخطوات التي نراها تهيأ لقيام دولة إسلامية ٩٧٣

b. الخيار المطروح للتعامل مع أنظمة الداخل المرتدة ٩٧٦

c. الخيارات المطروحة للتعامل مع قوى الخارج ٩٧٨

٩- الأطروحة الأولى: الفهم الظاهري والمواجهة الفورية ٩٨١

١٠- الأطروحة الثانية: اللين والتفاهم وسياسة التعايش والتوافق ٩٨٢

١١- الأطروحة الثالثة: تقسيم الأهداف إلى مرحلات تكتيكية ٩٨٢

e. خاتمة البحث ٩٨٤

f. مقالات للمؤلف لها صلة بالموضوع ٩٨٥

٨- بحث الرد على أبي عمر الحازميّ ٩٨٦

a.الخلاصة........ ٩٠٩

b. وقفه لازمة........ ٩٩٣

c.ملحق الرد على "بحث في الخوارج حسين بن محمود الصومالي"........ ١٠٠٩

٩- بحث أصل البلاء عند أهل الأهواء – الفكر الحروريّ ١٠١٨

a.الأخطاء التي يجب الحذر والتحذير منها في فكر الحرورية ١٠١٨

b. اعتبار الجزئيات دون كلياتها........ ١٠٢١

c.اعتبار الكليات والعمومات دون جزئياتها ومخصصاتها........ ١٠٢٣

d. عدم اعتبار الاستثناءات في الشريعة الإسلامية ١٠٢٥

e. إسقاط أحاديث آخر الزمان على واقع الحال........ ٩٨٤

١٠- بحث المرونة في السياسة الشرعية .. والوضع الدولي ١٠٣١

a.مصدر المرونة عادة يأتي من ثلاث توجهات مختلفة........ ١٠٣٤

b. ما هي المرونة في الشريعة الإسلامية ١٠٣٥

c.تلخيص الواقع العالمي المعقد........ ١٠٣٦

d. مدركات تتعلق مع التعامل مع الواقع ١٠٣٧

* الصحيح الموافق للشرع ١٠٤٣

e. الخلاصة ١٠٤٤

١١- ماذا يجرى على ساحة الشام - الشرق والغرب على الإسلام ١٠٤٧

١٢- الدين النصيحة ١٠٥٦

١٣- بحث الجامع في مسائل الخلاف في الساحة الشامية ١٠٥٨

a.الجزء الأول ١٠٥٩

*** الخلاف العقدي ١٠٥٩**

١- تنظيم الدولة ١٠٥٩

٢- الفصائل العلمانية ١٠٦١

٣- الفصائل السنية ١٠٦٢

*** الخلاف التشريعي التطبيقي ١٠٦٢**

١- مسألة نوعية البيعة ونقضها ١٠٦٣

٢- مسألة التعاون مع القوى الخارجية العربية أو الغربية ١٠٦٣

٣- مسألة التعاون بين الفصائل ١٠٦٤

٤- مسألة القتال مع الفرقة العوادية ضد النصيرية والروافض ١٠٦٥

٥- مسألة التعامل مع النصيرية في أسواقهم وبيعهم ١٠٦٥

٦- مسألة "أخوة المنهج" ١٠٦٦

٧- مسألة الغنائم والتخميس ١٠٦٦

٨- مسألة استدراج النساء للساحة دون إذن محارمهن ١٠٦٧

٩- مسألة ديات القتلى والقصاص ١٠٦٧

١٠- مسألة انتخاب الحكومات الديموقراطية ١٠٦٧

b. الجزء الثاني ١٠٨٥

*** القول في مسائل الخلاف ١٠٨٥**

١- القول في مسألة نوعية البيعة ونقضها ١٠٦٨

٢- القول في مسألة التعاون مع القوى الخارجية العربية أو الغربية ١٠٧١

٣- القول في مسألة التعاون بين الفصائل ١٠٧٤

٤- القول في مسألة القتال مع الفرقة العوادية ضد النصيرية والروافض............................١٠٧٥

٥- القول في مسألة التعامل مع النصيرية في أسواقهم وبيعهم ١٠٧٧

٦- القول في مسألة "أخوة المنهج"...١٠٧٨

٧- القول في مسألة الغنائم والتخميس...١٠٨٠

٨- القول في مسألة استدراج النساء للساحة دون إذن محارمهن.......................................١٠٨١

٩- القول في مسألة ديات القتلى والقصاص..١٠٨٣

١٠- القول في مسألة الديموقراطية ١٠٨٤

القسم الرابع: الأشعار

صوتيات د هاني السباعي في ردة على تنظيم الدولة ١٠٩٩




المجلد الثالث

أحداث الشام كما عايشتها

الفترة الثانية يناير ٢٠١٦ - سبتمبر ٢٠١٩




مقدمة المجلد الثالث..٧

تقديم لكتاب أحداث الشام كما عايشتها ١٧

الفترة الثانية: يناير ٢٠١٦ - ديسمبر ٢٠١٦

الجزء الأول : مقالات وأبحاث

أحداث أوروبا - أسباب ونتائج ٢١

حين يستأسدُ الخرِنقِان على القاعدة! ٤٣

رد على تعليق الطرطوسي على كلمة حكيم الأمة ٥١

عودة الخصم في تعليقات الحصم - على الحكيم ٥٣

حكم الانتماء إلى طائفتين, عامة وخاصة ٥٧

يا دعاة الاصطفاف الحروري - بل قتال استئصال! ٥٩

طامات جديدة من الأخ أبو العز أو المقدسي ٦٤

أحمد موفق زيدان حيث خالفه التوفيق! ٦٦

معذرة مشايخنا - لكن الحقائق قبل الرقائق! عن تنظيم الحرورية ٧٠

ردّ على شبهة جديدة أفتى بها أحد المشايخ ٧٢

بشأن المقتول من الحرورية على يد الكفار ٧٤

التعليق على ما كتب البعض بشأن التحلل من بيعة القاعدة ٧٦

الحديث عن الحرورية العوادية ٧٩

ليست مناظرة بل مجزرة - هلاك الحايك! ٨١
كلمة في مسألة وضع جرابلس ومشاركة الفصائل ٨٣
الجواب الوفيّ في تعرية موقف المقدسيّ ٨٥
إصرار الأحرار على تنكب طريق الأبرار ٩٢
مع زلة المقدسيّ زلات وزلات - لكن ليسوا سواء! ٩٧
المخاض في مسيرة الجهاد ١٠١
ماذا تريد الفصائل من جبهة الفتح؟ ١٠٤
طلب البيان من فصائل الشام ١١٤
تعليق على كلمة "معركة المصير" للمحيسني ١١٧
"حكم الاستعانة بالتحالف أو الأتراك" الرد على ماهر علوش ١٢١
خواطر عن خيوط المؤامرة الكبرى ١٤٣
بحث أردوغان - بين العلمانية والإسلام ١٥٣
النواقض العشر - ردّ على ما قدم أحمد سمير ١٨١
إن في حلب لعبرة ١٨٣
نظرة واقعية في أحداث الشام بنهاية ٢٠١٦ .... ١٨٩
إضافة ضرورية من د هاني السباعي ١٩١
توضيح بشأن ذكري لشيوخ بعينهم من أهل السنة بخارج سوريا ١٩٢

الجزء الثاني : فوائد

يناير

تغريدات بشأن رسالة الإمارة الإسلامية في أفغانستان ١٩٧

مجموعة خواطر عن تنظيم داعش ١٩٩

من فقه الجهاد - العلم والمال ٢٠١

طفولة داعش الفقهية تتكرر في جهالة - المتميعة ٢٠٢

فبراير

الثابت والمتغيرات - في الساحة السياسية ٢٠٣

تساؤلات عن طلب نقض بيعة النصرة للقاعدة ٢٠٤

قراءة في خبر إرسال السعودية وتركيا قوات برية إلى سوريا ٢٠٥

داعش - والترتيب الجديد للمنطقة العربية ٢٠٦

نعم - نحن سبب انهيار الأمة!! يا أذناب سلول ٢٠٧

الإصرار على المعصية - خطر ماحق ٢٠٧

مارس

في شأن الائتلافيين في الشام ٢٠٩

كن هذا الرجل ٢١٠

(١) العمل مستويان, مستوى تمهيديّ ومستوى تنفيذيّ ٢١١

(٢) العمل مستويان, مستوى تمهيديّ ومستوى تنفيذي ٢١٢

التوحيد أولاً وأخيراً - هو الضمان ٢١٣

عن جهاد الشام نتحدث ٢١٤

همكّ دينك - قبل وطنك ٢١٥

عن الهدنة أتحدث ٢١٦

الائتلافيون السروريون - عار على الشام ٢١٧

رأي في المفاوضات - بحسابات الدنيا ٢١٨

مفاتيح السلام العالمي - والأرهاب!.. ٢١٩

صلح الحديبية - ووثيقة دي مستورا - ومن يهن الله فما له من مكرم ٢٢٠

أبريل

بين الثورة والسنن ٢٢١

رسالة إلى مزوري الحسابات - لست بمنجاة من النار ٢٢٢

العلم بين النضج والفجاجة ٢٢٣

الكيان الصهيوني - لعنهم الله ومزق شملهم ٢٢٤

ليتهم حتى اعترفوا بسايكس بيكو!! ٢٢٥

الأمان الزائف ٢٢٦

وهم ينَهون عنه وينَؤون عنه [الأنعام: ٢٦] ٢٢٧

المرء على دين خليله ٢٢٨

تقدير العلماء بين التبجيل والازدراء ٢٢٩

نافذة النصر في الشام مفتوحة - انفذوا منها ٢٣٠

من أمراض الساحة - الهامات والعاهات ٢٣١

الطريق إلى النصر - لبن الصالحين والمصلحين ٢٣٢

جيش الإسلام وحكم الانتماء إليه ٢٣٣

طريق النصر - وحتمية السنن ٢٣٤

من ضوابط فرقة الخوارج - نشر العداوة والتباغض - الإمام الشاطبيّ ٢٣٥

فوائد تويترية عن دولة الخلافة الكرتونية ٢٣٦

مناصحة أهل العلم - بين الحماقة والإصلاح ٢٣٧

حكم الانتماء إلى طائفتين, عامة وخاصة- فتنة تكفير الطائفة والمعين - ج١ .... ٢٣٨

حكم الانتماء إلى طائفتين, عامة وخاصة- فتنة تكفير الطائفة والمعين - ج٢ .... ٢٣٩

حكم الانتماء إلى طائفتين, عامة وخاصة- فتنة تكفير الطائفة والمعين - ج٣ .... ٢٤٠

مايو

سبب البلاء ٢٤١

اللهم نحن مغلوبون - فانتصر ٢٤٢

(لقَدَ أنزلَنا إلِيَكمُ كِتَاباً فيه ذكِركُمُ أفلاَ تعَقِلوُنَ) ٢٤٣

الحذر في النقل واجب شرعيّ ٢٤٤

ولكل حادثة أفول ٢٤٥

الأمة الإسلامية - رفات وأشلاء ٢٤٦

حقيقة اقتحام جبهة النصرة لقرية الخوين ٢٤٧

تنطعٌ متدعشن! ٢٤٩

الكفر والكافرون في القرآن - درس للغر ماجد الراشد ٢٥٠

الأمة الإسلامية أم البلاد الإسلامية ؟! ٢٥١

تعليق على مقال تشبيه دولة ابن سعود الأولى بخلافة الخرافة ٢٥٢

غرف الموك - وحبائل الشرك (بفتح الشين أو كسرها) ٢٥٣

إسقاط العلماء ٢٥٤

لماذا قتل القرد الأمريكي الملا أختر منصور؟ ٢٥٥

شبهة دفاع الخوارج عن السنة ٢٥٦

فهل بعد الحق إلا الضلال؟ ٢٥٧

فائدة: في كون الكافر كافراً ولو لم يعلم بذلك ٢٥٨

في بطلان مذهب التفويض ١ .... ٢٥٩

في بطلان مذهب التفويض ٢ .... ٢٦٠

يونيو

آفة التقليد - في الساحة الجهادية ٢٦١

المنافقون بعضهم من بعض! ٢٦٢

نسيج الدنيا والآخرة! ٢٦٢

الشيخ المقدسي - وتولي الدواعش ٢٦٣

التمثيل بالقتلى من الكفار ٢٦٤
نازلة الفلوجة - والحرورية ١ .... ٢٦٥
نازلة الفلوجة - والحرورية ٢ .... ٢٦٦
فوائد تويترية عن عملية أورلاندو ٢٦٧
وانتظروا إنّا منتظرون - هود ٢٦٩
هل نجح محمد بن زايد في مهمته؟ ٢٧٠
بلوغ الحجة, وبيانها, وفهمها - ١ .... ٢٧١
بلوغ الحجة, وبيانها, وفهمها - ٢ .... ٢٧٢
تغريدات صباحية ٢٧٣
واسألوا الله من فضله ٢٧٤

يوليو

بين الورع البارد والأمل الزائف ٢٧٥
بشأن موضوع الإفطار غداً في تركيا وبلاد أوروبية: نقول وبالله التوفيق ٢٧٦
احذر .. قف .. تفكر .. هم مشايخ نت!! ٢٧٧
تغريدات هلاك الحروري الشيشاني ٢٧٨
إلى الذين يمثلون دعوة الإمام ابن عبدالوهاب بخارجية العوادية! ٢٧٩
رد على شبهة جديدة بشأن حال الحروري المقتول ٢٨٠
من عجائب إدارة الخلاف في الساحة الشامية ٢٨١

خاطرة واردة في موضوع الشبهة في قتل الحروري على يد كافر ٢٨١

شهادة ابن تيمية بشأن حكم من قًتل من البَغاة, مقاتلاً الكفار والمسلمين ٢٨٢

القسمة الربانية في التعاملات الشرعية - والعلمانية الثقافية الخفية ٢٨٣

"لا مناهجة المناهجة!" ! ٢٨٥

لو أرادوا التوحيد لأعدوا له عدته ٢٨٦

على هامش موضوع فك الارتباط ٢٨٧

بيان وتحذير! بشأن حوار صوت الأمة ٢٨٨

عودة إلى تيار المميعة - والثلاثي المرح! ٢٨٩

القاعدة وداعش - السماء والأرض ٢٩٠

عقبات في طريق التوحيد بالساحة الشامية ٢٩١

أغسطس

إيضاح وبيان "واعفوا واصفحوا ألا تحبون أن يعفوا الله عنكم" ٢٩٢

كلمة عن إصرار الأحرار.. ٢٩٣

سيرة الحالك الهالك المدلسّ - مما كتب عن نفسه ٢٩٤

سبتمبر

دعوة لمناظرة الشيخ أبي محمد المقدسي ٢٩٥

دعاة المقاصد بين الجهل والغرير وسوء المقصد ٢٩٦

من خواطر مقدمة المناظرة الموئودة! ٢٩٧

إغلاق باب الفتنه - في موضوع المقدسي ٢٩٨

أوضحوا الطريق - أو افسحوا الطريق! ٢٩٩

عن فتوى قتال داعش استعانة بالأتراك ٣٠٠

ماذا جرى لك يا مجاهد؟!! ٣٠١

رد على تضليلات الضال المضل شؤون استراتيجية بتلبيسه على الشيخ الشاذلي ٣٠٢

حول القتال بجرابلس ٣٠٣

من يتحدث وفيم يحق له الحديث؟! ٣٠٤

تأملات بعد فك الارتباط ٣٠٥

أكتوبر

خلاصة الوضع في الشام ٣٠٦

التدليس فن يحسنه المميعّة - نقر لهم بذلك! ٣٠٧

رسالة: إلى عبد المعز بن جبرائيل ٣٠٨

تكملة: إلى عبد المعز بن جبرائيل وحواره الهادئ ٣٠٩

إلى أحرار الشام ٣١٠

الحياد - المحمود والمذموم ٣١١

مفهوم يجب أن يصحح - الجماعة ٣١١

على هامش توصيف الخوارج - درس في الأصول ٣١٢

سؤال إلى أبو ماريا القحطاني و د مظهر الويس ٣١٣

كلمة إلى المجاهدين الفاتحين في حلب الغراء ٣١٤

نوفمبر

"إن في ذلك عقبرة لأولي الألباب" (١) ٣١٥

"إن في ذلك عقبرة لأولي الألباب" (٢) ٣١٦

"إن في ذلك عقبرة لأولي الألباب" (٣) ٢١٧

كلمة عن الشيخ علي القاضي ٢١٨

كلام يكذبه القول والعمل - يا راعي داعش! ٣١٩

وداعاً - رجال الله ٣٢١

حكم الطائفة المبتدعة المنحازة وحكم المعين ٣٢٢

مختصر القول في مسألة نزوح الدواعش ٣٢٣

فصائل الشام - سنةَ التميزَ ٣٢٤

ديسمبر

تغريدات صباحية ٣٢٥

تغريدات الصباح - ماذا يريد منا السفهاء؟ ٣٢٦

ابن آدم - والخطأ ٣٢٨

التكتم والسرية المبالغ فيها - بلا سبب! ٣٢٨

الانصاف في حق من تذرع بالاختلاف ٣٢٩

لبيب النحاس - مثال لتحريف الكلم وتبديل المعاني ٣٣٠

عن الجيوش العربية ٣٣١
اعتذار للأحرار .. ولكن ٣٣٣
يا أحرار - أأنتم أحرار في التفاوض؟! ٣٣٤
ما الدليل القطعي بقول عالم - أيا كان! ٣٣٥
الحكم الشرعي والمصلحة ٣٣٦
كارثتان على العلم والعلماء - في زمن الخديعة ٣٣٧

الفترة الثالثة: يناير ٢٠١٧ - ديسمبر ٢٠١٧

مقدمة ٣٤١

الجزء الأول : فوائد وتغريدات

يناير

الفرقة الثالثة - أعراف الساحة! ٣٤٥
حفظ الدين وحفظ النفس ٣٤٦
من المسؤول عن حال الشام؟ ٣٤٧
لماذا رفض الأحرار الأستانة؟ ٣٤٨
هل تقوم الأمم على جلوس قادتها للتفاوض؟! ٣٤٩
الحقُ واحدٌ لا يتعدد يا مميعة الشام ٣٥٠

الربيع العربي - جهد في سجل التاريخ ٣٥١

داعش بين الخرافتين ٥٠٢

النسخة الشامية من الحثالة المصرية ٣٥٣

عودة الخرنق - الحصم يلعق أحذية أوليائه ٣٥٤

بيان: مطلوبون للمحاكمة أمام الضمير الإسلاميّ السنيّ ٣٥٥

دعاة الحق ٣٥٧

فبراير

بيان المفاصلة وإيضاح منهج الخوارج ٣٥٩

سؤال: ما حكم من شارك في درع الفرات؟ ٣٦٠

يا صبي أردوغان - شريفة ٣٦٤

منهج داعمي الحرورية في ميزان التوحيد ٣٦٥

مارس

حسن الضغيم - وأحداث حمص ٣٦٦

لو قالها غيرك يا طرطوسيّ! ٣٦٧

جهاد الأمة ٣٧٠

جهاد الأمة - ويزيد بن معاوية ٣٧١

سؤال: ما حكم ضرب الجزية اليوم على نصارى الشام؟ ٣٧٢

حزب التحرير وخرافة طلب النصرة ٣٧٤

علماء من وراء الستار ٣٧٧

عدل هاروش - في الدولة الكافرة ٣٧٨

الخيار السياسي الشرعيّ في الساحة الشامية ٣٨٠

حكم من تلمس المعذرة للحكام بغير ما أنزل الله ٣٨١

الشباب والتعصب ٣٨٢

بين العالم وحاطب الليل ٣٨٣

الإخوة والأبناء الأحباب ٣٨٤

How lies spread and bias rise in canada ٣٨٦

أبريل

إيضاح ضروريّ في مسألة الحاكمية والحكام ٣٨٨

لمن يحتج بقول لابن باز - هذا قول ابن باز! ٣٨٩

قول ابن كثير في الحاكم بالأحكام الوضعية ٣٩٠

قول أبو بكر الجصاص وابن تيمية في الحاكم بالأحكام الوضعية ٣٩١

قول العلامة محمود شاكر في الحكم بالقوانين الوضعية ٣٩٢

قول الشيخ بكر أبو زيد والشيخ محمد ابن إبراهيم في الحكم بغير ما أنزل الله ٣٩٣

الأدلة العشرة في بيان كفر من شرّع غير ما أنزل الله وحكم به بين الناس ٣٩٤

قول مختصر في تفجيرات مصر ٣٩٥

مسألة حفظ المتون ٣٩٦

مسخرة المناظرة - ودين المميعة ٣٩٨

التكييف الفقهي لموقف أيمن هاروش ومن وافقه ٣٩٩

فضائل الشام ٤٠٠

عصافير التقليد - صقور التعصب ٤٠١

ما حكم تنفيذ العمليات الخارجية من طعن ودهس وتفجير؟ ٤٠٢

موقفنا من جماعة أحرار الشام ٤٠٥

دورة رأس المال السلولي والخليجي عامة ٤٠٦

كيف تصبح شيخاً في ستة أشهر - نصائح لطلابي المشيخة السياحية ٤٠٧

سؤال: ما تقول السادة العلماء فيمن قال.. ٤٠٨

نخبة من خونة الأمة في المسألة الشامية ٤٠٩

مايو

كلمة حق ونصح بشأن هيئة تحرير الشام ٤١٠

خواطر عن البيعات ٤١١

سؤال وجواب ٤١٣

تخوين - أم لا تخوين ٤١٤

إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب ٤١٦

شرّ البلية ما يضحك ٤١٨

رفع الشبهات عن فتوى ردة موقعي أستانا ومنفذي بنودها ٤١٩

قرصة أذن يا قحطاني! ٤٢٥

قرصة في الأذن الأخرى - يا قحطاني أأنت على مذهب الطرطوسي؟ ٤٢٦

نصيحة شفوق - إلى الأبن المحيسني ٣٢٧

كلمة حق! - بين الفضل والسوء ٤٢٨

من حفريات الذاكرة ٤٢٩

تساؤلات عن أفق القادم ٤٣٠

حد الخلاف بين الصمت أو التكلم بالانحراف ٤٣١

وسائل الدنيا ومقاصد الأخرة بين الثبات والتميع ٤٣٢

أصناف العلمانية - وصفاتها ٤٣٧

التعاون مع تركيا ٤٣٩

فكر الهيئة - ودعايتها - تساؤلات محب ٤٤٠

يونيو

تعليق على ما نشر الزبير الغزب في شأن منتقدي الهيئة من الغلاة المتنطعين ٤٤١

عذراً يا شيخ فرغلي - فما هكذا تورد الأبل ! ٤٤٢

تعليقي على تعليق د سامي العريدي ٤٤٣

أصحاب الجلالة - ملوك العرب والطرب! ٤٤٤

من المسؤول عن تغير اتجاه جبهة فتح الشام إلى هيئة جهاد الأمة ٤٤٥

سراب الحكمة ٤٤٦

إلى الشعب القطري المسلم ٤٤٧

تعليق على كتاب الشيخ حسن البليدي "الشريعة الإسلامية وفقه التطبيق ٤٤٨

الحقيقة المرة وراء الوضع الخليجي - التقسيم ٤٤٩

هذا ما حدث يا جرب العرب! ٤٥١

كشف الغمة في شروط جهاد الدفع.. ٤٥٢

yes Donald, we fundamentally hate you ٤٥٤

ردّبشأن الحرورية المتسللة إلى معسكر السنة ٤٥٥

يوليو

بداية النهاية - يا شعوب الغنم ٤٥٦

رد على أسئلة ٤٥٧

فقه حديث "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده.." ٥٤٩

في ظلال حديث "اتخذ الناس رؤوساً جهالاً .." ٤٦٠

عن بيان الهيئة المخالف للعقل والضمير والانصاف ٤٦١

بأي وجه ستلقون رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟! ٤٦٢

عن فتوى كعكة جيش الأفلام في حق من قاتل مع النصيرية ٤٦٣

أيهما القادم - من قدر الله ٤٦٤

أغسطس

العلمانيات الثلاث - في عصرنا الحالي ٤٦٥

لماذا يا عائلة العبدة - الخيانة؟! ٤٦٦

هل يصح ترك أمر بمعروف أو نهي عن منكر للإصلاح بين الناس؟ ٤٦٩

علي الشحود - عضيضُ ضلال فتّان ٤٧١

رسالة مساندة واعتزاز لفضيلة الشيخ د وجدي غنيم ٤٧٣

سبتمبر

من فقه درجات إنكار المنكر الثلاث ٤٧٤

أكتوربر

المصالحة الإخوانية السيساوية - من عجائب الإخوان ٤٧٥

سياسة الصدمة في مواجهة المعارضة ٤٧٦

"الإسلاميون" - والعلمانية ٤٧٧

القول في تقسيم الكفار في دار الحرب ٤٨٠

حكم رواتب أهل الرياضة ٤٨١

Words to Western lntelligence Agencies ٤٨٢

ماذا وراء الأكمة ٤٨٣

تغريدات منفردة ٤٨٤

خمسة أصناف من الناس ٤٨٥

قطفة من مقال "حين يستأسدً الخرنقان" ٤٨٦

درس في بيان مبادرات الصلح الجادة ٤٨٧

بيان موقفي من هيئة تحرير الشام ٤٨٩

نوفمبر

الهيئة - وحكومة الإنقاذ! ٤٩١

نعمة المحنة ٤٩٢

لا تحسبوه شراً ٤٩٣

معسكرات أهل السنة ٤٩٤

تدليس أبناء إبليس - أحمد بن سعد القرني! ٤٩٥

كلمة إلى الأبناء من متعاطفي الهيئة ٤٩٦

متى يُرفع عنا هذا الهراء؟! ٤٩٧

كفاك يا سيد عطون - فقد تصيدت أدلة من ظنون! ٤٩٨

براعم من هشيم تذروه الرياح! ٤٩٩

ديسمبر

كلمة - للكبار فقط! ٥٠١

لماذا إذن - تفرقكم عن الأحرار؟!! ٥٠٢

نداء إلى مولانا الشيخ عبد الرازق المهدي - حفظه الله ٥٠٣

موقفي من أزمة الهيئة - وشرعيتها ٥٠٥

تعقيب على تعقيب المهدي - واحسرتاه! ٥٠٦

هل يصح الاختلاف - بين الصغير والكبير؟ ٥٠٧

العلم عطيه لا مطيه! ٥٠٨

الوضع السوري في ميزان الواقع ٥٠٩

يناير

على هامش وثيقة العار الجولانية ٥١٠

الجزء الثاني : مقالات وأبحاث

أحكام الغنائم والفيئ والسّلب والغلول في الساحة الشامية........ ٥١٥

الردّ الثمين على اضطرابات القول المبين ٥٢٦

إيضاح تدليس الغواة في وثيقة ماجد الراشد ٥٣٥

الرد المكين على مقال الاستضاعف والتمكين ٥٥١

تعليق على تحليل الشيخ الحبيب عبد الرزاق المهدي ٥٥٩

عن البغي والبغاة ٥٦٢

الأحباب: وجدي غنيم, محمد عبد المقصود, عبد الرزاق المهدي........ ٥٦٥

فتنة دين أردوغان! ٥٦٧

وسائل الدنيا ومقاصد الآخرة بين الثبات والتميع ٥٧٢

ثم ماذا بعد - يا مجاهدي الشام! ٥٧٦

جلد الأبله علي العرجاني ٥٨٠

سمير كعكة - وما أدراك ما سمير كعكة! ٥٨٢

ماذا قبل الوسائل؟ ٥٨٤

قطعت جهيزة قول كل خطيب - فهلا فئتم لدينكم؟! ٥٨٩

البيان والايضاح في الأزمة الإدلبية وتوابعها نظرة شاملة للوضع.......... ٥٩٤

بل هو حقد دفين في قلب خائنٍ غير أمين! ٦٠٤

طالبان والقاعدة والهيئة- والبيعة ٦٠٦

شر الطوائف - الجاهلون المتطفلون! ٦٠٩

الوضع المأساوي في الساحة الإدلبية - التخلية ثم التصفية ٦١٤

وقفه هادئة مع الجولانيين - وتصرفات هيئة الجولاني ٦١٦

الفترة الرابعة: يناير ٢٠١٨ - سبتمبر ٢٠١٩

الجزء الأول : فوائد وتغريدات

رسالة خاصة - لعل السائر أن يستقيم ٦٢٩

أقفية العلم ٦٣١

تغير الفتوى بتغير زمان ومكان وحال المفتي!! ٦٣٢

أقزام مدينة الأحلام! ٦٣٣

حين تتحول مرارة الفشل إلى رحابة التصوف السلفيّ ٦٣٨

ثم نعيد الكرّة - لمن لم يفهم! ٦٣٩

إجرام شيخ 641

"مشروع الهيئة" الإسلامي 643

عرض سريع لما ورد في مقالي "الحقيقة العارية" 644

كلب أهل النار الحايك يكشف عن هويته! 645

أبطال المحرر! 647

هلا فهمتم؟! 648

الفوعة وكفريا 649

القاعدة الذهبية في الساحة الإدلبية 651

التقارب - وما يعنيه!! 652

نبذة من التفسير 653

قول في مسألة التفاوض مع الكفار 655

قاعدة هامة في تكفير المُعيّن 656

عن قضية تكفير المُعيّن 657

فائدة: من آداب طالب العلم: في ضرورة الكلام فيما تحته عمل 658

فائدة 660

فائدة 661

فائدة 662

مطبلة مشايخ السنة! 663

اعرف التابع - تعرف المتبوع ٦٦٥

لعل وعسى ٦٦٥

لله دركم - وعلى الله أجركم! ٦٦٦

ما بقي من خيار لأهل السنة ٦٦٧

فائدة ٦٧٠

تمسكوا يا أهل الإسلام بتوحيدكم ٦٧٢

إن لم تستح فاصنع ما شئت ٦٧٤

الوطنية- مطلقة ومقيدة! ٦٧٥

المسألة الحماسية في التعزية الرافضية! ٦٧٧

لا شك أن مشوارنا طويل - ولم نقطع فيه قدماً من الألف ميل ٦٧٨

حال القلوب ٦٨٠

مراحل الانحدار ٦٨١

دفع الصائل فريضة الوقت ٦٨١

التوحيد ومقتضياته رأس الوسيلة وحصن الجهاد ٦٨٢

درس من تاريخنا الحديث ٦٨٢

حظوظ النفس ٦٨٣

الحمُرْتَان ٦٨٣

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة) [التوبة] ٦٨٤

قتل خاشقجي ٦٨٥

يا سيد زيدان - أفق قبل فوات الأوان!! ٦٨٦

معركة الضباب! ٦٨٧

توقف الجهاد ٦٨٧

نصائح للمبتلين من جيل النت ٦٨٨

الإنسان أولاً - أم الفقيه؟ ٦٨٩

تحذير من اختراق داخلي ٦٩١

على قدر عمق معرفتك, قس قاماتك بين الناس ٦٩٢

من أين نبدأ؟ العقود العجاف - في مصر المقهورة ٦٩٣

العرض .. العرض .. قم لحفظ شرفك وشرف أخواتك ٦٩٥

إدلب في مهب العاصفة! ٦٩٦

المبادرة الإخوانية (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) [الحشر] ٦٩٧

خبر وتعليق - عن إدلب! ٦٩٨

ألعوبة الإعلام - في نقد الكرام! ٧٠٠

الخطة التركية/الروسية في إدلب - وموقف الهيئة ٧٠١

خلفاء الخلافة إلى زوال! ٧٠٣

الحق والتاريخ - ذراعا العلم الفاعل والعمل الناجع ٧٠٤

التزكية شهادة ٧٠٦

الهيئة وغسيل العقول! ٧٠٦

تعليق على من يستحق التعليق من الأكعاب, والضرب بالقبقاب ٧٠٩

بيان أبي تراب - ومشروع مسلمة الفتح وقواد جهاد الأمة! ٧١١

حين يتحدث السفيه - نيابة عن السفهاء! ٧١٤

الردّاحة المسُتحمرة ٧١٦

سفينة الجولاني الغارقة، والشرعية الإسلامية ٧١٨

وإن عدتم عدنا.. ٧١٩

"فإن تنازعتم في شيئ فردوه إلى الله والرسول" [النساء: ٥٩] ٧٢١

تعليق موجز على ما ورد في كلام عبد الرحيم عطون ٧٢٢

أين هذا يا عطّون؟!! ٧٢٣

تعليق على كلمة الشيخ أبي قتادة الأخيرة - السلفية الجهادية ٧٢٥

(قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) [الأعراف: ١٦٤]........................ ٧٢٨

بعد ما أقسم على مجهول - يحكم على نفسه بالحبس!........................ ٧٢٩

ملف المهاجرين في الشام ٧٣١

موقفنا في كلمتين ٧٣٥

الجولاني .. مصيبة الشام العصيّة ٧٣٦

أن تدور مع الحق حيث دار، وأن تدور مع الرجل حيث دار ٧٣٧

ماذا يفعل الأتراك؟ ٧٣٨

فوائد ٧٤٠

جيل الوسط .. ومسؤولية النهضة ٧٤٢

من ظلم الرجل نفسه ٧٤٣

قراءة في نتائج مؤتمر سوتشي الأخير ٧٤٤

لعلنا لا ننسى ٧٤٦

حال لابس ثوب الزور ٧٤٧

الرويبضة! ٧٤٨

سلمية .. مع الإعدام شنقاً! ٧٤٩

تسارع خطوات الكفر! ٧٥٠

لعلنا لا ننسى ٧٥٢

ساحة الشام .. بين الحرب والسلام! ٧٥٤

ظني بمشايخ العلم ٧٥٦

من أمن العقوبة .. أساء الأدب! ٧٥٧

وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ٧٥٩

إلى كل جاهلٍ .. لا يعلم أنه جاهل ٧٦٠

الثورة على مجرم العصر السيسي ٧٦١

إلى الشيخ أبي قتادة الفلسطيني حفظه الله ٧٦٢

مشكلة العصر .. وواجبه الأهم والأعظم ٧٦٣

الأخ الشيخ أبو قتادة الفلسطيني حفظه الله ٧٦٥

حكم نادرة من أقوال الشاطبيّ رحمه الله ٧٧١

إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ٧٧٣

تجديد الفقه .. والريسوني ٧٧٦

الشيخ الكتاّني .. وعبادة العصر!! ٧٧٨

توقعات النصر .. هزيمة العصر! ٧٧٩

كلمة .. على قدر عقولهم! ٧٨١

حين تصمت البنادق .. وتنطلق الحناجر! ٧٨٢

(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلً) ٧٨٤

توظيف الجماعات وأشبارها .. لخذلان الشعوب ووقف كفاحها ٧٨٦

الشيخ أبو قتادة .. والتناقض العجيب مرة بعد مرة ٧٨٦

أبقي في الساحة ساحة؟! ٧٩٠

من أعجب تناقضات فرافير الساحة وأشبارها وداعميهم ٧٩٢

حتى لا تضيع البوصلة ٧٩٣

(وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) في أصناف البشر ٧٩٤

اللهم لا حول ولا قوة إلا بك - من تحدث بلسان الشياطين! ٧٩٥

و يا أبا قتادة .. حفظك الله ورعاك ٧٩٧

واضح أنّ الشبر اللندني لن يتوقف عن الكلام ٧٩٩

هل ينقمِ أحدٌ على الشيخ أبي قتادة الفلسطيني؟! ٨٠٠
تنبيه هام ٨٠٢
معنى قول الأصوليين " يؤخذ القول على مراد قائله" ٨٠٣

الجزء الثاني : مقالات وأبحاث

مسيرة طالبان .. وعوامل نجاح الحركات الإسلامية ٨٠٩
الرد على من ادعّى رؤ ية الله في المنام ٨١٨
توثيق العلاقة بيننا وبين الهيئة ٨١٨
لا والله، وهِموا ثم وهِموا ثم وهِموا! ٨٣٢
نظرة واقعية .. إلى الوضع في إدلب ٨٣٥
منهجان متباينان .. هل لهما من لقاء! ٨٤١
فلا نامت أعين الجبناء ٨٤٥
جولة في عالمنا المحتل ٨٤٨
نكبات مصر منذ أوائل الدهر ٨٦٨
الهالك الريسوني .. مرة عاشرة!! ٨٧٢
ماذا ننتظر من تركيا؟! ٨٧٤
ولا يزال التساؤل قائما .. يا حماس! ٨٧٩
من المسؤول عن نكبة إدلب؟ ٨٨١
نتائج وخيمة للخلط في مفهوم جهاد الأمة! ٨٨٥
ولا يزال قارئ الفنجان .. مستمراً! ٨٨٩

ضوابط في السياسة الشرعية ٨٩٠

ضوابط في السياسة الشرعية في الزمن المعاصر ٨٩٣

الجزء الأول: في إثبات ضرورة الخلافة وانتصاب الحاكم المسلم لها ٨٩٧

الجزء الثاني: بين الحضارة والدولة والأمة - قيام الدول وانهيارها ٩٠٥

الجزء الثالث: الدولة الإسلامية ودار الإسلام ٩١٤

الجزء الرابع ٩٢٦

الجزء الخامس ٩٣٦

الجزء السادس: تنصيب أهل الاختيار وأهل الإمامة ٩٤٧

الجزء السابع ٩٥٨

الجزء الثامن: أنواع البيعات ٩٧٢

ملحق: أحكام الغنائم والفيء والسلب والغلول ٩٧٧

- الجزء الأول: الأحكام الشرعية ٩٧٩

- الجزء الثاني: الواقع في الساحة الشامية ٩٨٤

السيرة الذاتية و قائمة الأعمال الكاملة ٩٩٦

السيرة الذاتية ومسيرة نصف قرن ٩٩٧

الأعمال الكاملة ٧٧٩

قائمة الأعمال الكاملة في العلوم الشرعية ١٠٠٤

كتب ومقالات بالإنجليزية ١٠١١




المجلد الرابع

الكتاب الأول من الثورة المصرية

من الثورة إلى الانتفاضة




قبيل الثورة

مقدمة ٧

ولكن من يعصمك من الله .. يا مبارك؟ ٢١

زواج المال والقوة في مصر .. باطل ٢٣

مبارك .. على شنودة - الطائفية المُركّبة! ٢٥

أحداث مصر .. هل حان وقت التناد؟ ٢٧

النوم في العسل .. يا مصر! ٢٩

الثورة الشعبية .. من المرشح القادم؟ ٣٢

العلمانية .. مكر الليل والنهار ٣٤

الأيام الأولى

أبعاد المؤامرة على الثورة المصرية ٣٦

دُروسُ الأمَم .. ومِصرُ الشَامِخة ٣٨

أما آن للجيش أن يتمرد على قيادته؟ ٤٠

القوات المعادية للثورة المصرية ٤١

عَجيبةُ مصر الثالثة .. و"هَـرِمَ" مصر! ٤٣

لائحة الإتهامات .. لدولة العِصابات ٤٦

لجنة اللاحكماء .. ومطالب الثورة ٤٩

في خِضَم الثَورة .. لا تنسُوا هَوية الأمة ٥١

ثورةُ الكِـرام .. ومَكرُ اللّئـام ٥٤
" اللّهُمّ! إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ" ٥٧
أيها الإنتهازيون .. إرفعوا أيديكم عن الثَورة المِصْرية ٦٠
الثورة المصرية .. بين الثبات والحركة ٦٢
المؤسّسة العَسْكرية .. عَدو الشَعب الأول ٦٤
رَحيل النِظام .. أو الطُوفان ٦٦
إلى جيش مصر .. إحسموا أمركم بينكم! ٦٨
أهيّ مَدنيّة لا عَسْكرية؟ .. أم مدنيّة لا دينية؟ ٦٩
ثورةُ الشَبابِ .. وثَروةُ الشُيوخِ ٧١
وتهون الأرضُ .. إلا مَوضِعاَ ٧٣
الفترة الإنتقالية في مصر .. إلى أين تتّجِه؟ ٧٦

المجلس العسكريّ

هل يلعب الجَيش لِعبة مُبارك .. دون مبارك؟ ٧٩
أسئلةٌ على الجيش أن يجيب عنها! ٨١
الحَذرُ الحَذرُ .. من كَيد العَسْكر! ٨٣
ثَورة مِصر .. تحتاجُ إلى الثورَة! ٨٥
هل يبنى الجَيشُ حَاجزَ خَوفٍ جديدٍ؟ ٨٧
الثورة على .. حُسين طنطاوى ٨٩

الجَيشِ المِصْريّ .. والوأد السِلميّ للثورة ٨٩

سِياسَةُ العَسْكر .. وزَكى بـَدر ٩١

خِيانَة المجلس العسكريّ .. لم يَعد فيها شَكٌّ ٩٣

البنتاجون يضع رهانه في مصر على جنرال مصريّ (مقالٌ مترجمٌ) ٩٥

هل يعيشُ المَجلسُ العَسكريّ في كَوكبٍ آخر؟ ٩٧

عودةٌ إلى قيادة العَسْكَر .. والثورةُ المُضَادّة ١٠٠

المجلسُ العَسْكريّ .. ومبدأُ (بقاءُ النظامِ خطّ أحمر)! ١٠٤

الثورةُ المِصرية .. عَودةٌ إلى حلّ العِصيان المدنيّ! ١٠٦

المَجلسِ العَسكريّ .. أيادى مُبارك التسْعَة عَشر! ١٠٨

الجنرال شاهين .. ونادي الرُبوبية العسكرية! ١١١

هذا الرجل لا أحبه .. في الله! ١٢٠

لو لم يَكن إلا .. لكَان كَافياً! ١٢٢

الجَيشُ .. والدّستور.. ١٢٤

عاجل: المجلس العسكري .. والهيئة الدستورية ١٢٧

هل حَمى المَجلس العسكريّ الثورة؟ ١٢٩

إلى أين يقود المَجلسُ العسكريُّ مصر؟ ١٣١

الحرية الديكتاتورية .. في القواميس العسكريّة ١٣٤

وأخيرا .. سَقط القِناع عن المَجلسِ العَسكريّ ١٣٧

القفّازون على الثورة والسلطة .. إن صح الخبر! ١٣٩
أحداث سيناء .. من يحكم مصر اليوم؟ ١٤٢
ثوابتٌ .. في سياسة العَسكرِ ١٤٤
تصحيحُ المَسار .. بجمعةٍ أو بغيرِ جمعة! ١٤٦
الشعبُ المصريّ في مُواجهة عَدوّه .. مرّة أخرى! ١٥٠
مأزق العَسكر .. والطريقُ المسدود! ١٥٣
إحذروا أهل مصر .. فقد سلّ العَسكرُ سيوفّهم! ١٥٦
حَسَمَ الجَيش موقِفِه .. فلتسيل الدماء وليسْقط الشُهداء! ١٥٩
سُيوفُ العسكر .. وسُبُل المُواجهة ١٦١
زَواج العَسكري من الإخوان بَاطلٌ!! ١٦٦
حفل الجمهورية المصرية الديكتاتورية العسكرية الرابعة! ١٦٨
من الذي يَحكم مصر اليوم؟ ١٧٠

أيــام مبــارك

ماتَ الملك .. عاشَ النظام! ١٧٣
جُمهورية شرْم الشيخ .. وجَيشها! ١٧٦
العفوُ عن مُبارك .. بين الرَحمة والتآمُر ١٧٨

الإسلام والإسلاميون

يا شباب الصحوة: جئتُم أهلاً وحَلَلْتم سَهلاً ١٨١

الهوية الإسْلامية للثورةِ المِصرية – حَديثٌ إلى الدُعاة ١٨٣
" حتى يحكموك فيما شجر بينهم" ١٨٦
معالمٌ قي طريقِ الدعوةِ .. نَظرةٌ عَاجِلةٌ ١٨٩
لا تلقوا بمصر في التَهلِكَة .. نعم للتعْديلات الدُستورية ١٩٣
حَشدُ الهِمّة .. لمناصَرة دينِ الأمّة ١٩٥
"قلْ موتوا بغَيظِكُم" .. والمَوعِدُ الشَريعة ١٩٧
يا شَبابَ الثورةِ .. تمسّكوا بدينكم ١٩٩
الأحزابُ الدينية .. وإتجاه السِياسَة المِصْرية ٢٠١
السَلفيون .. والرُؤية السِياسية ٢٠٣
السّلفيون .. "إلا الحَماقة أعْيَتْ من يُداويها"! ٢٠٥
الإخوان .. وفتوى رئاسَة القبطيّ للجُمهورية ٢٠٧
قبل أن يَستقر غُبار الحُوينيّ .. حديثٌ مع ابو قتادة الليبيّ ٢١٠
الإتجاهات الإسلامية .. والعَودة إلى الأصولية الشَرعية ٢١٥
الإخوان .. والأحزاب .. والجماعة ٢٢٤
الخيارُ الإخوانيّ .. دينٌ أم سِياسة! ٢٢٩
السلفيون .. ولاءٌ وذِمة ٢٣٣
"الدستور بعد البرلمان" .. شعار الثورة الثانية ٢٣٦
الإسلام .. والدولة المِصرية الوَليدة ٢٣٩

حُكم المُشاركة في العَملية السّياسية في مِصر ٢٤٢

على هامشِ قضية المُشاركة السِياسية في مصر ٢٤٥

الإخوان .. وشُعورُ الشَعبِ بالغثيان! ٢٤٩

حَاشيةٌ على هَامش المُشَارَكة.. نصيحةٌ إلى الشبابِ ٢٥٣

مناقشة كتاب "نَصرهم الله فانتكَسوا" لأبي المُنذر الشّنقيطيّ ٢٥٧

دعوة إلى أهل السُنة والجَماعة .. خَريطةُ طَريق ٢٦٥

إلى الشباب .. إخوانٌ وسَلفيون ٢٧٠

الإخوان .. والسِّياسة الحِزبية ٢٧٤

الإخوان .. ورَصيد الشَارع المِصريّ ٢٧٨

بيانٌ إلى الإسلاميين .. "إعذارٌ إلى الله" ٢٨٠

لماذا فشلت الثورة في تحقيق أهدافها؟ ٢٨٣

مِصر .. وضرورة الفَتح الإسْلاميّ الثاني ٢٨٦

البَيان .. في خِيانة الأزهر وتلجلج الإخوان ٢٨٩

السّلفيون .. والخَيار الصَّعب ٢٩١

الوضع السياسيّ .. وشبكة العلاقات الإسلامية ٢٩٥

الإسلام .. وقيادة ثورة التصحيح ٢٩٩

على هامش جُمعة التصحيح! ٣٠٢

من سَيقود الحركَة الإسلامية اليَوم؟ ٣٠٥

يا إسلاميون لماذا التَخبّطُ؟ .. وإلى متى؟ ٣٠٩

الحُوينى وأبو إسماعيل - بين أسلوبُ الدعوةِ وأسلوبُ التغييرِ ٣١٤

لستُ بالخَبّ .. ولكن الخَبّ لا يخدَعُنى ٣١٨

٣٠ سبتمبر .. والفرصة اللائحة ٣٢١

أهي مُشكلة السّلف .. أم المُتسَمِّين باسمهم؟ ٣٢٤

باعوا مصر .. من أجل حفنة مقاعد! ٣٢٧

يا إسلاميون .. إقتضاءُ العلمِ العملَ! ٣٢٩

الشخصية الإخوانية .. بميزان قراراتها ٣٣٢

أيها الشباب .. احذروا قادتكم ومشايخكم! ٣٣٦

يا إسلاميون .. متى تَحوزوا العِزّة؟ ٣٣٩

يا مُسلمي مصر .. ليس هناك ما يُقال بعد! ٣٤٢

يا أهل السُّنة .. عودوا إلى دَعوتِكم ٤٣٦

يوم الجمعة .. وأجركم على الله! ٣٤٩

العلمانيــون

"إذا جَاء نَصرُ الله والفَتح .. فسَبّح بحَمد رَبك" ٣٥٢

وجوه علمَانية .. في الحُكومة المصرية ٣٥٥

أدعياءُ الديموقراطِية .. دعاة "الديموكتاتورية"! ٣٥٧

بين القرآن .. والعلمانية اللادينية ٣٦٠

مُشكِلتنا مع العِلمانيين .. قائمة ما قاموا! ٣٦٣

"الحالة" المصرية .. والكارثة العلمانية ٣٦٧

الأقلية الصَاخبة والأكثرية الصَامتة ٣٧٠

لماذا يخاف العِلمانيون الشريعة؟ ٣٧٢

التّحالفُ اللّاعقلانيّ .. بين الصوفية والعلمانية ٣٧٥

وسائل العِلمانية .. في مُواجهة الإسلام ٣٧٨

القبـــط

الفتنَة القبطيّة .. وزَحفِ الثورةِ العِلمَانية ٣٨٤

فتنة القبط .. ودولة نظير جيد ٣٨٧

كاميليا .. و"الوحدة الوطنية" أحادية الجانب! ٣٩١

الإسلام .. بين إستفزازالكنيسة وراديكالية اللادينيين ٣٩٤

القضاء على فتنة القبط .. وتجفيف منابعها ٤٠٠

القبطُ .. بين الجَاني والمَجنىّ عليه ٤٠٤

خدعةُ النصارى .. والولاءُ للعسكر ٤٠٧

"لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ.." [المنافقون: ٨] ٤١٠

" إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ" ٤١٣

شخصيـــات

البرادعي .. وحساباته ٤١٧

عمرو موسى .. وموسى كوسا! ٤٢٠

محمد عمارة .. الأصول الفكرية والإسلامية ٤٢٢

سَيد قطب .. والخِطابُ الدعويّ المُعاصِرِ ٤٢٤

الحُوينىّ .. بين أدعياء السّلفية وأشباه السّلفية ٤٣٠

إلى خَالد صلاح .. عليك بسُنّة سَاويرس فهي خيرٌ لك! ٤٣٣

على جمعة .. وجمعة إجلاء المفتى ٤٣٧

شَخصِيّتان في الميزان .. السِباعي والنائب العام ٤٣٩

عِصام شَرف .. ماذا يُخفى وَجه الحَمَل؟ ٤٤١

عَلاء الأسْواني .. وتزييفُ التزييفِ ٤٤٤

محمد البرادعى .. ثَانِي عِطفِه! ٤٤٨

عمرو أديب .. وحَازم أبو اسماعيل ٤٥١

ريم مَاجد .. و"ربنا يستر"! ٤٥٣

النَائب العام .. المُجرم العَام ٤٥٥

بين الحُوينى والشنقيطي .. يقف الحق واضحاً ٤٥٧

ما لَك وللدِّينِ .. يا إبراهام عيسى! ٤٦٠

هذا أوانُ سيد قطب .. عَلَم الأمة ٤٦٣

في السياسة الشرعية .. مثال الشيخ صلاح أبو إسماعيل ٤٦٦

الأمر أكبر من محمد حسان ..! ٤٦٩

بلا(ل) فضل .. بَلبَلَةٌ بلا فَضلٍ! ٤٣٧

المجلس الأعلى للقوات المسلحة في مصر قد دعا الأحزاب.................. ٤٧٤

الدعوة السلفية تعلن عدم مشاركتها في مظاهرات الجمعة!! ٤٧٦

"الاتفاق علي معايير اختيار الجمعية التأسيسية" الدستور ٤٧٦

المشير طنطاوى يرفض تحديد موعد لإنهاء الطوارئ - الدستور ٤٧٩

تعليقٌ على أحداث ماسبيرو الصليبية ٤٨١

حسان: مصر للجميع ولن نرضى بتخوين الجيش: الوفد ٤٨٥

خبر: "عشرات الآلاف من السلفيين" ٤٨٥

خبر: "أبوالأشبال: العسكري لم يحترم كلمته" الوفد الإلكترونية ٤٨٧

مقالات عامة

الخُصومَة الفِكرية .. بين النَقـد والتشْهيـر ٤٨٨

بين إنقلابيّ ١٩٥٢ و ٢٠١١.. أين ذَهَبَت ثورة يناير؟ ٤٩١

التغيير .. وفِقه الغَضب لله تعالى ٤٩٤

السياسة المصرية .. والدولة الصَفويّة ٤٩٨

فلا نامت أعين الجبناء ٥٠١

لقاعدة .. الثورة.. والمستقبل ٥٠٣

الإمام بن عاشور .. ومقاصد الشريعة ٥٠٩

إذا سَاء فِعلُ المرءِ .. سَاءت ظُنونُه ٥١٧

الجزء الثاني: من الثورة المصرية

الثورة بين الإنتفاضة والخمود في ستة أشهر

مقدمة ٥٣١

بين فتنة الصمت، وفطنة الجهر ٥٣٣

من لنا إذن .. إذا سَقطت الرموز؟ ٥٣٧

نظرة في أطروحات العَمَل السياسي الإسلامي في الحاضر المصريّ ٥٤٣

ماذا يتوقع المسلمون من حُكم الإسلاميين؟ ٥٥٦

دعم الإخوان .. بين الضرورة العملية والمصلحة الدعوية ٥٦٠

المَشهد المَفروض .. والمبدأ المَرفوض ٥٦٢

عونُ المَعبودِ في الرَدّ على الشيخ محمد عبد المقصود ٥٦٥

ألم تَتضِح الصورة بعد .. يا أرباب البرلمان؟ ٥٧٨

الحُكم الإسلاميّ .. بين التَمهيد والتمكين ٥٨٢

الإسلام المُؤجل .. لحين إشعارٍ أخر! ٥٨٩

خالد صلاح .. ودور العقل في الشريعة ٥٩٣

الهوة العميقة .. التي تفصِلنا عن الإخوان ٥٩٧

الهوة التي تفصلنا عن السلفيين ٦٠٣

عُرس الديموقراطية .. ومَأتم الحريــة! ٦٠٦

"أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ" ٦٠٩

"لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ" ٦١٢
بين عِبادة الشّيوخ .. والتَنطّع في الحِوار ٦١٦
"كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ" ٦١٨
مع من يدور الصِّراع .. في مصر؟ ٦٢٠
كامب سليمان .. بين العسكريّ والإخوان ٦٢٤
يا شباب الإسلامِ ..المَعركة الفَاصلة قادمة! ٦٢٨
برلمان الضِرار .. وإخوان العسكر ٦٣١
يا شيخ حَازم أبو اسماعيل .. هل تَراجَعْت عن نَصرة الدين؟ ٦٣٣
بين عِبادة الشّيوخ .. والتَنطّع في الحِوار ٦٣٦
يا شباب الإسلام .. أقيموا دولة "لا إله إلا الله" ٦٣٨
لماذا الإنتفاضة .. قبل البرلمان؟ ٦٤١
التدليس الإخوانيّ .. ومنهجية التخاذل ٦٤٦
محمد عمارة .. وحملة دعم القبطية على المسلمين الأغلبية ٦٤٩
حين يصبح شرُ البلية ..هو حُكم الأغلبية! ٦٤٩
إسقاط الدولة .. أوهام يصنعها الإعلام ٦٥٢
الممكن والمحتمل .. في ٢٥ يناير القادم ٦٥٧
فرصتكم وفرصة مصر .. فلا تُضيّعوها ٦٥٩
همسة في آذان .. شباب السلفيين والإخوان ٦٦٦

الشرع أو الشيخ .. اختاروا يا شباب الأمة! ٦٧٢

يا مصر ..هؤلاء هُم رجالُاتِ العَهد الجديد! ٦٧٢

رجال إسلام .. أم رجال استسلام؟ ٦٧٥

الإخوان .. وكتابة الدستور ٦٧٩

طبخة العلمانية .. بالنّكهة المِصرية! ٦٨٢

الثورة قادمة .. فاعملوا لها عَملها ٦٨٥

عِبَرَ الثورة الفرنسية .. للثورة المصرية ٦٩٢

عِبَر السقوط العثمانيّ .. للثورة المصرية ٦٩٢

يا حماة الإسلام ..هُبّوا طالَ نَومُكم! ٦٩٥

حكم الإخوان .. هل يعود الزمن إلى وراء! ٦٦٩

خطابٌ مفتوحٌ .. إلى الشيخ الحبيب عبد المجيد الشاذليّ! ٧٠٢

تَخلّصوا من الإخوان .. تَخلُصُ لكُم مِصر! ٧٠٦

نظرةٌ أخرى في إجتهادِ دَعمِ الإخوان! ٧١١

مجلس العسكر ومكتب الإرشاد .. يد واحدة! ٧١٥

تذكير وإيضاح .. في حقيقة دعوتنا ٧١٨

ماذا خَسر الإخوان .. بالسقوط في الميدان! ٧٢١

هل أصبحت مصر كلها فلولاً! ٧٢٤

ما الذي يمكن أن يُقدمه البرلمانيون؟ ٧٧٢

مشروعية بقاء جماعة الإخوان.. في ظل دولة الإسلام ٧٣٠

ماذا يراد بمصر .. وماذا يراد لها؟ ٧٣٢

البرلمان .. والبرلمانية المتخاذلة ٧٣٥

هذا قلمى .. على ما فيه من عوج وأمت! ٧٣٨

تعليقٌ على حَاشية .. الشيخ الجليل عبد المجيد الشاذلي ٧٤١

مُشكلتنا مع البَرلمان المصريّ .. وأغلبيته! ٧٤٧

أنقذونا من سعد الكتاتني ..! ٧٥٤

تخوين الإخوان .. حَقيقةٌ أم إفتراء؟ ٧٥٧

محمد حسان .. بين الدِعاية والعِمالة ٧٦١

الرئيس القادم .. بين الشّعب والعَسكريّ ٧٦٧

أزمة العليمي .. والدكتَاتورية السّلفية الإخوانية العَسكرية ٧٧٢

مأزق الحَركة الإسلامية .. ومَشايخها! ٧٧٥

ربنا تقبل عبدك رفاعي في الصالحين ٧٧٩

الموت .. الغائبُ القريب ٧٨١

المُجرمون في حقّ مصر .. يدٌ واحدةٌ ٧٨٤

الرئيس القادم .. بين الشّعب والعَسكريّ ٧٨٨

أين حقائق مَذبحة بورسعيد .. يا إخوان؟ ٧٩٣

مُشكلة الولاء عند شباب الجماعات الإسلامية ٧٩٦

محمود سلطان .. والمِصريّون! ٨٠٢

د. جَمال حشمت .. والرّاية البيضاء! ٨٠٧

لهذا سأطالب بحلّ جَماعة الإخوان! ٨١١

مطبخُ الرئاسة .. والوَجبة التوافقية! ٨١٤

الشيخ محمد عبد المقصود .. داء الكبر والحسد مرة أخرى ٨١٧

المُغرّدون خَارج السّرب ..وداخله! ٨٢٢

البَيعة لأبي إسماعيل .. بين الشّرعية والديموقراطية ٨٢٥

ظَاهرُها النعمة .. وباطنُها العَذاب! ٨٢٩

لحساب من بيعَت القضية .. وأُخمِدت الثورة؟ ٨٣٢

لماذا يُحاربونَه؟! ٨٣٦

"والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" ٨٤٠

عن نصيحة الشيخ الحويني للشيخ أبو اسماعيل ٨٤٣

حوار مع الشيخ باسم برهامي حول مرشحى الرئاسة! ٨٤٥

يا ياسر برهامي .. أهذا جرحكم وتعديلكم؟! ٨٤٩

الأيام القادمة .. وثورة التصحيح اللازمة! ٨٥٣

يا إسلاميون .. أتخرّبون بيوتكم بأيديكم؟ ٨٥٧

العنترية الإخوانية .. وترشيح الشاطر ٨٦١

مخطئ من ظنّ يوماً .. أنّ للثعلب دينا! ٨٦٤

ردٌ أقبحُ من ذنبٍ .. من الشيخِ السلفيّ ٨٦٩

الدستورالمصري .. بين الإسلام والكفر ٨٧٢

جماعة المسلمين - بين حازم الأمة .. وشاطرها! ٨٧٥

إخوان الشياطين ... وتبرير الخيانة ٨٧٩

التيار السنيّ .. ونهضة مصر المسلمة ٨٨٤

أيها المُسلمون .. الفظوا خَيرت الشّاطر! ٨٨٧

أزمة أبو اسماعيل .. وثورة الإسلام ٨٩٠

أصل الخلاف بين الإسلام وجماعة الإخوان ٨٩٢

لهذا أهاجم هؤلاء الأدعياء! ٨٩٥

عمر سليمان؟ .. أين أنتم يا شباب الأمة؟ ٨٩٨

حقيقة الخلاف بين العَسكر وجماعة الإخوان البرلمانيين ٩٠٢

أيها المسلمون ..المعركة الأوْلى "معركة الدستور" ٩٠٥

توضيحٌ لازمٌ إلى مناصري الشيخ حازم أبو إسماعيل ٩١٠

حتى أنت يا شيخ سَعيد عبد العظيم؟ ٩١٥

«العليا للرئاسة» تقرر تأجيل الفصل في المستبعدين من الترشح ٩١٩

ماذا أقول بعد .. وقد قلنا ما يُحرّك جبالاً صُماً! ٩٢١

روح الثورات .. بين البعث والاغتيال ٩٢٣

حزب الأمة المصرية .. ما الجديد؟ ٩٢٦

نداءٌ إلى أتباع المشايخ وتابعي الجماعات ٩٢٨

إيضاحٌ واجبٌ في منهج الثورة والدعوة! ٩٣١

يا أبناء أمتى ٩٣٥

بين الرّاية الإسلامية .. والرّاية العُمِّيّة ٩٣٧

من أرض الكنانة ٩٤١

"وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ" ٩٤٢

أحداث وزارة الدفاع .. وإجرام العسكر ٩٤٣

النداء الأخير .. لجمعة الزحف والتطهير ٩٤٥

إلى متى يا مصر؟! ٩٤٧

من قلب المعركة .. في مواجهة الطاغوت ٩٥١

وماذا عن حازم أبو اسماعيل؟ ٩٥٤

الإنتخابات الرئاسية .. رؤية شرعية وواقعية ٩٥٧

في حالة تأكيد استبعاده: العيسوي: اعتذر يا أبو إسماعيل!! ٩٦٤



المجلد الخامس

الثورة المصرية

الكتاب الثالث من الثورة المصرية

عام من السقوط مع الإخوان

مقدمة المجلد ٧

عامٌ من السقوط مع الإخوان ١١

نسوا الله فنَسِيَهم ١٣

كلمة عن د .محمد مرسى ١٥

حسبنا الله ونعم الوكيل في الإخوان ٢١

مليونية ٢١ يونية .. هل أفلح الإسلاميون؟ ٢٣

«وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا» ٦٢

٣٠يونيو .. بين الإسلام وا لكفر ٢٩

الوضع المصري .. وحتمية الثورة الإسلامية ٣٢

نظرة تحليلية في واقع الحركات الدّعوية والجِهاديّة ٣٥

يا شباب الأمة .. لا تُهدِروا أوقاتكم ٤٠

يا شباب الإسلام .. احذروا هذا الرهط ٤٤

الفتوى .. بين العلماء والعوام ٤٨

المسلمون .. وقضية المشاركة السياسية ٥١

الإزدواجية في منهج الإخوان ٥٨

أحداث أمن الدولة ودلالاتها .. الصديق والعدو ٦١

كلمة حول الإسلام .. والواقع ٦٥

حول تسجيل« أنتم مشايخ السوء .. »ومساحة الصمت! ٧٠

القرضاوى .. عودة بعد إضلال ٧٤

هل الحُجّة قائمة على الناس اليوم؟ ٧٧

زيادة ايضاح على مسألة حكم أهل الديار ٨٢

هل الأصل في بلاد المسلمين اليوم الكفر .. أم الإسلام؟ ٨٤

نماذج بشرية .. في محيط الدعوة ٩٢

إلى مجاهدي مصر .. مشاهد من سورة الأنفال ٩٨

الخطر الرافضيّ الصفويّ الإخوانيّ على مصر! ١٠٤

الإخوان .. والصعود إلى الهاوية! ١٠٩

عصر باسم يوسف .. في مصر العلمانية! ١١١

التوازن المستحيل .. بين الإسلام والكفر في مصر ١١٥

«وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» ١١٩

مصيبة الإخوان على دين الإسلام ١٢٢

السياسة والدين .. بين الهدف والوسيلة ١٢٤

الصراع الإسلامي العلمانيّ .. في مصر! ١٢٧

محمد بديع .. بين البيطرية والإسلامية! ١٣١

مصر .. والحرب الأهلية ١٣٥

الفتوى .. بين التجريم والتحريم ١٣٩

الكارثة المصرية .. واحتمالات الحلّ ١٤٢

آيات من سورة الإسراء ١٤٥

ورطة الإسلاميين .. بين الإخوان والعلمانيين ١٤٨

انفصال المسلمة عن الكافر تارك الصلاة ١٥١

حقّ المرأة في الخُلع بين الحفظ والضّياع ١٥٤

حوار الطرشان .. بين أدعياء السلفية وأهل الكفران ١٦٤

الجماعة الإسلامية .. في رحم المستقبل (١) ١٦٧

الجماعة الإسلامية .. في رحم المستقبل (٢) ١٧٠

الجماعة الإسلامية .. في رحم المستقبل (٣) ١٧٣

الجماعة الإسلامية .. في رحم المستقبل (٤) ١٧٧

الجماعة الإسلامية .. في رحم المستقبل (٥) ١٨٠

هذا ما جنته يد الإخوان المرتعشة! ١٨٤

قوات العالم« الحرّ .. »ومسلمي مالي ١٨٧

حازم أبو اسماعيل .. والحلّ الإسلاميّ! ١٨٩

«الدولة الحديثة .. »والحاضر المصريّ الصّعب! ١٩٣

حركة التاريخ .. وجماعتيّ الإخوان! ١٩٦

دولة الديموقراطية .. أم دولة الهرج؟ ٢٠١

سقوط الدولة المصرية! ٢٠٥

الصراع الإسلاميّ العلمانيّ .. لغة الجهاد والقوة ٢١١

وعاد الجيش .. عودٌ غير محمود ٢١٥

أهل التوحيد والسنة .. مأزق وموقف ٢١٨

ثم ماذا عن الدستور؟ ٢٢٢

" فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ" ٢٢٦

هذا عذبٌ فرات .. وهذا ملحٌ أجاج! ٢٢٩

قرارات مرسي .. في ميزان العدل ٢٣٢

" ويكون الدين كله لله" ٢٣٤

فلسطين .. لك الله يا أرضنا ٢٣٧

خالد فهمى .. وشُبهاته حول تطبيق الشريعة ٢٤٠

القبط .. في نظر الشرع الإسلامي ٢٥٣

عبد المنعم أبو الفتوح .. رائد السياسة الإخوانية ٢٥٨

هم والله شِرذمةٌ قليلون .. فاعتقلوهم! ٢٦٢

اللهم عليك بمنافقىّ العصر .. جُمعة والطيب! ٢٦٧

كمال حبيب .. وجماعة التراجع! ٢٦٩

من الذي قتل جنود مصر في سيناء؟ ٢٧٤

ردٌّ على بيان الإخوان حول الشَريعة في الدستور ٢٧٧
خبرٌ عاجل :الشيخ عادل شحتو .. أول ضحايا حكم الإخوان ٢٨١
يا جمال سلطان« .. تُبْ يَتُبِ الله عليك»! ٢٨٥
خذوا على أيديهم .. قبل فوات الأوان! ٢٩٠
اللهم انتقم من خاذلي النبيّ .. دعاة« مرسى في الكرسى»! ٢٩٣
سبّ الرسول صلى الله علي وسلم .. كلّ إناءٍ بما فيه ينضح! ٢٩٦
هذا هو دين الإخوان .. فاعتبروا! ٢٩٩
حسبنا الله ونعم الوكيل! ٣٠٣
هل تصلح جماعة الإخوان لفكرة التعاون والتقارب؟ ٣٠٦
مشايخ الفيسبوك .. الرويبضات! ٣١١
هل للإخوان عُذر فيما يفعلون؟ ٣١٤
يا ريس مرسى .. صفقةٌ هي أم غفلة؟ ٣١٨
نظراتٌ في سورة الأنبياء (١) ٣٢٢
" حتى جَعلناهُم حَصيداً خامِدين" صدق الله العظيم ٣٢٥
خطاب مفتوحٌ.. إلى فضيلة الشيخ وجدى غنيم ٣٢٨
تاريخ العربية .. في الاتجاهات الوطنية المعاصرة ٣٣٠
رمضان .. بين الاستكثار والتخفف ٣٣٤
حين اختلطت الأوراق! ٣٣٦

نظرة أصولية حول إقامة الأحزاب .. في ظل الدولة العلمانية ٣٣٩
جزء من الحلقة القانونية« ..دوخيني يا ليمونة »عل الجزيرة مباشر مصر ٣٤٢
هي الفوضى إذن .. طريقٌ لهدم مصر ٣٤٣
قضيتنا .. ببساطة! ٣٤٦
تمخّضَ الجبل فولد سَقْطاً .. المادة الثانية كُفر بواح ! ٣٤٩
قرار محمد مرسى .. ومواجهة العسكر ٣٥٢
ولا يزال الصراع الإسلاميّ مُستمراً ٣٥٥
ضاحي خرفان .. كلب الخليج العاوى ٣٥٨
نظرة في الطائفة الظاهرة على الحق ٣٥٩
الشّذوذ السياسيّ .. والسقوط الثاني! ٣٦٢
الصراع الإسلاميّ .. في مرحلة الترّقّب ٣٦٥
فخامة الرئيس محمد مرسى الطنطاوى! ٣٦٨
طاولة المفاوضات .. طاولة التنازلات ٣٧١
مرسي رئيساً .. ثم ماذا بعد؟ ٣٧٤
العلمانية التونسية .. والتّجربة المصرية ٣٧٧
الإرهاب العَسكريّ .. وشَرعية الثّورة ٣٨٠
اللهم أحصهم عَددا واقتلهم بَدَدا ٣٨٤
يا مصر لا تَركَعي .. إلا لله ٣٨٧

مصر تطلب زَعيماً .. لا رَئيساً ٣٨٩

من الذي صوّت للطاغوت؟ ٣٩٢

الثورةُ الثانية .. واجبٌ مفروض ٣٩٤

المجلس العَسكريّ .. وشَرعية الغاصِب ٣٩٧

أضاعتكم ديموقراطيتكم .. فهل من مدّكر! ٤٠٠

مقاصد الشرع في الحِلّ والتَحريم .. درس عن الثقة بالله ٤٠٤

توضيح بشأن الرايات السود ٤٠٧

" فاقضِ ما أنتَ قَاضٍ" ٤٠٩

التأسيسية لوضع الدستور .. والطوارئ الفقهية ٤١٣

حديثٌ من القلب .. إلى الأمة ٤١٦

فقهُ الأولويات .. ورفع الخَطر عن الأمة! ٤١٩

الإخوان المسلمون .. والمُعادلة الصّعبة ٤٢٣

التيار السّني لإنقاذ مصر .. فِكرٌ ومَرجعية ٤٢٧

أزمة« الإسلاميون .. »بين السُّنية والإخوانية ٤٣٢

عودٌ على بدء .. مع إرجاف المرجفين ٤٣٦

التزوير .. والتحرير .. ومطالب الدولة المدنية ٤٤٠

يا إسلاميون .. الجهاد الجهاد! ٤٤٤

ما نفعل إذا وقعت الكارثة؟ ٤٤٦

يا علي سالم .. أمسك عليك قلمك! ٤٥٠

انصُروها اليوم .. أو احملوا عَاركم إلى قُبورِكم ٤٥٤

فاروق سُلطان .. ولعبة حَادي بَادي! ٤٥٧

الثورة المصرية ... ونَكسة يونيو الجديدة ٤٦٠

أيها الإسلاميون .. دعوتكم مستمرة! ٤٦٣

بطلان فتوى الراشد .. في انتخاب محمد مرسى ٤٦٦

فتنة التكفير في أوساط أهل السّنة والجماعة ٤٦٩

هل يَصلحُ الفرع .. والأصلُ أعوجٌ؟ ٤٧٢

«الإسلاميون .. »بين الإسْلام والإعلام ٤٧٤

إلى متى يَصبرُ أصحابُ الحق؟ ٤٧٨

العليا للتزوير .. وسيناريو انتخابات٢٠١٠ .... ٤٨١

وهاكم هو ردّى .. يا شيخنا وجدي! ٤٨٤

لا على لائِك .. يا شيخ وجدى غنيم ٤٨٨

حصادُ الثورة المصرية .. والغد الجديد ٤٩٢

الشيخ حسن أبو الأشبال .. رجلٌ وموقف ٤٩٥

"سَحَرُوٓا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ" ٤٩٨

الكتاب الرابع من الثورة المصرية

بعد الانقلاب .. أطل الكفر برأسه

مَقام المقال .. بين العلم والرأي ٥١١

مصر .. شكل دولة وحقيقة عصابة ٥١٤

شعبٌ أعزل .. في مواجهة الإحتلال ٥١٧

الشرعية .. والشرع ٥٢٠

الجنون الذي تعيشه مصر .. والقارعة ٥٢٣

يا مذيعي الجزيرة .. الله الله في المسلمين ٥٢٦

البرهاميّ .. ومصيبة دعاة الدين على هذا الدين ٥٢٩

الجزيرة .. والمعارضة .. بين المَنظورين الإسلاميّ والديموقراطيّ ٥٣٤

حصاد الهشيم .. في مهب الريح ٥٣٨

تجربتي مع السُّرورية ... بعضٌ من تاريخها! ٥٤٥

الصراع الدائر بين الإسلام والكفر ٥٤٩

ضرورات بدهية في تقييم الأحداث ٥٥١

تعقيبٌ على مقال " نصيحة للمجاهدين في العراق والشام" ٥٥٤

عقيدة " الدولة الإسلامية في العراق والشام" ٥٥٩

عودة إلى مجاهدي العراق والشام ٥٦٢

نصيحة للمُجاهدين في العراق والشام ٥٦٧

مفاهيم في طريق التمكين (٣) ٥٧٣

خواطر سريعة حول الأحداث ٥٧٨

مفاهيم في طريق التمكين (٢) ٥٨٠

المسلمون .. وفقه الغفلة عن الكوارث ٥٨٥

مفاهيم في طريق التمكين (١) ٥٨٨

كيف ينتصر المسلمون وفيهم« بُرهامي»؟ ٥٩١

"وجعلنا بينكم مودة ورحمة" ٥٩٤

"أنهلك وفينا الصالحون؟" ٦٠٠

حقائق ثابتة على طريق التمكين ٦٠٢

فلذات الأكباد .. نعمة ونقمة! ٦٠٧

السيسي .. أمريكا .. والمشهد السياسيّ! ٦٠٩

المِعْبر الآثم بين الحق والباطل ٦١٣

خطرة بلا عنوان ٦١٧

شبابنا .. بين طلب العلم والانتماء الجماعيّ ٦٢٠

لماذا خسر المسلمون العالم؟ ٦٢٤

" مشروع الإحياء والتمكين" لدين رب العالمين ٦٢٧

جسر العبور .. من الاستبدال إلى التمكين ٦٣٠

بين دُعاة الاستبدال .. ودُعاة التَمكين ٦٣٥

تعقيب على مقال "بين دُعاة الاستبدال .. ودُعاة التَمكين" ٦٣٩

علاء الأسواني .. علمانيّ آخر يُهرْطق في دين اللهّ ! ٦٤٢

رسالة إلى حكام مصر .. وشعبها المفتون ٦٥١

أضواء من سورة محمد ١صلى الله عليه وسلم ٦٥٥

جيل الاستبدال .. وجيل التمكين ٦٥٩

إسلام .. بلا حدود ٦٦٢

المصريون .. بين شعبين وعقيدتين! ٦٦٥

جيش الاحتلال المصري وعَسْكَرَة المواجَهة ٦٦٩

الإخوان .. بين كُره المُغفّل ومحبة المُضَلّل ٦٧٤

بعد أن انقشع الغبار ٦٨٠

الكارثة في مصر .. وتداعياتها ٧٥٢

٦أكتوبر .. وما بعده! ٧٥٥

بيانٌ وإيضاح ٧٥٨

دعوة إلى الحوار ٧٦٠

عبد المجيد الشاذلي .. الحبيب الراحل ٧٦٢

دين السلمية .. وشروط النصر ٧٦٤

ثم ماذا بعد جمعة الغضب؟ ٧٦٧

جمعة الغضب .. بداية أم نهاية؟ ٧٧٠

معركة العقيدة .. وعقيدة المعركة! ٧٧٣

اللهم قد بَلَغَت القلوب الحناجر! ٧٧٦

الولاء والبراء .. على مسرح الأحداث المصرية ٧٧٩

يا مسلمي مصر .. اعرفوا عدوكم! ٧٨٤

عرفتم عدوكم ..فادفعوه عن أنفسكم ٧٨٧

الإسلام .. بين بشار مصر وسيسي سوريا! ٧٩١

أشعلوها حرباً ضد الكفر المصريّ ..أو موتوا بلا جدوى ٧٩٤

أصحاب الأخدود .. ومستقبل الحركة الإسلامية ٧٩٦

يا أصحاب السلمية .. أفرحتم بما حدث في الفتح! ٨٠٠

حي على الجهاد .. يا شباب محمد صلى الله عليه وسلم ٨٠٣

يا شباب مصر .. حان وقت العمليات الجهادية ٨٠٥

التظاهرات لن تغير موقف كفار الانقلاب ٨٠٧

لن يستطيعوا هزيمة شعب يعتصم بالله ٨١٠

خطوات تكتيكية في الحرب القادمة مع جيش الاحتلال المصريّ ٨١٢

اجعلوها معركة .. ولا تجعلوها مجزرة! ٨١٤

مصر لا تتسع للإسلام والكفر معاً! ٨١٧

خارطة الطريق .. خطابٌ إلى قادة الميادين ٨٢٠

يا مسلمي مصر .. احذروا مكر حسان! ٨٢٣

إلى شعب مصر المسلم العظيم ٨٢٥

حان وقت الشهادة .. فثوروا لإسلامكم! ٨٢٨

مبادرة العوا .. أم مبادرة الإسلام؟؟ ٨٣٠

ثورة الإسلام .. وسقوط الفكر الإخوانيّ ٨٣٣

\ العقلية الإسلامية .. وما بعد المرحلة الحالية! ٨٣٧

وجاءت الأحزاب .. فاصمدوا لها ٨٤١

الجمعة الفاصلة .. فليفرَح شُهداء الغد ٨٤٤

تب إلى الله يا راغب السرجاني! ٨٤٧

اقتلوهم .. ولا تقتلوا أنفسكم! ٨٥١

على هامش الأحداث !خاسر برهامي يوالى سقوطه ٨٥٤

على هامش ما كتب برهاميّ – عذرٌ أقبح من ذنبٍ! ٨٥٦

ماذا يمنعكم من العصيان المدنيّ؟ ٨٦١

على هامش الأحداث !باسم خفاجي .. مرة أخرى ٨٦٤

جيش الإلحاد المِصريّ في حربِه على الإسلام ٨٦٥

"وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ" ..في جمعة النصر ٨٦٧

هل يُقرّ الشعب المصريّ بعلمانيته ٨٧١

سبيل النصر على عسكر الكفر ٨٧٤

ثورةُ إسلامٍ .. لا ثورة إخوان! ٦٦٩

جيشُ الاحتلال المصريّ .. حربٌ على الإسلام ٨٧٨
تحذيرُ الإخوان .. من تقلبات "الإخوان"! ٨٨١
وعاد نداء الإسلام يصنع التاريخ ٨٨٣
اللهم إني مغلوبٌ فانتصر ٨٨٧
معالمٌ استراتيجية على طريق الدعوة ومسار الحركة ٨٨٩
الانقلاب العسكريّ .. ذوقوا ما جنت أيديكم! ٨٩٣
الحشد الشعبي .. في مواجهة الجيش الخائن ٨٩٥
لبيك اللهم جهاداً واستشهاداً ٨٩٧
عارٌ عليك يا بن سلطان! ٨٩٩
جاء يوم الحرب والجهاد .. فحيهلا ٩٠٢
لكن الإسلام لا بواكي له! ٩٠٤
بل الدم الدم والهدم الهدم ٩٠٦
كلمة محمد مرسى .. تحليل وتفصيل ٩٠٩

في الشأن المصريّ

الإخوان المسلمون .. ومقبرة العملية السياسية ٩١٩
السياسة المصريـة في الصحافة العالميـة ٩٢٧
الإخوان – خطوة أراها في طريق الحق ٩٣٠

حين تفقد أمـة رأسها! ٩٣٢

الهوية المصرية وقانون التغيير ٩٣٤

الحرية المخصخصة! ٩٣٦

رياح التغيير وعواصف الواقع ٩٣٨

تجاوزات النظام أم نظام التجاوزات ٩٤٠

ظاهرة الاستئناس السياسي في حياتنا الصحفية ٩٤٢



المجلد السادس

أصول الفقه

مقدمة المجلد السادس ٧

الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد

مقدمة الطبعة الأخيرة ١٦

مقدمة الطبعة الأولى ٢٠

الفصل الأول: مقدمات ضرورية ٢٣

الفصل الثاني: تأثير عارض الجهل على التوحيد ٢٧

الفصل الثالث: تأثير عارض الجهل في الإسلام على الحقيقة ٣٧

الفصل الرابع: تأثير عارض الجهل في أصول الشريعة ٤٧

الفصل الخامس: تأثير عارض الجهل في الأصول الاعتقادية ٥٤

الفصل السادس: شبهات وإيضاحات ٥٧

الشبهات

* الرجل الذي ذر رماد جسده ٥٩

* قول إبراهيم عليه السلام ٦٢

* حادثة ذات أنواط ٦٣

* قول الحواريين في سورة المائدة ٦٤

الإيضاحات

* إيضاح قول ابن حزم في كتاب "الفِصل" ٦٨

* إيضاح قول القاسمي في تفسير "معالم التأويل" ٧٢

* إيضاح لقول صديق حسن خان في "الروضة الندية" ٧٥

الفصل السابع: قضية تكفير المعين ٧٩

الخاتمة.. ٨٩

أهم مراجع البحث ١٢٣

الأصول والفروع في الشريعة الإسلامية ١٢٧

الضرورة والإكراه في الشريعة والتعليق على بحث أبي عبد الرحمن الأثري .١٣٠

العموم في الشريعة، حدوده وضوابطه في اللسان العربيّ ١٤٠

التقريب في فهم الموافقات

* مقدمة الكتاب ١٦١

* مقدمة الطبعة ١٦٧

* مقدمة خاصة بالكتاب الأول ١٧١

* خطبة المؤلف ١٧٣

* مقدمات المؤلف ١٨٣

- المقدمة الأولى ١٨٣

- المقدمة الثانية ١٨٩

- المقدمة الثالثة ١٩٠

* فصل.. ١٩٧

* فصل ١٩٩

- المقدمة الرابعة ٢٠٠

* فصل ٢٠٣

- المقدمة الخامسة ٢٠٤

- المقدمة السادسة ٢١٧

- المقدمة السابعة ٢٢٢

* فصل ٢٣٠

- المقدمة الثامنة ٢٣٣

* فصل ٢٤٠

- المقدمة التاسعة ٢٤٦

* فصل ٢٥٣

- المقدمة العاشرة ٢٥٩

- المقدمة الحادية عشرة ٢٦٦

- المقدمة الثانية عشرة ٢٦٧

* فصل ٢٦٩

* فصل ٢٧١

- المقدمة الثالثة عشرة ٢٧٥

المصلحة في الشريعة الإسلامية.. ٢٨٥

* مقدمات ضرورية ٢٨٦

* الأدلة على حجية المصالح المرسلة ٣٠٣

* ضوابط المصلحة المعتبرة في الشريعة ٣٠٥

* الحلال والحرام في ضوء المصلحة الشرعية ٣٠٩

المصلحة في مقابل النصّ ٣١١

* نظرية الطوفي في المصلحة ٣١٤

* خلاصة نظرية الطوفي في المصلحة ٣١٧

* أدلة الطوفي ٣١٩

* مناقشة النظرية ٣٢١

المصلحة والعقل في ضوء الشريعة ٣٣٠

الاستثناءات من القواعد الكلية في الشريعة الإسلامية ٣٣٦

حدّها - أحكامها - حكمها ٣٣٦

* مقدمة البحث ٣٣٧

* القصد من البحث ٣٣٨

- القسم الأول ٣٤٠

- القسم الثاني ٣٥٣

* الباب الأول: الاستثناء في القواعد الأصولية ٣٥٥

* الباب الثاني: الاستثناءات في القواعد الكلية الفقهية ٣٦٢

* الباب الثالث: قضايا الأعيان وحكايات الأحوال ٣٦٤

* الباب الرابع: العوارض الأهلية ٣٦٧

* الباب الخامس: العزيمة والرخصة.. ٣٧٣

* الباب السادس : المصلحة وعلاقتها بالاستثناء ٣٧٥

* نتيجة البحث ٣٨٢

* مراجـع البحـث ٣٨٣

الخلاف - معناه, أسبابه, نتائجه ٣٩٠

* مقدمة/ الخلاف بين المسلمين: أسبابه وآثاره ٣٩٠

* خصائص الاختلاف المعتبر ٣٩٣

* خصائص الخلاف غير المعتبر ٣٩٦

* أسباب الخلاف المعتبر ٣٩٨

* الاختلاف في أصل الدليل الشرعي ٤٠٥

* الجزئيات في جزئيات الدليل ٤٠٧

* القول في دلالات الألفاظ ٤١٠

* الاختلاف في الناسخ والمنسوخ ٤١٧

* الاختلاف في قطعية الأصول ذاتها ٤١٩

خاتمة ٤٢٣

تطور علم أصول الفقه .. بين الشافعيّ والشاطبيّ ٤٢٦

* المطلب الأول ٤٢٧

* المطلب الثاني ٤٤٩

- تطور علم الأصول ٤٤٩

- التعريف اللغوي للاستقراء ٤٥٦

- معنى الكليّ والجزئيّ ٤٥٦

- تعريف الاستقراء الاصطلاحي ٤٥٨

- الاستقراء التام والناقص ٤٦٠

- القطعية والظنية في الاستقراء ٤٦٠

- الجزئي الحقيقي والإضافي ٤٦١

- كتاب الموافقات ومنهج أهل السنة والجماعة ٤٦٢

- حديث الجويني عن مقاصد الشريعة ٤٦٣

- الشاطبي والموافقات ٤٦٥

- الموافقات ٤٦٦

- خلاصة البحث ٤٧٢

- مراجع البحث ٤٧٤

مقاصد الشريعة - بين المبادئ والوسائل ٤٧٩

* مقدمة البحث ٤٧٩

* مدخل إلى تطور النظر في موضوع المقاصد ٤٨١

* شرح المقاصد العامة للشريعة ومراتبها ٤٨٩

* منظومة المقاصد ٤٩١

* بين مقاصد الشريعة ومبادئها ٤٩٣

* العلاقة بين المقاصد والوسائل ٥٠٢

* المقاصد والمصالح في الشريعة ٥٠٥

* التجديد في الفكر المقاصديّ ٥٠٧

* أهمية دراسة المقاصد في بناء الفقه المعاصر ٥١١

* مراجع البحث ٥١٣

المنطوق والمفهوم في الشريعة الإسلامية ٥١٧

* دراسة حول المنطوق والمفهوم ٥١٧

* المنطوق - أدوات فهمه ٥٢٠

* الحقيقة والمجاز ٥٢٣

* ردّ اعتراضات الأستاذ حسان بن حسن الصومالي على د طارق عبد الحليم ٥٣٨

مفتاح الدخول الى علم الأصول

* علم الفقه وعلم أصول الفقه ٥٦٢

* قواعد أصولية لغوية

- الاحكام والمتشابه ٥٦٨

- العموم والخصوص ٥٧٢

- المطلق والمقيّد ٥٧٨

* مباحث أصولية لغوية

- الألفاظ الواضحة وغير الواضحة ٥٨١

* الأمر والنهي ٥٨٧

* في الدلالات

- المنطوق والمفهوم ٥٩٣

- قضية التحسين والتقبيح العقلي ٥٩٩

* الحكم الشرعي ٦٠١

- الأحكام التكليفية ٦٠٣

- الأحكام الوضعية ٦١٢

* الأدلة الشرعية

- الكتاب ٦٢٥

- السنة ٦٢٦

- الاجماع ٦٤٥

- القياس ٦٤٧

- الاستحسان ٦٦٢

- الاستصحاب ٦٦٤

- سد الذرائع ٦٦٧

- العرف ٦٦٩

- قول الصحابي ٦٧٠

- شرع من قبلنا ٦٧١

* مقاصد الشريعة ٦٧٢

- أنواع المصالح ٦٧٥

- ما المقصود بمقاصد الشريعة ٦٨١

- درجات الأحكام الشرعية بالنسبة للمقاصد ٦٨٥

- العلاقة بين رتب المصالح الثلاث ٦٨٧

- النظر في علاقة النية والفعل واللفظ ٦٩٤

* المصالح المرسلة

- المصلحة المرسلة وعلل الأحكام ٦٩٦

- الأدلة على حجية المصالح المرسلة ٧٠٤

- ضوابط المصلحة المرسلة ٧٠٥

- أسس الترجيح بين المصالح ٧٠٩

* البدعة

- تعريف البدعة ٧١٣

- تقسيم البدع ٧٢٠

- ضوابط البدع ٧٢١

* في الفرق بين المصلحة المرسلة والبدعة ٧٢٦

* سد الذرائع ٧٢٨

- الأدلة على حجية سد الذرائع ٧٣٠

* مراجع الكتاب ٧٣٥

منهج النظر والاستدلال عند أهل السنة والجماعة

* مقدمة ٧٤١

- المقصد من البحث ٧٤٦

- بين النظر والاستدلال ٧٤٦

- مصادر الاستدلال ٧٤٩

- تعريف المنهج المقصود ٧٥٠

* القسم الأول: الأسس الفطرية ٧٥٢

- أحكام الفطرة ٧٥٣

- مكونات الفطرة ٧٥٤

- العلاقة بين الفطرة والسنن ٧٥٨

- الفطرة والتصرفات التلقائية ٧٥٩

- الفطرة وأصول النظر ٧٦٠

* القسم الثاني: الأسس العقلية ٧٦٣

- العقل وكيفية تلقّيه ٧٦٣

- العقل والفلسفة ٧٦٤

- العقل والمنطق ٧٦٥

- الدور والتسلسل ٧٦٥

- البديهة والعلم ٧٦٦

- العلم والتصور والحدّ ٧٦٧

- اعتراضات ابن تيمية على أن العلم لا يُعرف إلا بالحد ٧٧٠

- العلم والتصديق والقياس ٧٧٢

- المنطق والعقلانية الغربية ٧٧٧

- دور العقل في منهج النظر والاستدلال ٧٧٧

* القسم الثالث: الأسس الشرعية ٧٨٤

- القلب ومفهوم الهداية ٧٨٥

- العقل ومفهوم المعرفة ٧٨٧

- مصادر التلقي ٧٨٩

- اعتبار أحاديث الآحاد الصحيحة في النظريات والعمليات ٧٩١

- تقديم ما جاء به السلف ٧٩٢

- اعتبار الكليات مع الجزئيات والعكس ٧٩٣

- الأمور بمقاصدها ٧٩٦

- العمل بالظاهر وترك التحري عن الباطن ٨٠١

- العبرة بالمعاني لا بالمباني ٨٠٥

- التمييز بين القواعد الثلاثة السابقة ٨٠٦
- مقاصد الشريعة العامة ومراتبها ٨٠٧
- الأحكام الشرعية في مقابل الأحكام الوضعية ٨٠٨
- قواعد المقاصد ٨٠٩
- الضرورات تبيح المحظورات ومعناها ٨٢٨
- النظر في علاقة النية والفعل واللفظ ٨٣٠
- تمييز الضرورات عن الحاجيات وترتيب الأوليات ٨٣١
- الجمع بين المتماثلات والتفرقة بين المختلفات ٨٣٣
- تحقيق الأدلة ومصادرها ٨٣٥
- اعتبار حقائق اللفظ المفرد وأولياتها وتراكيب الجمل ومقصودها ٨٤١
- الضرورة تقدر بقدرها ٨٤٤
- الحاجة التي تعمّ تنزّل منزلة الضرورة ٨٤٤
- اتباع المُحكم وردّ المتشابه ٨٤٥
- التأويل ٨٤٦
- مستقرات العادة ٨٤٨
- الكلام يُحمل على نية القائل إلا في الحلف أمام القاضي ٨٤٩
- اليقين لا يُرفع بالشك ٨٥١
- الغاية لا تبرر الوسيلة ٨٥٢

- لا تصح فتوى العامي وإن وافقت الحق ٨٥٣
- مقاصد الشريعة لا تعتبر إلا من جهة عالم مختص ٨٥٤
- منع الضرر بإطلاق ٨٥٥
- منع الضرر مُقدم على جلب المصلحة ٨٥٦
- الأخذ بأدنى المفسدتين وبأعلى المصلحتين ٨٥٦
- النادر ليس له حكم في الشرع ٨٥٧
- الطاعة لا تكون إلا في المعروف ٨٥٨
- تطويع المفاهيم ٨٦٠
* مفهوم التجديد ٨٦٣
* مفهوم التعددية ٨٦٧
- من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه ٨٧٠
- مراعاة الفرق بين الممكن والمحتمل والمقدور عليه ٨٧٤
- الفرق بين الشورى والديموقراطية ٨٧٦
* خاتمة ٨٧٩
هل يمكن أن يُقبل العمل المكفّر بدعوى الإكراه؟ ٨٨٠
الغاية والوسيلة .. في التصور الإسلاميّ ٨٩١
دراسة حول المرونة في السياسة الشرعية ٨٩٥
رفع الشبهات في موضوع الولاء والبراء ٩٠٩

* الولاء المطلق أو ولاء الكفر الأكبر ٩١٣

- قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ٩١٤

* مطلق الولاء أو الولاء الأصغر ٩١٦

الجرح والتعديل في الواقع الإسلاميّ ٩١٩

الإحكام في رفع الشبهات عن مسألة توحيد الحكام ٩٢٤

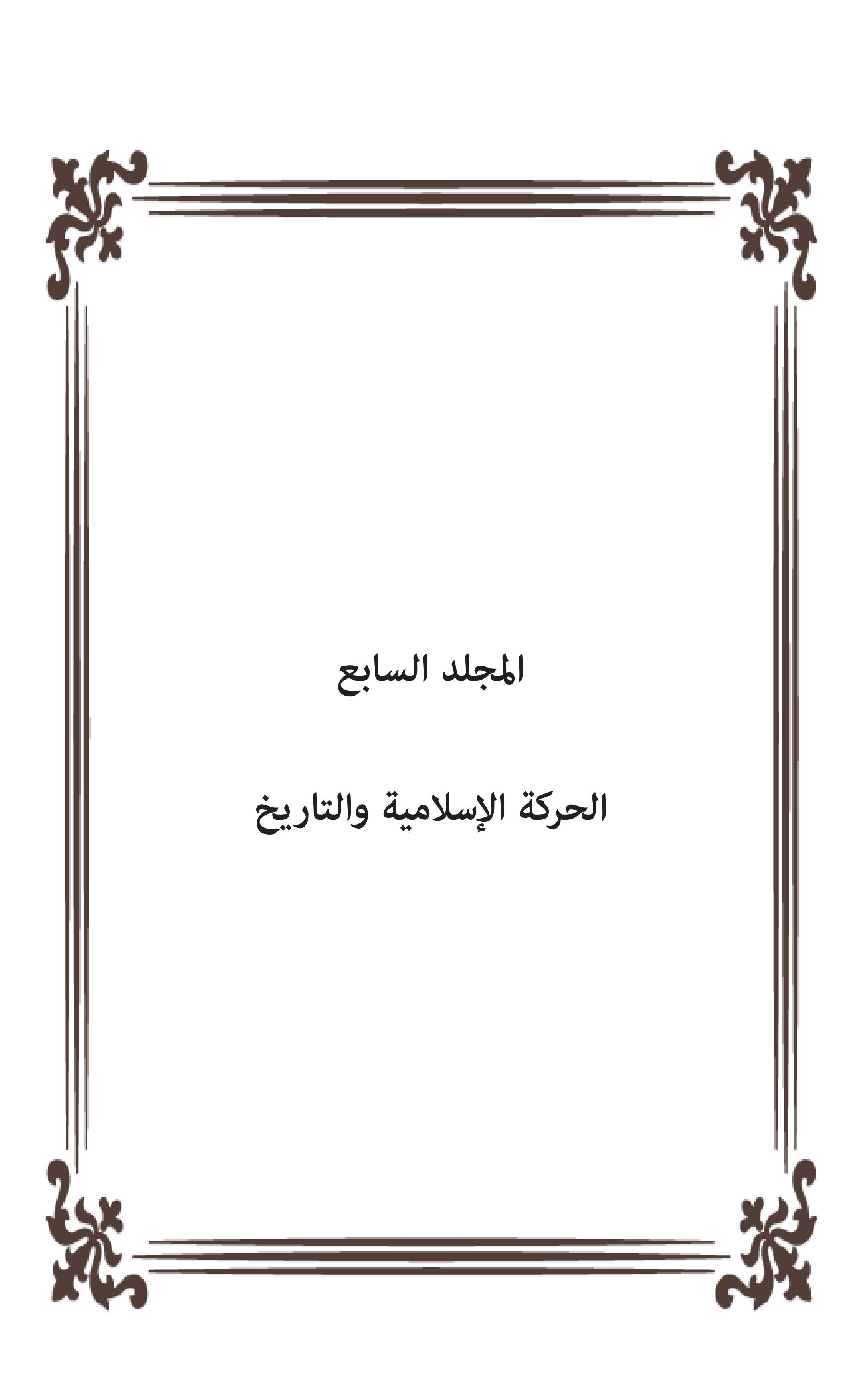
* شبهة في باب التحاكم إلى شرعٍ وضعي غير ما أنزل الله ٩٢٦

* قول ابن عباس "كفر دون كفر" ٩٢٩

* شبهة في باب الولاء ٩٤٣

القيم العقدية والأخلاقية في التوحيد ٩٤٨

* أشكال بيانية توضيحية ٩٦٥



المجلد السابع

الحركة الإسلامية والتاريخ

القسم الاول: الإسلاميون والحركة الإسلامية

أنوار البرق في بيان الحق - معالم في فكرسيد قطب

مقدمة الطبعة الأولى..15

نظرات في فكر سيد قطب 21

سيد قطب .. وفرية سبّ الصحابة..48

الطريق إلى إنقاذ الأمة - بين محمود شاكر و سيّد قطب 55

القطبية .. والفكر التوحيدي..62

سيد قطب ومجلة «الإسلاميون» 68

سيد قطب والقرضاوي..70

الفقه في كتاب «في ظلال القرآن»..87

نظرات في التمكيـن .. في واقعنا المعاصر

تقدمة الكتاب 99

الجزء الأول: قيام دولة الإسلام بين الواقع والأوهام 101

المعطيات 105

معطيات فكر التيار السلفي الجهادي والاتجاه الحروري في موضوع الدولة : 107

الإشكاليات 112

إشكاليات الفكر السياسيّ الإخوانيّ في موضوع الدولة.. 113

إشكاليات الفكر السياسيّ الحروري الجديد في موضوع الدولة 117

الأطروحات.. 143

الجزء الثاني: إقامة الدولة وبناء الأمة .. الحقيقة العارية 170

القسم الأول - قيام الدولة 170

القسم الثاني - بناء الأمة 177

ملحق إيضاحي على جُمّلٍ في البحث 185

أبحاث في التمكين 189

البحث الأول: مفاهيم في طريق التمكين 192

الفصل الأول.. 192

الفصل الثاني 195

الفصل الثالث... 200

البحث الثاني: جسر العبور .. من الإستبدال إلى التمكين.................................. 205

البحث الثالث: جيل الإستبدال .. وجيل التمكين 210

البحث الرابع: بين دُعاة الإستبدال .. ودُعاة التَمكين 213

البحث الخامس: حقائق ثابتة على طريق التمكين 217

البحث السادس: «مشروع الإحياء والتمكين» .. لدين رب العالمين 222

خطوات في سبيل منهجية جديدة لإعداد شباب التمكين

الفصل الأول 228

الفصل الثاني 232

الفصل الثالث 236

الفصل الرابع 242

الفصل الخامس 246

الفصل السادس 252

الفصل السابع 258

الفصل الثامن 265

الفصل التاسع 271

الفصل العاشر 276

الفصل الحادي عشر 283

الفصل الثاني عشر...288

الفصل الثالث عشر...293

الفصل الرابع عشر 301

الفصل الخامس عشر...307

الفصل السادس عشر... 313

الفصل السابع عشر... 317

الفصل الثامن عشر 321

خطوات منهجية في ظل الحقيقة العارية 329

متطلبات «الدولة الإسلامية» بين الوهم والتحقيق 340

الجماعة الإسلامية .. في رحم المستقبل 356

ماذا علمتنا الجماعات الإسلامية .. في قرن كامل 372

الجزء الأول 373

الجزء الثاني...378

المشكلة الإسلامية .. تأصيلاً وتطبيقاً... 381

هل يمكن توحيد الجهد «الإسلامي» لإخراج الأمة من مأزقها ؟ 393

عن الجهاد والمقاومة - نظرة فقهية تطبيقية 413

في مسألة العمل خلف خطوط العدو.. 413

نتائج وخيمة للخلط في مفهوم جهاد الأمة!...422

تعليق على مذهب د عبد الله المسعري في الدعوة النجدية..............................426

أحداث أوروبا: أسباب ونتائج .. حول عولمة الجهاد.....................................429

الجزء الثاني..435

الجزء الثالث...440

الجزء الرابع...444

الطريق إلى فهم أقرب لحل المشكلة الإسلامية..453

نظرات في أمر الشام .. ٢٠٢٠

عودة إلى أمر الشام .. والهيئة!

(1) إلى فصائل الشام المتناحرة .. إلام الخُلْفُ بينكمُ؟! 494

(2) قد بعثتموها والله ذميمة ...! يا فصائل الشام..497

(3) بيان الهيئة ... استمرار فرض النفوذ والتلاعب! 500

(4) إلى جند الهيئة .. ولا زال الشيطان يعبث بعقولهم ..!...................................503

(5) الاتفاقات الثلاثية .. ومصير الهيئة 505

(6) جيل الجولاني .. وسفاهة سفهائه!.. 507

(7) أفيدونا ... على أي دينٍ هؤلاء!؟ مسرحية الجولانيّ...................................... 512

(8) طامة خائن الشام الجولاني الأخيرة ..!.. 515

(9) المنهج ... وما أدراك ما المنهج!.. 517

(10) يا شيخ أبا قتادة .. أقولها بسعة صدر ... ألم نحذرك !!؟ 520

(11) سبحان الله .. أنخاطب جمعٍ من جِرَاءٍ كذوبة ..!.................................... 522

(12) فضيحة هيئة تخريب الشام بشأن الأخ بلال عبد الكريم............................. 524

(13) وإن أنت أكرمت اللئيم ..!.. 525

(14) يا شيخ الاستشراف 527

(15) جرو آخر من أجْراء الجولاني .. يزيف التاريخ!... 528

(16) من أنقذ هيئة الخيبة من ويلات جماعة الدولة 530

(17) الليث والدودة .. في كليلة ودمنة الشامية!... 531

(18) إطلاق سراح أبو حسام البريطاني.. 535

(19) إلى أصحاب العقول .. من له حقّ الحديث والإفتاء؟................................ 536

(20) سهام طائشة .. من أيدٍ مرتعشة!..540

(21) مناصحة للعاملين في إدلب 541

(22) عن الهيئة والشيخ المقدسيّ 548

في الشأن المصريّ

الإخوان المسلمون .. ومقبرة العملية السياسية..555

تتمة مقال الإخوان المسلمون .. ومقبرة العملية السياسية 560

السياسة المصريـة في الصحافة العالميـة..563

الإخوان - خطوة أراها في طريق الحق..566

حين تفقد أمـة رأسها! 568

الهوية المصرية وقانون التغيير 570

الحرية المخصخصة!..572

رياح التغيير وعواصف الواقع..574

تجاوزات النظام أم نظام التجاوزات 576

ظاهرة الإستئناس السياسي في حياتنا الصحفية..578

أزمة القيادة بين الشرع والوضع في واقعنا الإسلامي..580

القسم الثاني: في التاريخ

الدولة الأمــوية 592

الدولة العباسيــة.. 636

العصر العباســـي الثانـــي.. 678

عهد سيطرة الأتراك.. 678

العصر العباسي الثالث: عصر البويهيين (447-334).. 709

العصر العباسي الرابع: عصر السلاجقــة (656-447) 718

ملحــق الحروب الصليبيــة.. 732

الأنوار البهية في معالم الدعوة النجدية 745

كلمة أخيرة فاصلة في موضوع نظرية المؤامرة.. 771

الأعمال الكاملة

قائمة الأعمال الكاملة .. في العلوم الشرعية 780

صوتيات 786

كتب ومقالات بالإنجليزية 787

فهارس الكتاب 789



المجلد الثامن

خواطر في التفسير والشريعة والحياة

مقدمة المجلد الثامن..٧

الجزء الأول: في التفسير واللغة

الأخلاق في القرآن الكريم...١٥

مقدمة:...16

ماهية الأخلاق 18

(١) باقة سورة الإسراء ٢٠

(٢) باقة سورة الحجرات..43

الأخلاق في القرآن الكريم...٦٢

"... اعدْلـوا هو أقـربُ للتقـوى" ٦٩

"فورب السماء والأرض إنه لحقّ..." ٧١

" ... إلا من ظُـلِم" ٧٣

فلعلك باخعٌ نفسك...٧٦

في عبير التفسير ٨٠

قصة صراع .. بين الحق والباطل ٨٨

ما أعظمها من إمرأة ..!...٩٤

من وصايا لقمان عليه السلام..٩٨

اللسان العربي والمنهج العلمي .. صرعى الحاضر ! ١٠٧

إحياء اللغة العربية ١١٦

دراسة مقارنة في الشعر العربي .. القوس العذراء مثالاً.. ١١٨

هل كان المعريّ ملحدا؟... ١٧١

لستُ بشاعرٍ .. ولكن! ١٧٧

بين المقالة الأدبية والمقالة السياسية.. ١٩٣

الجزء الثاني: للنساء فقط

قصة قصيرة ٢٠١

(١) مقدمة ٢٠٣

(٢) كنز الرضا...٢٠٥

(٣) درجة الفضل وفضل الدرجة ٢٠٩

(٤) يا معشر النساء تصدّقن - ١ ....٢١٢

(٥) يا معشر النساء تصدّقن - ٢ .... ٢١٦

(٦) بين حقٍ ضائع وواجب مُضيّع - ١ .... ٢٢٠

(٧) بين حقٍ ضائع وواجب مُضيّع - ٢ .... ٢٢٣

(٨) المباح المحرم - ١ ....٢٢٧

(٩) المباح المحرّم - ٢ ....٢٣٢

(١٠) المباح المحرّم - ٣ .... ٢٣٦

الجزء الثالث: في الشريعة

عقيدتنا ٢٤٤

سلسلة من هديّ النبوة ٢٥٦

من هـديّ النبـوة - كفى بالمرء كذبا ٢٥٧

من هَـديّ النُبُـوّة - أنت مع من أحببت ٢٥٩

من هـديّ النبـوة - عليكم بسنتى ٢٦١

من هَـديّ النُبـوّة - شرف المرء ودينه ٢٦٣

من هدي النبوة - أفضل الرجـــال ٢٦٥

المُستَكْبِرون والمُستضْعَفون .. في القرآن الكريم ٢٦٨

... انفضّوا إليها وتركوك قائما ٢٧٢

أهل السنة والجماعة – الاسم والمسمى ٢٧٥

الجماعات الإسلامية وفتنة الفتوى! ٢٧٩

التعصب العقائدي .. وقضية المآذن ٢٨٣

تعقيب على مقال الدكتور محمد عمارة (الفاتيكان والإسلام) ٢٨٨

ثوابت الفكر السني ومعالمه وعلاماته الفارقة ٢٩٣

الجزء الرابع: في السياسة

حماس وازدواجية المواقف ٣٠١

التكييف الشرعيّ: لمواقف الخزي العربيّ.. ٣٠٥

التهدئة والمفاوضة والمصالحة .. في الواقع الفلسطينيّ ٣١٥

التهدئة والمفاوضة والمصالحة - (١).. ٣١٦

التهدئة والمفاوضة والمصالحة - (٢).. ٣١٨

الواقع الفلسطينيّ في ضوء المؤتمر السادس لحركة فتح ٣٢١

الفكر والعلم – اجتماعا وافتراقا ٣٢٥

أيام البـــلاء ٣٢٩

لا وقت للخوف .. قبل التنصيب ٣٣٣

حرب المعلومات .. والعداء الصليبيّ ٣٣٧

"وتلك الأيام نداولها بين الناس" بين الـشِّــرَّة والفِـتْرة ٣٤١

طبيعة العدوان ٣٤٥

القرار المشين – وسحب القرآن الكريم ٣٤٩

حياة المعاني .. ومعنى الحياة ٣٥٣

أمراض النفس وعلل العقل ٣٥٧

الحرية العرجاء ٣٦٢

قراءات حول العقل العربي ٣٦٧

(١)..٣٧٠

(٢)..٣٧٣

(٣)..٣٧٥

نَمَطٌ مُغْرِضٌ ونَمَطٌ خَبيثْ! ٣٧٨

مشكلات الأمة الإسلامية بين السياسة والاجتماع ٣٨٢

تساؤلات مصرية على هامش الانتخابات البرلمانية ٣٨٦

الشكل السياسي وإمكانية التغيير ٣٩٠

"إنه كان ظلوما جهولا" ٣٩٤

لا حياة بلا حريـــــة ٣٩٨

العقلية الإسلامية بين الواقع والخيال ٤٠٢

الحقيقة المغيّبة ٤٠٦

المخـاض السياسيّ! الفائز والخاسرون ٤١٠

التعددية السياسية والهوية الواحدة ٤١٤

تيسير علّوني .. صبراً...٤١٨

وما خفي كان أعظم! ٤٢٢

بين العدل والإيثار ٤٢٦

ذكرى الغزو الصليبي والصمت المُتْعَب ٤٣٠

الترابي: إسمُ على مُسمّى! ٤٣٤

طريق العودة إلى الكرامة 438

عارٌ على الصرح عظيم! 442

عتاب رفيق للمستشار طارق البشرى 446

عداء الإسلام وعبرة التاريخ 451

فلا نامت أعين الجبناء.. 456

دول الخليج .. بين الإسلام والحداثة 460

المصريون .. وأزمة القمنيّ 465

بين النقد الهادئ ونقد "الطبطبة" لكل مقام مقال 469

الفشل الديكتاتوري في التجربة المصرية 475

أزمة الاقتصاد العالمي – وتوابع الجشع 479

النفاق الغربيّ على المسرح السياسيّ 483

أوباما .. والسياسة الأمريكية 487

ثلاثيّ الخداع – أمريكا، إسرائيل، إيران 491

حماس .. بين مطرقة اليهود وسندان الرافضة 495

من المسؤول الحقيقي وراء أحداث ١١ سبتمبر؟ 499

(١) 500

(٢) 502

(٣) 503

(٤)..٥٠٥

(٥)..٥٠٨

(٦)..٥١٠

"البترو - دولار" والاستعمارية الأمريكية ٥١٤

ظاهرة انعدام الحياء في السياسة الأمريكية ٥١٩

متى كان السبّ تعبيراً عن حرية الرأي!؟ ٥٢٣

ماذا تعني الانتخابات الأمريكية للمسلمين! ٥٢٨

ما يحدث في انتخابات أمريكا! ٥٣٣

سلسلة الواقع الإسلاميّ في نهاية ٢٠٢٠ .. دون رتوش! ٥٣٧

(١) الحركات الإسلامية المعاصرة..٥٣٨

(٢) وجوه النفاق في الساحة الإسلامية .. بلا رتوش ٥٤٢

(٣) أحوال المسلمين في الغرب وكارثة الإسلام التقدميّ ٥٤٥

مستقبل السياسة الأمريكية .. والعمل الإسلامي ٥٤٩

العلاقات التركية – الإخوانية/الإسلامية ٥٥٤

بين الكتابة الشرعية والسياسة...٥٥٩

الفكر المنهجيّ في مقابل الفكر الهمجيّ..٥٦٤

دعوها .. فإنها منتنة..٥٦٩

الشرعية الإسلامية والشرعيات الزائفة .. إسلام وكفر ٥٧٦

محنة الديموقراطية .. لا أزمة الإسلام............ ٥٨٣

الفرصة السانحة .. والجهود التائهة............ ٥٨٧

العلم الشرعي .. والتكنولوجيا............ ٥٩١

الوصفة الإخوانية للدعوة الإسلامية............ ٥٩٦

الجزء الخامس: في الحياة والتربية

نشأة الشخصية .. بين الآباء والأبناء............ ٦٠٣

شخصية الآباء .. وعوامل تكوينها............ ٦٠٧

الأحياء حقا .. والأموات حقا............ ٦٣٠

كيد الشيطان وقوى التغيير............ ٦٣٤

الاقتصاد الربوي في الميزان: من الخاسر الحقيقي؟............ ٦٣٨

نحن وأخطاءنا............ ٦٤٣

(١)............ ٦٤٤

(٢)............ ٦٤٦

(٣)............ ٦٤٩

(٤)............ ٦٥١

(٥) وإذا حكمتم بين الناس............ ٦٥٤

(٦)............ ٦٥٨

(٧).. ٦٦١

(٨) التطفيف في المعاملة.................................... ٦٦٣

(٩) أمانة الوقت والتسويف ٦٦٥

(١٠) اطمئنان البال للواقع الحال!.............................. ٦٦٨

الجهل بالجاهلية .. في مجتمعنا المعاصر ٦٧١

الجزء الأول: المصدر ٦٧٢

(٢) الجزء الثاني: الغربة عن الجاهلية............................ ٦٧٥

إحسان الظن .. بين الحق والباطل ٦٧٩

عمرو خالد - وفتنة القصاصين ٦٨١

"حتى يحكموك فيما شجر بينهم" ٦٩٣

حديث عن المنهج... ٦٩٧

حركة الفكر.. وفكر الحركة ٧٠٣

شريط الذكريات .. ترجمة خاصة ٧١٤

الجاهلية الغربية ٧٤٨

هل انتهت طبقة العوام بين المسلمين؟! ٧٥٣

درس من الحياة! ٧٥٧

الاهتمامات الفردية ودائرة أثرها في حياة المسلم ٧٦١

الواجبات المنوطة بجيل المستقبل................................ ٧٦٧

الجزء السادس: الرافضة في الميزان

الاحتلال الصليبي والسيطرة الصفوية – من سيكون الذابح ٧٧٤
أكاذيب الرافضة في ميزان النقد ٧٧٨
الشيخ القرضاوي .. والرافضة ٧٨٤
الفتنة .. لعن الله من أوقظها ٧٨٨
المؤامرة الصفوية وأبعادها على الأمة السنية ٧٩٢
إكلاشيه "الوقيعة".. بين السنة والشيعة ٧٩٧
تعقيب على التعقيب – الرافضة في ميزان السنة ٨٠١
ردّ عائلة الشيخ سليم البشري على كتاب "المراجعات" ٨٠٧
رب ضارة نافعة ٨١٥
إلى رئيس وزراء كويبك ٨١٩
القاعدون من الإسلاميين .. غير أولى الضرر! ٨٢٤

الجزء السابع: في أساليب الإدارة -

الإدارة في المنهج الإسلامي

دوافع الفرد بين المنهج الإسلامي والفكر الغربي ٨٣٦
نظرية "الوسيلة والهدف" في القيادة ٨٣٩

نموذج اتخاذ القرار.. ٨٥١

الجزء الثامن: من كتب الغرب

قيام وسقوط القوى العظمى.. ٨٦٣

"الحرب العظمى من أجل الحضارة" ٨٧١

الغطرسة الإمبريالية: لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب ٨٧٥

الفهارس العامة لمجموعة الأعمال الكاملة

فهرس المجلد الأول: العقيدة ٩١٦

فهرس المجلد الثاني: أحداث الشام كما عايشتها ٩٢٣

فهرس المجلد الثالث: أحداث الشام كما عايشتها ٩٥٤

فهرس المجلد الرابع: من الثورة إلى الانتفاضة ٩٨٣

فهرس المجلد الخامس: الثورة المصرية ١٠٠١

فهرس المجلد السادس: أصول الفقه ١٠١٧

فهرس المجلد السابع: الحركة الإسلامية والتاريخ ١٠٣٢

فهرس المجلد الثامن: خواطر في التفسير والشريعة والحياة ١٠٤١


الحمد لله